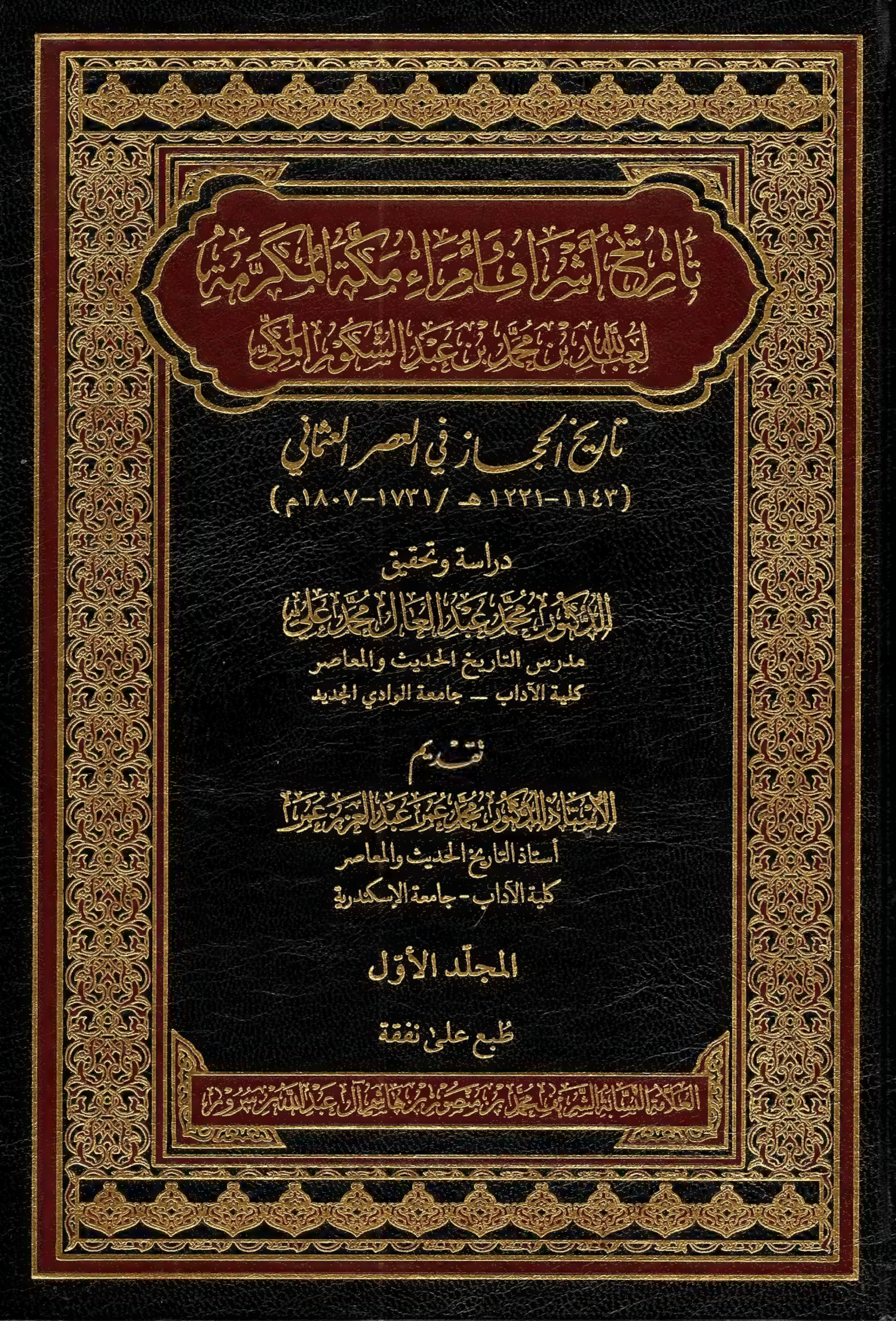
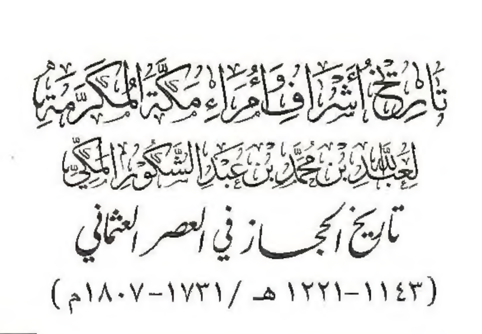
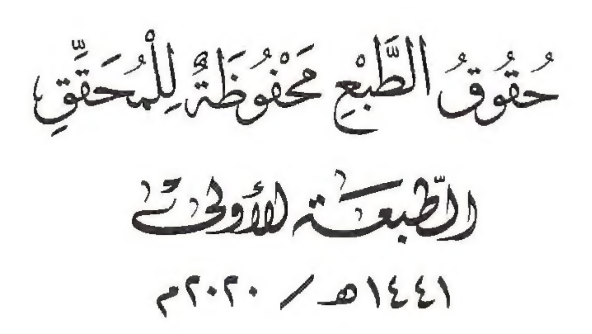
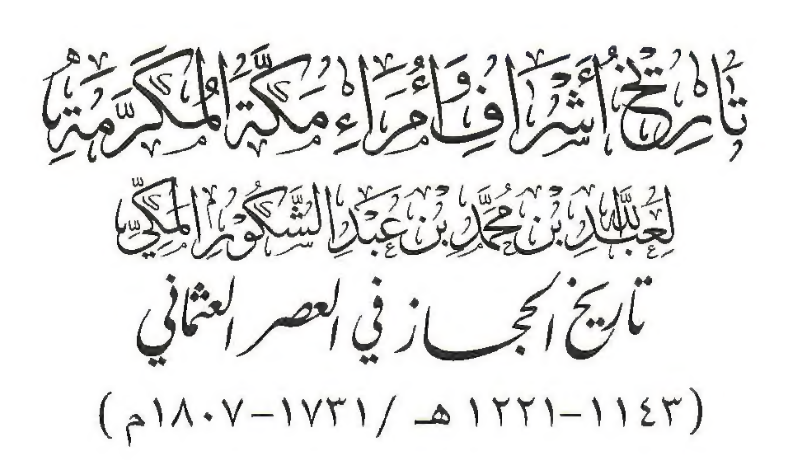

تاريخ أشراف وأمراء مكة المكرمة
لعبد الله بن محمد بن عبد الشكور المكي
تاريخ الحجاز في العصر العثماني
(١١٤٣-١٢٢١ هـ / ١٧٣١-١٨٠٧م)
دراسة وتحقيق
الدكتور محمد عبد العال محمد علي
مدرس التاريخ الحديث والمعاصر
كلية الآداب ـ جامعة الوادي الجديد
تقديم
الأستاذ الدكتور محمد عمر عبد العزيز عمر
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية
المجلد الأول
طبع على نفقة
العلامة النسابة الشريف محمد بن منصور بن هاشم آل عبد الله بن سرور




تاريخ أشراف وأمراء مكة المكرمة
لعبد الله بن محمد بن عبد الشكور المكي
تاريخ الحجاز في العصر العثماني
(١١٤٣-١٢٢١هـ/١٧٣١-١٨٠٧م)


حقوق الطبع محفوظة للمحقق
الطبعة الأولى
١٤٤١هـ / ٢٠٢٠م


9 786148 011160



دراسة وتحقيق

الدكتور محمد عبد العال محمد علي

مدرس التاريخ الحديث والمعاصر

كلية الآداب ـــ جامعة الوادي الجديد

تقديم

الأستاذ الدكتور محمد عمر عبد العزيز عمر

أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر

كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

المجلّد الأوّل

طُبع على نفقة

العلامة النسابة الشريف محمد بن منصور بن هاشم آل عبد الله بن سرور



﴿ ... وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾
[سورة آل عمران، جزء من الآية: ١٤٠].

إهداء

إلى ذكرى أستاذي

العلامة الدكتور محمود سعيد عمران

(١٩٣٣ - ٢٠١٥م)

أستاذ تاريخ العصور الوسطى الأوروبية وحضارتها

كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

تقديم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يُعَدُّ مخطوط «تاريخ أشراف وأمراء مكة المكرمة» لمؤلفه عبد اللّٰه بن محمد بن عبد الشكور المكي من المخطوطات التي تتناول فترة مُهمَّة من تاريخ الحجاز في العصر العثماني، حيث تناول الفترة الأخيرة من العهد العثماني الأول، والواقعة بين عامي (١١٤٣-١٢٢١هـ/ ١٧٣١-١٨٠٦م)، وتكمن أهميته في أن مؤلفه شاهد عيان على كثير من الأحداث التي عرضها، وتناول كثيرًا من الأحداث التاريخيَّة المُهمَّة عن تلك الفترة الخطيرة من تاريخ الحجاز الحديث، في كافة مناحي الحياة السياسيَّة، والعسكريَّة، والاجتماعيَّة، والدينيَّة، والعلميَّة.

يتناولُ المخطوط تاريخ أشراف الحجاز، والقوانين المُتبعة في تولي شرافة مكة، وعَلاقات الأشراف بعضِهم ببعضٍ، واهتمامهم بإقامة المُنشآت الدينيَّة والعسكريَّة، وعَلاقاتهم بالقبائل المحيطة بهم في هذه الفترة، ويبرز مدى الاهتمام الكبير الذي أولاه السلاطينُ العثمانيونَ بأراضي الحرمين الشريفين، من إخراج محامل الحج، وتأمينها، كما يرصد العلاقات الطيبة التي ربطت أشراف الحجاز بكثيرٍ من الحكام في العالم الإسلامي شرقًا وغربًا.

ويعرضُ قضيةً كانت حديث الساعة وقتئذٍ، وهي ظهور الدعوة السلفيَّة على يد الشيخ محمد بن عبد الوهاب وتحالفه مع الأمير محمد بن سعود بن مقرن - حاكم الدرعيَّة - وقيام الدولة السعوديَّة الأولى (١١٥٨-١٢٣٣هـ/ ١٧٤٥-١٨١٨م)، التي شملت الجزء الأكبر من الجزيرة العربيَّة أوائل القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي، وتدور أحداث المخطوط عن

العَلاقات بين أشراف الحجاز والدولة السعوديَّة الأولى، فيوضح بدايتها، وتطوراتها، والصراع المرير بين الطرفين، الذي انتهى بضم أراضي الحرمين الشريفين إلى الدولة السعوديَّة الأولى عام ١٢٢١هـ/ ١٨٠٦م.

وقد التزم الباحث في الدراسة بقواعد المنهج التاريخي، والقواعد العلميَّة لتحقيق المخطوطات، وكتب دراسته بلغة عربية سليمة، وأسلوب ساعد على وضوح الفِكَرِ وتسلسلها، وإخراج النص الأصلي للمخطوط بطريقة علميَّة، متبعًا سبيله في تدقيق النص ومقارنة النسخ المختلفة للمخطوط، وبيان الفروق بينها؛ من أجل إِخراج النص على أكمل صورة، وأثرى الدراسة بما قدَّمه من حواشٍ وتعليقاتٍ تَنُمُّ على ما بذله من عمل علمي من خلال الوثائق والمخطوطات، والمصادر المطبوعة، والمراجع الحديثة، مُقدمًا للمكتبة التاريخيَّة العربيَّة مصدرًا تاريخيًّا مُهمًّا، كما أن النتائج التي توصَّل إليها تفتح الباب لبعض الدراسات العلميَّة في تاريخ الحجاز في العصر العثماني.

الأستاذ الدكتور
محمد عمر عبد العزيز عمر
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر
كلية الآداب - جامعة الإِسكندريَّة
الإِسكندريَّة تحريرًا في يوم الأحد
الموافق ١٤ رمضان ١٤٤٠هـ
١٩ مايو ٢٠١٩م

مقدمة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد للَّه رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق وسيِّد المرسلين سيِّدنا محمد الصادق الوعد الأمين. اللَّهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللَّهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علمًا، وأرنا الحق حقًّا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه، واجعلنا مِمَّن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

يُمَثِّلُ التراث العربي الإسلامي وعاءً لكافة مَنَاحي الحياة السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والدينية، والثقافية، وقد أجمع الباحثون أنَّه لا توجد أُمَّة لديها ميراث حضاري ضخم مثل الأُمَّة الإسلامية، وبخاصة المخطوطات التي كُتِبَتْ على مدار العصور الإسلامية المُختلفة؛ ولذلك فقد اتجهت الدراسات الحديثة إلى نشر وتحقيق هذا التراث المخطوط في كافة المجالات، وما يهمنا هنا المخطوطات التاريخية، التي غطَّت التاريخ الإسلامي في كافة مراحله حتى عصرنا الحديث، وفي القرن الماضي نشر العديد مِن الباحثين الأوروبيين والعرب العديد مِن الذخائر التاريخية العربية، والتي ساعدت على التعرف على كثير مِن الأحداث في كافة مراحل التاريخ، التي كان يشوبها الغموض والضبابية.

ومِن هذا المنطلق، وفي خلال إعداد رسالة الماجستير، أصبح لزامًا عليَّ الاطلاع على عددٍ مِن المخطوطات التي تغطي الفترة الزمنية موضوع البحث، وقد صادفت مخطوطًا لم استطع العثور عليه إلا بشق الأنفس، رغم

أهميته التاريخية، التي تنبع مِن أنَّه يتناول فترة تاريخية خطيرة في تاريخ الحجاز في العصر العثماني، ولم أعرف حينها ما هو سِرّ عزوف الباحثين عن تحقيقه؛ لذا فعقب انتهائي من الماجستير، قرَّرت خوض رحلة البحث عنه، والوقوف على نُسَخه الموجودة في المكتبات، ودور المخطوطات في العالم، وقد وفِّقت - من خلال أحد الأساتذة المتخصصين في ذلك المجال- في إيجاد نُسَخ أخرى مِنه، ووجدت أنّهُ عمل ضخم يستحقّ دراسته وتحقيقه في رسالة علميَّة؛ حتى ينال الاهتمام الأمثل، ويخرج بصورة صحيحة، ولمَّا عرضت الأمر على أساتذتي في قسم التاريخ بآداب الإسكندرية؛ شجّعوني على خوض غمار هذا المجال الشاق، ألا وهو التحقيق التاريخي.

والمخطوط محلّ الدراسة موسوم بـ:«تاريخ أشراف وأمراء مكة المكرمة»، لمؤلفه عبد اللَّه بن محمد بن عبد الشكور المكي، الذي ولد ونشأ في مكة المكرمة في بدايات النصف الثاني مِن القرن الثاني عشر الهجري/ النصف الثاني مِن الثامن عشر الميلادي، وطلب العلم على علماء عصره، وتفوَّق في قرْض الشعر وأجاده، وله مؤلفاتٌ عديدةٌ، مِنْها: «تحفة الصبيان في مذهب أبي حنيفة النعمان»، وله تعريب كتاب في الطب، وقد ولِّي الإمامة والخطابة بالمسجد الحرام، وأجمع أهل الحرمين الشريفين على جلالة قدره، وغزارة علمه، ورقة لفظه، وشدّة حذقه، وتوفي في مكة المكرمة سنة ١٢٥٧هـ/ ١٨٤١م، ودُفِنَ في مقبرة المَعْلَاة. وتناول ابن عبد الشكور في كتابه حوادث تاريخ الحجاز بصورة خاصة، وتاريخ العرب الحديث بصورة عامَّة، في مرحلة مُهمَّة في أواخر العهد العثماني الأوَّل.

هذا، ومن المعلوم أنَّ إقليم الحجاز يقع في غربي شبه الجزيرة العربية، وقد تمتع بمكانة كبرى طوال تاريخه؛ لوجود الحرمين الشريفين في مكة المكرمة، والمدينة المنورة؛ ولذلك تسابقت الدول الإسلامية الكبرى في ضمِّ هذه المنطقة إليها، والإشراف عليها، ومِن هذه الدول كانت الدولة العثمانية (٦٩٨-١٣٤٢هـ/ ١٢٩٩-١٩٢٣م)، فبعد أنْ انتصر العثمانيون على

المماليك في موقعة مرج دابق، ثم موقعة الريدانية عام ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م، انضمَّ الحجاز بصورة سلمية إليهم، وصاروا هم الوريث الشرعي للمماليك في المشرق العربي.

أولى العثمانيون اهتمامًا بالغًا بإقليم الحجاز، وكان له نظامٌ إداريٌّ يختلف عن نظمهم المتبعة في المناطق الأخرى التي خضعت لهم، ولكنْ تشابه معه مِن حيث تقسيم الحكم والإدارة بين عددٍ مِن القوى المختلفة، لإحداث نوع مِن التوازن بينها، ولكنَّه أدَّى في نهاية الأمر إلى خللٍ كبيرٍ في هذه المنطقة؛ نتيجة تضارب مصالح تلك القوى. وتمتع إقليم الحجاز بامتيازات كثيرة في العصر العثماني، مِنْها: إرسال الصُّرَّة، وأموال الأوقاف، والمُخَصَّصَات المالية والعينية لأهالي هذه المنطقة، وإِعْفَاؤُهُم مِن دفع أيَّة ضرائب، كما عملت الدولة على توفير الأمن لهذه المنطقة مِن أي اعتداء خارجي؛ فأقامت حزامًا أمنيًّا حولها، ومنعت السفن الأوروبية أن تمخر عباب البحر الأحمر؛ حفاظًا على أراضي الحرمين الشريفين، وقد ظلَّ الأمر على قوَّته إلى أنْ اختلت الموازين في المنطقة أوائل القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي.

وانقسم الحكم العثماني في الحجاز إلى عهدين؛ الأوَّل: يشتمل على الفترة الواقعة بين عامي (٩٢٣-١٢٢١هـ/ ١٥١٧-١٨٠٦م)، ويبدأ بخضوع الحجاز سلمًا للعثمانيين، وينتهي بسيطرة الوهابيين على الحجاز، ودخوله في نطاق دولتهم، والآخر: في الفترة الواقعة بين عامي (١٢٢٨-١٣٣٤هـ/ ١٨١٢-١٩١٦م)، ويبدأ باسترداد الدولة العثمانية الحجاز مِن قبضة الوهابيين، وينتهي بالثورة العربية الكبرى في الحجاز عام ١٣٣٤هـ/ ١٩١٦م، وإعلان أشراف الحجاز استقلالهم عن الدولة العثمانية.

كان لأشراف مكة المكرمة اليَدُ الطُّولَى في حكم الحجاز في العصر العثماني؛ وهم نسل النبي ﷺ مِن ابنته فاطمة الزهراء وزوجها علي بن أبي

طالب ﷺ، وقد حكم الأشراف الحجاز منذ النصف الثاني مِن القرن الرابع الهجري/ النصف الأوَّل مِن القرن العاشر الميلادي، واستمرّ حكمهم حتى عام ١٣٤٢هـ/ ١٩٢٤م، وقد كوَّن الأشراف طوال هذه الفترة أسرة محلية تحكم المنطقة، وتعلن ولاءها للدول الإسلامية الكبرى التي يمتد نفوذها إلى الحجاز؛ وكانت هذه الدول تقر نظام الشرافة المعمول به في الحجاز، احترامًا وتقديرًا لكونهم مِن النسل النبوي الشريف، وطالما لم يشكلوا خطورة على الدولة الحاكمة؛ ولذلك كان لأشراف مكة مكانة كُبرى في الحجاز، ومارسوا سلطات واسعة، وعليهم تدور أحداث المخطوط الذي عرض أخبارهم بصورة تفصيلية.

ويغطي تاريخ ابن عبد الشكور المرحلة الأخيرة من تاريخ الحجاز في العهد العثماني الأوَّل، والتي تربو على سبعين سنة بين عامي (١١٤٣-١٢٢١هـ/ ١٧٣١-١٨٠٧م)، والتي شهدت ضعف الدولة العثمانية، وانهيار قوَّة الإنكشارية العسكرية، وكانت ثالثة الأثافي أنْ مُنِيَتْ الدولة بالعديدِ مِن الهزائم الحربية في أوروبا، وقد أدَّى ذلك إلى تراخي قوَّتها في الأقاليم التابعة لها، وحينئذٍ تصاعدت قوَّة أشراف مكة في الحجاز، بدرجة لم تُعهد مِن قبل، ولن تُرى مِن بعد ذلك، وكان مؤرخنا شاهد عيان على معظم أحداث هذه الفترة المهمة، وكان قريبًا مِن صُنَّاع القرار، وهم أشراف مكة المكرمة، فجاء كتابه سجلًا دقيقًا ومُتَفرِّدًا في تاريخ المنطقة، وصورة حيَّة لأحداثها في كافة مناحي الحياة، وإِنْ غَلَب عليه الجانب السياسي والعسكري.

والمخطوط في أصله كتاب واحد، ولكنه ينقسم إلى قسمين بمُقَدِّمَتَيْن مُخْتَلِفَتَيْن؛ المُقَدِّمَة الأولى هي التي صَدَّر بها ابن عبد الشكور تاريخه،وتحدَّث فيها عن منهجه، ومُحْتواه، ودوافع تدوين العمل، وبعد ذلك عرض تراجم الأشراف الذين حكموا مكة في تلك المرحلة، وما وقع

في أيامهم مِن الأحداث التاريخية المُهمَّة، وهذا القسم يغطي الفترة بين عامي (١١٤٣-١٢١٧هـ/ ١٧٣١-١٨٠٢م)،وترجم لخمسة مِن الأشراف الذين تولوا شرافة مكة المكرمة بصورة رئيسة، بالإضافة إلى بعض الأشراف الذين تولوا الشرافة لبضعة أيام أو أشهر، ولكن تراجمهم وردت بشكلٍ ضِمْنيٍّ داخل التراجم الرئيسة، والتي تتناول عصر كُلٍّ من:

- الشريف مسعود بن سعيد (١١٤٣-١١٦٥هـ/ ١٧٣١-١٧٥٢م).
- الشريف مساعد بن سعيد (١١٦٥-١١٨٤هـ/ ١٧٥٢-١٧٧٠م).
- الشريف أحمد بن سعيد (١١٨٤-١١٨٦هـ/ ١٧٧٠-١٧٧٢م).
- الشريف سرور بن مساعد (١١٨٦-١٢٠٢هـ/ ١٧٧٢-١٧٨٨م).
- الشريف غالب بن مساعد (١٢٠٢-١٢٢٨هـ/ ١٧٨٨-١٨١٣م).

ثم يبدأ القسم الثاني مِن المخطوط وهو يغطي الفترة التي غطَّاها القسم الأوَّل، وإن كان تتزيد عنها بعدة سنوات،حيث يتناول الفترة بين عامي (١١٤٣-١٢٢١هـ/ ١٧٣١-١٨٠٧م)، وخصَّص ابن عبد الشكور هذا القسم للحديث عمَّا سمَّاه بـ: «فتنةالوهابيَّة»؛ ويقصد الدعوة السلفيَّة الوهابيَّة، التي قامت في نَجْد على يد الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ثم تحالفه مع أمير الدرعيَّة محمد بن سعود؛ مِمَّا أدَّى إلى قيام دولتهم التي عُرِفَتْ وقتئذٍ بدولة الوهابيين، والتي اصطلح المؤرخون(١) على تسميتها-

---

(١) اصطلح المؤرخون على تقسيم التاريخ السياسي للدعوة السلفيَّة الوهابيَّة إلى ثلاث مراحل: الدولة السعوديَّة الأولى، والدولة السعوديَّة الثانية، والدولة السعوديَّة الثالثة؛ وهي التي تحوَّلت إلى المملكة العربيَّة السعوديَّة. وفي خلال الفترة موضوع الدراسة كان أتباع الدعوة يطلقون على أنفسهم المسلمين أو الموحدين، وأطلق أعداؤهم عليهم الوهابيين، نسبة إلى الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وكان هذا هو الشائع - وقتئذٍ- على الدعوة وأتباعها، ورغم أنَّ بعض أتباع الدعوة حتى الآن يتأففون من اصطلاح الوهابيَّة ويَتَضَجَّرُونَ منه؛ فإنَّ الباحث لا يجدُ غضاضة في أن يستخدمه أثناء تعليقاته في المخطوط؛ حتى لا يحدث نوع من الانفصال بين المتن والحاشية لِمَنْ يقرأ.

لاحقًا - بالدولة السعوديَّة الأولى (١١٥٨-١٢٣٣هـ/ ١٧٤٥-١٨١٨م)، ويفرد مؤرخنا لهذا الموضوع مُقدِّمَة خاصة به، ثم تحدث عن الفتن بشكلٍ عامٍّ، ثم تناول أمر الوهابيين وظهورهم، ثم عرض علاقاتهم مع أشراف الحجاز، حيث ذكر أنَّ العَلاقات بدأت بينهما في عهد الشريف مسعود مُنذ عام ١١٦٢هـ/ ١٧٤٩م، وكانت مجرد خلافات فكريَّة ومذهبيَّة، ولكن بتولي الشريف غالب تَطَوَّر الأمر وتَحَوَّلَ إلى صراع عسكري، وانتهى بخضوع الحجاز بصورة نهائية في نطاق دولة الوهابيِّين في عهد الإمام سعود بن عبد العزيز عام ١٢٢١هـ/ ١٨٠٦م، ليعلن بذلك انتهاء العهد العثماني الأوَّل في إقليم الحجاز.

ولعَلَّ من الأهمية بمكان الإشارة إلى أنَّ الباحث حينما طالع القسم الثاني من المخطوط - الذي تناول الصراع بين الأشراف والوهابيين - تجلَّى له أسباب عزوف الباحثين عن دراسة المخطوط وتحقيقه؛ فقد كان مؤرخنا من أشدِّ المُعادين للدعوة السلفيَّة الوهابيَّة وأتباعها، وظهر ذلك في بعض الألفاظ التي وصفهم فيها بأنَّهم خوارج العصر! وكان ذلك نتيجة لمَا روَّجه أعداء الشيخ محمد بن عبد الوهاب ودعوته، ومن ناحية أخرى فإِنَّنا نلمح بطرف خفي ونستقرئ بين سطور ما كتبه ابن عبد الشكور كثيرًا من المواقف التي تُبيِّن صحة مبادئ الدعوة.

ولا بُدَّ أنْ نُقرِّرَ هنا أنَّ مُعظم المصادر التاريخيَّة التي كَتَبَت عن الوهابيين الأوائل [الدولة السعوديَّة الأولى] سَطَّرتها أيدي مؤرخين مُعادين لهم، أمّا ما دَوَّنه الوهابيون عن تاريخهم - وقتئذٍ - فهو نزر يسير إذا ما قورن بغيره، وكان ابن عبد الشكور من المُعادين للدعوة، ورغم تحفظنا على بعض ما وصف به الدعوة وأتباعها؛ فإِنَّ تاريخه جاء عملًا مُهمًّا ودقيقًا عن تاريخ الوهابيين الأوائل، وعلاقاتهم بأشراف الحجاز، وانفرد بكثيرٍ من الأحداث التاريخيَّة المتعلقة بازدياد النفوذ الوهابي في الحجاز واليمن على وجه التحديد، ولذلك فليس من البَدهي أنْ يظل هذا

العمل طي الكتمان نتيجة الاختلاف مع بعض ما كتبه مؤلِّفُهُ، وهي الآن أمورٌ لا تخفى على كُلِّ ذي بصرٍ وبصيرةٍ.



وقَسَّم الباحث هذه الدراسة إلى قسمين رئيسين، يسبقهما مُقَدِّمَة، ويتلوهما خاتمة الدراسة ونتائجها، وذيَّل ذلك بعددٍ مِن الملاحق، والكشّافات، وقائمة المصادر والمراجع.

أمَّا القسم الأول، فيشتمل على فصلين: الفصل الأول، أفرده الباحث للمخطوط موضوع الدراسة، وتناول ترجمة المؤلِّف؛ لأنَّ دراسة أي عمل مِن الأعمال، لا بُدَّ أنْ يسبقها دراسة لِمَنْ قام بإنتاجه؛ فهو انعكاس اجتماعي لهذا المحيط الذي نشأ فيه، والعصر الذي عاش فيه؛ لأنَّه يؤثر فيه، وينعكس على كل ما يكتبه، وكذلك العُلماء الذين تَعَلَّم على أيْديهم، ومِن ناحية أخرى، نتبيَّن منزلته العلميَّة، وما تمَتَّع به مِن مكانةٍ في مجتمعِهِ، ومؤلَّفاته التي أسهم بها، ثم نُعَرِّج إلى المخطوطِ ومنهجِهِ التاريخي، والأساليب اللغويَّة التي استخدمها، ودوافعه لتأليف تاريخه، بالإضافةِ إلى مصادرِه التي اعتمد عليها، ومتى بدأ تدوينه وانتهى مِنْه، ثم نستعرض أهميَّة المخطوط التاريخيَّة، والتي جعلته مصدرًا تاريخيًّا فريدًا مِن نوعِهِ، والتي تجلَّت في نواحٍ عدة فيه، ثم نعرض نسخ المخطوط، ولماذا اعتمدنا نسخة وتجنبنا أُخرى، ونهاية نختم حديثنا بالمنهج المُتَّبع في التحقيق؛ حتى يكون دليلًا لِمَن يطالع المخطوط.

والفصل الثاني، اشتمل على لمحة في تاريخ الحجاز في العهد العثماني الأوَّل (٩٢٣-١٢٢١هـ/ ١٥١٧-١٨٠٦م)، وكيفية ضمِّ الحجاز إلى الدولة العثمانية في عام ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م، والنظام الإداري في هذه المنطقة مِن حيث دور شريف مكة، ووالي جدة في هذا النظام، ومَن يُسَاعِدُهُمَا مِن كبار الموظفين مثل: قَاضِيَيْ مكة المكرمة والمدينة

المنورة، والمفتين، وشَيْخَي الحرم المكي والنبوي، وغيرهم. ودلائل اهتمام العثمانيين بالحجاز تتمظهر في عدم إخضاعه لنظام الإقطاع العسكري، وتوفير الحماية اللازمة له، بالإضافة إلى إرسال المُخَصَّصَات المالية والعينية لأهله، وإشرافها المباشر على محامل الحج، وتوفير الطرق الآمنة لها، ومدى انعكاس ذلك على العثمانيين؛ حيث نالوا مكانة كبرى في العالم الإسلامي.

وأفرد الباحث القسم الثاني لتحقيق النصّ الأصلي للمخطوط، مِن خلال نُسْختين رئيستين اعْتَمَدَهُمَا في التحقيق، واعتمد في تحقيق الأحداث الواردة في المخطوط على بعض الوثائق المنشورة وغير المنشورة، والمخطوطات، والمصادر المُعاصرة المطبوعة، والمراجع الحديثة، والمَوسوعات المُتخصصة، وكتب التراجم والطبقات، والمعاجم التاريخية واللُّغوية؛ وذلك لإخراج المخطوط بصورةٍ علميةٍ رصينةٍ، كما عمل على مُقارنة الأحداث مع المصادر الأُخرى، للوقوف على الحقيقة أو قريب مِنْها، وتصحيح الأخطاء التي وردت في المخطوط نتيجةً لأهواءٍ سياسيةٍ أو مذهبيةٍ قد تمليها الطبيعة الإنسانية على مؤلفه.

وأمَّا الخاتمة فقد تناول الباحث فيها أهم نتائج الدراسة، وبَيَّن بصورة صادقة أهميَّة تحقيق التراث ونشره، في دراسات علمية مُتخصصة، حتى لا يكون عرضة لأنْ يخرج مِن غَيَاهب المكتبات ودور المخطوطات، ويرى النور، ثم يتم تداوله بصورة مُشوَّهة، لا تليق بتراثنا الفكري، وتاريخنا القومي.

وأخيرًا ذيَّل الباحث هذه الدراسة بأربعة مَلاحق؛ الأوَّل: احتوى على صور لنُسَخ المخطوط، والثاني: أورد فيه بعض الوثائق المهمة التي توثق بعض الأحداث المرتبطة بموضوع الدراسة، والثالث: يشتمل على بعض الخرائط التقريبية والتفصيلية عن مواضع الأماكن والقبائل التي ذُكِرَت في المخطوط، والأخير: يحتوي صورًا للأماكن الأثرية التي ذَكَرها في الأحداث، والتي هُدِمَتْ في التوسُّعَات الأخيرة للحرم المكي، حتى نكون

على بصيرةٍ.

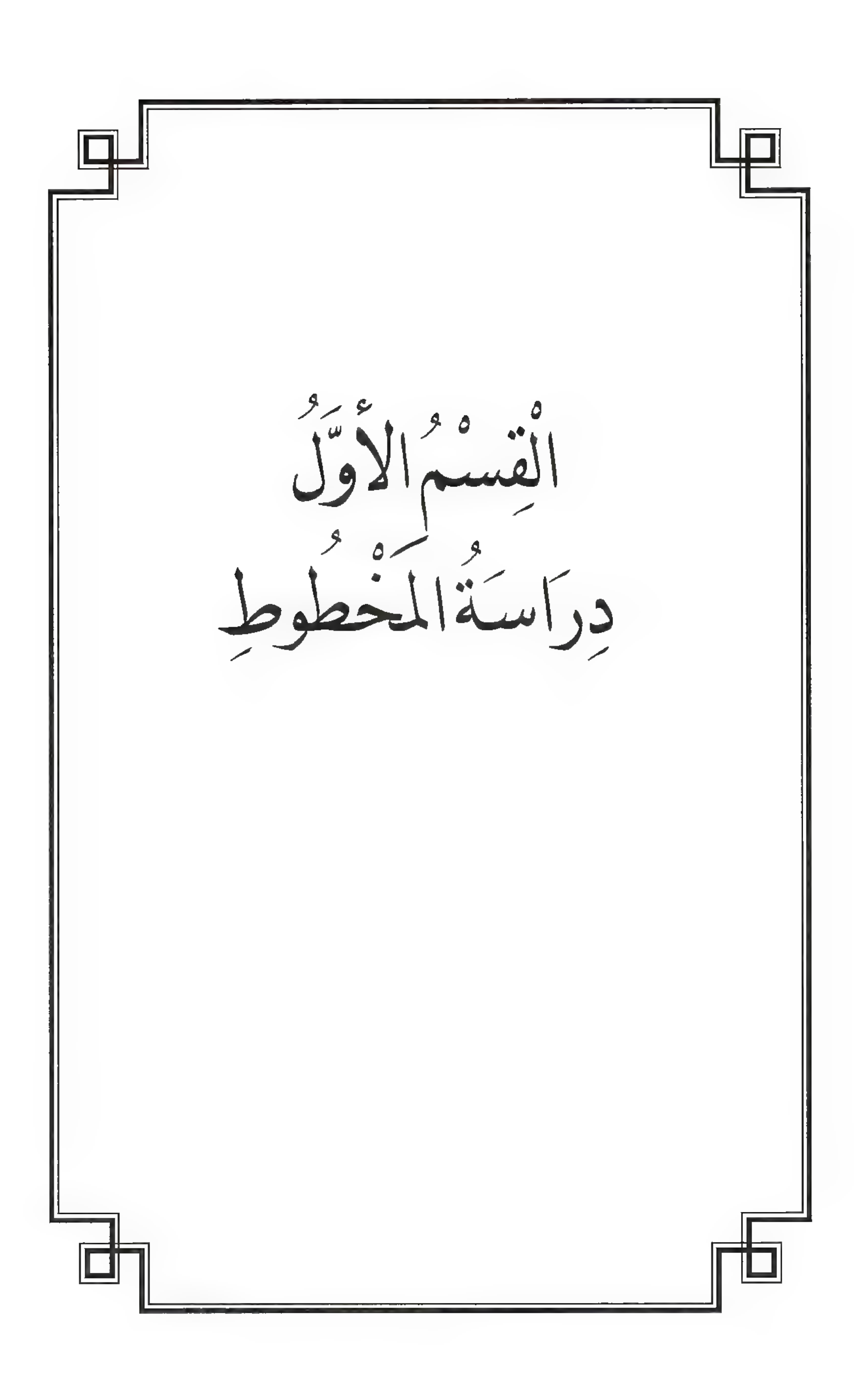
وختامًا فإنَّني أتوجَّه بعظيم الشكر إلى العلَّامة النَّسَّابَة الشريف محمد بن منصور بن هاشم آل عبد اللَّه بن سرور الذي تفضَّل بطباعة الدراسة على نفقته الخاصَّة، في زمنٍ عزّ فيه على دور النشر طباعة مثل هذه الدراسات التراثيَّة.

الدكتور

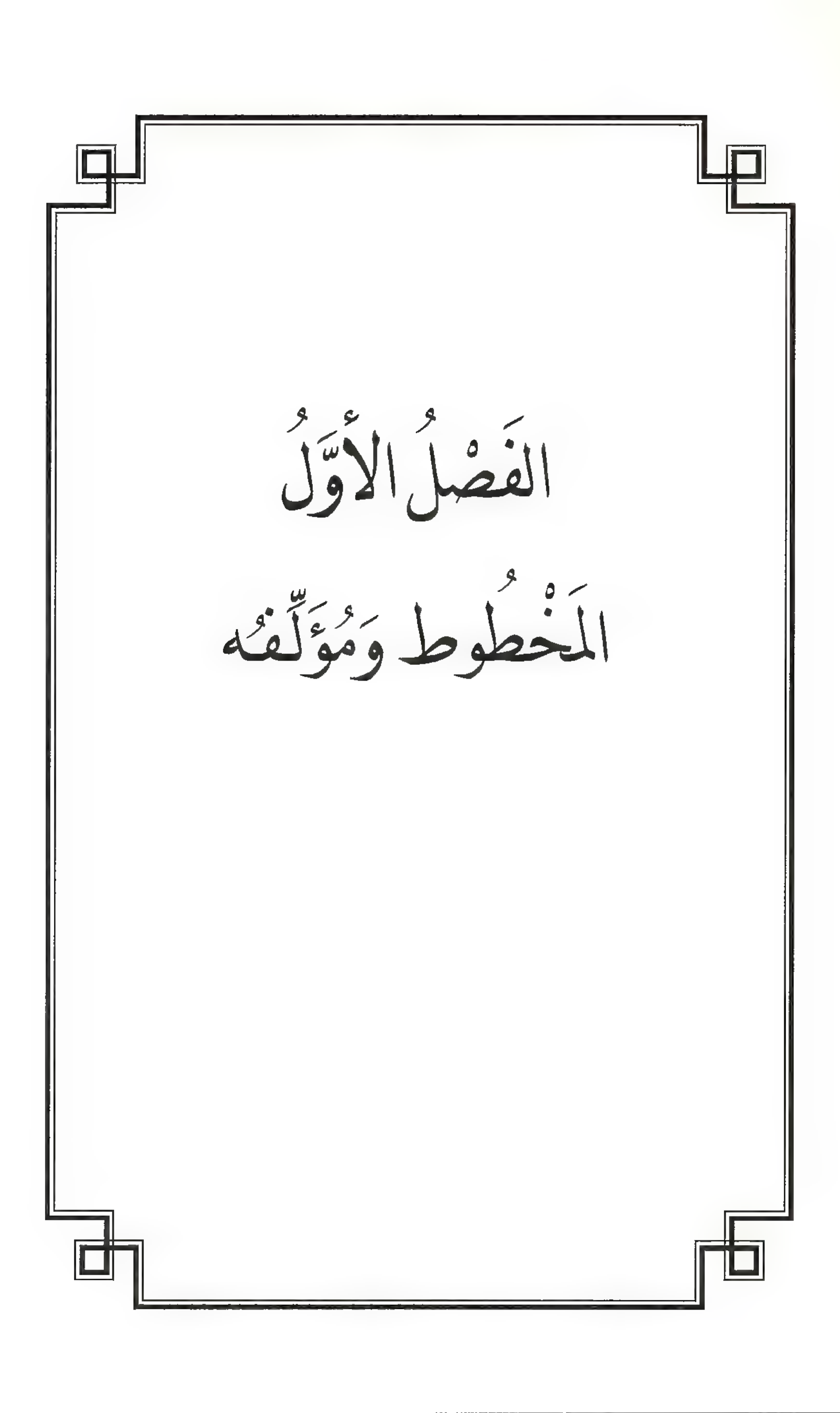
محمد عبد العال محمد علي

الإسكندريّة في يوم الأربعاء

١٠رمضان ١٤٤٠هـ/ ١٥ مايو ٢٠١٩م



القِسْمُ الأَوَّلُ
دِرَاسَةُ المَخْطُوطِ



الفَصْلُ الأوَّلُ

المَخْطُوط وَمُؤَلِّفُه

المَخْطُوط وَمُؤَلِّفُه

سوف يتناول الباحث في هذا الفصل ترجمة مؤلف المخطوط؛ لأنَّ دراسة أي عمل مِن الأعمال، لا بُدّ أنْ يسبقها دراسة للشخصية التي قامت بإنتاجه؛ فهو انعكاس اجتماعي لهذا المحيط الذي نشأ فيه، والعصر الذي عاش فيه؛ لأنَّه يؤثر فيه، وينعكس على ما يكتبه، وكذلك العُلماء الذين تَعَلَّم على أيْديهم، ومِن ناحية أخرى، نتبيَّن منزلته العلميَّة، وما تمَتَّع به مِن مكانةٍ في مجتمعِهِ، ومؤلَّفاته التي أسهم بها، ثم نُعَرِّج إلى المخطوطِ ومنهجِهِ التاريخي، والأساليب اللغويَّة التي استخدمها، ودوافعه لتأليف تاريخه، بالإضافةِ إلى مصادرِه التي اعتمد عليها، ومتى بدأ تدوينه وانتهى مِنْه، ثم نستعرض أهميَّة المخطوط التاريخيَّة، والتي جعلته مصدرًا تاريخيًّا فريدًا مِن نوعِهِ، والتي تجلَّت في نواحٍ عدة فيه، ثم نعرض نسخ المخطوط، ولماذا اعتمدنا نسخة وتجنبنا أخرى، ونهاية نختم حديثنا بالمنهج المتبع في التحقيق الذي يكون دليلاً لِمَنْ يطالع المخطوط، حتى يكون على بصيرة فيه.

□ □ □



أولاً - التعريف بالمؤلف:

(١) اسمه ونسبه:

إنَّ المصادرَ التي ترجمت لمؤرخنا قد اختلفت في اسمه فذكرته إمَّا كاملاً، وإمَّا بالزيادة، وإمَّا بالنقصان، وأقدم ترجمة له ذكرت اسمه مختصرًا، بأنَّه الشيخ عبد اللَّه بن عبد الشكور المكي الشهير بهِنْدِيَّة[١]، والتي تليها ذكرته كسابقتها مع إضافة مذهبه بأنَّه الشيخ عبد اللَّه بن عبد الشكور المكي الحنفي[٢]. وعلى ذلك فإنَّ تلك المصادر حددت أنَّ اسمه عبد اللَّه، وأنَّ والده عبد الشكور.

وفي إحدى مؤلفاته التي ورد اسمه عليها عبد اللَّه بن محمد بن عبد الواحد عبد الشكور[٣]، وهو بذلك عبد اللَّه، ووالده محمد، وجده عبد الواحد عبد الشكور.

وهناك بعض المصادر ذكرت أنَّ اسمه عبد اللَّه عبد الشكور بن محمد بن عبد الشكور المكي الحنفي[٤]، وبهذا فإنَّ اسمه عبد اللَّه عبد الشكور، أي اسمًا

---

(١) شهاب الدين محمود الآلوسي (ت ١٢٧٠هـ)، **الصادح بشهي النغم على أفنان ترجمة شيخ الإسلام وولي النعم**، مخطوط في المكتبة الأزهرية بالقاهرة، تحت رقم ٧٢٢١ عام، ورقة ٤٤.

(٢) أحمد بن محمد الحضراوي المكي الهاشمي (ت ١٣٢٧هـ)، **نزهة الفكر فيما مضى من الحوادث والعبر في تراجم رجال القرن الثاني عشر والثالث عشر**، ج ٢، حقَّقه: محمد المصري، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، د.ط، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، ص ٨٩.

(٣) عبد اللَّه بن محمد بن عبد الواحد عبد الشكور (ت١٢٥٧هـ)، **نَظْم مُقَدِمَة الحَبْر الهُمام أبي الليث السمرقندي**، مكتبة الحرم المكي، تحت رقم ٢٦٠٠ فقه دهلوي، ورقة ١.

(٤) عبد اللَّه مرداد أبو الخير (ت ١٣٤٣هـ)، **المختصر من كتاب نشر النور والزهر في تراجم أفاضل مكة من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر**، اختصار وترتيب وتحقيق: =

مركبًا، وأنَّ والده محمد.

وقد أشارت إحدى المراجع الحديثة إلى اسمه: عبد اللَّه بن عبد الشكور ابن محمد بن عبد الشكور الهندي المكي الحنفي[1]، وبناء عليه فإن اسمه عبد اللَّه، ووالده عبد الشكور، وجِدّه محمد.

والواقع أنَّ ذلك سبب اضطرابًا عند الباحث أثناء تحديد اسم المؤلف ونسبه، فالمتفق بين المصادر أنَّ اسمه عبد اللَّه، ولكن بعضها أورد اسمه بمفرده عبد اللَّه عبد الشكور، وكأنَّه اسمٌ مركبٌ، وقد أوردت بعض المصادر أن والده عبد الشكور، وبعضها ذكرت أنَّ والده محمد.

والحاصل في هذا الاختلاف أنَّ المصادر التي ترجمت له ذكرت اسمه عبد اللَّه مقرونًا باسم جده عبد الشكور؛ لأنَّ عائلته اشتهرت وقتها بعائلة عبد الشكور هندية، وكذلك المصادر التي أوردت اسمه عبد اللَّه عبد الشكور، فرُبَّمَا كان هذا اسمًا مركبًا لصاحبنا، وكان ذلك أمرًا شائعًا في الحجاز وقتئذ، أو أنَّه غلب عليه اسم عائلته فأصبح مقرونًا به، وأمَّا المرجع الذي ذكر أنَّ والده هو عبد الشكور بن محمد، فيبدو أنَّه وقع فيه تحريف؛ لأنني لم أقف عليه إلا فيه، وربما ظنَّ أنَّ اسمه المركب عبد اللَّه عبد الشكور اسمان مُنفصلان.

وعلى ما سبق يمكن القول: إِنَّ الاسم الصحيح لمؤرخنا هو عبد اللَّه

= محمد سعيد العامُودي، وأحمد علي، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، جدة، ط٢، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ص ٣٠٥؛ عبد الستار بن عبد الوهاب البكري الصديقي الهندي (ت ١٣٥٠هـ)، **فيض الملك الوهاب المتعالي بأنباء أوائل القرن الثالث عشر والتوالي**، دراسة وتحقيق وفهرسة: عبد الملك بن عبد اللَّه ابن دهيش، المكتبة الأسدية، مكة المكرمة، ط٢، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م، ص ٩٨٠؛ عبد اللَّه بن محمد الغازي المكي (ت ١٣٦٥هـ)، **نظم الدرر في اختصار نشر النور والزهر في تراجم أفاضل مكة من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر**، دراسة وتحقيق وفهرسة: عبد الملك بن عبد اللَّه بن دهيش، المكتبة الأسدية، مكة المكرمة، ط١، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م، ص ٣٦٨.

(١) محمد الحبيب الهيلة، **التاريخ والمؤرخون بمكة مِن القرن الثالث الهجري إلى القرن الثالث عشر**، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، مكة المكرمة، ط١، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، ص ٤١٣.

ابن محمد بن عبد الواحد عبد الشكور، الهندي أصلًا، المكي مولدًا، الحنفي مذهبًا، وهذا الاسم الذي هو الأقرب لما جاء على مؤلفه الفقهي - سالف الذكر - وكذلك في مُقَدِمَة تاريخه موضوع الدراسة[١].

(٢) مولده ونشأته:

ولم تحدد المصادر تاريخ ميلاده، كما أَنَّها لم تحدد سِنَّه عند وفاته، ويبدو أَنَّه ولد في النصف الثاني مِن القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي، وفي مُحاولة مِن الباحث لتحديد فترة تقريبية لميلاده؛ فقد ذكر مؤرخنا أثناء سرده بعض أحداث عام ١١٨٣هـ/ ١١٦٩م، كشاهد عيان لها بقوله:

«ومِن أَعْجَب مَا رأيته أنَّ ناظر السُّوق كُلَّمَا أخْرج شيئًا مِن الحُبوب إلى الأسْواق يُباع مِن وقته وحينه»[٢].

ويروي - أيضًا - حادثة أخرى كان شاهد عيان لها في عام ١١٨٤هـ/ ١٧٧٠م، فيذكر هدم برجي دار السعادة - مقر حكم أشراف مكة - فيقول:

«ولقد عاينتها بهذه الصِّفة حين هدمها ... وتعب فيها المُعَلِّمُونَ أعظم تعب ... وهكذا حال الدنيا لا تستقرُّ على حالٍ، فسبحان المَلِك الفَعَّال»[٣].

إذا افترضنا أنَّه شهد ذلك وهو في سنٍ صغيرة، ولنفرض أنَّه كان في

(١) عبد اللَّه بن محمد عبد الشكور، تاريخ أشراف وأمراء مكة، مكتبة متحف طوبقبوسراي، إستانبول تحت رقم (M ٥١١)، ورقة ٢.

(٢) ورقة ٧٠.

(٣) ورقة ٢٤.

العاشرة مِن عمره - على أقل تقدير - وهي مرحلة الإدراك، والقدرة على التمييز؛ فعلى ذلك ربما يكون مولده في العقد الثامن مِن القرن الثاني عشر الهجري، أي بين عامي ١١٧٠-١١٧٩هـ/ ١٧٥٧-١٧٦٥م، على الأرجح، ولمَّا كان تاريخ وفاته في عام ١٢٥٧هـ/ ١٨٤١م، فتكون وفاته في العقد التاسع مِن عمره، وقد ناهز الثمانين عامًا.

وعلى أيَّة حال، فقد ولد صاحبنا في مكة المكرمة، ونشأ بها، وشرع في طلب العلم، فأخذه عن المشايخ الأجِلَّاء، ولم تذكر الكتب التي ترجمت له مِن أولئك سوى الشيخ عبد الملك القِلْعي[1]، مُفْتِي الحنفية، ولكن مِن خلال دراسة المخطوط؛ فقد وقفت على بعض مَن العلماء الذين ترجم لهم، وذكر أنَّه تعلَّم على أيديهم، ومِنْهم: الشيخ عبد اللطيف الحريشي[2]، والشيخ محب اللَّه السليماني الحنفي[3]، والشيخ عبد الغني هلال[4] مُفتي الشافعية،

(١) **عبد الملك القِلْعي**: عبد الملك بن عبد المنعم بن تاج الدين بن عبد المحسن بن سلك القِلْعي المكي الحنفي، ولد في مكة المكرمة، لأسرة اشتهرت بالقضاء والإفتاء، وتلقَّى العلم على يد والده ومشايخ عصره؛ وتولَّى إفتاء الحنفية في مكة بعد وفاة والده عام ١١٩١هـ/ ١٧٧٧م، وظلّ فيه سبعة وثلاثين عامًا، وعاصر دخول الوهابيين [السعوديين] إلى الحجاز، وكذلك استرداد الدولة العثمانية الحجاز، وكان على علاقة طيبة بوالي مصر محمد علي باشا، والسلطان العثماني محمود الثاني، وللقِلْعي العديد مِن المؤلفات، والشروح، توفي في مكة المكرمة عام ١٢٢٨هـ/ ١٨١٣م، ودفن بمقبرة المَعْلاة. أحمد الحضراوي، **نزهة الفكر**، ٢/ ٩٣-٩٤؛ عبد الستار الصديقي، **فيض الملك الوهاب**، ٢/ ٩٧٨-٩٧٩؛ عبد اللَّه الغازي، **نظم الدرر**، ٣٧٣-٣٧٥.

(٢) **عبد اللطيف الحريشي**: لم أعثر له على ترجمة، سوى ما ذكره ابن عبد الشكور عنه في وفاته، بأنَّه العَالم العَلاَّمَة، العُمدة الفهَّامَة، قَرَّاءُ أهل زمانه، ووحيد عصره وأوانه، عليه الرحمة والرضوان، توفي في مكة المكرمة ١٢ ربيع الأول ١١٩٩هـ/ ٢٢ يناير ١٧٨٥م.

(٣) **محب اللَّه السليماني الحنفي**: محب اللَّه بن حبيب اللَّه بن عبد الرشيد السليماني الحنفي، ولد في بلده، وأخذ العلم فيها، ثم رحل إلى الهند، وقرأ على عدة مشايخ، ثم قدم إلى مكة المكرمة، وتوطنها، وجاور فيها، وقد ذاع صيته، وأخذ عنه عديد من العلماء والمشايخ، وقد توفي في مكة المكرمة في ٦ محرم ١٢١١هـ/ ١١ يوليو ١٧٩٦م. عبد الستار الصديقي، **فيض الملك الوهاب**، ٢/ ١٣٦٨-١٣٦٩؛ عبد اللَّه الغازي، **نظم الدرر**، ص ٤٠١-٤٠٢.

(٤) **عبد الغني هلال**: عبد الغني هلال بن محمد هلال سُنْبُل بن محمد سُنْبُل، ولد في مكة =

والشيخ محمد طاهر سُنْبُل[١].

وأمَّا عن أصل عائلته، فهو ينتسب إلى أحد بيوت الأدب في مكة المكرمة، ومؤسس هذا البيت جده عبد الشكور[٢]، الذي جاء مِن الهند، وأقام في مكة المكرمة[٣]، وكانت شهرتهم تعرف باسم بيت هندية؛ لأن أصلهم هنود، وكذلك عرفوا ببيت عبد الشكور، نسبة إلى جدهم الأعلى عبد الشكور، أوَّل مَن قدم من الهند، وعرفوا أيضًا ببيت زين العابدين، نسبة إلى زين العابدين بن علي بن عبد اللَّه[٤]، حفيد مؤرخنا، والشهرة الأخيرة

= المكرمة، ونشأ بها، وأخذ عن علمائها، ثم تصدر للتَّدريس في المسجد الحرام، ثم أصبح مفتي الشافعية في مكة المكرمة، وقد تخرج علي يديه عديد من العلماء والمشايخ، وقد توفي في غرة شعبان ١٢١٢هـ/ ١٩ ديسمبر ١٧٩٧م. عبد الستار البكري، **فيض الملك الوهاب**، ٢/ ٩٨٦؛ عبد اللَّه الغازي، **نظم الدرر**، ص ٣٦٤.

(١) **محمد طاهر**: محمد طاهر بن محمد سعيد بن محمد سُنْبُل المكي الحنفي، ولد في مكة المكرمة عام ١١٥٠هـ/ ١٧٣٧م، ونشأ بها، وتلقى العلم على أشهر عُلماء عصره في الحجاز، والشام، ومصر، فاشتهر وذاع صيته، ولم يكن له نظير في علم الفقه في مكة في زمانه، وكانوا يلقبونه بـ «أبي حنيفة الصغير»، وقد تخرج على يديه العديد مِن المشايخ، وله كثير مِن المؤلفات والحواشي، والشروح، منها: «الفتاوي السنبليَّة»، و«حاشية على شرح الشنشوري»، و«النفحة القدسية شرح المنظومة النسفية». توفي في مكة المكرمة عام ١٢١٨هـ/ ١٨٠٣م، ودفن بمقبرة المَعْلاة. أحمد الحضراوي، **نزهة الفكر**، ٢/ ٥٥؛ عبد اللَّه الغازي، **نظم الدرر**، ص ٣٥٣-٣٥٥.

(٢) يذكر عبد اللَّه ميرداد بأنَّ الشيخ أحمد أمين بيت المال المكي أخبره بأنَّ بينه وبين بيت عبد الشكور قرابة، وأنَّ جد الكل واحد، وأنَّ عبد اللَّه بن عبد الشكور خال أبيه. عبد اللَّه ميرداد، **مختصر نشر النور**، ص ٣٠٥. وبيت المال هو أحمد بن أمين بن محمد سعيد بن محمد بن عبد الشكور، مِن عُلماء مكة المكرمة، ولد في عام ١٢٥٥هـ/ ١٨٣٩م، وتعلّم على الشيخ عبد اللَّه ميرداد، وعبد الرحمن جمال، وسعيد بشارة، وأحمد دحلان، ولمَّا برع درَّس في المسجد الحرام، وله عديد من المؤلفات أشهرها «النخبة السنية» وهو في تاريخ مكة، و«الفلك المشحون» وهو كتاب يحتوي على نوادر وغرائب، وقد توفي في مكة ٢٣ شوَّال ١٣٢٣هـ/ ٢٠ ديسمبر ١٩٠٥م، ودفن بمقبرة المَعْلاة. أحمد الحضراوي، **نزهة الفكر**، ١/ ١٩٩-٢٠٤؛ عبد الستار البكري، **فيض الملك الوهاب**، ص ١٨٧-١٨٨؛ عبد اللَّه الغازي، **نظم الدرر**، ص ٤١٦.

(٣) عبد اللَّه مرداد، مختصر نشر النور، ص ٣٠٥، ٣٠٦.

(٤) **زين العابدين بن علي بن عبد اللَّه**: ولد في مكة المكرمة، ونشأ بهأ، وقرأ على علمائها=

هي المعروفة حتى مطلع القرن الرابع عشر الهجري/ أواخر التاسع عشر الميلادي(١)، وشهرة عبد الشكور نسخت، واشتهر بها أُناس آخرون، وهم أرحام الشيخ عبد الرحمن سراج(٢) مُفتي مكة المكرمة(٣).

(٣) وظائفه ومنزلته العلمية:

وقد عمل ابن عبد الشكور إمامًا، وخطيبًا، ومُدَرِّسًا بالمسجد الحرام(٤)، ونال شهرة واسعة، ويمكننا أنْ نلمح منزلته العلمية من خلال بعض مَنْ ترجم

= مثل: الشيخ عبد اللَّه سراج، والشيخ جمال عبد اللَّه مفتي مكة، وحَصَلَ على قدر كبير من العلوم والآداب، فصار أحد الرؤساء المكيين الذين يُشَارُ إليهم بالبنان، وقد أحبَّه الشريف عبد اللَّه بن محمد بن عون فقربه إليه، لمَا رأى فيه مِن الأهلية في الإنشاءات، واللَّهجة الفصيحة، وحسن الخط، والمُفاكهة في المُحادثة، وكان مِن أخصِّ الخواص إليه، والمعول عليه في إرسال جوابات إلى الباب العالي، وكبار الرجال، وكان وكيلًا لأهل الحرمين الشريفين في مصر عدة سنوات، وقد مكث في الآستانة مدة، وتوفي في مكة المكرمة عام ١٢٨٧هـ/ ١٨٧٠م، ودفن في مقبرة الشبيكة وقِيْل في المَعْلاة، وخلَّف ثلاثة أولاد، وهم: عبد اللَّه، وحبيب، وعلي. انظر: أحمد الحضراوي، **نزهة الفكر**، ١/ ٤٢٤-٤٣٤؛ عبد اللَّه الغازي، **نظم الدرر**، ص ٣٤٨.

(١) عبد اللَّه مرداد، **المختصر من نشر النور**، ص ٣٠٦؛ عبد اللَّه الغازي، **نظم الدرر**، ص ٣٦٩.

(٢) **عبد الرحمن سراج**: عبد الرحمن سراج بن عبد اللَّه سراج بن عبد الرحمن الحنفي المكي، ولد في مكة المكرمة عام ١٢٤٩هـ/ ١٨٣٣م، ونشأ بها، وتلقى العلم على أيدي علمائها، مثل الشيخ جمال عبد اللَّه، وأحمد زيني دحلان، وقد درَّس في الحرم، وأفاد، وتخرج على يديه كثير من العلماء، وقد أنابه شيخه الشيخ جمال على الإفتاء في مكة عندما ذهب لزيارة المدينة المنورة، وبعد وفاة شيخه عام ١٢٨٤هـ/ ١٨٦٧م تولَّى إفتاء الحنفية في مكة المكرمة، وقد استعفى مِن الإفتاء في عام ١٢٩٩هـ/ ١٨٨١م، ثم رحل إلى مصر، وتوفي بها عام ١٣١٤هـ/ ١٨٩٧م. انظر: أحمد الحضراوي، نزهة **الفكر**، ٢/ ١٤٢-١٤٣؛ عبد الستار الصديقي، **فيض الملك الوهاب**، ١/ ٧٦٦-٧٦٨؛ عبد اللَّه الغازي، **نظم الدرر**، ص ٤٥٠-٤٥١.

(٣) عبد اللَّه مرداد، **مختصر نشر النور**، ص ٣٠٥-٣٠٦؛ عبد اللَّه الغازي، **نظم الدرر**، ص ٣٦٩.

(٤) عبد اللَّه بن عبد الرحمن المعَلّمي، **أعلام المكيين من القرن التاسع إلى القرن الرابع عشر**، ج١، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، مكة المكرمة ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، ص ١٢٣.

له، أو من خلال مخطوطه الذي نقوم بدراسته، والذي يتضح مِنْه أَنَّه قد عمل في الإفتاء، ويتجلَّى ذلك في بعض آرائه وأجوبته الفقهية، ومِن ذلك عندما عرض السؤال التالي لبعض الشعراء - قاله على لسان بعض النساء - ليرد عليه، فقال[1]:

قَاضِي المُسْلِمِين انْظُر حَالِي
وَافْتني بالْصَحِيْح واسْمَع مقَالِي

مَات زَوْجِي وَهَمَّنِي فقدُ بَعْلِي
كَيْفَ حَال النِّسَاء بَعْد الرِّجَال؟

صَيَّر اللَّه فِي حَشائي جَنِيْنًا
لاَ حَرَامًا، لَا بلْ بِوطءٍ حَلَال

فَلِي النِّصْف إِنْ أَتَيْت بِأُنْثَى
وَلِي الثّمن إِنْ يكن مِن رِجَال

وَلِي الْكُلّ إِنْ أَتَيْت بِمَيْت
هَذه قصَّتي فَفسر سُؤَالِي

فأجاب بقوله:

أَيُّهَا السَّائل الَّذِي قَدْ بَدا لِي
هَاك مِنِّي الْجواب مِثْل الْهِلَال

إِنَّ ذَا الزَّوج كَان قنًّا وَقَدْ صَا
ر عَتيقًا لَهَا بِلاَ إشكَال

فَلَهَا النِّصْف حَيْث جَاءت ببنتٍ
بِطَريق التَّعْصيب وَالأَفْضَال

وَلَهَا الثّمن وَالَّذِي قَدْ تبقَّى
للجَنِين الَّذِي أتى فِي الْحَال

(١) عبد اللَّه مرداد، المختصر من نشر النور، ص ٣٠٦-٣٠٧.

وَلَـهَـا الْـكُـلّ حَـيْـث جَـاءت بِـمَـيْـتٍ
إِنَّ ذَا فَـرضـهـا بِـغَـيْـر مُـحَـال
وَصَـلاَتِـي عَـلَـى الـنَّـبِـي الْـمُـرجى
وَعَـلَـى آلِـه بِـبُدُور الْـكَـمَـال

وكذلك عند حديثه عن انتشار التبغ وتدخينه؛ فقد ذكر أن هناك خلافًا بين العلماء في هذه القضية، ثم أدلى بدلوه فيها فقال:

«ولم أرَ مَن قال بتحريمه مستندًا من السنة أو من الكتاب إلاَّ محضَ أقيسة، والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب، مع أنَّ البلوى به عامة بين الأشراف، والعُلماء، والعامة، ويلزم على القول بالتحريم تفسيق المسلمين بالتعميم؛ حيث كانوا إمَّا شارب، أو في بيته مَن يشربه، أو مشاهد، فما خرج أحد من الثلاث عن واحد؛ فحينئذ لا يوجد في المسلمين عدلٌ - خصوصًا - هو شرط في شهود النكاح، ويترتب على هذا أنَّ الأنكحة على بعض المذاهب سفاح، نعوذ بالله تعالى من التعصب، ومن القول الذي لم يكن قائله مصيب»[(١)].

ويمكن أنْ نلحظ بعض أفكاره، وعقيدته في المخطوط؛ فقد كان ابن عبد الشكور سنيًّا على المذهب الحنفي - وهو المذهب الرسمي للدولة العثمانية - وكان لا يميل إلى الشيعة، بل وكان كغيره من أهل الحجاز وقتئذٍ، يرجع بعض الفتن والسرقات التي تحدث في مكة المكرمة إليهم[(٢)]، ومن ذلك ما وقع في حوادث عدة، ويصفهم بقوله: «الفئة الباغية»[(٣)]، «الرافضة

(١) تاريخ ابن عبد الشكور، ورقة ١٦.
(٢) ورقة ٤٠-٤١، ١٦٣.
(٣) ورقة ٣٠.

الأجلاف»[١]، «الملاعين»[٢].

وكان كغيره مِن أهل عصره غارقًا في التصوف معتقدًا في الولاية والأولياء، وزيارة القبور، وطلب الشفاعة مِن أصحابها، إلى غير ذلك مِن أعمال كانت مُنتشرة في كافة البلدان العربية في العصر العثماني؛ نتيجة لرعاية الدولة العثمانية للتصوف والمتصوفة وقتئذ؛ ولعلَّ في ذلك ما يوضح موقفه المُتشدد مِن الدعوة الوهابيَّة، التي قام بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب في نَجْد - كما سيأتي ذكره.

هذا، ويتضح بصورة جلية مدى تعظيمه للدولة العليَّة العُثمانيَّة، مِن خلال عبارات الإطراء، والمديح، والدعاء للدولة على مدى تاريخه، مثل قوله: «وأدام اللَّه الكريم دولة آل عُثْمان على مَمَرّ الزمان» [٣]، و«أدام اللَّه تعالى ملكهم إلى يوم الدين»[٤]، و «زادها اللَّه تعالى قوةً وصولة»[٥]، «زادها اللَّه تعالى صلة ومزيَّة»[٦]، و«زادها اللَّه تعالى هِمَّة قويَّة» [٧]، و«جازى الدولة العليَّة بالإنعام»[٨]، و«زادها اللَّه تعالى عزًّا ونصرةً»[٩] و«زادها اللَّه تعالى عُلُوًّا وقدرًا»[١٠].

كما أنَّه يذكر سلاطين الدولة بألقاب عدة، ولعلَّ أهم ما يسترعي الانتباه أنَّه كان يرى فيهم خلفاء المسلمين، وظلّ اللَّه في أرضه، ومِن ذلك قوله:

---

(١) ورقة ٣٠.
(٢) ورقة ٤١.
(٣) ورقة ١٠٨.
(٤) ورقة ١٠٨، ١٤٤.
(٥) ورقة ٣٢.
(٦) ورقة ١٢١.
(٧) ورقة ١٤٤.
(٨) ورقة ١٥٨.
(٩) ورقة ١٦٠.
(١٠) ورقة ١٦١.

«حضرة سلطان سلاطين العالم، ومَلِك ملوك أقاليم الديلم، مَنْ خضعت لهيبته الملوك الأكاسرة، وذلت لأعتابه رقاب الجبابرة والأُسُود النافرة، ظلّ اللَّه تعالى الممدود»[١].

وقوله أيضًا:

«مولانا السلطان، وخليفة رسول الرحمن، القايم بوظيفة الجهاد، والباذل نفسه في إصلاح العباد والبلاد، سُلطان السَّلاطين، ومالك الأقاليم والأساطين، دُرَّة تاج آل عثمان، وأشرف ملوك الزمان»[٢].

وهو في ذلك يثير قضية كثرت حولها الأقاويل، وتباينت فيها الآراء، وهي تلقب سلاطين الدولة العُثمانيَّة بألقاب الخلافة مِن عدمه، ومدى رؤية تقبل الخاضعين لها في حملهم هذا اللقب[٣].

(٤) مؤلفاته:

لمؤرخنا بجانب تاريخه الذي نقوم بتحقيقه بعض المؤلفات الأخرى، وهي:

• منظومة مُسَمَّاة: «تحفة الصبيان بفقه أبي حنيفة النعمان»، ذكر أنَّهَا نظم مُقَدِمَة الإمام أبي الليث السمرقندي[٤]، ومطلعها:

---

(١) ورقة ٣٦.

(٢) ورقة ١٣٨.

(٣) للمزيد حول هذه القضية والآراء التي دارت حولها، انظر: عمر عبد العزيز عمر، **محاضرات في تاريخ الشعوب الإسلامية**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٨م، ص ٢١-٢٣؛ حسن عثمان، **منهج البحث التاريخي**، دار المعارف، القاهرة، ط ١٠، ٢٠١٠م، ص ١٧٦-١٨١.

(٤) **أبو الليث السمرقندي**: أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، الملقب =

بــدأْت بِبِسْــمِ الــلَّـه فِـيْـمَـا أُحَــرِّرُ
وَمَــا لَـيْـس مَــبْـدُوءًا بِــهِ فَـهُـو أَبْـتَـرُ
وَأَلْــفَــي صَــلاَةٍ تَـغْـشــى نَـبِـيـنـا
مُـحَـمَّـد الْـهَـادِي الـشَّـفِـيْـع الْـمُـطَـهَّـرُ[1]

وألَّف عليها شَرحًا سمَّاه «عَطية الرَّحْمَن»، وقد شرح المنظومة أيضًا كل مِن ابنيه: محمد علي وسَمَّى شرحه «توضيح البيان»، وعبد الملك، وسَمَّى شرحه «تنبيه الإنسان»[2].

• تعريب كتاب في الطب للسيد عبد العظيم الملتاني وتنقيحه[3]. ولم أقف عليه فيما توفر لدي مِن فهارس لدور المخطوطات، ولكنَّه يوضح أنَّه كان يتقن لغة أخرى، بجانب أنَّ كلمة «تنقيحه» تعنى أن له اطلاعًا على بعض كتب الطب الأخرى، أو له معرفة بالطب بصورة عامة.

• ديوان شعر[4]. ولم أقف عليه أيضًا، ولكن نماذج شعره متناثرة في بعض كتب التراجم التي وقفت عليها، وقد تباينت أغراضه ما بين المديح، والهجاء، والشعر التاريخي، وشعر يتناول بعض المسائل الفقهية، وعلى الرغم مِن جودة شعره؛ فإنَّني لم أعثر على أيَّة دراسة تناولته، وقد قمت بجمع

= بإمام الهدى، من أشهر أئمة الحنفية، ومن الزهاد المتصوفين، ومِن مصنفاته: «تفسير القرآن»، و«عُمدة العقائد»، و«تنبيه الغافلين»، و«بُستان العارفين»، و«شرح الجامع الصغير» في الفقه، وقد توفي عام ٣٧٣هـ/ ٩٨٣م، وقيل عام ٣٧٥هـ/ ٩٨٥م. عمر رضا كحالة، **معجم المؤلفين: تراجم مصنفي الكتب العربية**، ج ٤، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، ص ٢٤؛ وليد بن أحمد حسين الزبيري وآخرون، **الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة**، ج٣، سلسلة إصدارات الحكمة (١٥)، بريطانيا، ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ص ٢٧٥٩-٢٧٦٢.

(١) عبد اللَّه بن عبد الشكور، **نظم مقدمة أبي الليث السمرقندي**، ورقة ٢.

(٢) عبد اللَّه مرداد، **المختصر من نشر النور**، ص ٣٠٥، ٣٣٠، ٣٦٢؛ عبد اللَّه الغازي، **نظم الدرر**، ص ٣٦٨.

(٣) عبد اللَّه مرداد، **المختصر من نشر النور**، ص ٣٠٥.

(٤) أحمد الحضراوي، **نزهة الفكر**، ٢/ ٩٠.

بعض هذه النماذج التي توضح براعته الشعريَّة، لعلها تكون بداية لبعض الباحثين، فيقوم بعمل دراسة عنه.

فَمِن أغراض المديح؛ فإنَّه قد كتب موشحًا يمتدح فيه شيخ الإسلام(١) أحمد عارف حكمت(٢)، حينما كان قاضيًا على المدينة المنورة، أثناء تواجده في مكة لأداء فريضة الحج في ضحوة نهار يوم الجمعة ١٧ ذو الحجة ١٢٣٩هـ/ ١٢ أغسطس ١٨٢٤م، وكان ابن عبد الشكور قد اجتمع

---

(١) **شيخ الإسلام**: أعلى منصب ديني في الدولة العثمانية، وكان يطلق عليه في أول الأمر مفتي العاصمة، وأحيانًا المفتي الأكبر، وتقديرًا للمسئوليات الجسام التي يقوم بها مفتي العاصمة، أو المفتي الأكبر، رأت الدولة تمييزه عن سائر رجال الإفتاء، الذين يعملون في معظم أقاليم الدولة، فأطلقت عليه لقب شيخ الإسلام، وقد تمتع بمكانة مرموقة للغاية، وكان السلطان والصدر الأعظم والوزراء، يلتمسون رأيه في المسائل المهمة، مثل: سن بعض القوانين الوضعية، وتطبيق حكم الإعدام، وكانت الدولة لا تقدم على حرب، أو تعقد معاهدات مع الدول الأوربية، إلا بعد أخذ فتوى شيخ الإسلام، وكان يصدر الفتاوى التي تجيز عزل السلطان الحاكم لسبب أو لآخر، وبدأ ترشيح شيخ الإسلام لمجلس الوكلاء منذ أواسط القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي، واستمر إلى نهاية الدولة العثمانية. عبد العزيز محمد الشناوي، **الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها**، ج١، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، ص ٣٩٨-٤٠٨؛ سهيل صابان، **المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية**، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، ص ١٤٢.

(٢) **أحمد عارف حكمت**: أحمد عارف حكمت بن إبراهيم بن عصمت بن إسماعيل رائف باشا، ينتهي نسبه إلى الحسين بن علي بن أبي طالب، ولد في إستانبول عام ١٢٠٠هـ/ ١٧٨٥م، ونشأ بها، ونال حظه من التعليم، وقد تولى القضاء في عدة أماكن مثل: قضاء مصر ١٢٣٧هـ/ ١٨٢١م، ثم المدينة المنورة ١٢٣٩هـ/ ١٨٢٣م، ثم مكة المكرمة ١٢٤٤هـ/ ١٨٢٨م، ثم عُين نقيبًا للأشراف عام ١٢٤٦هـ/ ١٨٣٠م، وانتهى به الصعود إلى أن وُلِي مشيخة الإسلام بإستانبول ١٢٦٢هـ/ ١٨٤٤م، فاستمر بها حتى تقاعد منه عام ١٢٧٠هـ/ ١٨٥٣م، فانكب على العبادة والمطالعة، وله العديد من المؤلفات، وقد أوقف العديد مِن كتبه على طلبة العلم في المدينة المنورة، بعد أنْ أمر ببناء مدرسة بها خَدَمَةٌ مستقلّون، وأوقف عليها عدة أماكن، وكتب كثيرة، وما تزال مكتبته حتى الآن تعرف بمكتبة عارف حكمت، وقد توفي في إستانبول عام ١٢٧٢هـ/ ١٨٥٥م، وقيل ١٢٧٥هـ/ ١٨٥٨م. شهاب الدين الآلوسي، **الصادح بشهي النغم**، ورقة ٤ وما بعدها؛ خير الدين الزركلي، **الأعلام: قاموس تراجم أشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين**، ج١، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٥، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م، ص ١٤١.

بعارف حكمت قبل بثلاثة عشر يومًا، أي في ٤ ذي الحجة/ ٣٠ يوليو من العام المذكور، فأنشده موشحًا طويلًا حينها[١]، وقد أرَّخ قدومه إلى الحج بقوله:

قَــدْ تَشَــرَّفــت بـاجْـتِـمَـاعِــي بــندب
حَــائِـز الـفَـضْـلِ والـتّـقَــى والـمَـعَـارِف
ارْتِــجَـــالًا أرَّخْـتَـــه طَـــابَ حَــجًّـا
مَـعْـدَن الـعِـلْـم والـكَـمـالات عَـارف[٢]

ومِن الهجاء، شعر في الإمام سعود بن عبد العزيز[٣]، يؤرخ فيه دخوله مكة المكرمة، والسيطرة على سائر أراضي الحجاز عام ١٢٢٢هـ/ ١٨٠٧م، وكان ابن عبد الشكور، مِن أشدِّ أعداء الوهابيين؛ فنظم أربعة أبيات في ظاهرها الرحمة، وباطنها العذاب، وهو قوله:

---

(١) شهاب الدين محمود الآلوسي، **الصادح بشهي النغم**، ورقة ٤٤-٤٦.

(٢) جاءت بحساب الجُمَّل كالآتي: طاب: ط ٩ +أ ١ + ب ٢= ١٢. حجًّا: ح ٨ + ج ٣ + أ ١= ١٢. معدن: م ٤٠ + ع ٧٠ + د ٤ + ن ٥٠= ١٦٤. العلم: أ ١ + ل ٣٠ + ع ٨ + ل ٣٠ + م ٤٠= ١٧١. والكمالات: و ٦ + أ ١ + ل ٣٠ + ك ٢٠ + م ٤٠ + أ ١ + ل ٣٠ + أ ١ + ت ٤٠٠= ٥٢٩. عارف: ع ٧٠ + أ ١ + ر ٢٠٠ + ف ٨٠= ٣٥١. مجموعها: ١٢ + ١٢ + ١٦٤ + ١٧١ + ٥٢٩ + ٣٥١ = ١٢٣٩هـ وهي توافق ١٨٢٤م.

(٣) **سعود بن عبد العزيز**: سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود، ثالث أئمة الوهابيين، ولد في الدرعية عام ١١٦١هـ/ ١٧٤٨م، وتعلم على أيدي علمائها، ثم صار أحد القادة العسكريين في الدولة، والذراع اليمنى لوالده، وقد تولَّى الحكم عام ١٢١٨هـ/ ١٨٠٤م، وفي عهده وصلت الدولة أقصى اتساع لها، حيث سيطرت على الجزء الأكبر من الجزيرة العربية، وفي السنوات الأخيرة من أيامه بدأت الحملات المصرية العثمانية بقيادة أبناء محمد علي باشا على الحجاز ونجد، وفي خضم هذه الأحداث توفي الإمام سعود عام ١٢٢٩هـ/ ١٨١٤م، تاركًا الأمر لابنه الإمام عبد اللّٰه، والذي سقطت في عهده الدرعيَّة في قبضة إبراهيم باشا عام ١٢٣٣هـ/ ١٨١٨م. للمزيد انظر: نعيمة عبد اللّٰه بن دهيش، **عهد الإمام سعود الكبير ١٢١٨-١٢٢٩هـ/ ١٨٠٣-١٨١٤م**، رسالة ماجستير، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ص ١٦ وما بعدها؛ منير العجلاني، **تاريخ الدولة السعودية الأولى: عهد الإمام سعود الكبير**، مطابع دار الشبل، الرياض، ط٢، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، ص ١٥ وما بعدها.

يُعَلِّمُنَا عَقِيدَتَنَا إِمَامٌ
وَنَاهِيكَ العَقِيدَة مِنْ إِمَامِ

أَتَانَا يَبْتَغِي حَجًّا وَيُهْدِي
إِلَى الْبَيْتِ الحَرَامِ بِكُلِّ عَامِ

وَنَالَ ثَوَابَه مِنْ صَوْمِ خَيْرِ
عَلَيْهِ يَفيض مِثْل الغَيْث هَامِي

وَفَازَ بِحج بَيْت اللَّه أرِّخ
وَجَاءَ بِكِسْوَةِ الْبَيْت الحَرَامِ(١)

وقد أجاد فيه التورية في أخر كُلّ بيت، وهي: إمام عام هامي(٢).

وكان قد نزل جدة في حدود عام ١٢٠٠هـ/ ١٧٨٦م، فكتب في أهلها قصيدة هجاء، لم يذكر مِنْها سوى بيتين اثنين، وهما قوله:

أَقُولُ لِلْعَطَّارِ فِي جَدَّة
يَوْمَ شِتَاءٍ بَرْدُهُ قَدْ وَقَد

هَلْ عِنْدَكَ مِن نَخْوَة
فَقَالَ: مَا عِنْدِي وَلاَ فِي الْبَلَد(٣)

وله في الغزل قوله(٤):

خف اللَّه فِي مضناك يَا طَلعة الْبَدْر
إِلَى كَم أداري فِي هَوَاك وَلَم تَدْرِ

(١) جاءت بحساب الجُمّل كالآتي: وجاء: و ٦ + ج ٣ + أ ١ + أ ١= ١١. بكسوة: ب ٢ + ك ٢٠ + س ٦٠ + و ٦ + ت ٤٠٠= ٤٨٨. البيت: أ ١+ ل ٣٠ + ب ٢ + ي ١٠ + ت ٤٠٠ = ٤٤٣. الحرام: أ ١ + ل ٣٠ + ح ٨ + ر ٢٠٠ + أ ١ + م ٤٠= ٢٨٠. مجموعها: ٤٨٨ + ٤٤٣ + ٢٨٠ = ١٢٢٢هـ الموافق ١٨٠٧م، وهو العام الذي دخل فيه الإمام سعود مكة المكرمة للمرة الثانية.
(٢) أحمد الحضراوي، نزهة الفكر، ٢/ ٩٠-٩١.
(٣) تاريخ ابن عبد الشكور، ورقة ٢٦٩.
(٤) عبد اللَّه مرداد، المختصر من نشر النور، ص ٣٠٦-٣٠٧.

بِـمَـنْ قـد كَـسـاكَ الـحسـن حَـتَّـى مَلَكْتني
تـرفـق فَـمَـا قَـلْـب الـمُـتَـيّـم مِـن صَـخـر
نـهـانـي عـذولـي عـن هـواك ومـا درى
بِـأَنَّ غَـرَامِـي فِـيْـك يَـا فَـاتِـنـي عـذري
عَـلَـى أَنَّـه لَـوْ ذَاقَ فِـيْـك صَـبَـابَـة
لأَمْـسَـى سَـمِـيْـرًا للنجوم إِلَـى الْـفَـجْـر
تَـلوح لنَـا كـالشَّـمْس وَجْـهًـا وَكَـالضُّـحَى
جَـبِيْـنًـا سبى وَالْكَـوثـر الْـعَـذْب فِـي الثّغر
يـود بـأَنَّ الْـبَـدْر يحـكـيـك طَـلـعـة
وَأَنَّـى لِـبَـدْرِ الـتـم يحـكـيـك يَـا بَـدْرِي؟
قَـدْ اجْـتَـمـعـت فِـيْـك الـمَـحَـاسـن كُـلّها
فـدمـتَ مليك الحسـن فِـي دَوْلَـة النَّـصْرِ

(٥) ثناء العلماء عليه:

قال فيه محمود الآلوسي: «الأديب الأريب، الحائز مِن طرف الظرف أوفر نصيب، شيخ العربية»(١). ووصفه أحمد الحضراوي بقوله: «أديب مفرد، ونبيه فاضل مجد، عينُ الزمان، وتحفة الأعيان، له القصائد الغُرر، والفرائد الدرر، أجمع أهل الحرمين في وقته على جلالة قدره، وغزارة علمه، ورقة لفظه، وشدّة حذقه، ونباهته، وذكائه، كان مِن أكمل أهل وقته في العلم والأدب، وكان له في علم البديع اليد الطولى»(٢).

---

(١) شهاب الدين الآلوسي، **الصادح بشهي النغم**، ورقة ٤٤؛ عبد الحي الكتاني، **فهرس الفهارس**، ١/ ١٣٩.

(٢) أحمد الحضراوي، **نزهة الفكر**، ٢/ ٨٩-٩٠.

(٦) أبناؤه:

كان لابن عبد الشكور ثلاثة أبناء، وهم: محمد علي[1] (علي)، وعبد الملك[2]، ومحمد[3]، بينما يذكر الحضراوي أنَّه «كان له ولدان نجيبان جمعا بين العلم والأدب» وهما: محمد علي، وعبد الملك[4]، ولم يذكر ثالثهما الشيخ محمد، ولعلَّه غفل عنه دون قصد، أو أنْ مكانته العلمية لم تصل إلى مستوى أخويه.

---

(١) **محمد علي بن عبد اللَّه**: ولد في مكة المكرمة، وتلقى العلم على يد علمائها، ومنهم والده، والعلامة عمر عبد الرسول، والسيد ياسين الميرغني، وكان فاضلًا عذب المنطق، أديبًا كاملًا، وخطيبًا بالمسجد الحرام، محبوبًا من الناس، وكان مولعًا بالأدب، وينظم الشعر، ولو جمعت منظوماته لكانت دواوين، ومِن مؤلفاته: «توضيح البيان» وهو شرح على منظومة والده «تحفة الصبيان»، وقد توفي في مكة المكرمة، [نيف وستين ومائتين وألف] بعد عام ١٢٦٠هـ/ ١٨٤٣م، وخَلَّفَ ابنين، هما: محمد، وزين العابدين الأديب المشهور. انظر: عبد اللَّه مرداد، **المختصر من نشر النور**، ص ٣٦٢-٣٦٤؛ أحمد الحضراوي، **نزهة الفكر**، ٢/ ٨٩؛ عبد اللَّه المعَلّمي، **أعلام المكيين**، ١/ ١٢٦-١٢٧؛ يوسف بن محمد الصبحي، **وسام الكرم في تراجم أئمة وخطباء الحرم**، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط١، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، ص٢٩٦.

(٢) **عبد الملك بن عبد اللَّه**: ولد في مكة المكرمة، ونشأ بها، وأخذ عن علمائها، وقد عمل مدرسًا بالمسجد الحرام، وصار من علماء عصره، وفقهائه، وأدبائه، وشعرائه، ومن مؤلفاته: «تنبيه الإنسان»، وهو شرح على منظومة والده «تحفة الصبيان»، وقد توفي في مكة المكرمة، [نيف وستين ومائتين وألف] أي بعد عام ١٢٦٠هـ/ ١٨٤٣م، ولم يكن له عقب. انظر: عبد اللَّه مرداد، **المختصر من نشر النور**، ص ٣٣٠؛ أحمد الحضراوي، **نزهة الفكر**، ٢/ ٩٠؛ عبد اللَّه المعَلّمي، **أعلام المكيين**، ١/ ١٢٤؛ عبد الستار الصديقي، **فيض الملك الوهاب**، ٢/ ٩٧٢-٩٧٣ ؛ عبد اللَّه الغازي، **نظم الدرر**، ص ٣٦٩.

(٣) **محمد بن عبد اللَّه**: ولد بمكة المكرمة، وتلقى العلم على يد والده، وعلماء عصره، وجدَّ واجتهد، وصار من أدباء وشعراء وقته، وقد توفي في مكة المكرمة في نيف وسبعين ومائتين وألف ١٢٧٠هـ/ ١٨٥٤م، وأعقب ابنًا واحدًا اسمه أحمد، وقد سافر بعد والده إلى الهند، ومكث به، ولم يعرف عنه شيء حتى وفاته. انظر: عبد اللَّه مرداد، **المختصر من نشر النور**، ص ٤٦١؛ عبد الستار الدهلوي، **فيض الملك الوهاب**، ٢/ ١٣٨٠ ؛ عبد اللَّه الغازي، **نظم الدرر**، ص ٣٩١؛ عبد اللَّه المعَلّمي، **أعلام المكيين**، ١/ ١٢٧.

(٤) أحمد الحضراوي، نزهة الفكر، ٢/ ٨٩-٩٠.

(٧) وفاته:

توفي ابن عبد الشكور في مكة المكرمة عام ١٢٥٧هـ/ ١٨٤١م، ودفن في مقبرة المَعْلاة[١]، وقد ذكر المؤرخ المكي أحمد الحضراوي أنَّ وفاته كانت في عام «نيف وثلاثين ومئتين وألف»[٢]، ويبدو أنَّ ذلك خطأ مِنْه، أو تحريف مِمَّن قام بنشر كتابه؛ لأنَّ الحضراوي أشار إلى أنَّ ابن عبد الشكور قد مدح الشريف محمد بن عون (١٢٤٣-١٢٧٤هـ/ ١٨٢٧-١٨٥٨م)[٣]، والمعروف أنَّ الشريف لم يتول الحكم إلا بعد التاريخ الذي حدده لوفاته، فكيف يتسنى له ذلك إلا بأنْ يكون معاصرًا له؟



(١) عبد اللَّه مرداد، **مختصر نشر النور**، ص ٣٠٥، عبد اللَّه الغازي، **نظم الدرر**، ص ٣٦٩؛ عبد الستار البكري، **فيض الملك الوهاب**، ص ٩٨١، عبد اللَّه المعلمي، **أعلام المكيين**، ١/ ١٢٤؛ محمد الهيلة، **التاريخ والمؤرخون بمكة**، ص ٤١٣.

(٢) **نزهة الفكر**، ٢/ ٩١.

(٣) **الشريف محمد بن عون**: محمد بن عبد المعين بن عون بن محسن بن عبد اللَّه بن حسين ابن عبد اللَّه بن حسن بن أبي نمي الحُسني، ولد في مكة المكرمة عام ١٢٠٤هـ/ ١٧٨٩م، ونشأ بها، ثم رحل إلى مصر وسكنها، وقد تولى شرافة مكة عام ١٢٤٣هـ/ ١٨٢٧م، بتكليف مِن والي مصر محمد علي باشا، وظلَّ في الشرافة إلى عام ١٢٦٧هـ/ ١٨٥١م، ثم عُزِل مِنْها، وتوجه إلى إستانبول، وخلفه في الشرافة الشريف عبد المطلب بن غالب، الذي عزل مِنْها عام ١٢٧٢هـ/ ١٨٥٦م، وصدر فرمان مِن الباب العالي بعودة الشريف محمد بن عون إلى شرافة مكة، فانتقل إليها، وضبط أمورها، وظلّ في شرافتها حتى وفاته في ١٣ شعبان ١٢٧٤هـ/ ٢٨ مارس ١٨٥٨م. أحمد زيني دحلان، **خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام من زمن النبي عليه الصلاة والسلام إلى وقتنا هذا بالتمام**، المطبعة الخيرية، مصر، ط١، ١٣٠٥هـ، ص ٣٠٤-٣٢٠؛ إسماعيل حقي جارشلي، **أشراف مكة المكرمة وأمراؤها في العهد العثماني**، ترجمه عن اللغة التركية: خليل علي مراد، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ص ٢٠٢-٢١١.

ثانيًا - التعريف بالمخطوط ومنهجه:

مخطوط «تاريخ أشراف وأمراء مكة المكرمة»، أو «الأشراف الذين ملكوا الحرمين الشريفين»، أو «تاريخ ابن عبد الشكور»، ولم أستطع أنْ أحدد العنوان الذي اختاره مؤلفه؛ لأنَّه لم ينصَّ عليه في مُقدمة كتابه، ولا في خاتمته، وهناك تضارب بين النسخ في العنوان - كما سيأتي ذكره - بل إنَّ أقدم نسخة لم يرد عليها عنوان.

وعلى أية حال، فالمخطوط يتناول تاريخ مكة المكرمة بصورة خاصة، وتاريخ الحجاز بصورة عامّة، في مرحلة مُهمة في العهد العثماني الأوَّل (٩٢٣-١٢٢١هـ/ ١٥١٧-١٨٠٧م)، حيث إنَّه يُغَطِّي الفترة الأخيرة مِنْه، والتي تربو على سبعين سنة (١١٤٣-١٢٢١هـ/ ١٧٣٦-١٨٠٧م)، وهي فترة في غاية الأهمية؛ حيث شهدت تحولات خطيرة في الدولة العثمانيَّة، مِن تسرب عوامل الضعف فيها، وظهور بعض القوى المحلية في الأقطار الشرقيَّة، والتي تمكنت مِن السيطرة على مقاليد السلطة فيها، وقد تأثر الحجاز بهذه الأوضاع الجديدة، فتنامت قوة أشراف الحجاز تدريجيًّا في هذه المرحلة، لدرجة لم نعهدها مِن قبل، ولن نجدها مِن بعد ذلك، وقد كان مؤرخنا ابن عبد الشكور شاهد عيان على معظم أحداثها، وكان قريبًا مِن صُنَّاع القرار في الحجاز وقتئذ، وهم أشراف مكة المكرمة، فجاء سجلًّا دقيقًا ومُتفردًا في تاريخ هذه المنطقة، في كافة مناحي الحياة السياسيَّة، والعسكريَّة، والاقتصاديَّة، والاجتماعيَّة، والدينيَّة.

والمخطوط في أصله كتاب واحد، ولكنه ينقسم إلى قسمين بمقدمتين مُختلفتين؛ المقدمة الأولى هي التي صدَّر بها مؤلِّفه، وتحدث فيها عن منهجه،

ومحتواه، ودوافع تدوين العمل، وبعد ذلك عرض تراجم الأشراف الذين حكموا مكة في تلك المرحلة، وما وقع في أيامهم مِن الأحداث التاريخية المهمة، وهذا القسم يغطي الفترة بين عامي (١١٤٣-١٢١٧هـ/ ١٧٣١-١٨٠٢م)، وقد ترجم لخمسة مِن الأشراف الذين تولو شرافة مكة المكرمة بصورة رئيسة، بالإضافة إلى بعض الأشراف الذين تولوا الشرافة لبضعة أيام أو أشهر، ولكن تراجمهم وردت بشكل ضمني داخل التراجم الرئيسة، والتي تتناول عصر كُلّ مِن:

- الشريف مسعود بن سعيد (١١٤٣-١١٦٥هـ/ ١٧٣١-١٧٥٢م).
- الشريف مساعد بن سعيد (١١٦٥-١١٨٤هـ/ ١٧٥٢-١٧٧٠م).
- الشريف أحمد بن سعيد (١١٨٤-١١٨٦هـ/ ١٧٧٠-١٧٧٢م).
- ا لشريف سرور بن مساعد (١١٨٦-١٢٠٢هـ/ ١٧٧٢-١٧٨٨م).
- الشريف غالب بن مساعد (١٢٠٢-١٢٢٨هـ/ ١٧٨٨-١٨١٣م)(١).

ثم يبدأ في القسم الثاني مِن تاريخه، وهو يُغطي الفترة التي غطاها القسم الأوَّل، وإن كانت تزيد عنها بعدة سنوات حيث يتناول الفترة بين عامي (١١٤٣-١٢٢١هـ/ ١٧٣١-١٨٠٧م)، ولكنَّه خصص هذا القسم للحديث عمَّا سمَّاه بـ: فتنة الوهابيين؛ وهو يقصد الدعوة الوهابيَّة السلفيَّة، التي قامت في نَجْد

---

(١) لم يقم ابن عبد الشكور باستكمال أحداث عصر الشريف غالب، بل توقف حتى عام ١٢٢١هـ/ ١٨٠٧م، وهو عام دخول مكة في نطاق الدولة السعودية الأولى، وقد استمر بعدها حكم الشريف غالب حتى عام ١٢٢٨هـ/ ١٨١٣م، وهو العام الذي عزل فيه؛ فبعد استرداد الدولة العثمانية الحجاز مِن الوهابيين، توجّه محمد علي باشا إلى مكة، وقام بعزل الشريف ونفيه إلى سالونيك، فظل فيها حتى مات بالطاعون عام ١٢٣١هـ/ ١٨١٦م. للمزيد عن عصره، انظر: سامية محمد أسعد بشاوري، **إمارة الشريف غالب بن مساعد في مكة ١٢٠٢-١٢٢٨هـ الموافق ١٧٨٧-١٨١٣م**، رسالة ماجستير، كلية الآداب - جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م، ص ٣٥ وما بعدها. وسوف ترد أخباره تفصيلية في المخطوط.

على يد الشيخ محمد بن عبد الوهاب (١١١٥-١٢٠٦هـ/ ١٧٠٣-١٧٩١م)[١]، ثم تحالفه مع أمير الدرعيَّة محمد بن سعود (١١٣٩-١١٧٩هـ/ ١٧٢٦-١٧٦٥م)[٢]، والذي أدى إلى قيام دولتهم، التي اصطلح على تسميتها لاحقًا[٣]

---

(١) محمد بن عبد الوهاب: محمد بن عبد الوهاب. ولد في قرية العُيينة، في نَجْد عام ١١١٥هـ/ ١٧٠٣م، في أسرة علمية، فنشأ هناك، وتتلمذ على يد والده، قاضي القرية، ولما دخل في سن الشباب بدأ رحلة علمية طاف فيها ببعض المدن مثل مكة، والمدينة، والبصرة، وتلقى العلم على أيدى علمائها، ثم عاد إلى الإحساء ومنها إلى حريملاء حيث كان يقيم والده، قد وصل إلى سن الخامسة والثلاثين، وتم نضجه، واتسعت ثقافته، وقد شغلته قضية التوحيد، وما عليه الناس من مظاهر شركية مثل التمسح بالقبور، والاعتقاد في الأولياء، وطلب رفع النوازل عنهم؛ فصدع بدعوته التي هاجمها كثير من الناس، ثم بدأ في التنقل بين القرى حتى استقر في الدرعية، وهناك عقد اتفاقه مع محمد بن سعود عام ١١٥٨هـ/ ١٧٤٥م، واتفقا معًا على نشر مبادئ الدعوة، وقد ظلَّ الشيخ يقوم بتعليم الناس ويضع مؤلفاته الدعوية، حتى وفاته في الدرعية عام ١٢٠٦هـ/ ١٧٩١م. انظر: كمال السيد درويش، **محمد بن عبد الوهاب والدعوة الوهابية**، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، ١٩٥٨م، ص ٢٥ وما بعدها.

(٢) محمد بن سعود: محمد بن سعود بن مقرن بن مرخان، ولد حوالي عام ١١١٠هـ/ ١٦٩٨م، ونشأ فيها، ثم تولى إمارتها عام ١١٣٩هـ/ ١٧٢٧م، وكانت حدود إمارته صغيرة، وقد سمع بدعوة الشيخ محمد فاستقدمه، وعقد معه ما عرف باتفاق الدرعية عام ١١٥٨هـ/ ١٧٤٥م، فصار أول أئمة الدولة السعودية الأولى، وفي عهده نجح الوهابيون في مد سلطانهم من حاير سبيع جنوبًا باستثناء الرياض، وشمالًا إلى الشعيب، والمحمل، وبلدان سدير وجلاجل، وغربًا إلى ضرما، والقويعية، وبلدان الوشم عدا أشيقر وثرمداء، وقد ظلّ في الحكم حتى وفاته عام ١١٧٩هـ/ ١٧٦٥م. انظر: نعيمة عبد اللَّه بن عمر بن دهيش، **عهد الإمام محمد ابن سعود (١١٣٩-١١٧٩هـ/ ١٧٢٦-١٧٦٥م)**، رسالة دكتوراه، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، ص ١٤٧ وما بعدها.

(٣) هناك اتفاق بين المؤرخين حديثًا على تقسيم التاريخ السعودي إلى ثلاث فترات: الفترة الأولى: وهي الدولة السعودية الأولى، والتي بدأت بالتحالف بين الشيخ محمد بن عبد الوهاب، والأمير محمد بن سعود في الدرعية عام ١١٥٨هـ/ ١٧٤٥م، وتنتهي بسقوط الدرعية في قبضة إبراهيم باشا بن محمد علي عام ١٢٣٣هـ/ ١٨١٨م، والفترة الثانية: وهي الدولة السعودية الثانية، وتبدأ بجهود الأمراء السعوديين بتوحيد بلادهم عام ١٢٤٠هـ/ ١٨٢٤م، وتنتهي بسقوط الرياض في قبضة آل رشيد عام ١٣٠٩هـ/ ١٨٩١م، والفترة الثالثة: وتبدأ بقيام الأمير عبد العزيز آل سعود باسترداد الرياض من آل رشيد ١٣١٩هـ/ ١٩٠٢م، ولمَّا اكتمل كيانها السياسي، والاقتصادي، والاجتماعي عام =

بالدولة السعودية الأولى (١١٥٨-١٢٣٣هـ/ ١٧٤٥-١٨١٨م)[1]، فيفرد لهذا الموضوع مقدمة خاصة به، ثم تحدث عن الفتن بشكل عام، ثم يتحدث عن الوهابيين وظهورهم، ثم يتناول علاقاتهم مع أشراف الحجاز، حيث ذكر أنَّ العلاقات بدأت بينهما في عهد الشريف مسعود عام ١١٦٢هـ/ ١٧٤٩م، ولكنها كانت مجرد خلافات فكرية وعقائدية، ولكن بتولي الشريف غالب تطور الأمر إلى الصراع العسكري، والذي انتهى بدخول الحجاز بصورة نهائية في نطاق الدولة السعودية الأولى في عهد الإمام سعود بن عبد العزيز عام ١٢٢١هـ/ ١٨٠٧م.

هذا، ويمكن أنْ نرجح مِن خلال وجود مُقدمتين للمخطوط، أنَّه رُبَّمَا ضم أحد قسمي الكتاب للآخر، ومِن خلال دراسة المخطوط؛ فقد رجحت أنَّه رُبَّما كتب القسم الثاني مِن المخطوط أولًا، والذي تناول فيه أخبار الأشراف والوهابيين كمؤلف مُنفرد، حيث كانت كتابته لهذه الأحداث بصورة يومية، ثم ضم إليه القسم الأول، ووضعهما في مؤلف واحد، وهذا ما سيأتي تفصيله عند محاولة وضع تأريخ لتدوين المخطوط.

ورغم أنَّ ابن عبد الشكور كان أديبًا؛ فإنَّه كان مُشْتغلًا بعلم التاريخ؛ وهذا يتجلَّى في مقدمته التي صدَّر بها مؤلفه، وعرض فيها أهمية التاريخ، وفوائد مطالعته، فقال:

«وكان عِلم التاريخ مِن أجلِّ العلوم قَدرًا، وأسْمَاها مكانةً، وأشْهر ذِكرًا، وأعْذَبُهَا مُذاكرةً ومُفاخرةً، وأقربها للأَذْهَان في المُحاضرة، وألطَفها مَعْنى، وأشْرَفها مَغْنى، حتى قال

= ١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م عرفت باسم المملكة العربية السعودية. مديحة أحمد درويش، تاريخ الدولة السعودية حتى الربع الأول من القرن العشرين، دار الشروق، جدة، ط١، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، ص ٤٦.

(١) عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، **الدولة السعودية الأولى (١١٥٨-١٢٣٣هـ/ ١٧٤٥-١٨١٨م)**، دار الكتاب الجامعي، القاهرة، ط٤، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ص ٥٨ وما بعدها.

الإمام الشافعي ﷺ: «عِلْمَ التَّارِيخِ يَزِيدُ في العَقْلِ».... اعْلَمْ أنَّ من فنِّ التاريخ ومُطالعته يكون الفطْنة والاعتبار، والتَّفَكُّرُ في الحَوادث التي يَجْري بها الفَلَكُ الـدَّوَّارُ ليلاً ونهار، والعَاقل الذي يَقْتدي بِمَن مَضى من أمْثَاله، وذو الجَهل يَمْرح في غَيِّه وضلاله، وفِيْما وَرد في الكِتاب العَزيز كِفَاية لمَن أراد الصواب: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[٢] ومَا رَواه سيِّد المُرسَلين من أحَاديث الأُمَم المَاضين، عن ما في التَّوراة والإنْجيل، وما قَصَّهُ من قَصَص بني إسراييل، وفي قصَّة الخضر ومُوسَى، تَرويحًا للقُلُوب وتَأْنِيسًا»[٣].

(١) **منهج التأليف:**

وقد اعتمد مؤرخنا على المنهج الحولي في تسجيل الأحداث، وهو أنْ يقوم بذكر الوقائع مرتبةترتيبًا زمنيًّا على حسب السنوات، فيبدأ بشهر المحرم، وينتهي بشهر ذي الحجة، وفي بعض الأحيان لا تبدأ أحداث بشهر المحرم، ولعلَّ ذلك يرجع إلى عدم وجود ما يستحق التدوين، ونلحظ أنَّ بعض السنوات لم يؤرخ لها، بينما نجد بعضها الآخر فيه قصور نسبي في المادة التاريخيَّة، وربما يرجع ذلك - أيضًا - إلى عدم وجود أحداث تاريخية مهمة ومؤثرة فيها.

ولم يلتزم ابن عبد الشكور بالمنهج الحولي فقط، بل قام باستخدام المنهج الموضوعي، حيث تناول بعض الموضوعات المنفردة بنفسها، وهو بذلك يضارع المؤرخين الحديثين في تبويب الأحداث التاريخية، وقد أبلى

(٢) القرآن الكريم، سورة يوسف، آية رقم ١١١.
(٣) ورقة ٣، ٤-٥.

بلاء حسنًا في ذلك، وبخاصة عند عرضه أحداث قضية الصراع بين الوهابيين والأشراف؛ فقد تناوله بصورة موضوعية في قسم منفصل من المخطوط، وهذا الشرط، أيّ استخدام المنهج الحولي والمنهج الموضوعي قد أقرَّ به في المقدمة التي كتبها في صدر مؤلفه، ويقول في ذلك:

«والترتيب فيه أنْ أذكر كُلّ واقعة في محلّها وموضعها، إلاَّ قصة الشيخ النجدي جميعها في موضع واحد بخلاف موقعها لكن في زمن طويل، وليتأمل فيها الناظر المجيل، فذكرتها في موضع مجموعة، لأمور ونكت مودوعة، مِنْها إظهار زيف عقايده المصنوعة، وأباطيل أحاديثه الموضوعة»[1].

وعلى الرغم مِن وجود بعض القصور في المنهج الحولي؛ والذي يتناول الأحداث وقت وقوعها، فرُبَّما يأتي الحدث الواحد متقطعًا على بعض الأشهر، أو السنوات؛ فلا يذكر إلا ما يخص الحدث وقت الوقوع؛ فإنَّ ابن عبد الشكور حاول التغلب - بقدر الإمكان - على هذا العقم الذي يغشى هذا المنهج؛ فتراه ينجح في الربط بين الأحداث عن طريق الإحالة على ما تقدم، أو الإحالة على ما سيأتي بعبارات قصيرة، مثل قوله: «عودًا إلى»[2]، أو «العَوْد أحمد إلى أوَّل سياق ما تقَدَّم مِن هذه القصة»[3]، أو «وقد سبق لك آنفًا»[4]، أو «تقدم لك آنفًا»[5]، أو «ستقف على ما وقع»[6]، «وستتضح لنا حقيقته»[7].

وهناك بعض الأساليب الأخرى مِن الربط الموضوعي التي استخدمها

---

(١) ورقة ٤.
(٢) ورقة ٥٤.
(٣) ورقة ٦٣.
(٤) ورقة ١٢٤..
(٥) ورقة ١٨٤، ١٩٩، ٢٠٢، ٢٠٥، ٢٨٠.
(٦) ورقة ٢٤٦.
(٧) ورقة ٢٧٦.

ابن عبد الشكور، فهو يحاول جمع شتات الحدث التاريخي في مكان واحد؛ ففي بعض الأحيان ربما استغرق الحدث معظم شهور السنة، وربما سنة، أو أكثر، فنراه يقوم بذكره في موضعه ويسرده، وبعد الانتهاء منه يبدأ في ذكر الأحداث مرتبة حسب شهورها في السنة المذكورة[١].

واستخدم بعض أساليب الربط، حيث يربط الحدث التاريخي، أو الموقع بعصره، أو يربط عصره بالماضي، ويذكر ما طرأ عليه من تغيير إنْ وجد، ويفسر ما جدَّ، وكذلك فإنَّه يستخدم أسلوب المخاطبة في بعض الجمل، وكأنه يريد أن يجعل القارئ يعيش معه في وصف ما، أو يربطه بالحدث، ويستخدم كذلك بعض العبارات التي لها دلالة على المعاصرة، مثل قوله: «كما تراها الآن»[٢]، أو «كما تراه»[٣] ، أو «وهو كما تراه العينان وليس الخبر كالعيان»[٤]، أو «فما رأيت فيما رأيت، ولا رويت فيما رويت»[٥]، أو «ورأيت منهم مربوطين»[٦]، أو «وكم رأيت مأسورًا مِنْهم ومسلوب»[٧]، أو «ورأينا الروس المسلوخة»[٨]، أو «وقد شاهدته عيانًا»[٩]، أو «وقد شاهدت طلوعه عيانًا»[١٠]، أو «وقد شاهدت واقعه ... بالعين مشاهدة»[١١].

ومِن السمات المميزة في تسجيل الأحداث، والتي تدل على الأمانة العلمية في التدوين التاريخي أنَّه عندما يشك في حدث مِن الأحداث، يورده ببعض

---

(١) ورقة ٤٥-٤٦، ٤٨-٤٩.
(٢) ورقة ١١٩.
(٣) ورقة ٢٩٦.
(٤) ورقة ٢٩٩.
(٥) ورقة ١٢٢.
(٦) ورقة ١٢٢.
(٧) ورقة ١٢٧.
(٨) ورقة ١٤٢.
(٩) ورقة ٦٣.
(١٠) ورقة ٥٨.
(١١) ورقة ٦٣.

العبارات التي لا تقطع بصحته؛ ليخرج مِن تحمل مسئوليته، وتحث القارئ على التأني في الحكم على الخبر، أو البحث عمَّا يرجحه، مثل قوله: «بلغني»[(١)]، أو «أخبرني»[(٢)]، أو «قيل»[(٣)]، أو «أظنَّه»[(٤)]، أو «وما أظنّ»[(٥)]، أو «غالب الظن»[(٦)].

وكذلك فإنَّ الأحداث التي لم يطلع عليها، أو لم يقف على حقيقتها؛ فإنَّه لا يجد غضاضة في أن يقر بحقيقة ذلك، مستخدمًا بعض العبارات مثل قوله: «واللَّه أعلم بحقيقته فلم أقفْ عليه»[(٧)]، أو «لا أعلم له قدرًا»[(٨)]، أو «ولا أعلم لمنعهم عن ذلك ما السبب»[(٩)]، أو «لا أعلم له كمية»[(١٠)]، «مع القصور في بعض حقايقهم التي ما اطلعت عليها ولا وعيت»[(١١)]، أو «ما وقفت على حقيقة»[(١٢)].

ومِن ناحية أخرى، فقد تأتيه بعض الأخبار مِن أشخاص يثق فيهم؛ فإنَّه يُقر بذلك، حتى يجعل القارئ على ثقة فيما يرويه له، ومِن ذلك قوله: «سمعت مِمَّن يُوثق بقوله باطنًا وظاهر»[(١٣)]، أو «أخبرني ذلك ثقةٌ مِن ثقات الرجال أنَّه رأى»[(١٤)]. الأمر الذي يرفع مِن قيمة الخبر المنقول.

---

(١) ورقة ٩٧، ١١٦.
(٢) ورقة ٢٠٨، ٢٦٩.
(٣) ورقة ٥٣، ١١١، ١٩٢، ٢٤٠.
(٤) ورقة ١٦، ٣٢، ٧٨، ٢٦٧.
(٥) ورقة ١٧، ١٦٤، ١٠١، ٢١٨.
(٦) ورقة ١٩٧.
(٧) ورقة ٢٨٩
(٨) ورقة ١١٦.
(٩) ورقة ١٢٣.
(١٠) ورقة ١٣٠.
(١١) ورقة ١٧٢-١٧٣.
(١٢) ورقة ٢٧٦.
(١٣) ورقة ١٦٣.
(١٤) ورقة ٢٩١.

هذا، ولم يترك ابن عبد الشكور الروايات المتعددة دون تفضيل أو ترجيح رواية على أخرى، وينقد الروايات، ويصحح بعضها، ويستخدم بعض العبارات مثل: «وقيل ... والصحيح أنَّ ...»[١]، أو « قيل: إنَّ ... وقيل: إنَّ ... وأصح القولين أسْبقها»[٢]، ومِن ذلك تفسيره ما وقع من حريق دار السعادة عام ١١٨٤هـ/ ١٧٧٠م، وقد نسب بعض الناس هذا العمل إلى محمد بيك أبي الذهب، ولكن مؤرخنا عرض هذا الأمر، وبيَّن وجه حقيقته، ولعلَّ مِن الأفضل أنْ ننقل ما قاله في ذلك:

«وأمَّا ما نُسِبَ إليه مِن إحراقه لدار السعادة، ومقرّ الملوك ذوي السِّيادة، فإنَّها حُرِقَت بغير إرادته، والحقير تحقّق عن هذا المقدار عن مُشاهدته، والدليل على إحراقها خلف هواه، وأنَّها على مراد اللَّه؛ كَوْنه ساكنًا فيها بماله وحاله، واحترق في النار بعض مماليكه، وكثير مِن ماله، حتى صاروا يخرجون أدَبْاشه بأعظم مشقّة مِن النار وهي تضَرَّم، ويجمعون بعضها على بعض في أروقة الحرم، ومع هذا نُهِبَ له فيها كثير مِن الأمتعة، وغالت يد الضياع كثيرًا ممَّا جمعه، وبعض الأماكن حالت النار بينهم وبين ما فيها، فكأنَّها القدور على أشافيها، وهذا قد شاهدته عِيانًا بحسْب الظاهر، واللَّه يتولى السَّراير»[٣].

وتتجلّى الحاسّة التاريخية لدى مؤرخنا في الفترة المعاصر لها، وبخاصة في توقعه ما تؤول إليها الأحداث والوقائع؛ فإنَّه يستخدم بعض العبارات تدل على تيقنه مِن نتائج الحدث، أو ما سينتهي إليه، وهو ما يعرف

(١) ورقة ٣٣-٣٤.
(٢) ورقة ٥٢-٥٣.
(٣) ورقة ٦٣.

الآن بالتاريخ المستقبلي، ومِن ذلك قوله: «وسيبدو صدق مقالي»[١]، أو «ما أظنَّه يصدق فيها قال، وإنَّمَا هي خديعة ليكفوا عن القتال»[٢]. وبالفعل ما توقعه قد كان.

(٢) الأسلوب اللغوي:

لا ريب في أنَّ الأسلوب اللغوي الذي ينتهجه أي عمل يمثل جزءًا مهمًّا في نجاحه، ولمَّا كان ابن عبد الشكور أديبًا؛ فقد كتب تاريخه بأسلوب أدبي رصين، حاول أنْ يبرز مِن خلاله بمظهر الكاتب المُتأنِّقِ في أسلوبِهِ، وقد اعتمد على السجْع، واستخدام المُحَسِّنات البديعية، وهذا التزامه الذي ذكره في مقدمته، بقوله:

«والتزمت فيه التسجيع، وأسقيتُ بِمَا القريحة روضه المريع، حتى جاء نزهة الأبصار ونادرة الزمان، وتحفة المجالس....»[٣].

ولم يشذ عن التزامه إلا قليلًا، ولا ريب في أنَّ هذا الأسلوب قد استلزم جهدًا إضافيًّا شاقًّا مِنْه، ولم يؤدِ التزامه إيَّاه إلى غموض في معنى، أو غمط لفكرة، أو إثقال القارئ بعبء فهم ما اختاره مِن ألفاظ إلا قليلًا، ونتيجة التزام السجع؛ فإنَّ ذلك حمله - في بعض الأحيان - على عدم التقيد بقواعد الإعراب، فوقع في بعض الأخطاء النَحْويَّة.

واستخدم كثيرًا مِن المصطلحات غير العربية، وبخاصة الفارسية والتركية، والتي تغلغلت إلى اللغة العربية، نتيجة اختلاط العرب بهذه الشعوب، ولكن لا ريب أنَّ هذه المصطلحات كانت معروفة لأهل زمانها.

---

(١) ورقة ١٩٧.
(٢) ورقة ٢١٨.
(٣) ورقة ٤.

وتتجلَّى النزعة الدينية لدى ابن عبد الشكور في تأثره في بعض عباراته بالقرآن الكريم، بالإضافة إلى استشهاده بالآيات في مواضع عدة، فضلًا عن استخدامه الأحاديث النبويَّةِ، والتي كانت في مُجْملها صحيحة، خالية مِن الوضع والضعف.

ولـمَّا كان مؤرخنا أديبًا شاعرًا؛ فقد صار لديه مادة غزيرة في الشعر، والأدب، والأمثلة، والتي استشهد بها على مدار تاريخه، وكثيرًا ما كان يرجع إلى القصائد التي قيلت، أو كُتبت في مُناسبات تاريخيَّة متنوعة، فسجَّل لنا بعض القصائد الطوال التي يمكن أنْ نطلق عليها بأنَّها نوع مِن الشعر التاريخي؛ حيث تناول بعض الأحداث التاريخية في قصيدة تعطي صورة تفصيلية للحدث، إحداهما له، واثنتان لغيره مِن الشعراء؛ ومِن ذلك قصيدة تتنبأ بتاريخ بدء ظهور فتنة الوهابيين[١]، وثانية تتحدث عن أعمال الوهابيين في مكة، وما حولها قبيل سقوطها في قبضتهم عام ١٢٢١هـ/ ١٨٠٦م[٢]، وأخرى - وهي مِن نظمه - تتناول الأوضاع السيئة التي وقعت على مكة مِن جرَّاء حصار الوهابيين[٣]. وقد كان يميل إلى أن يؤرخ بعض الأحداث التي يدونها بطريقة حِسَاب الجُمَّل[٤].

---

(١) ورقة ٥٨-٥٩.

(٢) ورقة ٢٦٩-٢٧٤.

(٣) ورقة ٢٦٢-٢٦٦.

(٤) **حِسَاب الجُمَّل**: كان يستخدم في التأريخ الشعري الذي شاع في العصرين المملوكي والعثماني، حيث كان بيت الشعر فيه أو صدره أو عجزه يرمز إلى تاريخ معين؛ كتاريخ تولي السلطان العرش، أو تاريخ وفاته، أو تاريخ إنشاء مسجد أو مدرسة أو غيره، فكل حرف في الأبجدية يقابل رقمًا معينًا، وبجمع هذه الأرقام يكون التاريخ المحدد. والأبجدية بما يساويها من أرقام تكون وفق الآتي: أ=١ ب=٢ ج=٣ د=٤ هـ=٥ و=٦ ز=٧ ح=٨ ط=٩ ي=١٠ ك=٢٠ ل=٣٠ م=٤٠ ن=٥٠ س=٦٠ ع=٧٠ ف=٨٠ ص=٩٠ ق=١٠٠ ر=٢٠٠ ش=٣٠٠ ت=٤٠٠ ث=٥٠٠ خ=٦٠٠ ذ=٧٠٠ ض=٨٠٠ ظ=٩٠٠ غ=١٠٠٠ ليلى الصباغ، **دراسة في منهجية البحث التاريخي**، منشورات جامعة دمشق، سوريا، ط٨، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، ص ١٦٥-١٦٦.

(٣) تأريخ تدوين المخطوط:

لم يذكر ابن عبد الشكور على وجه التحديد متى بدأ تدوين تاريخه، ولا المدة التي استغرقها، أو تاريخ الانتهاء مِنْه، كما لم يذكر الطريقة التي دوَّن بها الأحداث، هل كان يدونها أوَّلًا بأوَّل، أم بعد حُدوثها بوقتٍ قصيرٍ، أو بعدها بوقتٍ طويلٍ.

ومِن خلال دراسة المخطوط وضح بعض الأمور المُهمة، التي تُعطينا صورة عن بعض المعلومات التي تفيدنا في هذا الصدد، وعن الوقت الذي دون فيه، وذلك في قوله:

«على أني أستغفر اللَّه العظيم مِن الزلل، وما طغى به القلم في القول والعمل، سيَّما وقد تعاطيته في سِنِّ المشيب، والزمن الذي كُلّه أعاجيب، وتركته في زمنٍ تقَدَّم بالأمس، وكانت تُحَدثني به النفس، وكُنَّا نقضي مِن الزمان الشئون، وطرق لأوقات اللذّات في يد الخلاعة مرهون، والوقت يُتْحِفُنَا بأنسه.... قبل أنْ تتكدَّر عليه تلك المشارب، ويبدو في سنام سعده للنحوسات غارب، ويتولاه أفْجَر الفُجَّار، وزاملة العار، عثمان المضايفي له الويل والدمار»[١].

ونلحظ مِن ذلك أنَّه قد كتب تاريخه وهو في سن كبيرة[٢]، وأنَّه كان يريد كتابة هذا التاريخ، ولكنَّه انشغل بمشاغل الحياة، حتى انشق عثمان المضايفي عن الشريف غالب، وانضم للوهابيين، أي في أواخر عام ١٢١٧هـ/ أوائل عام ١٨٠٣م.

---

(١) ورقة ٥.

(٢) وفي بعض الأحداث المعاصر لها، نحو عام ١٢١٣هـ/ ١٧٩٨م ذكر أحد الأشخاص بقوله: «فقرأ الفرمان الشاب الكَيِّس»، (ورقة ١٦٠) ولا ريب أنَّ وصفه بالشباب إنَّما هو إسقاط على نفسه، بأنَّه قد صار في سن كبيرة

وكذلك يبدو مِن خلال دراسة المخطوط أنَّه كتب القسم الثاني أولًا، والذي تحدث فيه عن فتنة الوهابية، مُنذ ظهورها عام ١١٤٣هـ/ ١٧٣١م، حتى عام ١٢٢١هـ/ ١٨٠٧م، وهو العام الذي دخلت فيه مكة المكرمة، وسائر الحجاز في نطاق الدولة السعودية الأولى، وقد وردت العديد مِن الإشارات في القسم الثاني مِن المخطوط، تدل على أنَّه كان يسجل الأحداث وقت وقوعها، ومِن ذلك أنَّه ذكر أنَّ الإمام عبد العزيز بن سعود بأنَّه الحاكم الموجود[١]، أيّ إنّه لم يكتبها في مرحلة لاحقة؛ لأنَّ لو كتبها بعد ذلك لمَا ذكر أنَّه الحاكم في وقته هذا. كذلك عندما تم توقيع الصلح بين الشريف غالب، والإمام عبد العزيز ابن سعود عام ١٢١٣هـ/ ١٧٩٨م، فقد ذكر أنَّ هذا الصلح لنْ يستمر طويلًا؛ لأنَّ الوهابي - أي الإمام عبد العزيز - لا يثبت على عهد[٢]، وبالفعل ما توقعه قد كان.

ومِمَّا يثير التساؤلات أنَّه على الرغم مِن وفاة ابن عبد الشكور في عام ١٢٥٧هـ/ ١٨٤١م، فإنَّ تاريخ تدوينه للأحداث قد توقّف عند عام ١٢٢١هـ/ ١٨٠٧م، أيّ إنَّه توقف عن تدوين أحداث خمسٍ وثلاثين سنة قد عاصرها، ولعلّ ذلك يطرح العديد من التساؤلات، فما الذي منعه عن تدوين تلك الفترة التاريخية الخطيرة؟ وهل كان ينوي تدوينها، ولكن الوقت لم يسعفه؟ أم إنَّه توفي قبل إتمام هذا العمل؟

ويمكن تفسير ذلك في أنَّ السنة التي توقف فيها عن ذكر الأحداث، هي التي ضم فيها الحجاز إلى الوهابيين؛ ورُبَّما خشي مِن بطش الوهابيين إذا رأوا تاريخه هذا، وما كتبه عنهم، فاضطر إلى التوقف عن تدوين الأحداث، ولكنَّه في الوقت نفسه عمل على كتابة تاريخ الحجاز الموازي لتلك الفترة التي دونها - وأعني القسم الأول مِن تاريخه - والذي تحدث فيه عن أخبار الأشراف الذين وردت أخبارهم في القسم الثاني، ولكن يبدو أنَّه حدث أمر

---

(١) ورقة ١٧٤.

(٢) ورقة ١٩٧.

آخر جعله يتوقف عن استكمال الأحداث، ألا وهو القبض على الشريف غالب، ونفيه من الحجاز عام ١٢٢٨هـ/ ١٨١٣م - كما ذكر آنفًا - ولعله قد تأثر بذلك الأمر؛ لأنَّه كان قد ذكر في مقدمة عمله بأنَّه سيهدي مؤلفه هذا إلى الشريف غالب إذا تم[١]، ولم يكن قد أتمَّه حتى نفي الشريف، وامتد تدوين ما تبقى مِن القسم الأوَّل إلى أواخر أيامه، ففي هذا القسم كان يترك بعض الورقات فارغة؛ وقد ورد تعليق في بعض النسخ على هذا الفراغات بأنَّ المؤلف كان يريد أنْ يستكمل بعض الأحداث، ولكن عاجلته المنية، قبل أنْ يتمها[٢].

(٤) دوافع التأليف:

إنَّ دوافع تأليف أي عمل مِن الأعمال، قد تؤثر بطريقة أو بأخرى على ما سوف يدوَّن فيها، خاصة إذا كانت بتكليف مِن ذوي السلطة والسلطان؛ لأنَّ ذلك سيخرج عملًا يحمل طابع الرسمية، و يكون متأثرًا بالآراء التي توجهها، أو تروِّج لها السلطة الحاكمة.

ولذلك لزمت الإشارة إلى أنَّ ابن عبد الشكور لم يكتب تاريخه بتكليف مِن أحد، وإنَّما كتبه لشعوره بأهمية الفترة التي يعيش فيها، حيث وجد أنَّ الأقلام في دائرته التي يحيا فيها لم تدونها، وتوقفت كتب التاريخ عن ذكرها، فخشي مِن نسيانها وضياعها، فدفعه ذلك إلى تدوينها ليحفظها؛ وعلى ذلك فقد أراد الرجل أنْ يسجل ما رآه، ويسطِّره ليبقى لآخر الزمن، وينشره بين الناس ليتبيَّنوا الحقيقة، ويعتبروا، وقد وضَّح غرضه هذا بما قاله:

«أحببتُ أنْ أجعل تاريخًا يشتمل على ما وقع في عصر ثاني الفتن، وما شاهدناه مِن البلايا والمِحن، وتغيُّر أحوال

---

(١) ورقة ٥.

(٢) عبد اللَّه بن عبد الشكور، تاريخ أشراف وأمراء مكة المشرَّفة، مخطوط بمكتبة الحرم المكي، تحت رقم (٣٤٤٤) تاريخ، ورقة ٤٤.

الزمن، وانقلاب ظَهْر المِجَنّ شامًا ويمن، مِمَّا خلا مِنْه بطون التواريخ وكتب السِّير، وتناقلته الركبان بدوًا وحضر»[١].

وكذلك فإنَّه في المُقدِّمَة التي صدَّر بها حديثه عن ما سمَّاهُ: «فتنة الوهابية»؛ فإنَّه يوضح غرضه - أيضًا - وراء تدوين تاريخه، وذلك بقوله:

«لمَّا شاهدت مِن أمر هذه الطايفة، التي لم تزل على البغي عاكفة، ورأيت مِنْ أحوالهم ما رأيت، حينئذ رويت عنهم ما رويت مع القصور عن أغلب حقايقهم، التي ما طلعت عليها ولا وَعيت، أحببت أنْ أذكر نبذة مِن أحوالهم تبقى لآخر الزمن، وينتشر ذكرهم في البلدان ويتبيّن»[٢].

وتجدر الإشارة إلى أنَّ ابن عبد الشكور قد بيَّن أنَّه كتب تاريخه هذا، ولم يبتغ به مالًا، ولا سلطانًا، وذلك في ختام مُقَدِّمَته، والتي قال فيها:

«مع أني أحمد اللَّه تعالى لم أجعل حرفة الأدب وسيلة للطلب، ولم أبتغ بها سخب ولا نشب، ولا جعلت هذه البضاعة للنوال صناعة، ولسانُ العفاف يقول لي حين عَفَّ كذبوني بواحد يرهب الألف، ومع هذا فلا يخلو الآنام مِن الكرام، ومَنْ رام أمرًا بلغ المرام»[٣].

وقد كان صاحبنا يطمح أنْ يقوم بإهداء هذا العمل - حين ينتهي مِنْه - إلى الشريف غالب بن مساعد، حتى يضعه في خزانة كتبه العامرة في مكة المكرمة، وقال في ذلك:

---

(١) ورقة ٣.
(٢) ورقة ١٧٢-١٧٣.
(٣) ورقة ٦.

«وأرجو مِمَّن وسمته بوسمه، ورسمته باسمه، قَبُوله إذا تمَّ، كما هي عادة ذوي الشيم، لأنَّ الكريم يَقْبل ما يُهْدَى إليه، والْمُعَوّلُ في فضله عليه، عَلَّه أنْ يتشرَّف بوضعه في خزانته المُتممة، التي فيها كُتب قيِّمَة»[1].

وهنا لا بُدّ أنْ نطرح بعض التساؤلات المُهِمَّة، وهي لماذا كان سيهدي ابن عبد الشكور تاريخه هذا للشريف غالب؟ ألم يقر بأنَّه كتب تاريخه هذا لتسطير الحقيقة؟ وأنَّه لا يبتغي مالًا ولا سلطانًا؟ فهل كان ينتظر مكافأة أو عطيَّة؟ أم فعل ذلك تَقَرُّبًا وزُلْفَى؟ أم قام به تقديرًا ومحبةً للشريف غالب؟ الراجح أنَّ الرجل فعل ذلك مِن أجل الأخيرة؛ لأنَّه كان مِن المُقَرَّبين للشريف غالب، وقد دلَّ على ذلك أحد المواقف التي بيَّنت منزلته، فعندما استولى ناظر السوق في مكة على بضاعة قادمة مِن جدَّة باسم ابن عبد الشكور، ووزعها على العسكر الأتراك؛ فكتب الأخير شكاية ورفعها للشريف في شكل قصيدة طويلة يوضح له ما وقع؛ فما كان مِن الشريف بأنْ أمر برد الحقوق لأهلها على الفور، وابن عبد الشكور كان من أشد المحبين للشريف غالب، وهذا ما يتضح مِمَّا أصابه بعد عزل الشريف ونفيه؛ حيث فترت هِمَّته فيما كان يريده، وامتد به الأمر في تدوينه لبعض الأحداث في القسم الأول حتى وفاته.

(٥) مصادره في التدوين:

لم يذكر ابن عبد الشكور المصادر التي استقى منها معلوماته، للمرحلة التي لم يكن فيها شاهد عيان، أو معاصرًا لها خاصة عهد الشريف مسعود بن سعيد، والسنوات الأولى مِن عهد الشريف مساعد بن سعيد، ومِن خلال دراسة المخطوط؛ فقد وجدت أنَّه نقل الأحداث التي لم يعاصرها مِن خلال «تنضيد

---

(١) ورقة ٥.

العقود السنية بتمهيد الدولة الحَسَنيَّة»(١) لرضي الدين الموسوي العاملي(٢)، ولكن هناك بعض الروايات التي انفرد بها عن هذه الفترة؛ فَربما نقلها مِن مصادر أخرى لم أقف عليها، أو أنَّها كانت مِن الروايات الشفوية المتداولة في الحجاز وقتئذ.

وكان مؤرخنا ينقل ما رآه وعاينه، أو نقله مِن بعض شهود العيان الذين يثق فيهم؛ حيث إنَّ كتابته للأحداث التي عاصرها قد تميزت بالدقة الشديدة خاصة فيما يتعلق بعدد الجيوش في بعض المعارك، والقبائل التي انضمت إليها، وعدد القتلى، وعدد الأعمدة التي تم ترميمها في المسجد الحرام، وكذلك ترميم عين زبيدة، والفترة التي استغرقتها، والأموال التي أنفقت عليها، والطريقة التي تمت بها عملية الترميم، والمساحات التي تم بناؤها في مسجد ابن عباس في الطائف، ووزن الهلال الضخم الذي رفع فوق المئذنة، وكل ذلك يدل على دقة المؤلف في كتابة مادته التاريخية.

□ □ □

---

(١) طبع هذا الكتاب في جزأين، بتحقيق مهدي رجائي، معهد الدراسات لتحقيق أنساب الأشراف، في مدينة قم في إيران، ط١، عام ١٤٣١هـ/ ٢٠١١م.

(٢) **رضي الدين الموسوي العاملي**: رضي الدين بن محمد بن علي بن حيدر الموسوي العاملي المكي، ولد في مكة المكرمة عام ١١٠٣هـ/ ١٦٩٢م، ونشأ فيها، ثم ارتحل في طلب العلم، وقد نال مكانة كبرى في وقته، وله عديد مِن المؤلفات، ومنها: «الدلائل الهادية على المسائل الصحارية»، و«نهج السداد في أحكام الحج والإفراد»، وتوفي عام ١١٦٣هـ/ ١٧٥٠م، وقيل عام ١١٦٨هـ/ ١٧٥٥م، والأخير هو الأصح، ودفن في مكة المكرمة. رضي الدين العاملي، **تنضيد العقود السنية**، ١/ ٣-٢٠؛ العباس المكي الحسني الموسوي، **نزهة الجليس ومنية الأديب الأنيس**، ج٢، وضع المقدمة: محمد مهدي الخرسان، المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ص ١٨٦-١٩١؛ عمر رضا كحالة، **معجم المؤلفين**، ١/ ٧٢٢.

ثالثًا- أهمية المخطوط:

ترجع أهمية المخطوط إلى عدة أسباب، ومِنْها:

(١) أنَّ مؤلفه شاهد عيان على كثير من الأحداث التي كتبها، خاصة مع تواجده في مكة المكرمة، وقربه من صُنَّاع القرار والهيئة الحاكمة في الحجاز.

(٢) يُعَدُّ استكمالًا لسلسلة المصادر التاريخية، التي تناولت تاريخ الحجاز بصورة عامة، وتاريخ الحجاز في العصر العثماني بصورة خاصة؛ فهو يستكمل الفترة الممتدة مِن مُنتصف القرن الثاني عشر الهجري حتى الربع الأوَّل مِن القرن الثالث عشر الهجري، ويكمل بذلك مصدرين مهمين تناولا النصف الأوَّل مِنْه، أوَّلهما: «إتحاف فضلاء الزمن بتاريخ ولاية بني الحسن»[1]، لمحمد بن علي الطبري[2]، والذي تبدأ أحداثه

(١) لهذا الكتاب تحقيقان أوَّلها: للدكتور ناصر البركاتي في جامعة مانشستر عام ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، والآخر: للدكتور محسن محمد حسن سالم، ط١، في جزأين، دار الكتاب الجامعي، القاهرة عامي ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، و١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م. محمد مطيع الرحمن وآخرون، **فهرس مخطوطات الحرم**، ٩/ ٢٨٧-٢٩٣.

(٢) **محمد بن علي الطبري**: محمد بن علي بن فضل الطبري الشافعي المكي، ولد في مكة المكرمة عام ١١٠٠هـ/ ١٦٨٩م، ونشأ بها، وتعلَّم على أيدي علماء عصره، حتى صار من علماء وقته، وتولى إمامة المقام الإبراهيمي، وله مؤلفات مِنْها: «عقود الجمان في سلطنة آل عثمان»، «إمتاع البصر والقلب والسمع في شرح المُعلَّقات السبع»، و«الحجة الناهضة في إبطال مذهب الرافضة». توفي في مكة المكرمة، عام ١١٦٣هـ/ ١٧٥٠م وقيل عام ١١٧٣هـ/ ١٧٦٠م، ودُفِنَ في مقبرة المَعْلاة. أحمد القطان، **تنزيل الرحمات على من مات**، ج٢، مخطوط بمكتبة الحرم المكي، تحت رقم (٢٧٩٠)، ورقة ٢٧٤-٢٧٥؛ عبد الله الغازي، **نظم الدرر**، ص ٣١٢-٣١٣؛ خير الدين الزركلي، **الأعلام**، ٧/ ١٨٩.

بعهد الشريف قتادة بن إدريس الحسني[1] حتى عام ١١٤١هـ/ ١٧٢٩م، أي حتى عهد الشريف عبدِ الَه بن سعيد[2]. والآخر: «تنضيد العقود السنية بتمهيد الدولة الحَسَنيَّة» لرضي الدين الموسوي العاملي، وتبدأ أحداثه - أيضًا - منذ عهد الشريف قتادة، ولكنَّها تستمر حتى عام ١١٦٢هـ/ ١٧٤٩م، أي حتى عهد الشريف مساعد بن سعيد.

(٣) يتناول مرحلة مُهمة في تاريخ الحجاز في العصر العثماني، شهدت زيادة قوة السلطة السياسية للأشراف في الحجاز؛ حيث ظهر العديد مِن الحكام الأقوياء ذوي القوة والبأس، والذين فرضوا نفوذهم وسيطرتهم على الحجاز، وثبت أنْ نفوذهم لم يقتصر على مكة المكرمة - كما روَّج بعض الباحثين - بل تعداها إلى معظم المرافئ الواقعة على البحر الأحمر في النطاق الجغرافي للحجاز، بالإضافة إلى بعض الأماكن الواقعة في عالية نجد، وهذا النفوذ الذي تمتع به

(١) **قَتَادَة بن إدريس**: قتادة بن إدريس بن مُطَاعِن بن عبد الكريم بن عيسى الحَسَني، ولد في ينبع عام ٥٢٧هـ/ ١١٣٣م، وقد استطاع أن يتولى إمارة ينبع، ويقضي على المناوئين له، ثم ملك وادي الصفراء، ثم تطلع إلى شرافة مكة، فنجح في دخولها، وصار حاكمًا عليها، وقد كان شديد القوة والبأس، وظلّ في حكم مكة حوالي عشرين عامًا، ومات خنقًا على يد ابنه الحسن عام ٦١٧هـ/ ١٢٢٠م، ودُفِنَ في مكة. عبد العزيز بن عمر بن فهد الهاشمي، **غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام**، ج١، تحقيق: فهيم شلتوت، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة، ط١، ١٤٠٦هـ/ ١٩٧٦م، ص ٥٥٠ وما بعدها؛ أحمد السباعي، **تاريخ مكة: دراسات في السياسة والعلم والاجتماع**، ج١، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية، الرياض، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، ص ٢٥٩-٢٦٦.

(٢) **عبدِ الَه بن سعيد**: عبدِ الَه بن سعيد بن سعد بن زيد، وقد اشتهر على الألسنة عبدِ الَه بكسر الدال وترقيق اللام - منعًا للخلط بينه وبين أخيه عبد اللَّه كما سيأتي - وقد تولى شرافة مكة بعد وفاة والده في ١٢٢٩هـ/ ١٧١٧م، ولم يستمر سوى سنة وثلاثة أشهر، فعزل وتوجه إلى اليمن، ثم تولى مرة أخرى عام ١١٣٦هـ/ ١٧٢٤م وقد ظل حتى وفاته عام ١١٤٣هـ/ ١٧٣١م، وقد دفن في مكة، وكان له قُبَّة قبالة قُبَّة الشيخ محمود. ومجموع سنين حكمه ثمان سنين وثمانية أشهر. أحمد زيني دحلان، **الدول الإسلامية بالجداول المرضيَّة**، المطبعة البهية، القاهرة، ١٣٠٦هـ، ص، ١٥٨-١٥٩.

الأشراف كان نتيجة ضعف الدولة العثمانية، وانشغالها في النزاعات الداخلية، ومشاكلها الخارجية وحروبها في أوروبا.

(٤) يبرز الصراع الذي شهدته تلك الفترة بين بيوتات الأشراف أنفسهم للوصول إلى سدة الحكم، والعوامل التي ساعدت في ذلك، وتدخل أمراء الحج المصري والشامي في ذلك الصراع لترجيح كفة أحد الأشراف وعزل آخر، وكان يتم ذلك معظم الأحيان في موسم الحج.

(٥) يهتم بالسياسة التي اتبعها الأشراف لفرض سطوتهم على كافة مدن الحجاز، وسياستهم المُتبعة تجاه القبائل، وكيف أدار الأشراف تلك العلاقات سواء بالسلم، أو بالحرب، وإدخال هذه القبائل طوعًا أو كرهًا في نطاق ملكهم.

(٦) يُبَيِّن الصراع المذهبي السني - الشيعي في أراضي الحرمين الشريفين، وموقف السلطة والعلماء مِن الشيعة، والفتن التي تمخضت عنه، ورُبَّما بعضها كان نتيجة للشائعات، أو لأتفه الأسباب.

(٧) يوضح بصورة جلية اهتمام السلاطين العثمانيين بالحرمين الشريفين؛ وذلك من خلال حرصهم على الإنفاق على الأهالي من خلال مخصصات لهم، وكذلك المرتبات التي تصل للعلماء والأشراف، وكذلك الإصلاحات والترميمات التي كانت تتم في المسجد الحرام، والمساجد الأخرى في الحجاز، وإصلاح عيون الماء المهمة التي تصل إلى مكة، فضلًا عن الاهتمام بأمر الحجاج، وقوافل الحج، وتيسير السبل أمامه، وكذلك إرسال كسوة الكعبة التي كان يطرز عليها اسم السلطان العثماني، وما يحمله ذلك من مغزى ديني وسياسي للدولة العثمانية في العالم الإسلامي.

(٨) يتناول العلاقات بين شرفاء مكة وولاة جدة، والتي تأرجحت بين

المودة والعداء، والتعاون والاختلاف في تناول بعض المشاكل والقضايا التي تظهر بين الفينة والأخرى على مسرح الأحداث في الحجاز، وما ترتب على ذلك من قيام والي جدة بعزل شريف مكة، أو قيام شريف مكة بمحاربة والي جدة، وطرده مِن الحجاز، ومُطالبة السلطان بتولية والٍ غيره.

(٩) يهتم بأخبار قوافل الحج،وبخاصة قافلتي الحج المصري والشامي، متناولاً في ذلك أمراء الحج في كُل عامٍ، وموعد وصولهم إلى مكة، وأماكن إقامتهم فيها، والأخطار التي كانت تقابلهم على طول طريقهم ذهابًا وإيابًا، سواء مِن مُهاجمة قطاع الطرق مِن بعض القبائل، أو مِن قلة الماء، أو سقوط السيول، أو هبوب العواصف في البحر.

(١٠) يذكر علاقات أشراف مكة المكرمة مع بعض الدول الأوروبية، مثل إنجلترا، حيث كان لموقع ميناء جدة في البحر الأحمر، أن شهد رواجًا تجاريًّا في نقل متاجر الهند واليمن، وكذلك علاقات الأشراف بفرنسا حيث شهدت تلك الفترة مجيء الحملة الفرنسية ١٧٩٨-١٨٠١م على مصر، وسعي نابليون إلى الدخول في علاقات مع أشراف الحجاز لعلمه بنسبهم للنبي ﷺ، ويمكن مِن خلالهم التحرك بسهولة في البحر الأحمر، والتوجه لضرب المُستعمرات البريطانية في الهند.

(١١) يُبَيِّن كثيرًا مِن الظواهر الطبيعية التي وقعت في ذلك الزمان، نتيجة لسقوط السيول، أو هجوم الجراد، أو المجاعات، وأثر ذلك على الأوضاع في المنطقة من تهدم بعض المباني، وقلة الغذاء، وغلاء الأسعار، وما بذلته السلطة الحاكمة لمقاومة هذه الكوارث، والحد مِنْها.

(١٢) ترجم لعلماء عصره موضحًا منزلتهم العلمية وإسهاماتهم الفكرية، كما ألقى الضوء على الحياة الأدبية في الحجاز من خلال عرض بعض

النماذج الشعرية والأدبية التي ظهرت في هذا العصر، وتدل على قوَّة البيان في استخدام اللغة العربية، وعدم إهمالها مثلما حدث في بعض الأقطار العربية التي كانت في نطاق الدولة العثمانية.

(١٣) يرصد كثيرًا مِن الجوانب الاقتصادية، والاجتماعية، مثل: السلع، والبضائع المتوفرة وأسعارها، والعملات المتداولة وأنواعها المختلفة، وأسباب تذبذب قيمة صرفها، وأهمية موسم الحج في الرواج الاقتصادي في الحجاز وقتئذ، والاحتفالات التي كان يقيمها الأشراف لأبنائهم عند الختان، والاحتفالات الرسمية التي ظهرت مِن اهتمام الدولة العثمانية بها، مثل الاحتفال بذكرى الإسراء والمعراج، وما يصاحب ذلك، كما تناول مشاكل الأمن في الحجاز كاعتداءات بعض القبائل على الحجاج، وانتشار قطاع الطرق، حتى إنَّه ذكر بعض النماذج مِن قطاع الطريق مِن الأشراف أنفسهم؛ ولذلك فقد رصد مؤرخنا كثيرًا مِن المصطلحات الاقتصادية، والاجتماعية السائدة في ذلك العصر.

(١٤) يُسَجِّل الجوانب المعماريَّة التي وقعت في هذه المرحلة مِن إصلاحات وترميمات السلاطين العثمانيين في المسجد الحرام، والمباني الجديدة التي أقاموها، ومِمَّا يعطي أهمية في هذه النقطة أنَّ مؤرخنا يوضح طرق البناء التي استخدمها البناؤون وقتئذٍ ولفتت انتباهه، وتناول ذكر كثير من البساتين والقصور التي أقامها الأشراف وحدد مواقعها، وعرض لكثير مِن التحصينات العسكرية التي اهتمت الدولة بإقامتها، أو أقامها أشراف مكة مِن خلال الأبراج، والقلاع، والأسوار، خاصة في مكة، والطائف، وجدة.

(١٥) يُعَدُّ من أهم المصادر التي تناولت تاريخ الصراع بين الأشراف والوهابيين في نَجْد، حيث عرض بشيء مِن التفصيل تطور هذا الصراع، ولعل من الأهمية أنْ أذكر أنَّ معظم المصادر التاريخية التي

دونت عن الوهابيين سطَّرتها أيدي مؤرخين معادين لهم، أمَّا ما دوَّنه الوهابيون عن تاريخهم وقتئذٍ فهو نزر يسير إذا ما قورن بغيره، وقد كان ابن عبد الشكور مِن المُعادين للدعوة وأتباعها، حيث وصفهم بأنَّهم خوارج العصر، وشكك في صحة عقيدتهم، وعلى الرغم مِن ذلك فإنَّه يلمح مِمَّا كتبه بطرف خفي صدق المبادئ التي نادى بها الوهابيون، كما يذكر بعض المواقف التي توضح تمسكهم بالإسلام، عكس ما ذكر عنهم، وهذا ما سيتضح خلال دراسة المخطوط وتحقيقه. وفي الختام: فإنَّه قد دوّن عملًا دقيقًا وشاملًا لعلاقات الأشراف والوهابيين وقتئذٍ، وحفظ كثيرًا من الأحداث لم تدونها أيدي الوهابيين أنفسهم.

❐ ❐ ❐

رابعًا- النسخ الخطية المعتمدة في التحقيق:

في الحقيقة لم يقف الباحث على النسخة التي كتبها مؤلفنا بخط يده، بل نُسخ أخرى نقلت عن هذا الأصل، وهي كاملة في مُعظمها، «فمهما أجهد المحقق نفسه للحصول على أكبر مجموعة من المخطوطات؛ فإنَّه سيجد وراءه معقبًا يستطيع أن يظهر نسخًا أخرى مِن كتابه»[1]، ولكني بذلت ما بوسعي للحصول على النسخ الموجودة في بعض المكتبات والمتاحف؛ حتى وقفت إلى سبع نسخ.

• **النسخة الأولى** (أ):

نسخة شيخ الإسلام أحمد عارف حكمت، وهي محفوظة في مكتبة متحف طوبقبوسراي في إستانبول تحت رقم (M ٥١١)، وعدد أوراقها ٣٠٤ ورقات، تحتوي كل ورقة صفحتين، ومقاسها ٢١x٣٢ سم، في كل صفحة سبعة عشر سطرًا، ويتراوح عدد كلماته ما بين سبع إلى تسع عدا الصفحات التي تحتوي على أبيات شعر؛ فهي تختلف في عدد الأسطر والكلمات.

وقد كتبت بخط نسخ مجوّد بالمداد الأسود، وكتبت العناوين بالمداد الأحمر، وقد زخرفت النسخة ببعض الزخارف الجميلة في أولها وآخرها، وناسخها مفتي زاده محمد سعيد الحسيني القدسي المدرس، وكان الانتهاء من نسخها في يوم الأحد ١٣ جمادى الأولى ١٢٦٩هـ/ ٢١ فبراير ١٨٥٣م، في الأستانة المحروسة.

---

(١) عبد السلام محمد هارون، **تحقيق النصوص ونشرها**، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٧، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م، ص ٣٩.

وهذه النسخة لم يوضع لها ترقيم، بل استخدم فيها نظام التعقيبة، وهو نظام متبع في المخطوطات العربية، حيث يذكر في نهاية الصفحة اليمنى الكلمة الأولى من الصفحة اليسرى، وذلك كي يتأكد القارئ من استمرارية الرواية في الصفحات التالية.

لم يرد على الصفحة الثانية (١ ب) مِن المخطوط عنوانه، بل خُتِمَت بخاتم جاء فيه: «مِمَّا وقفه العبد الفقير إلى ربه الغني أحمد عارف حكمة اللَّه ابن عصمة اللَّه الحسيني في مدينة الرسول الكريم عليه وعلى آله الصلاة والتسليم، بشرط أن لا يخرج عن خزانته، والمؤمن محمول على أمانته ١٢٦٩»، وجاء هذا الختم أيضًا على الورقة الأخيرة من المخطوط.

ويتضح من هذا الختم أنَّ هذه النسخة كانت موقوفة في مكتبة الحرم النبوي الشريف في المدينة المنورة، ولا نعرف كيف انتقلت إلى إستانبول، وربما أنَّها كانت ضمن المخطوطات التي نقلت إلى الدولة العثمانية على يد فخري باشا محافظ المدينة المنورة (١٣٣٥-١٣٣٧هـ/ ١٩١٧-١٩١٩م) بعد انسحابه مِنْها في ربيع الآخر ١٣٣٧هـ/ يناير ١٩١٩م، عقب انتهاء الحرب العالمية الأولى (١٣٣٢-١٣٣٧هـ/ ١٩١٤-١٩١٨م)

وهذه النسخة أهم النسخ وأقدمها، وأكثر قربًا من عصر المؤلف، كما أنَّها مُكتملة، ومجوَّدة الخط، والزخارف، والتذهيب، والورق، ويوجد عليها تعليقات قيِّمة أضافها حفيد المؤلف، وهو زين العابدين بن علي، وقد رمزت لهذه النسخة بـ (أ)، واتخذتها أصلًا في التحقيق.

وتبدأ الصفحة (٢ أ) بمقدمة المؤلف فبعد البسملة والتسليم على النبي يقول: «يا موجد هذا الوجود من العدم، ومكوِّن الكائنات، ومخترع العالم، نظمت حكمتك هذا النظام بغير مثال تقدَّم ...»، ولم ترد خاتمة من وضع المؤلف، ولكن كتب في الصفحة الأخيرة من المخطوط (٣٠٤ أ) ما نصّه: «إلى هنا تَمَّ النقل مِن هذا التاريخ الأغر، بعد الصلاة والسلام على سيدنا محمد، السيد الكامل الأنور، وآله وأصحابه السادة الغُرر، وسلم

تسليمًا كثيرًا وعطر؛ وذلك في يوم الأحد المبارك الثالث عشر مِن جمادى الأولى عام تسع وستين [ومائتين وألف] مِن هجرة سيد المرسلين العبد الضعيف مفتي زاده محمد سعيد الحسيني القدسي المدرس، غفر اللَّه تعالى له ولوالديه والمسلمين، بحرمة سيّد العالمين عليه أفضل الصلاة والسلام».

ونلحظ على هذه النسخة أنَّ بعض الصفحات تركت فارغة، دون ذكر سبب لذلك، وسير الأحداث يدلل على أنَّه ليس هناك سقط، وقد أعطتنا بعض النسخ الأخرى تفسيرًا لهذا الفراغ الذي تركه مؤلفنا بعد ترجمته للشريف مسعود بن سعيد، حيث كتب على هامشها ما نَصّه: «إلى هنا انتهت مدة الشريف مسعود، وكانت وفاته في أوَّل ربيع الثاني سنة خمس وستين ومائة وألف، وترك المؤلف بياضًا ليذكر فيه وفاته ومرضه الذي كان به وفاته، فلم يتيسر له ذلك، ومات قبل أن يكتبه»[(١)].

وأمَّا الفراغ الذي تركه وراء ترجمة الشريف سرور بن مساعد، فقد علَّق عليه صاحب النسخة المكية بقوله: «لم يذكر الشيخ رحمه اللَّه ولاية مولانا الشريف عبد المعين أيامًا، ثم نزوله عن الولاية لأخيه مولانا الشريف غالب، فالأمر كان كذلك»[(٢)].

وهذه الصفحات هي ٣٧ ب، ٣٨ أ، ٣٨ ب، ٤٢ أ، النصف الثاني من ٥٩ أ، الثلث الأخير في ١٣٤ ب، الثلثان الأوَّلان من ١٣٥ أ، ١٧١ ب، ١٧٢ أ، الربع الأوَّل في ٢٨٣ أ.

• **النسخة الثانية (ب):**

وهي نسخة محفوظة في مكتبة ولي الدين أفندي في بتركيا، تحت رقم

---

(١) عبد اللَّه بن محمد عبد الشكور، تاريخ أشراف وأمراء مكة المشرفة، مخطوط بمكتبة الحرم المكي، تحت رقم(٣٤٤٤)، ص ٤٤.
(٢) نفسه، ص ١٢٣.

(٣٣٧٥)، وعدد أوراقها ٢٤٢ ورقة، تحتوي كلّ ورقة على صفحتين، في كلّ صفحة ١٥ سطرًا، وفي كلّ سطر يتراوح عدد الكلمات بين ١٠-١٤ كلمة، عدا الصفحات التي تحتوي على أبيات شعر، فهي تختلف في عدد الأسطر والكلمات، وقد تغير حجم الخط في الصفحات من ١٩٤ ب إلى ٢٠٠ أ، وزاد عدد الأسطر إلى ٢٠ سطرًا، وكلّ سطر يحتوي على ثمان كلمات، ثم تغير حجم الخط تارة أخرى في الصفحات من ٢٠٠ ب إلى ٢٢٧ أ، حيث قلّ عدد الأسطر إلى ١٣ سطرًا، وصار متوسط عدد كلماته تسع كلمات.

وكُتِبَتْ بخط الرقعة بالمداد الأسود، وكتبت العناوين بالمداد الأحمر، ولم يُذْكَرْ فيها اسم الناسخ، ولا تاريخ النسخ، ولا مكان نسخها.

وقد استخدمت هذه النسخة نظام التعقيبة، وكذلك ترقيمًا حديثًا بعدد الورقات من ورقة العنوان رقم ١ إلى ورقة ٢٤٢.

وقد جاء على صفحة التجليد ما نصَّه: عبد الشكور أفنديك مكة تاريخي. وهناك خاتم جاء فيه اسم «أحمد جودت»، وخاتم آخر باسم «السيد محمد توفيق» وقد تكرر هذا الختم في الورقتين رقم ٣٠، ١٣٠، ويبدو أنَّ ملكية المخطوط كانت في حوزتهما، أمَّا الأوَّل فهو أحمد جودت باشا صاحب التاريخ المشهور، والآخر لم أقف عليه.

أمَّا في صفحة العنوان فقد كتب ما نصَّه «تاريخ المُكَرَّم الشيخ عبد اللَّه عبد الشكور في ما وقع مِن حادثات الدهور». ويبدو أنَّ هذا العنوان اجتهاد مِن ناسخ المخطوط؛ لأنَّه لم يرد في أيّ مخطوط آخر.

وتبدأ الصفحة (٢ أ) بمقدمة المؤلف، فبعد البسملة والتسليم على النبي يقول: «يا موجد هذا الوجود من العدم، ومكوِّن الكائنات، ومخترع العالم، نظمت حكمتك هذا النظام بغير مثال تقدَّم ...» وتنتهي الأحداث في الصفحة (٢٤٢ أ) بقول المؤلف: «فإنَّ الحصر ما استدام أكثر من ثمانية أيام، ثم هذا الجائر الجاني رفع يده، وأطلق رقاب الناس عن الأسر،

وسلكت الطرقات وترك الحصر؛ فتواجدت الأقوات، في كل الجهات، وارتخت الأسعار بعون الملك الغفار». أيّ إنَّها نسخة كاملة مثل سابقتها، ولكن لم يحدد الناسخ، و تاريخ النسخ ومكانه.

وهذه النسخة تم مُقَابلتها، حيث تدارك ناسخها على الهوامش كثيرًا من السقط، فكان يضع علامة في المتن ثم يستدرك على الهامش السقط، كما هو الحال في الصفحات ١٢ أ، ٢٢ أ، ٥٧ ب، ٦٣ أ، ٧٢ ب، ٢٨ أ، ١١٣ ب، ١٢٥ ب، ١٢٩ أ، ١٣٢ أ، ١٣٥ أ، ١٣٥ ب، ١٥٢ أ، ١٥٢ ب، ١٥٤ أ، ١٥٧ أ، ١٦٤ أ، ١٦٥ ب، ١٨٢ أ، ١٨٣ أ، ١٨٣ ب، ٢٠٥ ب، ٢٠٩ أ، ٢١٢ ب، ٢١٣ ب، ٢٢٤ ب. كما أنَّ فيها بعض الكلمات، والعبارات، وأبيات الشعر الساقطة من النسخة (أ).

كما أنَّ هناك العديد من التعليقات على المخطوط كما هو الحال في الورقات ذات الرقم ٧٢، ٧٣، ٧٤، ٧٥، ٨٠، ١١٢، ١٣٤، ١٦٧، ١٨٧، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٩. وبعض هذه التعليقات لحفيد المؤلف وهو علي زين العابدين، وتعليقات لشخص آخر، لم أستطع أنْ أحدد هويته، ولكن تعليقاته فيها نقد لمؤلفنا ابن عبد الشكور، وقد أثبت هذه التعليقات في الحواشي.

عندما يُخطئ الناسخ في كلمة؛ فإنَّه يقوم بكشطها من الورقة، ويضرب على مكانها بالمداد الأحمر، ثم يعيد كتابتها بعدها، كما في الصفحة ١٢٨ ب، أو يكتبها على الهامش كما في الصفحة ١٣٢ ب، ١٣٥ أ، ١٣٥ ب، أو يضرب عليها بالمداد الأحمر فقط كما في الصفحة ١٤٩ ب.

وهذه النسخة ثاني أهم نسخة من حيث القدم، كما أنَّها كاملة، وناسخها كان مجيدًا، وعالمًا باللغة العربية، حيث إنَّه أثبت بعض الكلمات الفصيحة، التي وقع فيها التباس لدى ناسخ النسخة الأولى (أ)، فرسمها كما هي، أو وقع تحريف وتصحيف فيها، وقد أشرت إلى ذلك في الحواشي، وبينت الفروق بين النسخ.

والناسخ يستخدم أحد الأساليب الإملائية الشائعة وقتئذ؛ فمن حيث رسم الهمزة، فيثبت الهمزة في بداية الكلام، وأمَّا الهمزة المتوسطة، فأحيانًا يثبتها، مثل: عجائب، الخلائق، وأحيانًا يهملها، أمَّا الهمزة المطرفة فأحيانًا يثبتها، وأحيانًا أخرى يهملها.

• **النسخة الثالثة** (ج):

وهي نسخة محفوظة في مكتبة الشيخ إبراهيم عقيل الخاصة في مدينة تعز باليمن، وقد صوِّرت مِنْها نسخة لمعهد المخطوطات العربية في القاهرة، في يوم الخميس ١٠ رمضان ١٣٩٤هـ/ ٢٦ سبتمبر ١٩٧٤م، تحت رقم (ميكروفيلم ٤٦، كتاب ٣٠٤)، وهناك نسخة ميكروفيلم في مكتبة الإسكندرية تحت رقم (ميكروفيلم ٤٧٧ تاريخ).

وتتكون مِن ٢٨٠ ورقة، في كل ورقة صفحتان، ومقاس هذه النسخة ٢٠x٢٨ سم، وتحتوي كل صفحة على ١٩ سطرًا، عدا الصفحات التي تحتوي على أبيات شعر.

وقد اتبعت هذه النسخة نظام التعقيبة، ورُقِّمت ترقيمًا حديثًا مِن صفحة المقدمة، فجاء في (٥٦٠) صفحة، أمَّا صفحة العنوان فغير داخلة في ترقيم الأوراق أو الصفحات، وقد كتب فيها ما نصه: «هَذا تَارِيْخ لِمَنْ مَلَكَ الحَرَمَيْن مِن الأَشْرَاف، لمؤلفه العلامة الشيخ عبد اللَّه بن محمد عبد الشكور المشهور، مِن عُلماء الحجاز المبرزين في القرن الثاني عشر». كما كُتِبَ تعليق لصاحب المخطوط، وهو إبراهيم بن عمر بن عقيل باعلوي بتاريخ رجب ١٣٧٦هـ/ فبراير ١٩٥٧م. قال فيه: «يضم وقائع وحوادث يحتاجها المؤرخ، ويعطي المطالع صورة تامة الأجزاء عن الحياة في عهود أولئك الأمراء، وما كانت عليه البيئة والعصبية، وحدود العقلية، وفهم الحياة والسياسة، واستخدام الفخفخة، وتشييد المظاهر الخلابة، إلى آخر ما يراه المصابر على عباراته، وتسجيعاته التي لا تحتمل في عصر السرعة والإيجاز».

وقد كتبت بخط النسخ بقلم معتاد، وناسخها الشيخ عبد حسين العبيدي الشافعي، وتاريخ الانتهاء مِن نسخها ٢٤ شعبان ١٢٨٣هـ/ ٣١ ديسمبر ١٨٦٦م، ولكن لم يشر إلى مكان نسخها.

ورغم أنَّ النسخة غير ملونة فإنَّه يتضح أنَّها كتبت بمدادين مُختلفين، والأرجح أنَّها في مُجملها كتب بالمداد الأسود، بينما العناوين بالمداد الأحمر.

وتبدأ الصفحة الأولى بمقدمة المؤلف فبعد البسملة والتسليم على النبي يقول: «يا موجد هذا الوجود من العدم، ومكوِّن الكائنات، ومخترع العالم ...» وتنتهي الأحداث في الصفحة (٥٦٠) بقول المؤلف: «فإنَّ الحصر ما استدام أكثر من ثمانية أيام، ثم هذا الجائر الجاني رفع يده، وأطلق رقاب الناس عن الأسر، وسلكت الطرقات وترك الحصر؛ فتواجدت الأقوات، في كل الجهات، وارتخت الأسعار بعون الملك الغفار». ولذلك فهي نسخة كاملة كالسابقتين.

وهذه النسخة لُوحِظَ أنَّها تتشابه إلى حد كبير مع النسخة الأولى (نسخة عارف حكمت)، وربما تنقل عنها، أو أنَّ الاثنتين تنقلان عن أصل واحد، كما أنَّها تتشابه معها في كثير مِن الأخطاء، والتصحيفات، والتحريفات، وعلى أية حال، فهي تأتي مِن حيث الأهمية في المرتبة الثالثة، وبخاصة فيما يتعلق بالاكتمال والأقدمية.

• **النسخة الرابعة** (م١):

وهي النسخة المكية الأولى، محفوظة في مكتبة الحرم المكي تحت رقم (٣٤٤٤)، وتتكون من ٩٣ ورقة، تحتوي كل ورقة على صفحتين، ومقاسها ٢٢x٣٠ سم، وتحتوي كل صفحة على ٢٣ سطرًا، وقد كتبت بخط الرقعة، بمداد أزرق على ورق مسطر، وليس في هذه النسخة ما يثبت اسم ناسخها،

أو تاريخ نسخها، أو مكان النسخ[١].

وتستخدم النسخة نظام التعقيبة، كما رقمت ترقيمًا حديثًا، في (١٨٤) صفحة، دون صفحة العنوان، التي جاء فيها ما نصَّه: «كتاب تاريخ أشراف وأمراء مكة المشرَّفة للشيخ عبد اللّٰه بن محمد عبد الشكور».

وتبدأ الصفحة الأولى بمقدمة المؤلف، متفقة مع النسخ السابقة، ولكنَّها تتوقف عند أحداث سنة ١٢١٦هـ/ ١٨٠١م، في عهد الشريف غالب بن مساعد في الصفحة رقم (١٥٩)، ورُبّما تعرض الجزء المتبقي مِن المخطوط، وهو الخاص بأخبار الأشراف والوهابيين، للتلف أو الإتلاف، حيث إنَّ التعقيبة الموجود في نهاية الصفحة المذكورة تدل على وجود تتابع للرواية، ولكنها انقطعت واختلفت عمَّا بعدها. أمَّا الصفحات ١٦٠، ١٦١ فهي تحتوي على أحداث من عهد الشريف سرور بن مساعد، ويبدو أنَّها رتبت في غير موضعها، ومكانها الصحيح بين صفحتي ١٢٠، ١٢١. ثم يأتي في الصفحات ١٦٢-١٨٤ ترجمة الشريف أبي نمي بن بركات، وهي خارجة عن النصّ الأصلي للمخطوط.

وقد كَتَبَ الناسخ على هامش الصفحة رقم ٤٤، بعد انتهاء ترجمة الشريف مسعود ما نصَّه: «إلى هنا انتهت مدة الشريف مسعود، وكانت وفاته في أوَّل ربيع الثاني سنة خمس وستين ومائة وألف، وترك المؤلف بياضًا ليذكر فيه وفاته ومرضه الذي كان به وفاته، فلم يتيسر له ذلك، ومات قبل أن يكتبه». كما كتب الناسخ - أيضًا - على هامش الصفحة رقم ١٢٣، في نهاية ترجمة الشريف سرور، قوله: «لم يذكر الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ولاية مولانا الشريف عبد المعين أيامًا، ثم نزوله عن الولاية لأخيه مولانا الشريف غالب؛ فالأمر كان كذلك». وقد ساعدني هذان التعليقان على تفسير البياض الذي تركه المؤلف بعد ترجمة الشريف مسعود، والشريف سرور، ويتضح أنَّ الناسخ كان عالمًا

---

(١) محمد بن سيد أحمد مطيع الرحمن وآخرون، فهرس مخطوطات مكتبة الحرم المكي الشريف، ج٩، دار المأثور للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧م، ص ٣٢٩-٣٣٠.

بالأحداث التاريخية، وربما كان على صلة بأحد أفراد أسرة المؤلف وقصَّ عليه ذلك الخبر.

• **النسخة الخامسة** (م٢):

وهي النسخة المكية الثانية، المحفوظة في مكتبة الحرم المكي تحت رقم (٣٤٤٣)، وتتكون من ١٢١ ورقة، في كل ورقة صفحتان، وفي كل صفحة ١٦ سطرًا، ومقاسها ١٧x٢٥ سم، وهي من نسخ عبد المجيد الصباغ الحنفي، وكان الفراغ من نسخها في ٢٣ رجب ١٣٣٧هـ/ ٢٣ إبريل ١٩١٩م[1].

وقد اتبعت هذه النسخة نظام التعقيبة، كما رقمت ترقيمًا حديثًا في ٢٣٤ صفحة، بدأ من صفحة العنوان التي جاء فيها ما نصّه: «تاريخ أشراف وأمراء مكة المكرمة تأليف الشيخ عبد اللَّه بن محمد عبد الشكور المتوفى سنة ١٢٥٧هـ بمكة المكرمة».

وتبدأ الصفحة الثانية بمقدمة المؤلف، المذكورة في الأربعة النسخ السابقة، وجاء في الصفحة الأخيرة ما نصَّه: «إلى هنا تم النقل من هذا التاريخ الأغر بعد الصلاة والسلام على سيدنا محمد السيد الكامل الأنوار، وآله، وأصحابه السادة الغرر وسلم تسليمًا كثيرًا وعطر، وذلك في يوم الاثنين المبارك الثالث والعشرين من رجب عام ١٣٣٧ من هجرة سيد المرسلين، بقلم العبد الفقير عبد المجيد الصبَّاغ الحنفي مذهبًا القادري طريقةً الشامي الطرابلسي، غفر اللَّه له، ولوالديه، والمسلمين بحرمة سيد العالمين عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم آمين». وكتب على هامش هذه الصفحة - أيضًا - «بلغ مقابلة هذه الكراريس على الأصل المنقول مِنْه».

• **النسخة السادسة** (م٣):

وهي النسخة المكية الثالثة، محفوظة في مكتبة الحرم المكي تحت رقم

(١) محمد مطيع الرحمن وآخرون، **فهرس مخطوطات الحرم**، ٩/ ٣٣٠-٣٣١.

(٣٤٤٥)، وتتكون من ١٣٢ ورقة، تحتوي كُلّ ورقة على صفحتين، ومقاسها ١٦x٢٤ سم، وتحتوي كل صفحة على ٢١ سطرًا، وقد كتبت بالخطين الفارسي والنسخ، بمداد أسود، والعناوين بمداد أحمر، وليس في هذه النسخة ما يثبت اسم الناسخ، أو تاريخ ومكان نسخها[1]. واتبع فيها نظام التعقيبة.

وقد كتب على صفحة العنوان: «تاريخ في أشراف وأمراء مكة المعظمة»، والمخطوط في أصله من موقوفات الشريف عبد المطلب ابن غالب، وعليه خاتمه الذي جاء فيه: «وقف الكتاب الشريف عبد المطلب ابن المرحوم الشريف غالب ابن المرحوم الشريف مساعد على شرط أنْ لا يخرج مِن مكة المُشَرَّفَة، فَمْن بدَّله مِن بعد ما سَمِعه؛ فإنَّما إثمه على الذين يبدلونه». ووضع أسفله خاتم آخر طمست معالمه، فلم أتمكن مِن قراءته، وفي أسفل هذه الختم كتبت عبارة «أبو حنيفة أبو حنيفة الكوفي كبكج يا حفيظ»، وكلمة كبكج قيل: إنَّها تدفع الأَرَضة عن المخطوط وتحفظه.

وهذه النسخة تبدأ بترجمة الشريف مساعد بن سعيد حتى نهاية ترجمة الشريف سرور بن مساعد، ثم يأتي ذكر ترجمة الشريف أبي نمي بن بركات - وهي خارجة عن النصّ الأصلي قيد التحقيق - ثم تأتي أخبار صراع الأشراف والوهابيين منذ سنة ١٢١٢هـ/ ١٧٩٧م، حتى عام ١٢٢٠هـ/ ١٨٠٥م. أيّ إنَّه سقط منها مقدمة المؤلف، وترجمة الشريف مسعود بن سعيد، وترجمة الشريف غالب بن مساعد، وجزء من أخبار الأشراف والوهابيين منذ نشأتها حتى سنة ١٢١٢هـ/ ١٧٩٧م.

• **النسخة السابعة** (م٤):

وهي النسخة المكية الرابعة، محفوظة في مكتبة الحرم المكي تحت رقم (٣٤٥٥)، وعدد أوراقها ٩٧ ورقة، وفي كل ورقة صفحتان، مقاسها

---

(١) محمد مطيع الرحمن وآخرون، **فهرس مخطوطات الحرم**، ٩/ ٣٢٨-٣٢٩.

٢١x١٦ سم، في كل صفحة ١٧ سطرًا، وقد نسخت بخط معتاد، وقد كتبت بالمداد الأسود، والعناوين بالأحمر، وليس فيها ما يثبت اسم الناسخ وتاريخ ومكان نسخها[١].

واتبعت هذه النسخة نظام التعقيبة، كما رُقمت ترقيمًا حديثًا في ١٩١ صفحة، عدا صفحة العنوان، التي جاء فيها: إنَّ هذا «تاريخ مكة تأليف عبد الشكور هندية المكي»، ثم ذكر أنَّ هذه قطعة من الكتاب المذكور، والكتاب موجود بكامله في مكتبة الحرم المكي الشريف، وكذلك عند أحد الأشراف من ذوي زيد، ونلحظ أنَّ هذه البيانات كُتِبَتْ بقلم وخط حديث، يختلف عمَّا كُتِبَ به المخطوط، ويبدو أنَّها فهرسة متأخرة، وأنَّ هذه النسخة كانت ملكًا لأحد الأفراد، ثم حفظت في مكتبة الحرم المكي.

وتبدأ هذه النسخة بترجمة الشريف أبي نمي بن بركات، ثم ترجمة الشريف مساعد بن سعيد، وتتوقف عند أحداث سنة ١١٩٩هـ/ ١٧٨٥م. في أواخر عهد الشريف سرور؛ أيّ إنَّ بها سَقْطًا لمقدمة المؤلف، وترجمة الشريف مسعود، وترجمة الشريف غالب، وأخبار الأشراف والوهابيين، ويتضح أنَّ النسخة كانت كاملة؛ لأنَّ الصفحة رقم ١٩٤ بها تعقيبة، الأمر الذي يعني أنَّها استكملت الأحداث، ولكن فقد بقيتها أو أصابها التلف والضياع.

❑ ❑ ❑

---

(١) محمد مطيع الرحمن وآخرون، **فهرس مخطوطات الحرم**، ٩/ ٣٢٧-٣٢٨.

خامسًا- منهج التحقيق:

بعد التأكد مِن صحة المخطوط، واسمه، ونسبته إلى مؤلفه، شرعت في دراسته وتحقيقه، وقد اتبعت الخطوات المنهجية التالية:

(١) قمت بنسخ المخطوط، ثم عملت مراجعة ما نسخته على الأصل عدة مرّات، وصححت ما اعتراه من تصحيف، أو تحريف، أو سقط منه، وذلك بمقابلته على النسخ الأخرى - التي تمكنت من الوصول إليها - وأثبت الفروق في الحاشية، وأمَّا إذا كان هناك سقط أو خطأ في الأصل وقع فيه الناسخ؛ فقد أثبته في المتن من النسخ الأخرى، ووضعته بين معقوفتين [ ]، وذكرت ما كان عليه الأصل في الحاشية والنسخة التي تمّ جبر السقط، أو تصويب الخطأ منها، هذا إذا كنت قاطعًا بخطأ ما أثبته ناسخ الأصل، أمَّا إذا لم أقطع بذلك أو كانت الكلمة محتملة، فأتركها في المتن كما هي وأنبه على الاحتمال الآخر في الحاشية. أمَّا الكلمات التي وقع خطأ كتابي فيها، أو وقع تحريف في رسم حروفها؛ فقد حرصت على كتابتها صحيحة في الحاشية، كما أضفت بعض الكلمات لإزالة بعض الغموض، أو ليستقيم النص، ووضعتها بين معقوفتين [ ]، والإشارة لتلك الإضافة في الحاشية.

(٢) أثبتُ النصّ على حاله خاصة فيما يتعلّق بالرسم الإملائي المتبع حينها؛ وذلك حفاظًا على النصّ، وسياقه العام، ولغة العصر الذي عاش فيه المؤلف، ولم أغير فيه إلا في أضيق الحدود؛ وذلك فيما يتعلّق بإثبات الهمزة عندما تأتي في أوّل حرف من الكلمة، أمّا الهمزة المتوسطة،

والهمزة المطرفة، والخلط بين الألف المكسورة، والألف الممدودة مع الإشارة في الحاشية إلى الصواب ما يتوافق مع قواعد الإملاء المتعارف عليها حاليًّا. وقد كان التزام المؤلف طريقة السجع يتعارض مع قواعد النحو في بعض الأحيان، ولذلك فقد تركته في النص كما هو، وقمت بتصويب الخطأ - أيضًا - .

(٣) ضبطتُ الآيات القرآنية الكريمة، والأحاديث النبوية، والأشعار، والأمثلة، والأعلام، والأماكن، والقبائل، وكل ما قد يشكل على القارئ.

(٤) وضعت أرقام الورقات الأصلية للمخطوط ضمن النصّ بين شرطتين مائلتين / ق١/ وهكذا.

(٥) قمت بتقسيم النصّ على مجموعات مترابطة تتناول موضوعًا معينًا، حيث ورد النص في قالب واحد بشكل متصل دون تمييز، يصعب قراءته وتتابع أحداثه؛ ووضعت علامات التنقيط، والفواصل، والإشارات لخلو النص منها؛ فجاءت النقطة عند انتهاء المعاني في الجمل، والفاصلة في أماكن استعمالها، والنقطتين بعد القول، وهكذا.

(٦) أثبت العناوين التي وضعت على هوامش المخطوط، ثم وضعت عناوين لكلّ حادث من الأحداث التاريخية، تسهيلًا على القارئ، وحفاظًا على الأمانة العلمية لهذه الإضافات، فقد وضعتها بين معقوفتين [ ]، وقد أشرت في الحاشية إلى العناوين الموجودة على هامش المخطوط، وأمَّا التي أضفتها فاكتفيت بوضعها بين معقوفتين ولم أشر إليها في الحاشية نظرًا لكثرتها. وتجدر الإشارة أنَّ العناوين التي وضعها المؤلف في المتن، كانت محدودة جدًّا.

(٧) ضبطت الآيات القرآنية الكريمة بالشكل على رواية حفص عن عاصم - رحمهما اللَّه - وفق الرسم العثماني، وعزوتها إلى مواضعها في القرآن الكريم، مبينًا اسم السورة ورقم الآية، ووضعتها بين قوسين مزهرتين ﴿ ﴾.

(٨) قمت بتخريج الأحاديث النبوية الشريفة بأسانيدها، وإثبات درجة صحتها من كتب الحديث المتخصصة، ووضعتها بين « ».

(٩) قمت بمقارنة التواريخ الهجرية بالتواريخ الميلادية في الحاشية، ووجه الفائدة في هذا التيسير على القارئ في متابعة الأحداث في الكتابات التي تلتزم التاريخ الميلادي وحده؛ وذلك بالرجوع إلى بعض البرامج الإلكترونية المتخصصة في تحويل التواريخ، وقد تثبتُّ من صحتها بالمقارنة مع جداول ويستنفلد (F.Wustenfeld) المهمة في هذا المجال، وذلك اختصارًا للوقت والجهد.

(١٠) شرح الغامض من الكلمات العربية التي استخدمها المؤلف شرحًا لغويًّا مناسبًا لمعناه في سياقه.

(١١) التعريف بالأعلام المشاركين في الأحداث، والتي ورد ذكرها في المخطوط؛ وذلك بالرجوع إلى كتب التاريخ، والتراجم، والطبقات المعاصرة لها أو القريبة منها، والموسوعات الحديثة. وقد أرهقت هذه النقطة الباحث؛ لأنَّ بعض التراجم كانت أخبارها متناثرة في كثير من الكتب المعاصرة للأحداث؛ الأمر الذي جعله يقوم بمسح شامل لهذه الكتب للخروج بترجمة للشخص المذكور في الأحداث لتفهم دوره.

(١٢) التعريف بالأماكن، والمواضع، والقبائل، وقد كانت كثيرة جدًّا، فلا يمر حدث إلا ويرد فيه مكان، أو موضع، أو قبيلة، وقد كان يكتنف هذه النقاط بعض اللبس والغموض، وبخاصة في ظلّ تشابه أسماء بعض المواضع، وتقاربها من بعضها، بالإضافة إلى تغير أسماء بعض الأماكن بمرور الوقت، وانتقال بعض القبائل مِن مواضعٍ إلى أخرى، وقد بذلت قصارى جهدي لتحقيق المطلوب، كي أصل إلى هذه المواضع والقبائل، وإخراجها بالطابع الذي ينطبق عليها في زمانها.

(١٣) شرح المصطلحات ذات الأصول غير العربية الواردة في المخطوط، والتي كانت معروفة لدى أهل العصر، وهي كثيرة، ومِنْها: السياسية، والإدارية، والاقتصادية، والمالية، والدينية، والثقافية، وغيرها، مُستعينًا في ذلك بالمصادر التاريخية، والمعاجم، والقواميس، والدراسات المتخصصة.

(١٤) قمت في كثير مِن الأحيان بالتعقيب والتعليق على بعض الأحداث التاريخية، والقضايا المطروحة في المخطوط التي تحتاج إلى تعليق؛ وذلك مِن خلال ما توافر لدي مِن وثائق عُثمانيَّة، ومصادر معاصرة للأحداث سواء أكانت مخطوطة، أم مطبوعة، وبعض المراجع والدراسات الحديثة.

❒ ❒ ❒

الفَصْلُ الثَّانِي

مَلَامِح تَارِيخ الحِجَاز
فِي العَهْد العُثْمَانِيّ الأَوَّل
(٩٢٣-١٢٢١هـ/١٥١٧-١٨٠٦م)

مَلاَمِح تَارِيخ الحِجَاز فِي العَهْد العُثْمَانِيّ الأَوَّل (٩٢٣-١٢٢١هـ/١٥١٧-١٨٠٦م)

حظى الحجاز بأهمية كبرى طوال العصر الإسلامي، نتيجة تواجد الحرمين الشريفين في مكة المكرمة، والمدينة المنورة؛ ولذلك حرصت الدول الإسلامية على فرض سيطرتها في هذه المنطقة، لَمَا يمنحها مِن مكانة عظيمة في نظر المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، بدءًا مِن عصر الدولة الأموية (٤١-١٣٢هـ/ ٦٦١-٧٥٠م)، وانتهاء بالدولة المملوكية (٦٤٨-٩٢٣هـ/ ١٢٥٠-١٥١٧م)، إلى أنْ آل الأمر بانضمام الحجاز إلى الدولة العثمانية (٦٩٨-١٣٤٢هـ/ ١٢٩٩-١٩٢٣م)، بعد أنْ تبوَّأت مكان الصدارة في العالم الإسلامي.

هذا، وينقسم الحكم العثماني في الحجاز إلى عهدين، هما:

العهد العثماني الأوَّل (٩٢٣-١٢٢١هـ/ ١٥١٧-١٨٠٦م): والذي يبدأ بخضوع الحجاز سلمًا للعثمانيين عام ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م(١)، وينتهي بسيطرة الوهابيين على الحجاز عام ١٢٢١هـ/ ١٨٠٦م، ودخوله في نطاق دولتهم التي عُرِفَت لاحقًا بالدولة السعودية الأولى(٢).

العهد العثماني الثاني (١٢٢٨-١٣٣٤هـ/ ١٨١٢-١٩١٦م): ويبدأ باسترداد

---

(١) أحمد فؤاد متولي: الفتح العثماني للشام ومصر ومقدماته من واقع الوثائق والمصادر التركية والعربية المعاصرة له، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ط١، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٥م، ص ١٣٢ وما بعدها..

(٢) محمد عبد العال محمد علي، **العلاقات بين الحجاز والدولة السعودية الأولى** (١١٦٢-١٢٣٣هـ/ ١٧٤٩-١٨١٨م)، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م، ص ١١٤ وما بعدها.

والي مصر محمد علي باشا (١٢٢٠-١٢٦٤هـ/ ١٨٠٥-١٨٤٨م) الحجاز مِن قبضة الوهابيين وإعادته إلى الدولة العثمانية بَدْءًا مِن عام ١٢٢٨هـ/ ١٨١٢م(١)، وينتهي بقيام الشريف حسين بن علي (١٣٢٦-١٣٤٢هـ/ ١٩٠٨-١٩٢٤م)(٢) بالثورة العربية الكبرى ضد العثمانيين في الحجاز عام ١٣٣٤هـ/ ١٩١٦م، وإعلان نفسه ملكًا على الحجاز(٣)؛ فانتهت بذلك تبعية الحجاز للدولة العثمانيَّة.

وسوف نتناول في هذا الفصل ملامح تاريخ الحجاز في العهد العثماني الأوَّل؛ لأنَّه يعطي خلفية تاريخية لبعض الأمور والأحداث التي قد تكون مُبهمة، أو غير واضحة عند دراسة المخطوط وتحقيقه، وسنركز على عدة نقاط مُهِمَّة، وهي كالآتي:

❐ ❐ ❐

---

(١) نوال سراج ششة، **الحجاز تحت حكم محمد علي (١٢٢٦-١٢٥٦هـ/ ١٨١١-١٨٤٠م)**، رسالة دكتوراه، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ص ١٣٨ وما بعدها؛ أريج مسحل محمد القثامي، **مكة المكرمة في أواخر العهد العثماني (١٢٧٧-١٣٣٤هـ/ ١٨٦١-١٩١٦م)**، رسالة دكتوراه، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨، ص ٢٩ وما بعدها

(٢) **الشريف حسين بن علي**: حسين بن علي بن محمد بن عون، ولد في إستانبول عام ١٢٧٠هـ/ ١٨٥٣م، وعين على شرافة مكة عام ١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م، وقد كان طموحًا؛ ولذلك تواصل مع البريطانيين فيما عرف بمراسلات الحسين مكماهون، والتي انتهت بوعد بريطانيا بالاعتراف بالشريف حسين ملكًا على بلاد العرب، في مقابل إعلانه الثورة ضد الدولة العثمانية، ليبطل دعوة الجهاد التي أعلنتها ضد بريطانيا وحلفائها في الحرب العالمية الأولى (١٣٣٢-١٣٣٦هـ/ ١٩١٤-١٩١٨م)، وبالفعل ثار الشريف ضد العثمانيين عام ١٣٣٤هـ/ ١٩١٦م، وأعلن نفسه ملكًا، وشرع في طرد العثمانيين من الحجاز، وإرسال قواته إلى الشام، وبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، عقد مؤتمر الصلح في باريس ١٣٣٧هـ/ ١٩١٩م، ولقد دخل الشريف في حروب مع عبد العزيز آل سعود، حاكم نجد، وانتهت بتمكن الأخير من دخول مكة المكرمة عام ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤م، ليعلن بذلك انتهاء حكم الأشراف الذي استمر حوالي ألف عام في الحجاز، وقد توفي الشريف حسين في عمَّان، فحمل إلى القدس، ودفن فيها عام ١٣٥٠هـ/ ١٩٣١م. جيرالد دي غوري، **حكام مكة**، ترجمة: محمد شهاب، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط١، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٠م، ص ٣٢١ ٣٣٨؛ إسماعيل جارشلي، **أشراف مكة وأمراؤها**، ص ٢٢٨-٢٣٣.

(٣) أمين سعيد، **الثورة العربية الكبرى: تاريخ مفصل جامع للقضية العربية في ربع قرن**، مج ١، مكتبة مدبولي، القاهرة، د.ط، د.ت، ص ١٤٦ وما بعدها.

أولاً- ضم الحجاز للدولة العثمانية عام ٩٢٣هـ/١٥١٧م:

في أواخر القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي تغيرت موازين قوى الشرق الإسلامي نتيجة حركة الكشوف الجغرافية الأوروبية، التي نجحت في اكتشاف العالم الجديد عام ٨٩٧هـ / ١٤٩٢م، ثم طريق رأس الرجاء الصالح ٩٠٣هـ / ١٤٩٨م، ووصولهم إلى متاجر الهند والشرق الأقصى(١)؛ مما ترتب عليه الضعف الاقتصادي للدولة المملوكية، ثم هزيمتهم على أيدي البرتغاليين في موقعة ديو البحرية عام ٩١٥هـ/ ١٥٠٩م، وبعدها تطلع البرتغاليون إلى غزو البحر الأحمر، وتهديدهم أراضي الحرمين الشريفين(٢).

وقد ظهرت في تلك الآناء دولة إسلامية فتية، وهي الدولة العثمانية، والتي سيطرت على الأناضول، وغزت جزءًا مِن شرق ووسط أوروبا، وقد ساءت الأوضاع بينها وبين الدولة المملوكية، بعد أن كانت علاقات مودة ومحبة، ويرجع ذلك إلى عدة أسباب، ومِنْها: النزاع علي بعض المناطق الحدودية في أعالي الشام، وإيواء المماليك لبعض الأمراء العثمانيين المناوئين للسلطان العثماني، والموقف المائع مِن المماليك مِن الصراع الدائر بين الصفويين والعثمانيين، والتنافس على السيادة العليا على العالم

(١) عمر عبد العزيز عمر، **التاريخ الأوروبي والأمريكي الحديث**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط١، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م، ص ٧٥، ٩١.

(٢) فاروق عثمان أباظة: **أثر تحول التجارة العالمية إلى طريق رأس الرجاء الصالح على مصر وعالم البحر المتوسط أثناء القرن السادس عشر**، دار المعارف، القاهرة، ط ٢، د.ت، ص ٣٧-٥٦.

الإسلامي(١).

ولذلك اتجه السلطان سليم الأوَّل (٩١٨-٩٢٦هـ/ ١٥١٢-١٥٢٠م)(٢) على رأس قواته إلى الشرق، حيث اخترق الأناضول، ثم وصل إلى أعالي الشام، وعندما انتقلت الأنباء إلى السلطان قنصوه الغوري (٩٠٦-٩٢٢هـ/ ١٥٠١-١٥١٦م)(٣)، خرج على رأس جيشه للقتال، فالتقى الجمعان في مرج دابق ٢٥ رجب ٩٢٢هـ/ ٢٤ أغسطس ١٥١٦م، حيث جرت معركة حامية الوطيس، انتهت بانتصار سليم الأوَّل، ومقتل قنصوه الغوري، وتقهقر المماليك للدفاع عن القاهرة، وقد أقيمت الخطبة في حلب باسم السلطان سليم الأوَّل، وبعد مدة تقدم العثمانيون إلى القاهرة، حيث اشتبكوا مع المماليك بقيادة السلطان طومان باي في الريدانية ٢٩ ذي الحجة ٩٢٢هـ/ ٢٢ يناير ١٥١٧م، وانتهت المعركة بانتصار سليم الأوَّل، ودخوله القاهرة

---

(١) عبد الرازق الطنطاوي القرموط، **العلاقات المصرية العثمانيَّة**، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ط١، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٥م، ص ١٢٤-١٢٧.

(٢) **سليم الأول**: ابن السلطان بايزيد الثاني، تولى الحكم في صفر ٩١٨هـ/ إبريل ١٥١٢م، ولقب بـ «ياووز» نظرًا لحدة طبعه، أحد أشهر سلاطين الدولة العثمانية، وقد اتجه في فتوحاته إلى المشرق الإسلامي حيث تمكن مِن هزيمة الشاه إسماعيل الصفوي (٩٠٧-٩٣٠هـ/ ١٥٠٢-١٥٢٤م) هزيمة ساحقة في موقعة جالديران، ودخول عاصمة ملكه تبريز في عام ٩٢٠هـ/ ١٥١٤م، ثم تمكن أيضًا من هزيمة المماليك، والقضاء على دولتهم عام ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م، وضم بعد ذلك معظم الأقطار العربية إلى دولته، وقد توفي في ٢٩ رمضان ٩٢٦هـ/ ٢١ سبتمبر ١٥٢٠م. محمد فريد، **تاريخ الدولة العليَّة العثمانية**، تحقيق: إحسان حقي، دارالنفائس، بيروت، د.ط، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ص ١٨٨-١٩٧؛ أحمد آقكوندز، **سعيد أوزتوك، الدولة العثمانية المجهولة**، وقف البحوث العثمانية، إستانبول، ٢٠٠٨م، ٢١٢-٢٣٥.

(٣) **قنصوه الغوري**: الملك الأشرف أبو النصر قنصوه بن بيبردي الغوري، ولد في عام ٨٥٠هـ/ ١٤٤٦م، وتولى السلطنةالمملوكية عام ٩٠٦هـ/ ١٥٠١م، في فترة خطيرة جدًّا مِن تاريخ المماليك، وفي عهده هزم الأسطول المملوكي مِن البرتغاليين في موقعة ديو البحرية ٩١٤هـ/ ١٥٠٩م، وساءت العلاقات بينه وبين الدولة العثمانية، وقد مات أثناء حربه مع السلطان سليم الأوَّل في موقعة مرج دابق عام ٩٢٢هـ/ ١٥١٦م، بعد أنْ حكم مصر خمسة عشر عامًا وتسعة أشهر. محمد بن أحمد بن إياس، **بدائع الزهور فِي وقائع الدهور**، ج٥، تحقيق: محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، ص ٨٧-١٠٢.

في ٣ محرم ٩٢٣هـ/ ٢٦ يناير ١٥١٧م، ثم القبض على طومان باي في ربيع الأوَّل/ مارس مِن العام المذكور، وإعدامه على باب زويلة في القاهرة(٤).

وكان السلطان سليم الأوَّل يتطلّع إلى ضمّ الحرمين الشريفين لدولته، لمَا لهما مِن مكانة كبرى في نفوس المسلمين، ولمَا يتمتع به مَن يتولى خدمتهما مِن سلطة دينية وسياسية في العالم الإسلامي، وقد تجلى مدى اهتمام السلطان من خلال بعض الرؤى التي ظهرت في الأفق وقتئذ، ومِنْها أنَّ السلطان بعد أنْ قضى ليلته مفكرًا في أمر قتال المماليك، فرأى فيما يراه النائم أنَّ علي بن أبي طالب رضي الله عنه نقل إليه أمر الرسول ﷺ: أنْ انهض فقد كُلِّفت بخدمة الحرمين الشريفين(٥)، وتجدر الإشارة إلى أنَّ السلطان عندما دخل القاهرة، أقيمت الخطبة باسمه، فدعى الخطيب قائلاً: «وانصر اللَّهم السلطان ابن السلطان، ملك البرين والبحرين، وكاسر الجيشين، وسلطان العراقين، وخادم الحرمين الشريفين، الملك المظفر سليم شاه»(٦). ويوضح ذلك مدى الاهتمام الذي أولاه سليم للحرمين الشريفين، ورغبته في ضمهما إلى دولته.

وأمَّا عن الطريقة التي ضم بها الحجاز للعثمانيين، فتذكر بعض المصادر أنَّ السلطان سليم الأوَّل أراد إرسال حملة عسكرية إلى الحجاز، وكما تقول الرواية: «أنهى إليه بعض الحساد أنَّ جميع الملك والسلطان طرازه الأعظم مُلك الحرمين الشريفين وأعمالهما، والدعاء لمولانا على منابرهما»، وقد كان في القاهرة وقتئذ قاضي مكة السابق صلاح الدين بن ظهيرة، فلمَّا سمع بذلك الأمر، اتصل بالوزير الأعظم، وعرَّفه عظمة الشريف بركات بن محمد، وأخبره بأنَّه يمكن إنهاء الأمر بشكلٍ سلمي، بإرسال مكتوب سلطاني إليه؛ فاستقر الحال على كتابة توقيع سلطاني، وكتابة مراسلات من الوزير المذكور،

---

(٤) أحمد فؤاد متولي: **الفتح العثماني للشام**، ص ١٣٢ وما بعدها.

(٥) محمد عبد اللطيف هريدي، **شئون الحرمين الشريفين في العهد العثماني في ضوء الوثائق التركية العثمانية**، دار الزهراء للنشر، القاهرة، ط ١، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م، ص ١٤.

(٦) محمد بن أحمد بن إياس، **بدائع الزهور في وقائع الدهور**، ج ٥، تحقيق: محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، ص ١٤٨.

والقاضي صلاح الدين وأعلماه بما انتهى إليه الأمر، وطلبا مِنْه إعلان ولائه للسلطان العثماني[١].

وتجدر الإشارة إلى أنَّ بعض الباحثين يذكر أنَّ سَلِيمًا الأول لم يفكر في إرسال جيش إلى الحجاز، وأنَّ ذلك لم يرد في أحد المصادر العثمانيَّة المُعاصرة للأحداث[٢]، ورغم وجاهة هذا الرأي فإنَّه لا ينفي فكرة ظهور إرساله حملة إلى الحجاز، وبخاصة إذا علمنا أنَّ سَلِيمًا الأول قد دخل القاهرة في محرم ٩٢٣هـ/ يناير ١٥١٧م، وقد تأخر إعلان الشريف بركات بن محمد لولائه للعثمانيين حتى أواخر جمادى الأولى/ أوائل يونيو مِن العام المذكور، ولا ريب أنَّ ما أحرزه العثمانيون مِن تقدم في مصر كانت أخباره تصل إلى الحجاز، ويبدو أنَّ السلطان قد قلق مِن تأخر الشريف، فلمَّا ظهرت فكرة الحملة، وتصادف وجود القاضي في مكة وأرسل للشريف، الذي كان يتابع الأحداث في مصر، وينتظر ما يؤول إليه المآل، اقتنع بضرورة إعلان ولائه للمنتصر والحاكم الجديد، وقد كانت هذه عادة الأشراف في الحجاز إعلان ولائهم للسلطان الذي سيمنحهم البقاء، ويكون له المكانة الكبرى في العالم الإسلامي.

وقد قام الشريف بركات، بإرسال وفد على رأسه ابنه أبو نمي - وكان سنه لا يتجاوز الثانية عشرة - وأصحبه ببعض الهدايا والتقادم؛ مُعلنًا بذلك ولاءه للسلطان العثماني، وقد وصل الوفد إلى القاهرة في جمادى الأخرى/ يوليو مِن العام المذكور[٣]، وقد استقبل استقبالًا حافلًا، وتمت استضافته في مقر

---

(١) عبد الملك بن حسين العَاصِمي المكي، **سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتَّوالي**، ج٤، تحقيق وتعليق: عادل عبد الموجود وعلي معوَّض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، ص ٣٢٩-٣٣٠.

(٢) إبتسام بنت محمد صالح كشميري، **مكة المكرمة من بداية الحكم العثماني إلى نهاية القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي (٩٢٣-١٠٠٠هـ/ ١٥١٧-١٥٩١م)**، رسالة دكتوراه، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، ص ٥٥، حاشية ١.

(٣) محمد بن أحمد بن إياس، **بدائع الزهور**، ٥/ ١٩٠؛ أحمد فؤاد متولي، الفتح العثماني، ص ٢٢٩-٢٣٠.

قائد الجند، وفي اليوم الثالث لقدومه التقى بالوزير الأعظم، وقاضي العسكر، ثم السلطان سليم الأوَّل، وتبادل الطرفان الهدايا، وقدَّم أبو نمي مجموعة مِن المقتنيات الأثرية[١]، وقد حملت جميعها إلى إستانبول، وشيد لها جناح خاص في سراي طوبقابو لتحفظ به، عرف بجناح «خرقة شريف»، وقدَّم السلطان بدوره لأبي نمي هدايا فاخرة، وإنعامات مالية، بالإضافة إلى منشور الإمارة، وأنْ يكون أبو نمي حاكمًا من بعده[٢]، ومِمَّا جاء فيه:

«...فقد وردت المطايبة الطيبة، مقرونة بالتطيب بطيب النية الخالصة... مِن مقام الشريف الأشرفي، السيد الشريف، زين الدين بركات بن السيد الشريف محمد... لما وصل إلى مواقفنا الرفيعة، وقبل لدى عتبتنا المنيعة، أمرنا بأنْ يتلقى كمالا الالتفات، وأن يتلقى بالتقاء غاية المراعات من موايد عواطفنا، وبعد أن راعيناه بالرعاية الكاملة الوفارة، تلاطمت في حقِّه أمواج بحار عناياتنا الزاخرة، بتشاريف الخلع، وأجزناه إجازة معلنة، بكثرة التصدقات العالية، ورسمنا له بأنْ يكون قاعد إمارتكم العتيقة، ونايبًا في مقام إيالتكم على الطريقة الأنيقة، كما كان فوض إليه المقر الشريفي، سالفًا وأمرناه بأنْ يكون أميرًا بمكة المشرفة المنورة المُطَهَّرة، ونواحيها، وضواحيها وتوابعها، ولواحقها المعطرات، ولكل موضع كان الجناب الكريم حاكمًا وضابطًا فيه بمراسم السلاطين القديمة، وأصدرنا مِن بَابنا العالي وموقفنا المتعالي منشورًا شريفًا، ومرسومًا رصيفًا متضمنًا بما فيه من المضمون المنظوم، كاللؤلؤ المكنون على ما قرر في

---

(١) إسماعيل حقي جارشلي، أشراف مكة المكرمة، ص ٤٥-٤٦، ١٣٣-١٣٤.
(٢) إبتسام كشميري، مكة المكرمة مِن بداية الحكم العثماني، ص ٥٧-٥٨.

كتابنا الكريم، وخطابنا القويمة، فأوصله الله إلى المواصل المستقر، وأنزله إلى منازل المقر المحترم، مع السلام البدنية والروحانية، بالعنايات الربانية وهمتنا السلطانية إنْ شاء الله تعالى»[١].

خرج أبو نمي مِن القاهرة في ٤ رجب/ ٢٢ يوليو مِن العام المذكور في موكب كبير، عائدًا إلى مكة المكرمة بمنشور الإمارة لوالده[٢]، وعندما وصل، قُرِئ المرسوم السلطاني، وتم تنصيب الشريف بركات في احتفال كبير، ودُعِي للسلطان سليم الأوَّل في الخطبة في مكة المكرمة[٣].

وهكذا سيطر العثمانيون على الحجاز في مطلع القرن العاشرالهجري/ السادس عشرالميلادي، وصارت لهم المكانة الكبرى على العالم الإسلامي، بحملهم لقب حامي حمى الحرمين الشريفين، التي كانت مِن أهم الألقاب التي يعتزون بها، ورغم الأهمية الدينية والسياسية التي تمخضت عن سيطرتهم على الحجاز؛ فإنَّه قد شكلَّ عِبْئًا عسكريًّا جديدًا عليهم؛ حيث تطلب الأمر مِنْهم الزحف جنوبًا للاستيلاء على اليمن لتأمين مدخل البحر الأحمر، الذي كان البرتغاليون يسعون لاختراقه لتهديد أمن الحرمين الشريفين كما سيأتي ذكره.

❒ ❒ ❒

---

(١) مكتبة طوبقبوسراي، إستانبول، وثيقة رقم ٤١٥. نقلًا عن: عمر سالم بابكور، **حزام الأمن العثماني حول الحرمين الشريفين في القرن العاشر الهجري**، رسالة ماجستير، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م، ص ١٥٦-١٥٧.

(٢) محمد بن أحمد بن إياس، **بدائع الزهور**، ٥/ ١٩٣.

(٣) سيد محمد السيد محمود، **تأسيس الحكم العثماني في الحجاز**، مكتبة الآداب، القاهرة، ط ١، ٢٠١١م، ص ٢٩-٣٠.

ثانيًا- النظام الإداري في الحجاز:

كان العثمانيون في بداية حكمهم للمناطق المفتوحة يبقون عادة على نظم الحكم المحلية في البلاد التي يدخلونها في صورتها السابقة، ثم يعملون بعد ذلك على تعديلها ومواءمتها تدريجيًّا، لتتناسب مع الإطار العام لسياسة دولتهم[١]، وقد تميزت الإدارة في الدولة العثمانية بالمركزية المطلقة، حيث أرادت ربط كافة الولايات بالسلطة المركزية في إستانبول، وكذلك عملت على توزيع السلطة في الولاية الواحدة بين مجموعة مِن الأجهزة.

وتجدر الإشارة إلى أنَّ الحجاز تمتع بامتيازات لم تتمتع بها الولايات العثمانية الأخرى، ومِنْه الإعفاء مِن تقديم أي مال للخزينة السلطانية، وإعفاء الأهالي مِن الضرائب، ما عدا ما يفرضه الأشراف على الأغنام والماشية وما يقررونه على الحجاج وقوافلهم، ولم يفرض العثمانيون على الحجازيين الالتزام بالتجنيد الإجباري، أو بالمشاركة مع الدولة في حملاتها الخارجية[٢]. ولم يطبق العثمانيون أي نوع مِن أنواع الإقطاع الحربي على الحجاز، والذي كان معمولاً به في الولايات الأخرى في الدولة العثمانية.

هذا، ولم يظهر النظام الإداري في الحجاز دفعة واحدة، ولكنَّه مرّ بمراحل تطور، حتى انتهى إلى الشكل الذي صار معمولاً به في الحجاز حتى نهاية الحكم العثماني، فبعد ضم الحجاز إلى الدولة العثمانية، قام السلطان سليم بتوزيع السلطة بين الأشراف في مكة، ووالي جدة، والحامية العسكرية التي كانت تأتي مِن مصر، وفي البدء تم ربط الحجاز بولاية مصر

---

(١) إبتسام كشميري، مكة المكرمة مِن بداية الحكم العثماني، ص ٦٣.

(٢) صبري فالح الحمدي، أشراف الحجاز، ص ٣١.

إداريًّا وماليًّا[١]، وحتى لا نستغرق في تفاصيل لا حصر لها في تطور هذا النظام الإداري في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، فسوف نوجز القول في الجهاز الإداري الذي أصبح يتكون مِن شريف مكة المكرمة، ووالي جدة، والحامية العسكرية.

١. شريف مكة:

يُعَدُّ نظام الشرافة مِن أقدم أنظمة الحكم التي عرفها الحجاز في العصور الإسلامية، ويقوم على أنْ يتولى إمارة مكة المكرمة أحد الأشراف وهم نسل النبي ﷺ مِن فاطمة وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما. وقد أصبح لقب الأشراف على العائلة التي تحكم مكة المكرمة والمدينة المنورة،وقد حظي نظام الشرافة بمكانة مُهِمَّة في العالم الإسلامي، ومِن أدلة ذلك ظهور نقابة الأشراف التي أنشأها العباسيون منذ القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي في بغداد. وتطور في ما بعد بأنْ صار لها مثيلات في كلّ مِن مصر والشام، وكان مِن واجباتها الفحص في أنساب الأشراف وإصلاح أحوالهم وتدبيرشئونهم، وكان أهم ما يميز الأشراف ارتداءهم في أغلب الأحيان عمامة خضراء تميزًا لهم عن الآخرين، مِمَّا أدى إلى إجلال الناس لهم واحترامهم[٢].

وقد تعاقب على حكم الحجاز أربع طبقات مِن الأشراف، هم: الموسويون (بنو موسى) (٣٥٨-٤٥٣هـ/ ٩٦٨-١٠٦١م)، والسليمانيون (بنو سليمان): (٤٥٣-٤٥٤هـ/ ١٠٦١-١٠٦٢م)، والهواشم (بنو هاشم): (٤٥٤-٥٩٧هـ / ١٠٦٢-١٢٠٠م)، والقتاديون (٥٩٧-١٣٤٢هـ / ١٢٠٠-١٩٢٤م)[٣]،

---

(١) إبتسام كشميري، مكة المكرمة مِن بداية الحكم العثماني، ص ٦٤-٦٥.

(٢) قاسم حسن عَبَّاس السامرائي، نقابة الأشراف في المشرق الإسلامي حتى نهاية حكم الأسرة الجلائرية (منتصف ق٣هـ/ أوائل ق٩هـ)،رسالة دكتوراه،كلية الدراسات العليا، الجامعةالأردنية، عمَّان، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م،ص-١٥٧؛ صبري فالح الحمدي، أشراف الحجاز فِي القرن الثامن عشرالميلادي، مؤسسةالمختار، القاهرة، ط١، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م،ص ٤٥-٤٦.

(٣) سليمان عبد الغني مالكي، بلاد الحجازمنذ بداية عهدالأشراف حتى سقوط الخلافة =

والأسرة الأخيرة هي التي شهدت العصر العثماني حتى نهايته.

وعندما ضُمَّ الحجاز سلميًّا إلى الدولة العثمانية، استبقى السلطان سليم الأوَّل على نظام الشرافة؛ وذلك احترامًا وإجلالاً لهؤلاء الأشراف الذين ينحدرون مِن نسل الرسول ﷺ، وكان لشريف مكة مكانة كُبرى في الدولة، حيث إنَّه المرجع الأكبر في الحجاز، وصاحب الكلمة العليا في تصريف شئونها، وصار اسم الشريف يذكر بعد اسم السلطان في الخطبة، وكان السلطان يقف احترامًا له لأنَّه مِن نسل الرسول ﷺ، كما كانت له المكانة نفسها لدى الصدر الأعظم، وكان يأتي في مرتبة أعلى من الوزير بمرتبة واحدة، وكان يأتي في الدرجة الثانية بعد الصدر الأعظم في الترتيب مباشرة؛ ولذلك كان له الحق في التواصل مع السلطان دون وسيط[1].

كان يتم اختيار الشريف ليشغل منصبه مِن خلال اختياره مِن قِبَل الأشراف في مكة المكرمة، بالإضافة إلى تقارير مِن قاضي مكة، وولاة مصر، والشام، وجدة. وعند حدوث عدم توافق من قبل الأشراف حول شريف معين؛ فإنَّ الحكومة كانت تدرس بدقة التقارير المرفوعة مِن قِبَل قاضي مكة والولاة السابقين، وتعين واحدًا مِن المرشحين، وتجدر الإشارة إلى أنَّه في بعض الأحيان كانت تقدم رشوة لوالي جدة حتى يقوم برفع تقرير لتعيين شريف غير مرغوب فيه، الأمر الذي يترتب عليه حدوث كثير من الاضطرابات والفتن، فيتدخل السلطان في عزل شريف وتولية آخر[2]، أو يرفع تقريرًا لعزل شريف، أو تولية آخر حسب علاقاته به.

وفي حالة إذا كان شريف مكة كان مِن الأشراف المقيمين في إستانبول،

= **العباسية في بغداد مِن منتصف القرن الرابع الهجري حتى منتصف القرن السابع الهجري**، رسالة دكتوراة، كليةالآداب، جامعة القاهرة، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١، ص ٣٠ وما بعدها؛ عبد العزيز بن فهد الهاشمي، **غاية المرام**، ١/ ٥٥٠-٥٥٢.

(١) صبري فالح الحمدي، **أشراف الحجاز**، ص ٤٨-٤٩.

(٢) إسماعيل جارشلي، **أشراف مكة**، ص ٤٩.

أو أماكن قريبة مِنْها؛ فإنَّه كان يمثل في حضرة السلطان، ثم تسند إليه شرافة مكة، ثم يسافر إلى الحجاز، وفي بعض الأحيان يقوم الشريف المتواجد في إستانبول بإنابة أحد أبنائه المتواجدين في مكة حتى يصل إليها. كما كان يتم تعيين الشريف من قبل السلطان بناء على رسالة يرسلها الشريف إلى والي مصر يطلب تعيينه، ويتم ذلك بموافقة السلطان(١).

وكان يأتي للشريف قرار بتجديد ولايته في كُلّ عام إبَّان موسم الحج، في صحبة أمير الحج الشامي، حيث كان يأتي القرار في كيس مِن الحرير المزركش بأبدع الرسوم، ومعه الخلع السنية، والأعطيات الكريمة، والهدايا والتحف(٢)، وكانت الخلعة السلطانية، تتكون مِن قفطان، وجبة، ومعطف مُبَطّن بالفرو، ورُبّما أرسل سيفًا، أو خنجرًا، وكان الشريف يستقبل القرار، ويقوم بتقبيله، ويحتفظ به لديه، ويتبادل الهدايا مع مبعوث السلطان، ثم تدوي المدفعية بتسع عشرة قذيفة، وينطلق المنادون والدلالون يعلنون الخبر في أرجاء مكة وشعابها، ومن ثم إلى كل أنحاء البلاد، وكان المنشور يقرأ في الحرم على الأشراف والعلماء وغيرهم، وكانت تتم المبايعة أسفل المنبر مِن قِبَل الأشراف، والشيوخ، وغيرهم من ذوي العلاقة، ثم يعود مندوب السلطان بهدايا الشريف، ورسالته الدالة على الطاعة والولاء(٣).

وفي حالة عزل أحد أشراف مكة؛ فإنَّه كان يتم منحهم بدل إعاشة مِن إيرادات مصر باسم تعيينات، وكانت الدولة تمنح مَن يأتي منهم إلى إستانبول، أو الموضوعين قيد الإقامة الجبرية مسكنًا خاصًا، وراتبًا كبيرًا،

---

(١) سحر بنت علي محمد دعدع، **ولاة الحجاز في العصر العثماني في الفترة (٩٢٣-١٢٨٧هـ/ ١٥١٧-١٨٧٠م): دراسة تاريخية حضارية**، رسالة دكتوراه، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م، ص ٤٢، ٤٣.

(٢) سحر دعدع، **ولاة الحجاز**، ص ٣٦.

(٣) محمد عبد اللطيف هريدي، **شئون الحرمين الشريفين**، ص ٢٧.

كما تؤمن لخدامهم مخصصات أخرى[١]؛ ولذلك فقد عملوا على توفير سبل الراحة لهم حتى بعد عزلهم. ونلحظ أنَّ الدولة لم تقدم على قتل، أو إعدام أحد الأشراف طوال تاريخ حكمها في الحجاز، لأنَّه كانت تعد ذلك إحدى الكُبَر، لانحداره مِن نسل خير البرية رسول اللَّه ﷺ.

ولم يكن هناك مَهَام مُحدَّدة لشريف مكة، ولكن هناك بعض الأوامر التي وردت في الفرمانات التي كانت تصل إليه، ويمكن حصرها في مطالبته بتأمين شعائر الحجاج الوافدين إلى الحرمين الشريفين، وأنْ يسعى لبسط الأمن على طرق الحج، وإدارة شئون البدو، ومنعهم مِن القيام بغارات السلب والنهب، ونشر الأمن والطمأنينة بين السكان، وتوزيع الأموال المرسلة سنويًّا بالعدل بين مستحقيها، وأنْ يكتفي بدخله ومخصصاته، وألا يطمع في ممتلكات التجار أو غيرهم مِن الأفراد، وأنْ يقوم بالحكم بين الناس بالعدل، ولا يظلم أحدًا [٢]. وكذلك كان يقوم برفع التقارير إلى السلطان العثماني مباشرة حول مدى قيام القوات المناوبة في الحجاز بمهامها، وأداء أمراء الحاج بواجباتهم في إقرار الأمن والاستقرار في البلاد[٣].

وتجدر الإشارة إلى أنَّ نتيجة عدم وضوح دائرة نفوذ الشريف، وعدم وضوح معالمها؛ فقد أدت إلى كثير مِن الخلافات بينه وبين موظفي الدولة، وظهر ذلك مع بدء الحكم العثماني، في عهد الشريف أبي نمي محمد بن بركات (٩٣١-٩٩٢هـ/ ١٥٢٤-١٥٨٤م)[٤] الذي أدرك أنَّه رغم ما يحيط

---

(١) إسماعيل جارشلي، **أشراف مكة**، ص ٥٦-٥٧.

(٢) صبري فالح الحمدي، **أشراف الحجاز**، ص ٤٩؛ سحر دعدع، **ولاة الحجاز**، ص ٣٥.

(٣) سيد محمد محمود، **الحكم العثماني في الحجاز**، ص ٨٣.

(٤) **أبو نمي محمد بن بركات**: يعد من أشهر أَشْرَاف مكة في التَّارِيخ الحديث، ولد في مكة المكرمة في ذي الحجة ٩١١هـ/ مايو ١٥٠٦م،ونشأ فيها، وكان سفيرًا لوالده إلى مصر مرتين: الأولى للسلطان الغوري والأخرى للسلطان سليم الأول، وقد شارك والده في إمارة مكة، وبعد وفاته انفرد بالحكم، وكانت سمعته طيبة بأفعال الخير والإخلاص تجاه رعاياه، وقد تعرَّضت جدة في عهده إلى غزو البرتغاليين عام ٩٤٨هـ/ ١٥٤١م؛ فنجح في صدهم عنها، وأقيمت في عهده كثير مِن المشروعات العمرانية الكبرى في=

به مِن مظاهر الأبهة والعظمة في الحجاز؛ فإنَّه لا سلطة له على قائد القوة العثمانية في الحجاز، والتي كانت ترسل من القاهرة - كما سيأتي ذكره - وقد حاول عزل هذا القائد، ولكن محاولته ذهبت أدراج الرياح[1].

وكان لشريف مكة المكرمة بعض النواب - الذين يلقَّبون بلقب الوزير - في المدن الرئيسة في الحجاز، وبخاصة المَدينة المُنوَّرة، وجدَّة، ويَنْبُع، وحَلْي، والقُنْفُدَة، وغالبًا ما كان هؤلاء النواب مِن أقاربه، أو مِن أتباعه المخلصين[2]، ولكن في بعض الأحيان يتدخل السلطان للحد من نفوذ الشريف في بعض المناطق، ومن ذلك قيام السلطان محمد الرابع (١٠٥٨-١٠٩٩هـ/ ١٦٤٨-١٦٨٧م)[3] بإصدار مرسوم يقضي بعدم تدخل الشريف في أمور المدينة المنورة[4]، ولكن يبدو أنَّ ذلك كان في مرحلة معينة؛ لأنَّ الأشراف سوف يعاودون تدخلهم مرة أخرى، ويرسلون وزيرهم للإقامة في المدينة المنورة.

= مكة والمدينة بأوامر مِن السلاطين العثمانيين. وقد امتد حكمه في سائر بلاد الحجاز من خيبر إلى حلي وإلى حدود نجد. توفي في وادي الآبار جنوبي مكة المكرمة في محرم ٩٩٢هـ/ يناير ١٥٨٤م، وحمل إلى الحرم وصلي عليه. جيرالد دي غوري، **حكام مكة**، ص ١٤٥-١٥٠؛ أحمد السباعي، **تاريخ مكة**، ٢/ ٣٩٥-٣٩٨.

(١) محمد عبد اللطيف هريدي، **شئون الحرمين**، ص ٢٧.

(٢) أحمد السباعي، **تاريخ مكة**، ٢/ ٥١٤.

(٣) **محمد الرابع**: ولد في إستانبول عام ١٠٥٢هـ/ ١٦٤٢م، تولى الحكم في رجب ١٠٥٨هـ/ أغسطس ١٦٤٨م، ويعد آخر السلاطين الفاتحين، ففي عهده تم الاستيلاء على قلعة نوهزل Nevhausel الحصينة في النمسا عام ١٠٧٤هـ/ ١٦٦٣م، وقام بحملتين على الروسيا عامي ١٠٨٩هـ/ ١٦٧٨م انتهت بفتح «جهرين»، والأخرى عام ١٠٩٢هـ/ ١٦٨١م انتهت بعقد معاهدة أدرنة، ثم قام بحصار فيينا للمرة الثانية عام ١٠٩٤هـ/ ١٦٨٣م ولكنَّه فشل في فتحها، وقد ظهر في عهده الصدر الأعظم محمد باشا كوبريلي أحد زعماء الإصلاح في الدولة العثمانية، وفي أواخر أيامه ثارت الإنكشارية نتيجة المشكلات التي ظهرت في الدولة والهزائم المتوالية، وقاموا بخلعه في محرم ١٠٩٩هـ/ نوفمبر ١٦٨٧م، وقد ظل على قيد الحياة حتى وفاته في ربيع الآخر ١١٠٤هـ/ سبتمبر ١٦٩٢م. محمد فريد، **تاريخ الدولة العليَّة**، ص ٢٨٩-٣٠٤؛ أحمد آقكوندز، سعيد أوزتوك، **الدولة العثمانية**، ص ٣١٦-٣٢٧.

(٤) محمد عبد اللطيف هريدي، **شئون الحرمين**، ص ٢٧.

ولعلَّ مِن الأهمية بمكان الإشارة إلى أنَّ شريف مكة لم تكن لديه قوات عسكرية نظامية، بل كان يعتمد عند احتياجه على القبائل العربية القاطنة في الحجاز[١]، وكان في أحيان أخرى يعتمد على أتباعه مِن الأشراف الذين كانوا يدينون له بالطاعة والولاء؛ وذلك للقضاء على بعض الاضطرابات مِن قبل المناوئين له، أو لتثبيت سلطاته السياسية في شرافة مكة والمناطق المحيطة بها[٢]. ولكن بمرور الوقت صار للشريف قوات نظامية تألفت من حوالي خمسمائة جندي، ولم يكن من الممكن زيادة الأعداد على ذلك بسبب قلة الموارد، وبخاصة الماء وأعلاف الدواب؛ الأمر الذي يمنع أي تجمعات كبيرة في المنطقة، وكانت مهام هؤلاء الجند النظاميين تنحصر في حماية الشريف، وحفظ الأمن[٣]. وفي القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي صار لدى الأشراف عناصر شبه عسكرية مؤلَّفة مِن بعض اليمنيين، والمغاربة، والحضارمة، والأفغانيين يصل تعدادهم إلى بضعة آلاف، سوى بعض العبيد الذين يصل تعدادهم أحيانًا إلى ما يزيد عن الألف[٤].

وفي القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشرالميلادي بدأ نفوذ شريف مكة يزداد تدريجيًّا، في ظل الضعف الذي أصاب الدولة العثمانية، وبخاصة بعد انسحابها مِن اليمن عام ١٠٤٥هـ/ ١٦٣٥م، ثم انسحاب الأساطيل العثمانية من البحار الشرقية، ثم فتح الأشراف ميناء جدة للتجارة الأوروبية أواخر القرن المذكور[٥]؛ الأمر الذي أدى إلى زيادة مواردهم. ولكن الدولة العثمانية كانت لهم بالمرصاد، ففي الوقت الذي ضعفت فيه قوَّة الدولة المركزية، عملت فيه على تقوية السلطة الإقليمية في الحجاز،

---

(١) سيد رجب حراز، الدولة العثمانية والجزيرة العربية (١٨٤٠-١٩٠٩)، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٧٠م، ص ١٠١.

(٢) صبري الحمدي، أشراف الحجاز، ص ٥٠.

(٣) إبتسام كشميري، مكة المكرمة من بداية الحكم العثماني، ص ٦٨.

(٤) أحمد السباعي، تاريخ مكة، ٢/ ٥٢٢.

(٥) سيد رجب حراز، الدولة العثمانية والجزيرة العربية، ص ١٠٢.

والممثلة في والي جدة العثماني[١].

وفيما يتعلق بالموارد المالية لشريف مكة المكرمة، فقد كان قبل العصر العثماني يحصل على ثلث المُساعدات الحكومية التي كانت ترسل إلى المنطقة [٢]، ولكن تبدل الوضع حيث رُتِّب له رَاتِبٌ قدره ٥٠٠٠ قرش سنويًّا بالإضافة إلى ٢٥ ألف قرش، وهو نصف ما يحصل عليه السلطان مِن تعيين أو إبقاء ولاة مصر[٣]. بالإضافة إلى ما يحصِّله الشريف مِن ضرائب في المنطقة حيث كان له الأحقية في فرض الضرائب على المطوِّفين، والحجاج، والجمَّالة[٤].

وكذلك كان مِن ضمن موارده المالية فيما نصَّت عليه الفرمانات أنْ يتم اقتسام دخل ميناء جدة[٥]بين الشريف ووالي جدة، وكان هذا الميناء يدر دخلاً كبيرًا على الشريف، وكان لديه مندوبٌ في جدة يعرف بالوزير، يقوم بتحصيل الدخل، وإرساله للشريف[٦].

---

(١) عويضة بن متيريك الجهني، «**السلطةالعثمانية في الحجاز في أواسط القرن ١١هـ/ ١٧م**»، المجلة الأردنية للتاريخ والآثار، الأردن، مج٢،ع٢،حزيران ٢٠٠٨م،ص ١٤٢ وما بعدها.

(٢) إبتسام كشميري، مكة المكرمة مِن بداية الحكم العثماني، ص ٢٨١

(٣) إسماعيل جارشلي، **أشراف مكة**، ص ٥٥.

(٤) صبري الحمدي، **أشراف الحجاز**، ص ٤٩.

(٥) اختلفت الآراء حول تاريخ بدء اقتسام إيرادات مرفأ جدة من الرسوم التي تفرض على السفن، فيرى بعض المؤرخين أنَّ ذلك بدأ في عهد الشريف أبي نمي محمد بن بركات (٩٣١-٩٩٢هـ/ ١٥٢٤-١٥٨٤م)، الذي تصدى لمحاولة البرتغاليين في الاستيلاء على جدة عام ٩٤٨هـ/ ١٥٤٢م؛ ولذلك منحه السلطان سليمان القانوني نصف إيرادات جدة. أحمد زيني دحلان، **خلاصة الكلام**، ص ٥٣. بينما يرى فريق ثان أنَّ ذلك تم بناءً على تقرير رفعه سِنَان باشا العائد مِن اليمن، والذي طلب منه الشريف توصية نتيجة خدماته التي قدمها للعثمانيين في اليمن، فطلب مِنْه تخصيص نصف إيرادات جدة. إسماعيل حقي، **أشراف مكة**، حاشية ٣، ص ٥٥-٥٦. ويرى فريق آخر أنَّ ذلك بدأ في عهد الشريف زيد بن محسن (١٠٤١-١٠٧٧هـ/ ١٦٣١-١٦٦٦م)، في عام ١٠٤١هـ/ ١٦٣١م، نتيجة المُساعدات التي قدمها الأشراف لمساعدة العثمانيين في إخضاع بعض المناطق اليمنية التي أعلنت رفضها للوجود العثماني. صبري الحمدي، **أشراف الحجاز**، ص٣٣-٣٤.

(٦) محمد عبد اللطيف هريدي، **شئون الحرمين**، ص ٢٩.

وعلى الرغم مِن بعض مآثر نظام الشرافة، فإنَّه قد شهد كثيرًا مِن المُشكلات في هذه الفترة، ولعلَّ ذلك يتضح مِن خلال الصراع المرير بين بيوتات الأشراف على تولي شرافة مكة المكرمة، وقد تجلَّى ذلك بين آل بركات وآل زيد، وفي خضم هذا الصراع كان كُلّ طرف يستعين بالقبائل والقوى المحيطة لمساندته؛ حيث اعتمد آل زيد على القبائل المحيطة بمكة والطائف، بينما تلقى آل بركات الدعم مِن القبائل المُقيمة بين ينبع والمدينة المنورة، وكذلك كان يتدخل أمراء الحج، وولاة جدة في ذلك الصراع، الأمر الذي خلَّف كثيرًا مِن المشكلات في الحجاز، وأضعف قوَّة الأشراف في المنطقة [1]. حتى إنَّنا نجد كثيرًا مِن الأشراف قد تولى الحكم أكثر مِن مرة في العهد العثماني، نتيجة الخلافات بين الأشراف والصراع على السلطة.

وفي محاولة مِن الدولة لوقف الصراع على الشرافة، أصدر السلطان العثماني فرمانًا في عام ١١٤٣هـ/ ١٧٣٠م إلى ولاة مصر ينص على عدم إعطاء رسائل توصية إلى أشراف مكة القادمين إلى مصر، أو إستانبول على السواء؛ وذلك لأنَّهم ينشرون الأقوال والإشاعات بتوليهم مَهَام الحكم التي مِن شأنها الإخلال بالأمن والنظام في الحرمين الشريفين [2].

ومِن نواحي الضعف - أيضًا في حكم الأشراف - نظام المشاركة في الحكم [3]، حيث عمل أشراف مكة على إشراك أبنائهم وأحفادهم في الحكم

---

(١) صبري الحمدي، **أشراف الحجاز**، ص ٥٥، ٥٧.

(٢) حسام محمد عبد المعطي، **العلاقات المصرية الحجازية في القرن الثامن عشر**، سلسلة تاريخ المصريين (١٤٩)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، د.ط، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، ص ٣١.

(٣) **نظام المشاركة**: وردت أوَّل إشارة صريحة لنظام المشاركة فِي حكم الأَشْرَاف فِي الحِجَاز فِي عهد الشريف أبي سعد الحسن بن علي بن قتادة (٦٤٦-٦٥١هـ/ ١٢٤٨-١٢٥٣م)، الذي أشرك معه فِي الحكم ابنه محمد وعمره سبعة عشر عامًا، بسبب أنَّ عمَّه راجح بن قتادة المطالب بالإمارة لنفسه، استنجد بأخواله مِن بني الحسين حُكّام المدينة المنورة، فأمدّوه بقوة عسكرية، فلمَّا علم الشريف مُحَمَّد، وكان فِي ينبع وقتئذ، تحرَّك بقوة عسكرية مِن أتباعه، فحقق نصرًا عسكريًّا عَلَى القوات المذكورة قبل دخولها مكةَ، الأمر الذي =

حتى يضمنوا انتقال الشرافة إليهم، وذلك بعد الحصول على موافقة الدولة، وهو ما يشبه ولاية العهد. ولكن سبَّب هذا النظام كثيرًا مِن المشكلات بين الأشراف، فربما انقلب بعض أفراد الأسرة بعضهم على بعض للوصول إلى الحكم، فتسبب ذلك في النزاعات، وكثير مِن الحروب، التي كانت تضعف قوة الأشراف. ونلحظ أنَّ هذا النظام قد اختفى تدريجيًّا، حتى لم نعهد وجوده في الفترة موضوع الدراسة، أي النصف الثاني مِن القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي.

وعلى الرغم ممَّا بذلته الدولة العثمانية للحد مِن سلطة الأشراف في الحجاز، ومنع الاحتكاك بينهم وبين الموظفين العثمانين؛ فإنَّ ذلك لم يكن له إلا تأثير محدود، وظلّت العلاقة بين الجانبين علاقة صراع وتوجس، وكانت كفة الأشراف هي الراجحة في الغالب حتى أواخر العصر العثماني[١].

٢. والي جدة:

مثّلت مدينة جدة أهمية كبرى في الحجاز طوال العصر الإسلامي، وفي العصر المملوكي كانت تخضع للإدارة المباشرة للمماليك، حيث كان له أمير يعرف بنائب جدة، وكان المحصل مِن دخل الميناء يتم اقتسامه بين المماليك والأشراف[٢]، وقد أقرَّ السلطان سليم الأوَّل ذلك النظام القائم على تبعية جدة لوالي مصر وقتئذٍ خاير بيك (٩٢٣-٩٢٨هـ/ ١٥١٧-١٥٢٢م)[٣] واعتبارها

= دفع والده لإشراكه في الحكم. أحمد بن عمر الزيلعي، «**نظام المشاركة في الحكم لدى أشراف مكة (٦٤٧-٩٢٣هـ/ ١٢٤٩-١٥١٧م)**»، مجلة الدارة، ع٣، السنة الرابعة عشرة، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ص ٦٣.

(١) محمد عبد اللطيف هريدي، **شئون الحرمين**، ص ٢٨.

(٢) أحمد عبد الحميد خفاجي، **موقف مصر من الحجاز في عهد المماليك الجراكسة ٨٤٢-٩٢٣هـ**، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، ١٩٦٨م، ص ٩٥، ٩٧.

(٣) **خاير بك**: خاير بك بن ملباي، من أصل كرجي، ولد في قرية صمصوم، وقد قدمه والده إلى السلطان الأشرف قايتباي، فتدرج في المناصب حتى عينه السلطان قنصوه الغوري نائبًا له في حلب ٩١٠هـ/ ١٥٠٤م، وقد ظل فيها حتى عام ٩٢٢هـ/ ١٥١٦م، وعندما قدم =

صنجقية عثمانية منفصلة عن شريف مكة[1]. ومنذ ذلك الحين صار حاكم جدة يمثل النفوذ والسلطة العثمانية في الحجاز في العصر العثماني، حتى لا ينفرد شريف مكة بالأمور هناك، وأصبح والي مصر هو مَن يُعَيِّن حاكم جدة برتبة صنجق، ولذلك صار والي مصر الوسيط بين الإدارة المركزية في إستانبول وحاكم جدة.

وقد ظلّ صنجق جدة تابعًا للإدارة المصرية، حتى تم فصله عنها، وتم إسناد إدارته إلى حكام تابعين للدولة مباشرة، وفي مرحلة لاحقة تم دمج صنجق الحبش[2] مع صنجق جدة في ولايةٍ واحدةٍ، وأسند حُكمها إلى والٍ

= السلطان سليم الأوَّل إلى الشام تمكَّن مِن استمالته إليه، وانفضاضه عن السلطان الغوري، وساعد العثمانيين في فتح مصر، ونتيجة لذلك فقد عينه السلطان سليم الأول واليًا على مصر عام ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م، وقد قدَّم خدمات جليلة للدولة العثمانية، حيث رفض الانضمام إلى جانب بردي الغزلي والي دمشق، في ثورته ضد السلطان سليمان القانوني، ومحاولته الاستقلال بالشام، ولذلك هزمه العثمانيون بسهولة وقضوا على ثورته في عام ٩٢٧هـ/ ١٥٢١م، وتوفي عام ٩٢٨هـ/ ١٥٢٢م، بعد أنْ حكم مصر خمس سنوات وثلاثة أشهر، ودفن بجامعه المعروف بالخيربكية بخط باب الوزير بالقاهرة. محمد بن إياس، **بدائع الزهور**، ٥/ ٢٠٥-٢٠٩، ٤٢٢-٤٢٣، ٤٨٣-٤٨٦؛ يوسف الملواني ابن الوكيل، **تحفة الأحباب بِمَن ملك مصر مِن الملوك والنواب**، تحقيق: محمد الششتاوي، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، ص ١٠٨.

(١) عمر عبد العزيز عمر، **تاريخ المشرق العربي** (١٥١٦-١٩٢٢م)، دار النهضة، بيروت، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م، ص ٩٧.

(٢) **ولاية الحبش**: يرجع الفضل فِي تأسيس ولاية الحبش الإِسلامية إلى أزدمير باشا الذي تولى شئون اليمن (٩٥٦-٩٦٢هـ/ ١٥٤٩-١٥٥٥م) وأدرك مِنْ خلالها أهمية وجود قوَّة عثمانية عَلَى الغور الإفريقية المطلة عَلَى البَحْر الأَحْمَر لتراقب حركة الملاحة، ونشاط البرتغاليين وحلفائهم الأحباش فيه، وأطلع السلطان العثماني على الأمر، وسعى جاهدًا في إعداد جيش في مصر، نجح في الاستيلاء على ميناء سواكن ٩٦٢هـ/ ١٥٥٥م وبعض الأقاليم المحيطة، ثم استولى على ميناء مصوع عام ٩٦٤هـ/ ١٥٥٧م، فتأسست ولاية الحبش الإسلامية، وأصبح أزدمير أوَّل والٍ عليها (٩٦٢-٩٦٧هـ/ ١٥٥٥-١٥٥٩م)، وخلفه فِي الولاية ابنه عثمان بن أزدمير، وولاية الحبش تمتد على الساحل بين سواكن ومصوع، والمهمة الرئيسية لنائب الوالي هي مراقبة تحركات الأحباش، وإخطار الدولة بهذه التحركات لاتخاذ الإجراءات اللازمة في الوقت المناسب. شوقي عطا اللَّه الجمل: «**ولاية الحبش بيْنِ إِيالة جدة والإدارة المصرية** (١٢٣٤-١٣٠٣هـ/ ١٨١٨-١٨٨٥م)»، =

بدرجة وزير، وزيادة في تحجيم سلطة الأشراف، فقد قامت الدولة بإسناد مشيخة الحرم المكي إلى والي جدة[١]. ولأهمية هذا المنصب في إطار سياسة الدولة؛ فقد صار والي جدة يُعيَّن مِن الصدور العظام المعزولين[٢]. وقد كان هدف الدولة العثمانية من ذلك هو الحد من سلطة الأشراف الذين أبقتهم على وضعهم في الحجاز[٣].

وأدَّى حاكم جدة دورًا مهمًّا في الصراع القائم على السلطة في الحجاز في بدايات العهد العثماني، ونظرًا للمهام الاستراتيجية التي يقوم بها صنجق جدة، فلم يكن يكلَّف بالخروج لحملات أو بمهام أخرى بعيدًا عن جدة، وكان والي مصر يقدم له كافة المساعدات اللازمة ليقوم بأداء مهامه على أكمل وجه، ويتخذ التدابير اللازمة لتحصين الثغور، وترميم قلعته، وشحنها بالجنود، وتوفير كافة احتياجاتهم[٤].

وقد كان معظم ولاة جدة - بعد فصلها عن الإدارة المصرية - يأتون إلى مصر بحرًا فينزلون الإسكندرية، ثم السويس، ثم يبحرون إلى جدة، وفي كثير مِن الأحيان تم تعيين بعض ولاة مصر بعد عزلهم على ولاية جدة، وفي بعض الأحيان استعين بولاة جدة لحكم مصر[٥].

وكان والي جدة مُقيمًا بحكم منصبه في جدة، ولم ينتقل إلى مكة إلا في العهد العثماني الثاني[٦]، وكان في بعض الأحيان يُقيم في المدينة

= مجلة الدارة، ع ٢، السنة الثانية والعشرون، الرياض، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ص ١٨١-١٨٤؛ أنعم محمد عثمان الكباشي، «**تأسيس لواء سواكن فِي العهد العثمانِي**»، مجلة الدارة، ع ٤، السنة الثامنة والثلاثون، الرياض، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م، ص ١٩٣-٢١١.

(١) إسماعيل جارشلي، **أشراف مكة**، ص ٧-٨.

(٢) محمد عبد اللطيف هريدي، **شئون الحرمين**، ص ٣١.

(٣) سحر دعدع، **ولاة الحجاز**، ص ٤٨.

(٤) سيد محمد محمود، **الحكم العثماني في الحجاز**، ص ٨٢.

(٥) حسام محمد عبد المعطي، **العلاقات المصرية الحجازية**، ص٤٦-٤٧.

(٦) سحر دعدع، **ولاة الحجاز**، ص ٤٩.

المنورة باعتباره محافظًا عليها[١]، وبالرغم مِن إقامته في جدة؛ فإنَّ سلطته شرعت تتوسع على مدى السنين إلى أنْ أتيحت له مراقبة تنفيذ جميع أوامر السلطنة، وفي بعض الأحيان، عندما يتولى شرافة مكة شخص ضعيف أو مسالم، فلا يستطيع السيطرة على مُقدَّرات البلاد، أمَّا الأشراف الأقوياء فكانوا يتجاهلون سلطته، كما كانوا يتجاهلون في بعض الأحيان أوامر الدولة العثمانية[٢]. ولذلك فإنَّ العلاقة بين ولاة جدة وأشراف مكة لم تسر على وتيرة واحدة بل تأرجحت ما بين التعاون والتنافر طوال تاريخ الحجاز في العهد العثماني الأوَّل[٣].

وقد كان والي جدة يحصل على راتب مادي، ومُخصَّصات عينية، وعند عزله كان يحصل على معاش مِن الولاية[٤]، كما كان لوالي جدة نصف إيرادات ميناء جدة - كما ذكر آنفًا - وقد أدَّى ذلك إلى حدوث كثير مِن المشاحنات بينه وبين شريف مكة. ومِن ذلك دخول الشريف سعد بن زيد فِي ولايته الأولى (١٠٧٧-١٠٨٣هـ / ١٦٦٦-١٦٧٢م)[٥]، فِي خصومة مع والي جدة حسن باشا، لعدم إعطائه حصته فِي نصف إيرادات جدة، ولذلك حاول الشريف

---

(١) محمد عبد اللطيف هريدي، **شئون الحرمين**، ص ١١٧-١١٨.

(٢) أحمد السباعي، **تاريخ مكة**، ٢/ ٥١٥-٥١٦.

(٣) عبد الرحمن بن سعد العرابي، «**التجانس والتنافر في العلاقة بين مكة المكرمة وجدة في العهد العثماني الأوَّل (٩٢٣-١٢٢٦هـ الموافق ١٥١٧-١٨١١م)**»، مجلة الدرعية، السعودية، مج ١٥، ع ٥٥-٥٦، يناير ٢٠١٣م، ص ٥١ وما بعدها.

(٤) سحر دعدع، ولاة الحجاز، ص ٥٠.

(٥) **سعد بن زيد**: تولى الشريف شرافة مكة أربع مرات على فترات متفاوتة وهي: الشرافة الأولى (١٠٧٧-١٠٨٢هـ / ١٦٦٦-١٦٧٢م) والثانية (١١٠٣-١١٠٥هـ / ١٦٩٢-١٦٩٤م) والثالثة (١١٠٦-١١١٣هـ / ١٦٩٤-١٧٠٢م) والرابعة (١١١٦هـ/ ١٧٠٥م استمر فيها ثمانية عشر يومًا)، وبلغت في مُجملها ستة عشر عامًا، وقد أسندت إليه الدولة العثمانية في ولايته الثالثة حكم الأحساء، وقد كان من أشهر الأشراف في الحجاز، ونال مكانة وشهرة واسعة في عصره، توفي عام ١١١٦هـ/ ١٧٠٤م على إثر إصابته في إحدى المعارك ضد أحد منافسيه من الأشراف. إسماعيل جارشلي، **أشراف مكة**، ص ١٥٠-١٥٨.

اغتيال الوالي في موسم حج ١٠٨١هـ / ١٦٧١م، ولكن المحاولة فشلت[١]. عندما زادت حدة الأزمة بَيْنَ الشَّرِيف مسعود بن مساعد، ووالي جدة علي بَاشَا؛ بسبب تقسيم واردات جدة ١١٦١هـ/ ١٧٤٨م، فخرج الشَّرِيف مسعود مَعَ جيشه واحتل المِينَاء؛ ففرَّ الباشا هاربًا عبر البحر، وانحصرت ردة فعل الباب العالي في إِرسال والٍ آخر، أكثر مرونة في تعامله مَعَ الشريف[٢].

وبحلول القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي، تضاءلت مكانة والي جدة، وأصبح من النادر أن يتدخل الباب العالي في مجريات الأحداث بصورة مباشرة عن طريق والي جدة، ولكن من خلال أمير الحج الشامي، أو أمير الحج المصري؛ لأنَّ أوقات هذه القوات موسمية وغير مستمرة[٣]، مع ملاحظة أنَّ الاهتمام بشئون الحجاز في النصف الثاني مِن القرن المذكور كان يرتبط بصلة وثيقة بأمير الحج الشامي - الذي كان والي للشام أيضًا - كما سيظهر مِن خلال دراسة المخطوط.

٣. الحامية العسكرية:

قام السلطان سليم بتعيين بعض القوات العسكرية العثمانيَّة في الحجاز، ثم بدأت الإدارة المركزية في تعيين قوات مناوبة منتخبة مِن الفرق العسكرية في مصر[٤]، في المدن المهمة في الحجاز مثل: جدة، المدينة المنورة، ينبع، وغيرها. ويرجع تاريخ ظهور الحامية إلى عام ٩٢٤هـ/ ١٥١٧م. نتيجة أخطار

---

(١) علي بن حسين علي الصميلي، «التنافر بين أمير مكة الشريف سعد بن زيد وسنجق جدة وشيخ الحرم حسن باشا ونهاية الفترة الأولى مِن إمارة الأشراف آل زيد (١٠٧٩-١٠٨٢هـ/ ١٦٦٩-١٦٧٢م)»، مجلة كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ع ٥٥، يوليو ٢٠١٠م، ص ٥٨٤-٥٨٩.

(٢) أحمد زيني دحلان، **خلاصة الكلام**، ص ٨٥-٨٦، ١٩٥.

(٣) سنوك هورخرونيه، **صفحات مِن تاريخ مكة المكرمة**، ج١، نقله إلى العربية: علي عودة الشيوخ، أعاد صياغته وعلق عليه: محمد محمود السرياني، ومعراج نواب مرزا، دارة الملك عَبْد العزيز، الرياض، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، ص ٢٤٩-٢٥٠.

(٤) سيد محمد محمود، **الحكم العثماني في الحجاز**، ص ٨١-٨٢.

البرتغاليين التي هددت موانئ الحجاز وبخاصة جدة؛ فأصبح مِن الضروري وجود قوة عسكرية هناك لحماية الحرمين الشريفين، فكُوِّنت هذه الحامية، وبلغ عددها خمسمائة جندي مِن جنود الأوجاقات المصرية، وعلى رأسهم سبعة سرادرة بالتناوب ولمدة عام، وكان يطلق عليهم جداليان نسبة إلى جدة(٥). وبالإضافة إلى هذه القوات كان يتم إرسال بعض الجند إلى بعض المناطق التي قد تشهد اضطرابات في الحجاز(٦).

ونتيجة لصراعات الأشراف على السلطة في مكة المكرمة، أمر الباب العالي عام ١١٣٤هـ/ ١٧٢١م بزيادة أعداد القوة المرسلة مِن مصر من خمسمائة إلى ألف جندي، ولكن أمراء المماليك في مصر رفضوا ذلك وأمروا سرادرة الجنود بأخذ خمسمائة رجل من مكة وجدة وكتابة أسمائهم في الأوجاقات، على أنْ تتحمل مصر دفع رواتبهم، ورغم احتجاج شريف مكة فإنَّ الأمراء في مصر لم يعروا ذلك اهتمامًا(٧).

وكان قسم كبير مِن الحامية يُقيم في ميناء جدة، وقد بلغ عدد بلوكَّاتهم في القلعة نحو ١٣ بلوكًا، يتراوح عدد كُلّ بلوك ما بين ٩-١٠ أفراد،(٨) ومع استقرار الأوضاع في البحر الأحمر، أصبح جزء مِن هذه القوة يُقيم في جدة، والجزء الآخر يتَوَجَّه إلى مكة(٩).

أمَّا في قلعة المدينة المنورة، فعندما تزايدت هجمات العربان عليها(١٠)، أمر السلطان سليمان القانوني بتسويرها(١١) عام ٩٣٩هـ/ ١٥٣٢م، وأقام فيها

(٥) حسام عبد المعطي، **العلاقات المصرية الحجازية**، ص٤٨.
(٦) سيد محمد محمود، **الحكم العثماني في الحجاز**، ص ٨٢.
(٧) حسام عبد المعطي، **العلاقات المصرية الحجازية**، ص٤٩
(٨) إبتسام كشميري، **مكة بداية الحكم العثماني**، ص ١٠٧.
(٩) حسام عبد المعطي، **العلاقات المصرية الحجازية**، ص ٤٨.
(١٠) محمد بن إياس، **بدائع الزهور**، ٥/ ٢٣٨، ٤٧٧.
(١١) **سور المدينة**: كَانَ للمدينة المنورة سوران أحدهما خارجي والآخر داخلي. وَكَانَ السور الداخلي أكثر إحكامًا، وبناء عَلَى أمر السلطان سليمان القانوني تمَّ هدم السور الداخلي وتم الانتهاء من بنائه في ١٥ شعبان ٩٤٦هـ/ ٢٦ يناير ١٥٣٩م، فكان خير حماية للمدينة=

حامية عسكرية(١)، وقد بلغ عدد قواتها خمسة بلوكَّات، يتراوح عدد كُلِّ بلوك ما بين ١٠-١١ فردًا(٢)، ولكن يبدو أنَّ هذا العدد كان يزداد ويقل بطبيعة الأخطار، حيث يشير أحد الباحثين أنَّ عدد الحامية كان يتراوح ما بين ١٧٠-٢٢٩ جنديًّا(٣).

وكانت المَهَمَّة الرئيسة للحامية المصرية في الحجاز هي الدفاع عن المنطقة ضد الأخطار الخارجية، وحفظ الأمن والنظام فيها، وقد كانت الحامية تمثل الشرعية لتولي شريف مكة منصبه من قِبل الدولة، ففور وصول فرمان الولاية كان الشريف يجلس في الحرم، وتقف جنود الحامية في صفوف تتقدمها فرقة موسيقى حيث تسير أمام الشريف إلى مقر الحكم الرسمي(٤)، وقد اتسعت أعمال الحامية حينما أسندت لوالي جدة مشيخة الحرم المكي في القرن الحادي عشرالهجري/ السابع عشر الميلادي(٥).

هذا وقد تدخلت هذه الحامية في كثير مِن الأحيان في صراعات الأشراف على شرافة مكة المكرمة، فكانت تقف بجانب أحدهم ضد الآخر. ومِن ناحية أخرى فإنَّ الاعتداء على جنود الحامية كان يمثل مِن وجهة نظر الدولة العثمانية اعتداءً على سيادتها الشرعية، وكان ذلك كافيًا لعزل أحد الأشراف وتولية آخر(٦).

وفيما يتعلق برواتب الحامية ومخصصاتها؛ فقد كان السلطان سليم قد منع الحامية مِن صرف رواتبها، مِن الصرة المرسلة سنويًّا إلى الحجاز،

= وسكانها مِن هجمات البدو. إبراهيم رفعت، مرآة الحرمين: **الرحلات الحجازية والحج ومشاعره الدينية مُحلاّة بمئات الصور الشمسية**، ج١، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ط١، ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥م، ص ٤١٠-٤١٤.

(١) إبتسام كشميري، **مكة بداية الحكم العثماني**، ص ١٠٦.

(٢) سيد محمد محمود، **الحكم العثماني في الحجاز**، ص ٨١-٨٢.

(٣) حسام عبد المعطي، **العلاقات المصرية الحجازية**، ص ٤٩.

(٤) المرجع السابق ، ص ٥٢.

(٥) إبتسام كشميري، **مكة بداية الحكم العثماني**، ص ١٠٧.

(٦) حسام عبد المعطي، **العلاقات المصرية الحجازية**، ص ٥٢-٥٥.

وكانوا يحصلون عليها من واردات مصر ضمن رواتب فرقهم التابعين لها، ثم عُدِّل ذلك وأصبحت رواتبهم ترسل مع الصرر، الأمر الذي أدى إلى رفع أرقام الصرر، وكانت رواتبهم مبالغ نقدية، ومخصصات عينية، بالإضافة إلى ملابس التشريفات كالقفاطين والجبب(١)، وقد تمتع رجال الحامية بإعفاء جمركي على بضائعهم وأحمالهم في كافة موانئ الحجاز، وقد دفعهم ذلك إلى العمل في التجارة بصورة واسعة، فعملوا على السفر بحرًا بصحبة بضائعهم رغم أوامر الدولة بسفرهم برًّا بصحبة موكب الحج(٢).

٤. القضاء:

عملت الدولة العثمانية على فرض نفوذها بكافة الطرق على المناطق التي تخضع لها، ومِن طرق فرض النفوذ تعيين قاضٍ مِن قِبلها للفصل فيما يطرأ مِن خلافات بين الرعية، وتحقيق العدل بينهم، وقد صار ذلك النهج تقليدًا عند العثمانيين؛ فالسيادة لا تكتمل إلا بتعيين قاضٍ على المنطقة المفتوحة(٣).

وقد أسس العثمانيون في بداية عهدهم نظامًا قويًّا للقضاء، كان نافذ الكلمة في شئون الحجاز في النواحي الإدارية، والمالية، والعسكرية؛ لتوفير مُناخ مِن المساواة، وإقرار العدالة بين رعايا الدولة(٤)، وقد أبقى السلطان

---

(١) إبتسام كشميري، **مكة بداية الحكم العثماني**، ص ٢٨٣.

(٢) حسام عبد المعطي، **العلاقات المصرية الحجازية**، ص ٥١؛ ميكل ونتر، **المجتمع المصري تحت الحكم العثماني**، ترجمة: إبراهيم محمد إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م، ص ١٢١.

(٣) مجموعة مؤلفين،**الدولة العثمانية تاريخ وحضارة**، مج ١، إشراف وتقديم: أكمل الدين إحسان أوغلي، نقله إلى العربية: صالح سعداوي، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون، إستانبول، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، ص ٢٩٤.

(٤) عبد العزيز الشناوي، **الدولة العثمانية**، ١/ ٤٢٢؛ سيد محمد محمود، **الحكم العثماني في الحجاز**، ص ٧٨.

سليم الأوَّل على منصب القضاء في أيدي المكيين[١]، وفي عهد السلطان سليمان القانوني(٩٢٦-٩٧٤هـ/ ١٥٢٠-١٥٦٦م)[٢] تغير الوضع، حيث قام بتعيين قاضٍ عثماني على المذهب الحنفي - المذهب الرسمي للدولة - في منصب قاضي قضاة مكة المكرمة عام ٩٤٣هـ/ ١٥٣٦م، وفي العام التالي تم تعين قاضٍ للمدينة المنورة[٣].

وكان القضاة في الحرمين الشريفين يُعيَّنون مِن إستانبول[٤]، ويختارون مِن فئة المولى الكبير، بترشيح من شيخ الإسلام، ويوافق الصدر الأعظم على تعيينهم، ويصدر السلطان قرارًا بتعيينهم في مناصبهم[٥]. وكان لا يتم تعيين قاضي إستانبول إلا إذا كان قد سبق له تولي منصب القضاء في أحد الحرمين الشريفين[٦]، ولعلَّ الهدف مِن وراء ذلك أنْ يكون قد زاد علمًا بلقائه العلماء المسلمين مِن مشارق الأرض ومغاربها، حيث إنَّ منصب قاضٍ في الحرمين مِن أعلى درجات القضاء في الدولة، وكان يأتي قبله قاضي إستانبول الذي

---

(١) إبتسام كشميري، **مكة بداية الحكم العثماني**، ص ٧٠، ٧٨.

(٢) **سليمان القانوني**: ابن السلطان سليم الأوَّل. ولد فِي غرة شعبان ٩٠٠هـ/ ٢٧ أبريل ١٤٩٥م،وتولى الحكم فِي ١٦ شوال ٩٢٦هـ/ ٢٩ سبتمبر ١٥٢٠م،وهو مِن أعظم سلاطين الدولة العثمانية؛ وتميز عهده بالرخاء والازدهار، توسعت فيه الدولة؛ حيث قام بثلاث عشرة حملة ترتب عليها أنْ وصلت مساحتها في عهده إلى حوالي ١٥ مليون كيلو متر مربع، وشمل الازدهار جميع مناحي الحياة السياسية، والعلمية، والثقافِية، والقانونية، والمالية، حتى بلغت فِي زمنه ذروتها. وقد اشتهر بالقانوني؛ لأنَّه قام بتدوين القوانين وتطبيقها على الجميع دون أي تمييز. وتوفي فِي ٢٠ صفر ٩٧٤هـ/ ٥سبتمبر ١٥٦٦م، بعد حكم دام ستة وأربعين عامًا. محمد فريد، **الدولة العلية**، ص ١٩٨-٢٥٢؛ أحمد آق كوندز وسعيد أوزتوك،**الدولة العثمانية**، ص ٢٣٥-٢٤٤.

(٣) إبتسام كشميري، **مكة في بداية الحكم العثماني**، ص ٩٩.

(٤) محمد الكردي المكي، **التاريخ القويم**، ٥/ ٤٢١-٤٢٢.

(٥) عبد العزيز الشناوي، **الدولة العثمانية**، ١/ ٤٢٨.

(٦) أوليا جلبي، **الرحلة الحجازية**، ترجمها عن التركية وقدَّم لها: الصفصافي أحمد المرسي، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط ١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، ص ١١٤.

يرأس قضاة الدول أجمعين[١]. وكان يعمل تحت إمرة القاضي أربعة قضاة يمثلون المذاهب الأخرى في كُلِّ محكمة، ولكن أطلق على المحكمة الحنفية والتي عُرِفَتْ بالمحكمة الكبرى، وكان يودع فيها سجلاَّت المحاكم الثلاث مرة كُلّ ثلاثة أشهر[٢].

وتجدر الإشارة إلى أنَّ القضاة العثمانيين كانوا يزهدون في قضاء الحرمين، لقلة مدخولهم مِنْه؛ مِمَّا اضطر الدولة إلى اتخاذ إجراءات لترغيبهم فيه، ففي أواخر القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي، صدر قانون نصّ على أنَّ كل مَن يصبح قاضيًّا بمكة المكرمة، وينهي مدة الخدمة المحددة هناك يصبح قاضيًّا لإستانبول أو بدرجة قاضي إستانبول، فأصبح منصب قاضي مكة المكرمة جذابًا، وازداد عدد الراغبين فيه بدرجة كبيرة[٣].

وكان للقضاة دورٌ رقابيٌّ مهمٌّ في الحرمين، وإقرار العدل والمساوة بين الأهالي، والتحقق مِن مدى التزام المؤسسات الإدارية والمالية بالشرع والقانون[٤]، وقد أسند إليهم منصب نظر الحرم، والإشراف على الأوقاف، وكان لهم المشاركة في لجان توزيع المساعدات، فظلّ لهم الإشراف على هيئة الموظفين المشرفين على إقامة وتنفيذ شعائر الدين، ومِنْهم: الخطباء، والمؤذنون، والقائمون على الخدمات العامة للحرم[٥]. وكان يرأس مراسم تنصيب شريف مكة، ويتولى تقديم الخلع السلطانيَّة[٦]، ومِن المهام غير المعلنة لقاضي مكة المكرمة، أنَّه كان يكتب تقارير سرية إلى الباب العالي عن سلوك وتصرفات كُلّ مِن الشريف والوالي، كما كان يبدي رأيه في مَنْ

(١) محمد عبد الطيف هريدي، شئون الحرمين، ص ٣٢.
(٢) إسماعيل جارشلي، أشراف مكة، ص ١١٧.
(٣) إسماعيل جارشلي، أشراف مكة، ص ١١٦.
(٤) سيد محمد محمود، الحكم العثماني في الحجاز، ص ٦٧-٦٨.
(٥) إبتسام كشميري، مكة في بداية الحكم العثماني، ص ٧١.
(٦) محمد الكردي المكي، التاريخ القويم، ٥/ ٤٢١.

سيتولى منصب الشرافة(١).

هذا، وقد كان القضاة وتابعوهم يقومون بأعمالهم نظير رواتب سنوية مالية وعينية من دخل ميناء جدة، أو مِن الصرة القادمة من مصر(٢)، بالإضافة إلى الرسوم القضائية، حيث خصص ٥ ,٢٪ من رسوم التقاضي لتغطية نفقات المحكمة، وكان هذا المبلغ يخصم مِن المدعى المعني أو من يدفعه الطرف الذي يربح القضية(٣)، وكان ذلك يدر إيرادًا وفيرًا، فضلًا عن أنَّهم كانوا يتقاضون جزءًا مِن الرسوم المقررة على معاينة التركات وتقسيمها، والمبايعات، ورسوم الزواج، وتسجيل الحجج الشرعية(٤).

وكان مقرّ القضاة في مكة المكرمة والمدينة المنورة في مدرستي السلطان قايتباي، وكان سكنهما فيهما أيضًا(٥).

وتميز القضاء العثماني في بداية عهده بقوة سطوته وعدالته، إلى أنْ اعتراه ما أصاب الدولة مِن ضعف(٦)، وانتشرت الرشوة والفساد بين القضاة في الحرمين، الذين كان معظمهم لا يعرف مِن اللغة العربية إلا قليلاً، فكان القاضي يخضع تحت يدي مترجمه الذي كان يشير على كُلّ قاضٍ جديدٍ بطرق الارتشاء الدارجة في المنطقة، وقد صارت رسوم التقاضي باهظة، وعادة ما تبتلع ربع المبلغ محل التقاضي، وكان حكم

---

(١) محمد عبد اللطيف هريدي، **شئون الحرمين**، ص ٣٣..

(٢) إسماعيل جارشلي، **أشراف مكة المكرمة**، ص ١١٥-١١٦.

(٣) هاميلتون غِب وهارولد بووِن، **المجتمع الإسلامي والغرب: دراسة حول تأثير الحضارة الغربية في الثقافة الإسلامية بالشرق الأدنى في القرن الثامن عشر الميلادي**، ج ١، ترجمة ودراسة: أحمد إيبش، إصدارات دار الكتب الوطنية، أبو ظبي، ط ١، ٢٠١٢م، ص ١٨٣

(٤) عبد العزيز الشناوي، **الدولة العثمانية**، ١/ ٤٢٢.

(٥) محمد علي فهيم بيومي، **مخصصات الحرمين الشريفين في مصر إبان العصر العثماني في الفترة (٩٢٣-١٢٢٠هـ/ ١٥١٧-١٨٠٥م)**، دار القاهرة للكتاب، القاهرة، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م، ص ٣٥٠.

(٦) إبتسام كشميري، **مكة في بداية الحكم العثماني**، ص ١٠٠.

القاضي ينتهي غالبًا لصالح مَنْ يستطيع أنْ يدفع الرشوة أولاً[١]، وفي بعض الأحيان كانت الدولة تقوم بعزل القاضي بسبب سوء تصرفاته، كما حدث عام ١١٦٩هـ / ١٧٥٥م، حينما تم نفي قاضي مكة لترديده الشائعات في المجالس التي يظهر فيها[٢].

٥. الإفتاء:

شكَّل الإفتاء قطاعًا مُهمًّا في الدولة العثمانية، وكان المفتون يعينون في المدن، ويقومون بمهام مناصبهم بجانب القضاة، ولكن مركزهم أقل مِنْهم، وأهم ما يميز منصبهم أنَّهم كانوا يظلون مدى الحياة، دون التقييد بسنٍّ معينةٍ، وكانت مَهَمَّتهم إصدار الرأي القانوني في المسائل التي يطلب مِنْهم بحثها، فيعكفون على دراستها في ضوء المذهب الحنفي، ثم يسجلون رأيهم على ورقة معدة ومختومة، وكان الرأي الذي ينتهي إليه يسمى فتوى، وقد كان مجالهم محدودًا ومرتبطًا بالدولة، ثم اتسعت سلطاتهم حينما سمح للأفراد بالالتجاء إليهم للحصول على فتوى لتقديمها للمحكمة، كمستند يدعم موقفه في القضية، وكانت مثل هذه الفتوى تحسم القضية في الغالب لصالحه[٣].

ولم تتجه الدولة العثمانية إلى تعيين موظف عثماني في الإفتاء، مثلما كان الحال في القضاء، ولكنَّها تركته في أيدي بعض الأسر المكية التي باشرت الفتوى والإفتاء طوال العصر العثماني[٤]، وعلى الرغم من أنَّ المذهب الحنفي كان المذهب الرسمي للدولة - كما

---

(١) جون لويس بوركهارت، **ترحال في الجزيرة العربية**، ترجمة وتقديم: صبري محمد حسن، المركز القومي للترجمة (١٢١٠)، القاهرة، ط١، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٧م، ص ٢٨٧-٢٨٨.

(٢) محمد عبد اللطيف هريدي، تاريخ شبه الجزيرة العربية مِن المصادر التركية العثمانية، دار الزهراء للنشر، القاهرة، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م، ص ٢٩.

(٣) عبد العزيز الشناوي، **الدولة العثمانية**، ١ / ٤٣٢-٤٣٣.

(٤) أحمد السباعي، **تاريخ مكة**، ٢/ ٥٤٠.

ذكر آنفًا - فإنَّ العثمانيين سمحوا في الأقاليم التي فتحوها، بوجود مفتين على المذاهب الثلاثة الأخرى، حتى يقدموا الفُتيا لأتباع المذاهب التي ينتمي إليها أهل الأقاليم[١]، وكان يرأس الجميع مفتي الحنفية الذي يمثل الدولة[٢].

وقد خصصت صرة الجوالي الآتية مِن مصر، للمفتين في العصر العثماني مُرتبات تحت بند «براي وظائف حرم شريف مكي»، و«براي حرم شريف نبوي»، و «سنويات مكة مكرمة مذكورين»، و«سنويات مدينة منورة مذكورين»، حيث فرضت مرتبات كبيرة لهم وبخاصة الصرة المصرية، سواء مالية أو عينية، وكانت هذه الأموال توفر دخلاً كبيرًا لهؤلاء المفتين، خاصة وأنَّ الدولة لم تكن تفرض لهم مرتبات، فقامت مصر بهذا الدور سواء من النقد أو من الغلال، بالإضافة إلى ما كانوا يحصلون عليه من كساوى فاخرة[٣].

وتجدر الإشارة إلى أنَّه في بعض الأحوال كان يتم إدخال المفتي في ذلك الصراع الدائر بين الأشراف، حيث يلجأ إليه بعض الأشراف وينتزعون منه بعض الفتاوى ضد خصومهم، ثم يطلبون من القاضي أنْ يحكم بموجبها على أولئك الخصوم. ولكن نلحظ أنَّ ذلك لم يكن إلا بشكل عارض، وقد تولى الإفتاء العديد من الأسر المكية المشهورة، والتي أدت دورًا مهمًّا في مجتمع الحجاز، وأحدثت توازنًا في الهيئة الدينية في المنطقة مع القاضي العثماني الذي يرسل مِن إستانبول[٤].

(١) عزت إبراهيم الدسوقي، **الحياة الدينية الإسلامية في مصر في العصر العثماني (٩٢٣-١٢١٣هـ/ ١٥١٧-١٧٩٨م)**، رسالة دكتوراه، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، ص ٣٩.

(٢) هاميلتون وهارولد، **المجتمع الإسلامي والغرب**، ٢/ ١٨١؛ محمد الكردي المكي، **التاريخ القويم**، ٥/ ٤٢٢.

(٣) محمد فهيم بيومي، **مخصصات الحرمين**، ص ٣٤٤.

(٤) أحمد السباعي، **تاريخ مكة**، ٢/ ٤٢٠-٤٢١.

٦. شيخا الحرمين:

كان منصب شيخ الحرم المكي، أو شيخ الحرم النبوي مِن المناصب المهمة في الجهاز الإداري والعسكري في الحجاز؛ حيث كانا يمثلان السلطان في خدمة الحرمين، وكان في الأصل مِن سلك الجندية، وتحت إمرة كُل مِنْهما خمسمائة جندي(١)، أو كان يعين من أحد أفراد أرباب القلم، حيث يقوم عندئذ بوظيفة قاضي مكة، أو قاضي المدينة في الوقت نفسه، وكان يخصص لكل واحدٍ منهما الرواتب النقدية، وتعيينات عينية(٢).

ازدادت أهمية منصب شيخ الحرم النبوي في أواخر القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي، وأصبح بمثابة حاكم للمدينة المنورة (٣).

وقد وقع على عاتق كُلّ مِنْهما مَهَمَّة مُتابعة كُلّ صغيرة وكبيرة في الحرم المكي أو الحرم النبوي، ورفع احتياجاتهما أولاً بأول إلى الدولة، وكذلك توجيه الوظائف للمستحقين، وتحديد رواتبهم، وتخصيص التعيينات النقدية والعينية، وتوزيعها على الفقراء والمحتاجين، وإعداد الدفاتر المُفَصَّلة لعرضها على الدولة، وكذلك متابعة ما يجري من إصلاحات أو ترميمات تحت نظارة قاضي مكة وقاضي المدينة، وكان يساعدهما في أداء هذه المهام، ومتابعتهما ناظرُ الحرم المكي، وناظرُ الحرم النبوي، والعديد مِن الكُتَّاب، والمباشرين، والفراشين(٤).

وتجدر الإشارة إلى أنَّ منصب شيخ الحرم مثَّل بعض المُتناقضات في الجهاز الإداري في الحجاز، فعلى الرغم مِن سلطاته الواسعة، وكونه مِن أرباب الجند؛ فإنَّه كان لا يستطيع أنْ يتدخل في تعيين قائد حامية القلعة في

---

(١) محمد عبد اللطيف هريدي، **شئون الحرمين**، ص ٣١.

(٢) سيد محمد محمود، **الحكم العثماني في الحجاز**، ص ٦٨ حاشية ٣.

(٣) محمد عبد اللطيف هريدي، **شئون الحرمين**، ص ٣١.

(٤) سيد محمد محمود، **الحكم العثماني في الحجاز**، ص ٦٩.

المدينة المنورة[1]، بل وقامت بينهما كثير مِن الخلافات التي تطورت إلى معارك طاحنة استعان كُلّ مِنْهما ببعض القوى الواقعة خارج المدينة، الأمر الذي ترتب عليه كثير مِن الاضطرابات والفوضى في المدينة، كما سيتضح خلال دراسة المخطوط وتحقيقه.

❑ ❑ ❑

(١) محمد عبد اللطيف هريدي، شئون الحرمين، ص ٣١.

ثالثًا- مظاهر اهتمام العثمانيين بإقليم الحجاز:

أولى العثمانيون اهتمامًا بالغًا بإقليم الحجاز؛ لأنَّه يحوي الحرمين الشريفين، وذلك مِن خلال فرض حزام أمني يمنع أي عدوان أوروبي عليه، وذلك مُنذ بدء سيطرتهم على المشرق العربي[١]، كما عملوا على توفير سبل الراحة والرخاء لأهله، فقاموا بإرسال الأموال والغلال، وأوقفوا الوقفيات للإنفاق على الحرمين الشريفين والقبائل القاطنة هناك، ومِن ناحية فقد اهتمُّوا بتأمين حجاج بيت اللَّه الحرام، الذين يأتون مِن كل فجٍ عميق، لأداء إحدى فرائض الإسلام؛ ولذلك عملت الدولة على تأمين طرق الحجاج، مِن خلال إشرافها المباشر على قوافل الحج في طرقها ذهابًا وإيابًا، وذلك انطلاقًا مِن كون السلطان العثماني «خادم الحرمين الشريفين»؛ وذلك يمنحه مكانة دينية وسياسية كُبرى في العالم الإسلامي.

١. تأمين قوافل الحج:

كان في العصر العثماني أربع قوافل[٢]، ولكنَّها لم تكن بنفس الأهمية، ولم يَحْظَ بعضها بالاستمرارية، بل كان يتأثر بقاؤها بالقوّة السياسيَّة والعسكريَّة للدولة العثمانيَّة في المنطقة، وسنعرض لهذه القوافل للوقوف على أهميتها بالترتيب على النحو التالي:

قافلة الحج المصري[٣]: وتضم حجيج مصرَ، وبلاد المغرب، وغرب

(١) عمر سالم بابكور، حزام الأمن العثماني حول الحرمين الشريفين، ص ١٦٥ وما بعدها.

(٢) الصفصافي أحمد القطوري: **قوافل الحج فِي العصر العثماني**، مجلة حراء، العدد الثاني، السنة الأولى، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، إستانبول، ص ٣٤-٣٩.

(٣) سميرة فهمي علي عمر، **إمارة الحج في مصر العثمانيَّة** (٩٢٣-١٢١٣هـ/ ١٥١٧-=

أفريقيا،وَكانت مِن أهم القَوَافِل خلال العصر العثمَاني،حيث كانت تضم المحمل المصري، وكسوة الكعبة المشرفة[١]، وكان أمير الحج المصري - الذي صار مِن كبار موظفي الدولة - يخرج بالقافلة في احتفال مهيب، وكانت تتخذ الطريق البري عبر سيناء، ثم الحجاز، وصولاً إلى مكة، وفي بعض الأحيان تتخذ الطريق البحري؛ حيث كانت تتجه إلى السويس، ثم تبحر مِنْها إلى جدة، وكان يصاحبها قوة عسكرية لحمايتها مِن هجمات العربان وقطاع الطرق.

قافلة الحج الشامي[٢]: مِن أهم القوافل في العصر العثماني، حيث إِنَّها تضم الحجاج مِن الشام، والجزيرة، وكردستان، والقوقاز، وآذربيجان، وإيران، والأناضول، والقرم، وأوروبا، وكانت مدينة دمشق مركزًا لتجمع أولئك الحجاج، حيث يقود القافلة والي دمشق، وقد صارت إمارة الحج في ذلك العهد ضمن اختصاصاته، وظلّ الأمر كذلك حتى عام ١٢٩٣هـ/ ١٨٧٦م، حينما انفصلت عن الوالي وصار لها أمير خاص. وكان والي دمشق

= ١٧٩٨م)، سلسلة تاريخ المصريين (٢٠١)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م، ص ١٦٣ وما بعدها

(١) **كسوة الكعبة**: كانت كسوة الكعبة فِي العصر الإِسلامي تصنع في مصر، ما عدا بعض فترات الاضطرابات، وعقب الفتح العثماني ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م، استمرت كسوة الكعبة تخرج من مصر في صحبة المحمل، وكانت هناك الكسوة الخارجية، والداخلية، والأولى كانت تجدد كل عام، أما الأخرى فقد اختلف وضعها حيث كانت غير معرضة لعوامل البلاء، ولذلك كنت تغير كل فترة طويلة، وبعد ذلك صارت الدولة العثمانية ترسلها من إستانبول. أميرة بنت علي مداح، **اهتمام العثمانِيين بكسوة الكعبة وتطورها فِي العصر الحديث (٩٢٣-١٣٤٦هـ/ ١٥١٧-١٩٢٧م)**، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، ج ١٧، ع ٣٥، ذو القعدة ١٤٢٦هـ/ ديسمبر ٢٠٠٥م، ص ١٤٢-١٧٧.

(٢) عبد الكريم رافق، «**قافلة الحج الشامي وأهميتها في العهدالعثماني**»، مجلة دراسات تاريخية، سوريا، ع٦، أكتوبر ١٩٨١م، ص ٥-٢٨؛ إبراهيم فاعور صيتان الشرعة، «**موقف القبائل البدوية مِن قافلة الحج الشامي في القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين**»، مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، الأردن، مج ٢٩، ع ٢، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، ص ٣١٩-٣٤٨؛ منير كيال، **محمل الحج الشامي: دراسة توثيقية**، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، د.ط، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م

مسئولاً أمام الباب العالي عن أمن قافلة الحج وسلامتها مِن غارات القبائل العربية الواقعة على طول طريق الحج حتى مكة المكرمة، وكان يتراوح عدد هذه القافلة في كل عام ما بين الثلاثين والخمسين ألفًا من الحجاج.

قافلة الحجِّ العراقي(١): وتضم حجاج العراق وفارس، وتسلك الطريق التي تعبر الجزيرة العربية، حيث تتجه مِن الكوفة عبر نجد وبلدانها المختلفة، حتى تصل إلى مكة، وقد اشتهر هذا الطريق بـ: درب زُبَيْدَة، نسبة إلى السيدة زبيدة زوج الخليفة العباسي هارون الرشيد (١٧٠-١٩٣هـ/ ٧٨٦-٨٠٩م) وَكَانَ كثير مِنْ حجاج فارس والخليج العربي يفضلون طَرِيق البَحْر والسفن البَحْرية.

قافلة الحجِّ اليمني(٢): وتضم حجيج اليمن والهند وماليزيا وأندونيسيا، وينضم إليهم حجاج الحبشة والصومال والأفارقة الَّذِينَ يصلون إِلَى مصوع وسواكن وموانئ اليمن، ولم تكن هذه القافلة تخرج بشكل منتظم وبخاصة بعد خروج العثمانيين مِن اليمن بعد حكمهم الأوَّل (٩٤٥-١٠٤٥هـ/ ١٥٣٨-١٦٣٥م)، فصار الحجاج يأتون في جماعات مُنفردة، ولم يهتم شريف مكة بهذه القافلة مثل القوافل الأخرى.

وهذه القوافل كانت تخرج تحت رعاية، يصحبها قوّة عسكرية، كما عملت الدولة على توفير حفر آبار الماء على طول الطرق التي تسلكها القوافل، وإنشاء منازل استراحة للحجاج في المدن والقرى الرئيسة، والتي

---

(١) علي كامل حمزة السرحان، «**قافلة الحج العراقي وأهميتها في العهد العثماني**»، مجلة كلية التربية الأساسية، جامعة بابل، العراق، ع١٢، حزيران ٢٠١٣م، ص ٨٦-٩٣؛ سليمان بن عبد الغني المالكي، «**طريق ركب الحج العراقي من الكوفة إلى مكة من الفتح الإسلامي حتى سقوط بغداد**»، مجلة الدارة، الرياض، مج٩، ع٢، ١٩٨٣م، ص ٨-٢٧.

(٢) سيد مصطفى سالم، **الفتح العثماني الأوَّل لليمن (١٥٣٨-١٦٣٥م)**، دار الأمين للطباعة والنشر، القاهرة، ط٥، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، ص ٤٧٨-٤٧٩؛ محمود علي عامر، **قافلة الحج اليمني في العهد العثماني**، مجلة كلية الآداب، جامعة صنعاء، اليمن، ع ١٣، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، ص ٣٥٥-٣٧٩

كان يرابط فيها حامية عثمانية، ولذلك فقد ارتبطت هيبة السلطان وقتئذ بمدى قدرته على إخراج قوافل الحج وتأمينها، حتى لا تمس جراء ذلك مكانته الدينية والسياسية في نظر المسلمين(١).

٢. تأمين الحرمين الشريفين:

منذ أنْ سيطر العثمانيون على الحجاز أصبح شغلهم الشاغل هو كيفية المحافظة على هذه المنطقة وتأمينها ضد أي عدوان أجنبي، فقد ضمُّوا الحجاز في فترة كانت مُحدقة بالأخطار مِن جراء غزو البرتغاليين، الذين تمكنوا مِن مُهاجمة ميناء جدة(٢)- الذي يُعَدُّ بوابة مكة المكرمة - فأصبحوا قاب قوسين أو أدنى مِن الحرمين الشريفين، وصار على العثمانيين استكمال ما بدأه المماليك(٣)، فقاموا مِن فورهم باتخاذ إجراءات بالغة الأهمية لتأمين هذه المنطقة وحمايتها.

كانت أُولى بوادر اهتمام العثمانيين في ذلك، إرسال حملة للسيطرة على سواحل اليمن بقيادة سليمان باشا الخادم عام ٩٤٥هـ/ ١٥٣٨م، ونجحت في ضم العديد مِن المواقع الاستراتيجية المُهمَّة مثل: عدن، المخا، جزيرة قمران، وصارت تابعة بصورة رسمية للعثمانيين(٤)، ثم توجهت جهود العثمانيين بعد ذلك إلى الساحل الغربي للبحر الأحمر، حيث نجحوا في السيطرة على مينائي سواكن عام ٩٦٢هـ/ ١٥٥٥م، ومصوع ٩٦٤هـ/ ١٥٥٧م، وعندئذ صاروا على

---

(١) حسام عبد المعطي، العلاقات المصرية الحجازية، ص ٢١٣.

(٢) فائق بكر الصواف، «أهمية ثغر جدة في النصف الأول مِن القرن العاشرالهجري/ السادس عشر الميلادي»، مجلة الدارة، الرياض، ع٢، مج ٦، ربيع الأوَّل ١٤٠١هـ/ يناير ١٩٨١م، ص ٢١٠.

(٣) طارق نافع الحمداني، «القوى البحرية العربية ودورها في مواجهة البرتغاليين في البحر الأحمر والمحيط الهندي في بداية القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي»، مجلة الدارة، الرياض، ع ٤، مج ١٠، رجب ١٤٠٥هـ/ مارس ١٩٨٥م، ص ١٤٢-١٥٣.

(٤) فاروق عثمان أباظة، أثر تحول التجارة، ص ١٢٣-١٢٨؛ سيد محمد محمود، الحكم العثماني في الحجاز، ص ٩٨-٩٩.

مقربة مِن مملكة الحبشة، فوقع بينهما تحالف لمواجهة الخطر البرتغالي في المنطقة، وتعاهدا معًا على إغلاق الموانئ الحبشية أمام السفن البرتغالية(١)، وقد نجحت جهودهما في درء الأخطار في هذه المنطقة، والتي نجمت نتيجة النشاط الاقتصادي والعسكري البرتغالي، وكللت مساعي العثمانيين بالنجاح نهاية الأمر، حيث أحكموا السيطرة على معظم سواحل البحر الأحمر، الذي أصبح بمثابة بحيرة عثمانية(٢).

وإحكامًا في إضفاء الأمن في البحر الأحمر، قامت الدولة العثمانية بإغلاقه في وجه الملاحة الأوروبية، فحرَّمت عليها الإبحار شمالي ميناء المخا اليمني، فكانت هذه السفن تفرغ شحناتها في هذا الميناء، ثم يعاد شحنها مرة أخرى على سفن إسلامية، فتمخر عباب البحر، وتمر على الثغور المهمة فيه مثل جدة، وينبع، والسويس(٣)، وظل ذلك الأمر حتى نهاية القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي.

في أواخر القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي، بدأ العثمانيون يسمحون للسفن بالتوجه إلى جدة، حتى تستفيد الدولة من الرسوم التي تفرض على السفن، وفي تلك الآناء، عقد محمد بن أبي الذهب معاهدة مع شركة الهند البريطانية، التي عرفت بالمعاهدة المصرية البريطانية ١١٨٩هـ/ ١٧٧٥م(٤)، ومِن خلالها يسمح لهم بالتوجه مباشرة إلى

---

(١) عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، «**النشاط التجاري في البحر الأحمر في العصر العُثمانِي (١٥١٧-١٧٩٨م)**»، مجلة الدارة، العدد الثاني، السنة السادسة، الرياض، ربيع أول ١٤٠١هـ/ يناير ١٩٨١م، ص ٩٤-٩٥.

(٢) عرفة محمد حماد، «**سياسة الدولة العثمانية تجاه الساحل الغربي للبحر الأحمر**»، مجلة دراسات حوض النيل، عمادة البحوث والتنمية والتطوير، جامعة النيلين، السودان، مج٩، ع١٧، يوليو ٢٠١٥م، ص ٢٥٥-٢٥٦.

(٣) فاروق عثمان أباظة، **أثر تحول التجارة**، ص ١٣٣.

(٤) شهد النصف الثاني مِن القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي تطلع الدول الأوروبية إلى دخول البحر الأحمر، الذي كان مُحَرَّمًا عليها دخوله - كما ذكر آنفًا- وقد كانت هناك عدة عوامل ساعدت علَى ذلك، ومِنْها: أولاً- ضعف الدولة العثمانية، والَّذِي =

ميناء السويس[١]، وقد احتج شريف مكة على هذه المعاهدة، ورفع شكواه إلى السلطان العثماني، الذي قام بدوره بالتدخل لإلغائها؛ للمحافظة على دخل الدولة مِن الضرائب، وإضعاف المماليك، وحماية الأراضي المقدسة الإسلامية.

٣. المخصصات المالية للحرمين الشريفين:

لم يكن اهتمام العثمانيين بإرسال بعض المخصصات المالية للحرمين الشريفين وليد مرحلة ضمهم للحجاز عام ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م، بل يرجع إلى ما قبل ذلك، حيث حرص بعض سلاطين الدولة العثمانية على إرسال الصُّرَّة[٢]، التي تحوي كثيرًا مِن المخصصات إلى هذه المنطقة،

= بدى واضحًا خلال حروبها مع الروسيا. ثانيًا ظهور أهمية البحر الأحمر في الطريق إلى الشرق خلال حرب السنوات السبع بين إنجلترا وفرنسا (١٧٥٧-١٧٦٣م) لنقل البريد والمسافرين. ثالثًا- توقيع معاهدة باريس ١٧٦٣م، التي أطلقت يد إنجلترا فِي الهند فاقتصر اهتمام الحكومة الإنجليزية على إيجاد أصلح الطرق وأقصرها، ولذَلِكَ فكروا فِي الطريق البري عبر مصر، فالرحلة من مِدراس إلى لندن عبر مصر تستغرق ثلاثة وستين يومًا أي ربع مدة الرحلة بطريق رأس الرجاء الصالح. رابعًا- تطلع شركة الهند الشرقية البريطانية إلى فتح طريق مباشر بين الهند والسويس. ولقد اتخذت أهم الخطوات فِي سبيل تحقيق ذلك فِي عهد علي بك الكبير الذي أقنعه مستشاره المالي Carli Rossetti كارلو روستي بأن زيادة موارد مصر يكمن فِي فتح طريق التجارة بين الهند والسويس مباشرة. للمزيد عن المحاولات الأوروبية في الدخول إلى البحر الأحمر انظر: عمر عبد العزيز، **المشرق العربي**، ص ٢٢٤-٢٣٢؛ حسام عبد المعطي، **العلاقات المصرية الحجازية**، ص ١٧٤-١٧٩.

(١) James Capper, **Observation on the Passage to India through Egypt and across the great desert. in (1778-1779)**, London 1785, P. VII.

(٢) **الصُّرَّةُ**: الصرة لغة هي: ما يُصَرُّ على الشيء لجمعه وحفظه. واصطلاحًا هي: ما ترسله الدول الإسلامِيَّة سنويًا مِن أموال عينية إِلَى الحرمين الشريفين لإعانة الدَولة والحجيج والساكنين بمكة والمدينة. وعادةً ما ترسل الصُّرة مع المحمل المتوجه إلى الحرمين، وكانَ هناك أمين للصرة يتولى توزيعها، بعد لقاء شريف مكة المكرمة. انظر: لمياء أحمد عبد اللَّه شافعي: «**الصرة العثمانيَّة الموجهة إلى مَكةَ المكرمة (٧٩١-٩٧٤هـ/ ١٣٨٩-١٥٦٦م)**»، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات الإسلاميَّة، ع ٥٤، محرم =

وهؤلاء السلاطين: بايزيد الأوَّل (٧٩١-٨٠٥هـ/ ١٣٨٩-١٤٠٢م)، ومحمد الأوَّل (٨١٦-٨٢٤هـ/ ١٤١٣-١٤٢٢م)،والسلطان مُراد الثاني (٨٢٤-٨٥٤هـ/ ١٤٢١-١٤٥١م)، وبايزيد الثاني (٨٨٦-٩١٨هـ/ ١٤٨١-١٥١٢م)، ولا ريب أنَّ ذلك قد أدَّى إلى وجود ترابط بين العثمانيين وأهل الحجاز قبل امتداد نفوذهم السياسي للمنطقة(١).

وبعد ضمّ الحجاز للعثمانيين صارت الدولة العثمانية ترسل الصُّرَّة إلى الحجاز بصورة سنويَّة، حيث كانت تخرج مِن الخزينة المصريَّة حتى عام ١١٢٦هـ/ ١٧١٤م، حيث ألغى السلطان إرسالها مِن مصر، وقرَّر أنْ تخرج مِن إستانبول(٢)، ويتسلَّمها أمين الصُّرَّة هناك، وكانت ترسل مِن إستانبول في شهر رجب مِن كُلّ عام في احتفال كبير، حتى تصل إلى والي الشام، الذي يقوم بتأمينها حتى وصولها إلى الحرمين الشريفين، وكانت توزع هناك بمعرفة أمين الصُّرَّة، حيث كان معه دفتر بأسماء المستحقين، ويتم الحصول إلى توقيع مَن يصرف نصيبه، وتوضع إشارة على اسم المتغيب، أو المتوفى، وكان الأمين يعود بالدفتر إلى إستانبول مع رسالة الشريف للسلطان(٣).

أبقى العثمانيون على جميع الأوقاف، والعادات، والصدقات التي كانت جارية على الحرمين الشريفين وأهلهما، منذ أنْ ضمت المنطقة إلى دولتهم، بل وأضافوا إليها أوقافًا جديدة(٤)، وتسابق رجال ونساء البلاط العثماني في إرسال الهبات إلى الحرمين الشريفين، والمساهمة في الأعمال الخيرية هناك(٥).

ويتضح مما سبق أنَّ الدولة العثمانيَّة سعت إلى ضمّ الحجاز في مطلع

= ١٤٣٣هـ، ص ٤١٣-٤٥٦.

(١) ابتسام كشميري، **مكة بداية الحكم العثماني**، ص ٤٠.

(٢) محمد فهيم بيومي، **مخصصات الحرمين**، ص ١٢٤-١٢٥.

(٣) محمد عبد اللطيف هريدي، **شئون الحرمين الشريفين**، ص ٣٥-٣٦.

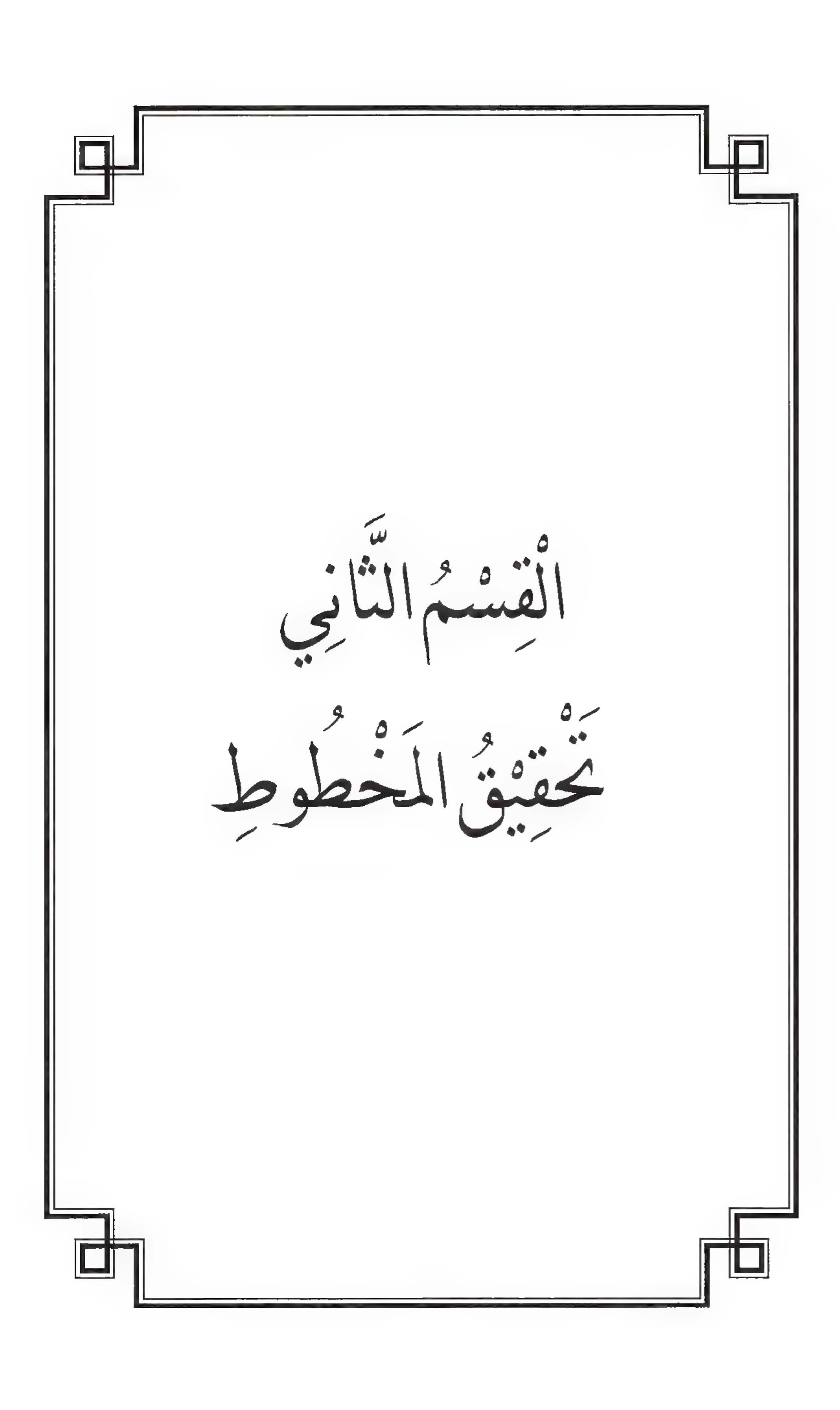
(٤) محمد فهيم بيومي، **مخصصات الحرمين**، ص ٥٥-١٢٩.

(٥) سيد محمد محمود، **الحكم العثماني في الحجاز**، ص ١٣٠-١٣١.

العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي لأسباب عدة لعلّ أهمها الإشراف على الحرمين الشريفين، وقد اهتمت الدولة بإحداث نظام إداري يتناسب مع هذه المنطقة من حيث الإبقاء على منصب شريف مكة المتواجد فيها مُنذ القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، ولكن لإحداث نوع مِن التوازن في السلطة أقامت ولاية جدة، التي كان يتولّى حكمها أحد قيادات الدولة، وكان يساعدهما كثير مِن الموظفين مثل: قاضيي مكة المكرمة والمدينة المنورة، والمفتين، وشيخي الحرم المكي والنبوي، وغيرهم.

وقد أولت الدولة العثمانية للحجاز عناية خاصة، تجلّت في إعفاء أهله من أيَّة ضرائب، أو إخضاعهم لنظام الإقطاع العسكري، وعملت على توفير الحماية اللازمة للمنطقة، وكذلك الرفاهية مِن خلال المخصصات المالية والعينية، فضلاً عن إشرافها المباشر على محامل الحج، وتوفير الطرق الآمنة لها؛ وبذلك نالت الدولة العثمانية مكانة كبرى في العالم الإسلامي، نتيجة خدمتها للحرمين الشريفين.

❐ ❐ ❐



الْقِسْمُ الثَّانِي

تَحْقِيقُ الْمَخْطُوطِ

[مُقَدِّمَةُ الْمُؤَلِّف]

بسم اللَّه الرحمن الرحيم، وبه الإعانة ونسأله التوفيق، وصلى اللَّه تعالى على سيّدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

يا مُوجِد هذا الوجود مِن العدم، ومُكَوِّن الكائنات، ومُختَرِع العالم، نظَّمت حِكْمَتُك هذا النظام بغير مثال تَقَدَّم، وأعجزت الواصفين عن إدراكها بالكيفِ والكمِّ، ورَقا قَلَم قُدرتك على صفحات الدهور ورَقَّم، وحكمت بالفناء على هذه المصنوعات مِن سَالف القِدَم، وبالبقاءِ لوَجْهك الأكرم، فطوبى لِمَن كانت سيرته حسنة، وسلك في دنياه الطريق الأقوم، وويحٌ[1] لِمَن ضلَّ سَعْيُهُ في الحياةِ الدنيا، وكان مِن الذين يَحْسَبون أنهم يُحْسِنون صنعًا، وزَلَّت بهم القدم، وأتاه يوم القيامة نادمًا، وهَيْهَات أنْ ينفعه الندم.

إنَّمَا الْمَرْءِ حَدِيْثٌ بَعْدَه
فَكُن حَدِيْثًا حَسَنًا لِمَنْ رَوَى[2]

سبحانه مِن ملكٍ حكيمٍ قادرٍ، ملكَ رقابَ العالمِ، وأرسل رسله[3] بالهُدى ودين الحقِّ، وبيَّن له [شعاير][4] الشرايع[5]، وما حَلَّل وحَرَّم، فهو

---

(١) وَيْحٌ: كلمة ترحُّم وتوجُّع. وقيل: هي بمعنى ويل. مجمع اللغة العربية بالقاهرة، **المعجم الوسيط**، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط ٤، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، ص ١٠٦١.

(٢) البيت لأبي بكر محمد بن دريد. انظر: أحمد ابن عبد ربه الأندلسي، **العقد الفريد**، ج١، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، ص ١٩٤؛ الحسن بن عبد اللَّه العسكري، **جمهرة الأمثال**، ج١ دار الفكر، بيروت، د.ط، د.ت، ص ٣٥٢.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: رسوله، حيث تأتي مفردة لتستقيم مع ما بعدها.

(٤) زائدة مِن النسخة (ب) ورقة ١. وصوابها: شعائر.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: الشرائع.

نبيه الكريم، وحبيبه المُعظم، ورئِّسهم الأعظم، وإكْسير كيمياء السعادة الذي سلَّم عليه الحجر المُكَرَّم، وأنزل عليه الكتاب الذي ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ﴾[1]، وفيه أعْظَم الحِكَم، أعجز به مَصَاقِع[2] قُرَيْش بغير مازقة وأفحم، وأمَدَّنا باتباع شريعته التي هي نُورٌ على نُورٍ ونَارٌ على عَلَمٍ[3]، صلى اللَّه تعالى عليه صلاة دايمة[4] ما تعاقبت الأنوار والظلم، وعلى آله المُطَهَّرين مِن الأرجاس، أهل المكارم والشِّيَم، وأصحابه نجوم الاقتداء لِمَن بهم يأتمُّ، ومَن شَكَّ في ذلك يأثم.

وبعد، فيقول راجِي فيض غُفرانه، المُفتقر لمحض جُوده وإحسانه، أحقر الخليقة في الحقيقة، المُفتخر/ ق٢/ بأعظم افتخار إذا انتما[5] لخدمة تراب أعتاب العُلما[6] عبد اللَّه بن محمد عبد الشكور المشهور، غفر له ورزقه اللَّه تعالى حسنَ الطَّويَّة والأجور: لمَّا رأيت أحوال الزمان كُلّ حين تتغيَّر، والدَّهر أبو الغير، وهو عبرة لِمَن اعتبر، وفيه تبصرة لِمَن استبصر، عجايبه[7] أكثر مِن وقع المطر، لا تُعَدُّ ولا تُحصر، وما زالت الأيام ترينا عجايبها[8]، وتجيِّش جيوشها وكتائبها، والوقت [ينسي][9] المرء ما يحفظه، وإنْ حفظ شياء[10] فالزمان يلفظه.

وَكَــم مِــنْ عَـجَـائِـبِ شَـاهَـدتـهـا
تَـفُــوق عَـلَـى الـسُّــحـب الْـهُـمَّـعِ

---

(١) القرآن الكريم، **سورة فصلت**، آية رقم ٤٢.

(٢) مَصَاقِع: جمع مِصْقَع، وتعني البليغُ يتفنَّن في مذاهب القول. **المعجم الوسيط**، ص ٥١٨.

(٣) عَلَم: جبل. **المعجم الوسيط**، ص ٦٢٤.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: دائمة.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: انتمى.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: العُلماء.

(٧) كذا في الأصل، والصواب: عجائبه.

(٨) كذا في الأصل، والصواب: عجائبها.

(٩) وردت في الأصل (ينبئ)، والتصويب مِن النسخة (ب)، ورقة ١.

(١٠) كذا في الأصل، والصواب: شيئًا.

فـأتْـــرك فِـــي الْـــحَـــال تـقـيـيـدَهَـا
كَـــأنْ لَـــمْ تَـمُــر عَــلَــى مَـسْـمَعِي
والأذْهَـــــان كُـسِـيَـتْ ثَـــوْب الـنِّـسْـيَـان
والـذّهـــن كـمـا فِـي الْـمَـثَـل خَـــوَّانِ

وكان علم التاريخ مِن أجلِّ العلوم قدرًا، وأسْمَاها مكانةً، وأشهر ذكرًا، وأعْذَبِهَا مُذاكرةً ومُفاخرةً، وأقربها للأذْهان في المُحاضرة، وألطفها معنى، وأشرفها مغنى، حتى قال الإمام الشافعي - رضي اللَّه تعالى عنه: «عِلْمَ التَّارِيخِ يَزِيدُ فِي العَقْلِ»؛ أحببتُ أنْ أجعل تاريخًا يشتمل على ما وقع في عصر ثاني الفتن[١]، وما شاهدناه مِن البلايا والمِحن، وتغيُّر أحوال الزمن، وانقلاب ظَهْر المِجَنّ شامًا ويمن[٢]، مِمَّا خلا مِنْه بطون التواريخ وكتب السِّير، وتناقلته الركبان بدوًا وحضر[٣]، وصَدَّرْتُهُ بترجمة [أسياد الناس][٤] الأفاضل الأكياس، مَعْدِن الشرافة، وأهل الاستحقاق للخلافة، ملوك مكة الأكارم، وحماتها القادة الهواشم، تيجان الملوك، ووسايط[٥] جواهر السلوك، المُنتمين للنبي المختار، وكفاهم بهذا القدر افتخار[٦].

قَـــوْمٌ تَـخَـالُ وُجُـوهَـهُـمْ إِنْ أَشْـرَقَـتْ
يَـــوْمَ الـفَـخَـارِ أَهِـلَّـــةَ الأعْـيَـادِ
رَضَعُوا لِبَانَ الْمَجْدِ فِي حِجْرِ العُلا
فَـعَـلَـوْا عَـلَـى الأكْـفَـاءِ والأنْـــدَادِ

وشرعت فيهم بترجمة الشريف مسعودٍ، وتفايلت[٧] بطالع اسمه

(١) وردت في النسخة (ب) (في عصرنا في الفتن)، ورقة ١.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: يمنًا.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: حضرًا.
(٤) وردت في الأصل (سيّد الناس)، والتصويب مِن النسخة (ب)، ورقة ١.
(٥) كذا في الأصل، والصواب: وسائط.
(٦) كذا في الأصل، والصواب: افتخارًا.
(٧) كذا في الأصل، والصواب: تفاءلت.

المسعودِ، لِنَيْلِ المقصود، فأذكر كُلّ شريف / ق٣/ ، وما صدر في أيام دولته مِن الحوادث، بمقتضى الوقايع[١] والأمُور البواعث، وأسطر ما شاهدته مِن الوقايع[٢]، وأرسل لاقتناص ما لم أشاهده سبق خيول طلايع[٣]، والتزمت فيه التسجيع، وأسقيتُ بِمَا[٤] القريحة روضه المريع، حتى جاء نزهة الأبصار ونادرة الزمان، وتحفة المجالس، وليس الخبر كالعِيان، وأودعت فيه مِن نفايس[٥] الشواهد وغرايب[٦] الأشعار، ما يونَس[٧] بذكره الفَرَزْدَق[٨]، وبَشَّار[٩]، وفي مُفاكهة المُحاضرة حلوةَ [المجاني][١٠]، ما يسرّ بها الحَسَن بن

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: الوقائع.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: الوقائع.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: طلائع.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: بِمَاء.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: نفائس.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: غرائب.

(٧) كذا في الأصل، والصواب: يؤنس.

(٨) **الفَرَزْدَق**: أبو فراس هَمَّام بن غالب بن صعصعة الدارمي التميمي، مِن شعراء الطبقة الأولى في العصر الأموي، لُقِّب بالفرزدق لغلَظه وقِصَرِه. ولد في بني تميم، وقد نال شهرة واسعة، وتَمَيّز شعره بقوة الأسلوب، وكان لا ينشد الشعر بين يدي الخلفاء والأمراء إلا قاعدًا، وله أخبار كثيرة مع شعراء عصره مثل جرير والأخطل، توفي عام ١١٤هـ/ ٧٣٢م في مدينة البصرة بالعراق. عبد الله بن قتيبة الدينوري، **الشعر والشعراء**، ج١، تحقيق وشرح: أحمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ص ٤٧١-٤٨٢؛ خير الدين الزركلي، **الأعلام**، ٨/ ٩٣.

(٩) بَشَّار: أبو مُعَاذ بَشَّار بن بُرد بن يَرْجوخ، أشهر شعراء العربية المولدين، أصله مِن طخارستان (غربي نهر جيحون)، وهو مِن البلغاء الفصحاء المخضرمين؛ حيث عاصر نهاية الدولة الأموية وبداية الدولة العباسية. ولد حوالي عام ٩٥هـ/ ٧١٤م، عند بني عقيل في بادية البصرة، فنشأ وتعلم بها، وكان كفيفًا. اتهم بالزندقة في أواخر حياته؛ فضرب بالسياط، فمات بعدها بقليل عام ١٦٧هـ/ ٧٨٤م، ودُفِنَ في البصرة. هاشم منَّاع، **بشار بن برد: حياته وشعره**، دار الفكر العربي، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، ص ٧-٢٠؛ خير الدين الزركلي، **الأعلام**، ٢/ ٢٥.

(١٠) وردت في الأصل (المحاني)، والتصويب مِن النسخة (ب)، ورقة ٣.

هَانِي[1]، والقاضي الأَرَّجَانِي[2]، وألتمس مِمَّن نظر إليه مِن أرباب الأفكار اللوذعية، والأفهام الزكية، إصلاح ما أفسده القلم بعد التأمّل والانتقاد، وإسبال ذيل الستر كما هو شأن الكرام الأمجاد، فقد يكبو الجواد، ويفل الحسام المُستجاد[3].

وَمَـن ذَا الَّـذِي تُـرْضَـى سَجَايَاهُ كُلُّهَا
كَـفَى الـمَـرْءُ فَخْـرًا أنْ تُـعَـدَّ مَعَايِبُـه[4]

والترتيب فيه أنْ أذكر كُلّ واقعة في محلّها وموضعها، إلاَّ قصة الشيخ النجدي[5] جميعها[6] في موضع واحد بخلاف موقعها لكن في زمن طويل،

---

(١) الحَسَن بن هَانِي: أبو نواس الحسن بن هانيء الحكمي، مِن أشهر شعراء العصر العباسي، ولد في الأحْواز عام ١٤٥هـ/ ٧٥٦م، ثم انتقلت أسرته إلى البصرة ونشأ بها، ثم رحل إلى بغداد واتصل بالخلفاء العباسيين، ومدح بعضهم، ثم رحل إلى دمشق، ثم القاهرة، ثم عاد إلى بغداد فأقام بها. قال فيه الجاحظ: «ما رأيت رجلاً أعلم باللغة، ولا أفصح لهجة مِن أبي نواس». وهو أوَّل مَن نهج للشعر طريقته الحضرية وأخرجه مِن اللَّهجة البدوية، ونظم في جميع أنواعه. توفي في بغداد عام ١٩٨هـ/ ٨١٤م. عبداللَّه بن قتيبة، **الشعر والشعراء**، ٢/ ٧٩٦-٨٠٨؛ خير الدين الزركلي، **الأعلام**، ص٢/ ٢٢٥.

(٢) **القاضي الأرَّجَاني**: أبو بكر أحمد بن محمد بن الحسين ناصحُ الدين الأرَّجَاني الشافعي، ولد عام ٤٦٠هـ/ ١٠٦٥م، في بلدة أرَّجان مِن الأحْواز، وإليها نسبته. وقد عمل قاضيًا في تُسْتَر، بإقليم خُوزستان، وكان أشهر شعراء زمانه، وله ديوان شعر معظمه قصائد مدح في السلاجِقة. توفي في مدينة تُسْتَر ربيع الأوَّل عام ٥٤٤هـ/ يوليو ١١٤٩م. شمس الدين محمد الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج٢٠، حقَّقه وخرَّج أحاديثه وعلَّق عليه: شعيب الأرنؤوط ومحمد نعِيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ص ٢١٠-٢١١.

(٣) المستجاد، أيّ الجديد، وفلول السيف كسور في حده.

(٤) البيت ليزيد بن محمد المهلبي. انظر: أبو العباس أحمد بن عبد السلام الجرّاوي، **الحماسة المغربية: مختصر كتاب صفوة الأدب ونخبة ديوان العرب**، ج٢، تحقيق: محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط١، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، ص ١٢٤٧؛ أحمد بن عبد الوهاب النويري، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، ج٣، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط١، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م، ص ٩٤.

(٥) كُتِبَ على هامش الأصل، ورقة ٤، «قوله: النجدي هو علم على إبليس اللعين، وهنا قصد بها قصة الوهابية لأنَّها مِن نجد وشيخهم ابن عبد الوهاب».

(٦) وردت في النسخة (ب) جمعتها، ورقة ١.

وليتأمَّل فيها الناظر المجيل، فذكرتها في موضع مجموعة، لأمور ونكت مودوعة، مِنْها إظهار زيف عقايده[١] المصنوعة، وأباطيل أحاديثه الموضوعة، والتزمت أنْ أُترجم بعض الفضلا[٢] وأعيان الزمان، الحايزين[٣] مِن المجد أشرف مكان، وأُعَرِّف لكُلٍّ ما يستحقّه مِن جميل الأوصاف، وأسلك فيه بينهم طريق الإنصاف، أُبيِّن فضل أهل الشيم، وأبني لهم بيتًا من المدح كأنَّه صرح، وأُفري أديم مَنْ يستحق الذَّم، وأقْدَح فيه بزناد[٤] الفكرة أعظم قَدْح، إذ هي فايدة[٥] مطالعة التواريخ لِمَن أراد أنْ يُدِيرَهَا ويَرْوِيهَا؛ فحينئذ يسلك أحب الطريقتين الذي يرتضيها، ليعلم ما يؤل[٦] إليه المآل، مِن قول مَن قال:

إِذَا مِـتُّ كَـانَ الـنَّـاسُ صِـنْـفَـان شَـامِـتٌ

وَآخَــرُ مُـثْـنٍ بـالَّـذِي كُـنْـتُ أَصْـنَـعُ[٧]

واعْلَمْ أنَّ مِن فنِّ التاريخ ومطالعته يكون الفطنة والاعتبار، والتَّفَكُّرُ في الحوادث التي يجري بها الفَلَكُ الدَّوَّارُ ليلاً ونهار[٨]، والعاقل الذي يقتدي بِمَن مَضِى / ق٤/ مِن أمثاله، وذو الجهل يمرح في غيِّه وضلاله، وفيما ورد في الكتاب العزيز كفاية لِمَن أراد الصواب: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[٩]، وما رواه سيد المرسلين من أحاديث الأمم الماضين، عن ما

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: عقائده.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: الفضلاء.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: الحائزين.

(٤) وردت في الأصل (بزيادة)، والتصويب من النسخة (ب)، ورقة ١.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: فائدة.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: يئول.

(٧) البيت لعجير السلولي. انظر: عبد القادر بن عمر البغدادي، **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب**، ج٩، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٤، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، ص ٧٢؛ محمد حسن شُرَّاب، **شرح الشواهد الشعرية في أمَّات الكتب النحوية**، ج٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٧م، ص ٩١.

(٨) كذا في الأصل، والصواب: نهارًا.

(٩) القرآن الكريم، **سورة يوسف**، آية رقم ١١١.

في التوراة والإنجيل، وما قَصَّهُ من قَصَصِ بني إسراييل[١]، وفي قصة الخضر وموسى، ترويحًا للقلوب وتانيسًا[٢].

إِذَا عَـــرَفَ الإِنْـسَــانُ أَخْــبَــارَ مَــنْ مَضَـى
تَـوْهَّـمْـتَـهُ قَــدْ عَــاشَ مِــنْ أَوَّلِ الــدَّهْـرِ
وَتَـحْـسَــبُـهُ قَــدْ عَــاشَ آخِــرَ عُـمْـرِهِ
إِلَـى الحَشْـرِ إِنْ أَبْقَـى الجَمِيل مِـنْ الـذِّكْرِ
فَـكُـنْ عَـالِـمًـا أَخْـبَـارَ مَـنْ عَـاشَ وَانْـقَـضَـى
وَكُــنْ ذَا نَــوَالٍ وَاغْـتَـنِـمْ أَطْــوَلَ الـعُـمْـرِ[٣]

وأرجو مِمَّن وسمته بوسمه، ورسمته باسمه، قَبُوله إذا تمَّ، كما هي عادة ذوي الشيم، لأنَّ الكريم يَقبل ما يُهْدَى إليه، والْمُعَوّلُ في فضله عليه، عَلَّه أنْ يتشرَّف بوضعه في خزانته المُتممة، التي فيها كُتب قيِّمَة، على أني وإنْ أرَّخت غيره قبله وقدَّمته عن مكانه، فما هو إلاَّ لأسبقية زمانه، ولا يلزم مِن التقديم أفضلية عند ذوي البصاير[٤]، فكم ترك الأوَّل للآخر، وفي تأخير منازل الأعداد ما يشهد للمتأخر بالازدياد، ولا تظهر النتيجة عند الالتباس، إلا إذا تقدَّمها القياس، والنوافل تتقَدَّم قبل الفرض، ولا تصل مرتبتها يوم العرض، والثمرة لا تطلع إلا بعد الإغصان، والسّنان يكون في آخر الْمُرَّان، وفي آخر المرسلين استشهاد بالفضل المبين، والحديث الذي أسفر الزمان بسوافره: «**أُمَّتِي كَالْمَطَرِ لَا يُدْرَى أَوَّلُهُ خَيْرٌ أَمْ آخِرُهُ**»[٥].

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: إسرائيل.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: ترويحٌ للقلوب وتأنيسٌ.
(٣) الأبيات لأحمد بن محمد الأرجاني القاضي. انظر: جلال الدين السيوطي، **المحاضرات والمحاورات**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، د.ط، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م، ص ١٨١.
(٤) كذا في الأصل، والصواب: البصائر.
(٥) أخرجه الطبراني عن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، عَنْ أَبِي نُجَيْدٍ صَاحِبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. انظر: سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، **المعجم الأوسط**، ج ٤، تحقيق: طارق بن عوض الله وعبد المحسن الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، د.ط، =

على أني أستغفر اللَّه العظيم مِن الزلل، وما طغى به القلم في القول والعمل، سيَّما وقد تعاطيته في سِنِّ المشيب، والزمن الذي كُلّه أعاجيب، وتركته في زمن تقَدَّم بالأمس، وكانت تُحَدثني به النفس، وكُنَّا نقضي مِن الزمان الشئون، وطرق لأوقات اللذّات في يد الخلاعة مرهون، والوقت يُتْحِفُنَا بأنسه، ونقطف بأنامل المُفاكهة مِن جَنَى غرسه، وكنا نتعاطى كوس اللطايف[١]، ونجني ورد الربيع مِن خدود / ق٥/ اللطايف[٢]، قبل أنْ تتكدَّر عليه تلك المشارب، ويبدو في سنام سعده للنحوسات غارب، ويتوالاه أفْجَر الفُجَّار، وزاملة العار، عثمان المضايفي له الويل والدمار، ﴿وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾﴾[٣]، كيف لا وقد صيره مأوى البوم، وشهب الأفلاك على شياطينه رُجُوم، بعد أنْ كان مطلع زواهر النجوم، وطاير[٤] السَّعْد على أفْنَان أغصانه يَحُوم، فأفسدته يد البغاة الذين نجَّسُوا وجه الأرض وأفسدوها طولاً وعرض[٥]، ولعمري كم محوا مدينة مِن مدن الإسلام، ونثروا مِن جِيدها عقد النِّظام، فعليهم لعنة اللَّه تعالى إلى قيام الساعة وساعة القيام، ما غرَّدت الأطيار حوله، وهزَّ الكلب ذيله.

وها أنا بالمقصود قُمت، في زمن الألسنة لبني الآداب صِحْت، ومَسَامع الكِرَام عن المَدِيح صُمَّت، يقولون لسائلهم: الأفضل لك لو صُمْت.

مع أني أحمد اللَّه تعالى لم أجعل حرفة الأدب وسيلة للطلب، ولم أبتغِ بها سخب[٦] ولا نشب[٧]، ولا جعلت هذه البضاعة للنوال صناعة، ولسانٌ

= ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ص ٧٨.

(١) كذا في الأصل، والصواب: كئوس اللطائف.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: اللطائف.

(٣) القرآن الكريم، سورة غافر، آية رقم ٤٣.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: طائر.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: عرضًا.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: سخبًا. وهي جمع سِخَاب، والسِّخاب كل قِلادة كانت ذات جوْهر، أو لم تكن. **المعجم الوسيط**، ص ٤٢١.

(٧) كذا في الأصل، والصواب: نشبًا. وتعني المال والعقار. **المعجم الوسيط**، ص ٩٢١.

العفاف يقول لي: حين عَفَّ كَذَّبُونِي بواحدٍ يرهبُ الألفِ، ومع هذا فلا يخلو الآنام مِن الكرام، ومَنْ رام أمرًا بلغ المرام، ونرجو مِمَّنْ[1] مَنَّ بالابتدا[2]، [أنْ] يتفضل بِحُسْن الختام.

❑ ❑ ❑

(١) وردت في النسخة (ب) مِنْ مَن.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: الابتداء.

[عهد الشريف مَسْعُود بِن سَعِيْد]

[نسبه وولايته الشرافة]

هذه ترجمة(١) مولانا الشريف مسعود، منِ اسمه كَطَالِعِه مسعود، ملكٌ فتاكٌ نافذ الكلمة، ذو مهابة وعظمة، ينظر لِرَعِيَّته بعين رِعَايَته، ولا يزالون مِن حميته وهم في حمايته، سار بسيرته الركبان، وتحلَّى بذكره جِيْد الزمان.

فَـثَـغْــرُ مَـكَّــةَ بــالإِقــبَــالِ يَـبْـتَـسِــمُ
وَالـرُّكْـــنُ يَـعْـرِفُــهُ وَالْـحِـلُّ وَالْـحَـرَمُ

بنى للحماسة والسماحة أساسًا، وأيّ أساس، وله حدثٌ في الأمُور أيس عن إدراكه إِيَاس(٢)،حَاتِم(٣)..............................

(١) كتب على هامش الأصل، ورقة ٦ ما نصَّه: «إذا قال المؤلف في التاريخ: صاحب الترجمة هكذا مبهمة، فإنَّه يقصد به الشريف الذي يترجمه فتنبَّه لمَا يأتي واستغني بذا ولا تستفتي».

(٢) إِيَاس: أبو واثلة إِيَاس بن مُعَاوِيَةَ بن قُرَّة المُزَنِيُّ، قاضي البصرة، وأحد التابعين. كان يضرب به المثل في ذكائه وفطنته، فيقال: أذكى مِن إِيَاس. ولد في منطقة اليَمَامَة عام ٤٦هـ/ ٦٦٦م، ثم انتقلت أسرته إلى البصرة، فنشأ بها وتَعَلَّم، وكان يتردد على دمشق لتحصيل العلوم، فأخذ عن بعض الصحابة، وجِلَّة التابعين، وقد ولي قضاء البصرة في عهد الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز (٩٩-١٠١هـ/ ٦٨١-٧٢٠م). توفي في مدينة واسط عام ١٢٢هـ/ ٧٤٠م، ودُفِنَ بها. محمد بن خلف بن حيَّان، **أخبار القضاة**، مراجعة: سعيد محمد اللحام، عالم الكتب، بيروت، د.ط، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، ص ١٩٩-٢٣٢؛ خير الدين الزركلي، **الأعلام**، ٢/ ٣٣.

(٣) حَاتِم: أبو عَدِيّ حَاتِم بن عَبْد اللَّه بن سَعْد الطَّائِيُّ، شعر جاهليّ، يضرب به المثل في الجود والكرم، ولد في جبل طيئ في حائل - شمالي المملكة السعودية حاليًا - وبها نشأ، وقد نال شهرة واسعة بكرمه، وقد خلف ابنته سفانة وابنه عَدِيًا، وقد أدركا الإسلام فأسلما، وقد روي عن ابنه عَدِي أَنَّهُ قَالَ: «قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّه إِنَّ أَبِي كَانَ يَصِل الرَّحِم، وَكَانَ يَفْعَل وَيَفْعَل، قَالَ: إِنَّ أَبَاك أَرَادَ أَمْرًا فَأَدْرَكَه». يعني: الشهرة والذكر. توفي في =

زمانه عند المُرتجى، عنتري[١] البأس لدى الهيجا[٢]، فلا يقاتل في موضع يحتاج النوال، ولا يرفق في محلّ القتال.

إِذَا قِيْـلَ رِفْـقًـا قَـالَ لـلـرِّفْـقِ مَـوْضِـعُ

ورِفْــقُ الْـفَـتَـى فِـي غَـيْـرِ مَـوْضِـعِـهِ جَـهْـلُ

سيرته في الرعيَّة سيرة عُمَرِيَّة، تخمد النار مِن فكرته وذكائه، ولم يرضَ غير بنات المجد مِن أكفائه، قَلَّمَ أظفار الحوادث بأيدي عزمه، وكادت لا تهب الرِّياح بغير إِذْنِه في حكمه، ومع / ق٦/ هذا العزم والفتك والمقدرة، لا يفعل شياء [٣] بغير المشورة، اتخذ قرنا[٤] الخير مِنِ الأمجاد، يدلُّونه على سبيل الخير والرشاد، قَدَّم الأمر قبل الشجاعة، ومَدَّ لبيتي المتنبي[٥] باعه:

الــرَّأيُ قَـبْـل شَــجَـاعَـة الـشُّـجْـعَـان

هُــو أوَّلٌ وهِــي الْـمَـحَـلُّ الـثَّـانِـي

= عَوَارض - أحد الجبال في بلاد طيئ - عام ٤٦ق.هـ/ ٥٧٨م. عبد اللَّه بن قتيبة، **الشعر والشعراء**، ١/ ٢٤١-٢٤٩؛ خير الدين الزركلي، **الأعلام**، ٢/ ١٥١.

(١) **عَنْتَرِي**: نسبة إلى عَنْتَرَة بن عَمْرو بن شَدَّاد العَبْسِيِّ، مِن أشهر شعراء وفرسان العصر الجاهلي. وهو مِن أهل نَجْد، أمه حبشية اسمها زبيبة، سرى إليه السواد مِنْها، وكان مِن أحسن العرب شيمة، ومِن أعزهم نفسًا، يوصف بالحلم على شدة بطشه، وفي شعره رقة وعذوبة، مات قبل الإسلام، قيل حوالي عام ٢٢ق.هـ/ ٦٠٠م. عبد اللَّه بن قتيبة الدينوري، **الشعر والشعراء**، ١/ ٢٥٠-٢٥٤؛ خير الدين الزركلي، **الأعلام**، ٥/ ٩١.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: الهيجاء. ويقصد بها الحرب وساحة القتال. **المعجم الوسيط**، ص ١٠٠٢.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: شيئًا.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: قرناء.

(٥) **المتنبي**: أبو الطيب أحمد بن الحسين بن الحسن الكندي الكوفي، أشهر شعراء العربية على الإطلاق، عُرِف بالمتنبي، قيل لأنَّه ادعى النبوة ثم تاب. ولد في الكوفة عام ٣٠٣هـ/ ٩١٥م، ونشأ في الشام، وتلقى العلم فيها، وقد ظهرت براعته في الشعر منذ صغره، فذاع صيته وراح يمدح الحكام والأمراء في الشام ومصر والعراق وفارس، ومات مقتولاً قرب بغداد عام ٣٥٤هـ/ ٩٦٥م. أبو منصور عبد الملك الثعالبي، **يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر**، ج١، تحقيق: مُفيد محمد قميحَة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ص ١٣٩-٢٧٧؛ خير الدين الزركلي، **الأعلام**، ١/ ١١٥.

وإِذَا هُـمَـا اجْـتَـمَـعَـا لِـنَـفْـسٍ مَـرَّةً
بلَـغَـت مِـنْ الـعَـلْـيَـاءِ خَـير مَـكَـانِ[1]

كان لا يخدم الأوغاد والأراذل، ولا يُقَرِّب لخدمته إلا كُلّ شهم عاقل، يُعْطِي القوس لبَاريه ولا يُباريه.

[روايته عن وصوله لشرافة مكة]

أَخْبَر مَرَّة بعضَ جُلسائه مِن خواصه وأقربائه، إِنَّ أخي الشريف عبد اللَّه[2] حين قَرُبَ موته، ودنا فوته، وكان ابنه محمدٌ غايبًا[3] بأرض اليمن، ولم يكن مثلي مُقَرَّب[4] عنده وموتمن[5]، عزمت على أني متى غَمُضَتْ عينه، وحَانَ حَيْنُهُ[6]، جلست موضعه، قبل أنْ أُشَيِّعه، وتَمَكَّنْتُ مِن الشرافة، وناديت لنفسي بالخلافة، فيستقر لي المُلك، ويَشْرق سعدي في دُجا الحلك، ولم أجد لي منازع[7]، ويحقّ لي أنْ أُنْشِد البيت الشايع[8]:

خَـلاَ لَـكِ الْـجَـوّ فَبِيْضِي وَاصْـفِـرِي
وَنَـقِّـرِي مَـا شِـئْـت أنْ تُـنَـقِّـرِي[9]

فلمْ أزل أُقَدِّم رجلاً وأُأخر أُخْرى، ولسان حال ابنه يقول: لنْ تستطيع معي صبرًا، وكان لي صاحبان، كأنَّهما الفَرْقَدَان[10]، لهما حدث وأفكار،

(١) إسماعيل بن عباد، **الأمثال السائرة من شعر المتنبي**، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، مكتبة النهضة، بغداد، ط١، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م، ص ٥٤.
(٢) الشريف عبدِ الَه بن سعيد، سبقت ترجمته.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: غائبًا.
(٤) كذا في الأصل، والصواب: مُقَرَّبًا.
(٥) كذا في الأصل، والصواب: مؤتمنًا.
(٦) **حَيْنُهُ**: الحَيْن هو الموت والهلاك. **المعجم الوسيط**، ص ٢١٣.
(٧) كذا في الأصل، والصواب: منازعًا.
(٨) كذا في الأصل، والصواب: الشائع.
(٩) البيت لطرفة بن العبد، انظر: عبد اللَّه بن قتيبة، **الشعر والشعراء**، ١/ ١٨٤.
(١٠) **الفَرْقَدَان**: نجمان قرب القطب الشمالي، أولهما المسمى بالنجم القُطْبي، وبقربه نجمٌ =

يوافق القضاء والأقدار، ويستمد مِنْهما التيار، ويُحدى لهما برأيهما الحادي إذا سار، فبادرت لبيت أحدهما وهو حسن البغدادي، لأخبره بِمَا في مُرادي، وأخبرته أنَّ طوق أخي صار في قبضة المَنِيَّة، ولي على الجلوس في مكانه عزمٌ ونيَّة، فما خاب مَن استخار، ولا ندم مَن استشار، فأجابني: لا أشير بها عليك، والأمر إليك، فطلبت مِنْه دليلاً واضحًا يسكن خاطري إذا سكنت، وكيف أترك مُلْكًا مِنْه تَمَكَّنْت، ثم إِني لست بِعَيّ[١]، إذا وضحت لي ما أبهم عليَّ، فخب في المجال، وبادر ارتجال، فقال: اعلم أنَّ أخاك ذو أموال ونقود، وعساكر وجنود، وابنه مِن دهاة الرجال، الصناديد الأبطال، فمتى بلغه موت أبيه بالتأكيد، جاءك يسعى على خيل البريد[٢]، فلا مال لك يُقَاوِمَه، ولا رجال تُصَادِمَه، فَيُخْرِجُك مِنْها كيف أَحَبَّ، كما خرج موسى خايفًا[٣] يترقَّب، فلم ياويك[٤] غير الجبال، وتصير مثلاً مِن الأمثال، فلا ملكًا حَوَيْت، ولا بدارك اسْتَقَرَّيْت / ق٧/ . قلت له: فما الرأي، قال: تنادي بالمُلك لابنه محمد، وأنت وكيله وصارمه المهند، وقُمْ مَقَامَه حتى يحضر، وانهي[٥] بطريق الوكالة وأمر، فإذا حضر وأجلسته محلَّ أبيه، حزت عنده مكانًا ترضيه، فَصَير نفسك مِن نصائحه، وأعظم أخصَّائه، ثم اجتهد في تبديد ما معه مِن المال، وعَادِ بينه وبين الرجال، فإذا أفلس وصغرت راحته، وتعب وقَلَّت راحته، أَفْرقه وَنِبْ، واطلب ما يجب، ولا تحتجب.

ففعلت ما به أشار، وجعلت عليه المدار، وطلبت مِنْه كتماني، وغدوت

= آخر مماثلٌ له، وأصغر مِنْه، وموقعها ثابت، ولذا يَهْتَدِي بهما الناس. **المعجم الوسيط**، ص ٦٨٦.

(١) أيّ عاجز.

(٢) دليل على القدوم على وجه السرعة، لأنَّ الخيل المخصصة لإرسال البريد تكون سريعة.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: خائفًا.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: يأْوِك.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: انهِ.

لصاحبي الثاني، وكان رجل[١] رأيه موافق للصَّواب، وهو حسن الكتاب، فأخبرته بِمَا نَاب، وعن وجه أسراري رفعت له النِّقَاب، فلمَّا قصصت عليه السيرة، وما أعلمته بأني أخبرت بها غيره، قال لي: دع المجال في طلب المحال، وأنشد فقال:

دَعْـهَـا سَـمَـاوِيَّـةً تَـأتِـي عَـلَـى قـدر
لاَ تَـعْـتَـرِضـهَـا بِـشَـيء مِـنْـك تـنـحـرمُ

فإنَّ الأشياء مرهونة بأوقاتها، وإذا جات[٢] ظهرت عَرَايسها[٣] مِن مُخَدَّرَاتها، فاترك الرأي المسكين قبل التمكين، واعلم أنَّ أخاك خلَّف أموالاً لا تُحصى ولا تُعَدّ، وخلَّف ابنه النجيب محمد[٤]، ومتى تحقّق موت أبيه جاءك للمُلك يبتغيه، فلا يقر لك قرار، وهيهات إنْ تَمَكَّن مِن القرار، فإنَّ المال سُلمٌ للآمال، والمال المبذول مصرعة للعقول، صاحبه مخدوم، وطير السعد حوله يحوم، فالرأي السديد، والقول المُفيد، أنْ تشيد المُلك لابنه، وتتمسك بِرُدْنِه، فإذا تَمَكَّنْت مِن الخدع وشتّت ماله تمَّ لك الدَّستْ أي الجَمِيْع، وطاب الجلوس لك على الدّست[٥] أي المُلْك؛ فخرجت مِن عنده غنيًّا بطوله، رخيًّا بقوله، وعجبت مِن توارد الخواطر، وكيف وقع الحافر على الحافر، ثم لمَّا توفي أخي، ناديت باسم الغايب[٦]،

(١) كذا في الأصل، والصواب: رجلًا.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: جاءت.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: عرائسها.
(٤) كذا في الأصل، والصواب: محمدًا.
(٥) الدّست: كلمة فارسية، معناها: المحل المخصص للسيد الكبير في صدر المجلس، ودخلت إلى العربية في العصر الإسلامي ليعبر من خلالها عن مقرّ السلطان أو الملك، ورُبَّمَا جاءت بمعنى كرسي الحكم أو العرش. مصطفى عبد الكريم الخطيب، **معجم المصطلحات والألقاب التاريخيَّة**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، ص ١٨١.
(٦) كذا في الأصل، والصواب: الغائب، ويقصد به ابن أخيه الشريف محمد بن عبد اللَّه.

وحمدت رأيهما الصايب[١].

[ولاية الشريف محمد بن عبدِ الَه الأولى]

فلمَّا وصل الشريف محمّد في غاية القعدة سنة ١١٤٣[٢]، أجلسته على سريره، وكُنت وَلِيّ أمره في تدبيره، دخرت عنده القِدْحَ المُعَلاَّ، ولساني كالسَّيف الذي لا يعتريه فَلاًّ[٣]، فشرعت أفرِّق أمواله شذر مذر، وربيت رجالاً يحمد بهم السُّرَيّ واستخصَّيت بجانبي مِن الأشراف، واتخذت مِن عُمَد تلك الأطراف / ق٨/ حتى صاروا يدي ولساني، وأطوع لي مِن بناني، ثم شرعت أُعَادِي بينه وبين أقربائه وأخصَّائه، حتى أقصاهم بأعظم استقصاء، وعاديت بينه وبين الكُمَاة الضَّيَاغِم[٤]، الذين يُجرعون مُعاديهم سَمّ الأرَاقِم[٥]، ولمَّا نويت على ما عليه نويت، أفرقته وادعيت، وأرسلت كتابًا للنب، ودقيت زير الحرب.

هذا ما أخبر به الشريف المترجَم، لا زال سامي المجد والشيم.

❐ ❐ ❐

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: الصائب.

(٢) غاية ذي القعدة ١١٤٣هـ/ ٥ يوليو ١٧٣١م.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: فَلٌّ.

(٤) الضَّيَاغِم: جمع ضَيْغَم، الأسد الواسع الشِّدْق. **المعجم الوسيط**، ص ٥٤١.

(٥) الأرَاقِم: جمع أرْقَم، ذكر الحيات وأخبثها. **المعجم الوسيط**، ص ٣٦٦..

فصل في ذكر ما وقع بينه وبين ابن أخيه وما أنتجه عزمه وعدم تراخيه

أوَّل واقعة وقعت بينهما:

قيل: لمَّا خرج مولانا الشريف مسعود، قَدَّم قبله جميع الأشراف والجنود، بحيث لم يبقَ عند ابن أخيه ما يقوم بالمقصود، فتَوَجَّه بِمَن لديه إلى الطايف[1]، وأخرج أتباع الشريف محمد مِن تلك المواقف، وكان خروجهم بالحيل وخدع الرجال، لا بالمُكافحة والقتال، فاستقلّ بالطايف[2] ونواحيه، وأطاعته عُربانه وبَواديه، فنادى المُنادِي باسمه، ودخلت العُربان والرعايا تحت حُكمه، وذلك في شهر ربيع الثاني سنة ١١٤٥[3].

واستمرّ بالطايف[4] يفعل بِمَا هو الأولى، إلى رابع جمادى الأولى[5]، ثم نزل بِمَن لديه مِن المراجل والسادة الأشراف أهل الحميَّة، على طريق الثنية، وأسرع مُجِدًّا وانبرى، وأرسل أثقاله على طريق كَرَى[6]،....................

(١) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: بالطائف.

(٣) شهر ربيع الثاني ١١٤٥هـ/ ٢٠ سبتمبر - ١٨ أكتوبر ١٧٣٢م.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.

(٥) ٤ جمادى الأولى ١١٤٥هـ/ ٢٢ أكتوبر ١٧٣٢م.

(٦) **طريق كَرَى**: طريق تربط بين مكة المكرمة والطائف، وقد عرفت الطريق بهذه الاسم نسبة إلى جبل كرا أكبر الجبال بين مكة والطائف، وهو جبل ضخم كانت تمر به الطريق المذكورة، وكانت طريقًا وعرة صعبة، لا تصعدها غير الحمير، والبغال، نظرًا لشدة الصعود والانحدار، وكثرة الأحجار والانعطافات، وكانت تمرّ بالأماكن الآتية: عرفات، ووادي نَعْمَان، وشدَّاد، ووادي خريف الرأس، والكُرّ، وجبل كَرَا، والهَدَى، ووادي محرم، وحرة قَرْن، وجباجب، ومسرة، ومعشي، والطائف. وقد تمَّ تعبيد هذه الطريق=

فلمَّا استبطاهم[1] الشريف محمد بتطويل الإقامة، وعلم أنَّ الأمر يئول إلى السلامة، نهض على طريق يَعْرِج [2]، ليتدارك الأمر المهم المزعج، وأقام بوادي قَرْن[3]، بقصد الاستراحة، وتقلَّد مهنده وجعله وشاحه.

فلمَّا بلغ الشريف مسعود[4]، وصول ابن أخيه بالجنود، وقد صك عليهم الليل، وأسبل بظلامه عليهم الذيل، أمر أنْ يشعلوا النيران على روس[5] الجبال، ويسمعونهم صد الطبال، وجعل مَن يزعق ليسمعهم الصَّدى، حتى بعد عنهم مدا ونزل مِن طريق الثنية، على هاتيك النية، واستعمل هذه الحيلة، التي هي خير مِن قبيلة، والخَصْم غافل عنه، ولم يعلم مرامه، إلى ضحى اليوم الثاني، وقد تبطن تهامة، فأسرع مُجِدًّا خلفهم حين بلغه الخبر، وهيهات أنْ يدرك الصيد بعد ما نفر، فما لحقهم إلاَّ على جبل الْخَطم[6] / ق٩/ ، وقد ترَّسه بالجند الذي يحطم الأعادي حطم[7]، فوقع به الحرب والضرب، واشتجر الطعن والسلب، وشرعت الرماح للكفاح، وسال نجيع القتلى بهاتيك البطاح، وطال

= وافتتحت في ٣ صفر ١٣٨٥هـ/ ٢ يوليو ١٩٦٥م، في عهد الملك فيصل بن عبد العزيز (١٣٨٤-١٣٩٥هـ/ ١٩٦٤-١٩٧٥م). إبراهيم رفعت، **مرآة الحرمين**،١/ ٣٥١-٣٥٣؛ محمد الكردي المكي، **التاريخ القويم**، ٢/ ٣٥٩-٣٦١.

(١) كذا في الأصل، والصواب: استبطأهم.

(٢) **يَعْرِجُ**: وادٍ مِن روافد نَعْمَان، يسيل بين كرا جنوبًا وتفتقان شمالًا، ثم يجتمع مع وادي الكُر عند القُرين مكونًا مع أودية أخرى صدور وادي نَعْمَان. وأهله الحساسنة مِن هُذَيْل. عاتق ابن غيث البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ج١٠، دار مكة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ط٢، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م، ص ١٨٦٠.

(٣) **وَادِي قَرْنُ**: يقع على الطريق بين مكة والطائف، ويقال قَرْنُ المنازل، وفيه ميقات أهل نجد والطائف. عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ص ٨٦٣، ١٣٧١-١٣٧٢.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: مسعودًا.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: رءوس.

(٦) **جبل الخطم**: جبل أخشب فيه بياض، مستطيل على شكل عرف، يكنع في وادي عُرَنَة من الشمال الغربي، شمال عرفة، بينهما سيل عُرَنَة، ويسيل غربه وادي السقيا، وبسفحه الجنوبي قرية للرياشي، وهم بطن مِن هُذَيْل، ويتصل في الشمال بجبال الشُّعُر. عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ص ٥٥٧.

(٧) كذا في الأصل، والصواب: حطمًا.

بينهم القتال، وذاق كُلّ فريق مِن صاحبه أشَدَّ النكال، وانصب عليهم سوط عذاب وقع النبال، وبرقت بوارق نصال النضال، وتطايرت الرِّماح للأحداق، وبرزت البيض الرقاق، لمُعانقة الأعناق، وقدم عليهم الشريف مسعود إقدام مثله، وأوجف عليهم بخيله ورَجله، وسطا عليهم بمهنده البَتَّار كما سطوا أُسُود الغاب، فانهزم قوم الشريف محمد وتقطعت بهم الأسباب، فما انكشف المضمار، ولا انْجَلَا[1] الغبار إلا وقد ظهر نجم مسعود، بالطالع المسعود، وأشرقت زواهره على الوجود، فأسفر الأمر أنْ ابن أخيه راح مكسورًا، وكان أمر اللَّه قدرًا مقدورًا، فانحازت العساكر تحت لوائه، ودقت الطبول في أثنائه، على ثنائه.

وكانت هذه الوقعة[2] مِن أشدّ الوقايع[3]، وأكثرها فتكًا بالجيوش والطلايع[4]، حيث إنَّ السادة الأشراف هم الذين باشروا القتال بأنفسهم، حتى قُتِلَ كثير مِن أعزّهم وأنفَسهم، ومع هذا كانت عدتهم لا تجاوز المايَة[5]، فأكرم بها مِن عصبة هاشمية، وخير فئة، كيف لا وهم أبناء علي الفاتك الكرَّار، والحيادِرَة الذي[6] لا يبارون في مضمار.

[ولاية الشريف مسعود بن سعيد الأولى]

فعند ذلك أخذ الشريف محمد[7] ذمة من عمّه على الطريقة النموية، وتَوَجَّه إلى الحُسَيْنِيَّة[8]، وأقام بها أيامًا وظعن، ووجه خاطره تلقاء اليمن فاستقر

---

(١) كذا في الأصل، والصواب، انْجَلَى.
(٢) كانت واقعة الخطم في ٧ جمادى الأولى ١١٤٥هـ/ ٢٥ أكتوبر ١٧٣٢م.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: الوقائع.
(٤) كذا في الأصل، والصواب: الطلائع.
(٥) كذا في الأصل، والصواب: المائة.
(٦) كذا في الأصل، والصواب، الذين.
(٧) كانت مُدَّة ولايته الأولى سنة وخمسة أشهر واثني عشر يومًا، وهي الفترة الممتدة منذ ٢٩ ذي القعدة ١١٤٣هـ/ ٤ يونيو ١٧٣١م حتى ٧ جمادى الأولى ١١٤٥هـ/ ٢٥ أكتوبر ١٧٣٢م. رضي الدين العاملي، **تنضيد العقود السنية**، ٢/ ٢٦٣-٢٦٤.
(٨) **الحُسَيْنِيَّةُ**: قرية قرب عين ماء تعرف بهذا الاسم، تقع جنوبي مكة المكرمة، وهي في وادي =

بموضع يقال له: المَخْواةُ[(١)]، رآه حصنًا منيعًا يتفيَّءُ في داره، ثم بعد أيام دنا المسير رحيله، وقصد جبال بَجِيْلَةَ[(٢)]، وما زال بفنائها عاكف[(٣)]، حتى ظهر بدر محيَّاه بأُفق الطايف[(٤)]، فتلَّقته عُربان بني ثقيف[(٥)]، ولفت عليه في زمن وريف، وعرضوا أنفسهم عليه، وأقبلوا بِكَلاَكلهم[(٦)] لديه.

وعندما سمع ذلك الشريف مسعود، لم يطب له القعود، وما أظنَّ ركوبه عليه عن مشورة مِمَّن لديه دِراية، لمَا سيظهر بعد هذه الغاية، فركب عليه بعدَ / ق ١٠/ جهد جهيد، وتعبٍ شديدٍ، فالتقى الجمعان على جبال المثنى، وتقابلت الفرسان فُرادى ومثنى، وحمى بينهم الوطيس، والتقى الخميس بالخميس[(٧)]، فصعدوا بني ثقيف[(٨)] بهاتيك الجبال، ولم تدعْ لخيل الشريف مسعود في بحر الحرب

= عُرَنَةَ قبيل اجتماعه بِنَعْمَان، ترى مِنْها جنوبًا كُسَاب، وشمالاً غربيًا جبل ثور، سُكَّانها مِن الأشراف ذوي زيد. عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ص ٤٧٠.

(١) **المُخْوَاةُ**: بلدة كبيرة في تهامة زَهْرَان، ومعظم سُكَّانها مِن قبائل بني عُمر إلى جانب قبيلة غامد الزناد. علي بن صالح الزهراني، **المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية: بلاد غامدٍ وزَهْرَان**، دار اليمامة،الرياض، ط٢، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ص ٢١٧-٢١٨.

(٢) **جبالُ بَجِيْلَةَ**: تقع جنوب الطائف، بين بلاد بَلْحَارِث شمالًا وزَهْرَان جنوباً، وتُسَمَّى السَّراة الوسطى. وعُرِفَت بهذا الاسم نسبة إلى قَبيلة بَجِيْلَةَ التي سكنت هذه المنطقة. ياقوت بن عبد اللَّه الحموي، **معجم البلدان**، ج٣، دار صادر، بيروت، د.ط، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م، ص ٢٠٥.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: عاكفًا.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.

(٥) **ثقيف**: مِن أشهر القبائل العربية، تسكن القبيلة نفسها جنوب غربي الطائف، وينقسمون إلى: طُوَيْرِق، والنُّمور، وثمالة، وبني سالم، وبني عَوْف، وبني سُفْيان. **قبائل العرب القديمة والحديثة**، ج١، المطبعة الهاشمية، دمشق، ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٩م ص ١٤٧-١٤٨؛ ماكس فرايهير أوبنهايم وآخرون، **البدو**، ج٢، ترجمة: محمد كبيبو، تحقيق وتقديم: ماجد شبَّر، شركة دار الوراق للنشر، لندن، ط٢، ٢٠٠٧م، ٥٦٣-٥٦٥.

(٦) **كَلَاكِلَهم**: مفردها كَلْكَل، وهو الصدر. **المعجم الوسيط**، ص ٧٩٦.

(٧) **الخميس**: الجيش. **المعجم الوسيط**، ص ٢٥٦.

(٨) كذا في الأصل، والصواب، فصعد بنو ثقيف.

سبحًا ولا مجال[١]، وما زال الرصاص يهمي عليهم كالمطر، ونار الحرب ضرم جمره واستعرّ، فما رأى الشريف مِن شدّةِ وقعِ الرَّصاصِ، غير أخذ الذمة له خلاص[٢]، فعند ذلك تمَّ للشريف محمد ما تمَّ، وتَقَلَّد عقد الشرافة المنظم، وكان مُدَّة غيبته عن مكة نحو مائة يوم، وهي مُدَّة شرافة الشريف مسعود[٣]، وكانت الواقعة في شهر شعبان مِن العام المعهود[٤].

[ولاية الشريف محمد بن عبدِ الَه الثانية]

فدخل الشريف محمد وطلع في دار سعادته، وجلس على كرسي سيادته، وأقبل عليه الناس زمرًا زمرًا وحلا له بعد سورة القتال[٥] لسان الشعرا[٦]. وأمَّا الشريف مسعود فقد تَوَجَّه إلى خُلَيْص[٧]،

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: مجالًا.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: خلاصًا.

(٣) مُدَّة ولايته الأولى نحو مائة يوم، الفترة الممتدة منذ ٧ جمادى الأولى ١١٤٥هـ/ ٢٥ أكتوبر ١٧٣٢م حتى ١٨ شعبان ١١٤٥هـ/ ٢ فبراير ١٧٣٣م. رضي الدين العاملي، **تنضيد العقود السنية**، ٢/ ٢٩٣.

(٤) كانت الموقعة في ١٨ شعبان ١١٤٥هـ/ ٢ فبراير ١٧٣٣م. العاملي، **تنضيد العقود**، ٢/ ٢٧١.

(٥) **سُورة القتال**: سُورة مُحَمَّد، وهي مِن السُّور المدنيَّة، وعُرِفَت بهذا الاسم - أيضًا - لأنَّها تتناول الجهاد في سبيل اللَّه، والقتال ومشروعيته وبعض أحكامه، وفيها يقول اللَّه تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾﴾. [سورة محمد: آية رقم ٢٠]. انظر: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، ج ٤، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٣، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ص ٣١٤.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: الشعراء.

(٧) **خُلَيْص**: وادٍ كثير الماء والزرع، واسع على شكل مربع، يقع شمالي مكة على بعد ١٠٠ كيلًا، سكانه قبائل مِن: حرب، وزبيد، والبلادية، وفيه ثلاثون قرية، وبه عَيْن خُلَيْص، وعندها قرية مشهورة بنفس الاسم، وهي غزيرة الماء، وبها نخل كثير، وقد جددت هذه العين بعد عام ٩٣٨هـ/ ١٥٣٢م، في عهد السلطان سليمان القانوني (٩٢٦-٩٧٤هـ/ ١٥٢٠-١٥٦٦م)، الذي أمر والي مصر سليمان باشا (٩٣١-٩٤١هـ/ ١٥٢٥-١٥٣٥م)، فأرسل الأخير أحد عساكره ويدعى خير الدين الرومي، فقام بتنظيف عَيْن خُلَيْص وتعميرها، وتزوج امرأة هناك من أولاد مالك، وظلّ في خُلَيْص حتى وفاته، ولعلّ في ذلك ما =

ووقع في حَيْص بَيْص[١]، فسبحان الحكيم الملك القهار، الذي يفعل ما يشا[٢] ويختار، ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٦﴾[٣].

[الفتنة بين عسكر الشريف محمد والحامية العسكرية]

ثم اعْلَمْ كيف تجري المقادير بإذن اللطيف الخبير، وهو أنَّ في أيام دولة الشريف محمد طلع المَعْلَا[٤] عسكري، مِن عسكر أهل اليمن، ما عقل هذا الأمر ولا فطن، واغتسل في بركة بستان أم مطر، وأزال عن جسده وأثوابه الكدر. وكان في يومها مِن القضاء.............

= يفسر تسمية عين خُلَيْص بعين الباشا، وقد أشار الرَّحالة المغاربة بوجود حصن في خُلَيْص بُني على جبل ليكون حصنًا وملجأً لأمراء الحجاز، بغرض صد هجوم الأعراب والأشراف المناوئين، ويبدو أنَّ خُلَيْصًا كانت مِن الأماكن المهمة لأمراء الحج منذ زمن طويل، فقد ذكر ابن جبير وابن بطوطة أنَّ هناك حصنين، أحدهما جديد والآخر متهدم، ولعلَّ ذلك ما يفسر الأهمية الاستراتيجية لهذا الموقع بالنسبة للأشراف خلال صراعهم مع بعضهم البعض؛ وسيتضح ذلك جليًّا في خضم الأحداث التي سنمر بها خلال هذه الدراسة. عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ٣/ ٥٦٦-٥٦٩؛ عواطف محمد يوسف نواب: **كتب الرحلات فِي المغرب الأقصى مصدر مِنْ مصادر تاريخ الحِجازِ فِي القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين**، دارة الملك عبد العزيز، الرياض، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م. ص ٢١٠-٢١١. وللمزيد عن خُلَيْص وتطورها التاريخي، انظر: مبارك محمد الحرشني المعبدي، **مقتطفات مِن تاريخ خُلَيْص في الماضي والحاضر**، ط١، ١٤٠٧-١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧-١٩٨٨م، ص ١٣ وما بعدها.

(١) **حَيْص بَيْص**: أيّ في مأزق أو ضيق وشدّة.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: يشاء.

(٣) القرآن الكريم، **سورة آل عمران**، الآية رقم ٢٦.

(٤) **المَعْلَا**: القسم العلوي مِن مكة، وهو ممتد من المدعا والقشاشية إلى جهة الحَجُون فما فوقها إلى مِنًى فعرفات، وهذه الجهات عالية عن المسجد الحرام؛ لذلك تسمّى عوالي مكة، وكان فيه المقبرة التي عُرِفَتْ بالمَعْلَا لوقوعها في هذا المكان. عبد اللَّه الغازي، **إفادة الأنام**، ٢/ ١٤٥ وما بعدها؛ محمد الكردي المكي، **التاريخ القويم**، ٢/ ٢٥٨؛ عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ص ١٦٢٤، ١٦٤٠.

والمقدر، حسين[١] أفندي[٢] آغات[٣] الإنقشارية[٤]، مِن جماعة الوجاقات

(١) **حسين أفندي**: نشأ في مصر، وتولى بعض المناصب فيها، وكان مِن أرباب الأقلام، وقد صار بسببه فتنة في البلاد، فتَمَّ نفيه إلى مكة المكرمة، وقد وُلي منصب السردارية فيها منذ عام ١١٤٤هـ/ ١٧٣٢م، ويُعَلِّق العاملي على وفاته بقول: «ولعمري لقد كان هذا الرجل أحد الجبابرة الطغام، وأوحد المتكبرين على الأنام، أقام بمكة المشَرَّفة ثلاث سنين، وهو لم يرَ له بها قرين، يسوم أهلها بالخسف والهُوان، ويعاملهم بالتحقير والامتهان، لا يعرف الشفقة على عباده، ولا تلابسه الرحمة على صلحاء البلد الحرام وعُبَّاده». رضي الدين العاملي، **تنضيد العقود السنية**، ٢/ ٢٧٣، ٢٨١-٢٨٢.

(٢) **أفندي**: لقب فخري، قيل في أصلها مِن الكلمة اليونانية العامية أفنديس Efendis المأخوذة مِن الكلمة القديمة Aventuns دخلت في اللغة التركية الأناضولية واستعملها الترك في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، وتعني: الصاحب، والمالك، والسيد، والمولى، وقد شاع لقب أفندي في البلاد التي خضعت للدولة العثمانية، واستعمل لقبًا لأصحاب الوظائف الدينية والمدنية ورجال الشريعة والعُلماء، على أنَّ أشهر استعمال لهذا اللقب كان للرجل الذي يقرأ ويكتب، وفي التراكيب التي وصلت إلينا لهذا اللقب نجد أنه يأتي بعد اسم العلم وقبل اسم الوظيفة وليس بعدها. أحمد السعيد سليمان، **تأصيل الدخيل**، ص ٢٠-٢٣؛ مصطفى بركات، **الألقاب والوظائف العثمانية**، دار غريب، القاهرة، د.ط، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، ص ١٥٠-١٥٣.

(٣) **أَغَا**: كلمة تركية مِن المصدر أغمق، ومعناها: الكبر والتقدم في السن، وقيل: إنَّها مِن الكلمة الفارسية أقا، وتطلق في التركية على الرئيس، والقائد، وشيخ القبيلة، والخادم الخصي. وقد بلغ هذا اللَّقب أهمية كبرى في الدولة العثمانية، والقاعدة في اللغة التركية العثمانية تقتضي أنْ يفصل بين الألف والهاء بياء الوقاية، ويكتب بالصيغة التالية: أغايه. وقد كان قائد كل أوجاق في مصر في العصر العثماني يحمل لقب أغا، ولمَّا كان السردارة قادة لأوجاقاتهم في الحجاز؛ فكان يحمل لقب أغا. أحمد السعيد سليمان، **تأصيل الدخيل**، ص ١٧؛ مصطفى بركات، **الألقاب والوظائف**، ص ١٧٣-١٧٥.

(٤) **الإنقشارية**: كذا في الأصل، والصواب: الإنكشارية، وهي كلمة تركية مكونة من مقطعين: يكي Yeni بالنون الخيشومية بمعنى جديد، وجري Cery بالجيم المشربة بمعني العسكر، فيكون المعنى: العسكر الجديد، وقد أُنشئ هذا الجيش في عهد السلطان أورخان (٧٢٦-٧٦١هـ/ ١٣٢٦-١٣٦٠م) عام ٧٢٦هـ/ ١٣٢٦م، وكانت نواته من أهل الفتوة في الأناضول ثم اعتمدوا على أبناء نصارى البلقان بعد تتريكهم وتنشئتهم على الإسلام، وكانوا يخضعون لنظام عسكري صارم، وكان الجنود عُزَّابًا، ثم سمح لهم بالزواج في عهد السلطان سليم الأول(٩١٨-٩٢٦هـ/ ١٥١٢-١٥٢٠م) بشرط كبر السن، ثم أُطلق حق الزواج. وقد أدى الإنكشارية دورًا مهمًّا في الفتوحات العثمانية في أوروبا، ولكن مع ضعف السلاطين بدأ نفوذ الإنكشارية يزداد؛ فتدخلوا في عزل الوزراء والسلاطين، =

المصرية[1]، يُقَيِّل[2] في البُسْتان بحريمه، وخدمه، وجماعته، وحشمه، فكانوا حريمه في طاقة المجلس المُطِلَّة على الماء، فخرج له جندي ضربه حتى أَلَمَه أَلَمًا، فاستفزع العسكري بأنصاره وأعوانه، وصاروا يضربون الأفندي بالرصاص وهو في بستانه، ونهبوا بعض الأمتعة، وما أَعَدَّه للقيلة[3]معه.

فلمَّا سمع مولانا الشريف محمد أَجَدَّ على فرسه بالمهند، ونادى آغات

= ثم بدأ الفساد يتفشى بين الإنكشارية، وتضاءلت صلاحيتهم للحرب الحديثة؛ فخسروا معظم الحروب التي خاضوها في القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي وأوائل القرن التالي، وقد فشلت محاولات إصلاحهم، ولذلك عمل السلطان محمود الثاني (١٢٢٣-١٢٥٥هـ/ ١٨٠٨-١٨٣٩م) على القضاء عليهم، فنجح في ذلك فيما عرف بالواقعة الخيرية عام ١٢٤٠هـ/ ١٨٢٦م. انظر: أماني بنت جعفر بن صالح الغازي، **دور الإنكشارية في إضعاف الدولة العثمانية**، رسالة ماجستير، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، ص ٢ وما بعدها؛ إيرينا بيتروسيان، **الإنكشاريون في الإمبراطورية العثمانية**، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبي، د.ط، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، ص ١٩ وما بعدها.

(١) **الوجاقات المصرية**: الوجاقات جمع: وجاق وأصلها في التركية أوجاق، بضم الهمزة ضمة مبسوطة مفخمة، ومعناه الأوَّل الموقد أو المدخنة، ثم أطلق على الجماعة التي تتلاقى في مكان واحد، ثم استخدم أخيرًا للدلالة على فرقة مِن فرق الجند. أحمد السعيد سليمان، **تأصيل الدخيل**، ص ١٩٤. وقد كان في مصر في العصر العثماني سبعة أوجاقات عسكريَّة، وهي: الجونوللِيان، التفنكجيان، الجراكسة، الإنكشارية، العزبان، الجاويشان، المتفرقة. الثلاثة الأولى مِن السباهية أي الفرسان، والأربعة الأخرى مِن المشاة. والمقصود بجماعة الوجاقات المصرية، هي الحامية العسكرية المصرية المتواجدة في الحجاز. وخلال النزاع الذي دار على السلطة في مصر إبَّان القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي بين أمراء المماليك، كان الأمير الذي يصل إلى السلطة يعمل على إبعاد أعدائه عن مصر، فيرسلهم ليكونوا سرادرة على أوجاقاتهم في الحجاز، ومِن أولئك حسين أفندي المذكور أعلاه. حسام محمد عبد المعطي، **العلاقات المصرية الحجازية**، ص ٤٧-٥٥. وللمزيد عن الوجاقات المصرية انظر: عراقي يوسف محمد، **الأوجاقات العثمانية في مصر في القرنين السادس عشر والسابع عشر**، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة عين شمس، ١٩٧٨م.

(٢) وردت في النسخة (ب) مُقَيِّل. ورقة ٨.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: للقائلة. أيّ الظهيرة.

الإنقشارية[١]، ليفهمه بأصل القضية، فلمَّا سمع صوت الشريف محمد فتح الطاقة، وجعل يخبره بِمَا قاساه من البلاء الذي ليس عليه قدرة ولا طاقة، فضربه عسكري برصاصة / ق١١/ في صدره، لم تكن بعلم الشريف ولا بأمره، وكان فيها انقضاء عمره، فتولَّد من قتله فتنة عظيمة، وتأسَّس بينه وبين الأتراك عداوة مُسْتَديمة[٢].

فعند ذلك اجتمع عساكر مصر في سُوَيْقة[٣]، وتَرَّسُوا البيوت، وسَدُّوا الطرقات، وضربوا الطبول والباقات، وأرسلوا [للألضاشات][٤] الذي[٥] كانوا بجدة، فوصلوا إليهم في أسرع مُدَّة، وأرسلوا إلى مصر، وأخبروا بِمَا وقع عليهم مِن القتل والأسر، ومكثوا على هذه الحالة مقدار شهر، وشريف مكة في داره بجنوده وأنصاره، وهم مُصَمِّمُون على رفعه ونزعه، وإزالته وخلعه.

[باكير باشا والي جدة يحل أمر الفتنة]

وفي هذه الأثنا[٦] أرسلوا دراهم[٧] للشريف مسعود، ليجمع بها

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: الإنكشارية.

(٢) يذكر العاملي هذه الحادثة بتاريخ ٢٤ ربيع الأول ١١٤٦هـ/ ٣ أكتوبر ١٧٣٣م، بينما يذكرها دحلان بتاريخ ٢٠ ربيع الأول ١١٤٦هـ/ ٢٩ سبتمبر ١٧٣٣م. انظر: رضي الدين العاملي، **تنضيد العقود السنية**، ٢/ ٢٨١؛ أحمد زيني دحلان، **خلاصة الكلام**، ص ١٨٨.

(٣) **سُوَيْقة**: تصغير سَاق، وهي منطقة كانت تقع شمال الكعبة، وقد دخلت في توسعة الحَرَم. عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ص ٧٥٧.

(٤) جاءت في الأصل للألضاباشات، والتصويب مِن النسخة (ب)، ورقة ٨. والألضاشات، وتكتب - أيضًا - ألداشات؛ وهي مِن التركية يولداش، وتتكون مِن: «يولد» أيّ الطريق، و«داش» أداة المشاركة، واليولداش هو الرفيق في الطريق، وتطلق على الزملاء وأعضاء الحزب الواحد. أحمد السعيد سليمان، **تأصيل الدخيل**، ص ٢٥-٢٦.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: الذين.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: الأثناء.

(٧) **دراهم**: جمع درهم، مِن النقود التي كانت متداولة في العصر الإسلامي. اشتق اسمه من الأصل اليوناني دراخمة Drachma جاءتهم عن طريق الفرس. والدرهم مصكوك مِن الفِضة، وكان وزنه يعادل ٢,٩٧ جرام، وقد تغيَّرت قيمة الدرهم من حيث تركيبه وقوته الشرائية بتغيّر الأزمنة والدول، وما زال الدرهم حتى يومنا هذا، ضمن الوحدات النقدية في بعض الدول العربية. مصطفى الخطيب، **المعجم الموسوعي**، ص ١٧٩-١٨٠.

القبائل والجُرُد، فأخذ الدراهم وتَوَجَّه على الأثر، وأقبل بِمَن معه على وادي مَـرّ[١]، فأرسل يستدعي السادة الأشـراف، ومَن لديه مِن العُربان الذي[٢] بتلك الأطراف، وهم على حالهم في الأماكن بالتتريس، وقاطعين طريق العامة بالرأي الخسيس، فعند ذلك وصل حضرة الوزير الأعظم[٣] والمشير الأفخم باكير[٤]..

(١) **وادي مَرّ**: يعرف أيضًا: بوادي مَرّ الظَّهْران، أو وادي فاطمة، أو وادي الشريف. وهو مِن أهم أودية الحجاز، ولا يوجد مثله خصوبة، وماء، وكثافة سكانية، وقيل: إنَّه كان فيه ثلاثمائة عين جارية، ويأخذ مَرّ الظَّهْران أعلى مساقط مائه من منحدرات السراء الشرقيَّة، حيث يقاسم وَجّ وعقيق الطائف الماء قرب المحرم، ويتكون مِن رافدين عظيمين، هما: نخلة الشاميَّة، ونخلة اليمنيَّة، وبه عديد مِن البلدان المشهورة، مثل: بلدة الجموم، وبلدة بحرة، وبلدة حَدَّاء. عبد اللَّه بن عمر الحسيني،«**مر الظَّهْران: وادي فاطمة**»، مجلة العرب، س ٦، ع ٤، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م، الرياض، ص ٢٥٥-٢٦٢؛ عاتق بن غيث البلادي، **معالم مكة التأريخية والأثرية**، دار مكة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، د.ط، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، ص ٢٥٨-٢٦٥.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: الذين.

(٣) **الوزير الأعظم**: هو الصدر الأعظم، وهو منصب رفيع مِن حيث المنزلة يأتي في الترتيب بالمقام الثاني بعد السلطان، وأوَّل مَن تولاه علاء الدين باشا شقيق السلطان أورخان، وقد لُقِّب بالوزير الأوَّل منذ عهد السلطان سليمان القانوني، وكان مَقَرُّه في الباب العالي، تحت قبة الوزراء، التي حلّ محلَّها فيما بعد: الديوان الهمايوني، ويُقَدَّر عدد الذين حملوا هذا اللقب طيلة العصر العثماني بنحو ٢١٠ من الصدور العظام، وقد ألغي هذا اللقب في عهد السلطان محمود الثاني عام ١٢٥٤هـ/ ١٨٣٨م، وحلّ مكانه لقب: باش وكيلي؛ أي رئيس الوزراة. مصطفى الخطيب، **معجم المصطلحات**، ص ٢٨٨-٢٨٩.

(٤) **باكير باشا**: ويُعْرَف في بعض المصادر أبو بكر باشا، حيث إنَّ «با» تركية عثمانية؛ تعني «أبو» في اللغة العربية. وكان مِن أشهر الولاة العثمانيين، وتولى حكم عديد مِن الولايات، ومِنْها: ولايته الأولى على مصر (١١٤١-١١٤٢هـ/ ١٧٢٨-١٧٢٩م)، ثم عزله العساكر وولي على جدة ولايته الأولى (١١٤٣-١١٤٧هـ/ ١٧٣٠-١٧٣٥م) ثم عزل مِنْها وولي على مصر ولايته الثانية (١١٤٧-١١٤٩هـ/ ١٧٣٥-١٧٣٧م)، ثم عزل مِنْها وولي على جدة ولايته الثانية (١١٥٠-١١٦٠هـ/ ١٧٣٧-١٧٤٧م) ثم عزل مِنْها وولي على حلب، ثم عزل مِنْها وولي مصر ولايته الثالثة عام ١١٧٥هـ/ ٢ أغسطس ١٧٦١ - ٢٢ يوليو ١٧٦٢م، فما لبث فيها سوى بضعة أشهر، حيث وافته المَنِيَّة، ودُفِنَ بالقرافة بجوار الإمام الشافعي في القاهرة. أحمد الدمرداشي كَتْخُدا عزبان، **الدرة المُصانة في أخبار الكنانة**، تحقيق: =

باشا[١]،وأتى مسرعًا وما تحاشا، وقد أرسلوا إليه رُسُلًا كثيرة وهو يستمهلهم بالمَعَاذير[٢]، فلمَّا وصل إلى مكة قويت شوكة الأتراك، واستعدوا للقتال والعراك، فاستمهلهم ثلاثَ ليالٍ لينظر الأصلح، ويقف على حقيقة الحال، ولم يزل يحل ما أبرموه بالنقض، ويستعين بالبعض على البعض، فلمَّا عَلِمُوا مقصد هذا الوزير، وما جنح إليه من الصُّلح، وكان عين الرأي والتدبير، رجع كُلّ عن مطلبه آيس[٣]، وخمدت نار فارس، ثم إنَّه أصلح بينهم وبين الشريف محمد، وأعاد سيف الشقاق في قرابه وأغمد، ونادى منادي الصلح في باطن المسجد الحرام، وأطراف الشوارع، ولم يبقَ أحد مِن الفريقين إلا وهو طايع[٤].

ثم في اليوم الثاني نزل الذي[٥] من جدة من عساكر الأتراك، ولحق بهم

= عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة، نصوص عربية ودراسات إسلامية، المجلد ٢٨، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ص ٢٠١- ٢٠٨؛ عبد الرحمن الجبرتي، **عجائب الآثار في التراجم والأخبار**، ج١، تحقيق: عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، تقديم: عبد العظيم رمضان، الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، د.ط، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ص ١٢٠-١٢١، ٢٥٣-٢٥٨، ٤٠٥.

(١) باشا: أحد الألقاب الفخرية في العصر العثماني، وكان يمنح للأشخاص المدنيين والعسكرين على حد سواء، وقد اختلفت الآراء حول أصله، ولعلَّ أرجحها أنَّه مِن الكلمة التركية «بَاشْ»، ومعناها: رأس، أو طرف، أو زعيم، أو قائد. وظهر هذا اللَّقب في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، وكان علاء الدين أخو أورخان بن عثمان أوَّل مَن لُقِّب به، والباشوية تنقسم إلى ثلاث درجات متتالية: الأولى باشا بذيل، والثانية باشا بذيلين، والثالثة باشا بثلاثة ذيول. أحمد السعيد سليمان، **تأصيل الدخيل**، ص ٣٦-٣٧؛ مصطفى بركات، **الألقاب والوظائف**، ص ٨٠-٨٥.

(٢) يُعلل العاملي أسباب تأخر باكير باشا في القدوم إلى مكة المكرمة لسببين، وهما: أولًا- إنَّه مع طول المدة، تنحل عنهم الغلظة والشدة. ثانيًا- مراعاة الشريف محمد بن عبد اللَّه لأنَّه يعلم بأنَّ ما وقع مِن عسكره، ليس بأمره ولا عن مراده وهواه. رضي الدين العاملي، **تنضيد العقود السنية**، ٢/ ٢٨٣-٢٨٤.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: آيسًا.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: طائع.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: الذين.

من كان هناك، فلمَّا وصلوا جدة أظهروا نقض العهود، وأرسلوا في طلب الشريف مسعود، وما زالوا يرسلون له الدراهم صرَّة بعد صرَّة، والذخاير[١] مرَّة بعد مرَّة، ومنعوا أحكام الشريف مِن البَنْدَر[٢]، وتقوى كُلّ على وزيره وتغندر، فعند ذلك صلحت للشريف مسعود / ق١٢/ أحواله، وقويت لطلب الملك آماله، فرحل من تلك الأندية، ونزل بواد الحُدَيْبِيَّة[٣]، وكان بهذا السبب قطع طريق جدة وتلك الجهات، وسببًا للغلا[٤] وارتفاع الأسعار في الأقوات، وشريف مكة قد برز بالمراجل والعساكر، وخَيَّم بطُوَى[٥] وأطراف الزاهر[٦]، فما كان مِن السادة الأشراف فكلهم قد انحازوا هناك، ولم يبقَ مع الشريف محمد إلا العسكر لما بينهم مِن عداوة الأتراك، والأتراك تَوَجَّهوا مِن جدة ونزلوا على الشريف مسعود، ويدهم واحدة في اليوم المعهود، ثم تَوَجَّه الأمير مسعود يطوي شقة البين، ونزل مقابلاً بحيث تُرى العين بالعين، فلمَّا أصبح الصباح، ونادى منادي القتال بحيَّ على الفلاح، ضربت الطبول والبرق، وركض كُلّ فارس وسبق، ولم تزل نار الحرب تستعر، وتتقد وتَتَّعِر، والأبطال تُقَاتل الأبطال، ببوارق البواتر والعُسال، حتى انتصف النهار، وآن وقت الزوال، وكفَّ كُلّ مِن الفريقين القتال، أسفر الأمر على انتصار الشريف محمد على عمّه وعلى الأتراك، وغنّى له طير السعادة على غصن الأراك.

فتَوَجَّه الشريف مسعود وأصحابه إلى البَنْدَر المعمور، وبذل الجهد في

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: الذخائر.

(٢) البَنْدَر: لفظ فارسي معناه: ميناء أو مدينة ساحلية، دخل اللغة العربية عن طريق اللغة التركية. **المعجم الوسيط**، ص ٧١؛ مصطفى عبد الكريم الخطيب، **معجم المصطلحات**، ص ٨٧.

(٣) **وادي الحُدَيْبِيَّة**: يقع غربي مكة، وفيه عين ماء بذات الاسم. عاتق البلادي، **معالم الحجاز**، ص ٤٢٥.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: للغلاء.

(٥) **طُوَى**: وادي يمر بين الحَجُون وريع الكحل مارًا بِجَرْوَل حتى يجتمع بوادي إبراهيم في المسفلة، ويوجد فيه بئر ماء يعرف ببئر طُوَى. عاتق البلادي، **معالم مكة**، ص ١٦٨-١٧٠.

(٦) **الزاهر**: حي يقع غربي مكة، ويمر فيه الطريق إلى جدة. عاتق البلادي، **معجم الحجاز**، ص ٧٥٢، ٧٦٩.

إحاطتهم حتى أدخلهم السور، ونزل ومَن معه خارج البلاد، وشرع في تدبير آخر واجتهاد، وطلب مِن الوزير باكير باشا خِلْعة[1] الشرافة، وأنْ يُنادى باسمه لم يستطع أحد خلافه؛ فامتنع عن ذلك باكير باشا وأبى، وأوعده في العام القابل يقضي له أربا، وقال له: قد أرسلت للأبواب العالية، ونوهتُ باسمك، فلعلَّ الدولة ترسم لك الشرافة، وتكون مِن قسمك، فخرج مِن عنده غير راضٍ بهذا الوعد، وصمَّم على تجديد الحرب في الغد، فلمَّا بلغ الشريف محمد[2] وصول عمّه إلى جدة جمع الجيوش ورَدَّه، ومشى خلفه مسرعًا بالعساكر والجنود، وأرسل كتابًا يفسد به الأشراف الذي[3] كانوا مع عمّه مسعود، وأوعدهم بزيادة المعاش والنفقة والمجاهي التي لهم فيها كمال الانتعاش، ثم نزل بنفسه الشريف محمد وخَيَّم بالحفَر، وعندما رآه عمّه ترك كُلّ ما معه وفرّ، فأصبحوا ولم يعلم أحد بفراره، وإلى أيٍّ مقرَّ قراره، لكونه سرى على خيل وركاب، وتلقا[4] مهامه / ق١٣/ وهضاب، فحصل لابن أخيه اضطراب، وخشي مِن عاقبة الأمر تؤل إلى الخراب.

فلمَّا كان في اليوم السادس والعشرين [من شعبان[5]] سنة ١١٤٦ [6]،

---

(١) خلعة: اسم عربي لِمَا يُسَمَّى بالتركي قُفْطَان. وهو نوع مِن الملابس الخارجية، أو ما يُسَمَّى بالبشت أو العباءة أو الرداء، الذي كان السلطان يكسيه على موظفيه أو ولاته أو وزرائه إعرابًا عن رضائه عنهم. ولهذه الخلعة درجات وأنواع، وكانت أعلاها ما تمنح للأشراف، وهي مِن نوع فرو السَّمُّور، ويطلق على مَن يكلف بإلباس الخلعة للشريف قُفْطَان آغاسي، أي أغا الخلعة، كما أنَّ الصدور العظام والوزراء كانوا يلبسونها لِمَنْ يهمهم أمره. سهيل صابان، **المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية**، مراجعة: عبد الرازق محمد بركات، مطبعة الملك فهد الوطنية، السلسلة الثالثة (٤٣)، الرياض، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، ص ١٠٣.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: محمدًا.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: الذين.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: تلقى.

(٥) الشهرلم يذكر في الأصل، وقد رجحه الباحث تبعًا لسير الأحداث التالية.

(٦) ٢٦ شعبان ١١٤٦هـ/ ٣١ يناير ١٧٣٤م.

أصبح الشريف مسعود الطايف[١]، ونزل بساحة الحَبْر[٢]، ومعه شرذمة خيل وركاب، ونهب بها دار شيخ العسكر، فعرضت عليها العُربان قبيلةً بعد قبيلة، حتى صارت يده هي اليد الثقيلة.

[ولاية الشريف مسعود الثانية]

ولمَّا سمع الشريف محمّد بهذا الخبر، لم يهنه مقام بجدة ومقر، فعند ذلك أخذ طلبة[٣] مِن التجار الذي[٤] هناك، ولم يترك مَن يتعاطى الأسباب ولو مِن الأتراك، لكون يده خلت مِن النقود، بواسطة ما صنعه عمّه مسعود، ثم فرَّق ما جمعه على الأشراف، وتَوَجَّه إلى مكة حاذرًا مِن الخلاف، وفي ثاني يوم وصوله أرسل رتبةً على عمّه إلى الطايف[٥]، وظهر الحال أنَّ أمرها غير نايف، وكان طريقها على يَعْرِج، فبلغهم أنَّ الأمر قوي مزعج، فتحَصَّنوا بحصن العَبَدة، وأقاموا بها أيامًا وفرايصهم[٦] مرتعدة، وما زالوا بذلك المكان، والحرب لم تشب له نيران، ومولانا الشريف محمد مُقِيْم بمكة، محافظ لكُلّ ناحية وسكة، لكن ظهر للعساكر والرجال، أنَّ المانع له عن النزال خلوّ يده مِن المال[٧].

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: بالطائف.

(٢) الحَبْر: عبد اللَّه بن عباس بن عبد المطلب، ابن عم الرسول ﷺ ولد في شِعْب بني هاشم بمكة قبل الهجرة بثلاث سنوات (٦١٨م)، وقد أطلق عليه حَبْر وترجمان الأمة نظرًا لفقهه وعلمه في الدين، فقد دعا لهُ الرسول فقال: «اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ»، وهو مِن مفسري القرآن، روي عنه ١٦٦٠ حديثًا، توفي في الطائف ودُفِنَ فيها عام ٦٨هـ/ ٦٨٧م. شمس الدين الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ٣/ ٣٣١-٣٥٩؛ خير الدين الزركلي، **الأعلام**، ٤/ ٩٤.

(٣) أيّ ضريبة.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: الذين.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: فرائصهم.

(٧) يذكر العاملي أنَ الشريف محمد بن عبد اللَّه لم يخرج لقتال عمّه لعدة أسباب مِنْها: أولًا- خلو يده بسبب تعصب الأتراك وإفسادهم للتجار وذوي الأموال، ومنها ثانيًا- انفضاض كبار الأشراف مِن حوله لتقصيره في أداء حقوقهم، ومنها ثالثًا- برودة وقعت بينه وبين أخيه السيد ثقبة بن عبد =

وما زال مُقيمًا في خلال الأطلال، حتى أقبل عليه عمّه للقتال، ومعه شرذمة مِن الخيل والرجال، ذوات المهند والعسال، وقد صمَّم الشريف مسعود أنْ لا يرجع عن مقصده ولا يعود، إمَّا بتمام إربه، أو يموت بسببه، فلمَّا التقى الجمعان، بصارم ومران، وجالت الفرسان، في حومة الميدان، وحمل كُلّ بطل وجال، وقطع بصارمه حبل الآجال، انكشف الأمر عن قتالهم بعد مضي ساعة بنصر الشريف مسعود، لكونه ركض بنفسه إلى قبب المَعْلاَّ فنال المقصود، فاستذم الشريف محمد واستأجل، وخرج إلى الحُسَيْنِيَّة وما أمهل، وكانت مُدَّة ولايته الثانية[1] على ما تحرر سنة كاملة ونصف شهر.

ثم إنَّ الشريف مسعود[2] دخل مكة يوم الخميس أوَّل ساعة مِن النهار، وكان يوم أنيس عمَّ بسروره جميع الأمصار في ٢٣ رمضان سنة ١١٤٦هـ[3]، فدخل بسيادته إلى دار سعادته، وكان دخوله بأتم نظام، فلهذا قام بمكة واستقام، فأطد أساسها / ق١٤/ ورتب أحكامها وحرَّاسها، وشيّد الأمر على السداد، وأحسن فيما صنع وأجاد، واستدعى أعيان البلاد مِن السادة الأمجاد، واختار مِن أخيارهم ذوي الرشاد، مَن ارتضاه رأيه الكامل المستجاد، فَقَرَّبَه وأدناه، وأناله ما تَمَنَّاه، ثم أقبل عليه التجار والأتراك الذي كانوا بجدة، ومعهم الهدايا تُحَف[4] مِن النقود والعروض والتُّحَف، فقام بأمرهم القيام التام، حتى انتظمت دولته أحسن انتظام، فمد معاصريه مِن أهل الأدب، وأنالهم مِن الكرامة أَسْنى الرتب، فَمِن ذلك ما قيل في دخوله الأوَّل يوم الخطم:

= اللَّه، واستمرَّت إلى حين وصول الشريف مسعود إلى مكة. انظر: رضي الدين العاملي، **تنضيد العقود السنية**، ٢/ ٢٩٦.

(١) مُدَّة ولايته الثانية مِن ١٨ شعبان ١١٤٥هـ/ ٣ يناير ١٧٣٣م حتى ٧ رمضان ١١٤٦هـ/ ١٠ فبراير ١٧٣٤م. رضي الدين العاملي، تنضيد العقود السنية، ٢/ ٢٩٦.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: مسعودًا.

(٣) ٢٣ رمضان ١١٤٦هـ/ ٢٦ فبراير ١٧٣٤م. وقد ذكر العاملي ودحلان أنَّ دخوله كان يوم الخميس ٧ رمضان ١١٤٦هـ/ ١٠ فبراير ١٧٣٤م. رضي اللَّه العاملي، **تنضيد العقود السنية**، ٢/ ٢٩٦؛ أحمد زيني دحلان، **خلاصة الكلام**، ١٩٠.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: تُحَفًا.

اختير للخلق شهم كُلّ معتمده
عَلَى الإله فَمَا أخلاه مِن مددهْ
لَيْثٌ ينوب عَنْ الأنياب صَارمه
وَمِن مَخَالبه سمر القنا بيده
رَوَى الشَّجَاعَة عَن سَعْدٍ وَعَنْ حَسَنٍ
عَنْ الإِمَام عَلِيّ الْمَشْهور فِي جلده
كم صَابر الْقَوم حَتَّى صَار مسلكه
لَمَّا رَأَى مِنْهم مَا كَانَ فِي خلده
بَاعُوا نُفُوسًا كِرَامًا وَاشْتَروا شَرَفًا
بِمَوقف الْخطم مَلهى الأَب عَن ولده
عَادُوَا وَعَاد مُعَاذًا عَنْ مَسَرَّتهم
يغتر عَنْ حسن عَامٍ صَح فِي عَدَده
فِي شَطْر بَيْتٍ أتى سَعْد مؤرِّخه
الرَّب شَرَّف مَسْعُود عَلَى بَلَده[1]

بيان الحوادث الواقعة في أيام دولته

[وقوع كسوف كلي للشمس]

لمَّا مضى مِن ولايته ست[2] وستون يومًا؛ ٢٩ من ذي القعدة[3]، حصل

(١) جاءت بحساب الجُمَّل كالآتي: الرب: أ ١ + ل ٣٠ + ر ٢٠٠ + ب ٢= ٢٣٣. شرف: ش ٣٠٠ + ر ٢٠٠ + ف ٨٠ = ٥٨٠. مسعود: م ٤٠+ س ٦٠ + ع ٧٠ + و ٦ + د ٤= ١٨٠. على: ع ٧٠ + ل ٣٠ + ي ١٠= ١١٠. بلده: ب ٢ + ل ٣٠ + د ٤ + هـ ٥= ٤١ الأجمالي ٢٣٣ + ٥٨٠+ ١٨٠ + ١١٠ + ٤١ = ١١٤٤.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: ستةٌ.

(٣) ٢٩ ذو القعدة ١١٤٦هـ/ ٢ مايو ١٧٣٤م.

كسوف كلي للشمس، وظهرت جميع النجوم والكواكب، وشاهدوا مِن الفزع والأهوال عجايب وغرايب(١)، فسرجت الناس المصابيح في البيوت والأسواق مِن شدة الظلمة التي لا تطاق، وقد أجمع المنجمون أنَّه كسوف جزئي لا تدركه الأبصار، فكان قولهم كذبًا واللَّه يفعل ما يشاء ويختار(٢).

[إخراج الغرباء عن مكة المكرمة]

ولمَّا سمع أهل الآفاق بسيرة مولانا الشريف مسعود، وحسن سيرته التي هي زينة الوجود، ومعاملته مع رعيته بسلوكه /ق١٥/ مع ذويه وأنصاره وحميته، رغبوا في استيطانها، وكانوا مِن جملة سكانها، فامتليت(٣) مِنْهم البلاد، وجاروا على أهلها باحتكار الزاد، وتضايق أهلها من السكنى والمعاش، ولم يبقَ لهم رمق ولا انتعاش.

وهذه سُنَّةٌ قَدِيمَةُ الأصل أنَّ الرعيَّة تكثر في بلد العدل، ولَمَّا راى(٤) الأغرابَ اتخذوها وطنًا وجعلوها مسكنًا، وبنوا فيها الدور، واشتروا الجرايات والصُّرور، وتعالت على أهلها بسوء فعلها، وترك كُلٌّ وطنه

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: عجائب وغرائب.

(٢) بالإضافة إلى ما ذكره مؤرخنا، فقد ذكر العاملي بعض المعلومات الأخرى، مِنْها قوله: «قال مُنَجِّم مكة المشرفة في ذلك الزمان، القاضي حسن بن القاضي محمد ابن القاضي أحسن في الدرّ المحلول الذي استخرجه مِن زيج أُلغ بيك، وقوَّم فيه الشهور والبروج، ومسير الشمس والقمر، وضبط الكسوفات والخسوفات، ما هذا لفظه، ومِن خطّه نقلت، بعد أنْ ذكر تقويم هلال ذي القعدة مِن السنة المذكورة: وفيه يحصل كسوف جزئي في يوم الاثنين تاسع عشرينه، وذلك بعد مضي أربع ساعات وعشر درج، وآخره بعد مُضي خمس ساعات وتسع درج، ومن أوَّله إلى آخره أربعة عشرة درجة، والمقدار المنكسف ثلثا إصبع، فلا يظهر إلا بعرض الماء الراكد بقطر مكة المكرمة، واللَّه أعلم تعالى أعلم. فتأمَّل في هذه الأغلاط الواضحة، والأوهام الفاضحة، مع أنَّه من أضبط أهل زمانه، ومرجع معاصريه وأقرانه، ولم يتفرَّد هو وحده بذلك، بل رأيت مثل هذه العبارة في تقويم آخر لبعض منجمي العجم، فسبحان الملك العلام الذي لا يسهو ولا ينام». رضي الدين العاملي، **تنضيد العقود السنية**، ٢/ ٣٠١-٣٠٢.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: فامتلأت.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: رأى.

ومر، وجعلها دار مقر، مع أنّ هذا البيت الحرام، قبلةُ للآنام، وفيه البقعة التي يقصدها الإسلام، للحج في كُلّ عام، ياوي[١] إليها الوفود مِن جميع المسالك، لأداء الفروض والمناسك، وهو موصوف بأنَّه وادٍ غير ذي زرع، ولا ينبت فيه ثمر، ولا يدر به ضرع؛ فأطلق بها المُنادي: أنْ لا يسكنْها إلا العاكِفُ دُونَ البادي، وإنْ أقام بها غريب، فهو قتيل وسليب، وحَثَّ الغربا[٢] جميعًا على الخروج، وترك كُلًّا مِنْهم في بحر الفكر يموج، فما زالوا يخرجون مِنْها وحدانًا ومثنى وثلاث، ويبيعون الدور والصرور والأثاث، والمُنادي كُلّ حين يقول: يا أهلَ الشامِ شامَكم، يا أهلَ اليمن يمنكم، هذا ديدنه في خلال الدور، وجميع المسالك، وقيل: إنَّ سيدنا عمر بن الخطاب كان يفعل مثل ذلك. فما زالوا ينشالون ويخرجون، ومِن كُلّ حَدَب ينسلون، وما تخلَّف أحد مِنْهم ولا نجا، ولم يَقْبَلْ في جلوس واحدٍ شفاعةً ولا رجا[٣]، فبعد ذلك طاب الوقت وزان، وحسن حال السكان، وحَمَدت الناس جميعًا بكل لسان. وكانت هذه الواقعة في عام سنة ١١٤٧[٤]، ألف ومائة وسبعة وأربعين، والغرض مِنْها يتم بقدر هذا التبيين[٥].

[منع التظاهر بشرب الدخان في مكة المكرمة]

وفي هذا العام المذكور[٦]، صادف المقدور أنَّ صاحب السيادة

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: يأوي.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: الغرباء.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: رجاء.

(٤) ١١٤٧هـ/ ٢ يونية ١٧٣٤-٢٢ مايو ١٧٣٥م.

(٥) ذكر العاملي حادثة إخراج الغرباء عن مكة المكرمة في أحداث عام ١١٤٨هـ/ ٢٣ مايو ١٧٣٥-١٠ مايو ١٧٣٦م، بينما ذكر دحلان في أحداث عام ١١٤٩هـ/ ١١ مايو ١٧٣٦-٢٩ أبريل ١٧٣٧م. انظر: رضي الدين العاملي، **تنضيد العقود السنية**، ٢/ ٣٠٧-٣٠٨؛ أحمد زيني دحلان، **خلاصة الكلام**، ص ١٩٤.

(٦) ذكر العاملي تحريم شرب الدُّخَان في أحداث عام ١١٤٨هـ/ ٢٣ مايو ١٧٣٥-١٠ مايو ١٧٣٦م، بينما ذكره دحلان في أحداث عام ١١٤٩هـ/ ١١ مايو ١٧٣٦-٢٩ أبريل ١٧٣٧م. رضي الدين العاملي، **تنضيد العقود السنية**، ٢/ ٣٠٨-٣٠٩؛ أحمد زيني دحلان، **خلاصة** =

والشرافة، ومَعْدِن الإيالة والخلافة، نادى مناديه بأنْ لا يتظاهر أحد بشرب الدُّخَان[١]، ولا يمر به شارب على شارع ولا دكان، وتوعَّد شاربه بالتهديد، وأظنَّه لا يفيد، فرفع مِن القهاوي / ق١٦/ والأسواق، وصار حاكمه يقبض مَن يراه عنده مِن الأطواق، وما أظنُّ هذا الشريف الجليل فعله عن تحريم ولا تحليل؛ وإنَّما لَمَّا تظاهر شربه في الشوارع الأراذل والأسافل، صاروا لا يرفعونه مِن أيديهم إذا مَرَّ بهم شريف أو عالم أو فاضل، ورُبَّمَا شُرِبَ بين الصفا والمروة اللذان[٢] هما مِن شعاير[٣] اللَّه، ويجب تعظيمهما على كُلِّ مسلم - وسيما على الولاة، ورُبَّمَا أفحش بعض الناس وقلَّ الأدب فيه، ومر به والشريف جالس في بدايته وهو في فِيه[٤].

وللعُلماء أبحاث فيه وأقاويل بين إباحة، وتحريم، وتحليل[٥]، ولم أرَ مَن

= **الكلام**، ص ١٩٣-١٩٤.

(١) **الدُّخَان**: والمقصود به التبغ أو التنباك الذي انتشر في أنحاء الدولة العثمانية، وقد قيل: إنَّه انتقل إليها مِن مصر. أحمد السباعي، **تاريخ مكة**، ٢/ ٤٥٦. وقد تحدث الرحالة بوركهارت عن انتشار التبغ، والتنباك، والحشيش في الحجاز، وذكر أنَّ الناس يدخنون النرجيلة الفارسية، وكان مِنْها ثلاثة أنواع: القدرة، والشيشة، والبوري. جون لويس بوركهارت، **ترحال في الجزيرة العربية**، ٥٠-٥١، ٦٠-٦١. وللمزيد عن التبغ ودخوله إلى الأقطار العربية انظر: علي محمد علي حبيب، **التبغ في الإمبراطورية العثمانية**، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م، ص ١٣ وما بعدها.

(٢) كذ في الأصل والصواب: اللّذين.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: شعائر.

(٤) **فِيه**: أي في فمه.

(٥) شهدت الفترة التي ظهر فيها انتشار التبغ في الدولة العثمانية اختلافًا بين عُلماء المسلمين ما بين التحليل، والتحريم، والإباحة، ويتجلى ذلك في العديد من المؤلفات التي تناولت هذه المسألة، ومنها: عبدالغني بن اسماعيل النابلسي، **الصلح بين الإخوان في حكم إباحة الدخان**، مخطوط في مركز المخطوطات، مكتبة الإسكندرية، تحت رقم (٢٩٦ فقه حنفي)؛ أحمد بن مصطفى، **رسالة في الدخان**، مخطوط في مركز المخطوطات، مكتبة الإسكندرية، تحت رقم (٢٥٩ فقه حنفي)؛ نور الدين علي الأجهوري، **غاية البيان لحل شرب ما لا يغيب العقل من الدخان**، مخطوط في مكتبة جامعة الملك سعود، الرياض، تحت رقم (٤٢٩ فقه مالكي)؛ محمد بن حمزة كوزل حصاري، **رسالة في بطلان بيع الدخان**، مخطوط في مركز المخطوطات، مكتبة الإسكندرية، تحت رقم (٢٢٠ فنون متنوعة)؛ شهاب الدين أحمد بن علي النوبي، **رسالة** =

قال بتحريمه مستندًا مِن السنة أو مِن الكتاب إلاَّ محضَ أقيسة، واللَّه سبحانه وتعالى أعلم بالصواب، مع أنَّ البلوى به عامة بين الأشراف، والعُلما[1]، والعامة، ويلزم على القول بالتحريم تفسيق المسلمين بالتعميم؛ حيث كانوا إمَّا شارب، أو في بيته مَن يشربه، أو مشاهد، فما خرج أحد مِن الثلاث عن واحد؛ فحينئذ لا يوجد في المسلمين عدلٌ - خصوصًا - هو شرط في شهود النكاح، ويترتب على هذا أنَّ الأنكحة على بعض المذاهب سفاح، نعوذ باللَّه تعالى مِن التعصب، ومِن القول الذي لم يكن قائله مصيب[2].

وكان أوَّل ظهور شجرة الدُّخَان في [تسع مائة وتسع وتسعين][3][4]، مِن هجرة سيِّد المرسلين، وقد أرَّخ بعض الفضلا[5] تاريخًا، فقال:

خَلَّى عَن الدُّخَان أَجبني
هَل لَه فِي كتابنا إِيْماء

قلت مَا فَرَّط الْكِتَاب بِشَيء
ثُمَّ أرَّخت يَوْم تَأْتِي السَّمَا[6]

وما أحسن جواب القاضي لنايبه[7]، قيل: كان قاضي بمكة - شرفها اللَّه تعالى - مولع[8] بشرب التنباك، وله نائبٌ يُحَرِّمُه، ويبغض مَن يشربه

= سد الآذان عن شرب الدخان، مخطوط في مركز المخطوطات، مكتبة الإسكندرية، تحت رقم (٧٠٥٥) وللمزيد انظر: علي حبيب، **التبغ في الدولة العثمانية**، ص ١٥ وما بعدها.

(١) كذا في الأصل، والصواب: العُلماء.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: مُصِيبًا.

(٣) وردت في الأصل تسع مائة وتسعين، والتصويب من النسخة (ب) ورقة ١١.

(٤) ٩٩٩هـ/ ٣٠ أكتوبر ١٥٩٠ - ١٨ أكتوبر ١٥٩١م.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: الفضلاء.

(٦) **جاءت بحساب الجُمَّل كالآتي**: يوم: ي ١٠ + و ٦ + م ٤٠ = ٥٦. تأتي: ت ٤٠٠ + أ ١ + ت ٤٠٠ + ي ١٠ = ٨١١. السما: ا ١ + ل ٣٠ + س ٦٠ + م ٤٠+ أ ١+ أ ١= ١٣٢. الإجمالي ٥٦ + ٨١١+ ١٣٢ = ٩٩٩.

(٧) كذا في الأصل، والصواب: لنائبه.

(٨) كذا في الأصل، والصواب: مولعًا.

مِن إذ ذاك، فقال لأستاذه يوم ثامن ذي الحجة: يا مولاي إنشا[1] اللَّه تعالى تتركون شربه في غد يوم عرفة، فقد أحببتُ لكم ذلك واستحسنته، فقال له القاضي: بل أتركه الآن إذا أحْرَمْتُ؛ أراد بذلك تركه إذا أحرم، لكونه طيبًا، والطيب لا يحل للمحرم، فانظر لهذا الجواب المُسْكت، وأعجب له كيف يهزءُ بنائبه ويبكت، وقد نظم في هذا المعنى كثير مِن الفضلاء فَمِن ذلك / ق١٧/ :

اِشْـرَب مِـنْ التـنباك واقْـصـد بِـه
تَـوْدِيْـعَـه يَـا مَـنْ غَـدًا يَحْـرم

فَـهُـو لأهـل الـذَّوق طـيـب لـه
وَمَـنْ أَحْـرم فَـالطِّـيب يَحْـرم

ولبعضهم في التنباك بغير هذا المعني:

لَـقَـدْ عَـنَّـفُـونَـا بِـالـدُّخَـان وَشُـرْبِـه
فَـقُـلْـت: دَعُـوا التَّـعْـنِـيف فَـالأَمْـر أحْـوجَـا

ألاَ إنَّ عِـفْـرِيـتَ الْـهُـمُـومِ بِـصَـدْرنـا
عَـصَـانَـا فَـدَخَّـنَـا عَـلَيْـه لِيَـخْـرُجَـا

وفيه لوالدنا[2] الشيخ محمد علي عبد الشكور[3] ابن المورخ[4] المذكور:

يَـقُـول صَـدِيْـقِـي مُـذرَأَى الـلِّـي فِـي فَـمِـي
وَدُخَـان نَـار الـتِّـتـن[5] يَـصْـعَـد فِـي الْـهَـوى

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: إن شاء.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: لولدنا؛ وذلك في ضوء الفَهم الصحيح بسياق الجملة.

(٣) سبقت ترجمته، ص ٤٤، حاشية رقم (١).

(٤) كذا في الأصل، والصواب: المؤرخ.

(٥) **التّتن**: من التركية توتون tütün، ومعناها: الدُّخَان، ثم أطلقت على ورق التبغ. أحمد السعيد سلمان، **تأصيل الدخيل**، ص ٥١.

مَتَى أَنْتَ تَشْرَبُهَا وَقَدْ كُنْت سَابِقًا
تكرهها قُلْ لِي رَكَنْتَ إِلَى الْهَوى

فَقلت لهُ: نَارُ الْمَحَبَّة أَشْعَلَتْ
قلبي حِيْن الخل بالْهَجْر قَد نَوى

فَأَوْهَمتُ عُذَّالِي بِأَنَّ الدُّخَان ذَا
مِن التّتن لاَ مِنْ حُرقة دَاخِل الْجَوا

ومِن ذَرى قال في المعنى:

ومَا شربي الدخانَ مِن أجل لذة
ولا طعمه كالْمِسك شيب بعنبر

ولكنني أشفي قليبي بشربه
كما يتداوى شارب الخمر بالخمر

والحاصل أنَّ مدايحه[1] كثيرة، والأعذار في شربه شهيرة. انتهى.

[هجوم الجراد على مكة]

وفي عام ثمانية وأربعين سنة ١١٤٨ [2]، جاء مكة مِن جنود الدَّبا[3]، ما ملا[4] السهل والرُّبا[5]، وأعجز عن وصفه ألْسنة الأدبا[6]، حتى حسبوه عذابًا مِن اللَّه تعالى وغضبًا، فغشي جميع بيوت مكة، ولم تخل مِنْه ناحية ولا سكة،

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: مدائحه.

(٢) ١١٤٨هـ/ ٢٣ مايو ١٧٣٥-١٠ مايو ١٧٣٦م.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: الدَّبَى؛ وهو الجراد. كمال الدين الدميري، **حياة الحيوان الكبرى**، ج١، د.ن، د.ط، د.ت، ص ٢٩٥.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: ملأ.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: الرُّبى، وهي الأماكن المرتفعة.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: الأدباء.

يأوي إلى فراشهم وهُم نيام، ويقع في أزيار[١] الماء وأوان الطعام، فضاق بهم الحال، وزاد الاشتغال بحيث لا يَجِدُون لهم راحة في المآكل والمشارب والمضاجع، حتى لا يشك أحد في قوله ولا ينازع: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ ﴾[٢]. ولو لم يكن هذا ممنوعًا تخففًا مِنْه ورحمة، لقالوا: هذا / ق١٨/ مِن عذاب تلك الأمة، وصاروا لايطؤن إلا فوقه، ولا ينامون إلا عليه، والأمر للَّه وحده والمنتهى إليه، ثم تضرَّعوا إلى اللَّه تعالى في كشف هذه الغُمَّة، لأنهم ليسوا مِن تلك الأُمَّة.

لطيفة: قيل: إنَّ رجلاً غريبًا كان ببلدة فحشرته الأمطار، ومنعته عن التسيار، حتى ضاق ذرعه مِن المقام، ولم يكفف الغَمَام، فهجا أهل تلك البلدة، فقال:

وَإِنْ يَدُوم الْقَطر وَالْغَيْث كَذَا
جَاء بالطُّوفَان والبَحْر الْمُحِيْط

مَا هُم مِن قَوْم نُوح يَا سَمَا
أقْلِعِي عَنْهم فَهُم مِن قَوْم لُوط

وما زال هذا يملأ البيوت والشوارع، ويأكل الثمار والمزارع، وما برح ينشال على مكة مِن جميع الشعاب والهضاب، إلى أنْ تمَّ أربعين يومًا، وفَرَّج اللَّه تعالى عنهم هذا العذاب، فسلخ جانب جناحه وفر، وجانب امتلئت مِنْه الآبار والحفر.

[الصلح بين الشريف مسعود وابن أخيه]

وفي شهر رمضان[٣] مِن هذا العام أقبل الشريف محمد بن عبد اللَّه،

---

(١) **أزيار**: جمع زير، جرّة كبيرة واسعة الفم يوضع فيها الماء. **معجم اللغة العربية المعاصرة** (٢/ ١٠١٥).

(٢) القرآن الكريم، **سورة الأعراف**، آية رقم ١٣٣.

(٣) شهر رمضان ١١٤٨هـ/ ١٤ يناير – ١٢ فبراير ١٧٣٦م.

وكان في أعمال رُهَاط[1] وما يلي، ومعه طايفة[2] مِن الرُّوقَة[3] آل علي، كانوا جنيه يقطعون الطريق، ويجتمع عليهم كُلّ فاجر وزنديق، فلمَّا أقبل بهم على وادي مرّ، وقد استمال آل بركات بالمعاليم والمقر، حصل اضطراب لمولانا الشريف مسعود لكونه لم يستعد لشيء مِن الجنود، فأشار عليه بعض العُقَّال[4] مِنْ الرجال أنْ يستميل مَنْ مال مع ابن أخيه بالمال؛ فأرسل لآل بركات واستمالهم وجَدَّد لهم معاليمهم، واستمالهم وأوعدهم بالمقرّرات والمعاش، وأنعش مَن أخصّ جناحه وأراش؛ فمالوا معه، وتركوا الشريف محمد[5]، وهان أمره بعد أنْ اشتدّ، فعند ذلك لم يطب له المقام والمقال في هذه الخلال، وتَوَجَّه الشريف محمد دام عُلاه إلى خُلَيْص وما والاه، فتعب وتعطَّلت أحواله، وقلّ سبحه ومجاله.

وما زال مُقيمًا إلى وصول الحج الشامي حتى اتجه بأميره سليمان باشا بن العظم[6]، لا زال قـــدره..

---

(١) **رُهَاط**: وادٍ كثير العيون والنخل، يقع في الشمال الشرقي من مكة حوالي ١٢٢ كيلًا، كان مِن ديار هُذَيْل فأصبحوا بعيدًا عنه، وحاليًّا يسكن أعلاه الرُّوقَة مِن عُتَيْبَة، وأسفله مُعَبَّد مِن حرب. عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ص ٧٣٥-٧٣٦.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: طائفة.

(٣) **الرُّوقَة**: جذم مِن قبيلة عُتَيْبَة، ومنازلها أقرب إلى الحجاز، وينقسم إلى ثلاثة أفخاذ: ذوو ثبيت، الطليحة، المزاحمة. وهم مُنتشرون مِن رُهَاط إلى كُشُبٍ وفي عالية نَجْد إلى السِّر. عمر رضا كحالة، **قبائل الحجاز**، ٢/ ٤٥٤؛ حمد الجاسر، **معجم قبائل المملكة العربية السعودية**، منشورات النادي الأدبي، الرياض، ط١، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ص ٢٩٠-٢٩١.

(٤) أيّ العُقَلاء.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: محمدًا.

(٦) **سليمان باشا العظم**: ثاني حكام أسرة آل العظم التي حكمت باشوية دمشق، وتمتعت بمكانة مهمة لدى الباب العالي، هذا، وقد تولى باشوية دمشق عام ١١٤٦هـ/ ١٧٣٣م، وظلّ في هذا المنصب خمس سنوات، وفي خلال ولايته نفى عددًا كبيرًا مِن الإنكشارية، ثم عُيِّن واليًا على مصر (١١٥٢-١١٥٣هـ/ ١٧٣٩-١٧٤٠م)، وقد ترك العظم وراءه فراغًا سياسيًّا في دمشق، فاضطربت الأوضاع فيها، وعجز الولاة في السيطرة على الأمُور، فقام السلطان بتعيين سليمان باشا مرة أخرى واليًا عليها (١١٥٤-١١٥٧هـ/ ١٧٤١-١٧٤٤م)، فاستقرّت الأوضاع إلى حدٍ كبيرٍ، وقد توفي عام ١١٥٦هـ/ ١٧٤٣م. أحمد البديري الحلاق (ت١١٧٥هـ/ ١٧٦٢م)، **حوادث دمشق اليومية (١١٥٤-١١٧٥هـ/ ١٧٤١-١٧٦٢م)**، =

سامي[1]، وكان بينهما مودَّة قديمة، ومحبَّة مُستديمة، فعالجه الشريف محمد على أنْ يخلع عليه الخِلْعة السلطانيَّة، وينوِّه باسمه في الأقطار الحرميَّة، فلمْ يفعل ذلك سليمان باشا، وخشي سطوة السلطان فتحاشى، واعتذر له ولِمَن معه من الأشراف، بعدم الإذن مِن الدولة المُطاعَة / ق١٩/ ، وأنْ ليس له قدرة على ذلك ولا استطاعة، وأعمل لهم الحيلة في الخلاص مِن أيديهم، ونوى أنْ يفعل لهم ما يرشدهم ويهديهم، ولَمَّا تَوَجَّه إلى مكة المشرفة، واتجه بحضرة مولانا الشريف مسعود أصلح بينه وبين ابن اخيه، وربط المواثيق والعهود، وتكفَّل لِمَن يحصل مِنْه النقص بالنقص، ووقع المكاتبة على هذا النص.

وعندما عاد إلى المدينة المنوَّرة، أعطى المكاتيب لحضرة مولانا الشريف محمد بعقد الصلح، فأقبل على مكة بكمال المسرة والنُّجْحِ، فخرج له عمّه وقابله بالإعزاز والإكرام، ورتب له ولِمَن معه ما يكفيه على وجه التمام.

[وفاة وزير الشريف في جدة وتولية ابنه]

وفي عام ثلاثة وخمسين[2] توفي وزير الشريف بجدة، وهو ذو محاسن عدة، الوزير الكبير ذو الرأي والتدبير، واحد الزمن، صاحب الرأي والفطن،

= وقف على تحقيقها ونشرها: أحمد عزت عبد الكريم، مطبوعات الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، القاهرة، ط١، ١٩٥٩م، ص ٨-٤٥؛ عبد الرحمن الجبرتي، **عجائب الآثار**، ١/ ٢٥٨-٢٥٩؛ إبراهيم فاعور صيتان، **سليمان باشا العظم والي دمشق المرحلة الأولى (١١٤٦-١١٥١هـ/ ١٧٣٤-١٧٣٨م)، المرحلة الثانية (١١٥٤-١١٥٦هـ/ ١٧٤١-١٧٤٣م): دراسة تاريخيَّة وثائقيَّة**، مجلة الدارة، الرياض، العدد الأول، المحرم ١٤٢٩هـ/ مايو ٢٠٠٨م، ص ١٨٨-٢٢٣.

(١) كذا في الأصل، والصواب: ساميًا.

(٢) عام ١١٥٣هـ/ ٢٨ مارس ١٧٤٠-١٦ مارس ١٧٤١م.

ذو المقام السامي إبراهيم بن عبد الرحيم الشامي[(١)] فولي ابنه الجمال محمد[(٢)] سنة ١١٥٣، وتقلَّد عِقدها الثمين المنضد، فكساها ثوب إجلال ومهابة، وظهر عليه مع صغر سنه أثر الكمال والنجابة، فرسم أمور الدولة وحرَّرها، وأقام بِمَهَمَّات أمُورها ودبَّرَها، فزها به دست الوزارة، وعمَّر البندر، وربا تجارة، فقلَّده سيده جميع الأمُور، وبه صار البَنْدَر معمور[(٣)]، وما زال له الحل والعقد، وبيده العرُوض والنقد، حتى صار يختار مِن الرجال لكلّ منصب فيغرسه، فإذا عيَّنه صاحب الترجمة يُلْبِسَه، وكان قد تطوَّق بعقد الوزارة لست وعشرين خلون مِن شهر رمضان سنة ألف وماية[(٤)] وثلاثة وخمسين[(٥)]، وعاش ممتعًا له العزُّ والتمكين، واستمر في الوزارة اثنا[(٦)] عشر عامًا في دولة الشريف مسعود، وما زال في صعود وسعود، ثم وليها في دولة أخيه الشريف مساعد، وتسَمَّى قدره للعلا وتصاعد، وسأذكر مدته الثانية بعدما أترجمه، وأُشَيِّد عقد مفاخره وأنظمه.

[قدوم سيل عظيم على مكة]

وفي عام ثلاثة وخمسين في شهر رمضان[(٧)] سال سيل عظيم[(٨)] مهم،

---

(١) إبراهيم بن عبد الرحيم الشامي: كان أديبًا شاعرًا، وعمل كاتبًا للشريف مسعود، توفي في مكة المكرمة ١٠ جمادى الأولى ١١٥٣هـ/ ٢ أغسطس ١٧٤٠م، ودُفِنَ في مقبرة المَعْلَاة. رضي الدين العاملي، **تنضيد العقود السنية**، ٢/ ٣٣٨؛ القطان، **تنزيل الرحمات**، ٢/ ٢٦٦؛ عبد اللَّه غازي، **نظم الدرر**، ص ٢٥٠.

(٢) **جمال الدين محمد بن إبراهيم الشامي**: تولى الوزارة في ٢٦ رمضان ١١٥٣هـ/ ١٤ ديسمبر ١٧٤٠م، وقد خلف إناثًا مُتْنَ بعده، وقد تبقى مِن بعدهم ذرية معاتيقهم، ويُعْرفُون ببيت وزيرية. رضي الدين العاملي، **تنضيد العقود السنية**، ٢/ ٣٣٨؛ عبد اللَّه ميرداد، **المختصر من نشر النور**، ص ٤٦؛ عبد اللَّه غازي، **نظم الدرر**، ص ٢٥٠.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: معمورًا.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: مائة.

(٥) ٢٦ رمضان ١١٥٣هـ/ ١٤ ديسمبر ١٧٤٠م.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: اثني.

(٧) رمضان ١١٥٣هـ/ ١٩ نوفمبر - ١٨ ديسمبر ١٧٤٠م.

(٨) أدى موقع مكة المكرمة في وادٍ تحيط به الجبال من كل جانب إلى أنه إذا سقطت الأمطار =

تحسبه سيل العرم[١]، حتى أهال أهل مكة، وعَمَّ كُلّ ناحية وسكة، ولم يُبقِ دكانًا ولا دكة، فدخل داخل / ق٢٠/ البيت الحرام، وطاف بالركن والمقام، ووصل إلى قرب الحِزام، ومَنَعَ الناس عن صلاة الجمعة إلا خمسة أشخاص لا زيادة، خطب لهم الإمام وصلى بهم على دكة باب الزيادة[٢]، فترادفت بعده الخيرات مِن كُلّ الجهات، وارتخت الأسعار، وصلحت المزارع والثمار، وكان هذا السيل مِن جملة النِّعم على سكان الحرم.

وفي اليوم الثاني نزل إلى المسجد، حضرة مولانا الشريف مسعود،

= عليها بشدة، تأتي على هيئة سيول، تنزل من جميع الجبال والمرتفعات، وتجرف معها ما كان في طريقها مِن الحجارة والأتربَة والرمال، وتنزل إلى الأماكن المنخفضة فتتجمع في الشوارع، وتدخل المسجد الحرام، وتحدث به كثيرًا مِن الأضرار؛ ولذلك اهتم الحكام المسلمون بإقامة السدود عند مخارج السيول؛ لحماية الكعبة المشرفة مِنْها. للمزيد عن أشهر السّيول والسّدود في مكة المكرمة، راجع: محمد طاهر الكردي المكي، **التاريخ القويم لمكة وبيت اللَّه الكريم**، ج٢، تحقيق: عبد الملك بن دهيش، دار خضر، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، ص ٢٤٢-٢٦٥.

(١) **سيل العرم**: سيل عظيم وقع في مملكة سبأ في اليمن قبل الإسلام، وكان سببًا في انهيار سد مأرب، وسقوط دولتهم، وقد ذكر أخباره في القرآن الكريم في سورة سبأ الآيات ١٥-٢١. للمزيد انظر: محمد بيومي مهران، **دراسات تاريخية مِن القرآن الكريم: بلاد العرب**، دار النهضة العربية، بيروت، ط٢، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ص ٣٢٩ وما بعدها.

(٢) **باب الزيادة**: أحد أبوب الجدار الشمالي للمسجد الحرام. شُيِّد في عهد الخليفة العباسي المعتضد باللَّه (٢٧٩-٢٨٩هـ/ ٨٩٢-٩٠٣م) عندما أضاف المساحة المتبقية مِن دار الندوة للمسجد الحرام بين عامي ٢٨١-٢٨٤هـ/ ٨٩٤-٨٩٧م، وفتح في الجدار الشمالي لتلك الزيادة باب عُرِفَ باسم باب زيادة دار الندوة، أو باب السويقة لأنَّه يخرج مِنْه إلى السويقة، إلا أنَّ اسم باب الزيادة صار الأشهر، وكان له منفذان اثنان، وفي عام ٩٧٢هـ/ ١٥٦٤م أمر السلطان العثماني سليمان القانوني بفتح منفذ ثالث؛ فأصبحت الثلاثة منافذ باتساع ثمانية أمتارٍ، وكان عند الباب دكة مرتفعة بنيت بالحجارة، وكان للباب درج ينزل منه إلى أرض المسجد بثلاث عشرة درجة، واستمر على عمارته حتى هدم في التوسعة السعودية. إبراهيم رفعت، **مرآة الحرمين**، ١/ ٢٣٤؛ محمد الكردي، **التاريخ القويم**، ٤/ ٥٣٢؛ طه عمارة، **تاريخ عمارة وأسماء أبواب المسجد الحرام حتى نهاية العصر العثماني**، مركز أبحاث الحج، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، د.ط، د.ت، ص ١٤١-١٤٤، ١٨٦-١٨٧.

وحوله جميع العساكر والجنود، ونادى على جميع سُكَّانها وأكابرها وجيرانها، وقد أحضر المَسَاحِي[٣] والمَكَاتِل[٤] الكبار، لينقلوا فيها ما رماه السيل مِن دمار، فلمَّا اجتمعت الناس على طبقاتها، بساحة البقعة ورواقاتها[٥]، تقَدَّم صاحب الترجمة، وحَمَل مِن الطين بيده الشريفة، مِن تلك البقعة المُباركة المنيفة، فعندما شاهدت الرعيَّة فعلته السنية، رمت بأنفسها على حمل التراب، وطلبت الثواب مِن ربِّ الأرباب[٦]، امتثالًا لقول المعبود: ﴿ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ ﴾[٧].

[غزوة على الأشراف بني حسن في الشَّاقَّتَيْن]

وفي عام خمس وخمسين[٨] جرى مِن الحوادث، ما كان به الزمان باعث[٩]. اعلم أنَّ السادة الأشراف المسمين ببني حسن[١٠]، القاطنين

---

(٣) **المَسَاحِي**: جمع المِسْحاة، أداة تستخدم في تجريف الأرض وتسويتها، تشبه الفأس. **المعجم الوسيط**، ص ٤٢١.

(٤) **المَكَاتِلُ**: جمع مِكْتَل، وعاء يُعْمل مِن الخُوص. **المعجم الوسيط**، ص ٧٧٦.

(٥) وهي الأروقة، جمع رواق.

(٦) انفرد مؤرخنا بالمعلومة الخاصة بنزول الشريف مسعود إلى المسجد الحرام، ليرفع ما حل به من جراء السيل المذكور، وهو ما لم يذكره رضي الدين العاملي. قارنه مع: **تنضيد العقود السنية**، ٢/ ٣٣٩.

(٧) القرآن الكريم، **سورة البقرة**، آية رقم ١٢٥.

(٨) عام ١١٥٥هـ/ ٨ مارس ١٧٤٢ - ٢٤ فبراير ١٧٤٣م.

(٩) كذا في الأصل، والصواب: باعثًا.

(١٠) **الأشراف بنو حسن**: ينتسب هؤلاء الأشراف إلى الشريف حسن بن عجلان بن رميثة بن أبي نمي الأول (ت ٨٢٩هـ/ ١٤٢٦م)، وهو مَن جاء مِن نسله أبو نمي الثاني، مؤسس أسرة آل أبي نمي التي حكمت مكة، وقد ارتحل الأشراف بنو حسن إلى اليمن، وسكنوا الشَّاقَتَيْن في تهامة، وصارت لهم مكانة كبرى هناك. رضي الدين العاملي، **تنضيد العقود**، ٢/ ٣٣٩-٣٤١؛ أحمد ضياء العنقاوي، **معجم أشراف الحجاز في بلاد الحرمين وما تفرَّع عنهم في مصر واليمن وغيرها من البلدان**، مؤسسة الريان، بيروت، ط١، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، ص ٣٣٨-٣٤١.

بالشَّاقَّتَيْن[1] مِن أرض اليمن، لما زادوا في الطغيان، وحصل مِنْهم الضرر العام لأهل تلك البلدان، وصاروا ينهبون القوافل، ويفعلون كُلّ فعل هائل، ويقطعون السبيل جيل[2] بعد جيل، فرصد عليهم صاحب الترجمة الأرصاد، وجعل عليهم عيونًا تراقبهم في ذلك الناد، وجهز ابن أخيه الشريف محمد[3] وجيش له الجيوش وجند، فغزى على بني حسن المذكورين أهل الشَّاقَّة، وأذاقهم المتاعب الشَّاقَّة.

فلمَّا سمعوا بقدومه وأحَسُّوا بنار سمومه، ارتحلوا مِن أنديتهم إلى نادٍ حصينٍ يقي أنفسهم، ويتمَكَّنُون به غاية التَّمْكِين، ولا يرد القضا[4] سيف اللَّه المنقضي، لأنهم فعلوا في طريق المسلمين فعلات هائلة، وسلكوا طرقًا عن الحق مايلة[5]، فوقع فيهم في الموقع المُسَمَّى بالأراك، ووقع بهم كما يقع الصيد في الشباك، وأحاط بجوانب الموضع المذكور، إحاطة البلدة بالسّور، فقَلَّت مِنْهم الراحة، وضاقت / ق٢١/ بهم المساحة، وكُلَّمَا ند مِن إبلهم شيء أخذه العسكر، وما زالوا تحت الحصر والأسر، لا يعلمون ما يقع بهم القضا[6] والقدر.

[غزوة على بني سليم]

ومِن تمام نُحُوسَاتهم، وإتمام عكوساتهم، أنْ جاء رجل وأخبر بدفائنهم

---

(١) **الشَّاقَّتَيْن**: الشَّاقَّةُ مَجرى السَّيْل. وهي منطقة جغرافية تقع جنوبي ميناء اللَّيْث في تِهَامة، وتبعد عن مكة بحوالي ١٨٠ كيلًا وعن جدة حوالي ٢٠٠ كيل، وهُما شَاقَّتَان: الشَّاقَّة الشَّامِيَّة (الشَّمَالِيَّة) والشَّاقَّة اليَمَانِيَّة (الجَنُوبِيَّة)، ويسكنها الأشراف ذوو حسن. عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ص ٨٧٦-٨٧٧؛ حمد الجاسر، **معجم قبائل المملكة**، ص ٢٤.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: جيلًا.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: محمدًا.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: القضاء.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: مائلة.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: القضاء.

مِن: نحاس، وحبوب، وأدْبَاش[١]؛ فأمر العسكر أنْ يتفرقوها وينتعشوا بها غاية الانتعاش، فلمَّا أجهدهم الحصار، ولم يطب لهم الاستقرار، ركبوا مطية الفرار، وفرُّوا كالزيبق[٢] الفرَّار، في ليلة حالكة الجلباب، غدا فيه الإهاب، إلى أنْ وصلوا جبال بني سليم إلا أنَّ أكثر أطفالهم ونسائهم ماتوا مِن التعب، وتلفت أكثر مواشيهم نهبًا وعطب[٣]، فتبعهم الشريف محمد بالجند المُجَنَّد، وأقام محدقًا بهم في تلك الأطراف، بِمَن لديه مِن أشراف وأطراف، ثم أوقع فيهم الحرب، والضرب، والنهب، والسلب، فظفره اللَّه تعالى عليهم ونصر، وقتل فيهم وأسر.

وقُتِل مِن شيوخ بني سليم جانب في تلك الواقعة، ثم أتت للشريف محمد وهي سامعة طائعة، فأناخت بساحته لمَا لحقها الخلاف، وجاء منقادًا إليه شيخهم عسَّاف، ومعه بقية الشيوخ، ووقعوا بعد قصَّ جناحهم كما تقع الرخوخ، فمنع عنهم نصال سهمه، وأرسل عسَّافًا ومَن معه لعمّه وأمَّنَ بني حسن، وأنزلهم مِن تلك الهضاب حتى يأتيه مِن عمّه الجواب، فنزلوا صاغرين، وقمعت شوكة الطاغين، وضعفت قواهم حتى حين، فعفيت مِنْهم الآثار، وخمدت تلك النار، وزالت عنهم تلك الدولة، ولم يبقَ لهم قُوَّة ولا صَوْلة، ومشاهم على قوانينهم القديمة، بعد أنْ هضمهم تلك الهضيمة.

وأمر على شيخهم عسَّاف أنْ يستوطن بأولاده في مكة، ولو وصل راسه[٤] السحاب وحكه، فاستوطنها أيامًا، وهو خاضع ذليل، وصار كالبعوض بعد أنْ كان كالفيل، ثم سلَّط اللَّه تعالى عليهم الجُدَرِيّ[٥] هو وجميع أولاده، ومات بمكة غريبًا ولم يصل إلى بلاده، وهذا ما كان مِن عاقبة البغي التي

(١) أدْبَاش: الدَبْشُ أثاث البيت، وسقط المتاع. **المعجم الوسيط**، ص ٢٧٠.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: الزئبق.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: عطبًا.
(٤) كذا في الأصل، والصواب: رأسه.
(٥) **الجُدَرِيُّ**: مَرَض فَيْروسيّ مُعْدٍ، يتسم بطفح جلديّ، وقروح ممتلئة ماء وقيحًا. **المعجم الوسيط**، ص ١١٠.

لا تنفع، ولكلِّ باغٍ كما قيل مصرع، وما صلحت أحوالهم بعد ذلك الفساد، وسلكوا طريق الرشاد، إلا بعد أنْ أذاقهم سمرَ القنا، وبيض القواضب، وأسال دمائهم[1] مِن كُلِّ جانب / ق٢٢/ كما قيل:

لاَ يَسْلَمِ الشَّرَفُ الرَّفِيْعُ مِنَ الأَذَى

حَتَّى يُرَاقُ عَلَى جَوَانِبِهِ الدَّمُ[2]

تمت هذه الغزية.

[غزوة على بني مخلد]

وفي عام ست وخمسين بعد المماية[3] والألف[4] مِن هجرة مَن له العزُّ والشرف سلّ صارم عزمه المُهند، وجر عسكره الجرَّار وجرَّد، وأرسل ابن أخيه الشريف محمد[5]، بجيش يغزو به بني مخلد[6]، فَسُيِّر عليهم بتلك الجيوش[7]، تؤمَّه الطيور والوحوش، حتى وقع بتلك البغاة الفُجَّار، الذي[8] لا يتركون طريقًا لِمَارٍّ، فصكهم صكة عُمي، ولم يبقِ لتلك الخدور فَيء[9]، وما زال ينازلهم بالأسمر المُثقف والأبيض المُهند، ويَكْسُوها مِن دمائهم ثوب نجيعٍ مُوَرَّد، وجعل الفرسان الرماة تناصلهم مِن الأربع الجهات، ثم جرَّعهم كاس[10] الويل، وهجم عليهم بالخيل، فوطئت سنابكها العدد الجم،

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: دماءهم.

(٢) البيت للمتنبي، انظر: الصاحب بن عباد، **الأمثال السائرة من شعر المتنبي**، ص ٣٣.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: المائة.

(٤) ١١٥٦هـ/ ٢٤ فبراير ١٧٤٣ – ١٣ فبراير ١٧٤٤م.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: محمدًا.

(٦) **بني مخلد**: تنحدر أصولهم مِن بني شهر مِن الأزد، يسكنون في منطقة المجاردة، شرقي القنفدة.

(٧) كانت هذه الوقعة في شهر صفر ١١٥٦هـ/ ٢٦ مارس – ٢٣ إبريل ١٧٤٣م. رضي الدين العاملي، **تنضيد العقود**، ٢/ ٢٥٦.

(٨) كذا في الأصل، والصواب: الذين.

(٩) أي ظل مِن الحر.

(١٠) كذا في الأصل، والصواب: كأس.

وما سلم إلا مَن بالجبال اعتصم، وتركوا ما لديهم مِن بعير وشاة، وتحصَّنوا بكهوف الجبال خوف الوشاة، واستغنوا بالجبال عن المال، وبالسلامة عن الوبال، فأخذ الشريف محمد ذلك المغنم، وعاد في سرورٍ ونِعم، يَقُودُ ما غَنِمَهُ مِن حُمر النَّعم، وقابل عمّه بِمَن معه مِن السادة السراة، فاستسر بفعله وحمد مَسْراه، فقسم جميعها على الجيوش، وهو ضاحك بشوش، وما دخلت بنو مخلد تحت الإطاعة - وهم راغِمُو الأُنُوف - إلا بعد أنْ صافَحَت رِقابهم أكُفَّ السُّيوف.

[وفاة السيد فائز ابن الشريف مبارك]

وقُتِلَ يومها السيد [فائز][1] بن الشريف مبارك بن أحمد ابن زيد[2] بعد أنْ كاد بني مخلد أعظم كيد، ضُرِبَ برصاصةٍ حكمت له في الساق، فعاش بعدها خمسة أيام، واعترا بدر عمره المحاق، ومات - رحمه اللَّه تعالى - ولم يعقب غير إخوانه الأُسُود، معادن الكرم والجُود، وما في هذا المقدار عليهم

---

(١) وردت في الأصل ناصر، والتصويب مِن رضي الدين العاملي، **تنضيد العقود**، ٢/ ٣٦٠. حيث إنَّه كان معاصرًا للأحداث، ولم يكن في ضمن أبناء الشريف مبارك بن أحمد، ولد يسمى ناصرًا. والسيد فائز كان والده الشريف مبارك قد سعى أنْ يُعَيِّنه على ولاية سواكن، فأرسله إلى مصر، ولكن الباب العالي رفض ذلك الأمر، ثم رجع إلى الحجاز مرة أخرى، ويبدو أنَّه كان مِن قوات الشريف مسعود - كما يتضح من سياق حديث مؤرخنا ابن عبد الشكور - فأرسله في الحملة على بني مخلد، والتي أُصيب خلالها، فمات متأثرًا بجراحه عام ١١٥٦هـ/ ١٧٤٣م. أحمد ضياء العنقاوي، **موسوعة أعلام الأشراف**، ٢/ ٣٣٣-٣٣٤.

(٢) **مبارك بن أحمد بن زيد**: تولى حكم مكة عام ١١٣٢هـ/ ١٧٢٠م، حتى أواخر عام ١١٣٤هـ/ ١٧٢٢م، ثم انتزعها مِنْه الشريف يحيى بن بركات، فخرج إلى جهات الطائف، وأقام في موضع يسمى جرجة، ثم نزل يحيى بن بركات عن الشرافة لابنه بركات، فتقدَّم الشريف مبارك إلى مكة، وانتصر على الشريف بركات، وتولى الشرافة مرة أخرى في ١٢ محرم ١١٣٦هـ/ ١١ أكتوبر ١٧٢٣م، فظلَّ فيها خمسة أشهر، ثم عزل وتولى الشريف عبد اللَّه بن سعيد (١١٣٦-١١٤٣هـ/ ١٧٢٤-١٧٣١م)، فتوجه الشريف مبارك إلى اليمن، واستقرَّ بها حتى وفاته عام ١١٤٠هـ/ ١٧٢٧م، وأعقب سبعة أبناء، وهم: حسين، جساس، مبارك، فائز، عبد اللَّه، مهنا، سعيد. رضي الدين العاملي، **تنضيد العقود**، ٢/ ٩١ وما بعدها؛ أحمد القطان، **تنزيل الرحمات**، ٢/ ٢٣٤، ٢٤٥، ٢٥٤؛ خير الدين الزركلي، **الأعلام**، ٥/ ٢٦٩؛ أحمد ضياء العنقاوي، **موسوعة أعلام الأشراف**، ٣/ ١٣.

مِن عار، فكم اقتحموا لجّة نار، ولم يرتضوا بالفرار، فهو مِن أهل الطراز الأوَّل، ويشهد له قول السَمَويل[1]:

يُعَجِّلُ حُبُّ الْمَوتِ آجَالَنَا لَنَا
وَتَكْرَهُهُ أَجَالُهُم فَتَطُولُ

وإِنَّا أُنَاسٌ لاَ نَرَى الْمَوتَ سُبَّةً
إِذا مَا رآهَا عَامِرٌ وَسَلُولُ

وَمَا مَاتَ مِنَّا سَيِّدٌ حَتْفَ أَنْفِهِ
وَلاَ طُلَّ مِنَّا حَيْثُ كَانَ قَتِيْلُ[2]

كيف لا وهو فرع دوحة المجد، المُرتوية مِن دماء سيوفهم نمور كُلّ أرض نجد.

إذَا مَات مِنْهم سَيِّد قَام سَيِّد
قَئولٌ بِمَا قَال الكِرَام فَعُول[3]

/ ق٢٣/

أبقاهم اللَّه تعالى على مَمَرّ الدُّهُور، وجعلهم حِصْنًا للحماية وسورًا - آمين -.

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: السَّمَوْأل. السَّمَوْأل بن غريض بن عَادِياء بن رفاعة ابن الحارث الأزدي، مِن شُعراء اليهود في العصر الجاهلي، وهو مِن أهل تَيْمَاءَ، وكان له حِصن يُسَمَّى الأبلق الفرد، وضُرِبَ به المَثل في الوفاء، فيقال: أوفى من السَّمَوْأل، توفي حوالي عام ٦٥ق.هـ/ ٥٦٠م. محمد بن سَلاَّم الجُمَحِي، **طبقات فحول الشعراء**، ج١، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، ١٩٧٤م، ص ٢٧٩-٢٨٢؛ خير الدين الزركلي، **الأعلام**، ٣/ ١٤٠.

(٢) انظر: ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ١/ ٢٠٩. وفيه: يقرب حب الموت.

(٣) البيت للسموْل.،انظر: محمد بن هاشم الخالدي وسعيد بن هاشم الخالدي، **حماسة الخالديين: الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهليين والمخضرمين**، ج١، تحقيق: محمد علي دقة، وزارة الثقافة، الجمهورية العربية السورية، د.ط، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ص ٤٩. وفيه: بأقوال الكرام.

[بناء برجين لتحصين دار السعادة]

وفي هذا العام المذكور[1] أمر صاحب الترجمة ببناء بُرجين مُحكمين[2] على يسار الداخل إلى دار السعادة، وبيت المجد ومحلّ السيادة، ولقد بالغ في إِحكامهما وأجاد كُلّ الإجادة، وحصل مِنْهما أعظم إفادة، فأحسن في إتقانهما، وإجادة بنيانهما، ومن جملة الإتقان أنهم خرقوا أحجارهما، زواياهما وأقطارهما، واصطنعوا لها أصياخًا مِن الحديد، كُلّ صيخ يجمع بين حجرين، ويتأبد فيه أعظم تأبيد، وينحصر أقوى حصر، إذا أفرغ عليه الجبس والقطر.

ولقد عاينتها بهذه الصِّفة حين هدمها أبو الذهب[3]، وتعب فيها المعلّمُون أعظم تعب وذلك سنة ١١٨٤ [4].

وهكذا حال الدنيا لا تستقر على حالٍ، فسبحان الملك الفَعَّال، وكان بناء هذين البرجين مِن أعظم الأمُور المهمة، للنازلات المدلَهِمّة، مع أنَّه لم يفطن لبنائها سلفه الذي سلف، فأنعم بهذا الخلف، ولمَّا تمَّ بناؤها، وظهر في

---

(١) عام ١١٥٦هـ/ ٢٤ فبراير ١٧٤٣ – ١٣ فبراير ١٧٤٤م.

(٢) كان أحد البرجين أعلى مِن الآخر، وقد شرع في بنائهما في أوائل عام ١١٥٦هـ/ ١٧٤٣م، وكان الفراغ مِنْهما في أواخر جمادى الأولى ١١٥٦هـ/ يوليو ١٧٤٣م. رضي الدين العاملي، **تنضيد العقود السنية**، ٢/ ٣٦٢، ٣٦٣.

(٣) **أبو الذهب**: محمد بك أبو الذهب، كان مملوكًا عند علي بك الكبير، وقد عُرِفَ بأبي الذهب، لأنَّه لما لبس الخلعة بالقلعة، صار يفرق البقاشيش ذهبًا، وقد كان قائد جيوش سيده، قاد حملة الحجاز عام ١١٨٤هـ/ ١٧٧٠م – وسيأتي الحديث عنها مفصلاً في تاريخ ابن عبد الشكور – ثم قاد حملة الشام ١١٨٥هـ/ ١٧٧١م، ولكنَّه انحاز بعد دخوله دمشق إلى الدولة العثمانية، فانسحب إلى مصر، وسحب في طريق عودته الحاميات التي تركها في الشام، وعندما عاد إلى القاهرة، دخل في حروب مع سيده علي بك الكبير، حتى استطاع التخلص منه، فولاه السلطان العُثماني منصب شيخ البلد، الذي استمر فيه حتى وفاته عام ١١٨٩هـ/ ١٧٧٥م. أبو الفضل محمد خليل بن علي المرادي (ت ١٢٠٦هـ/ ١٧٩١م)، **سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر**، ج١، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ط، د.ت، ص ٥٤-٥٦؛ عبد الرحمن الجبرتي، **عجائب الآثار**، ١/ ٦٥١-٦٥٥.

(٤) عام ١١٨٤هـ/ ٢٦ أبريل ١٧٧٠ – ١٤ أبريل ١٧٧١م.

أفق المجد سناؤها، أبدها بالمدافع وما تحتاجه مِن الْمَهَمَّات، وتحصنت دار السعادة بعدها مِن كُلّ الجِهات.

ولنذكر بالمناسبة نادرة لطيفة، ومناقب ظريفة، فِيمَن أَسَّس بناء دار السعادة، وأوَّل مَن اخترع أساسها وأجاده. اعلم أنها على اسمها دار السعادة، ومحل المجد والإفادة، صارت مسكن كُلّ مَن ولي الشرافة، وقلّد جِيده بعقدها عَاقِبًا أسلافه، أنشأها الهمام الأمجد، والصارم المهند، قُرَّة كُلّ عين، مولانا السيد حسين بن الشريف حسن بن الشريف أبي نمي[1] الفايق[2] على حاتم طيئ، وحسين هذا جد السادة آل زيد، كفاهم اللَّه تعالى كُلّ شر وكيد، وأبو الملوك الذي زانت بهم جوهر السلوك، بناها في أيام أبيه الشريف حسن[3] وسكنها، وأحكم بنيانها وأتقنها، ولقد أحسن على أبنائه كُلّ الإحسان، بهذه الدار التي لا يوجد نظيرها في ساير[4] البلدان.

هي الدَّار إلاَّ أَنَّهَا دارة البدر
ومغن الغنا لكنها روضة الفخر

(١) **حسين بن حسن بن أبي نمي**: حسين بن حسن بن محمد أبي نمي الثاني بن بركات بن محمد الحسني الهاشمي، وهو جد ذوي زيد من الأشراف، ولد في مكة، وقد فوض إليه والده نيابة الإمارة (١٠٠١-١٠٠٣هـ/ ١٥٩٣-١٥٩٥م)، ولكنه ما لبث أنْ وافته المَنِيَّة عام ١٠٠٣هـ/ ١٥٩٥م. وأعقب ستة مِن الأبناء، وهم: زيد، وواصل، وعلي، وحسين، وباز، ومحسن، والأخير تولى شرافة مكة. أحمد ضياء العنقاوي، **موسوعة أعلام الأشراف في بلاد الحرمين حتى وفيات القرن الخامس عشر الهجري**، ج١، راجعه: أيمن فؤاد السيد، توزيع دار القاهرة، القاهرة، ط١، ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م، ص ٢٧٨-٢٧٩؛ خير الدين الزركلي، **الأعلام**، ٢/ ٢٣٥.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: الفائق.

(٣) **الشريف حسن**: حسن بن محمد أبي نمي الثاني الحسني الهاشمي، ولد في مكة عام ٩٣٢هـ/ ١٥٢٦م، وتولى الحكم في عام ٩٩٢هـ/ ١٥٨٤م، وقد توفي بأقصى نجد في مكان يقال له: فاعية، في ٣ جمادى الآخرة ١٠١٠هـ/ ٢٨ نوفمبر ١٦٠١م، فحمل إلى مكة، ودُفِنَ في مقبرة المَعْلَاة. علي بن تاج الدين السنجاري، **منائح الكرم في أخبار مكة والبيت وولاة الحرم**، ج٣، دراسة وتحقيق: ماجدة فيصل زكريا، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، د.ط، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، ص ٣٧٥-٥٠٨؛ أحمد زيني دحلان، **خلاصة الكلام**، ص ٥٦-٦٢.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: سائر.

هي الدار يُنْسيك الخورنق حُسْنها
وتَسْلو بِهَا عن ذكر غمدان والقصر

/ ق ٢٤/

فما إرم وغمدان لهما مقدار عند هذه الدار، ولم يزل يسكنها كُلّ مَن تولى مكة مِن أولاده، وينشأ فيها زيادة على فسيح أجياده، فإذا تولى مكة غير أولاده، عيَّنُوا عليه أجرةً لِسُكْنَاها، ليزيدون بأجرتها شيء في بناها[1]، رحم اللَّه تعالى منشيها[2]، فإنه كان حسنة مِن حسنات الدهر، ونادرة مِن نوادر العصر، مات بانيها - رحمه اللَّه تعالى - ولم يقسم له نصيب في تقليد عِقد الشرافة، ولم يذق طعم ثمرة الخلافة.

[فتنة بين حامية قلعة المدينة المنورة وشيخ الحرم]

وفي هذا العام المذكور، سنة ١١٥٦ [3]، وقعت الفتنة العظيمة، والفعلة القبيحة الذميمة، وهي الحرابة الواقعة بالمدينة المنوَّرة، والحجرة الشريفة المُطَهَّرة، بين أهل القلعة وشيخ الحرم[4]، فتهتكت فيها الأستار والحُرم، والسبب في ذلك العداوة والبغضا[5]، والفعل الشنيع الذي لا يقبله اللَّه جلَّ جلاله ولا يرضاه، والأصل الباعث في أسبابه، والداعي

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: ليزيدوا بأجرتها شيئًا في بنائها.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: منشئها.

(٣) ١١٥٦هـ/ ٢٤ فبراير ١٧٤٣ - ١٣ فبراير ١٧٤٤م.

(٤) **شيخ الحرم**: كان حينها عبد الرحمن أغا الكبير. رضي الدين العاملي، **تنضيد العقود السنية**، ٢/ ٣٦٣. ولي مشيخة الحرم المدني عام ١١٥١هـ/ ١٧٣٨م، وعزل مِنْها في عام ١١٥٦هـ/ ١٧٤٤م، وقد عُرِفَ بالكبير تميزًا له عن عبد الرحمن أغا الصغير، الذي ولي مشيخة الحرم المدني مِن بعده، وقد انتقل عبد الرحمن أغا هذا بعد عزله إلى مصر، وعاش فيها حتى وفاته عام ١١٦٢هـ/ ١٧٤٩م. جعفر بن حسين هاشم المدني (ت ١٣٤٢هـ/ ١٩٢٣م)، **الأخبار الغريبة بذكر ما وقع بطيبة الحبيبة**، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ١، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، ص ٣٨؛ أحمد عارف عبد الغني، **تاريخ أمراء المدينة المنوَّرة** (١-١٤١٧هـ)، دار كنان، دمشق، د.ط، ١٩٩٦، ص ٣٨٠.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: البغضاء.

لهذا الشر وفتح بابه، قتل شخص مِنْهم، يقال له: حسن كابوس(١)، فقام بينهم لأجله حرب البسوس(٢).

---

(١) **حسن كابوس**: ينحدر أصله من أسرة مصرية، انتقلت إلى المدينة المنوَّرة في القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي، وقد ولد في المدينة المنوَّرة، ونشأ فيها، ثم انخرط في فرقة النوبتجاية، وكان ذا شخصية قوية ومؤثرة، وحظي بمكانة مرموقة في فرقته العسكرية، رغم أنه جندي عادي فيها، وكان له دكانٌ قرب باب المصري - أحد أبواب المدينة المنوَّرة - يبيع فيه الحبوب في غير أوقات عمله الرسمية، وفي أواخر عام ١١٥٥هـ/ ١٧٤٢م، انتشر خبر في المدينة أنَّ كميات مِن الحبوب قد جاء بها عثمان بك [يبدو أنَّه عثمان بك ذو الفقار أمير الحج المصري في هذا العام. عبد الرحمن الجبرتي، **عجائب الآثار**، ١/ ٣٠٢] لتوزع على أهالي الحرم المدني، فاستولى عليها كبار الموظفين، ومِنْهم القادة العسكريون، وتصرفوا فيها، فغضب الناس، وكان حسن كابوس واحدًا ممن اشتد بهم الغضب، وتمكَّن مِن الحصول على دعم زملائه في الفرقة، وانضم إليه عددٌ مِن الأهالي الساخطين على الأوضاع، وقاموا بثورة في المدينة، وغلقوا أبواب المدينة، ووضعوا عليها حراسة، وتَوَجَّهت الجموع إلى قلعة المدينة، ولم يجد القادة العسكريون المُحَاصَرُون داخل القلعة مفرًّا مِن توقيع الصلح مع الثوار، الذين اشترطوا عليهم طرد المتورطين في الاستيلاء على الحبوب خارج المدينة، وقد كان، وعقب ذلك شعر القادة العسكريون بالمهانة، فعزموا على الثأر لأنفسهم، واستعادة هيبتهم في نفوس الناس، فقرروا قتل محرك الثورة حسن كابوس، فقامت مجموعة مِن عساكر القلعة بمباغتته في دكانه، وقتلوه وفَرّوا إلى القلعة، وذلك في صفر ١١٥٦هـ/ إبريل ١٧٤٣م؛ فغضب أهالي المدينة، واشتعلت الثورة مرة أخرى، لتؤدي إلى فتنة عظيمة. عبد الرحمن بن عبد الكريم الأنصاري، **تحفة المحبين والأصحاب في معرفة ما للمدنيين من الأنساب**، تحقيق: محمد العروسي المطوي، المكتبة العتيقة، تونس، ط١، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م، ص ٤١١-٤١٢؛ عبد الباسط بدر، **التاريخ الشامل للمدينة المنوَّرة**، ج٢، د.ن، المدينة المنوَّرة، ط١، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، ص ٣٩٠-٣٩٢.

(٢) **حرب البسوس**: هي حرب في العصر الجاهلي، قامت بين قبيلة تغلب ضد بني شيبان، وعرفت بهذا الاسم نسبة إلى البسوس بنت منقذ، ويرجع سببها إلى أنَّ الجساس بن مرة الشيباني قام بقتل كُلَيْب بن ربيعة ثأرًا لخالته البسوس بنت منقذ، وذلك لأنْ كُلَيْبًا قتل ناقة كانت لجارها سعد بن شمس الجرمي؛ فاندلعت الحرب بين الجانبين، واستمرت حوالي أربعين سنة، فصارت هذه الحرب يضرب بها المثل في الشؤم، وانتهت هذه الحرب في حوالي عام ٥٢٥م. السيد عبد العزيز سالم، **تاريخ العرب قبل الإسلام**، سلسلة ذاكرة الكتابة (١٢)، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ط٢، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، ص ٣٧٨-٣٨١. ولعلَّ تشبيهه الفتنة التي حصلت بالمدينة المنورة بحرب البسوس؛ نظرًا لتفاهة =

فعند ذلك ترَّسُوا البيوت المقابلة للقلعة وغيرها مِن الأماكن، ونطق لسان الحرب بعد أنْ كان ساكن[1]، وغلقوا أبواب المساجد، وأبواب سور المدينة، وصار كُلّ حزب مثل الأسد يلازم عرينه، خايفين[2] مِن إيقاع المهالك، مُسَددين الطرقات والمسالك، ثم دَسُّوا على [أهل القلعة][3] دَسِيْسَة، وفعلوا بهم فعلة خَسِيْسَة؛ دَسُّوا عليهم دَسِيْسَة بالحيلة والصنعة[4]، مع غلام خادم لأهل القلعة، بأنْ يطرح لهم حبلاً يربطه بأعلاها، ولمَّا فعل ذلك كان هو السبب في إيقاع بلواها، فصعدوا على الحبل ليلاً حتى تكامل العدد المطلوب، وفي آخر الليل وقع بينهم الضرب والمضروب، وما زال يعمل بينهم ضرب السلاح، حتى حَيْعَلَ للفجر داعي الصباح، فأسفر الأمر عن انكسارة أهلها وإخراجها، وتزحزحهم عنها واندراجها، وقتلوا مِنْهم جمعًا تلك القِلَّة، وأخرجوا الباقين وهم أذِلَّة، فأخذوا المواثيق والذِّمم، وانحازوا إلى بيت شيخ الحرم، فقال لهم: لا تثريب عليكم اليوم ولا ريب، قد وصلتم حِمَا كُلَيْب[5] / ق٢٥/ .

= سببها، وعظم الفتنة التي تمخضت عنها.

(١) كذا في الأصل، والصواب: ساكنًا.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: خائفين.

(٣) وردت في الأصل أهن المدينة، والتصويب من النسخة (ب)، ورقة ١٦.

(٤) بعد مقتل حسن كابوس لم يهدأ أهالي المدينة، فقام بعضهم بالاستعانة بالجلوية مِن قبيلة حرب، فجاءت مجموعة مِنْهم بقيادة عثمان بن أحمد الصالحي، وتمثلت الخديعة في أنهم دَسُّوا في أهل القلعة غلامًا خادمًا لهم، وأمروه بأنْ يسدل لهم حبلاً مِن أعلى القلعة، ليصعدوا به على أسوارها، وينزلوا بداخلها، فتمَّ الأمر على ذلك الحال؛ حيث نزلوا إلى داخل القلعة في ليلة ٢١ جمادى الآخرة ١١٥٦هـ/ ١١ أغسطس ١٧٣٤م، دون أنْ يشعر بهم الحُرَّاس، فأغلقوا باب القلعة، ليمنعوا دخول كثير مِن العساكر الذين كانوا ما يزالون خارجها، ثم تَوَجَّهوا إلى بيت قائد القلعة محمد سعيد الإنكشاري، فقتلوه، ثم قتلوا أخاه حمزة، فأحسَّ بهم حسين ابن قائد القلعة المقتول، فخرج لهم بالسيف، وتقاتل معهم إلى أنْ قتل قائدهم الصالحي، ثم اجتمعوا على حسين هذا فقتلوه، ثم فرُّوا إلى خارج القلعة. رضي الدين العاملي، **تنضيد العقود**، ٢/ ٣٦٤-٣٦٥؛ جعفر المدني، **الأخبار الغريبة**، ص ٣٩؛ عبد الباسط بدر، **التاريخ الشامل للمدينة**، ٢/ ٣٩٢-٣٩٣.

(٥) **حِمَا كُلَيْب**: نسبة إلى وائل بن ربيعة التغلبي سيد بني معد، المُلَقَّب بـ «كُلَيْب»؛ حيث كان له =

وكان معهم عين أعيان العُلما[1]، والماجد الذي فاض ينبوع فضله الما[2]، الفاضل الجليل، والعالم النبيل، الشيخ عبد الكريم الأنصاري[3]، لا زال بحر فضله جاري[4]، وابنه الماجد الأريب، والكامل الأديب، شاعر زمانه، وفايق[5] أقرانه، الشيخ يوسف بن عبد الكريم[6] دام لجيد المجد عقد فضله النظيم؛ فحماهم حضرة شيخ الحرم، وعرف ما يجب لهم مِن المكارم والحرم، لكن وقع بينه وبين الجماعة الآخرين المعاندة والمعاداة، لكونه صَافى عدوّهم

= جرو يتركه في أرضه، فلا يجرؤ أحد أنْ يرعى في مناطقه التي يصل إليها نباح هذه الجرو، ولذلك ضرب به المثل في العزّة، وقيل: أعزّ من كُليب وائل. السيد عبد العزيز سالم، العرب قبل الإسلام، ص ٣٧٩.

(١) كذا في الأصل، والصواب: العُلماء.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: الماء. وقد وردت (ونما) في النسخة (ب)، ورقة ١٦.

(٣) **عبد الكريم الأنصاري**: ولد بالمدينة المنوَّرة عام ١٠٨٥هـ/ ١٦٧٤م، ونشأ بها، واشتغل بطلب العلوم، فأخذ عن والده، وعن البرزنجي، والخليلي المقدسي، والزرقاني، وغيرهم من العلماء، وصار أحد خطباء المسجد النبوي، وكان يدرِّس بالروضة المطهرة، وعقب قيام فتنة حسن كابوس المذكورة أعلاه، انضم إلى جانب شيخ الحرم عبد الرحمن أغا الكبير، ثم عقب عزل شيخ الحرم المذكور، رحل مع بعض أبنائه إلى مكة المكرمة، واستقر فيه إلى أنْ وافته المَنِيَّة في ذي الحجة ١١٦٢هـ/ نوفمبر ١٧٤٩م، ودُفِنَ بمقبرة المَعْلَاة. خليل المرادي، **سلك الدرر**، ٣/ ٨٠؛ مؤلف مجهول، **تراجم أعيان المدينة المنوَّرة في القرن الثاني عشر الهجري**، حققه وعلّق عليه: محمد التونجي، دار الشروق، جدة، ط ١، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، ص ٥٠؛ جعفر المدني، **الأخبار الغريبة**، ص ٥٤، ٥٧؛ رضي الدين العاملي، **تنضيد العقود**، ٢/ ٤٣٩.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: جاريًا.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: فائق.

(٦) **يوسف بن عبد الكريم**: ولد في المدينة المنوَّرة عام ١١٢١هـ/ ١٧٠٩م، ونشأ فيها، ثم شرع في طلب العلم، فتلقاه عن والده، ومحمد بن الطيب، وأبي الطاهر الكوراني، وأبي الطيب السندي، وقد ألَّف، ونظَم، ونَثر، وله منظومةٌ في المناسك، وعقب انتهاء فتنة حسن كابوس المذكورة أعلاه، وعزل شيخ الحرم المدني، رحل كما رحل والده عن المدينة المنوَّرة، وانتقل للإقامة في قرية بدر، وقد وُجِّه له بعد ذلك منصب الإفتاء في المدينة المنوَّرة، ولكن رُفِع عنه قبل أن يصل إليها، وقد توفي بالمدينة المنوَّرة في جمادى الآخرة ١١٧٧هـ/ ديسمبر ١٧٦٣م، ودُفِنَ بها. خليل المرادي، **سلك الدرر**، ٤/ ٢٤٧-٢٤٨ ؛ مؤلف مجهول، **أعيان المدينة**، ص ٥٢-٥٣ ؛ جعفر المدني، **الأخبار الغريبة**، ص ٥٤ ، ٥٧.

وأَوَاهْ.

إِذَا صَافَى حَبِيْبُكَ مَنْ تُعَادِي
فَقَدْ عَادَاكَ وَانفَصَلَ الْخِطَابُ[(١)]

فقامت الحرب مِنْهم على ساق، ووقع الطعن في المتاعب والمشاق، وما زال لسان نار الحرب يستعر، وجمرته تتقد وتَتَّعِر، حتى أسفر الأمر بعد حرب طويل، وقتال عظيم مُهيل، عن انكسارة شيخ الحرم وأتباعه، ومواليه وأشياعه؛ فعند ذلك استعان شيخ الحرم بالقبايل[(٢)]، وأتى بالأمر القبيح الهايل[(٣)]، فلبت دعوته العرب، وأقبل عليه مِن طغام البادية وبني عِلَيّ[(٤)] كُلّ كلب أجرب، فجعل المناير[(٥)] والمدارس، حصونًا ومتارس، وترَّس بهم كُلّ موضع حصين، حول مسجد سيِّد المُرسلين، فاشتجر بينهم الحرب، وحمي القتل والضرب، وامتنعت الناس عن دخول المسجد للطاعة، وانقطعت الجمعة والجماعة، وصار الرصاص يصل إلى الحجرة المُطَهَّرة أشْرف البقاع، ويُمَزِّق المصاحف والأرباع، ولم يكف أحد الفريقين يده عن الشر ويرجع عن غواه، ولم يفء أحد مِنْهم إلى أمر اللَّه، واستطال هذا الحال على هذا المنوال.

فعند ذلك أرسل شيخ الحرم نجَّابًا للدولة العليَّة[(٦)]، ونجَّابًا لصاحب

---

(١) البيت للإمام الشافعي، انظر: عبد الملك بن محمد الثعالبي، **اللطائف والظرائف**، دار المناهل، بيروت، د.ط، د.ت، ص ١٤٨. وفيه:
إِذَا وَافَى صَدِيْقُكَ مَن تُعَادِي
فَقَدْ عَادَاكَ وانفَصَلَ الكَلامُ.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: القبائل.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: الهائل.

(٤) بني عِلَيّ: من مسروح مِن قبيلة حَرْب، وينقسمون إلى: ولد مُرَيْر، والجُبُور. ويسكنون حول المدينة، وفي نَجْد في: قُبَة، والطراق (في وادي الأجردي). حمد الجاسر، **قبائل المملكة**، ص ٥٥٠-٥٥١.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: المنائر.

(٦) يذكر البديري أمر فتنة المدينة في تاريخه بوصول ثلاث نجابة إلى دمشق مِن المدينة المنوَّرة في =

الترجمة، ووالي جدة[١] المحميَّة، يطلبهم للنجدة والنصر، واستخلاصهم مِن الحصر والأسر، وفي الحقيقة نسبة الخطأ كما ذكر إليه، وهو السبب في إثارة نار الفتنة ومعوّلها عليه.

وأمَّا أهل القلعة فيقولون لشيخ الحرم: لا نكف عنك القتال، ولا نترك النصال، إلا إذا نفيت مِن مدينة المختار خمسة أنفار، هم السبب في هذه الفتنة، وإيقاع المسلمين في البلية والمحنة، فلم يطع شيخ الحرم / ق٢٦/ على تسفير هؤلاء الخمس، ولو سكن الرَّمْس[٢].

فعند ذلك استحسن صاحب الترجمة، لا زالت عقود هِمته منظمة، أنْ يرسل جيشًا مِن الكُمَاة الحماة الضياغم، لتردَّ أُنفَ الباغي مِن الفريقين وهو راغم، فأرسل هذا الجيش، وأمَّر عليه مِن السادة الأشراف أميرًا يحفظه مِن الأطراف والأكناف، وأمره بِمَا هو حامله، إنْ لم يرضَ شيخ الحرم بإخراجهم يقاتله.

فلمَّا بلغ شيخ الحرم إرسال هذه الرتبة، وعلم تحقيق الوثبة، غلب على ظنه أنَّ هذه الرتبة عليه لا له، وإنْ وصلت تُعين عليه وتُغير أحواله؛

= يوم الأربعاء ١٤ شعبان ١١٥٦هـ/ ٢ أكتوبر ١٧٤٣م، وأخبروا بأنَّ المدينة مُحَاصَرة، وأنها على ثلاثة أحلاف: حلف مع غزّ القلعة، وحلف مع شيخ الحرم عبد الرحمن أغا الكبير، وحلف مع أهل المدينة، وأنَّهم في قتال عظيم، وذكروا أنَّ شريف مكة أرسل إلى شيخ الحرم خمسة عشر بَيْرَقًا تساعده على ذلك، وأنَّهم – أي النجَّابَة – قاصدون إستانبول، ليخبروا حضرة السلطان بهذا الأمر. أحمد البديري الحلاق، **حوادث دمشق اليومية**، ص ٤٧-٤٨.

(١) **والي جدة**: كان حينها أحمد باشا الكبرلي. رضي الدين العاملي، **تنضيد العقود السنية**، ٢/ ٣٦٦.

(٢) **الرَّمْس**: أيّ القبر. **المعجم الوسيط**، ص ٣٧٢.

فكاتب شيخ حرب[1] هزَّاع، وخدعه بأنواع الخداع، وأرسل لأعيان قبايل[2] حرب أنْ يُقَاتِلوا هذه الرتبة، لتفرج عنه كُلّ كربة، واستمالهم بالمال، والمال مصرعة عقول العُقَّال، فجمع هزَّاع البوادي، ونادى عليهم مُناديه في كُلّ نادي، وأوهم عليهم إنَّما هي مُرسلة لقتالكم، واستباحة نسائكم وأموالكم، وليست هذه مُرسلة لأهل المدينة، بل ورَّى بها عليكم خديعة ودفينة، فأطاع هزَّاع كثير مِن العرب، وابتدر لقتال الرتبة وانتدب، فجمع القوم الحمرا على واد الصفرا[3]، وأكَّد عليهم بقتالهم وحرض، وإذاقتِهم الموت الأزرق في اليوم الأبيض.

فلمَّا وصلت الرتبة إلى رابغ[4]، وطنبت خيامها السادة النوابغ، معتمدين

---

(١) **حرب**: قبيلة خولانية قحطانية يمنية، استقرّت في منطقة ما بين الحرمين الشريفين في أواخر القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي، واستطاعت أنْ توجد لها كيانًا عشائريًّا قويًّا ابتداءً مِن القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي. وتُعَدُّ مِن أكبر القبائل العربية وأقواها، وبخاصة في الحجاز. وتمتد ديارها في الحجاز من جنوبي ينبع إلى القُنْفُذَة، على محاذاة الساحل، وحول المنطقة الجبلية الممتدة من المدينة المنوَّرة إلى مكة المكرمة إلى قرب جبل أبانَيْن، ثم تمتد شرقًا إلى داخل نجد بقرب وادي الرمان، وحدها الجنوبي درب الحج من بريدة إلى مكة. وتنقسم قبيلة حرب إلى شعبتين كبيرتين، وهما: بنو سالم، وبنو مسروح. وقد رتبت لهم الدولة العثمانية رواتب ثابتة مِن أجل تأمين طرق قوافل الحجاج إلى بيت اللَّه الحرام، ولكنهم كانوا كثيري العصيان بين الفينة والأخرى. ويتضح مِن خلال تاريخ ابن عبد الشكور أنَّ قبائل حرب كانت في عداء دائم مع أشراف مكة؛ ولذلك فسوف ترد أخبارهم في مواضع عديدة في خضم الأحداث، وبخاصة فيما يتعلق بالفتن التي تقع في المدينة المنوَّرة، واشتباكاتهم العديدة مع أميري الحج المصري والشامي. للمزيد عن قبيلة حرب، انظر: عاتق بن غيث البلادي، **نسب حرب**، دار مكة للطباعة والنشر، مكة المكرمة، ط٣، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، ص ١٧ وما بعدها؛ فائز بن موسى البدراني، **فصول مِن تاريخ قبيلة حرب في الحجاز ونجد**، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط٣، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م، ص ٩٩-١٢٢؛ ماكس أوبنهايم وآخرون، البدو، ٢/ ٥٢٤-٥٤٢.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: قبائل.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: الصَّفْراء. وهو وادٍ مِن ناحية المدينة المنوَّرة، وهو أكبر أودية الحجاز، وتسميه العامة وادي بدر لاشتهار بلدة بدر، وبه كثير النخل والزرع والعيون، وسُكَّانه بنو سالم مِن قبيلة حرب. عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ص ٩٩٣-٩٩٤.

(٤) **رابغ**: مرفأ يقع بساحل الحجاز، بين جِدة وينبع، ويبعد عن جدة ١٥٥ كيلاً شمالًا، وعن =

أنَّ هزَّاع[١] شيخ حرب مِن جملة الخدم، وأنه يقوم بِمَا يحتاجون إليه على قدم، كيف لا يكون كذلك، وقد أرسل إليه صاحب الترجمة كتابًا بالوصية، وأنْ يقوم لهم بالخدمة على الوجوه المرضية، فخاب مأمله في هذا الخبيث، ووثق بحبل مروته[٢] فكان رثيث[٣]، لأنَّه مَال مع المالِ، ولم يُبَالِ بالعار، وأغلب البوادي على هذا المقدار، فقصد رتبة الشريف بالقتال، ودهمهم ذلك الفاجر الخَتَّال[٤].

ولَمَّا أقبل على رابغ ترَّسوا له الأماكن، ولبسوا الدروع السوابغ، وتقاتل الجمع بالجمع، وحمي الوطيس، وثار النقع[٥]، فمالت الصفوف على الصفوف، ورعدت البنادق، ولمع برق السيوف وأمطرت سحايب[٦] القتام بالدما[٧]، ولاحت الأسنة في سماء النقع أنجمًا، وشبّ جمر الحرب بعد أنْ هَرِم، وسال مِن النَّجِيع[٨] الأحمر سيل العَرِم.

فلمَّا انجلى المضمار، وانكشف الغبار / ق٢٧/ أسفر الأمر عن انكسار الرتبة، ومَن معها، وعاد إلى خُلَيْص أجمعها، وكم فقد مِن الفريقين أشخاص،

= ينبع ١٩٥ كيلًا جنوبًا، وهو مجتمع طرق ثلاثة: الطريق الأوَّل: الجنوبي، ويتفرع إلى فرعين؛ أحدهما إلى مكة، والآخر إلى جدة. الطريق الثاني: الشرقي الشمالي، ويتفرع إلى فرعين؛ أحدهما يسمى بالطريق الفرعي، والآخر بطريق الغاير، وكلاهما يتجه إلى المدينة المنوَّرة. الطريق الثالث: الشمالي، يسمى بالطريق السلطاني، ويتفرع عند مَسْتُورة إلى فرعين؛ الشرقي مِنْهما يسمى الطريق السلطاني الملف، والشمالي يسمى بالطريق السلطاني فقط، وكلاهما يتجه إلى المدينة المنوَّرة، ومِن الفرع الشمالي طريق إلى ينبع. إبراهيم رفعت، **مرآة الحرمين**، ٢٠٢-٢٠٣ ؛ عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ٤/ ٦٥٣.

(١) كذا في الأصل، والصواب: هَزَّاعًا.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: مروءته.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: رثيثًا.

(٤) **الخَتَّال**: كثير الغَدْر والخِداع. **المعجم الوسيط**، ص ٢١٨.

(٥) **النقع**: التراب. **المعجم الوسيط**، ص ٩٤٨.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: سحائب.

(٧) كذا في الأصل، والصواب: بالدماء.

(٨) **النَّجِيعُ**: دمُ الجوف. **المعجم الوسيط**، ص ٩٠٤.

ولا تسلم مِن الخواص، ورجع هزَّاع إلى واديه ببواديه، وأقام بواد الصفرا، وهو بالندم أحرى لعلمه أنَّ فعلته الفعلة الذميمة، وأنَّ عاقبتها عليه وخيمة، وسيفيق مِن سُكْر الغيّ، ويشبع مِن رأيه الفطير الني، وأيقن في ذهنه أنَّه عن قريب يركب عليهم بنفسه، ويكون سببًا لنزوله في رَمْسه.

ولَمَّا بلغ الشريف مسعود(١) ما وقع مِن هزَّاع، مِن الأمر الذي شاع وذاع، وغرته بذلك الأطماع، وجرأته الذي على عسكره تجرَّأها، ونقض أمرها وحلّ عراها، عزم على ما عزم عليه مِن الركوب عليهم، وسلب نعمتهم وجلب البلاء إليهم، ثم أمر على حكامه في بنادره أجمعين: أنْ لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين، وقبض على مَن وجد مِن أولئك الجنوس، وملأ مِنْهم المخازن والحبوس.

ثم تَوَجَّه عيد بن بردي، وقبايل(٢) حرب، وهزَّاع بن مضيان، لمدينة سيد ولد عدنان، وأوقعوا فيها فسادًا، وأيّ فساد عمّ، وقَاتَلوا أهل القلعة وغيرهم لأجل شيخ الحرم، فقتل مِن الفريقين جمع عظيم، وشربت ريشة البادية مِن ماء البغي الوخيم، فعند ذلك أخرج شيخ الحرم مِن الحجرة دراهم وفرَّقها على البوادي، لِمَا صنعوه معه مِن الأيادي، ثم صارت المهادنة بين أهل القلعة وشيخ الحرم، وشدت بينهم الوجوه وأُخذت الذمم.

و[أمَّا](٣) ما كان مِن صاحب الترجمة، فإنَّه لمَّا علم أنَّ الشيخ منصور(٤) ضد لهزَّاع، إلا أنَّ يده تقصر عنه في قوة المراجل والأتباع؛ فرأى أنه يقوّي الشيخ منصور ويمده، ويصيره شيخًا وخَادِمًا له ويستعده، وعادة الرجال نَضَد(٥) الرجال، وتفعل بالرأي ما لا يفعله القتال، فجهز

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: مسعودًا.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: قبائل.

(٣) أضيفت حتى يستقيم النص.

(٤) **الشيخ منصور**: منصور بن بدوي، من مشايخ قبيلة حرب، توفي في عام ١١٦١هـ/ ١٧٤٨م. رضي الدين العاملي، **تنضيد العقود السنية**، ٢/ ٤٢٢.

(٥) نَضَد: تعني في هذا الموضع جمع الرجال، ويقال: نَضَدَ الشَّيءَ، أيّ ضمَّ بعضَه إلى بعض =

نحو ثلاثين خيَّالاً من عبيده وعبيد أبيه، وأرسلها مع ولد الشيخ منصور[١] وولد أخيه، فلمَّا وصلوا بدرًا[٢] خرج عليهم هزَّاع، وجلب عليهم مِن البلاء أنواع[٣]، فصار بينهم القتال، وقد أقبل عليهم بجنود كالجبال؛ فانكسرت خيل الشريف للأمر المقدور، وقُتِل ولد الشيخ منصور، ورجعت بقية الخيل إلى ساحل يمبع[٤]، فتلقاها وزير الشريف، / ق٢٨/ واستقرّت في ظلٍّ عيش وريف.

ولـمَّا بلغ الشريف ما فعله هزَّاع اشتد عليه الغضب، وجزم على قتله بأدنى سبب، ولو لم يخشَ ضيق الزمن، لركب عليه بسراة بني حسن، وجلبها عليه شامًا ويمن[٥]، لكن الأمُور بأوقاتها مربوطة، والأشياء بأسبابها منوطة.

ولَمَّا أقبلت الحجوج، أرسل صاحب الترجمة لأمرائها المكاتيب، وأمرهم أنْ يسلموا للشيخ منصور جميع ما هو لحرب مِن المقررات والتراتيب، فسلم لمنصور والي الشام[٦] جميع ما هو لحرب مِن الأنعام، ووصل منصور مِن طريق الفرع[٧] إلى مكة صحبة الحج الشامي، والتقى

= مُتَّسِقًا. **المعجم الوسيط**، ص ٩٢٨.

(١) كذا في الأصل، والصواب: منصورًا.

(٢) بَدْر: قرية تقع في أسفل وادي الصفراء، في جنوب غربي المدينة المنوَّرة على مسافة ١٥٥ كيلاً، وتتميز بوفرة عيونها ونخيلها وزرعها، ويسكنها قبيلة حرب وبعض بيوت الأشراف. وقد وقعت فيها غزوة بدر الكبرى عام ٢هـ/ ٦٢٤م، بين المسلمين ومشركي قُرَيْش. عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ١/ ١٧٧-١٧٨.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: أنواعًا.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: ينبع.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: يمنًا.

(٦) والي الشام أسعد باشا العظم. أحمد البديري الحلاق، **حوادث دمشق اليومية**، ص ٥٢.

(٧) **طريق الفرع**: أو الطريق الفرعي، إحدى الطرق التي يسلكها الحجاج بين مكة المكرمة والمدينة المنوَّرة، وهي تبتدأ مِن رابغ متجهةً إلى الشمال الشرقي، وتمر على العديد من المحطات، وهي: وادي حرشان، ونقر الفار، وبئر رضوان، وأبي ضباع أو أم ضباع، والرياض أو وادي الريان، والغدير، ووادي المعظم، وبئر الماشي، وآبار علي، والمدينة المنوَّرة. محمد لبيب البتنوني، **الرحلة الحجازية لولي النعم الحاج عباس حلمي باشا** =

بحضرة مخدومه الجناب السامي.

وأمَّا هزَّاع فقعد للحاج المصري[١] ببدر وتلك الجهات، وأخذ بالقهر جميع ما عنده من المقررات، وجاء على الطريق السلطاني[٢] ذهابًاوإياب[٣]، وانساب مِن تلك المهامة كالحباب[٤]. وأمَّا شيخ الحرم فقد جاء عزله مِن الدولة وامتهانه، وانعكست أنصاره وأعوانه، وأمر عليه بالتسفير إلى مصر القاهرة، لِمَا فعل مِن تلك الفعلة القبيحة الظاهرة.

وجاء الأمر مِن الدولة العليَّة، بتفويض أمور المدينة لصاحب الترجمة، فاستقرَّت أحوالها - بحمد اللَّه تعالى - وصارت منتظمة، وتفرَّقت مِن البلد أشياع شيخ الحرم وفرَّت، وانحازت فورًا إلى هزَّاع وما استقرَّت، ورجع هزَّاع بالخيبة والدمار، يرعى أباعره في تلك القفار، وقد استحق هذا الصّعلوك، لمعاندته للملوك، فما برح خائفًا على نفسه حاير[٥] مقطوعًا مِن جميع أحكام الشريف في البنادر، حتى أذهبت الكثير والقليل، وصار أذَلَّ مِن ذليل، فما وسعه إلا أنه طاح على الشيخ منصور، وطلب مِنْه أنْ يستسمح له خاطر الشريف المذكور، وأنْ يكون مِن تحت أمر منصور، مدى الأيام والدهور،

= **الثاني خديوي مصر**، مطبعة الجمالية، مصر، ط٢، ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م، ص ٢١٠-٢١١؛ محمد الكردي المكي، **التاريخ القويم**، ٢/ ٣١١-٣١٢.

(١) أمير الحج المصري إبراهيم بك بلفية. أحمد الرشيدي، **حسن الصفا والابتهاج بذكر من ولِّي إمارة الحاج**، حقّقته وكَتبت المُقدمة والحواشي: ليلى عبد اللطيف أحمد، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، ص ٢١٦.

(٢) **الطريق السلطاني**: إحدى الطرق الرئيسة التي يسلكها الحجاج بين مكة المكرمة والمدينة المنوَّرة، وهي أفضل الطرق، وأحسنها سيرًا، وأكثرها ماءً، وكانت القوافل تخرج من باب العُمْرة في مكة المكرمة وتسير إلى الشمال الغربي، وتمر خلال هذه الطريق على عديد من المحطات، وهي: وادي فاطمة، المحسنية، وعُسْفان، خُلَيْص، القديمة (القضيمة)، رابغ، مَسْتُورة، بئر الشيخ، بئر ابن حصاني، الحمراء، الجديدة، بئر عباس، بئر درويش، آبار علي. محمد لبيب البتنوني، **الرحلة الحجازية**، ص ٢٠٩-٢١٠؛ إبراهيم رفعت، **مرآة الحرمين**، ٢/ ١٩٩-٢٠٦.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: إيابًا.

(٤) **الحباب**: فقاقيع على وجه الماء بفعل الرِّياح. **المعجم الوسيط**، ص ١٥١.

(٥) كذا في الأصل ، والصواب: حائرًا.

فاستعطف له خاطر الشريف فسمح، وعُدَّت مِن المحاسن والملح.

قف على قصة طهماز

وفي عام سبعة وأربعين بعد المائة والألف[١] سنة ١١٤٧هـ[٢]، جاء رسول نادر شاه[٣] سلطان..............................

(١) يبدو أنَّه قد وقع تصحيف مِن المؤلف نفسه في إثبات هذا العام، فجميع النسخ الخطية أوردته كذلك، ولكن التتابع الزمني للأحداث يدل على أنَّ هذا العام هو عام سبعة وخمسين بعد المائة والألف ١١٥٧هـ/ ١٤ فبراير ١٧٤٤ - أوَّل فبراير ١٧٤٥م، وليس العام المذكور أعلاه، بالإضافة فإنَّ هذا الرسول وهو السيد نصر الدين الحسني - كما هو مثبت في المصادر التاريخية المعاصرة للأحداث - قد جاء وحضر موسم الحج في عام ١١٥٧هـ/ ١٧٤٥م. رضي الدين العاملي، **تنضيد العقود السنية**، ٢/ ٢٧٧.

(٢) ١١٤٧هـ/ ٢ يونيو ١٧٣٤ – ٢٢ مايو ١٧٣٥م.

(٣) **نادر شاه**: ولد في أبيورد في إقليم خراسان محرم ١١٠٠هـ/ نوفمبر ١٦٨٨م، وأصله مِن قبيلة أفشار التركمانية، وقد دخل في خدمة زعيم الأفشار، ثم تزوج مِن ابنته، وبعد وفاة صهره، تولى نادر شاه زعامة القبيلة، وقد ذاع صيته في تلك الفترة، فأرسل إليه الشاه طهماسب الثاني الصفوي (١١٣٥-١١٤٤هـ/ ١٧٢٣-١٧٣١م)، في خرسان يستدعيه لخدمته، وأصبح قائدًا عامًّا للجيش، وتمكن نادر شاه مِن طرد الأفغان مِن إيران في عام ١١٤١هـ/ ١٧٢٩م، وفد دخل في حروب طاحنة مع العمانيين وطردهم من مناطق في غربي إيران، ولمَّا بلغه أنَّ طهماسب شاه عقد صلحًا مع العثمانيين في ١٥ ربيع الأول ١١٤٤هـ/ ١٦ سبتمبر ١٧٣١م، فعزله ونصب مكانه ابنه عباسًا الثالث (١١٤٤-١١٤٨هـ/ ١٧٣١-١٧٣٦م) وكان يبلغ من العمر ستة أشهر، وقد تمَّ تتويجه على عرش البلاد في ٢٤ شوال ١١٤٨هـ/ ٧ مارس ١٧٣٦م، وتسمَّى نادر شاه، وقد قام بحملات عديدة على العراق، وحاول الاستيلاء على مدنها، فكانت الحرب سجالاً بينه وبين العثمانيين، وعقد معهم الصلح مرات عديدة، وحاول التقريب بين السنة والشيعة، في مؤتمر النجف عام ١١٥٦هـ/ ١٧٤٤م، وقام بحملات عديدة على بلاد الهند، والداغستان، وقد مات مقتولاً على يد بعض قادة جيشه مِن القزلباش في ١١ جمادى الآخرة ١١٦٠هـ/ ١٩ يونيو ١٧٤٧م. للمزيد عن عصره انظر: رضا زاده شفيق، **نادر شاه أفشار: مؤسس الدولة الأفشارية وأوَّل مفعل للتقريب بين المذاهب الإسلامية (١١٠٠-١١٦٠هـ/ ١٦٨٨-١٧٤٨م)**، ترجمة: أحمد الخولي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط١، ٢٠١٠م. عباس إقبال الآشتياني، **تاريخ إيران بعد الإسلام مِن بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القاجارية (٢٠٥هـ/ ٨٢٠م – ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٥م)**، نقله عن الفارسية وقدَّم له وعلَّق عليه: محمد علاء الدين منصور، راجعه: السباعي محمد السباعي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، د.ط، ١٤٠٩هـ/ =

العجم[١]، الفاجر الذي أتلف مَمَالك الإسلام بيد بغيه ورجم، ولقب هذا النحس بطهماز[٢]، لكونه انضم لطرف الشر وانحاز، فهو الملك الظالم الغشوم الذي وجوده على الناس نكد وشؤم، طغى في البلاد وأكثر فيها البغي والفساد / ق٢٩/ ، وسار في الأقطار سير الفلك الدَّوار حتى تَجَرَّأ على بعض الممالك العثمانية[٣]، ولم يخشَ من سطواتهم القوية، فأخذ قطر عراق العرب، وسطا على البصرة وما حولها وما انتدب، وملك قلعة أرويل، وكثيرًا مِن بلدان الأكراد، فأكثر فيها الفساد والعناد، ومَلَكَ مشهد سيدنا علي بن أبي طالب[٤]، وجميع القُرى التي بتلك الجوانب، ولمَّا وصل إلى..............

= ١٩٨٩م، ص ٦٩٥-٧٢٢؛ Percy sykes, **A History of Persia 1867-1945**, Mac-millan, London, 1915, vol.2, p.p. 254-255.

(١) **العَجَم**: خلافُ العَرَبِ، والواحد عَجَمِيٌّ. وقد كان العرب قبل الإسلام يطلقون على الفرس كلمة العَجَم، واستخدمت في القرآن الكريم بصفة أعمّ لتشمل غير العرب. **المعجم الوسيط**، ص ٥٨٦.

(٢) **طهماز**: أصلها طهماسب. فعندما قام طهماسب الثاني الصفوي، شاه إيران، بإدخال نادر شاه في خدمته منحه لقب «طهماسب قلي»؛ أيّ غلام طهماسب، وهذا هو الاسم الذي اشتهر به نادر شاه بين العراقيين عندما سار لغزو أراضيهم، وقد اختزل اللقب على ألسنة العامة فصار طهماز. علي الوردي، **لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث**، ج١، انتشارات الشريف الرضى، أمير - قم، ط١، ١٣٧١- ١٤١٣هـ، ص ١١٠.

(٣) كان ذلك جُزءًا من الصراع الإيراني العثماني على المناطق المتاخمة لهما، الأمر الذي أدى لإضعاف قوتهما، وتوقفت الفتوحات العثمانية في أوروبا، وترتب عليه التدخل المُشين للدول الأوروبية في العالم الإسلامي والاستيلاء عليه. للمزيد انظر: محمد عبد اللطيف هريدي، **الحروب الفارسية العثمانية وأثره في انحسار المد الإسلامي عن أوروبا**، دار الصحوة، القاهرة، ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م، ص ٤١ وما بعدها؛ عباس إسماعيل صاغ، **تاريخ العلاقات العثمانية الإيرانية - الحرب والسلام بين العثمانيين والصفويين**، دار النفائس، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، ص ١٢٥ وما بعدها.

(٤) **مشهد سيدنا علي بن أبي طالب**: ينسب هذا المشهد إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه ويقع في مدينة النجف، التي تبعد حوالي مائة وخمسة وستين كيلو مترات جنوبي بغداد، وقد كان قبر الإمام علي لا يعرف مكانه أحدٌ إلا آل بيته، حتى اشتهر مكانه، فقام الخليفة العباسي هارون الرشيد (١٧٠-١٩٣هـ/ ٧٨٦-٨٠٩م) ببناء قبة على قبره عام ١٧٠هـ/ ٧٨٦م، ومنذ ذلك الحين طرأ على المشهد العديد مِن التوسيعات والتجديدات. وعندما دخل نادر شاه إلى النجف عام ١١٥٦هـ/ ١٧٤٣م، كانت القبة =

الموصل[١]، عجز عن أخذها لا بالحيلة ولا بالقتال، بل أتعبه أهلها وعُربانها، وأذاقوه أنواع النكال؛ فقام عنها عاجزًا مقهورًا، وكان أمر اللَّه قدرًا مقدورًا[٢]، فعاد بجيشه إلى المشهد، وجمرة غيظه تتوقَّد، ثم عاد إلى بلاده بعد جوره وإفساده، وقد سبق له أنَّه مَلَكَ أرض السِّند، وبخارى، والهند، وأرض الداغستان، وما حولها مِن البلدان.

= والإيوان والمئذنتان مِن الآجر المزجج (القاشاني)، فأمر بتذهيبها، وأنفق في سبيل ذلك أموالاً طائلة بلغت نحو خمسين ألف تومان، عدا قيمة الذهب والنحاس، وقام بالتذهيب أكثر من مائتي صائغ ونحَّاس جمعهم من سائر البلدان، وقد كتبت أسماء أكثرهم على الطباق النحاسي وراء الذهب. للمزيد انظر: جعفر الشيخ باقر آل محبوبة، **ماضي النجف وحاضرها**، ج ١، دار الأضواء، ، ط ٢، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ص ١٤-٥٠، ٦٤-٧٠؛ جعفر مرتضى العاملي، **دراسات وبحوث في التاريخ والإسلام**، ج ٢، مؤسسة النشر الإسلامي، قم المشرفة، ط ٢، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ص ٢٠٣ ٢٣٢.

(١) **الموصل**: تقع على الضفة الشرقية لنهر دجلة في العراق، وهي مِن أهم مدن شمال العراق، وكانت حينئذٍ ولاية عراقية تابعة للدولة العثمانية، تحكمها الأسرة الجليلية (١١٣٩-١٢٤٩هـ/ ١٧٢٦-١٨٣٤م)، التي أدت دورًا مهمًّا في تاريخ هذه المدينة المهمة طوال فترة تزيد عن قرن مِن الزمان. عماد عبد السلام رؤوف، **الموصل في العهد العثماني فترة الحكم المحلي (١١٣٩-١٢٤٩هـ/ ١٧٢٦-١٨٣٤م)**، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م، ص ٩-١١، ٣٩-٦٠.

(٢) قام نادر شاه في خلال فترة حكمه بمحاصرة الموصل مرتين: الأولى كانت في شوال ١١٤٥هـ/ مارس ١٧٣٣م، نتيجة المساعدات التي أرسلتها الموصل لوالي بغداد أثناء حصار نادر شاه له، الأمر الذي استفز الأخير فقام بإرسال قوة عسكرية مؤلفة من ثمانية آلاف بقيادة نركز خان للاستيلاء على الموصل، ولكن فشلت الحملة نتيجة حصانة المدينة، وبسالة أهلها في الدفاع عنها، ومقتل نركز خان أثناء المناوشات بين الجانبين. وأمَّا الأخرى فكانت في شعبان ١١٥٦هـ/ سبتمبر ١٧٤٣م، حيث تَوَجَّه نادر شاه بنفسه لحصار الموصل، واستمر أربعين يومًا، ولكنه فشل في نهاية الأمر، فانسحب إلى بلاده، والحصار الذي يذكره مؤرخنا أعلاه هو حصاره الأخير. للمزيد انظر: سليمان صائغ، **تاريخ الموصل**، ج ١، المطبعة السلفية، مصر، د.ط، د.ت، ص ٢٧٣-٢٨٧؛ عماد عبد السلام، **الموصل في العهد العثماني**، ص ١٠٠-١١٣.

ثم إنَّ طهماز المذكور لا زال مازور[١]، أرسل كتابًا مع السيد نصر اللَّه الحسيني[٢] لحضرة مولانا الشريف مسعود، بلغه اللَّه تعالى كُلّ مقصود، مضمون الكتاب: أنَّه قد حصل الوفاق والاتفاق[٣]، وانحسم الأمر بيننا وبين

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: مأزُورًا، وهي مِن الوزر أيّ الذنب.

(٢) **نصر اللَّه الحسيني**: أبو الفتح نصر اللَّه بن الحسين بن علي الحائري الموسوي الفائزي الجعفري الإمامي، ولد في حدود عام ١١٠٩هـ/ ١٦٩٨م في مدينة كربلاء، وقد تلقى العلم في النجف على أيدي عُلمائه، وذاع صيته بعد ذلك في الأوساط العلمية الشيعية والسنية، وكان مِن أفضل أهل العلم بالحديث، أديبًا وشاعرًا، خطيبًا مصقعًا، وقد جلس للتدريس بالمشهد الحسيني بكربلاء، وسافر إلى إيران عدة مرات، مِنْها في عهد نادر شاه، وله العديد مِن المؤلفات، مِنْها: «سلاسل الذهب»، و«رسالة في تحريم شرب التتن»، وديوان شعر. كان أحد أعمدة مؤتمر النجف عام ١١٥٦هـ/ ١٧٤٣م، وبعد الانتهاء توجه إلى مكة المكرمة حاملاً رسالة نادر شاه إلى الشريف مسعود، فوقعت لقدومه الفتنة هناك، حتى جاء أمير الحج الشامي وقتئذٍ أسعد باشا العظم، فحمله معه إلى الشام ثم أرسله إلى إستانبول، وهناك سجن فترة حتى تم قطع رأسه برحبة باب السرايا في رجب ١١٥٨هـ/ أغسطس ١٧٤٥م بأمر مِن السلطان العثماني. رضي الدين العاملي، **تنضيد العقود السنية**، ٢/ ٣٧٨-٣٩٣، ٣٩٨؛ محسن الأمين، **أعيان الشيعة**، ج ١٠، حقَّقه وأخرجه: حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، د.ط، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ص ٢١٣-٢١٨.

(٣) يقصد بذلك المؤتمر الذي عقد في مدينة النجف في العراق عام ١١٥٦هـ/ ١٧٤٣م للتقريب بين السنة والشيعة، تحت رعاية نادر شاه، حيث قام بجمع كافة رؤساء علماء الشيعة في مملكته، وطلب مِن أحمد باشا والي بغداد إرسال وفد ديني مِن عُلماء السنة ليتناظروا في النجف، ويجدوا مخرجًا للفرقة بين المسلمين، فأرسل الباشا مِن قِبَله الشيخ عبد اللَّه السويدي، الذي تولى المناظرة في النجف؛ وقد انتهى هذا المؤتمر بعدة قرارات مهمة، وهي: **أولاً**- منع سبّ الصحابة مِن قبل الشيعة، **ثانيًا**- الاعتراف بالمذهب الجعفري، وأنْ يكون مذهبًا فقهيًّا خامسًا ومكملاً للمذاهب الأربعة، وله ركن في الحرم المكي، وكان القرار أنْ يُصَلِّي الجعفرية في مقام الشافعي، **ثالثًا**- أنْ يُعين أمير للحج الإيراني، ويسمح للحجاج الإيرانيين بالسفر عن طريق الشام، **رابعًا**: أنْ يدعى لنادر شاه بعد السلطان العثماني في الخطبة في جميع أنحاء العالم الإسلامي؛ وبعد انتهاء المؤتمر توجه جميع العلماء إلى الكوفة ليصلوا صلاة الجمعة هناك. وقد قال نادر شاه للشيخ السويدي: «يا عبد اللَّه أفندي، لا تظن أنَّ الشاهنشاه يفتخر بمثل ذلك، وإنَّما هذا أمرٌ يسَّره اللَّه تعالى ووفقني له؛ حيث كان رفع سبّ الصحابة على يدي، مع أنَّ آل عثمان منذ كان السلطان سليم إلى يومنا هذا، كم جهّزوا عساكر وجنودًا، وصرفوا أموالاً، وأتلفوا نفوساً؛ ليرفعوا السبّ في إيران فما توفقوا له وأنا لله الحمد والمنة رفعته بسهولة». وقد أرسل نادر شاه السيد نصر اللَّه بقرارات المؤتمر إلى شريف مكة مسعود بن مساعد، فرفض تنفيذها، =

الدولة العليَّة، وزال كُلّ أمر شاق، بحضرة وكيلهم أحمد باشا[1] والي بغداد، ومحضر مِن العُلماء الأمجاد، مِن إظهار حقيقة المذهب الجعفري[2] لأنَّه

= وتم ترحيل الحائزي إلى إستانبول حيث قطع رأسه كما ذُكِرَ آنفًا، ولكن جهود نادر شاه لم تتوقف، حيث أرسل إلى السلطان برسائل يعدل فيها عن بعض مطالبه مثل الاعتراف بالمذهب الجعفري، وبالركن الخامس في البيت الحرام، وتمنى أنْ تدوم الألفة بينه وبينهم، وقد انتهى الأمر بتوقيع الصلح بين الجانبين عام ١١٦٠هـ/ ١٧٤٧م، ولكنّه لم يدم طويلاً، فقد ساء ذلك الشيعة في إيران فدبرت مؤامرة لقتله، وانتهت معه وقتئذ كافة الآمال التي كانت مِن الممكن أنْ تزيل الخلافات بين السنة والشيعة، وتجنب المسلمين ويلاتها التي استفاد منها الأوربيون لضرب العالم الإسلامي. عبد اللَّه بن حسين السويدي، **الحجج القطعية لاتفاق الفرق الإسلامية**، مطبعة السعادة، مصر، ط١، ١٣٢٣هـ/ ١٩٠٥م، ص ٥ وما بعدها؛ عباس العزاوي، **موسوعة تاريخ العراق بين احتلالين**، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط١، ٢٠٠٤م، ص ٣١٢-٣٢٠؛ علي الوردي، **من تاريخ العراق**، ١/ ١٢٠-١٢١، ١٣١-١٤٤؛ رضا زاده شفق، **نادر شاه أفشار**، ص ١٢-١٤.

(١) **أحمد باشا**: ولد في مدينة جفلكة بالقرب مِن إستانبول في عام ١٠٩٥هـ/ ١٦٨٤م، وهو ابن حسن باشا (١١١٦-١١٣٦هـ/ ١٧٠٤-١٧٢٤م) الذي كان يُعَدُّ مِن أشهر ولاة بغداد في العصر العثماني وأعظمهم. وقد كان الابن مِن طراز والده؛ ولذلك نال مكانة في الدولة العثمانية، وولي على العديد مِن المدن والمناطق المهمة، ومِنْها: ولاية شهرزور عام ١١٢٧هـ/ ١٧١٥م، ثم انتقل إلى ولاية قونية عام ١١٢٨هـ/ ١٧١٦م، ثم تولى ولاية حلب عام ١١٢٩هـ/ ١٧١٧م، ثم تولي ولاية أورفا (الرها) عام ١١٣٣هـ/ ١٧٢١م، ثم انتقل إلى ولاية البصرة، وفي النهاية أُسْندت إليه ولاية بغداد، بعد وفاة والده، في عام ١١٣٦هـ/ ١٧٢٤م، وقد عاصر حملات نادر شاه على العراق، وقد اتهمه بعض المؤرخين بأنَّه كان متواطئًا مع نادر شاه، وأنَّ الباب العالي كان يرتاب من تصرفاته، بينما ينفي بعضهم الآخر عنه تلك التهمة، ويرون أنَّه لولا السياسة الحكيمة التي اتبعها أحمد باشا لتمكن نادر شاه من الاستيلاء على العراق بما فيها بغداد، وقد ظلَّ أحمد باشا في حكم ولاية بغداد حتى وفاته في ذي القعدة ١١٦٠هـ/ نوفمبر ١٧٤٧م. للمزيد انظر: عبد الرحمن عبد اللَّه السويدي، **حديقة الزوراء في سيرة الوزراء**، تحقيق: عماد عبد السلام رؤوف، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م، ص ٢٢٦-٢٣٥؛ رضي الدين العاملي، **تنضيد العقود**، ٢/ ٤١٦-٤١٧؛ علي الوردي، **من تاريخ العراق**، ١/ ١٠٥ وما بعدها.

(٢) **المذهب الجعفري**: أحد المذاهب الشيعية. ينسب إلى الإمام جعفر بن محمد الصادق، سادس الأئمة الإثني عشرية. والإمام جعفر لم يطلب الإمامة، ولم ينازع أحدًا على الخلافة، وكان غزير العلم، وأغلب أقواله في الفقه، والإمامية يأخذون مذهبه في الفروع. ولمَّا سمع ما يقوله عنه الغلاة تبرَّأ مِنْهم ولعنهم، وتبرَّأ من خصائص مذهب الرافضة في الغيبة والرجعة، والبداء والتناسخ، والحلول والتشبيه. شريف يحيى الأمين، معجم الفرق =

بالظهور حري، وصلاة إمام خامس في جميع الأوقات، وفي كُلّ الجهات، يُصَلِّي الخمس الصلوات، وأنْ يكون هذا في جميع المساجد، ومَن أراد الاقتداء به فلا معارضة ولا معاند، وأنْ يدعى لنا على المنابر والمقام، كما يدعى للدولة العليَّة في جميع الممالك الإسلامية، فواصلكم إمام مذهبنا السيد نصر اللَّه، فلا يكن مِنْكم له اعتراض؛ فيكون سببًا لشن الإغارة والانتقاض، فدعوه يُصَلِّي بالناس صلاة خامسة في المسجد الحرام، وفي مسجد مدينة النبي - عليه أفضل الصلاة والسلام - ولا يسلم كتابه هذا مِن التهديد والترغيب، إذ لا يشك أحدٌ في غلاظة العجم ولا يستريب.

فحصل للشريف مسعود ولأهالي مكة كربٌ عظيم، من هذا الخطب الجسيم، حتى أزعج سكان أم القرى، بِمَا طلبه هذا الخرا، مِن إظهار مذهب الرافضة، والفئة الباغضة، مع أنَّ جميع ما ذكره في كتابه زورٌ وبهتان، على دولة آل عثمان، أعزَّها اللَّه تعالى عن ذلك ورفع شأنها / ق٣٠/ عن كُلّ ما أرذلها وشانها[1]، فعند ذلك استشار مولانا الشريف أرباب دولته وغيرهم مِن العُقَّال، وأمعن الفكرة فيما يول[2] إليه مِن المآل، وخشي مِن سطوة هذا الجاير[3]، وتيقن أنَّه إنْ رام أمرًا فهو عليه قادر، فأنتجت مقدمة هذه المشورة بالآراء المضبوطة المحررة، أنْ يرسل للدولة العليَّة صورة الكتاب، ويستمهل رسول طهماز مُدَّة الذهاب والإياب، وأنْ يُعامل رسوله بالمُلاطفة والموادَدَة، لينظر صلته وعايده[4]، ففعل ما انتجت الفِكَر مِن الإرسال، ولم يكن له توان في الأمر ولا إمهال، وأكرم رئيس الملّة الرافضيَّة، حتى يظهر له ثمرة هذه القضية، إلا أنَّ والي جدة باكير باشا لم يرضَ بهذه المشورة، ولم يقبل، وقال:

= الإسلاميَّة، دار الأضواء، بيروت، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ص ٨٢ وما بعدها؛ عبد المنعم الحفني، موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية، دار الرشاد، القاهرة، ط١، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، ص ١٤٠-١٤١.

(١) **شَانها**: مِنَ الشَّيْنِ، أي العَيْبِ والقُبْحِ. **المعجم الوسيط**، ص ٥٠٤.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: يؤل.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: الجائر.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: عائده.

لا بدّ لهذا الرسول مِن القتل، فأبى - أيده اللّه تعالى - عن تسليمه لِقَتْلِهْ، لأنَّه عارٌ لم يَصْدُرْ مِن مثله، وأجابه بأننا نبقيه حتى يصل الجواب مِن الباب العالي[٥]، لِكَوْننا خُدَّامٌ والخَدَمَةُ تحت أمر الموالي، فأغلظ عليه باكير باشا وتَعَصَّبْ، واتهم الشريف أنَّه اعتقد هذا المذهب.

فخشي الشريف أنْ يرميه عند الدولة بهذا الاعتقاد، الذي لم يسبقه به أحد مِن الآباء والأجداد، فاستشار - أيَّده المَلك العَلاَّم - في دفع ما يرفع عنه هذا الاتهام، فأعملوا فكرتهم الوقادة، وقرايحهم[٦] النقادة، بأنْ يجهروا بلعن الرافضة وأهل البدع على المنبر والمقام، ليزول ما توهمه مِن الاتهام، عنده وعند جميع الأروام[٧]؛ فزال مِن خواطرهم هذا الحَرَج، وسُرَّ الشريف بذلك وابتهج.

وفي هذه الأثنا[٨] ورد كتاب لوالي جدة مِن ابن أخته أحمد باشا المرقوم،

(٥) الباب العالي: أطلق في العصر العثماني على المقرّ الرسمي للصدارة العظمى (رئاسة الوزراء) في إستانبول ابتداءً من عام ١١٣٠هـ/ ١٧١٨م، وكان مِن قبلِ ذلك يطلق على البلاط السلطاني. ويعرف هذا الاسم في التركية: باب آصفي. ويبدو أنَّ التسمية اشتقت مِن الطبيعة المرتفعة لمدخل باب رئاسة الحكومة المنقوش عليها الطغراء السلطانيَّة والتي ورد ذكرها في بعض المصادر باسم بوابة همايون. مصطفى عبد الكريم الخطيب، **معجم المصطلحات**، ص ٥٦.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: قرائحهم.

(٧) **الأروام**: ويقصد بها العثمانيين. وكانت كلمة الروم شائعة في الكتابات العربية الإسلامية قبل العثمانيين، وكان يقصد بها الأتراك المسلمون الذين استوطنوا في آسيا الصغرى، على مقربة مِن أراضي الروم (البيزنطيين) الذين وردت سورة في القرآن الكريم باسمهم، فأطلق المؤرخون العرب على مَن جاورهم هذه التسمية؛ فنجد سلاجقة الروم، وأحد كبار المتصوفة الأتراك وهو جلال الدين الرومي. وعلى الرغم مِن أنَّ العثمانيين مِن الأتراك، ولغتهم يطلق عليها اللغة التركية، فإنَّ إطلاق كلمة تركي على أحدهم كان يُعَدّ إهانة له؛ ولعلّ ذلك يرجع إلى أنَّ العثمانيين كانوا يطلقون كلمة تركي على البدو مِن الترك عمومًا والشيعة مِنْهم بوجه خاص، ويقرنونها بالجهل أو ضعف الإيمان، ويطلقونها على الفلاح العثماني الجاهل أو أحد سُكَّان قرى الأناضول. أحمد السعيد سليمان، **التيارات القومية والدينية في تركيا المعاصرة**، دار المعرفة، القاهرة، ١٩٦١م، ص ١٧-١٨؛ عبد العزيز الشناوي، **الدولة العثمانية**، ١/ ١١-١٣.

(٨) كذا في الأصل، والصواب: الأثناء.

الذي أبقته الدولة محافظًا في الأَرْزرُوم(١)، بأنَّ عساكر الدولة كسروا عساكر طهماز، وأنَّه رجع القَهْقَرَى إلى بلده وانحاز؛ فأظهر باكير باشا البشاير(٢) والفرح، وسُرَّ خاطره وانشرح، لكن حضرة الشريف لم يصل إليه الجواب الذي أرسله، وخاطره ما زال مؤمله، لكن مولانا الشريف مسعود فعل كما فعل والي جدة، مِن إظهار الفرح والسرور، خوفًا مِن أنْ يُنْسَب إليه شي(٣) مِن الأمُور.

ولمَّا ورد الحاج الشامي، بالفيض الهامي، وكان أميره أسعد باشا(٤) دام مجده، وعلا جده وسعده، جاء معه الأمر العالي بطلب / ق٣١/ السيد نصر اللَّه إمام المذهب(٥)، وحرَّضُوا على صاحب الترجمة بالطلب، فأخذه معه

---

(١) **الأرْزروم**: مِن المدن الرئيسة في شرق الأناضول (تركيا حاليًّا)، ترد في بعض المصادر أيضًا بـ: أرْضُرُّوم وأرْزن الروم، تقع على هضبة ترتفع حوالي ٦ آلاف قدمًا، وقد اكتسبت أهمية كبرى من الناحيتين الحربية والتجارية بسبب موقعها، حيث كانت تتحكم في ممرات تجارية تربط بين إيران والبحر الأسود، بجانب كونها ولاية حدودية، وفي حالات الصراع بين الدولتين الإيرانية والعثمانية، فكانت مركزًا لتجمع القوات العثمانية وتوجيهها. **دائرة المعارف الإسلامية**، مج١، نقلها إلى العربية: محمد ثابت الفندي وآخرين، القاهرة، ١٣٥٢هـ/ ١٩٣٣م، ص ٦١٠-٦١٢.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: البشائر.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: شيء.

(٤) **أسعد باشا العظم (١١٥٦-١١٧٠هـ/ ١٧٤٣-١٧٥٧م)**: ثالث حكام أسرة آل العظم في دمشق، وقد تولى الحكم بعد وفاة عمّه سليمان باشا عام ١١٥٦هـ/ ١٧٤٣م، وقد ظلَّ في حكم الشام أربعة عشر عامًا، خرج خلالها بإمارة الحج، واستقرت الأوضاع في عهده في الشام، وفي ربيع الآخر ١١٧٠هـ/ يناير ١٧٥٧م قام الباب العالي بعزله من دمشق وتعيينه على ولاية حلب، ثم قام بإعدامه عام ١١٧١هـ/ ١٧٥٨م. أحمد البديري الحلاق، **حوادث دمشق اليومية**، ص ٣٥-٣٦، ٤٧-١٩٥؛ عمر عبد العزيز عمر، **تاريخ المشرق العربي**، ص ١٦٠-١٦١؛ حسين سلمان سليمان، **أسعد باشا العظم والي دمشق ١٧٤٣-١٧٥٧**، مجلة تاريخ العرب والعالم، لبنان، مج٢٠، ع ١٨٦، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، ص ٢٢-٣٧.

(٥) يذكر عبد اللَّه السويدي - الذي ذهب للحج في موسم هذا العام - وقد ذكر كثير من التفاصيل عن موقف الشريف مسعود من السيد نصر اللَّه الحسيني، حيث ذكر السويدي أن الشريف مسعود أرسل له ليقابله، وذلك بقوله: «فأرسل يطلبني الشريف مسعود ابن الشريف سعيد والي مكة؛ فامتنعت من الذهاب إليه وقلت لرسوله :إن الحاج ذهب. فقال: إنَّ الشريف يريد الاجتماع بك هذه الليلة بعد العشاء وإلا فضحى ثاني يوم. قلت: =

....

= لا أستطيع ذلك والحاج يبعد عني، فقال: يرسلك الشريف مع ركب إلى عسفان فيما بعد. فامتنعت واعتذرت بأني لا أستطيع التخلف، وكان السيد يونس الأدهمي حاضرًا فقال: امتثل أمر الشريف وأنا أبقى معك ولو إلى عشرة أيام، فأجبت. ولم يتهيأ الاجتماع معه تلك الليلة فبتنا في مكة إلى ضحى يوم الاثنين، فأرسل خلفي واجتمعت به وأكرمني غاية الإكرام، فرأيته رجلًا عاقلًا صالحًا لا دعوى ولا أنانية، وهو حنفي المذهب متعصب على الشيعة. ثم إنه أمر خدامه ومن كان حاضرًا بالانصراف وإخلاء المكان، فبقيت أنا وهو لا غير، فقال :ألك علم بقضية الخبيث السيد نصر اللّٰه الكربلائي؟ فقلت: لا. قال:جاءنا هذا الرجل ومعه كتب من نادر شاه، واحد لي، وواحد لقاضي مكة، وواحد لمفتيها، وواحد لعلماء مكة، وواحد لشيخ الحرم المدني، مضمونها أن السيد نصر اللّٰه يصلي بالشيعة إمامًا في مقام إبراهيم ومذ دخل هذا السيد وهو يرغب ويرهب، فناديته وقلت له :ما الذي جرأك على أن تأتي ديارنا وتدعو الناس إلى مبايعة شاه العجم؟ كأنك ظننت أن الشرفاء روافض وأنك إذا أرغبتهم مالوا إلى مقابلتك، واللّٰه الذي لا إله إلا هو لو جاء سلطان آل عثمان الذي أنا تحت طاعته وبيعته وقاتلني من الشبيكة فلا أطيعه في ذلك ولا أجيبه، وأقاتله إلى أن أقتل أو أفر إلى أحد أقطار ثلاثة هي قطر اليمن أو قطر الهند أو قطر الحبشة، وما دمت هنا فلا أمكن أحدًا من ذلك، كيف وهذا أمر من لدن سيدنا رسول اللّٰه ﷺ ما صدر ولا جرى، أيجري في زماني؟ كلا واللّٰه لا يكون ذلك أبدًا، فإما أن أقاتل حتى أقتل، وإن لم أجد لي ناصرًا أهاجر إلى أحد الأقطار المذكورة، وللبيت رب يحميه، أو ظننت أن الشرفاء ملقون يحبون الدنيا فأردت أن ترغبهم بالأموال؟ واللّٰه لو جرى من نحو العجم نهر من الذهب لأمرت العرب أن تسده بالأحجار وقتل من يصل إلى الحجاز، أيها الرجل، إنما كان طاعتنا لآل عثمان لكونهم غزاة مجاهدين، يمدون الحرمين ومذهبهم مذهبنا فلأجل هذه الأمور دخلنا تحت طاعتهم، فكيف أطيع العجم ولا سبق لأحد من أسلافي الإطاعة والانقياد لهم، فقل لي ما الذي جرأك وحملك على هذا وبأي وسيلة توسلت بها وأي مستند استندت إليه حتى تجرأت على ما ذكرت؟ فذكر لي أعذارًا باردة واهية مفتراة محض كذب، فكذبته وأقمت الدليل على كذبه، ثم إني عرضت جميع أحواله على الدولة العثمانية، فجاء المرسوم الشريف بالقبض عليه وعلى المنلا حمزة الأفغاني وعلى ميرزا أبي الفضل، أما الملا حمزة فقد حج العام الأول وذهب ولم ينطق بشيء، وأما ميرزا أبو الفضل فقد تمرض في بعض قرى نجد وهو في هذه المدة محبوس عندي وحملته لأمير الحاج أسعد باشا، لأن في المرسوم أنه يحبس في قلعة دمشق. ثم إن الشريف خلع علي خلعة فاخرة من الأصواف الأنقروية، وأنا أيضًا كذبت نصر اللّٰه فيما اعتذر به، وقلت: يا ابن رسول اللّٰه! ورب هذا البيت إن هذا لكاذب فيما قال وإنما مراده ذلك ليخلص نفسه. ثم إن الشريف أثنى على الوزير أحمد باشا ودعا له كثيرًا، وكتب له كتابًا أثنى به عليه، وقال: واللّٰه إني أحبه لما أسمع من مكارم أخلاق وجعله اللّٰه منصورًا على أعدائه، ثم إنا ودعنا الشريف وطفنا طواف الوداع ولحقنا بالحاج في وادي فاطمة. وهذا السيد نصر اللّٰه أتى به إلى دمشق وحبس بالقلعة، ثم طلب من الدولة، فأرسله =

أسعد باشا المعظم، وقصد الأبواب العالية وأمَّ[١].

وفي أواخر هذا العام جات البشاير[٢] على وفق المطلوب، ودقت نوبات الهنا[٣] في ساحات القلوب، بظفر الدولة العليَّة على طهماز بِبَرّ فارس، وأبادوا مِن عسكره كُلّ غَضَنْفَر فارس، وأنَّ عساكرهم المنصورة على مَمَرّ الأعوام، طردت خلف عُرضيه[٤] إلى أربعة أيام، وقتلت في العجم قتلًا شنيعًا، ما سمع بمثله في زمن مِن الأزمنة، ولا في مكان مِن الأمْكنة، حتى شاع ذلك في جميع الأماكن مِن إقليم العجم، أنَّ مُلْك نادر شاه بعد هذه القتلة يَتَضَرَّم.

ومع هذا فإنَّه أظهر قُوَّةً وجلد[٥]، وجهز في العام الثاني جيشًا مستعدًّا للقتال بأنواع العدد، فأحاط بهذا الجيش على بغداد، ورتب عليها العساكر والأجناد، فلمَّا بلغ هذا الخبر أعتاب الدولة، زادها اللَّه تعالى قُوَّةً وصولةً، أرْسَلوا عليه عُرضيًّا جرَّار[٦]، لا يوصف أوله وآخره بمقدار، جنودًا مجندة فيها للزمان عِبَرْ، ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾﴾[٧].

ومعه وزيره الأعظم محمد باشا وجملة مِن البَوْش[٨]، لو عاداهم الزمان لخاف مِنْهم وارتعش، فوصل إلى العراق هذا العُرضي الهمايوني السلطاني، لا زال منصورًا بالمدد الرحماني، إلى أنْ استقبل الجيش بالجيش، واستأدمت

= أسعد باشا ولم أدر ما يفعل به، عامله اللَّه بما يليق به». للمزيد انظر: عبد اللَّه بن حسين السويدي البغدادي (ت ١١٧٤هـ)، **النفحة المسكية في الرحلة المكية**، تحقيق: عماد عبد السلام رؤوف، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م، ص ٣٢٥-٣٢٧.

(١) **أمَّ**: تعني قصد؛ يقال: أمَّ الشيء أيّ قصده. **المعجم الوسيط**، ص ٢٧.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: جاءت البشائر.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: الهناء.

(٤) **عُرضيه**: العُرضي مِن التركية أردو بمعنى: الجيش، أو المُعَسكر. أحمد السعيد، **تأصيل الدخيل**، ص ١٥٠.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: جلدًا.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: جَرَّارًا.

(٧) القرآن الكريم، **سورة المدثر**، آية رقم ٣١.

(٨) **البَوْش**: جماعة كبيرة مختلطة. **المعجم الوسيط**، ص ٧٦.

الأسنة مِن دمايهم[١] كما يُسْتَأدَم بالعيش، ولمع برق السيوف مِن سحايب[٢] المدافع، وصارت الجماجم كالنَّسْر الواقع، وغدا دم القتلى كالسيل بواد العراق، وسال الفرات على الدجلة بالدم المهراق، والحرب سجال بين الأبطال، يكرّون تارة عليهم ويفرّون، وتغوص الفرسان في غمرات السحايب[٣] الجَوْن[٤]، حتى طالت مُدَّة القتال، ولم يكن لأحد الجانبين تأخير عن هذا المجال، فحينئذ اتفق الحال بين الوزير وطهماز أنْ يتقاتلوا غير قتال العادة، مرة واحدة لا زيادة، على أنْ لا يكون الحتوف، إلا بالأسنة والسيوف، وكل مَن غلب، فاز بالمنقلب، وحصل بينهم الشرط الواقع، أنْ لا يقاتلونهم بالمدافع، وكتبوا بذلك الخطوط ووضعوا عليها الأمهار[٥]، ثم تصنموا صهوات الخيول والأمهار[٦].

وأظنُّ العجم يجيدون ضرب النصال / ق٣٢/ دون بقية آلات القتال، فلمَّا قابل الخميس الخميس، وابتاعت الأرواح في سوق القتال بيعًا بخيس[٧]، صالت على الترك العجم، وتَقَهْقَر جيش الوزير ووَجَم، وأناف عليهم جيش طهماز، وظهر بالبديهة أنَّه سَيَمْتَاز، فعند ذلك استقبل ريِّس المدافع جيش العجم، وشحن المدافع بالدش، ورماها على جيشهم حتى طَشَّ[٨]، وانحازت الخيول حوزًا، والمدافع ترمي ريزًا، ورَدَّت خيل الأتراك جميعًا، وقتلت في العجم قتلاً شنيعًا، وما زالت خيل الأتراك تسوق، وتضرب بالأعناق والسوق، حتى غدوا طعامًا لتلك السيوف، ووَلّوا وهم

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: دمائهم.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: سحائب.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: السحائب.

(٤) **الجَوْن**: تعني الأسْود عكس الأبيض. **المعجم الوسيط**، ص ١٤٩.

(٥) **الأمهار**: أي التوقيعات.

(٦) **الأمهار**: إبل مهرية نَجَائِب تسبق الْخَيل، منسوبة لقبيلة مهرَة بن حيدان. **المعجم الوسيط**، ص ٨٩٠.

(٧) كذا في الأصل، والصواب:بخيسًا.

(٨) **طَشَّ**: أيّ ضعف بصره. ومِنْه المثل: الطَّشَاشُ ولَا العَمَى. **المعجم الوسيط**، ص ٥٥٧.

راغمين[١] الأنوف، والسبب في ذلك كله ضرب المدافع، الذي ليس لهم عنها مدافع، حتى قيل: إنَّ الوزير قتل ريِّسهم لعدم الوفاء وقلة أدبه، ولو أنَّ هذا النصر لم يحصل إلا بسببه، لأجل حفظ المواثيق في الأمر المقصود، ومِن خصايص[٢] الأمراء حفظ العهود.

ثم إنَّ طهماز[٣] المذكور كان مِن اشتياقه في حب قتل النفوس، لا يميز بين دين الإسلام والمجوس، جبار عنيد يزيد فعله على يزيد[٤]، إنما يستنشق مِن سفك المهج، طيب الأرج، وأنَّه لا يرى في قتل النفوس قصاصًا ولا حرج[٥]، اتفق أنَّه أمر عسكره في شاه جهان أباد[٦] أنْ يطلقون[٧] السيف في رقاب العباد، وأنْ يكون ذلك سبع ساعات لا زيادة، ثم يضبطون المقاتيل الذين حازوا الشهادة؛ فامتثل كُلّ مأمور، وصَنَع ما لم يصنعه التَّيْمُور[٨]، فأسفر الأمر عن

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: راغمو.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: خصائص.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: طهمازًا.

(٤) يَزِيد: يَزِيد بن مُعَاوِيَة بن أبي سُفيان، ثاني خلفاء الدولة الأموية، ولد بالماطرون عام ٢٥هـ/ ٦٤٥م، ونشأ في دمشق، وشارك في إحدى الغزوات على القسطنطينية، ثم ولي الخلافة عام ٦٠هـ/ ٦٧٩م، وشهد عصره العديد مِن الاضطرابات؛ حيث رفض مبايعته عبد اللَّه بن الزبير، والحسين بن علي؛ فوقعت الحروب بينهما، وانتهت باستشهاد الحسين في الكوفة عام ٦١هـ/ ٦٨٠م، ثم أرسل جيشًا إلى مكة للقضاء على ابن الزبير فلم ينجح في القضاء عليه، ولم يدم في الحكم حيث مات عام ٦٤هـ/ ٦٨٣م. شمس الدين الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ٤/ ٣٦-٤٠؛ خير الدين الزركلي، **الأعلام**، ٨/ ١٨٩.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: حرجًا.

(٦) كتب على هامش الأصل ما نصّه: «قوله شاه جهان أباد هي أكبر بلاد في الهند، وبها تخت المملكة، وجميع ملوك الهند تحت أمره، ويسمَّى أيضًا دِلِّي، فاستمع ما أملى». وهي مدينة بناها الإمبراطور المغولي شهاب الدين محمد شاه جهان (١٠٣٧-١٠٦٩هـ/ ١٦٢٨-١٦٥٨م)، في عامي ١٠٥٨-١٠٥٩هـ/ ١٦٤٨-١٦٤٩م، وهي جزء مِن مدينة دلهي حاليًّا. أحمد رجب محمد علي، **قلاع وحصون وأسوار وبوابات المدن الأثرية الإسلامية في الهند**، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٩م، ص ٢٣٨-٢٤٤.

(٧) كذا في الأصل، والصواب: يطلقوا.

(٨) **التَّيْمُور**: يقصد به تَيْمُور لنك، مؤسس الدولة التيمورية (٧٧١-٩٠٧هـ/ ١٣٦٩-١٥٠٠م)، وهو تيمور بن ترغاى بن أبغاى، مؤسس الدولة التيمورية، ولد في مدينة كش، جنوبي =

مائة ألف وسبع وعشرين ألف قتيل، وحسبنا اللَّه ونعم الوكيل، وطالما أمر عسكره في أغلب الأيام، أنْ يأتونه[١] بعشرة أفق مِن العيون ومثلها مِن الأخشام، فيخرجون في الطريق، ويقلعون عيون مَن يصادفون بإذن ذلك الزنديق.

وفي عام ألف ومايه[٢] وستين ١١٦٠[٣]، جاء الخبر اليقين[٤]، الذي أسَرَّ جميع المسلمين، بقتل طهماز اللَّعين، ففرَّج اللَّه تعالى بهذا الخبر، واستسرّ كُلّ مُسلم واستبشر، فإنَّه لم يحصل للناس مثلما حصل لهم في قتله مِن السرور، وزالت بحمد اللَّه تعالى عنهم الشرور، واطمأنت[٥] المسلمون بهذا الخبر، وكون روحه استقرّت في سقر.

قيل[٦]: كان قاتله ابن أخته / ق٣٣/ ، وأنَّ الدولة أطمعته بالجلوس على

= سمرقند في شهر شعبان ٧٣٦هـ/ إبريل ١٣٣٦م، ثم دخل في خدمة ملك الدولة الجغتائية، الذي زوّجه بحفيدته، وبمرور الوقت ارتفع شأنه، وانتخبه أعيان سمرقند حاكمًا عليهم، وكانت له طلعات توسعية، فقام بغزو مساحة كبرى مِن الأراضي الإسلامية كبلاد وراء النهر، إيران، والهند، والعراق، والشام، وآسيا الصغرى، وراح ضحية حروبه كثير مِن المسلمين، وقد كوَّن إمبراطورية مترامية الأطراف، وتوفي خلال إحدى حملاته على الصين في ١٧ شعبان ٨٠٧ هـ/ ١٨ فبراير ١٤٠٥م، ودُفِنَ في سمرقند. انظر: أحمد معمور عسيري، **موجز التاريخ الإسلامي**، د.ن، الرياض، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، ص ٢٨٩-٢٩٠.

(١) كذا في الأصل، والصواب: يأتوه.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: مائة.

(٣) عام ١١٦٠هـ/ ١٢ يناير ١٧٤٧ – ٣١ ديسمبر ١٧٤٧م.

(٤) وصل خبر مقتل نادر شاه إلى مكة المكرمة في شوَّال ١١٦٠هـ/ أكتوبر ١٧٤٧م، في رسالة بعثها أحمد باشا والي بغداد إلى الشريف مسعود بن مساعد. انظر: **ملحق الوثائق**، وثيقة رقم (١).

(٥) كذا في الأصل، والصواب: واطمأن.

(٦) تعددت الأسباب وراء قتل نادر شاه، ويبدو أنَّها ترجع إلى أنَّ نادر شاه قام بتوقيع الصلح مع الدولة العثمانية، وعمل على التقريب بين الشيعة والسنة، والقضاء على معالم المذهب الشيعي الذي روَّج له الصفويون، وبالإضافة إلى أنَّه قد عزم على التخلص مِن جميع الإيرانيين (القزل باش) في جيشه حتى لا يبقى فيه سوى التركمان والأزبك، فلمَّا وصلت هذه الأخبار إلى بعض القادة الإيرانيين وضعوا خطة لقتله بالاتفاق مع ابن أخيه علي قلي خان ميرزا، ورئيس الحرس الملكي، وكان نادر شاه على مقربة مِن منطقة كوشان التي ذهب إليها لمحاربة بعض الأكراد التي ثارت عليه، فدخلوا على خيمته ليلاً، فاستيقظ، =

تخته[١]، والصحيح أنَّ الذي قَتَل طهماز[٢] هم حُرَّاسه مِن الغزل باش[٣]، ووقعت عليه بعض نسائه ساعة القتل فقتلوها معه، وهو نايم[٤] لا يعلم بالليل، فأذاقوه قوة الوبال والويل.

إِحْــــــذَرْ عَــــــدُوَّكَ مَــــرَّةً
واحْــــذَرْ صَــدِيــقَــكَ أَلْــفَ مَــرَّه

فَــلَــرُبَّــمَــا انْــقَــلَــبَ الــصَّــدِيْــق
وَكَــانَ أَدْرَى بــالــمَــضَــرَّة[٥]

= وشرع يقاتلهم حتى قَتَل مِنْهم اثنين، ثم قتلوه، وذلك في ١٢ جمادى الآخرة ١١٦٠هـ/ ٢٠ يونيو ١٧٤٧م. Persy Sykes, op. cit, vol 2, p. 273؛ علي الوردي، **لمحات في تاريخ العراق**، ١/ ١٤٤؛ عبد العزيز نوار، **تاريخ الشعوب الإسلامية**، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ط، د.ت، ٣٤٣-٣٤٤.

(١) **تخته**: التخت في الفهلوية Taxt ومعناها: العرش والسرير؛ وهو ما يجلس عليه الملوك في المواكب والاجتماعات العامَّة، ليكون مميزًا عن غيره مِن الناس. وقد عُرف بعض الملوك والسلاطين في بعض المصادر بلقب: صاحب التخت، وقد يعني بالتخت مقرّ العاصمة التي يُقيم فيه السلطان. أحمد السعيد سليمان، **تأصيل الدخيل**، ص ٥١-٥٣؛ مصطفى الخطيب، **معجم المصطلحات**، ص ١٠٢.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: طهمازًا.

(٣) **الغزل باش**: كذا في الأصل، والصواب: القزل باش. وهم الجنود الشيعة الذين قامت على أكتافهم الدولة الصفوية في إيران، وهم يقابلون عند العثمانيين الإنكشارية. ويتكون المصطلح مِن لفظين تركيين: قزل ومعناه: أحمر اللون، وباش ومعناه: رأس، ومعنى المصطلح: أصحاب الرءوس الحمراء. وهم شيعة إمامية إثنا عشرية. وقيل وجه تسميتهم بذلك إنَّ السلطان حيدر بن جنيد الصفوي رأى في منامه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب مع سائر الأئمة في مجلس ونظر إليه بعين العطف والرحمة، وأمره أن يجعل علامة مميزة لأصحابه فوقع في نفسه أنَّه اخترع تاجًا مِن السقرلاط الأحمر، له اثنا عشر ركنًا ولبسه على رأسه، وقد سمَّاه أتباعه قزلباش أيّ ذو الرأس الأحمر، وأطلق هذا الاسم أيضًا على سائر أتباعه ومريديه، وبقي رسم هذا التاج معمولاً به إلى زمن الشاه حسين الصفوي ثم ترك، والآن اسم قزلباش في بلاد إيران مشهور. أحمد الخولي وبديع جمعة، **تاريخ الصفويين وحضارتهم**، ج١، دار الرائد، القاهرة، ط١، ١٩٧٦م، ص ٤٤-٤٨؛ محسن الأمين، **أعيان الشيعة**، ١/ ٢٠.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: نائم.

(٥) البيتان لمحمد بن عبد اللّٰه بن مَعْروفٍ القاضي، انظر: محمد بن أيدمر المستعصمي، **الدر** =

ولم يظهر بعده خارجي غير هذا المشرقي اللعين[١]، عليه غضب رب العالمين، ثم إنَّ مولانا الشيخ محمد عُقَيْلة[٢] أرَّخ موته وحاز الأجر والفضيلة، فقال:

إنَّ طَهْمَاز في لَظَى
مَعَ قَرِيْنٍ مناقِضِي
قُتِلَ العِلْج فانْطَفَى
بَعْدَه كُلّ باغِضِي
أهْلَكَ اللَّه حِزْبَه
رَاجِلاً بَعْد رَاكِضِي
يا أُلِى الفَضْل أرِّخوا
هُو كَلْب وَرَافِضِي[٣]

= الفريد وبيت القصيد، ٢/ ١٨٨.

(١) يقصد الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وذكر آنفًا أنَّ مؤرخنا ابن عبد الشكور كان من الرافضين للدعوة الوهابيَّة.

(٢) **محمد عقيلة**: محمد بن أحمد بن سعيد الشهير والده بعقيلة، الحنفي المكي، ولد بمكة المكرمة عام ١٠٩٦هـ/ ١٦٨٥م، ونشأ بها، وتلقى العلم على عُلماء عصره، ثم رحل إلى اليمن وخدم بها بعض السادة العلوية، ثم عاد إلى مكة، وقد قام بالعديد من الأسفار إلى الشام، والعراق، وإستانبول، ومصر؛ فأخذ عنه العديد من طلبة العلم، وقد نال شهرة واسعة في الحديث، والتصوف، والتاريخ، ومن مؤلفاته: «فقه القلوب ومعراج الغيوب»، و«رسالة في الرد على المعتزلة»، و«نسخة الوجود في الإخبار عن حال الموجود»، توفي في مكة المكرمة عام ١١٥٠هـ/ ١٧٣٧م، وقيل عام ١١٤٩هـ/ ١٧٣٦م، ودُفِنَ في زاويته بأوَّل المَعَابِدَة. خليل المرادي، **سلك الدرر**، ٤/ ٣٠-٣١؛ رضي الدين العاملي، **تنضيد العقود السنية**، ٢/ ٣٢٠-٣٢٢؛ عبد اللَّه الغازي، **نظم الدرر**، ص ٣٠٤-٣٠٦؛ محمد الحبيب الهيلة، **التاريخ والمؤرخون بمكة**، ٣٩٣-٣٩٦.

(٣) **جاءت بحساب الجُمَل كالآتي**: هو: هـ ٥ + و ٦= ١١. كلب: ك ٢٠ + ل ٣٠ + ب ٢= ٥٢. ورافضي: و ٦ + ر ٢٠٠ + أ ١ + ف ٨٠ + ض ٨٠٠ + ي ١٠= ١٠٩٧. الإجمالي ١١ + ٥٢+ ١٠٩٧ = ١١٦٠ سنة وفاة نادر شاه. ويبدو أنَّ هذا التأريخ الشعري ليس للشيخ محمد عقيلة؛ لأنَّه مات قبل نادر شاه كما ذكرت في ترجمته.

وأرَّخه غيره من الأفاضل الأمجاد، فأحسن فيما صنع وأجاد، فقال:

تـأمَّــل بِـعَـيْـن فَـتَـى عَـارفًـا
إلَـى نَـادِرٍ بَـعْـد أنْ مَـلَـكَ
أبَـادَ الـوَرَى ثُـمّ أَخْـلَـى الْـقُـرَى
وَقَـلَّـد تَـيْـمُـور فِـيْـمَـا سـلـك
فـلـمَّـا دَنَـى مَـسـيره فِـي لَـظَـى
ألـمَّـت بِـهِ دَائِـرَات الْـفـلـك
فَـسَـلَّـط حُـرَّاسـه لَـيْـلَـةً
عَـلَـيْـه فَـصَـادُوه جـوفَ الـشـرك
وَحَـزَّ أخـو عـزمـهـم رَأسَـه
بِـسَـيْـفٍ لـجـبـهـة قَـدْ فَـتَـك
فَـلِـلَّـه درّك مِـنْ فَـاتـكٍ
وَدرّك يَـا سَـيْـف مَـا أَعْـدَلـك
فـخـذ مـنـتـهى الـعـزّ مُـسْـتـخـرجًـا
لِـتَـارِيْـخَـه مِـنْ خَـبِـيْـث هَـلَـكَ[1]

فأخرج السبعة مِن قوله: فخذ منتهى العزّ، وأراد بها الزَّينَ وهي سبعة، كما هو ظاهر بالعين.

وكان في قتل طهماز هذا عِبْرة لكل ملكٍ جبار، وتذكرة لأولي الأبصار، ولقد مَرَّ به يوم قتله راعٍ يرعى ماشِيَةً له في وقت الصباح، وهو في جُنْدٍ عظيم، وجيش يضيق مِنْه البطاح، فلمَّا عاد الراعي وقت العصر بالمواشي، لم يجد

---

(١) جاءت بحساب الجُمَّل كالآتي: خبيث: خ ٦٠٠ + ب ٢ + ي ١٠ + ث ٥٠٠ = ١١١٢. هلك: هـ ٥ + ل ٣٠ + ك ٢٠= ٥٥. الإجمالي ١١١٢ + ٥٥ = ١١٦٧، فإذا حذفنا (ز) التي قال إنَّها في مُنتهى كلمة (العزّ)، فيكون ١١٦٧ - ٧ = ١١٦٠ سنة وفاة نادر شاه.

في هذا الموضع راكبًا ولا ماشي[١]، سوى طهماز رآه مقتولًا [مضرجًا[٢]] بدماه[٣]، ملقا[٤] به في التراب، وهو في أطْمَاره[٥]، وتأكل مِن لحمه الكلاب، فانظر مُتَأَمِّلاً في عواقب الأمُور، وصروف الأيام كيف تَدُور، وما يلقاه الظالم في دنياه مِن نَكَد، وهذا في الدنيا، ولعذاب الآخرة أشدّ.

اعلم بأنَّ الدهر / ق٣٤/ يحكم أمره فيما يشاء لِمَن يشاء، ولو أخَّر عن أمر مَن يجريه لا عن أمره، جرت المشيئة في التصرف في البشر، فليأخذ المَلك اللبيب لنفسه في هذه الدنيا الدَّنِيَّة معتبر[٦]، فإنَّ هذا المَلك قد توسَّع مُلْكَه، وسارت في بحار الأقطار فُلْكَه، وجمع مِن الأموال ما لم يجمعه قارون، مِن النقود ومِن الجوهر المكنون، وكان جلوسه في تخت السَّلطنة عام ألف وماية[٧] وثمانية وأربعين ١١٤٨ [٨]، فأرَّخ لولايته بعض أهل بلدته: الخير فيما وقع[٩]، فكتب هذا التاريخ في سكته[١٠]،

(١) كذا في الأصل، والصواب: ماشيًا.
(٢) وردت في الأصل (مطرحًا)، والتصويب مِن (ب)، ورقة ٢٢.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: بدمائه.
(٤) كذا في الأصل، والصواب: ملقى.
(٥) **أطْمَاره**: الثوب الخَلَق البالي. **المعجم الوسيط**، ص ٥٦٥.
(٦) كذا في الأصل، والصواب: معتبرًا.
(٧) كذا في الأصل، والصواب: مائة.
(٨) ١١٤٨هـ/ ٢٣ مايو ١٧٣٥- ١٠ مايو ١٧٣٦م.
(٩) **جاءت بحساب الجُمَل كالآتي**: الخير: أ ١ + ل ٣٠ + خ ٦٠٠ + ي ١٠ + ر ٢٠٠ = ٨٤١. فيما: ف ٨٠ + ي ١٠ + م ٤٠ + أ ١ = ١٣١. وقع: و ٦ + ق ١٠٠ + ع ٧٠= ١٧٦. الإجمالي ٨٤١ + ١٣١+ ١٧٦ = ١١٤٨.
(١٠) أيّ العملة والنقود. وقد كتب على الوجه الآخر للعملة بيت شعر بالفارسي، وهو:

سكَّه بر زر كرد نامي   سلطنت را در جهان
ادر إيران زميني   خسروي قيتي سنان

وتعريبها: ضرب السكَّة على الدراهم باسم السلطنة في العالم نادر أرض إيران الذي تنثني الرقاب له، ويأخذ خراج العالم. وقد أودع في قوله «نادر أرض إيران» مِن فنّ التورية ما لا يخفى. رضي الدين العاملي، **تنضيد العقود السنية**، ٢/ ٣١٦.

ولوْلاَ خوف فتح الكَنِيْف[١]؛ لملئت مِن سيرته هذا التاليف[٢]، واللَّه سبحانه وتعالى أعلم.

[وقوع فتنة في القُنْفُدَة بين وزير الشريف والعساكر]

وفي هذا العام[٣] وقع في القُنْفُدَة[٤] شَرٌّ عظيم، بين عساكرها[٥] ووزير الشريف الكنباتي أحمد بن عبد الرحيم، لمنعه الجوامك[٦] والمقرّرات المُعتادة، وكُلَّمَا طلبوه لم يحصل لهم إفاده، فطال بينهم وزاد الملام والإيلام، حتى أفضى الأمر إلى قبضه مِن رُدنه، ووضعه في سجنه، مع شتمه وشتم آبائه، وضربه حتى جُرِحَت بعض أعضائه، وأهانوه الإهانة التامة، بين الخاصة والعامة، ولم يقدر هذا الوزير على خلاصه مِن أيديهم، وإطفاء جمرة تعديهم، حتى استخلصوا مِنْه جميع العوايد والمقرّرات القديمة والقواعد، وقبضها شيخ العسكر حسين المعمري، وكان رجلاً عاقلاً شجاعًا لكنَّه جري[٧]، ثم

(١) **الْكَنِيْفُ**: يقصد بها بيت الرَّاحَة، والمِرْحَاضُ. **المعجم الوسيط**، ص٨٠١؛ مصطفى الخطيب، **معجم المصطلحات**، ص ٣٧٢.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: التأليف.

(٣) أي عام ١١٦٠هـ/ ١٢ يناير ١٧٤٧- ٣١ ديسمبر ١٧٤٧م.

(٤) **القُنْفُدَة**: مدينة على ساحل البحر الأحمر، تقع جنوب جدة بحوالي ٣٢٠ كم، وقد تطورت المدينة في القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي، وكانت ملجأ للأشراف إبان صراعاتهم مع بعضهم بعض، وارتفعت مكانتها مع قدوم قوات محمد علي باشا إلى الحجاز حيث اتخذت قاعدة لقواته. سميرة بنت مبارك بنت علي بلسود، **موانئ تهامة ومراسيها (١١٧٩-١٣٥١هـ/ ١٧٦٥-١٩٣٢م): دراسة تاريخية حضارية**، رسالة ماجستير، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، ص ٦٢-٦٨. وقد كانت المدينة تخضع لسلطة أشراف مكة المكرمة.

(٥) ذكر العاملي هذه الواقعة في أحداث عام ١١٦٢هـ/ ١١٤٩م. انظر: رضي الدين العاملي، **تنضيد العقود السنية**، ٢/ ٤٣٢-٤٣٤.

(٦) **الجوامك**: جمع الجامكية، وهي مِن الفارسية جَامَه؛ بمعنى الثياب أو اللباس، والجامكية في الاصطلاح الجراية الشهرية تعطى مِن غلة الوقف، فهي مِن ناحية أجر، ومِن ناحية مِنحة. أحمد السعيد سليمان، **تأصيل الدخيل**، ص ٥٩؛ مصطفى الخطيب، **معجم المصطلحات**، ص ١١٩.

(٧) كذا في الأصل، والصواب: جريء.

نادى في شوارع البلد حتى أسمع كُلّ أحد، على أنَّ مَن له قبل العسكر شيء مِن الخلاص، يأتي لأخذ القصاص، وما برح إلى ثلاثة أيام وهو ينادي، حتى بلغ صوت مُناديه كُلّ نادٍ، إلى أنْ علم أنْ لم يبقَ أحد حصل له المنع؛ أخذ بذلك حُجَّة مِن قاضي الشرع، ثم تَوَجَّه عن البلدة وظعن إلى ساحل اليمن.

فبلغ صاحب الترجمة ما صنع العسكر بوزيره، مِن إساءة فعلهم وقبح تدبيره، وشقّ عليه هذا الفعل بالوزير، ورأى أنَّه أمر خطير، وعار كبير، فعند ذلك جهز عسكر[1] في المراكب، وأمرهم يجِدُّون السير في ثياره، وجعل الإمارة في سلحداره[2]، وأصحبه كتابًا لأمير صنعا[3]، وأحسن له التلطف صنعًا، وهو الإمام العباس بن الحسين بن القاسم[4]، واحد الزمان وواسطة عقد الفواطم، وجهز جملة مِن السادة الأشراف كُلّ أسدٍ قَسْوَر، وجَدَّ/ ق٣٥/ خَلفهم السير على طريق البر، وقال للسادة الأشراف: سدوا عليهم المناسم وابلغوا في إدراكهم غاية الجهد، ومتى وجدتموهم فخذوهم واقتلوهم

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: عسكرًا.

(٢) **السلحدار**: سلاح دار أو سلحدار؛ وظيفة اشتهرت في الدول الإسلامية ذات الطابع التركي، وتتألف من مقطعين: أولهما سلاح العربية، وثانيهما دار الفارسية، وتعني حملة السيوف أو حملة السلاح، وقد احتفظ العثمانيون باللقب في صيغته الفارسية سلاح دار، وقد أنشئ هذا المنصب في أيام بايزيد الأول الصاعقة (٧٩١-٨٠٥هـ/ ١٣٨٨-١٤٠٣م)، وألغي في عام ١٢٤٧هـ/ ١٨٣٠م، وألغيت أيضًا السلاحداريات التي كانت في مكاتب الوزراء. أحمد السعيد سليمان، **تأصيل الدخيل**، ص ٢٧-٢٨؛ مصطفى بركات، **الألقاب والوظائف العثمانية**، ص ١٩٣-١٩٥.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: صنعاء.

(٤) **الإمام العباس بن الحسين بن القاسم** (١١٦١-١١٨٩هـ/ ١٧٤٨-١٧٧٥م): ولد في عام ١١٣١هـ/ ١٧١٩م، وتولى الحكم بعد وفاة والده عام ١١٦١هـ/ ١٧٤٨م، وتلقب بالمهدي، وكان إمامًا فطنًا، ذكيًّا، عادلاً، قوي التدبير، عالي الهمة، نشر الأمن بين رعاياه، وقرب إليه العُلماء، ويعده بعض المؤرخين آخر الأئمة ذوي الشأن في تاريخ حكم الإمامة في اليمن، وفي عهده زار اليمن الرحالة الدانمركي كارستين نيبور Carston Niebuhr، وقد استقبله في قصره بصنعاء في ٧ محرم ١١٧٧هـ/ ١٩ يوليو ١٧٦٣م، وقد سجل في رحلته حالة الأبهة والعظمة في بلاطه، توفي العباس في صنعاء رجب ١١٨٩هـ/ سبتمبر ١٧٧٥م. محمد بن علي الشوكاني، **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع**، ج١، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ط، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، ص ٣١٠-٣١٢؛ حسين عبد الله العمري، **مئة عام مِن تاريخ اليمن الحديث** (١١٦١-١٢٦٤هـ/ ١٧٤٨-١٨٤٨م)، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م، ص ١٩-٤٣.

واقعدوا لهم كُلّ مرصد.

[اتصال الشريف بإمام اليمن لإعادة عساكر القُنْفُذَة الهاربين]

فما أدركتهم العساكر البحريَّة، إلاَّ وقد وصلوا لُحَيَّة[1]، فمنع أمير اللُّحَيَّة السِّلَحْدَار عن أخذهم، وقال له: إِنَّهم في أمان الإمام بعد إِدْلاَجِهِم ووَخْذِهِم، فأَلَحَّ السلحدار بالطلب، وامتنع الأمير وغلب، ولو كان للسلحدار عليه اقتدار، لأَخَذَهم غصبًا عليه ضحوة النهار، فلمَّا تحقق الامتناع، وزاد التشاجر والنزاع، طلع سلحدار الشريف بنفسه لمواجهة الإمام، وتسليم مكاتيب الشريف - زاده اللَّه تعالى إنعام[2] - وطلع معه المعمري بحُجَّته لإظهار روجه ومحَجَّته.

فلمَّا قرأ الإمام المكاتيب، ورأى ما فيها مِن الأمر العجيب، ومع السلحدار حُجَّة مِن قاضي القُنْفُذَة، على أنَّ الحُجَّة التي بأيدي العسكر كانت جبرًا عليه مُنَفَدة، قابل الإمام بين الحُجَّتَيْن، وتأمَّل في المحَجَّتَيْن، وظهر له فيما تحرر، أنَّ العسكر أخذوا شياء[3] أكثر مِن المقرر، فأمر برد جميع ما أخذوه مِن الوزير مِن المال، جزاءً لما صنعوا ووبال[4]، وكان قدره ألفين وماتين[5]

(١) لُحَيَّة: مِن المدن اليمنيَّة على ساحل البحر الأحمر، وهي جزيرة متصلة باليابسة، ومرفؤها غير صالح للملاحة؛ بسبب الصخور التي تعيق المراكب الكبيرة والصغيرة على حد سواء، وأرضها قاحلة غير صالحة لزراعة، وفي الجهة الغربية مِنْها عدة جزر صغيرة، وكانت غير مسوّرة، ولكنها محاطة بآكام مرتفعة، عليها اثنتى عشر قلعة. إبراهيم أحمد المقحفي، **معجم البلدان والقبائل اليمنية**، ج٢، دار الكلمة، صنعاء، د.ط، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م، ص ١٣٧٠-١٣٧١.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: إنعامًا.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: شيئًا.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: وبالًا.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: مائتين.

دينار[١][٢]، قبضها السلحدار، وأودع قلوب العساكر النار، واعتذر مِن حضرة الشريف أنَّ في رجُوعهم عار[٣] عليه عند العرب، لأنَّهم وفدوا في حماه، وللضيف على المضيف حقٌّ وجب، وأنَّه يخشى مِن إثارة فتنة القبايل[٤]، وحماقة كُلّ وغد جاهل؛ فوصل مكة سلحدار الشريف بالدراهم[٥] والجواب، وأحسن هذا الإمام في الخطاب فيما أجاب، فانظر لهمة هذا الشريف مسعود، وبذل همته في نيل المقصود، حيث لم يترك مثل هذا الأمر الذي صار في بندره، وعلى وزيره يضيع سُدَى، فليت الملوك جميعًا له فدا[٦].

[فرمان السلطان محمود الأوَّل بقراءة قصة المعراج]

وفي عام واحد وستين بعد المايه[٧] والألف ١١٦١[٨]، وصل فرمان[٩]

---

(١) ذكر العاملي أنَّها كانت ألفين ومائتي ريال. انظر: رضي الدين العاملي، **تنضيد العقود السنية**، ٢/ ٤٣٣.

(٢) **الدينار**: كلمة مشتقة مِن اللفظ اللاتيني Denarius Aureus، وهو اسم وحدة مِن وحدات النقود الذهبية عند الرومان، وقد عرف العرب هذه العملة الذهبية قبل الإسلام وبعده، والدينار يساوي مثقالاً واحدًا، والوزن الشرعي له ٤,٢٥ جرامًا، وما يزال لفظ الدينار يستخدم في عديد من الدول حتى يومنا هذا، وإنْ كان لا يعني بالضرورة عملة ذهبية. محمد بن علي المناوي (ت ١٠٣١هـ)، **النقود والمكاييل الموازين**، تحقيق: رجاء محمود السامرائي، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، العراق، ١٩٨١م، ص ٤٠-٤١؛ مصطفى الخطيب، **معجم المصطلحات**، ص ١٨٩-١٩٠.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: عارًا.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: القبائل.

(٥) ذكر منذ قليل بأنها دنانير!

(٦) كذا في الأصل، والصواب: فداء.

(٧) كذا في الأصل، والصواب: المائة.

(٨) ١١٦١هـ/ أوَّل يناير ١٧٤٨ - ٢٠ ديسمبر ١٧٤٨م.

(٩) **فرمان**: لفظ فارسي معناه: أمر أو حكم أو دستور مُوقَّع مِن الملك. استخدمه الأتراك في العصر العثماني بمعنى الاوامر السلطانية، ويكون أمرًا واجب النفاذ. مصطفى الخطيب، **معجم المصطلحات**، ص ٣٣٨.

عالي الشان[1]، أمضى مِن السيف والسنان، يجب له الخضوع والإذعان، مِن حضرة سلطان سلاطين العالم، ومَلِك ملوك أقاليم الديلم، مَنْ خضعت لهيبته الملوك الأكاسرة، وزالت لأعتابه رقاب الجبابرة والأُسُود النافرة، ظلّ اللَّه تعالى الممدود، مولانا السلطان محمود[2]، فتلقي بالإعزاز والإقبال، وقُوبل بالقَبُول / ق٣٦/ والإجلال، وقُرِئ بحضرة صاحب الترجمة عزَّ قدرًا وسما، وحضرة السادة الأشراف والعُلما[3].

ومضمونه أنَّ حضرته العليَّة أمر بقرآة[4] قصة المِعْرَاج [في ليلة السابع والعشرين مِن رجب المُعَظَّم][5]، وأنْ يظهروا في تلك الليلة كمال السرور والابتهاج؛ يجلسون تجاه البيت المُعظَّم الحرام، ويدعون لحضرة سلطان الإسلام، ثم تجتمع العُلما[6] في مولد النبي[7] ﷺ،

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: الشأن.

(٢) **السلطان محمود الأول (١١٤٣-١١٦٨هـ/ ١٧٣٠-١٧٥٤م)**: ابن السلطان مصطفى الثاني، ولد في ٤ مِن المحرم ١١٠٨هـ/ ٢ أغسطس ١٦٩٦م، وقد اتصف بالعدل، والحلم، وميله إلى المساوة بين جميع رعاياه دون نظر لفئة دون أُخرى، وخاضت الدولة في عهده حروبًا ضد الفرس، انتهت بتوقيع معاهدة مع نادر شاه في عام ١١٤٩هـ/ ١٧٣٦م، ووقعت في عهده معاهدة بلغراد مع الروسيا عام ١١٥٢هـ/ ١٧٣٩م، والتي أعادت بعض ممتلكات كانت قد افتقدتها الدولة العثمانية جراء معاهدة كارلوفتس ١١١٠هـ/ ١٦٩٩م، وقد توفي يوم الجمعة ٢٧ صفر ١١٦٨هـ/ ١٢ ديسمبر ١٧٥٤م، بعد أنْ حكم السلطنة خمسة وعشرين عامًا. انظر: محمد فريد بك، **تاريخ الدولة العليَّة**، ص ٣٢٠-٣٢٦؛ أحمد آق كوندز وسعيد أوزتوك، **الدولة العثمانية المجهولة**، ص ٣٥١-٣٥٤.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: العُلماء.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: بقراءة.

(٥) ما بين القوسين إضافة من: رضي الدين العاملي، **تنضيد العقود السنية**، ٢/ ٤٢٤.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: العُلماء.

(٧) **مولد الرسول**: المكان الذي ولد فيه رسول اللَّه ﷺ وهو في فم شِعْب عَلي، الذي كان يسكنه بنو هاشم، وقد بقيت الدار كذلك حتى حجت الخيزران أم الخليفة العباسي هارون الرشيد، فأمرت بإقامة مسجدٍ يصلى فيه، ودخل على هذا المسجد كثير من التعميرات كان أهمها في عهد السلطان محمد الثالث (١٠٠٣-١٠١٢هـ/ ١٥٩٥-١٦٠٣م)، عام ١٠٠٩هـ/ ١٦٠٠م، حيث أمر في ذلك العام بعمارته، وبنى في أعلاه قبة عظيمة ومنارة، =

بعد قرآة[1] قصة الإسراء، ثم يَتَوَجَّهُون في دار خديجة الكبرى[2]، ثم يعُودون للمسجد الحرام، ويفتحون البيت الشريف، زاده اللَّه تعالى مَجْدًّا وتشريف[3]، ويطلقون العود والعنبر والند، بمسمع مِن السادة العُلما[4] ومشهد.

وعَيَّن أربعة فراوي مِن أفخر السَّمُّور[5]، تلبس بين ذلك الجمهور، أحدها لحضرة شريف مكة، والأخرى لقاضي الشرع، والثالثة لفاتح البيت المعظم، والرابعة لمفتي الإسلام على مذهب الإمام الأعظم[6]، وفروًا مِن الكاكم لشيخ الحرم المُحترم، ومعها خلعًا[7] وقفاطين للخدمة والمباشرين،

= ووقف عليه وقفًا، ورتب له مؤذنًا، وخادمًا، وإمامًا، وفي مرحلة تالية جعل له مُدَرِّسًا يُدَرِّس فيه ويتقاضى مرتبًا. وكان مسجد المولد أحد المزارات الرئيسة للحجاج في مكة المكرمة، وقامت المملكة العربية السعودية بهدم هذا المسجد نظرًا لكثرة تبرك الناس به، وأُقِيم في مكانه مكتبة مكة. علي السنجاري، **منائح الكرم**، ٣/ ٥٠٦-٥٠٧؛ إبراهيم رفعت، **مرآة الحرمين**، ١/ ١٨٦-١٨٩؛ عاتق البلادي، **معالم مكة**، ص ٢٩٤-٢٩٥.

(١) كذا في الأصل، والصواب: قراءة.

(٢) **دار خديجة الكبرى**: كانت تقع في زُقَاق الحِجْر بمكة، وتنسب إلى السيدة خديجة بنت خويلد زوج الرسول ﷺ، التي توفيت قبل الهجرة بثلاث سنوات، ودفنت في دارها، وفي عام ٩٥٠هـ/ ١٥٤٣م أُقيمت قبة مِن الحَجَر الشميسي على قبرها، بأمر مِن الأمير محمد بن سليمان الجركسي دفتردار مصر، في ولاية داود باشا (٩٤٥-٩٥٦هـ/ ١٥٣-١٥٤٩م) نائب السلطان العثماني سليمان القانوني، وكان على القبر قبل القبة تابوت خشبي، وقد جُعِلَ لخادم القبر مرتبًا. إبراهيم رفعت، **مرآة الحرمين**، ١/ ٣١، ١٨٩-١٩٠.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: تشريفًا.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: العُلماء.

(٥) **السَّمُّور**: حيوان بري مِن آكلات اللحوم، يعيش في شمالي قارة آسيا، ولا يصاد إلا بالحِيَل، ومِنْه يتخذ نَفِيس الفِراء لا يلبَسُها إلا الملوك وأكابر الأعيان، لحُسْنها ودِفئها، وأحسنه ما كان شديدَ النُّعُومة مائلاً إلى السواد. أبو العباس أحمد القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج ٢، المطبعة الأميرية، القاهرة، د.ط، ١٣٣١هـ/ ١٩١٣م، ص ٤٩؛ كمال الدين الدميري، **حياة الحيوان الكبرى**، ٢/ ٤٠-٤١.

(٦) **مذهب الإمام الأعظم**: مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان، وهو المذهب الرسمي الذي أقرَّته الدولة العثمانية، في المناطق التي خضعت لها.

(٧) كذا في الأصل، والصواب: خلعٌ.

وكان مقدار هذا المنصرف قدر أربعة آلاف[1]، عيَّن لها في تلك الجهات أوقاف[2]، جزاه اللَّه تعالى أفضل الجزا[3]، وضاعف له الثواب وأجزا[4]، وما زالت جارية لعصرنا هذا على النمط المسطور، ونرجو أنْ تكون إلى مَمَر الدُّهُور[5] / ق٣٧/ .

[الخلاف بين الشريف ووالي جدة على اقتسام العشور]

في سنة[6] صارت ببَنْدَر جدة حادثة، وكانت صروف الأيام لها باعثة؛ وهي أنَّ علي باشا والي هذا البَنْدَر المعمور، رام أخذ شيء مِن العشور، لم يكن له مسطور، وأرسل لصاحب الترجمة أنَّ له في البَنْدَر نصف ما تَحَصَّل مِمَّا قَلَّ وجَلَّ، مع أنَّ الذي طلبه لصاحب الترجمة خاصة، والفرامين السلطانيَّة عليه ناصَّة، وهي المعاشرة فيما يرد مِن الأطعمة العربية، وزالة البن المرسل إلى الديار المصريَّة.

وهكذا جرت القواعد القديمة، والمقررات المُستديمة[7]، وصمَّم والي

---

(١) ذكر العاملي أنَّها أربعة آلاف قرش. رضي الدين العاملي، **تنضيد العقود السنية**، ٢/ ٤٢٥.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: أوقافًا.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: الجزاء.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: أجزى.

(٥) رضي الدين العاملي، **تنضيد العقود السنية**، ٢/ ٤٢٤-٤٢٥.

(٦) ذكر ابن عبد الشكور هذا الحدث دون أنْ يحدد العام الذي وقع فيه، بينما ذكره زيني دحلان في عام ١١٦١هـ/ ١٧٤٨م، في الوقت الذي نرى العاملي - الذي كان مهتمًا بذكر كل صغيرة وكبيرة في عهد الشريف مسعود - لم يسجله رغم أنَّ تأريخه توقف حتى نهاية عام ١١٦٢هـ/ ١٧٤٩م، والواضح أنَّ دحلان قد نقله عن ابن عبد الشكور، الذي كتبه بعد عام ١١٦١هـ/ ١٧٤٨م، فاختلط عليه الأمر، وذكره ضمن أحداث هذا العام المذكور، رغم أنَّ صاحبه لم يذكر له عامًا محددًا، وعلى ذلك يرى الباحث أنَّه رُبَّمَا يكون هذا الحدث وقع في الفترة ما بين عامي ١١٦٣-١١٦٥هـ/ ١٧٥٠-١٧٥٢م، أيّ في الفترة التي أعقبت توقف العاملي عن تسجيل الأحداث، لأنَّه ليس مِن البدهي أنْ يتجاهل العاملي هذا الحدث الذي يُعَدُّ غاية في الأهمية، بينما نراه يتطرق إلى حوادث أخرى أقل أهمية منه. انظر: رضي الدين العاملي، **تنضيد العقود السنية**، ٢/ ٤١٨-٤٢٨؛ أحمد زيني دحلان، **خلاصة الكلام**، ص ١٩٥.

(٧) كانت الضرائب المُحَصَّلة مِن ميناء جدة، تقتسم بالمناصفة بين شريف مكة ووالي جدة. =

جدة على ما صمَّم عليه، ولم يعلم أنَّ في عاقبة الأمُور يعود الندم لديه، فأبرز الشريف الفرامين لينظرون[1] في فحواها ويعملون[2] بمقتضاها؛ فما زاد والي جدة إلاَّ تَصَلُّبًا وشِدَّةً وعتوًّا ونفورًا، وقال بهتانًا وزُورًا، فتكَلَّم مع التجار أعيان البلد، وأرْشَدُوه عن طلب ما لا يرومه أحد، فرفع أنفه وشمخ على طود عزم رسخ، فطال بينهم المجال، وكثر القِيل والقَال، ونصبت بينهما الوسايط[3] مِن استماع القول الشايط[4]، فأعاد التجار عليه القول، وتكَلَّفُوا له بشيء مِن الدراهم وتكفلوا، وجَمَعُوه في الحال له وألْفُوْا؛ فلم يصنع لهذا الخطاب، وارتكب الخطأ وترك الصواب، وأخذ ما [رامه[5]] قهرًا وجباه، وتَرَّس سُور البلد وحماه.

فعند ذلك جهز حضرة الشريف ركوبة قوية، أهل نجدةٍ وحميةٍ، وجمع فيها من الكُمَاة الصناديد، والحماة الصِّيد، الطاعنين في البات والوريد، وجعل أميرها أخاه الشريف جعفر بن سعيد[6]، فتَوَجَّه لقتاله وإبطال ما يرومه

= انظر: ص ١٣٣.

(١) كذا في الأصل، والصواب: لينظروا.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: يعملوا.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: الوسائط.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: الشائط.

(٥) وردت في الأصل رآه، والتصحيح مِن النسخة (ب)، ورقة ٢٥.

(٦) **الشريف جعفر بن سعيد**: جعفر بن سعيد بن سعد بن زيد النموي الحسني، كان أحد القادة العسكريين لأخيه الشريف مسعود؛ حيث أرسله على رأس حملة - نتيجة الخلاف الذي وقع بينه وبين علي باشا والي جدة على اقتسام إيرادات مرفأ جدة - قامت بمحاصرة جدة حصارًا شديدًا، فرَّ على إثره علي باشا عن طريق البحر إلى إستانبول، فأرسل الباب العالي واليًا آخر مراعاة لجانب الشريف مسعود. وفي موسم الحج ١١٧٢هـ/ ١٧٥٩م، وقع خلاف بين الشريف مساعد وأمير الحج الشامي عبد اللّه باشا، فقام الأخير بعزل الأوَّل وتولية أخيه الشريف جعفر، وبعد عودة أمير الحج، تنازل الشريف جعفر لأخيه الشريف مساعد عن الشرافة في ١٤ محرم ١١٧٣هـ/ ٦ سبتمبر ١٧٥٩م، بعد أنْ ظل فيها مُدَّة شهر، وتَوَجَّه بعدها الشريف جعفر إلى الطائف وأقام بها، واشترى بها بساتين، وظل بها حتى وفاته عام ١١٧٨هـ/ ١٧٦٤م، ودُفِنَ بمسجد عبد اللّه بن عباس، ولم يذكر له عقب ذكور، وله ابنة واحدة هي الشريفة راية، وكانت صاحبة أموال كثيرة، توفيت في ١٠ شوال ١٢١٠هـ/ ١٦ مايو ١٧٩٦م. أحمد القطان، **تنزيل الرحمات**، ٢/ ٢٨٣، ٢٨٥؛ =

مِن محاله، ولمَّا أقبلوا على البَنْدَر المذكور، وأحاط بعساكره على دايرة[١] السُّور، ووقع بينهم النضال، وجال كُلّ هُمام في سوق الآجال، فلم يحصل لهم بعض تَمْكِين لمتانة سُورها الحصين.

وكان لصاحب الترجمة اليد مع أعيان البلد، وله فيها رجال تفتل الريح ولم يشعر بها أحد، مِنْهم كَتْخُدا[٢] عسكر جدة، يمهد له الأمُور في هذه المدة، فلمَّا مهدوا الأمُور، وجرى على وفق مرادهم المقدور، وساقي الخيانة بكاس[٣] الوَلُوس يدور؛ أرسلوا للشريف جعفر أنْ يحمل مِن جهة اليمن بِمَن معه مِن الجنود، وركنوا على العسكر أنْ لا يرموهم بغير البارود.

فلمَّا هجم الجند على سُور البلد، فرَّ مَن كان خلفه مِن العسكر وشرد، وملكوهم مِن تلك الأبراج، وخرجوا / ق٣٩/ وعلى روسهم[٤] العجاج، ونَقَبُوا في السُّور نقبًا بقدر الباب، ودخل الجيش جميعه خيلاً وركاب[٥]، فلم يسع علي باشا مِن خوفه أنْ يُقْبَض عليه إلا ركوبُه في المراكب بخواصه

= أحمد زيني دحلان، **خلاصة الكلام**، ص ١٩٨؛ أحمد ضياء العنقاوي، **موسوعة أعلام الأشراف**، ١/ ١٨٠-١٨١.

(١) كذا في الأصل، والصواب: دائرة.

(٢) **كَتْخُدا**: وتكتب كخيا أيضًا. أصلها مِن الفارسية كدخدا، وتتكون مِن مقطعين: كد بمعنى بيت، وخدا بمعنى الرب أو الصاحب، أي إنّها في الأصل تعني رب البيت، وقد اصطلح على استخدامه لِمَنْ يعمل نائبًا أو قائمًا بالأعمال، وكان يطلق في البداية على من يشرفون على أعمال رجالات الدولة أو الوزراء أو من ينوبون عنهم، ثم شاع ليطلق في معناه الواسع على مديري الأعمال أو المشرفين العاملين في معيَّة الكبار، المعتمدين عليهم في إدارة الأمُور الخاصة، وقد استخدم الاسم في الدولة في الدائرة التي يتبعها الشخص؛ فقيل: كَتْخُدا الخزينة، كَتْخُدا الصدارة، كَتْخُدا العسكر. سهيل صابان، **المعجم الموسوعي**، ١٨٨-١٨٩.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: بكأس.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: رءوسهم.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: ركابًا.

الذي[1] بين يديه؛ فعند ذلك تمكَّن الشريف جعفر مِن كامل البندر، ولم يحصل على البلد نهبة ولا خلاف من البادية والأجلاف، ثم إنَّ الشريف جعفر[2] أرسل نجَّابًا لأخيه وأخبره بِمَا وقع، وأعاد الجواب بأنْ يسترجع والي جدة فما رجع، فلم يعد إلى مكانته، ويكف عنهم بجنايته، ورأى أنَّه لو أقام بهذه الحالة ينذل، فسافر إلى حيثُ آلْ.

[وقوع فتنة بين العساكر في جدة]

وفي سنة[3] وقع ببَنْدَر جدة مِن ألضاشات السفرلية مِن العساكر المصرية، حرب شديد لا يخلو مِن التنكيد؛ والسبب العام الذي أوجب هذا الانتقام، أنَّ المفرق البن جمركه[4] على مقتضى العادة، وفي هذا العام طلب حضرة الشريف الزيادة، فامتنعوا عن تسليم المُعتاد، ولو رقي السبع الشداد، فزاد بينهم القِيل والقَال، وطال بينهم الشر المفضي للقتال؛ فعند ذلك نزل صاحب الترجمة بنفسه، وأشرقت في البَنْدَر شموس قدسه، وفكر في أمرهم بحسب تخمينه وحدسه، فظهر له أنَّ العسكر لا يمكنهم الرجوع، وأنَّ القول لديهم غير مسموع، فوقع بينهم الكلام الشاق، ثم قامت الحرب بينهم على ساق، واستمر بينهم الحرب على هذا المنوال في ذلك اليوم بِمَا طال؛ فأسفر الأمر عن انكسارهم وانتصاره، وعرف كُلّ واحد مِنْهم بمقداره، ثم أرسل للدولة العليَّة واستأذنهم في الازدياد، فعاد له الجواب على وفق المراد.

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: الذين.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: جعفرًا.

(٣) لم يذكر مؤرخنا السنة التي وقعت بها الحدث، ويرى الباحث أنَّه رُبَّمَا يكون هذا الحدث وقع الفترة ما بين عامي ١١٦٣-١١٦٥هـ/ ١٧٥٠-١٧٥٢م، أي في الفترة التي أعقبت توقف العاملي عن تسجيل الأحداث.

(٤) **جمرك**: أصلها مِن التركية كمرك، ومعناها: ما يؤخذ على البضائع الواردة مِن البلاد الأخرى، ودخلت العربية مُنذ العصر العثماني. انظر: مصطفى الخطيب، **معجم المصطلحات**، ص ٣٣٨.

[وقوع فتنة بين السنة والشيعة في مكة]

هذه واقعة عجيبة(١)، وهي في الحقيقة غريبة، ضمنها مُصيبة، وهي أنَّ رجلاً صالحًا مِن دراويش(٢) الهنود(٣)، كان مُلَازمًا للبيت الحرام، طوافًا وصلاةً، وركوعًا وسجودًا، فرأى على حين غفلة مِن المطاف عجميًّا مِن الرافضة الأجلاف، لوَّث بالنجاسة موضع الحجر وركن البيت الشريف، زاده اللَّه تعالى تبْجِيلاً وتشريف(٤)، فلمَّا شَنَّ عليه الغارة، فَرَّ شَارِدًا نحو القرارة(٥)، فاجتمعت السادة الأكياس لإزالة نجاسَة الأرجْاس، وغَسَلوا ركن البيت المشرف، وطَهَّرْن مِن درن مَن أجنى على نفسه وأسْرف، وسئلوا الدرويش عن اسم الرجل وعن صفته، فلم يقطع بمعرفته؛ لكن / ق٤٠/ بحسْب الفراسة أنَّ ما وضع هذه النجاسة غير طايفة(٦) الأعجام، لرفضهم وكراهتهم الخاص والعام، راجين مِن كرم الباري، أنْ يستدلوا على وجه هذا الخاري.

فما مضي برهة مِن الأيام حتى دعى الدرويش إلى داره رافضيٌّ مِن

---

(١) يذكر كلٌ من العاملي ودحلان هذه الواقعة ضمن أحداث عام ١١٤٤هـ/ ١٧٣٢م. انظر: رضي الدين العاملي، **تنضيد العقود السنية**، ٢/ ٢٧٢-٢٧٤؛ أحمد زيني دحلان، **خلاصة الكلام**، ص ١٨٤.

(٢) **دراويش**: جمع درويش. أصله فارسي، ومعناه: فقير أو مسكين، ودخل إلى العربية منذ بدء العصر الإسلامي، وتطوَّر معناه حينما اتصل بأرباب التصوف، وأصبح الدرويش مَن سلك طريق الدروشة والتوكل على اللَّه، أيّ انقطع للعبادة والتجرد للذكر والتهجد، وأصبح لهم تكايا خاصة، ينفق عليها الأثرياء، ولكن انحرفت أوضاعهم في آخر الأمر؛ حيث غلبت عليهم البلاهة، وتحولت عندهم أفكار المُتصوِّفة مِنْ السمو الفلسفي الروحي إلى شعوذات وخرافات، لا أصل لها في العقيدة الإسلامية. مصطفى الخطيب، **معجم المصطلحات**، ص ١٨٠-١٨١.

(٣) ينفرد هنا مؤرخنا بذكر أصل وطبيعة مَنْ رأى تلك الحادثة، ثم يوضح ما حدث له، بينما يكتفى العاملي الذي كان معاصرًا لتلك الحادثة، وشاهد عيان لها، بأنْ ذكره بقوله: «زعم بعض العوام...». رضي الدين العاملي، **تنضيد العقود السنية**، ٢/ ٢٧٣.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: تشريفًا.

(٥) **القرارة**: حي يقع شمالي المسجد الحرام. إبراهيم رفعت، **مرآة الحرمين**، ١/ ١٨٢.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: طائفة.

الأعجام، فلمَّا أدخله إلى داره، وصار بين أعْوانه وأنصاره، تجَبَّرُوا على هذا الضعيف، وصاروا يضْرِبُونَه ضربًا عنيف[١]، ولم يكفهم ما فعلوه فيه مِن هذا المنكر، حتى فلحُوا لحمه بالأمواس، وملأوه بالفلفل الأحمر؛ فتحقق الناس أنَّ ما وَضَعَ هذه النجاسة غير هؤلاء الملاعِين، بدليل فعلهم في هذا الضعيف المسكين[٢]؛ فصاح الناس مِن هذا الجُور والباطل، وتحل كُلّ جِيد كان مِن عقد المفاخر عاطل[٣]، فاجتمعت الناس بعد صلاة الجمعة في رواق المسجد الحرام، حتى انْغَص المسجد مِن شدّة الازدحام، فأجمع رأيهم على أنْ يذهبوا لقاضي الشرع الشريف[٤]، ليحكم لهم بمقتضى الدين الحنيف، فوصلوا إلى القاضي، وحمله شخص مِنْهم على كاهله، وصاح في الناس بباطله، فصاح الحاضرون بلسانٍ واحدٍ، ولم يبقَ غايب[٥] إلا وهو شاهد.

وفي هذا اليوم أصبح حضرة الشريف[٦] مِن جدة، وكان غايبًا[٧] مُدَّة، فتركه الناس، ولم يرفعوا إليه هذه الشكاية، ولم يخبروه بِمَا وقع على الدرويش مِن النكاية، وتَوَجَّهوا جميعًا إلى دار باشة جدة، وأخبروه بِمَا وقع مِن هذا اللُّكَع[٨]، فما أوْسَعه إلا أنَّه أمَرهم بنهب بيوت الأعجام، واستباحة المال الحرام، فأغارُوا على تلك البيوت كما هي، وما تركُوها بعد لحظة إلا وهي خَاوية، فوَجَدوا في تلك البيوت الحصينة أموالاً وجواهر ثمينة، فتفَرَّقَت في أيدي الناس شذر مذر، وكانت هي النصرة

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: عنيفًا.

(٢) يبدو أنَّ العجم فعلوا هذا الأمر انتقامًا مِن الدرويش الهندي الذي قلَّب عليهم أهل مكة، وليس بالضرورة فعلهم ذلك لأنَّه كشف أمرهم.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: عاطلاً.

(٤) هو قاضي السلطان في مكة المكرمة، وكان على المذهب الحنفي.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: غائب.

(٦) الشريف محمد بن عبد اللَّه، وذلك في ولايته الأولى منذ ٢٩ ذي القعدة ١١٤٣هـ/ ٤ يونيو ١٧٣١م - ٧ جمادى الأولى ١١٤٥هـ/ ٢٥ أكتوبر ١٧٣٢م. رضي الدين العاملي، **تنضيد العقود**، ٢/ ٢٦٣-٢٦٤.

(٧) كذا في الأصل، والصواب: غائبًا.

(٨) اللُّكَعُ: الرجل اللئيم والأحمق. **المعجم الوسيط**، ص ٨٣٧.

على مُبغضي أبي بَكْرٍ وعُمَرَ، وَمِنْ بَعْدَهَا ضَعُفَتْ شَوْكة الأعجام بمكة وافتقرت، وخربت منازلهم وأقفرت[١] / ق٤١/ .

(١) يذكر العاملي أنَّ العامة قد اجتمعوا في مكة عند حضرة الوزير باكير باشا والي جدة، وكان عنده مُفتي مكة، وقاضي الشرع، وأنَّهم انتزعوا مِنْهم حكمًا بإخراج العجم مِن مكة، وأرسَلوا مناديًا مِن لدنهم في شوارع مكة بأنَّ مَن بقي مِن العجم فهو منهوب مقتول، وقد أغاروا على بعض بيوتهم، وتدخل بعض السادة الأشراف لمنع ذلك، وكل ذلك والشريف على غير علم به، ثم إنَّ العامة ذهبوا إلى القاضي وطلبوا مِنْه أنْ يرسل إلى الشريف محمد ليوافقهم على طرد العجم من مكة، فرفض الشريف ذلك، ولكنهم أخافوه بأشياء اقتضاها الوقت [رُبَّمَا هددوه بالوقوف مع عمّه الشريف مسعود ومعاونته ضده]، فوافقهم على ذلك، فأطلقوا مناديًا لخروج العجم من مكة، فخرجوا عن فورهم متَوَجِّهين إلى الطائف، وجدة، وغيرهما مِن مُدن الحجاز، فهدأت الأمُور بعد ذلك، ولكن لما اقترب موسم الحج، أرسل الشريف إلى مَن كان مِن أولئك الأعاجم في الطائف، يأمرهم بالقدوم إلى مكة، فوصلوا في أواخر ذي القعدة ١١٤٤هـ/ مايو ١٧٣٢م، مع وصول حجاج آخرين مِن بني جنسهم ومذهبهم برًّا وبحرًا، فاضمحلت القضية، ولم يعترضهم معترض، ويرجع العاملي وقوع هذه الحادثة نتيجة تعصب الأتراك وأغواتهم، ويذكر مِنْهم حسين أغا والعساكر المصرية، ووالي جدة باكير باشا، وكذلك بعض أراذل القوم في مكة، وقد أوضح أنَّ أهل مكة الحقيقيين لم يكونوا راضين بذلك، وأورد شعرًا لإثبات ذلك، مِن نظم أحد أدباء مكة، وهو الشيخ تاج الدين بن عارف المنوفي [ت ١١٥٧هـ/ ١٧٤٤م]، حيث أرَّخ تلك الحادثة بقوله:

تعامى حادثٌ قد سلّ بغيًا ... على أهل النهى بالفضل نصله
به الجهَّال قد رجموا سفاهًا ... لقاضي الشرع أبقى اللهً عدله
ومفتي مكة من غير جرمٍ ... يبيِّن فرعه للناس أصله
وما عرفوا فضل العلم قدرًا ... وما رفعوه بل خفضوا محلَّه
وما أدَّوا حقوق جوار بيتٍ ... لهم قد بيَّن القرآن فضله
ولكن أسعف المقدور فيهم ... ومزَّق جمعهم وأباد شمله
وداركنا بلطفٍ مِنْه أوهى ... لقوَّة عقد ما برموا فحلَّه
فقد أحكمت في ضبطي بعامٍ ... أساء به حليف الجهل فعله
مثالاً خذه مِنْه واستمعه ... وأرِّخه بغلب الجهل أهله

= ١١٤٤

انظر: رضي الدين العاملي، تنضيد العقود السنية، ٢/ ٢٧٣-٢٧٤.

[عهد الشريف مساعد بن سعيد]

[نسبه وولايته الشرافة]

ترجمة مولانا الشريف مساعد ابن المرحوم الشريف سعيد بن الشريف سعد بن الشريف زيد بن الشريف محسن بن الشريف حسين بن الشريف حسن بن الشريف أبي نمي.

مَلِكٌ مَلَكَ أزمّة المحامد والفضايل[1]، وجمع مِن المحاسن ما تفَرَّق في كُلّ هُمَام فاضل، وقد شُدَّت بالعناية والتوفيق خِلافته، وتَبَسَّم ثغرُ الزمان حين لاحت شرافته، فعطس له أنف الصباح بالمسَرَّة، وغدا للقلوب والعيون مَحْبُوبًا وقُرَّة، أنار بدر السعادة سنا نوره المُضي[2]، ووجد في بابه مثل: الصَّفِيّ[3]، والـرَّضِـي[4]، فَأُلْبِسَ خِلْعة الشرافة بعد أخيه وأمر ونهى، وتَسَنَّم غارب

(١) كذا في الأصل، والصواب: الفضائل.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: المضيء.

(٣) **الصَّفِيّ**: عبد العزيز بن سرايا بن علي بن أبي القاسم السنبسي الطائي، المعروف بـ: صَفِيّ الدين الحِلِّي، مِن شعراء العصر المملوكي، ولد في مدينة الحِلّة عام ٦٧٥هـ/ ١٢٦٧م، ونشأ بها، واشتغل في التجارة فكان كثير الأسفار والترحال؛ فانتقل إلى ماردين وتَقَرَّب مِن ملوك الأراتقة ومدحهم، فأجزلوا له العطاء، ثم رحل إلى القاهرة عام ٧٢٦هـ/ ١٣٢٦م ومدح السلطان محمد بن قلاوون، ومِنْ مؤلفاته: ديوان شعر، والعاطل الحالي وهي رسالة في الزجل والموالي، والأغلاطي وهو معجم للأغلاط اللغوية، واستقرَّ في أواخر حياته في بغداد، فمات فيها عام ٧٥٠هـ/ ١٣٤٩م. خير الدين الزركلي، **الأعلام**، ٤/ ١٨.

(٤) **الرَّضِيّ**: محمد بن الحسين بن موسى الحسيني العلوي، المعروف بـ: الشريف الرَّضِي، مِنْ أشهر شعراء آل البيت، ولد في بغداد عام ٣٥٩هـ/ ٩٦٩م، ونشأ بها، ثم تولى نقابة الأشراف، ومِن مؤلفاته: ديوان شعر، الحَسَن من شعر الحسين، وحقائق التأويل في متشابه التنزيل، تلخيص البيان عن مجاز القرآن، مات في بغداد عام ٤٠٦هـ/ ١٠١٥م. =

الجوزاء[١]، واغترب غارب السُّها[٢]، فقهقهت بسعادة دولته مباسم الثغور، وماست في رياض الفخر قدود الأغصان بالزهور، فاستقامت له الأيام وقرّ مُلْكَه، ورسى في تيار النجاة فُلكَه، وتفيّء الضعيف بظلّ كرمه الوريف، وغدا الْمَصر في زمنه مِصرًا وريف[٣]، أمَّا آيات كرمه في حِلّه وحرمه فلا يعرف لها قرار، وأمَّا محاسن شيمه وصدق عهوده وذِمَمه فقد تناقلتها الأخبار / ق٤٢/ .

فَتًى يَرْوِي الْمَكَارم عَنْ أَبِيه
وَعَن أجْدَاده وَإِلَى عَلِيّ
سَمَاحته تَفُوق الْبَحْر مَدًّا
وَيَزرِي بالْحَيَا كفٌّ نَدِيّ

وما زالت مكارمه تتناقلها الركبان، ويتلوها لسان الزمان في كُلّ أوان، حتى كاد لا يمحو له ذكرًا ولا أثر[٤]، ولا يعرف لمبتدأه خبر، ومع هذا فهو مرجع ذوي الألباب في الآداب، يفتض أبكار المعاني ويرفع عن وجهها النقاب، حتى تصل بخُرّدها الكعاب، بذهن يتقد ذكاؤه، ويخجل النيرين سناؤه، وله فَهْمٌ كالمصباح يتَوَقَّد، وذهن لمعالي الأمُور كُلّ يوم يتَجَدَّد، وله نظم يزري بجواهر السلوك، ويصلح عقد الجِيد الملوك.

مدحته شعراء زمانه بحسن معاني الأدب وبيانه، فطوّق جِيدهم بعقد إحسانه، وأغدقهم مِن صيب بنانه، فَقُلِّدَ عقد الشرافة يوم الجمعة ثاني ربيع الثاني[٥]، وحضنته يد العناية بالآيات والسبع المثاني، وكان

= خير الدين الزكلي، الأعلام، ٦/ ٩٩.

(١) الْجَوْزاء: أحد بروج السماء، بين الثور والسرطان، وزمنه مِن ٢١ مِن مايو إلى ٢١ مِن يونيو. **المعجم الوسيط**، ص ١٤٧.

(٢) السُّها: كوكبٌ صَغيرٌ خَفيُّ الضوء في بناتِ نعش الكبرى أو الصغرى. **المعجم الوسيط**، ص ٤٥٩.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: وريفًا.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: أثرًا.

(٥) ٢ ربيع الثاني ١١٦٥هـ/ ١٧ فبراير ١٧٥٢م.

في سنة ١١٦٥ ألف ومايه[١] وخمسة وستين، وتَمَكَّن مِن المكَانة غاية التَّمْكِين، فزفّت إليه الملابس السنية، والخلع الفاخرة البهية، أُفيضت عليه مِن والي جدة وقاضي الشرع الشريف، فحصل الأُنس للقوي والضعيف، ونُودِي باسمه في أقطار البلاد وأطاعه، كُلّ حاضر وباد.

[السادة آل بركات يمتنعون عن مبايعة الشريف مساعد]

وأقبلت لِمُبَايعته السادات الأشراف، مِن جميع الأكناف والأطراف، ولم يتأخَّر عن بيعته أحد مِن جميع الجهات، إلا السادة آل بركات، فإنَّهم عاملوا الشريف محمد[٢] وتجَمَّعُوا بوادي مرّ، لأمر يجري به القضاء والقدر، ولم يظن صاحب الترجمة أنَّ لهم اليد مع الشريف محمد، كيف لا وهو أوَّل مَن حَضَرَ الْمُبَايعة، ولم يُبْدِ مُنَازعة، فما زال صاحب الترجمة يُوسط الوسايط[٣]، ويُرسل المراسيل، ويُعاملهم بالرفق والتعظيم والتبجيل، يوعدهم بكثرة المعاش، وزيادة الراحة والانتعاش، وهم لا يجيبونه إلى سواله[٤]، ولا ينيلونه بعض مناله، إلى أنْ مَضى شهران وثمانية أيام، وهم مُصَمِّمُون على الإضرار والإضرام.

[الشريف محمد بن عبد اللّٰه يتحالف مع آل بركات ضد عمّه]

ثم بعد ذلك أرسل لهم جماعة مِن كبار الأشراف بطلب الصلح، ونيل ما يرونه مِن النُّجْح، وأرسل معهم الشريف محمد بن عبد اللّٰه، وهو راس[٥] هذه الربطة، فكانت في الحقيقة هي الورطة، فلمَّا أنْ وصلوا إلى ناديهم، وأناخوا بواديهم، ورأت العين العين، ولم يبقَ كيف وأين، تقَدَّم الشريف محمد ورد لهم البيشان، وراح في شأن وعاد في شأن، ولم يعلم به عمّه / ق٤٣/ قبل هذا اليوم، أنَّ له يدًا مع القوم، فعادت المراسيل أصفار اليدين بخفي حنين،

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: مائة.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: محمدًا.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: الوسائط.
(٤) كذا في الأصل، والصواب: سؤاله.
(٥) كذا في الأصل، والصواب: رأس.

وحصل الاضطراب بهذه الأسباب، وأخبروا صاحب الترجمة بهذا العجب العجاب.

[الشريف محمد يستولي على الطائف]

فعند ذلك أرسل أخاه السيد عبد اللَّه بن سعيد[١] إلى الطايف[٢] يجمع له قبايل[٣] العرب، وأرسل معه حمل بعير[٤] مِن الذهب، وأمره أنْ يجمع مَهْمَا قَدر مِن القبائل، لقتال الخَصْم الصايل[٥]، فتَوَجَّه مِن مكة جنح ليل، فوجد الشريف محمد[٦] قد نزل بالسَّيل[٧]، فاجتمعت عليه قبايل[٨] عُتَيْبَة[٩]، وتَوَجَّه بها إلى

(١) **عبد اللَّه بن سعيد**: عبد اللَّه بن سعيد بن سعد الزيدي النموي، سيتولى شرافة مكة المكرمة بعد وفاة الشريف مساعد، ولن يلبث بها إلا عدة أيام - كما سيأتي ذكره - حيث تنازل عنها إلى أخيه الشريف أحمد بن سعيد في محرم ١١٨٤هـ/ مايو ١٧٧٠م. وتلحظ أنَّ عبد اللَّه هذا غير عبدِ الَه بن سعيد الذي مات عام ١١٤٣هـ/ ١٧٣١م، وتولى مِنْ بعده ابنه محمد بن عبد اللَّه ثم الشريف مسعود ابن سعيد، فهما أخوان ولكن بعض المصادر تذكرهما بنفس الاسم، وهذا ما أوقعني في اضطراب شديد حتى تثبَّت مِن الأمر فالشريف سعيد بن سعد كان له ولدان يحملان اسم عبد اللَّه. انظر: أحمد زيني دحلان، **الجداول المرضية**، ص ١٥٨، ١٦١.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: قبائل.

(٤) **حمل بعير**: مكيال أو وزن كان متداولًا في العصر العثماني، وهو يساوي ٢٤٣ كجم في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، وعُدّل ليصبح ٢٣٠ كجم في القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي. مصطفى الخطيب، **معجم المصطلحات**، ص ١٥١.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: الصائل.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: محمدًا.

(٧) **وَادِي السَّيْل**: يُعرف أيضًا بوادي قَرْن المَنازِل، ويُسمّيه النجديون المَغَاسل، لأنَّ الحاج يغتسل مِنْه عند الإحرام؛ لأنَّه مِيقات مِنْ المَواقِيت المكانيَّة، ويبعد عن مكة ٧٧ كيلو متر. عثمان بن بشر، **عنوان المجد**، ١/ ٢٦٣؛ عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ص ٨٦٣.

(٨) كذا في الأصل، والصواب: قبائل.

(٩) **عُتَيْبَة**: قبيلة عدنانية من هوازن، وهي مِن أشهر قبائل الجزيرة العربية وأكثرها بطونًا وأفخاذًا، وتنقسم إلى قسمين: القسم الأول: عُتَيْبَة الذين ينزلون نجد وينقسمون إلى فرعين كبيرين؛ بَرْقة وروق. القسم الآخر: عُتَيْبَة الذين ينزلون الحجاز، وينقسمون إلى ثلاثة فروع: بنو سعد، شملة، بَرْقة. وتمتد مساكن القبيلة مِن سروات الطائف الجنوبية إلى سنام وأم سريحة ومصدة والغطغط في نجد. وكانت تمتد منطقة ترحالها مِن الطائف حتى القصيم. محمد بن منصور بن هاشم، =

الطايف[1]، غير مُكترث ولا خايف[2]، فملكه بعد حرب يسير، ونهب بعض البيوت بالنقب والتكسير، فأخرج مِنْه العسكر بالأمان، وخرجت صبيحة يومها عيانًا بيان[3]، وكان يوم الثلاث[4] الثامن عشر مِن جمادى الثانية سنة ١١٦٥ ألف ومايه[5] وخمس وستين[6] مِن هجرة سيد المرسلين، فجدوا السرى لأم القرى، وأخبروا صاحب الترجمة بِمَا جرى.

ولمَّا تَمَلَّك الشريف محمد مِن الطايف[7]، نادى باسمه في شوارع البلاد، وفعل كما يفعلونه على الرسم المعتاد، فأقبلت عليه جميع العرب ينسلون إليه مِن كُلّ حدب، وهم يرتجزون ويرتقصون، ويقولون له: إنَّا ننصرك غدًا، وهُم يَقُولُون ما لا يفْعَلون، وما تَمَّ له عشرة أيام في ذلك المقام حتى حث نجايب[8] السرى، وجَدَّ السير مُسْرِعًا وانبرى، فوصل في غُرَّة شهر رجب[9]، بِمَا لديه من العرب، وتَرَّس بهم في موضع شامخ القدر يقال له: دُقْم الوَبْر[10]، ومعه مِن القبايل[11] جُمَل، ضاق عنها السهل والجبل، ففَرَّقَها ثلاث فِرَق، وتَقَلَّد سيفه واعتنق، وكحل عينه بميل الأرق، وانتظر هبوبَ النصر وانتشق، فأدركه عمّه بالدقم المذكور، ولسان السعد يناديه: إنك أنت

= **قبائل الطائف وأشراف الحجاز**، مطابع الحارثي، الطائف، ط١، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ص ٧١-٧٥؛ تركي بن مطلق القداح، **دراسات حول قبيلة عُتَيْبَة**، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ط١، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، ص ١٨ وما بعدها.

(١) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: خائف.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: بيانًا.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: الثلاثاء.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: مائة.

(٦) ١٨ جمادى الآخرة ١١٦٥هـ/ ٢ مايو ١٧٥٢م.

(٧) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.

(٨) كذا في الأصل، والصواب: نجائب.

(٩) غُرَّة رجب ١١٦٥هـ/ ١٤ مايو ١٧٥٢م.

(١٠) **دُقْم الوَبْر**: النهاية الشرقية لجبل مِنَى اليماني، وله ذكر كثيرٌ في أنظمة المرور إبَّان الحج، إذ يعد محورًا ومُلتقى لطرق مُهِمَّة. عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ٦٢٣، ٩٦٩.

(١١) كذا في الأصل، والصواب: القبائل.

المنصور، فحصل بينهم ثمة ملحمة أيّ ملحمة، ابتاعت الأرواح بسوق المعركة بناقع الحمة، وبرزت الأساد للجلاد، وصفت الصفوف للحتوف في ذلك الناد، وحمي الوطيس بين واكز وطميس[(١)]، والتقى يوم الاثنين الخميس بالخميس، فأسفر الأمر عن نصرة الشريف مساعد، بعد قتال شديد ومُجَالَد، وانكسار الشريف محمد ونهب خزانته، التي بها صيانته، وتَفَرَّقَت قومه بأيدي سبأ، في تلك المهامه والرُّبَا.

وعاد الشريف / ق٤٤/ محمد إلى الطايف[(٢)] مُؤمِّن كُلّ خايف[(٣)]، وذلك يوم الخميس خامس رجب سنة ١١٦٥[(٤)]، فجمع العُربان مِن كُلّ مكان، وأقام به إلى اليوم الثاني مِن شهر شعبان[(٥)]، ثم تَوَجَّه بقومه وأقْبَل على مكة مِن تلك المواضع، وخرج له عمّه في اليوم السابع[(٦)]، والتقيا ليلًا وهم مُتَناورون ليلهم بِمَا طال، ونار الشريف محمد تشعل على روس[(٧)] الجبال، فمكث إلى نصف الليل وقوم محاربه راقدة، ونزل بقومه ولزم جبال المَعَابِدَة، وحضرة الشريف مساعد مُقِيْم بموضعه إلى الصباح، ينسق ريح النصر مع هبوب الرِّياح، وليس له بهذه الحيلة اطلاع، وكما يقال في المثل: الحَرب خداع[(٨)].

فلمَّا أسفر اللَّه ﷻ بالصباح، ونشر الفجر راياته ولاح، بلغ الشريف مساعد[(٩)]

---

(١) أي بين ضَارب ومَضْروب مُشَوَّه.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: مُؤَمِّنًا كل خائف.
(٤) ٥ رجب ١١٦٥هـ/ ١٨ مايو ١٧٥٢م.
(٥) ٢ شعبان ١١٦٥هـ/ ١٤ يونيو ١٧٥٢م.
(٦) ٧ شعبان ١١٦٥هـ/ ١٩ يونيو ١٧٥٢م.
(٧) كذا في الأصل، والصواب: رءوس.
(٨) الحسن بن عبد اللَّه العسكري، **جمهرة الأمثال**، ج١، ٦٦، ١٩٧.
(٩) كذا في الأصل، والصواب: مساعدًا.

أنَّ ابن أخيه قد انثنى، وتحصن بجبال الْمُحصَّب[1] والمُنحَنى[2]، فوَجَّه خلفه طُلَّع خيوله السوابق، عندما شام للنصر بارق، وما زال ينقل بها ويخب، ويرجو مِن اللَّه أنْ لا يخب، حتى التقى الجمعان بوادي المُنحَنى، وبها تصافحت أكفّ الصفاح واعتنقت قدود القنا، فمات مِن الفريقين مَن دنا أجله، وطاب مُرتحله.

[السيد عبد اللَّه الفِعْر يصلح بين الشريف مساعد والشريف محمد]

ثم عاد الشريف مساعد بالنصر والتَّمْكِين، لحماية البلد الأمين، وكان انهزام أحد الصفين، بعد قتال ساعتين؛ فتَفَرَّقَت الجيوش وتلك البوادي، واستجال الشريف محمد وتَوَجَّه إلى الوادي، فتتبعه السيد عبد اللَّه بن أحمد الفِعْر[3]،

---

(١) الْمُحصَّب: موضع بين مكة ومنى، وقيل: إنَّه المكان الذي تنتظم فيه الجمرات الثلاث، فهو يخصص مِن مِنَى بالْمُحصَّب، ومِنَى يشمل الْمُحصَّب، وخَيْف بني كنانة، حيث مسجد الخَيْف، وهو مِن مِنَى. عاتق البلادي، **معالم مكة**، ص ٢٥٢.

(٢) المُنحَنَى: مكان الانحناء، وهو انحناءة وادي المُحصَّب عندما يدفع في الأبطح، والجبل الذي ينحني عليه هو جبل العَيْرة اليمانيَّة، ويُسَمَّى اليوم جبل الشيبي. عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ص ١٦٨٠.

(٣) **السيد عبد اللَّه بن أحمد الفِعْر**: عبد اللَّه بن أحمد الفِعْر بن زين العابدين النموي الحسني، أحد القادة الأشراف؛ أدى دورًا بارزًا في مجرى أحداث تاريخ مكة في النصف الثاني مِن القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي، ومِن ذلك أنَّه عمل عقد الصلح بين الشريف مساعد وابن أخيه الشريف محمد بن عبد اللَّه في شعبان ١١٦٥هـ/ يونيو ١٧٥٢م، وفي موسم الحج في العام المذكور رجع مع قافلته إلى إستانبول ليخبرهم بأمر الصلح، فنال الإنعامات والتكريم، وعاد إلى مكة في موسم الحج التالي ١١٦٦هـ/ ١٧٥٣م. ويبدو أنَّه وقع خلاف بينه وبين الشريف مساعد، ولذلك أوعز الفِعْر إلى أمير الحج المصري حسين بك كشكش، في موسم عام ١١٧١هـ/ ١٧٥٨م، بعزل الشريف وتولية الشريف مبارك بن محمد ابن عبد اللَّه، فتَمَّ ذلك في ٢١ ذو الحجة/ ٢٥ أغسطس مِن العام المذكور، ولكن ما لبث أنْ استرد الشريف مساعد ملكه في محرم ١١٧٢هـ/ سبتمبر ١٧٥٨م، ولذلك أمر بإخراج الفِعْر مِن مكة، فذهب إلى اليمن، ثم توسط إمام اليمن المهدي عباس لدى الشريف؛ فأعاد الفِعْر إلى مكة في جمادى الآخرة ١١٧٢هـ/ فبراير ١٧٥٩م. وفي عهد الشريف أحمد ابن سعيد، أرسله في سفارة إلى إمام اليمن المذكور في ٢٤ رمضان ١١٨٥هـ/ ٣٠ ديسمبر ١٧٧١م، لإعادة تجارة البن إلى جدة بعد توقفها، فنجح في ذلك. وفي عهد الشريف سرور، =

وأصلح بينه وبين عمّه صلحًا ومستمر[١]، وأرشده لِمَا هو الصواب، ﴿وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞ﴾[٢] بنص الكتاب، واشترط شروطًا الشريفُ محمد؛ فتَمَّم له تلك الشروط، وأَوْفَى له بها ولم يُخِل بأمر مَشْرُوط، ولما تَمَّت له مطالبه، وقضيت مآربه، ربط أمورًا سديدة لكل مَن تبعه، وعَنَّ معاشات للأشراف الذين كانوا معه، ودخل مكة في نصف شعبان[٣] وسرى بها ساريه، واجتمع بعمّه واستقرّ الماء في مجاريه، فخمدت بحمد اللَّه تعالى جميع الفتن، وانطفى[٤] الشر وسكن.

[السيد عبد اللَّه الفعر يذهب إلى إستانبول]

وفي موسم هذه السنة البهية[٥]، تَوَجَّه السيد عبد اللَّه الفِعْر بالعروض للدولة العليَّة، فأقام بذلك المقام إلى تمام العام، وفي موسم ست وستين[٦] أناخ مطاياه بحمى البيت الأمين، وقد أنعمت عليه الدولة - أجار اللَّه ساحتها مِن الزوال - بنفايس[٧] العروض والنقود والأموال، فحسن بعد ذلك حاله / ق٤٥/ وزان فاله[٨]، ومِن جُملة ما أهدى عليه مِن التحف والهدايا، التي تحف تلكيا مِن السَّمُّور، لو لبسه الزمان لدخل عليه السرور، لم نرَ نظيره في

= كان الفِعْر ضمن الفريق المعارض له، فدخل في حروب عديدة ضده، وانتهى أمره بأنْ قبض عليه الشريف سرور في شوال ١١٨٩هـ/ ديسمبر ١٧٧٥م، وسجنه في القُنْفُدَة، ثم نقله إلى ينبع، وتوفي بسجنها عام ١١٩٢هـ/ ١٧٧٨م، وقيل: إنَّه قُتِلَ خنقًا. أعقب ثلاثة أبناء، هم: محسن، ومنصور، وسليم. أحمد زيني دحلان، **خلاصة الكلام**، ص ١٩٦-١٩٨، ٢٠٦، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١١؛ أحمد ضياء العنقاوي، **موسوعة أعلام الأشراف**، ٢/ ١٣٥-١٣٦؛ سنوك هورخرونيه، **صفحات من تاريخ مكة**، ١/ ٢٥٠.

(١) كذا في الأصل، والصواب: مستمرًّا.
(٢) القرآن الكريم، **سورة النساء**، جزء من آية ١٢٨.
(٣) ١٥ شعبان ١١٦٥هـ/ ٢٧ يونيو ١٧٥٢م.
(٤) كذا في الأصل، والصواب: انطفأ.
(٥) موسم الحج في ذي الحجة ١١٦٥هـ/ أكتوبر ١٧٥٢م.
(٦) موسم الحج في ذي الحجة ١١٦٦هـ/ أكتوبر ١٧٥٣م.
(٧) كذا في الأصل، والصواب: بنفائس.
(٨) كذا في الأصل، والصواب: فأله.

قُطْر الحجاز، وما حواه غيره ولا حاز.

[وفاة الشريف محمد بن عبد اللَّه]

وفي عام سبع وستين[٩] خرج الشريف محمد بن عبد اللَّه إلى المبعوث[١٠] يحوم حول الحما ويعوث؛ فأقام به برهة يسيرة، وعينه بغير المُلك لم تكن قريرة، ومِنْه تَوَجَّه لزيارة الحَبْر صاحب رسول اللَّه ﷺ وابن عمّه، متوسّلاً به في كشف كربه وغمِّه[١١].

وفي عام تسع وستين[١٢] حث نجايب[١٣] السرى، وأكحل عينه بإثمد الكرى، وتَوَجَّه لزيارة أشرف الورى، فنال سعادة الدنيا والآخرة، وكانت زيارته هذه خاتمة الألطاف، ونال بها من اللَّه تعالى فضيلة وإسعاف[١٤]، فأقام بالمدينة أيامًا في ظل عيش وريف، وفي كُلّ يوم يُقَبِّل أعتاب صاحب القبر الشريف[١٥]، وكيف لا ينال أَسْنَى الرتب، وعند ذلك المرجا ينتهي الطلب، ثم أعمل ركايب[١٦] السرى، وتَوَجَّه نحو أم القرى، فتوعك في أثناء الطريق واشْتَدَّ ألمه، وقلَّتْ راحَته وزاد سَأمُه، فلمَّا طلع مِن ثنية خُلَيْص هبط مِنْها للوداع، وشرعت روحه في غَرْغَرة ونزاع، واختار دار البقا[١٧] على الفنا[١٨]،

---

(٩) ١١٦٧هـ/ ٢٨ أكتوبر ١٧٥٣ - ١٦ أكتوبر ١٧٥٤م.

(١٠) المبعوث: وادٍ فيه زراعة، وهو مجمع أودية العرج وشرب والمهيد، فيصب في سهول ركبة في سيوح هناك، ويقطعه طريق الطائف، المنجد على قرابة ٦٠ كيلاً، وسُكَّانه اليوم من قريش. عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ص ١٤٩٦.

(١١) لا يجوز التوسل بِمَنْ مات.

(١٢) ١١٦٩هـ/ ٦ أكتوبر ١٧٥٥ - ٢٤ سبتمبر ١٧٥٦م.

(١٣) كذا في الأصل، والصواب: نجائب.

(١٤) كذا في الأصل، والصواب: إسعافًا.

(١٥) وهذا من البدع المُستحدثة.

(١٦) كذا في الأصل، والصواب: ركائب.

(١٧) كذا في الأصل، والصواب: البقاء.

(١٨) كذا في الأصل، والصواب: الفناء.

وركب سفينة نعْشه وسافر واستراح مِن العنا[1]، فتلقوه إلى مكة وأسْكَنُوه في بيته المعلوم، ودُفِن على ضريح والده المرحوم، بلغ مِن العمر اثنتين وأربعين سنة، وسار في الناس سيرة حسنة، وأعقب ثلاثة مِن البنين الكُمَاة الحماة: السيد مبارك[2]، والسيد أحمد، والسيد بركات، رحمة اللَّه تعالى عليه، وعلى أسلافه الطاهرين، ورزقنا محبتهم في الدنيا والدين.

[أمير الحج المصري يعزل الشريف مساعدًا ويولي السيد مباركًا]

ثم بعد وفاة الشريف محمد المذكور، طاب الوقت لصاحب الترجمة، وانقادت له الأمُور وما زال مُتَمَكِّنًا غاية التَّمْكِّين، إلى غاية إحدى وسبعين، فوردت الحجوج، وكادت الأرض مِن الازدحام تَمُوج، وكان في ذلك العام السامي، عبد اللَّه باشا شتجي[3] أميرًا على الحاج الشامي، وحسين

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: العناء.

(٢) **السيد مبارك**: مبارك بن محمد بن عبد اللَّه بن سعيد الزيدي الحسني، تولى شرافة مكة عدة أيام في ذي الحجة ١١٧١هـ/ أغسطس ١٧٥٨م، عندما قام أمير الحج المصري حسين بك كشكش بعزل الشريف مساعد بإيعاز من السيد عبد اللَّه الفِعْر، ولكن هذه الحركة لم تفلح، فوقف لهم الشريف مساعد بالمرصاد، واسترد مُلْكه، ففَرَّ السيد مبارك إلى وادي مَرّ؛ ثم طلب العفو مِن الشريف فعفا عنه، ورجع إلى مكة في غُرَّة محرم ١١٧٢هـ/ ٣ سبتمبر ١٧٥٨م، وفي منتصف الشهر المذكور، قبض عليه الشريف، ووضعه في السجن، وظلّ فيه حتى توفي في ٨ ذو الحجة ١١٧٢هـ/ أوَّل أغسطس ١٨٥٩م، ودُفِنَ بالقرب مِن منطقة الزاهر بمكة المكرمة. إسماعيل حقي، **أشراف مكة**، ص ١٨٠-١٨١؛ أحمد ضياء العنقاوي، **أعلام الأشراف**، ٣/ ٢٤-٢٥.

(٣) **عبد اللَّه باشا شتجي**: عبد اللَّه باشا بن إبراهيم الحسيني الجرمكي الشَّتَجي. والشَّتجي، أو الجتجي، أو جته جي كلمة تركية معناها: الغازي، أو رجل العصابات، وقيل: إنَّ الجته جي نسبة إلى قرية مِن قرى ديار بكر (بجيم فارسية مثلثة وتاء مثناة وهاء وجيم مفخمة آخرها ياء مثناة تحتية). ولد في جرمك مِن أعمال ديار بكر عام ١١١٥هـ/ ١٧٠٣م، وتنقّل في حكم الولايات الكبرى في الدولة العثمانية، وشارك في قتال نادر شاه، وحصار بلغراد، وولي الصدارة العظمى، وقد ولي على دمشق فدخلها في ٢٧ ربيع الآخر ١١٧١هـ/ ٧ يناير ١٧٥٨م، وقضى على الفوضى التي تسببت فيها الإنكشارية، وخرج بإمارة الحج مرتين: الأولى عام ١١٧١هـ/ ١٧٥٨م، والأخرى عام ١١٧٢هـ/ ١٧٥٩م، وفي الأولى قام بمقاتلة قبيلة حرب وتأديبها، وفي الأخرى قام بعزل الشريف مساعد وتولية أخيه الشريف جعفر، وفي آخر سنة مِن حكمه في دمشق وقع زلزال شديد أدى إلى تدمير عديد مِن مبانيها. وقد =

بيه[1] كشكش[2] أميرًا على الحاج المصري؛ صنجقًا لا يحسب لعواقب الأمُور

= عُزل مِن دمشق في جمادى الآخرة ١١٧٣م/ فبراير ١٧٦٠م، وذلك درءًا للفتن التي قد تقع بينه وبين الشريف مساعد إذا ما خرج بإمارة الحج الشامي، وبخاصة بعد أن تَمَكَّن الأخير مِن العودة لشرافة مكة، وقَدَّم عريضة للباب العالي يشكو فيها عبد اللَّه باشا؛ ولذلك قام السلطان بعزله وتوليته على حلب، ثم على ديار بكر، وقد توفي أثناء ولايته على الأخيرة عام ١١٧٤هـ/ ١٧٦١م. خليل المرادي، **سلك الدرر**، ٣/ ٨١-٨٢؛ أحمد الحضراوي، **تاج تواريخ البشر**، ٣/ ٢٨٧-٢٨٩؛ صلاح الدين المنجد، **ولاة دمشق في العهد العثماني**، دمشق، ١٩٤٩م، ص ٨١-٨٣؛ جعفر بن حسن البرزنجي المدني (ت ١١٧٧هـ/ ١٧٦٣م)، «**النَّفْحُ الفَرَجِيُّ في الفَتْحِ الجِتَه جِي**»، دراسة وتعليق: حمد الجاسر، مجلة العرب، ج ٥-٦، س ١٢، ذوا القعدة والحجة ١٣٩٧هـ/ نوفمبر وديسمبر ١٩٧٧، الرياض، ص ٣٥٣-٣٩٦؛ خير الدين الزركلي، **الأعلام**، ٤/ ٦٤.

(١) كذا في الأصل، والصواب: بيك.

(٢) **حسين بيك كشكش**: أبو فيض اللَّه حسين بيك الكبير الشهير بكشكش بيك، مِن المماليك القازدغلية، تابع إبراهيم كَتْخُدا قازدغلي. كان أسمر الجسم، جهوري الصوت، عظيم اللحية يخالطها الشيب. تولى إمارة الحج أربع مرات: الأولى عام ١١٧١هـ/ ١٧٥٨م، والثلاث الأُخر مُتَتَالية في الأعوام: ١١٧٤هـ/ ١٧٦١م، ١١٧٥هـ/ ١٧٦٢م، ١١٧٦هـ/ ١٧٦٣م. وقد اشتهر حسين بك كشكش بالشَّجاعة الفَائقة، فقد كان ذا قُوة وذا بأسٍ شَدِيدٍ في محَاربة العُربان وتأمين قافلة الحج، ومِن مَواقفه الشَّديدة في التعامُل مع العُربان أنَّه في موسم الحج عام ١١٧٤هـ/ ١٧٦١م، وقف له العُربان في أحد المضَايق على الطريق، وطلبُوا عوائِدهم، ولكنَّه لم يرد إعطَاءهم مقرراتهم، فخادعهم حتى خرج مِن المضيق إلى مكان أكثر اتساعًا، فتقاتل معهم، وتَمَكَّن مِن قتل زعيمهم هزَّاع بن مرعي الحويطي وما يزيد عن عشرين آخرين، وفرَّ الباقون وتوعَّدوه بالانتقام وأخذ ثأرهم؛ فعاد كشكش بيك إلى مصر ومعه رءوس القتلى، فاجتمع مع الأمراء، فعنَّفُوه على فعلته؛ «وقال له علي بيك: إنك أفْسَدت علينا العرب، وأخْرَبْتَ طريق الحج، ومَنْ يطلع بالحج في العام القَابل، بعد هذه الفعلة التي فعلتها؟ فقال: أنا الذي أُسَافر بالحج في العام القَابل، ومِني للعرب، أصطفل». فلمَّا خرج بالحج العام التالي، قَعَدَ العُربان وترَبَّصُوا به على طَريق العَوْدة، فقاتلهم قتالاً عنيفًا؛ شتَّت شملهم، وفرَّق جمعهم، فخَافه العرب وهابُوه حتى إِنهم كانوا يخوفُون بذكِره أطْفالهم، ولم يتعرض له أحد مِنْهم ذهابًا وإيابًا، ولم تقم لهم قائمة طوال فترة إمارته لقافلة الحج. ويرى بعض الباحثين أنَّ كشكش بيك نشْر الرعب في قلوب العُربان؛ رغبْة في كسر شوكتهم، والتخلص مِن شُرورهم خِدمة للحجاج، وليس رغبْة في الاستحواذ على عوائدهم المالية. وبعد أنْ صار لكشكش بيك مكانة كبرى في البلاد؛ بدأ يدخل في صراع ضد علي بيك الكبير، للسيْطرة على الأمُور في مصر، وقد انتهى الأمر بقَتْله في طنطا ١٦ محرم ١١٨٢هـ/ أوَّل يوليو ١٧٦٨م. أحمد الرشيدي، **حسن الصفا والابتهاج**، =

ولا يدري، فدخل عليه السيد عبدالله بن أحمد الفِعْر / ق٤٦/، وجَهَّمه على ركوب أمر خَطِر، وحمله على أنْ يلبس السيد مبارك بن محمد عقد الشرافة المنضد، وأبذل له شيا[1] جزيلًا عروضًا ومال[2]، فصغى لرأيه القاصر ومال، ووافقهم برأي غير صايب[3]، ولم يفكر في العواقب، فربطوا جملة مِن السادات الأشراف، وأرضعوهم مِن ثدي الخِلاف، ووافقهم السرادلة المصريَّة، مع أنَّهم لشريف مكة حمية، فحَزَمُوا أمُورهم وسَدَّدُوهَا، ورَبَطُوا الحُزْمة وعَقَدُوها، وصاحب الترجمة راقد على سرير الغفلة، لم يدرِ عن هذه الفعلة.

ولمَّا تَمَّت الربطة، وحققت الورطة، اجتمعوا في يوم الأحد، وكان نحسًا عليهم كالسيف الأحد، إحدى وعشرين مِن ذي الحِجة[4][5]، وألْبَسُوه عند القاضي بغير فرمان ولا حُجَّة، وفَرَّقُوا جميع العساكر على أسطحة الحرم والمنبر، واتخذوا جميع المدارس حصونًا ومتارس، وتَرَّسُوا البيوت المشادة، المطلة على دار السعادة، والشريف مساعد نايم[6] في داره، لم يفقْ مِن غراره، وما انتبه إلا ورَمْي الرصاص كالمطر، ولم يجدْ له غير الثبات مقرّ[7]، فسأل أرباب دولته عن الواقعة، ومَن كان سبب هذه المبايعة، فتَلوا

= ص ٥٦؛ مصطفى الصفوي القلعاوي، **صفوة الزمان فيمن تولى على مصر مِن أمير وسلطان**، تحقيق: محمد عمر عبد العزيز، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، د.ط، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م، ص ٢٥٧، ٢٦٠-٢٦١؛ عبد الرحمن الجبرتي، **عجائب الآثار**، ١/ ٤٠٥-٤٠٦، ٤٨٤-٤٨٥، ٥٠٤؛ ٢١٨؛ سميرة فهمي، **إمارة الحج في مصر**، ص ٩٨.

(١) كذا في الأصل، والصواب: شيئًا.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: مالًا.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: صائب.

(٤) كُتِبَ على هامش النسخة (ب) سنة ١١٦٩. ولا أعرف مِن أين جاء هذا التاريخ، لأنَّ سير الأحداث يوضح أننا في عام ١١٧١هـ/ ١٧٥٨م، فكيف رجعنا القهقرى، ويبدو أنَّه وقع خطأ في نسخ هذا التاريخ، ولعَلَّ ما يثبت أنَّ هذا التاريخ خطأ وفي غير موضعه، أنَّ كشكش بيك المذكور لم يتولّ إمارة الحج قبل عام ١١٧١هـ/ ١٧٥٨م.

(٥) ٢١ ذو الحجة ١١٧١هـ/ ٢٥ أغسطس ١٧٥٨م.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: نائم.

(٧) كذا في الأصل، والصواب: مقرًّا.

عليه سُورة الوَاقِعَة قصَصًا، وأحْكَمُوا مِن أمْرها قِصَصًا؛ فعند ذلك استدعى العساكر والرجال، وبذل لهم الجَمّ الكثير مِن المال، فقامت الحرب بينهم على ساق، وصالت حين جالت الفرسان على العناق، واستمر الحرب ذلك اليوم بِمَا طال، ودَنَى الحمام لقصير الآجال.

[الشريف مساعد يسترد الشرافة]

وفي ليلة الاثنين اشْتَدَّ العِراك على الأتراك، ووقعوا في الحيرة والارتباك، وما زال بين الفريقين في ليلة الاثنين، إلى أنْ أصبح اللَّه تعالى بالصباح، وقد عنق المجدة مِن بياض الصبح وشاح، فظهرت الصولة لصاحب الدولة، ووقعت الأتراك في الشباك، فأعلنوا بالأمان مِن كُلّ مكان، فعند ذلك طلب السيد مبارك الذِّمَة، واستنجد للخلاص عمّه، لمَّا غشيه الكرب وعمَّمه، وأخذ الأمان له وللصنجق[1]، لمَّا ظهر عليه الغلب وتحقَّق. وكان السبب في انكسارهم، وإظهار عوارهم، نزول الشريف أحمد بن سعيد[2] بالعساكر مِن أسفل مكة، وطلوع الحاكم عبد النبي بأولاد الحارات مِن كُلّ ناحية وسكة، حتى نهبوا جميع ذخيرته، ونفايس[3] أمواله وخيرته، فنهبوا جميع ما كان في السرداليَّة[4]، وثنوا بِمَا كان مِن خيل وبغال في التكية[5] / ق٤٧/ .

---

(١) **صنجق**: مفرد صناجق، وتكتب سناجق وسنجق. وهي كلمة تركية تعني لواء أو علم أو راية، وتأتي بمعني قسم مِن ولاية كبيرة، وكان حاكم الصنجق حاكمًا عسكريًّا ومدنيًّا، غير أنَّه ليس متاحٌ له التدخل في شئون القضاء. سهيل صابان، **المعجم الموسوعي**، ص ١٣٦؛ أمَّا في مصر فإنَّ مصطلح صناجق يعني إمَّا حُكَّامًا فِعْلِيِّين على بعض الأقاليم، وإمَّا مجرد رتبة أو وظيفة، وقد كان أمير الحج مِن صناجق مصر. سميرة فهمي علي، **إمارة الحج في مصر العثمانية**، ص ٦٩-١٠٣.

(٢) **الشريف أحمد بن سعيد**: سيتولى شرافة مكة المكرمة في الفترة (١١٨٤-١١٨٦هـ/ ١٧٧٠-١٧٧٣م)، وستأتي ترجمته بالتفصيل ضمن الأحداث.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: نفائس.

(٤) المكان الذي كان يُقيم فيه عساكر السرادلة المصرية لحماية مكة.

(٥) **التكية**: هي تكية السيدة فاطمة، وقد أُنشئت في عام ١٠٨٦هـ/ ١٦٧٥م، في عهد السلطان محمد الرابع (١٠٥٨-١٠٩٩هـ/ ١٦٤٨-١٦٨٠م)، **مرآة الحرمين**، ١/ ١٨٦.

[أمير الحج المصري يطلب الأمان]

فلمَّا علم الصنجق بنهب خزاينه(١)، كُسِر ظهره، واشْتَدَّ مِن الغيظ قهره، وأمَّا السيد مبارك فقد أخلى المكان، بعد أنْ طلب الأمان، وتَوَجَّه إلى وادي مَرّ الظَّهْران، وأمَّا الصنجق فقد تشتَّت أحواله، وخابت آماله، ونهبت أمواله، فامتنع عن السفر ولا يمكنه الرحيل بأمر مستحيل، وأحزم الناس مَن لا يرتكب سببًا حتى يفكر ما تُجْنى عواقبه، فالتمس مِن حضرة الشريف مساعد ووقع في ركابه، وأناخ جملة في ساحة بابه، على أنْ يعيد له ما ذهب، ويجمع ما تشتَّت بأيدي العرب؛ فعند ذلك أمر صاحب الترجمة حاكمه القايد(٢) عبد النبي بن ألماس، أنْ يجمع له ما يلقاه بأيدي الناس، فجمع ما وجده بأيديهم شاهرًا ظاهرًا كالخيام، والقرب، والخف، والحافر، فأخذ ما تحصَّل له وارتحل، ونادى خلفه لسان شومه(٣) إلى حيث آل.

إِذَا ذَهَبَ الْحِمَارُ بِأُمِّ عَمْرٍو
فَلاَ رَجَعَتْ وَلاَ رَجَعَ الْحِمَارُ(٤)

[الصلح بين الشريف مساعد والسيد مبارك]

ثم إنَّ السيد مبارك بن محمد أقام بالوادي جملة أيام كأنَّمَا هي أعوام، فدخل بينهم السيد عبد اللَّه بن سعيد، والسيد سليمان بن يحيى(٥) بالصلح،

(١) كذا في الأصل، والصواب: خزائنه.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: القائد.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: شؤمه.
(٤) البيت محدث مولّد ينشد في تكذيب خبر وإبطاله، انظر: محمد بن العباس الخوارزمي، **الأمثال المولدة**، المجمع الثقافي، أبو ظبي، د.ط، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م، ص ٣٢٩.
(٥) **سليمان بن يحيى**: سليمان بن يحيى بن سعد بن زيد النموي الحسني، أحد السادة الأشراف وقد ظهر اسمه في ثلاثة أحداث مهمة؛ **أولها**: تدخله لعَقْد الصلح بين الشريف مساعد بن سعيد والشريف مبارك بن محمد بعد الحرب التي وقعت بينهما عام ١١٧١هـ/ ١٧٥٨م، وانتهت بوضْع الأخير في السجن ثم وفاته بعدها في ٨ مِن ذي الحجة ١١٧٢هـ/ أوَّل =

وأرشدوه لطريق الخير والنُّجْح، وتَمَّمَا له مِن حضرة الشريف كُلّ ما طلب، وعاد معهم إلى مكة وفاز بالطلب، وذلك في غُرَّة محرم افتتاح اثنين وسبعين[(١)] مِن هجرة سيد المرسلين.

وفي ليلة النصف مِن هذا الشهر[(٢)] المبارك طلع عند حضرة الشريف السيد مبارك؛ فقبضه عنده وسجنه، وأراح نفسه وبدنه، ولبث في السجن إلى تمام السنة، وفي ثامن ذي الحجة[(٣)] الحرام أَضَرَّ به حبسه، وفاضت به نفسه، فبدا محاق بدره، ومَزَّقت أيدي القضا[(٤)] صحف عمره، وأُخْرِج مِن السجن مَيْتًا، ودفن دون الزاهر على آبائه الكرام الأطاهر، أعقب ذلك الجناب المصان ابنه السيد سليمان.

[طرد السيد عبد اللَّه الفِعْر إلى اليمن]

وقد تحقَّق مولانا الشريف مساعد، أنَّ ما حصل عليه مِن هذا الفساد المشاهد، إلا مِن السيد عبداللَّه بن أحمد الفِعْر، وثبت ذلك لديه وشهر؛ أمره بالرحيل عن أقطاره، ولا يقر قراره بمَصْر مِن أمْصَاره، وأقسم إنْ لم يرحل

= أغسطس ١٧٥٩م. **وثانيها**: حينما وجهه الشريف أحمد بن سعيد لعزل وزيره على جدة يوسف قابل وتولية حسن بن إبراهيم الشامي بدلاً منه، وعندئذٍ ذهب الشريف سرور إلى جدة - وكان على علاقة طيبة بالوزير يوسف - ومنع السيد سليمان مِن أنْ ينفذ مهَمَّته، وأعَدَّ جيشًا تَمَكَّن به مِن هزيمة عمّه الشريف أحمد وطرده من مكة، وتوليه الشرافة بدلاً منه وذلك في شوال ١١٨٦هـ/ يناير ١٧٧٣م. **وثالثها**: أنَّه رُشِّحَ لشرافة مكة عندما حدثت منافرة بين الشريف سرور بن مساعد و أمير الحج المصري مراد بك، إبَّان موسم الحج في ذي الحجة ١١٩٣هـ/ ديسمبر ١٧٧٩م، فأراد الأخير تولية سليمان بدلاً من سرور، فقام الشريف سرور بالقبض عليه وحبسه في مكة، ثم أرسله إلى ينبع وحبسه بها، ثم أطلق سراحه بسبب مرضه في صفر ١١٩٦هـ/ يناير ١١٨٢م، فتوفي بعدها بعشرة أيام، وقد أعقب ابنين، هما: ناصر، وماضي. أحمد زيني دحلان، **خلاصة الكلام**، ص ١٩٧، ٢١٦؛ أحمد ضياء العنقاوي، **أعلام الأشراف**، ٢/ ٤٤.

(١) غُرَّة محرم ١١٧٢هـ/ ٣ سبتمبر ١٧٥٨م.

(٢) ١٥ محرم ١١٧٢هـ/ ١٧ سبتمبر ١٧٥٨م.

(٣) ٨ ذو الحجة ١١٧٢هـ/ أوَّل أغسطس ١٧٥٩م.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: القضاء.

بِمَا لديه ليهدمن داره عليه؛ فخرج بعبيده وأتباعه، وبعض عشيرته وأشياعه، وارتحل عن مكة وظعن، ووَجَّه وجهه تلقاء اليمن / ق٤٨/ .

وأرسل صاحب الترجمة خلفه رتبة قويَّة تتبعه، تسير خلفه لئلاَّ يجهل مربَعُه، حتى عدّته عدة مراحل، وأنضت جسمه على فراق وطنه وصار ناحل[١]، حتى أقَرَّ قراره بصنعا[٢] وأكرمه صاحبها[٣] وأحسن إليه صُنعًا، ومنحه بالإكرام والمنن، وقابله بالخلق الحسن، وعرض عليه أنْ يمدّه بالأموال والرجال، ويعود مُقاتلاً تلك الأطلال؛ فشكره على ما صنع، واعتذر عن القتال وامتنع، ثم أرسل إمام اليمن لصاحب الترجمة يستنجده، ويُستنحيه ويسمح عنه، ويُعيد له ما كان عليه مُجريه، فلمَّا وصل إليه الكتاب، وفهم ما فيه مِن الخطاب؛ سَمَح عنه وقبل ما عليه عوَّل، وعاد إلى وطنه في جماد الأوَّل[٤]، فأقام في مكة في عيش رغيد، وطَالع ميمون سعيد.

ولمَّا أقبل موسم الحج، وأقبل اليَعْمَلات[٥] مِن كُلّ فجٍّ، وكان والي الحج الشامي عبد اللَّه باشا شتجي - المُتَقَدّم ذكره - المشهورة حيلته ومكره، فحج جميع الوُفاد، ووقفوا بساحة الملك الجَواد، ووقف صاحب الترجمة بالمَحْمَلين على مُعتاده، وبلغ كُلّ قاصد نيل مراده، فبات بالمُزْدَلِفَة[٦] حتى

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: ناحلًا.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: بصنعاء.

(٣) كان صاحب اليمن الإمام المهدي لدين اللَّه العباس بن الحسين. وسبقت ترجمته.

(٤) جمادى الأولى ١١٧٢هـ/ ٣٠ ديسمبر ١٧٥٨ - ٢٨ يناير ١٧٥٩م.

(٥) **اليَعْمَلات**: جمع يَعْمَلة، وهي النَّاقَة السَّرِيعَة، اشتقَّ لها اسمٌ من العمل. انظر: جمال الدين ابن منظور الأنصاري، **لسان العرب**، ج١١، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، ص ٤٧٦.

(٦) **المُزْدَلِفَة**: تقع بين مِنَى وعرفة، وهي إحدى مشاعر الحج، ينزل إليها الحجاج ليلة عشر مِن ذي الحجة، بعد وقوفهم في عرفات، ، ويُصَلَّى فيها المغربُ والعشاء، قصرًا وجمعًا، وتُسَمَّى المُزْدَلِفَة جَمْعًا لاجتماع الناس بها، وقيل لاجتماع آدم وحواء فيها، وقيل لجمع الصلاتين بها. وفي وسط المُزْدَلِفَة المشعر الحرام المذكور في القرآن بقوله تعالى: ﴿فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِۖ وَٱذۡكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمۡ وَإِن كُنتُم مِّن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ١٩٨﴾ [سورة البقرة: ١٩٨]، ومِنْها يُسَن للحاج أنْ يلتقط =

أصبح وتَوَجَّه بالمُنَى والمنح، وحلق وما قصر في رمي الجمار.

[عزل الشريف مساعد وتولية أخيه السيد جعفر]

وفي اليوم الثاني لبس خِلْعة الاستمرار، وقرئت باسمه العروض، وطاب كُلّ قلب مروض، فلمَّا دعا داعي البواعث، واقتضى النزول في اليوم الثالث، نزل مِن مِنَى[1] بعد نيل الهنا[2]، ونزل والي الشام بالْمُحصَّب، وأقام به الخيام وطنب، ثم فتل حبل الحيلة وأبرمه، ونوى على قبض صاحب الترجمة، فأرسل له طلبه بنا[3] على أنْ ينظروا في إصلاح عَيْن زُبَيْدَة[4]، وقد تَمَّم له الحيلة والمكيدة، فركب حضرة الشريف بمعسكره، لقضاء اللَّه وقدره، فاستلحق فورًا في الوقت والحين، وجمع القضاة وأمراء الحجوج والمعلمين، واجتمعوا جميعًا للمشورة كأسود مُتنمرة.

ولـمَّا فاض الحديث بينهم في أمر العَين، وارتفعت الأصوات بينهم، أغلظ والي الشام في قوله وتبيانه، ولسع صاحب الترجمة عقرب لسانه قائلاً:

= الجمار. إبراهيم رفعت، **مرآة الحرمين**، ١/ ٣٣١-٣٣٤؛ محمد الكردي المكي، **التاريخ القويم**، ٥/ ٣١٥-٣٢٠.

(١) مِنَى: تقع في شرق مكة، وبها تؤدى إحدى مشاعر الحج، وهي آخر منازل الحجاج بعد الوقوف بعرفات؛ فالعيد الأكبر للحجاج يكون في منى، ويقضون فيها ثلاثة أيام بلياليها، وفيها موقع رمي الجمرات، والتي تتم بين شروق وغروب الشمس في تلك الأيام مِن الحج، ويذبح فيها الهدي. ثم ينصرف مِنْها الحجاج إلى مكة، ثم يرجعون إلى بلادهم، وفيها العديد مِن المعالم التاريخية والأثرية، منهما مسجدان مهمان: أولهما مسجد الخيف، وثانيهما مسجد الكوثر. إبراهيم رفعت، **مرآة الحرمين**، ١/ ٣٢٢-٣٣٠؛ محمد الكردي المكي، **التاريخ القويم**، ٥/ ٢٨٨-٢٨٩؛ عاتق البلادي، **معالم مكة**، ص ٢٦٦.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: الهناء.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: بناءً.

(٤) عَيْنُ زُبَيْدة: عين عذبة الماء غزيرة، أنشأتها السيدة زبيدة زوج الخليفة العباسي هارون الرشيد (١٧٠-١٨٦هـ/ ٧٨٦-٨٠٩م)، وهي تنبع من وادي نَعْمَان، ثم تمر في عرفات فتقطع وادي عُرنَة إلى الخَطم ثم تنحدر إلى منى ثم إلى مكة، وكانت مصممة بطريقة انحدارية، وكانت سقيا أهل مكة، وقد ظل الولاة والحكام يولونها عناية خاصة، فيتعهدونها بالإصلاح والعمل، وهي لا تزال باقية حتى يومنا هذا. إبراهيم رفعت، **مرآة الحرمين**، ١/ ٢١٠-٢٤٢؛ عاتق البلادي، **معالم مكة**، ص ١٩٧.

أنت أعطشت أهل هذه البلدة المحميَّة، وأجريت العين لسقيا العَابِدِيَّة، مع أنَّها أفيكت أفاك[(١)]، وعين زبيدة لا تركب هناك، وقد كذب عليه مَن قال وأخبروه بالزور والمحال، فلم يصغ لقوله ويقبل عذره، وقد أصَرَّ على ما أصَرَّ عليه ونوى غدره / ق٤٩/ ، ثم أمر مَن لديه مِمَّن لا عقل له ولا خلاق، وجذبه جذب الحمام بالأطواق، وألبس أخاه الشريف جعفر[(٢)] عقد الشرافة الأزهر، وقَلَّده حماية البيت لا زالت أركانه مشادة، وأرسله مع كَتْخُداه إلى دار السعادة.

ولمَّا شاع الخبر في الآفاق، وقع الجري في الأزِقَّة والأسواق، وداست الناس بعضها بعضًا، واشتفى قلبٌ مُلِئ حسدًا وبغضًا، ولمَّا بلغ والي الشام ما وقع مِن الدوس والازدحام؛ ركب مِن فوره هو وجميع حكام الحج، ووالي جدة، والقضاة، وقرأ فرمانًا في المسجد الحرام أنَّ الأمر له مقتضاه[(٣)]،

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: أفاكًا.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: جعفرًا.

(٣) إنَّ قضية عزل الشريف مساعد وتولية أخيه الشريف جعفر، لم تأتِ مِن قبل أمير الحج الشامي نتيجة للأسباب التي احتجَّ بها على الشريف بتعطيشه أهل مكة المكرمة، كما أنه لم يكن بمقدور أمير الحج عزل الشريف دون الحصول على أمر مباشر مِن الباب العالي؛ حتى لا يثير الفوضى في هذه البقعة المباركة، والحقيقة أنَّ قرار عزله جاء نتيجة الاقتتال الذي وقع في موسم الحج في ذي الحجة ١١٧١هـ/ أغسطس ١٧٥٨هـ، بينه وبين أمير الحج المصري حسين بك كشكش، وقد أوضح أمير الحج المصري بأن الحجاج المصريين لنْ يتَوَجَّهوا إلى مكة المكرمة طالما ظلَّ الشريف مساعد في منصبه، ووصلت أنباء تلك الحادثة إلى الباب العالي، الذي خشي مِنْ تفاقم الأمر واختلال الأمن في موسم الحج التالي؛ فبادر بإصدار فرمان بعزل الشريف مساعد وتولية أخيه الشريف جعفر، وذلك بناءً على توصية مِن أمير الحج الشامي عبد اللَّه باشا، وقد أُرِّخ هذا الفرمان بأواخر رمضان ١١٧٢هـ/ مايو ١٧٥٩م، أيْ قبيل موسم الحج الذي عزل فيه الشريف مساعد. (**نامة همايون دفتري**، رقم ٨، ص ٤١٠). ونلحظ هنا أنَّ عبد اللَّه باشا لم يُرِد أنْ يُظهر فرمان العزل في بدء موسم الحج حتى لا يتسبب في إثارة الفوضى، فيتعَطَّل الناس عن أداء المناسك، فتظاهر بتثْبيت الشريف مساعد على الشرافة، وبعد انتهاء مناسك الحج، استدعى الشريف لمناقشته في بعض الأمُور، وعندئذ أشهر له فرمان عزله وتولية أخيه الشريف جعفر بدلاً مِنْه. ولكن بانصراف أمراء الحج، تَمَكَّن الشريف مساعد مِن الاتفاق مع أخيه واستعادة ملكه (أحمد واصف، **محاسن الآثار وحقايق الأخبار**، ج١، مطبعة بولاق، القاهرة، ١٢٤٦هـ، ص ١٠٧، ١١٢-١١٣). وقد أرسل الشريف مساعد مِن فوره عريضة للباب العالي – مِن خلال والي بغداد – يشتكي فيها عبد اللَّه باشا شتجي، وأنَّ ما قيل ضده افتراء، وأنَّ أخاه تنازل له عن شرافة مكة، وأنَّه مطيع للدولة ولكنه لم يَعُدْ يأمَن =

ولما تَمَّت قرآة المراسيم، والشريف جعفر واقفٌ مع ذلك الجمع العظيم، نادى باسمه في شوارع البلاد، وحصل الاطمئنان في كُلّ ناد، ثم دعى له فوق المقامات والمنابر، وأطاعه كُلّ باد وحاضر.

وفي آخر اليوم أطلق الشريف مساعد، بوجَاهَة الشريف جعفر، وتَوَجَّه إلى العَابِدِيَّة[1]، وأقام به الشهر[2]، وجميع أرباب المناصب خدموا الشريف جعفر[3]، وصار لهم العقد والحل، ولم يتَعَرَّض لهم بتولية ولا عزل.

= جانب والي الشام، وقد عَزَّز الشريف موقفه بأنْ أرفق محاضر مِن المفتين على المذاهب الأربعة، وعندئذ اجتمع السلطان مع هيئة مِن كبار رجال الدولة ترأسَّها بنفسه، وقد أصدر - درءًا للمفاسد التي قد تحدث بين والي الشام وشريف مكة - فرمانين: أحدهما بإبقاء الشريف مساعد في الشرافة (**نامة همايون دفتري**، رقم ٨، ص ٤١٩)، والآخر بنقل عبد اللَّه باشا إلى ولاية حلب، وتقديرًا لخدماته، فقد جرى إبلاغه بأنَّ هذا التغيير قد فرضته الضرورة. أحمد واصف، **تاريخ واصف**، ١/ ١١٣؛ إسماعيل جارشلي، **أشراف مكة**، ص ١٨٢-١٨٥. ويتضح بذلك أنَّ قرار عزل الشريف مساعد جاء بأمر مِن الباب العالي، ولكن لمَّا تَمكَّن الشريف مِن استعادة حكمه مرة أخرى وأرسل عريضة للدولة، اجتمع السلطان بنفسه لمباشرة الأمر، ويبدو أنَّ الباب العالي أدرك القوّة التي يتمتع بها الشريف هناك؛ ولذلك أقَرَّه في الشرافة، كما أنَّه أيضًا كان حريصًا على استقرار الأمن في الحجاز، مهما كَلَّفَه الأمر، فنراه يعزل أحد أهم ولاته وهو عبد اللَّه باشا شتجي نتيجة شكوى الشريف، وذلك حتى لا تحدث اشتباكات بينهما، إذا ما خرج على رأس قافلة الحج الشامي مرة أخرى. خليل المرادي، **سلك الدرر**، ٣/ ٨١؛ أحمد البديري، **حوادث دمشق**، ص ٢٢١-٢٢٢، ٢٢٥.

(١) واعتقل الشريف مساعد عدة أيام، في بستان والده الشريف سعيد بالأبطح، ثم طلب من عبد اللَّه باشا أن يتَوَجَّه إلى العَابِدِيَّة، فتَوَجَّه وأقام نحو شهر، ثم عاد إلى مكة، فتنازل له الشريف جعفر عن الإمارة. ونلحظ هنا أنَّ الحضراوي ذكر أنَّ عزل الشريف مساعد كان في يوم ١٨ من ذي الحجة ١١٧٠هـ/ ٢ سبتمبر ١٧٥٧م، وذكر تنازل الشريف جعفر عن الإمارة في يوم ١٧ من المحرم ١١٧١هـ/ ٣٠ سبتمبر ١٧٥٨م، والواضح أنَّه أخطأ في ذكر سنوات الحدث، فالصحيح ما ذكره مؤرخنا عبد الشكور، وما يؤكد ذلك أنَّ عبد اللَّه باشا الشتجي - كما ذكر آنفًا - لم يخرج لإمارة الحج إلا في عامي ١١٧١هـ/ ١٧٥٨م، ١١٧٢هـ/ ١٧٥٩م، كما أنَّ عزله كان في عام ١١٧٣هـ/ ١٧٦٠م، أي بعد تمكن الشريف مساعد من العودة لإمارة مكة. أحمد الحضراوي، **تاج تواريخ البشر وتتمة جميع السِّير**، ج٢، مخطوط بمكتبة الحرم المكي، تحت رقم ١٢٢، ورقة ١٥٥.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: شهرًا.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: جعفرًا.

[تنازل الشريف جعفر لأخيه الشريف مساعد عن الشرافة]

ولمَّا تَوَجَّهت الحجوج، واعتدلت الأيام العوج، اتفق الأمر بين الأخوين الشريفين، والقمرين المنيفين، أنْ يتقلّد الشريف مساعد - لا زال سامي المجد - بعقد الشرافة المنضد، ببذل شيء من الدراهم النقود، ومُقررات يجري نفعها عليه ويعود، فتقَلَّدها حضرة الشريف مساعد، أعانه الزمان وساعد، فارتسمت المراسيم برسمه، فأجيب المنادي بالتأمين في رابع عشر محرم سنة ثلاث وسبعين سنة ١١٧٣[١].

[وفاة الشريف جعفر بن سعيد]

ولمَّا تسلَّم الشريف جعفر، ما تقرر بينهم مِن النقود وتحرر، وَجَّه عزمه لساحة الطايف[٢]، ليجني به مِن ثمار الأنس واللطايف[٣]، فشرى به بساتين وغَرَس فيه وعَمَّر، واقتطف مِن قدود أغصانها يانع الزَّهر، ولم يزل يتنزه بين الخمايل[٤]، ويميس في رياضها بلطف تلك الشمايل[٥]، ويرتع بين رياضه ويَكْرَعُ[٦] نميرًا مِن حياضه، إلى أنْ مضى ثمان وسبعون، اقتطفت زهرة عمره يد المنون، فجاور الملك الغفار، واختارها بتك الدار، / ق٥٠/ فدُفِن بجوار العفيف، ونال بقربه غاية التشريف.

[فتنة بين الشريف مساعد وأخيه الشريف أحمد]

ثم إنَّ صاحب الترجمة لا زالت أُمور دولته مُنتظمة، ما زال وهو قرير العين، سالمًا مِن الدَّرِن[٧] والشِّيْن، والأمُور تدور معه وتنقاد على ما شاء

(١) ١٤ محرم ١١٧٣هـ/ ٦ سبتمبر ١٧٥٩م.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: اللطائف.
(٤) كذا في الأصل، والصواب: الخمائل.
(٥) كذا في الأصل، والصواب: الشمائل.
(٦) وردت في الأصل يكر، والتصويب مِن النسخة (ب)، ورقة ٣٥.
(٧) **الدَّرِن**: الوَسخ. يقال: دَرِن الثوبُ، تَلَطَّخَ بِالوَسَخِ. **المعجم الوسيط**، ص ٢٨٢.

مِن وفق المراد، والزمان مِنْ جملة الخدم يسعى إليه على قدم، حتى مَضَى أربعة وسبعون[1] على ما حقَّقه الراوون، رجع الزمان إلى دوره، وتكور كورًا على كوره، وهكذا حكم الأيام واللَّيالي، فإنَّها لا تستقرّ على حالٍ، فرمت بينه وبين أخيه الشريف أحمد يد الحوادث، وتسببت الأسباب وانبعثت البواعث، فتنافرت القلوب بعد تلك المودّة، وفتح الزمان عينه بعد تلك الرقدة.

والسبب الباعث لهذه الفتنة، واجتلاب المشقة والمحنة، عبدٌ لوزير الشريف محمد الشامي كان مُقَرَّبًا لديه، أذنب ذنبًا وذهب للشريف أحمد متدخلاً عليه، فأخذه الشريف أحمد مِنْ يده، وقاده لبيت سيده، وتَوَجَّه عليه أنْ يسمح عن خطاه، فقبل جاهه في ظاهر الأمر وسمح، ومال لشيء في نفسه وجنح، وفي الخاطر شيء أخفاها الحيا[2]، فما خرج مِنْ دار الوزير، واستقر في داره يسير[3]، حتى فتك بالعبد وضربه بالسياط، وما فكر في عاقبة الأمر ولا احتاط؛ فهرب العبد مُقَيَّد[4] إلى بيت الشريف أحمد، فأخبره الخبر لأمر جرى به القضاء والقدر، فأنهى الأمر لأخيه، وكلما شدد حبل الشكاية يرخيه، وقد قيل: إنَّ عدم النصفة بين الخدم تفضي إلى الندم، وكما يقال: المُنافسة بين الخدم سم في دسم، وكما يقال: تعدي الخادم عن طوره دليل على ظُلم المَخدوم وجُوره.

فلمَّا لم يرَ مِن أخيه نصفة، ولم يتكلم مع وزيره ببنت شفة، فطلب القتال وأفرق، وصعب الأمر بينهم وشقّ، وتَوَجَّه إلى وادي نَعْمَان[5]

---

(١) سنة ١١٧٤هـ/ ١٢ أغسطس ١٧٦٠ - ٣١ يوليو ١٧٦١م.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: الحياء.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: يَسِيْرًا.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: مُقَيَّدًا.

(٥) وَادِي نَعْمَان: وادٍ من أكبر أودية مكة المكرمة، وكان يعرف بِنَعْمَان الأراك، تأتي أعلى نواشغه من طود الحجاز، وله راوفد كبار أثناء مسيرته، وتصب فيه مياه جبال شوامخ، ثم ينحدر وادي نَعْمَان بشكل شبه مستقيم فيمر جنوب عَرَفة، ثم يجتمع بوادي عُرَنة، فيفقد اسمه ويصبح الاسم لعُرَنة، وتوجد به بعض العيون مثل: عين زُبيدة، وعين سمار، وعين العَابِدِيَّة، وسُكَّانه فوق عرفة هُذَيْل، وأسفله لقُرَيْش، ومعظم المزارع للأشراف الحسنيين. =

لجمع العُربان، وجمع خمسماية وقيل ثلاث[١]، فوصل بها عمرة التَّنْعِيْم[٢] وما لاث. وقد جمع له صاحب الترجمة جنودًا مِن كُلّ محل، حتى ضاق عنها السهل والجبل، مُصَمِّمًا على قتاله، عازمًا على نضاله بنصاله، وكان مِن جملة الرأي والتدبير، جميع هذا المُنصرف مِن كيس الوزير، بناءً على تنفيذ كلمته، فانظر لهذا الوزير وهِمَّته، وصاحب الترجمة مُطلق لوزيره جميع الأمُور، ومفيضٌ له أمُور الجمهور/ ق٥١/ .

[الصلح بين الشريف مساعد وأخيه الشريف أحمد]

فلمَّا التقى الجمعان، وشَمَّر عن ساعد الحرب العوان، وأضرم جمر الحرب والتهب، بالجبال التي حول أبي لَهَب[٣]، فطال بينهم القتال وما طال، ومات مَن دنت مِنْه الآجال، وقعت بينهم ملحمة وأيّ ملحمة، وأسفرت عن انكسارة الشريف أحمد، وانتصار صاحب الترجمة، فنهبت خزانته وقَلَّت إعانته، ثم طلب ذِمَّةً مِن أخيه وسَكَن، وارتحل لوادي مَرَّ وقَطَنَ، فمكث بها

= عاتق البلادي، **معالم مكة** ص ٣٠٤-٣٠٧.

(١) كذا في الأصل، والصواب: خمسمائة وقيل ثلاثا.

(٢) **التَّنْعِيْم**: وادٍ ينحدر شمالًا بين جبال بشم شرقًا وجبل الشهيد جنوبًا، فيصب في وادي ياج. وهو ميقات لِمَن أراد العمرة مِن المكيين، وتسمَّى عمرته: عمرة التَّنْعِيْم؛ أي مكان الاعتمار. وقد ثبت أنَّ الرسول ﷺ أمر عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق أنْ يعمر عائشة أخته مِن التَّنْعِيْم، ومِن ذلك الوقت اتخذه أهل مكة عمرة، وهو أقرب الحلّ إلى المسجد الحرام، فهو يقع على قرابة ستة أكيال شمالاً مِن المسجد الحرام على طريق المدينة المنوَّرة. محمد الكردي المكي، **التاريخ القويم**، ٥/ ١٥٣؛ عاتق البلادي، **معالم مكة**، ص ٥٠-٥١.

(٣) **أبي لَهَب**: منطقة تقع في مكة، تصل بين جَرْول في ذي طوى وبين الزاهر غربًا، وتفصل بين جبل يعرف بأبي لَهَب وجبل جُحَيْشة، ويقال: إنَّ قبر أبي لَهَب وزوجه، عند هذا الجبل الذي عُرِف باسمه. وفي العصر العثماني كان من عادة بعض الحجاج والمعتمرين الذهاب إلى هذه المنطقة ورجم قبرهما. انظر: عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ص ١٤٧٩-١٤٨٠؛ سامح إبراهيم عبد العزيز، **الظواهر الطبيعية والآثار العمرانية في مكة المكرمة من خلال كتابات الرحالة المغاربة في القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي**، كرسي الملك سلمان بن عبد العزيز آل سعود لدراسات تاريخ مكة المكرمة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م، ص ٢٤٨.

أيامًا وليالي غير قرير العين ولا سالي[1]، حتى دخلوا بينه وبين أخيه بالصلح ﴿وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ﴾[2] فوصل إلى داره ومَقَرِّ قراره، وأقَرَّ اللَّه تعالى عينه بأخيه، وأنزله المنزل الذي يرضيه، وأمر أنْ ينقاد له الوزير، ليسمح عَمَّا جناه مِن التقصير، ولو فعل ذلك مِن الأوَّل، لزال هذا الشر وتحوَّل، فاعترف له بِمَا هفا، وسمح عن الذنب وعفا، كقول القايل[3]:

وَيُمْكِنُ وَصْلُ الحَبْلِ بَعْدَ انْقِطَاعِهِ
ولَكِنَّهُ يَبْقَى بِهِ أَثَرُ الرُّبَطْ[4]

وقول الآخر:

إِنَّ القُلُوبَ إِذا تَنَافَرَ وُدُّهَا
شِبْهُ الزُّجَاجَةِ كَسْرُهَا لا يُجْبَرُ[5]

[فتنة بين الشريف مساعد وآل بركات]

وفي عام اثنين وثمانين بعد الألف والماية[6][7]، حصل بين صاحب الترجمة - لا زال سامي الجناب - وبين السيد أحمد[8] ابن الشريف عبد

(١) كذا في الأصل، والصواب: ساليًا.
(٢) القرآن الكريم، **سورة النساء**، جزء من آية رقم ١٢٨.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: القائل.
(٤) البيت لا يعرف قائله، انظر: لويس شيخو اليسوعي، **مجاني الأدب في حدائق العرب**، ج ٣، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩١٣، ص ٦٧؛ أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي، **السحر الحلال في الحكم والأمثال**، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، د.ت، ص ٧٥.
(٥) البيت من قصيدة تعرف بالزينبية لصالح عبد القدوس وقيل لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، انظر: لويس شيخو اليسوعي، **مجاني الأدب**، ٤/ ٩١؛ أحمد الهاشمي، **السحر الحلال في الحكم والأمثال**، ص ٦٨.
(٦) كذا في الأصل، والصواب: مائة.
(٧) ١١٨٢هـ/ ١٧ مايو ١٧٦٨ - ٥ مايو ١٧٦٩م.
(٨) **أحمد بن عبد الكَريم**: أحمد بن عبد الكريم بن محمد بن يعلى البركاتي، وقع خلاف بينه وبين الشريف مساعد، لا يعرف سببه، ولكن يبدو أنَّ آل بركات أرادوا إعادة نفوذهم على الشرافة؛ فتكَوَّنت جبهة للمعارضة، تزعمها الشريف عبد اللَّه بن حسين البركاتي، وقد أدى =

الكريم مُنافرة هي أصل هذا الخراب فنفر وأفْرَق، وكان داعية الخراب المحُقَّق، واستقر بالوادي، واجتمع عليه آل بركات وسُكَّان ذلك النادي، وأجمع رأيهم أنْ يُصَدِّرُوا السيد عبد اللَّه بن حسين(١)، ويجْعَلُوه محَلّ القلب والعين، فوافقهم وبذل المال، وجمع ما أمكنه مِن الرجال؛ فأوَّل ما بنوا أمرهم عليه، ومالت نيتهم إليه، أنْ ينهبوا بَنْدَر جدة؛ لتزيد قوتهم بِمَا فيه مِن سِلاح وعدة، وقد وَرَدَ في الحديث عن سيد الكائنات: «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ**»(٢).

= السيد أحمد دورًا مهمًّا أثناء تواجد الحملة المصرية في الحجاز عام ١١٨٤هـ/ ١٧٧٠م، وسوف يخوض معارك عدة ضد الشريف أحمد بن سعيد في الطائف ونواحيها، وبعد رحيل الحملة سيختفي عن مسرح الأحداث. توفي في مكة المكرمة في ٥ صفر ١١٩١هـ/ ١٤ مارس ١٧٧٧م، ودُفِنَ بمقبرة المَعْلَاة. أحمد زيني دحلان، **خلاصة الكلام**، ص ١٩٩-٢٠٠، ٢٠٤؛ أحمد ضياء العنقاوي، **أعلام الأشراف**، ١/ ٨١. وللمزيد حول الأشراف المكارمة انظر: ناصر بن علي الكريمي وإبراهيم بن منصور الهاشمي، **سيرة أمير الحرمين الشريف عبد الكريم بن محمد بن يعلى البركاتي (١٠٦٦-١١٣١هـ/ ١٦٥٥-١٧١٨م)**، شركة الريان، بيروت، ط١، ١٤٣٨/ ٢٠١٧م، ص ٦٥ وما بعدها.

(١) **السيد عبد اللَّه بن حسين**: عبد اللَّه بن حسين بن يحيى البركاتي، من نسل الأشراف آل بركات، وقد سعى لتولي الشرافة، فدخل في صراع مع الشريف مساعد بن سعيد من آل زيد، ولكنه هزم، فاتجه إلى مصر لطلب مساعدة علي بك الكبير، الذي أرسل حملة بقيادة محمد بيك أبو الذهب، فولته الشرافة عام ١١٨٤هـ/ ١٧٧٠م، ولكنه لم يستمر فيها سوى شهرين وثلاثة وعشرين يومًا من العام المذكور، حيث تَمَكَّن الشريف أحمد بن سعيد مِن استرداد مكة؛ فاتجه الشريف عبد اللَّه إلى مصر ثم إلى إستانبول، فخصَّص له الباب العالي معاشًا واستقر هناك، ثم نقل إلى أدرنة عام ١١٩٠هـ/ ١٧٧٦م، ومنها هرب إلى مصر محاولاً العودة إلى الحجاز، فقبض عليه، ونقل إلى إستانبول عام ١١٩٣هـ/ ١٧٧٩م، حيث صدر الأمر بوضعه في جزيرة أغريبوز، ثم نقل إلى أسكودار، ثم إلى أزمير التي توفي فيها بعد عام ١٢٠٣هـ/ ١٧٨٨م. أحمد زيني دحلان، **خلاصة الكلام**، ص ٢٠٠، ٢٠٤-٢٠٥؛ أحمد القطان، تنزيل الرحمات، ٢/ ٢٩٧؛ إسماعيل حقي، **أمراء مكة**، ص ١٨٨-١٩٠؛ خير الدين الزركلي، **الأعلام**، ٤/ ٨٠.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، عن مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ التَّيْمِيِّ، عن عَلْقَمَةَ بْنِ وَقَّاصٍ اللَّيْثِيِّ، عن عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رضي الله عنه قال رسول اللَّه ﷺ: «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ**». انظر: محمد بن إسماعيل البخاري، **صحيح البخاري: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول اللَّه ﷺ وسننه وأيامه**، ج١، تحقيق: محمد زهير ناصر، دار طوق النجاة، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م، ص ٦.

فجمع القوم وتَوَجَّه بهم في غاية صفر[1] مِن العام المذكور، يروم ما يروم مع وجود السور، فلمَّا أشرفوا عليها، وأسرفوا على أنفسهم لديها، تحَصَّن أهلها واعتنقوا بالسور مِن كُلّ محل، ورموهم بالمدفع والقلل، فطال بينهم المرامي، ولم ينالوا مَرامًا وما وجَدوا لهم خلاص[2]، مع وجُود الرصاص. فقَيَّلوا في العشاش التي خارج البلد، بعد أنْ ند كثير مِنْهم وشرد، فاصْطَنعوا لهم نَشَّاشِيْب[3] / ٥٢/ جعلوا الكبريت الموقد في روسها[4] كالرياش، ورموهم بها فأحرقت تلك العشاش، فلم يقرّ لهم فيها قرار، بعد احتراقها بالنار، وقيل: إنَّ وزير الشريف أرسل مَن أحرقها، وأصح القولين أسْبقها.

[الشريف عبد اللَّه البركاتي يستنجد علي بيك الكبير]

فرجع الشريف عبد اللَّه بن حسين إلى الوادي، ولم يشفِ غَلِيْل قلبه الصَّادي[5]، فانحَلَّت عزايمه[6] عن طلب شرافة مكة، وتفَرَّقَت قومه[7] في كُلّ ناحية وسكة، ثم تَوَجَّه إلى مِصْر القاهرة، وسيوف العَزم لديه شاهِرة، وطلب مِن عزيزها صاحب المكانة إغاثة له وإعانة، وكان عزيزها عنيدًا يقال له: جن علي[8]،

(١) غاية صفر ١١٨٢هـ/ ١٤ يوليو ١٧٦٨م.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: خلاصًا.

(٣) نَشَّاشِيْبُ: جمع النُّشَّاب، وهي النَّبْل والسّهام، وهو من أدوات الحرب والصيد، على هيئة السهم، سمي كذلك لأنَّه مُسنَّن، سهل الدخول، صعب الخروج، يطلق بواسطة أداة على هيئة القوس. **المعجم الوسيط**، ص ٩٢١؛ مصطفى الخطيب، **معجم المصطلحات**، ص ٤٢٢.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: رءوسها.

(٥) الصَّادي: العطشان. **المعجم الوسيط**، ص ٥١١.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: عزائمه.

(٧) كذا في الأصل، والصواب: تفرَّق قومه.

(٨) **جن علي**: ويقصد به حاكم مصر علي بك الكبير (١١٨٣-١١٨٧هـ/ ١١٦٩-١٧٧٣م)، وقد أطلق عليه المصريون لقب جن، ومعناه: النشيط الذي يَغْلِب ولا يُغْلَب؛ وذلك لتفوقه على جموع الأعراب، وإشارة إلى مهارته الفائقة في لعب الجريد. ولد حوالي عام ١١٤٠هـ/ ١٧٢٨م في قرية أماسيا في الأناضول، وكان ابنًا لقسيس يسمى داود، ثم خُطِف وهو في الثالثة عشرة مِن عمره وبيع في الإسكندرية، ثم أصبح مملوكًا عند إبراهيم كَتْخُدا، ثم دخل الإسلام وتحول اسمه =

يَخْلُف فِرعَون في الظلم ويلي، جبارًا غشوم[١]، وظلومًا وأيّ ظلوم، كم فتك وسفك، وترك في كُلّ ناحية معترك[٢]، خان الدوْلة العليَّة وعصَاها، وأبطل أحكامها وأقْصَاها.

[ذكر أخبار علي بيك الكبير]

ولم يزل سيف عدوانه شاهر[٣]، وعصيانه باطنًا وظاهر[٤]، وقيل: إنَّه ادَّعَى السلطنة لنفسه عيانًا بيان[٥]، وكتب اسمه فوق اسم السلطان[٦]، ولم يكفه هذا المرام، حتى جهز جيشًا ومَلَكَ به الشام[٧]، فانهزم والي الشام،

= من يوسف إلى علي، وبعد موت سيده تدرَّج في المناصب حتى وصل إلى منصب شيخ البلد عام ١١٧٧هـ/ ١٧٦٣م، ثم بدأ يوطد نفوذه وينفرد بحكم مصر؛ فاستغل حروبها مع الروسيا عام ١١٨٣هـ/ ١٧٦٩م، وطرد الباشا العثماني، ومنع قدوم غيره، وتوقف عن إرسال الخزينة، وسك عملة فيها إشارة إلى اسمه مع اسم السلطان، وبدأ في إحياء حدود الدولة المملوكية، فتوسَّع في الحجاز، والشام، ولكن حركته فشلت نتيجة انحياز قائده محمد بك أبي الذهب إلى السلطان العثماني، فوقع القتال بين علي بك وأبي الذهب، فانتهى بانتصار الأخير وقبضه على الأوَّل، وسجنه إلى أن مات في سجنه ١٥ صفر ١١٨٧هـ/ ٨ مايو ١٧٧٣م، وقيل مات مسمومًا، ودُفِنَ عند الإمام الشافعي في القاهرة. محمد رفعت رمضان، **علي بك الكبير**، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٥٠، ص ١٨ وما بعدها.

(١) كذا في الأصل، والصواب: غشومًا.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: معتركًا.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: شاهرًا.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: ظاهرًا.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: بيانًا.

(٦) لم يَدَّعِ علي بك الكبير السلطنة لنفسه، ولم يتخذ هذا اللقب طوال الفترة التي انفرد بها بحكم مصر، وظَلَّ يستخدم لقب «قائمقام مصر»، حتى إنَّه ضرب عُملتين: فضية وذهبية، ووضع عليهما طغراء السلطان، وعلى الوجه الآخر وضع اسمه، وعبارة «ضُرِبَ في مِصْر». محمد رفعت رمضان، **علي بك الكبير**، ص ٦٠-٦٤، ١٦٥. ولعلَّ استخدام مؤرخنا ابن عبد الشكور لفظة: وقيل، تدل على عدم تثبته من الخبر المذكور.

(٧) **حملة الشام**: حينما استقرَّ حكم مصر في يد علي بك الكبير، سعى إلى ضم الشام، بدعوى عزل والي الشام عثمان باشا الصادق - الذي كان على خلاف معه منذ أنْ كان كل مِنْهما أميرًا للحج المصري والشامي عام ١١٧٧هـ/ ١٧٦٤م - فتحالف مع ظاهر العمر لإسقاط عدوهما المشترك، وأرسل حملة كبيرة بقيادة محمد بك أبو الذهب، والتي بدأت سيرها =

وهرب وما استقرَّ إلا بحلب.

ومَلَكَ إقليم الصعيد[1]، وقَتَل واليه أبو همّام[2]، وكان رجلًا عظيم القدر خاتمة الكرام، فاستله على أوقاف الحرمين، وكان سببًا لقطع الخيرات عن سُكَّان البلدين الشريفين، وانقطَعت بسببه جميع الأوقاف، الواصلة مِن تلك

= برًّا في شعبان ١١٨٤هـ/ ديسمبر ١٧٧٠م، فاستولت على الرملة، ونابلس، ويافا، وعندما وصل إلى عكا انضم إليه الصفديين، واتجها نحو دمشق فخرج إليه عثمان باشا بقواته، في السهول الواقعة جنوب دمشق، ووقعت المعركة التي انتهت بهزيمة عثمان باشا وفراره إلى حمص، ودخول أبي الذهب دمشق في ربيع الأول ١١٨٥هـ/ يونيو ١٧٧١م، ولكن لم يلبث أبو الذهب حتى عاد إلى مصر سريعًا - بعد أنْ سحب في طريق عودته جميع الحاميات التي كان قد أقامها في الشام - وبدأ يحارب سيده. محمد خليل المرادي، **سلك الدرر**، ١/ ٥٤-٥٦؛ عبود الصباغ، **الروض الزاهر في تاريخ ضاهر**، دراسة وتحقيق: أسامة محمد أبو نحل، مجلة الجامعة الإسلامية، مج ١٠، ع٢، غزة - فلسطين، ٢٠٠٢م، ص ٥٥ وما بعدها؛ محمد رفعت رمضان، **علي بك الكبير**، ص ١٦١-١٧١.

(١) **إقليم الصعيد**: الإقليم الجنوبي مِن مصر، وقد أدَّى هذا الإقليم دورًا مهمًّا في تاريخ مصر العثمانية، ولذلك سعى علي بيك إلى ضمّه إليه الذي كان يخضع لشيخ العرب همّام، فدخل في صراع معه حتى تمكَّن في نهايته مِن هزيمة الشيخ. للمزيد انظر: صلاح أحمد هريدي، **دور الصعيد في مصر العثمانية (٩٢٣-١٢١٣هـ/ ١٥١٧-١٧٩٨م)**، تقديم: عمر عبد العزيز عمر، دار المعارف، القاهرة، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، ص ٢٢٢ ٢٢٨.

(٢) **أبو همّام**: شيخ العرب همّام بن يوسف بن أحمد الهواري، عظيم الصعيد، ولد حوالي عام ١١٢١هـ/ ١٧٠٩م، بقرية فرشوط، بمحافظة قنا حاليًّا، وكان والده أحد الملتزمين، فورث عنه ذلك الالتزام، ثم بدأ في التوسع فيه، وبحلول عام ١١٨١هـ/ ١٧٦٧م تَمَّت له السيطرة على معظم أراضي الصعيد مِن المنيا إلى أسوان حاليًّا، وكَوَّن قوة عسكرية بلغت إلى خمسة وثلاثين ألف مقاتل، وصار على علاقة طيبة بالباب العالي في إستانبول، وقد أدَّى دورًا مهمًّا في تاريخ مصر في القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي، وفي ذروة مجده ظهر على مسرح الأحداث علي بك الكبير الذي كان على علاقة طيبة به، لكن ذلك الود لم يدم طويلاً، وسرعان ما تحوّل إلى عداء، فنشبت الحرب بينهما، وانتهت بهزيمة الأخير، وتشتّت قواته، فتقهقر إلى إسنا حيث مات مقهورًا في قرية قمولة في ٨ شعبان ١١٨٣هـ/ أوّل نوفمبر ١٧٦٩م. ليلى عبد اللطيف أحمد، **الصعيد في عهد شيخ العرب همام**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، د.ط، ١٩٨٧م، ص ١٠٢-١٤٨؛ صلاح هريدي، **دور الصعيد في مصر العثمانية**، ص ٢٢٦-٢٣٠.

الأطراف، وأفقر مِن جَوْره جميع التجار، القاطِنين بتلك الأقطار، وأضعف الألضاشات والإنقشارية، الذين هم مِن طَرف الدولة العليَّة، وقَوَّى شوْكة الغُزّ والصناجق، وأضعف أهل الشوْكات، واستبدّ بالأمر وحده في جميع الجهات.

وعلى كُلّ حال، فإنَّه ما رأى مالاً إلا مال عليه، ولا ذهبًا إلا أذْهبه، ولا فِضة إلا فضها، ولا ضَيْعة إلا أضَاعها، فهو منشأ الفساد، وبقية ما دَمَّر اللَّه تعالى مِن قوم عاد، وكان يُقَدِّم في القتال مملوكًا له يقال له: أبو الذهب[١] ما سلك طريقًا للخير ولا ذهب، وكان يقال: مِن فتن الدنيا وعجايبها[٢] مَن شَيَّد دولة لم تمت إلا بسيف صاحبها، إلا أبو الذهب فإنَّه هو الفاتك بسيده، والمتولي أمر قتله بيده، ولو لم يكن له مِن الذنوب التي لا تغفر، / ق٥٣/ والسيات[٣] التي لا تكفر، إلا إرسال الجردة بالأتراك لقتال بلد اللَّه تعالى الحرام، والجرأة على البلدة التي هي قبلة الأنام؛ لكفاه هذا الفجور والبهتان والزور.

ومِن بعد وصول الجردة إلى مكة إلى تمام أربعين عام[٤]، لم يحصل لمكة راحة ولا رقا لهم حال ولا استقام، كيف وقد نهبت بعض دورها نهبًا تام[٥]، واختلط الحلال والحرام، فعسى اللَّه تعالى بفضله أنْ يصلح الأحوال، ويبلغنا الآمال.

[فشل أمير الحج المصري في عزل الشريف مساعد]

عودًا إلى وصول الشريف عبد اللَّه بن حسين إلى مصر القاهرة، وما

---

(١) سبقت ترجمته.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: عجائبها.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: السيئات.
(٤) كذا في الأصل، والصواب: عامًا.
(٥) كذا في الأصل، والصواب: تامًا.

صار بسببه مِن الفتن الظاهرة، فإنَّه طلب مِن علي بيه[١] نجدة وإسعاف[٢]، ولم ينظر للعواقب وما يترتب مِن الفساد والتلاقي، فأسعفه بِمَا طلب، وقضى له الذي اختاره وأحب، فأكد على أمير الحاج المصري أنْ يسعفه على وفق مراده، ويجتهد في تَمْكِيْنَه بغاية اجتهاده، وحَرَّض جنوده وأجْلاَفه، على جلوسه بكرسي الشرافة.

ولمَّا سلك أمير الحج هذا المنهج، بلغت الأخبار صاحب الترجمة واحتساها، وقرأ سورة الواقعة قبل الشمس وضحاها، ولمَّا وصل الحج المصري إلى الوادي، تَوَجَّه إلى مكة وترك الشريف عبد اللَّه يجمع في البوادي، ويترقب رنَّة وقوع الحرب في ذلك النادي، فأناخ أمير الحج المصري بالزاهر ركايب[٣] السرى، وخرج له شمس الخلافة مِن أم القرى، فلبس مِنْه الخِلْعة السَّمُّور وترك قلوب الحواسد مِن الغيظ تكاد تمور، وحجت الناس على حسب المعتاد، ونالوا مِن اللَّه تعالى قبولاً وإسعاد[٤].

[مُساندة أمير الحج الشامي عثمان باشا للشريف مساعد]

وكان والي الشام في هذا العام عثمان باشا الصادق[٥]،

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: بيك.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: إسعافًا.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: ركائب.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: إسعادًا.

(٥) **عثمان باشا الصادق** (١١٧٤-١١٨٥هـ/ ١٧٦١-١٧٧١م): أحد مماليك أسعد باشا العظم والي الشام. أصله كرجي، ويلقب بالصادق، وقد كان متسلمًا في حماة في عهد سيده، ولما قُتِلَ سيده كافأته الدولة؛ لأنَّه دلَّهَا على أمواله، فقامت بتعيينه وزيرًا بثلاثة أطواخ، وقَوَّته بتعيين ولديه: محمد باشا على طرابلس، ودرويش باشا على صيدا، كي يستطيع مواجهة الشيخ ظاهر العمر، وقد ظَلَّ في ولاية الشام حتى أسقطته الحملة المصرية التي أرسلها علي بك الكبير، بقيادة محمد بك أبو الذهب، وتَمَكَّنَت مِن دخول دمشق دون مقاومة تذكر عام ١١٨٥هـ/ ١٧٧١م، ففرّ عثمان باشا على أثرها إلى حلب. صلاح الدين المنجد، **ولاة دمشق**، ص ٨٣-٨٤؛ عمر عبد العزيز عمر، **المشرق العربي**، ص ١٦٢؛ عبد الغني عماد، **السلطة في بلاد الشام في القرن الثامن عشر**، دار النفائس، بيروت، ط ١، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، ص ٧٤-٧٦.

مُحِب[1] لصاحب الترجمة وعلى أمره يوافق، فاتفق رأيهما على تقديم سفر الحج المصري، وإخراجه مِن مكة قبل أوانه، لما علموا مقصده مع الشريف عبد اللَّه بن حسين، والكتاب يقرأ مِن عنوانه، فأمروا عليه بالإخراج في اليوم الثامن عشر مِن ذي الحجة[2]، وحيث لم يعهد ذلك حصل اضْطراب وضَجَّة؛ فتَعَطَّلَت على الناس بعض أسبابها، وكان شروعًا في فساد الأمُور وخَرابها، وما أقام بمكة والي الشام بعده غير ثمانية أيام، ثم حث نجايب[3] عزمه وارتحل، بعد أنْ بلغ الجهد مع الشريف وبذل. هذا ما كان مِن أمر الأميرين/ ق٥٤/.

[حرابة بين الشريف مساعد والشريف عبد اللَّه البركاتي]

وأمَّا ما كان مِن أمر الشريف عبد اللَّه بن حسين، فَمِن حين ما بلغه إخراج الصنجق، زاد به الغيظ والحنق، فبذل المال واجتهد في جمع الرجال، ودق زير الحرب للإغارة وشن، واجتمعت عليه القبائل والأشراف ما عدا آل حسن.

وأمَّا صاحب الترجمة فقد جمع أضعاف ما معه، وفي دفتره مِن المراجل والعساكر نحو الخمسة آلاف مجتمعة؛ فأقبل مِن الوادي بالبوادي وبِمَن معه مِن السادة الحيادر، وخَيَّم بالجبال التي حول جوخي الزاهر؛ فخرج له صاحب الترجمة للقتال، بِمَن لديه مِن الأُسُود والأبطال، وما وجد لعساكره حصنًا مثل جبال المَعَابِدَة، وتلك الأماكن النادّة، فَمَكَّنَهم مِنْها غاية التَّمْكِين، وتحَصَّنُوا بها أعظم تحْصِين، ووضع فوق الجبل المطل على بستان المفتي مِن مِقْدار ألف مِن الرماة، يمْنَعون مَن يصل مِن شِعْب الْحَجُون[4] ويحمون حماه، حزمًا وتحسيبًا

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: مُحِبًّا.

(٢) ١٨ ذو الحجة ١١٨٢هـ/ ٢٤ أبريل ١٧٦٩م.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: نجائب.

(٤) **شِعْب الْحَجُون**: يقع بين جبل الحَجُون وقُعَيقَعان، ويصل بين وادي ذي طوى والأبطح، وتقع مقبرة أهل مكة القديمة بسفح جبل الحَجُون مما يلي الأبطح، والعامّة تقول: شِعْب الحجول لقرب مخرج الحرفين. انظر: عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ص ٤١٨- =

للأُمُور البعيدة، وما يفعله العدو مِن المكيدة بالآراء السديدة.

فلمَّا كان في صبيحة اليوم السابع والعشرين مِن ذي الحجة سنة١١٨٣ [١]، نفث الزمان المصدور في العام المذكور، فالتقى الجمعان بجبال المَعَابِدَة، وتلك القلال الشايدة[٢]، فوقع القتال على روس[٣] تلك الجبال، وحملت خيل آل بركات مِن كُلّ الجهات، وأقْبَل جانب مِنْها على ريع أذاخر[٤] إلى أنْ تعَدَّت سوق المَعَابِدَة[٥]، وما برحت مِن وقع الرصاص بين راكعة وساجدة، وأبقوا كمينًا حمل مِن شِعْب الْحَجُون، يقتفون أثر القوم، ولولا الرماة التي على الجبل المقابل للحجون، لعاموا في دمائهم عوم[٦]، والحازم في أمره يقتدي بالراي[٧] السديد ويكفيه، ولا يخشى مِن أمر فيقع فيه.

ولمَّا حملت الخيل مِن الْحَجُون، وباعت الأرواح في سوق المنون، تَقَدَّم لمبارزتها في الحال، فارس الخيل وبطل الأبطال، وجال معهم مجالاً يقرب الآجال، وصال عليهم بضرب النصال، وأسال الدماء مِن القوم بريد نية العسال، عنتر الزمان إنْ لزم الْمُرَّان[٨]، وأشجع الشجعان في حومة الميدان، صاحب المكارم الزايدة[٩]، والفايق[١٠] على مَعْن بن زائِدة[١١]،

= ٤٢٠، ١٤٢٨-١٤٢٩.

(١) ٢٧ ذو الحجة ١١٨٣هـ/ ٢٢ أبريل ١٧٧٠م.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: الشائدة.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: رءوس.

(٤) **ريع أذاخر**: الموضع الذي دخل منه النبي ﷺ عند فتح مكة، وهو الثنية التي تشرف على حائط خرمان، وحائط خرمان يعرف اليوم بالخرمانيَّة. عاتق البلادي، **معجم معام الحجاز**، ص ٨٢-٨٣.

(٥) **المَعَابِدَة**: حي مِن مكة، ويعرف بالأبطح. عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ص ١٦١٧.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: عومًا.

(٧) كذا في الأصل، والصواب: بالرأي.

(٨) **الْمُرَّان**: الرِّماحُ الصُّلبةُ اللَّدْنة.

(٩) كذا في الأصل، والصواب: الزائدة.

(١٠) كذا في الأصل، والصواب: الفائق.

(١١) **مَعْنُ بن زائِدة**: أبو الوليد مَعْن بن زائِدة بن عبد اللَّه بن مطر الشيباني، مِن القادة العرب =

فارس الخيل القايد[١] مثقال ذو الكرم المشهور، وسلحدار صاحب الترجمة المذكور، فكم له قبل هذه الواقعة سوابق شهدت له بالسوابق، فشعتر[٢] تلك الخيول وبعثرها، واستوفَت / ق ٥٥/ مِنْه آجالها ومُقَدَّرها، وكم ترك في المعركة أسيرًا وجريح[٣]، ومقنطرًا[٤] على جواده ذبيح[٥]. وكان لمثقال في ذلك اليوم اليد البيضا[٦]، كيف لا ومِن جُملة قتلاه فارس خيلهم، وشقيق مليكهم السيد الرضا[٧]، فإنَّه حمله مِن ظهر فرسه وهو مُدَرَّع، ورفعه على قايم[٨] زنده، ونكته عن درعه، ورماه بين يدي جنده، ثم طعنه طعنة بالقنا قَرَّبت أجله فدنا، غفر اللَّه تعالى لنا وله، وبلغه مِن الجَنة أمله، أعقب مِن الذكور ابنه السيد مستور[٩]، وجاور المَلك الغَفُور بين ولدان وحور.

= الشجعان، اشتهر بالكرم والجود، حتى ضرب به المثل، فقيل: «أجود مِن مَعْن». وهو أحد القادة الأمويين الذين قاتلوا العباسيين في العراق؛ ولمَّا صار الأمر إلى العباسيين هرب واختبأ مِنْهم، فبعث الخليفة أبو جعفر المنصور(١٣٦-١٥٨هـ/ ٧٥٤-٧٧٥م) مَنْ يبحث عنه فلم يجده، حتى ثار جماعة مِن أهل خراسان على المنصور؛ فتَقَدَّم مَعْن وقاتل بين يديه، وكان سببًا في النصر، فحفظها له المنصور، وأكرمه وجعله في خواصه وولاه على اليمن، ثم ولي سجستان، فأقام فيها مُدَّة، وابتنى دارًا، وقد مات مقتولاً في عام ١٥١هـ/ ٧٦٨م. شمس الدين الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ٧/ ٩٧-٩٩؛ خير الدين الزركلي، **الأعلام**، ٧/ ٢٧٣.

(١) كذا في الأصل، والصواب: القائد.

(٢) **شعتر**: كلمة عامية بمعنى فرّق.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: جريحًا.

(٤) **مقنطرًا**: أيّ مُقَوَّس، على شكل قوس. **المعجم الوسيط**، ص ٧٦٢.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: ذبيحًا.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: البيضاء.

(٧) **السيد الرضا**: رضا بن محمد بن يعلى بن حمزة بن موسى بن بركات النموي الحسني، وهو أخو أمير مكة الشريف عبد الكريم – الذي عناه مؤرخنا بقوله: «شقيق مليكهم» – وكان السيد رضا مِن ضمن آل بركات الخارجين على الشريف مساعد، فقتل في الموقعة المذكورة أعلاه، وأعقب: مستورًا، ومباركًا. أحمد زيني دحلان، **خلاصة الكلام**، ص ٢٠٠؛ أحمد ضياء العنقاوي، **موسوعة أعلام الأشراف**، ١/ ٣٤٢.

(٨) كذا في الأصل، والصواب: قائم.

(٩) كذا في الأصل، والصواب: مستورًا.

[هزيمة الشريف عبد اللَّه البركاتي وعودته إلى مصر]

ثم أسفرت هذه المعركة، والواقعة المتربكة، عن انكسارة السيد عبد اللَّه بن حسين، وغدا بِمَن معه أثـرًا بعد عَين، وحصل القتل في الجانبين، فتَوَجَّه إلى الوادي في سكناه، وطلب من صاحب الترجمة ذِمَّة فأعطاه، فمكث به ليالٍ وأيام(١)، ولم يطب له به مقام، ثم خشي وتَوَجَّه إلى خُلَيْص، خشية من وقوعه في حَيْص بَيْص، فما أَقَرَّ له به قَرار، وما دخلت في نظره تلْك الأقطار.

ولمَّا أنْ رأى أنَّ أمْواله ذَهَبَت، وضَاقت عليه الأرض بِمَا رَحبت، تَوَجَّه إلى مصر قاصِدًا عزيزها علي بيه(٢) الفاجر، الذي لا يُلْقى غير الشر لديه، فاتجه بالمذكور، وأخبره بِمَا قاساه مِن الشرور، فقال له: لا تثْرِيب عليك، وسأجْعَل الأمر إليك؛ فجَهَّز معه مملوكه محمد بيه(٣) أبا الذهب، ومعه صنجقين(٤)، لا أقرَّ اللَّه تعالى لهم عين(٥)، وجَهَّز لهم آلات الحرب مِن المدافع ثلاثين مدفعًا تامَّة العُدَد، ومِن العساكر ما يزِيْد على ثلاثة آلاف في العَدَد، ومعهم ما يَقْرُب [مِن](٦) ألف راس(٧) مِن الخيل بين مركوبة وجنايب(٨)، وجعل الذخاير(٩) والأثقال تباريهم في ثلاثة مراكب، ولم تزل تحاديهم في السير، وتباريهم مبارات الطير.

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: أيامًا.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: بيك.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: بيك.
(٤) كذا في الأصل، والصواب: صنجقان. وهذان الصنجقان هما: حسن بك شبكة، ومصطفى بك، وسيذكرهما مؤرخنا لاحقًا، وسوف أذكر ترجمتهما في موضعهما. عبد الرحمن الجبرتي، **عجائب الآثار**، ١/ ٥٥٠.
(٥) كذا في الأصل، والصواب: عينًا.
(٦) أضيفت حتى يستقيم النص.
(٧) كذا في الأصل، والصواب: رأس.
(٨) كذا في الأصل، والصواب: جنائب. وهي الخيل التي تسير بدون راكب أو حمولة، لكي تكون مستريحة، وتحت الطلب عند احتياجها للقتال.
(٩) كذا في الأصل، والصواب: الذخائر.

[وفاة الشريف مساعد]

وقد أكد عليهم أنْ يُمَكِّنُوا الشريف عبد اللَّه مِن سيادته، ويخْرِجُوا صاحب الترجمة مِن دار سعادته، فقَدَّر اللَّه - سبحانه وتعالى - أنْ لا يتم قَوْله، ولا يجعل له عليه صَوْلة؛ فحصل له توعّك مِن يوم خروجهم مِن مِصْر قبل وصول الخبر، واستطال معه مقدار شهر، فغَرَّدَت أطيار المَنِيَّة على أغصان دوحته، و[سجع][1] العندليب على ضريحه في غدوته وروحته، وذوى غصنه الرطيب وذبل، واقتطعت زهرة عمره يد الأجل، ففاز بلقاء مولاه الكريم، واشتاقت / ق٥٦/ رُوحه لجنات النعيم، فجاور ربّه واختار قُربه، زهدًا في دار الفنا[2]، ونال مِن القرب غاية المنى، وغدا ضيف أكرم الأكرمين، فبشراه بالحُور العين.

وكانت وفاته يوم الأربعاء، لثلاث ليالٍ بقين مِن شهر محرم الحرام[3]، عام أربعة وثمانين بعد المماية[4] والألف مِن هجرة مَن له العز والشرف سنة ١١٨٤.

وكانت مُدَّة ولايته، واسترعاء الناس برعايته، تسع عشرة سنة إلا ثلاثة أشهر.

[ذرية الشريف مساعد]

أعقب مِن الأولاد النجباء الذكور ابنه الشريف سرور[5]، والسيد مسعود[6]،

---

(١) وردت في الأصل (شجع)، والتصويب من النسخة (ب)، ورقة ٣٩.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: الفناء.
(٣) ٢٧ محرم ١١٨٤هـ/ ٢٢ مايو ١٧٧٠م.
(٤) كذا في الأصل، والصواب: المائة.
(٥) **سرور بن مساعد**: سوف يتولى شرافة مكة المكرمة في الفترة (١١٨٦-١٢٠٢هـ/ ١٧٧٣-١٧٨٨م). وستأتي ترجمته بالتفصيل.
(٦) **مسعود بن مساعد**: توفي في مكة المكرمة في ١٢ ربيع الأوَّل ١١٩٢هـ/ ٩ إبريل ١٧٧٨م.

والسيد عبد العزيز[١]، والشريف عبد المعين[٢]، والشريف غالب[٣]، والسيد محمد، والسيد لؤي[٤]، فلله در هؤلاء العصابة الهواشم الفواطم، أُسُود الغابة، ودُفِنَ بقبة أبي طالب[٥] مع أجداده الكرام، ونال رحمة الملك العلاَّم، وقد عقد لأخيه البيعة مِن بعده، وجعله ولي عهده.



(١) **عبد العزيز بن مساعد**: كان أحد القادة العسكريين في عهد أخيه الشريف غالب، قام بحملة على عالية نجد عام ١٢٠٥هـ/ ١٧٩١م، لمحاربة الوهابيين، ثم تبعه الشريف غالب، ولكن الحملة لم تؤدِ النجاح المطلوب، كما سيأتي ذكره. توفي في مكة المكرمة في ٢٢ جمادى الأولى ١٢١١هـ/ ٢٢ نوفمبر ١٧٩٦م، ودُفِنَ في قبة السيدة خديجة بالمَعْلَاة، لم يعلم له عقب. أحمد زيني دحلان، **خلاصة الكلام**، ص ٢٢٧، ٢٦١-٢٦٢، ٢٦٦؛ أحمد ضياء العنقاوي، **أعلام الأشراف**، ٢/ ١٢٤-١٢٥.

(٢) **الشريف عبد المعين**: تولى شرافة مكة المكرمة بضعة أيام بعد وفاة أخيه الشريف سرور ١٨ ربيع الآخر ١٢٠٢هـ/ ٢٦ يناير ١٧٨٨م، ثم تنازل عنها لأخيه الشريف غالب، وعمل وكيلاً له على الطائف، وقد شارك في قتال الوهابيين في معارك عدة في الفترة بين عامي ١٢٠٥-١٢٢٠هـ/ ١٧٩١-١٨٠٥م، وحينما سيطر الوهابيون [السعوديون] على مكة المكرمة عام ١٢١٨هـ/ ١٨٠٣م، عيَّنه الأمير سعود على شرافتها، ثم تنازل عنها مرة أخرى لأخيه الشريف غالب، عندما عاد الأخير من جدة إلى مكة، بعد خروج الأمير سعود مِنْها، وسوف ترد أخباره تفصيلية لاحقًا. أحمد زيني دحلان، **خلاصة الكلام**، ٢٢٥، ٢٦٤، ٢٦، ٢٧٢، ٢٧٩؛ خليل مردم بك، **أعيان القرن الثالث عشر**، لجنة التراث العربي، بيروت، ط١، ١٩٧١م، ص ١٢٦-١٢٧؛ إسماعيل حقي جارشلي، **أشراف مكة**، ص ١٩٢-١٩٣.

(٣) **غالب بن مساعد**: سوف يتولى شرافة مكة المكرمة في الفترة (١٢٠٢- ١٢٢٨هـ/ ١٧٨٨- ١٨١٣م)، وستأتي ترجمته بالتفصيل.

(٤) **لؤي بن مساعد**: توفي في ١٠ ذي القعدة ١٢١٣هـ/ ١٤ إبريل ١٧٩٩م، لم يعقب سوى ابنته سفينة التي أوقفت دارها في منطقة القرارة - شمالي مكة المكرمة - على الفقراء والمسجد الحرام عام ١٢٣٢هـ/ ١٨١٧م. أحمد ضياء العنقاوي، **أعلام الأشراف**، ٢/ ٣٨١-٣٨٢.

(٥) **قبة أبي طالب**: قبة كبيرة أقيمت فوق قبر الشريف أبي طالب بن حسن بن أبي نمي الذي تولى شرافة مكة المكرمة (١٠٠٩-١٠١٢هـ/ ١٦٠١- ١٦٠٤م)، وكان قبره يزار، وينذر له النذور، واتخذ بعض الأشراف قبته للدفن فيها، انظر: علي بن تاج الدين السنجاري، **منائح الكرم**، ٣/ ٥٠٥-٥٢٤؛ أحمد العنقاوي، **موسوعة أعلام الأشراف**، ١/ ٤٠-٤١؛ سامح إبراهيم عبد العزيز، **الظواهر الطبيعية والآثار في مكة**، ص ٢٤٠.

[عهد الشريف عبد الله بن سعيد]

هذه ترجمة مولانا الشريف عبد اللَّه بن الشريف سعيد ابن الشريف سعد بن زيد بن محمد بن حسن.

ولي شرافة مكة بعد أخيه، وبعد أنْ تَمَّت له الْمُبَايعة تركها لتراخيه، ومع هذا نُودِي باسمه في شعور البلاد، وازدهى ناديه على سفح أجْياد، وألْبَسه قاضي الشرع الشريف الخِلْعة السَّمُّور، على مقتضى سلفه المبرور.

فما مكث إلا كلمحة شارق أو لمعة بارق، حتى طلع عليه أخوه الشريف أحمد بن سعيد لابِسًا ثوب النمر، وصاح عليه صيحة كاد القلب مِنْها ينفطر، فأبرق عليه وأرْعَد، وأوْعَد وتهَدَّد، وقال: أنا لها أنا لها، حتى تَمَّت له ونالها، فتَمَّ الأمر بيْنه وبين أخيه، على مَقَرَّرات يواسيه بها ويواخيه، وترك له مُنَافسة المملكة والمفاخرة، وتَوَجَّه لأمُور الآخِرة.

وعاش بعد ذلك ست سنوات، ثم عاده هادم اللذات، فنال مِن قرب مولاه أَسْنى المراتب، ودُفِنَ على أجداده بقبة أبي طالب. وأعقب مِن أبنائه الأماجد الأخاير السيد فهيد، والسيد محمد عامر، والسيد علي، والسيد عبد العزيز، والسيد دخيل اللَّه، والسيد مساعد، وفضل الجميع في الناس مشاهد.

□ □ □

[عهد الشريف أحمد بن سعيد]

[نسبه وولايته الشرافة]

هذه ترجمة مولانا الشريف أحمد بن الشريف سعيد بن سعد بن زيد بن محسن بن حسن، كان هُمَامًا شجاعًا فتاك[1]، كريم السجايا لا تعرف / ق٥٧/ رَاحَته الإمساك، عربي الطباع لا يعرف الغدر والخداع، مَناقبه ظهرت في غُرَّة الزمان بهجة، وقامت لِمَن قال كم ترك الأوَّل للآخر بالحجة، له فضائل لا تُحْصى، ومناقب لا تُسْتقصى، أفعاله حميدة، وأقواله سديدة، فاستقرّ على سريره، وساس الأمر بحسن رأيه وتدبيره، استراحت الناس في أيام دولته، وشَيَّد الأمر بقوة صولته، استقامت له الأحوال، وهبَّت على وِفْق مراده الجنوب والشمال.

[قصيدة تتنبأ بظهور السلفيين]

وأمَّا الحوادث الواقعة في أيامه؛ ظهر في أيام مُدَّته مِن الحوادث والأمر الذي يرويه وارث عن وارث، نجم في السماء ذو شعاع وله ذنب ما روته المورخون[2]، ولا رأته العرب، يطلع بعد المغرب، ولا يغرب إلا بعد الصبح، وطُوله في الحقيقة يزيد على رمح، وهو آية عُظمى أظهرها اللَّه تعالى في السماء، وكان ظهوره في أوائل صفر[3]، فمكث أيامًا هكذا ثم مرَّ، إلا أنَّ الناس أكثرت فيه الأقاويل، والقال والقيل، وأجمعوا على أنَّه عنوان أمر

(١) كذا في الأصل، والصواب: فتاكًا.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: المؤرخون.
(٣) صفر ١١٨٤هـ/ ٢٦ مايو - ٢٣ يونيو ١٧٧٠م.

يرويه جيل بعد جيل.

وقد شاهدت طلوعه عيانًا، وعلمت أنَّه لبعض الحوادث عنوانٌ، ثم بعد مُدَّة ظهرت للعلامة الفاسي قصيدة تؤذن أنَّ بعد ظهوره تبدو أُمور غير حميدة، والقصيدة بائية علامة في ظهور الطايفة[1] الوهابية، قال:

إِذَا لاَحَ نَجْمٌ مِن الْمَشْرِقَين
كَثِير الشُّعَاع طَوِيْل الذّنب
إِذَا مَا بَدَا فَاحْسِبُوا بعده
ثَلاَثين عَامًا تَرَوْنَ العَجَب
خَوَارج تَخْرج مِن مَشْرق
تَدُوس الْبِلاَد بِكَثر الْعَصب
يَكُون لِقَوم حُروب كَثِير
وَتَلْقَى العَشَائر أَقْصَى التَّعب
وَيَبْدُو شُرُور يَعُم البِلاَد
إِلَى أنْ توالِي الثّلاث الْحِقب
ويقمع صنعاء وأربابَها
وَمَنْ حَلّ مِنْ حَوْلِهَا وَاقْتَرب / ق٥٨/
برابعة بَعْدَ تِلْك الثَّلاَث
يَأْكل زبيب وَتَمْر وَحَب
وَفِي الْخَمِيس يَنْبَعث الْمَشْرِقي
يبدي الْبِلاَد بِكَثر الْعَصب
إِذَا مَا تقارنت زَهْرتان

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: الطائفة.

لأَوَّل شَوَّال رَأَيت العَجَب

وزَادَ عطارد فِي سَيْره
عَلَى الْمُشْتري طَالِعًا وَالْتَهب

فَذَاك دَلِيْل يَكُون الْكسُوف
لآخِر جُمَادَى وَأَوَّل رَجَب

إِذَا انْكَسَف الشَّمْس عِنْد الْغروب
صَحِيْح الرِّوَايَة لأَهْل الأَدَب

بِعُسْر وَخَوف وغَيْث قَلِيْلِ
يَقُول الْمجرب فِيْهَا حَسب

يقيمُونَ فِي الذّل دَهْرًا قَلِيْلاً
وَتفنى الذَّخَائر وَالْمُكْتَسب

وَفِي السِّت يَظْهر سَبط الرَّسُول
كَرِيم المَنَاقِب محط العَرَب

يسبيد الفَسَاد وَأَرْبَابه
وَيذهب فِي الخَيْر مَع مَن ذَهَب

وَتَنْقلب النَّاس نَحْو السّراة
يَجيشوا إِلَيْهَا جَمِيْع العَرَب

وَيَأْتِيك عَامٌ بِه عَوضة
لِمَنْ عَاش مِنْ بَعْد مَا قَدْ ذَهَب

وَفِي السَّبْع يَظْهر دَاعِي الهُدَى
أَعَزّ البريَّة أُمًّا وَأَب

يُصفي البِلاَد وَيُحيي الْعِبَاد
وَيَحْكم فِيْهَا بِمَا قَدْ وَجَب

فَطُوبَى لِمَنْ شَاب فِي وَقْته
وَطُوبَى لِمَنْ هُو طِفْل يُرَبْ

فَخذها برسم امرئٍ عَالِم
نَبيهٍ بَصِيْر بِمَا قَدْ كَتب

فَإِنْ قِيْل فِيْما قاله كاذب
أَلاَ لَعْنَة اللَّه عَلَى مَنْ كَذَب

وأراد بذلك أنَّ الطايفة(١) الوهابية تدخل مكة بعد ثلاثين عامًا بهذه العصبية، وذكر هذا النجم العلامة البغدادي في لاميته، وأنَّه له دار متحقّق بأنَّه عنوان ظهور أهل المشرق، فقال:

وَيَبْدُو فِي السَّمَا نَجْم طَوِيْل
لَهُ ذنب وَذو شعر طُوال

فَتِلْك دَلاَئِل التَّمَري
يَبْدُو الْغوايَة وَالضَّلاَل

واللاَّمية طويلة الأرْدان، ذكر فيها أغلب ما سيقع في البلدان، وعَدَد التَّمَريّ والمشرقي(٢) يتفقان في الحساب بغير شك ولا ارتياب.

[قدوم الجردة المصرية إلى الحجاز بقيادة محمد بيك أبو الذهب]

ومِن الحوادث التي ظهرت في أيام صاحب الترجمة، والأمُور التي في الغيب مُنَجَّمَة، وصل إلى يمبع(٣) الجردة بالعساكر المصريَّة(٤)؛ لقتال المرحوم

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: الطائفة.
(٢) يقصد الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدي.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: ينبع.
(٤) انظر أحداث هذه الحملة في: محمد رفعت رمضان، **علي بك الكبير**، ص ١٣٢- ١٤٠؛ عبد الرحمن الجبرتي، **عجائب الآثار**، ١/ ٥٤٩-٥٥٠؛
Abdulrahman Alorabi, The Ottoman policy in the Hejaz in the eighteenth century: A study of political and administrative developments, 1143-1202 =

الشريف مساعد شريف مكة المحميَّة، وكان أميرها أبا الذهب محمد بيه[١] - لا أحسن اللَّه تعالى إليه - ومعه صنجقان، وجملة مِن الكشاف مشمولين[٢] مِن مُرْسلهم بغاية القوة والإسعاف، ومعه مِن خيل الغُزّ / ق٥٩/ نحو ثمان مائة خيال، مجدين في ضرب المثقف والنصال، فأناخ ثلاثة أيام بساحل يمبع[٣]، وما[٤] الشّر في صفحات وجوههم تنبع .

[استيلاء الجردة على ميناء ينبع]

وكان وزيرها درويش أغا بيت المال، أسد البيدا[٥] في يوم القتال، وما زال القتال قايم[٦] بينهم في هذه الثلاثة أيام، ولم يبلغ مِنْها مرام[٧]، فلمَّا أعجزه الحال، وخابت مِنْه الآمال، قصرت مطايا عزمه عن وخزها، وعجز عن أخذها، فحينئذ شرع في تَدْبِير الحِيلة، وجعل نصَّار بن عطية لذلك وسيلة، فدخل على العسكر بالمطامع، وملكها بالخيانة في اليوم الرابع، ورضيوا[٨] العسكر بارتكاب الخيانة، وضاعت المروة[٩] والأمانة، وعندما لاح لهم الذهب نسوا ذِمَّة العرب، فَمَلَكَ يمبع[١٠] ونهبها بهذه الحيلة والتدبير، وصال عليها حتى قتل الوزير[١١]، ثم ضَمَّ هذا العسكر إلى عسكره، وقرَّر

= A.H./1731-1788 A.D, Ph.d, The University of Utah,1988, p.p.89 -101.

(١) كذا في الأصل، والصواب: بيك.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: مشمولون.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: ينبع.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: ماء.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: البيداء.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: قائمًا.

(٧) كذا في الأصل، والصواب: مرامًا.

(٨) كذا في الأصل، والصواب: ورَضِي.

(٩) كذا في الأصل، والصواب: المرؤة.

(١٠) كذا في الأصل، والصواب: ينبع.

(١١) يؤرخ الجبرتي تلك الواقعة بقوله: «وفي ثاني عشري ربيع الأول [١٦ يولية ١٧٧٠م]، وردت الأخبار مِن الأقطار الحجازية بوقوع حرابة عظيمة بين المصريين وعرب الينبع، وخلافهم من قبائل العُربان والأشراف، ووقعت الهزيمة على المذكورين، وانتصر عليهم =

لهم مُقرَّرات في دفتره، ثم أجَدَّ السرى، وأقْبَل على أم القرى؛ ولمَّا وصل إلى رابغ أخرج مِن المراكب آلات القتال، وما أعَدَّه للحرب مِن الأثقال، فقابله الشريف عبد اللَّه بن حسين بِمَا جمعه مِن آل بركات، وما زال يجمع له كُلّ مَن أطاع مِن أهل تلك الجهات.

وفي هذه الأثنا[1] شاع بمكة وصول الجردة، وصاحب الترجمة راقِدٌ على سرير الغفلة أيّ رقدة، لم ينتبه مِن هذه الغفلة حتى تَمَّت الفعلة، إلا أنَّه أبذل الهمَّة في إرسال حريم آل زيد إلى الطايف[2]، وأقام بمعسكره على التوكل واقف[3]، والناس بين مُصَدّق ومُكَذّب، ومُهَوِّن ومُصَعب.

ولمَّا ظهر الأمر واتضح مثل الشمس في رابعة النهار، وصَحَا الجو ولم يبقَ على المسألة غبار، أرسل يجمع مِن البوادي عربيات الدار، وهو صفر اليدين خلي مِن الدرهم والدينار، فاجتمع له النزر القليل مِن العرب، وظهر للناس أنَّ نجمه مِن الشرافة غرب، فلم يعطِ العُربان شيا[4] لقلة ما في يده، وتحقَّق أنَّ الدهر غير مسعده، فتفَرَّقُوا عنه شذر مذر، وبهذا جرى القضاء والقدر، ولم يبقَ معه العُربان إلاَّ شرذمة مِن هُذَيْل[5]، لا قوة لهم على القتال ولا حيل.

= المصريون، وقتل وزير الينبع المتولى من طرف شريف مكة، وقتل معه خلائق كثيرة». عبد الرحمن الجبرتي، **عجائب الآثار**، ١/ ٥٥٠.

(١) كذا في الأصل، والصواب: الأثناء.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: واقفًا.

(٤) كذافي الأصل والصواب: شيئًا.

(٥) **هُذَيْل**: إحدى القبائل العربية الكبرى تسكن الحجاز، واحدهم هُذَلي، ينقسمون إلى هذيل الشام (الشمال)، وهُذيل اليمن (الجنوب)، ويسكنون حول مكة، وفي تهامة، وغرب سراة الطائف وما انحدر من أوديتها صوب البحر الأحمر. ويحدها مِن الشمال قبيلة قُرَيْش، ومِن الجنوب قبيلة كِنَانَة، ومِن الشرق قبيلة بني سفيان ثقيف في شفا الطائف، ومِن الغرب قبيلة خُزَاعَة. محمد سليمان الطيب، **موسوعة القبائل العربية: بحوث ميدانية تاريخية**، مج ٥، دار الفكر العربي، القاهرة، ط٢، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، ص ٤٣٧-٤٤١؛ ماكس أوبنهايم، **البدو**، ٢/ ٥٥٧-٥٥٩.

[الجردة تستولي على مكة المكرمة]

وفي اليوم الرابع عشر مِن ربيع الأوَّل سنة ١١٨٤ [١]، وصلت الجردة إلى الوادي بكل مُعْتَد عَادٍ، فأرسل صاحب الترجمة مِن أعيان أهل البلاد، والسلالة والأمجاد، المفتي علي بن عبد القادر[٢] مفتي الأحناف، والسيد عبد اللَّه بن أحمد الفِعْر؛ لكشف هذا الأمر المهم الخطر، فأناخوا على / ق٦٠/ أبي الذهب بوادي مَرّ، وجالوا معه بِمَا حلا مِن القول، فأجابهم بِمَا مَرَّ، وهو لا يرضى معهم إلا بجلوس الشريف عبد اللَّه بن حسين، وبحلوله في منزلة القلب والعين، ومع هذا فإنَّه أعاقهم عن الوصول لمرسلهم بالجواب، ومنعهم عنده عن مشافهة الخطاب، فما وسعهم إلا أنَّهم أرسلوا له خادمًا، يخبره عن أمر هذا العنيد، على أنَّهم حسْبما شاهد، والأمر مِنْه لا يفيد.

[الشريف أحمد يحصل على الأمان ويذهب إلى الطائف]

وفي اليوم السادس عشر مِن ربيع الأوَّل[٣] وصلت الجردة إلى مكة وأناخ أبو الذهب بجوخي الزاهر بكل عنيد فاجر، فرتب العسكر وانطوى على ما عليه انطوى، وصف المدافع تجاه بئر طُوَى، فلمَّا أناخ بهذا الموضع الذي أناخ، وظهر للخاص والعام أنَّه على صاحب الترجمة شاخ، خرج له الشريف

---

(١) ١٤ ربيع الأول ١١٨٤هـ/ ٨ يوليو ١٧٧٠م.

(٢) **علي بن عبد القادر**: علي بن عبد القادر بن أبي بكر بن عبد القادر البكري الصديقي، الحنفي المكي، مفتي السادة الحنفية بمكة المكرمة، ينحدر مِن أسرة تولَّت الإفتاء في مكة لفترة طويلة، حيث كان والده مفتيًا، وأخوه يحيى مفتيًا قبله، وابن أخيه عبد القادر بن يحيى مفتيًا مِن بعده أيضًا، وقد تولَّى هو الإفتاء لفترة تزيد على الأربعين عامًا، وعندما جاءت الحملة المصرية بقيادة محمد بك أبي الذهب عام ١١٨٤هـ/ ١٧٧٠م، قام أبو الذهب بسجن المفتي مُكَبِّلاً إياه بالأغلال، ولم يطلق سراحه إلا بعد أنْ أخذ مِنْه عشرين ألف ريال. مات في مكة في شهر صفر ١١٨٧هـ/ مايو ١٧٧٣م، ودُفِنَ بمقبرة المَعْلَاة. أحمد القطان، **تنزيل الرحمات**، ٢/ ٢٩٩؛ أحمد زيني دحلان، **خلاصة الكلام**، ص ٢٠٩؛ عبد اللَّه الغازي، **نظم الدرر**، ٢٧٦-٢٨١، ٣٠٠-٣٠١، ٣٢١-٣٢٢.

(٣) ١٦ ربيع الأول ١١٨٤هـ/ ٩ يوليو ١٧٧٠م.

أحمد بعساكره ورجاله، وما بقي مِن المملكة شيء في آماله، فلم يتجاوز المصانع التي في الريع، وهو للقضاء مُسَلِّم ومُطِيع، فعند ذلك جال بنظره الألمعي، وتَفَرّس تَفَرُّس اللوذعي، فظهر له أنَّ الحزم قد فات، وأنَّ لتأخير الشيء عن وقته آفات، فما وسعه إلا أنَّه أودع عند السيد حامد بن حسين(١) أحرافه وأطرافه، على قانون أسلافه مَعْدِن الشرافة، وطلب مِنْه الأمان وأخلى له الديار وبان، فدخل مكة وهو واقف وتَوَجَّه مِنْها إلى العَابِدِيَّة، ثم إلى الطايف(٢)، فأقام بها يومًا واحدًا، ثم نفر، وفي هذا عبْرة لِمَن اعتبر. وفي يوم الجمعة ١٨ ربيع الأول(٣)، دخل أبو الذهب إلى مكة وملأت جنوده كُلّ ناحية وسكة، ونزل بدار المُلك ذوي السيادة، وبيت العزّ ودار السعادة.

وكانت مُدَّة الشريف أحمد بن الشريف سعيد خمسين يومًا ما تزيد.

[ولاية الشريف عبد اللّٰه البركاتي]

وجلس يومها على كرسي الشرافة، الهُمام الذي امتطى هام السر وأنافه، مولانا الشريف الغضنفر الغطريف، فخر السادة الهاشميَّة، ونبراس القادة النمويَّة، الهُمام الماجد، والحريص على اقتناص المحامد، الذي أضاء جبينه بأنوار الوقار، وأشرق محيّاه والفخار، منبع الجود والكرم، ومضجع القاصد إذا أمَّ، مولانا الشريف عبْد اللّٰه بن الشريف حسين ابن الشريف يحيى بن الشريف بركات بن الشريف محمد بن الشريف إبراهيم بن الشريف بركات بن الشريف أبي

---

(١) **حامد بن حسين**: حامد بن حسين بن يحيى البركاتي، كان مِن كبار الأشراف ومشاهيرهم في زمنه، وقد استودعه الشريف أحمد بن سعيد على بيته، حينما تولّى أخوه الشريف عبد اللّٰه بن حسين إمارة مكة المكرمة في ربيع الأول ١١٨٤هـ/ يوليو ١٨٧٠م، كما قام بقيادة قوة عسكرية تَوَجَّهت لقتال الشريف أحمد بن سعيد في الطائف، ولكن الأخير كان قد فرَّ مِن موضعه، فلم تقع الحرب بينهما، وبعد نجاح الشريف أحمد في استرداد شرافة مكة، تَوَجَّه السيد حامد بعدها إلى مصر وأقام بها، وقد توفي أواخر القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي. أحمد ضياء العنقاوي، **أعلام الأشراف**، ١/ ٢٠٥-٢٠٦.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.

(٣) ١٨ ربيع الأول ١١٨٤هـ/ ١٢ يولية ١٧٧٠م.

نمي، دامت معاليه، وأشرقت أيامه ولياليه، / ق٦١/ تقَلَّد في يومها بشرافة مكة المشرفة، ورفل في حلل مفاخرها المنوفة، وخرج مُناديه في شوارعها باسمه، ورسمت المراسيم برسمه، فبسط بساط الإنصاف بين رعاياه، وسار سيرة حسنة تشهد بفضله ومزاياه، وسكن بدار آبائه الكرام المُسَمَّاة دار الهنا[1]، ومِن أفق معاليها أضاء له السّنا، فألبس أرباب مناصبه وأوردهم مِن عذب مناهله، ولم يُقَدّم أجْنَبِيًّا على أتباعه وأتباع أوائله، وهذا مِمَا يشهد له بالوفاء وحسن الشيم، كيف لا وهو مِن أهل بيت الجود والكرم.

❑ ❑ ❑

---

(١) **دار الهنا**: تقع جنوبي دار السعادة، كانت لثقَبة بن أبي نُمَي الثاني، وكان يَسْكنها الأشراف آل بركات. عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ص ٦٠٣.

في ذكر الحوادث الواقعة في أيَّامه وما وقع في مُدَّة أحكامه

اتفق أنَّه مات في أيامه السيد أحمد بن السيد علي طبيلة، أحد أعيان تجار بَنْدَر جدة، وكان صاحب أموال وعقار ومراكب عدة، فجاه[1] عثمان البوشي، وهو بيت المال، بنقد جزيل المال، وقال له: قد مات أحد أعيان التجار، وأخذنا مِن ماله هذا المقدار، فزجره عن أخذ شيء مِن أمواله، وقال: كيف نأخذها مع أهله وأطفاله أمَا سمعت قول رب العزة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا ١٠﴾[2]، فأمره أنْ يُعيده إلى أهله بعد أنْ لَامَه على قبيح فِعْله.

ومِمَّا اتفق له أنَّه كان راكبًا ذات يوم، فطعنه رجل مِن الدراويش المساكين، في فخذه الأيمن بسكين، وكان هذا الدرويش مُصْطَلم[3] غايب[4] عن الوجود، يعتقد الناس فيه خيرًا، وله مراقبات وشهود؛ فأراد قتله لوقته جميعُ الخدم، ولمَّا تحقَّق حالَه، سمح عنه عفةً وكرم[5]، وحسبت له مِن جملة المحاسن والشيم، وعلى كُلّ حال، فالشريف المذكور عربي الطباع، وله فضل في البرية قد شاع.

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: جاءه.

(٢) القرآن الكريم، **سورة النساء**، آية رقم ١٠.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: مُصْطلمًا، وهو مِن المصطلحات التي يستخدمها الصوفية، وتأتي من الاصطلام، وهو الوَلَه الغَالب على القلب؛ وهو قريب مِن الهيمان، فيكون المُصْطلم مأخوذًا عن إحساسه بالكلية. رفيق العجم، **موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي**، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، ص ٦٦-٦٧.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: غائبًا.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: كرمًا.

[مظالم محمد بيك أبو الذهب في مكة]

عودًا إلى ذكر الجردة وما أفسده أبو الذهب، وما صنع مِن القبايح[1] التي تترك وتتجنب، فَمِن جملة ما صنع مِن الجَوْر والإجحاف، سجنه لمفتي مكة علي بن عبد القادر الصّديقي مفتي الأحناف، ولم يُخَلِّصَه مِن السجن حين وضعه في السلاسل والأغلال، إلا بعد أنْ أخذ مِنْه عشرين ألف ريال. ومِن جملة ما فعله أبو الذهب مِن عدم الاحترام وقلّة الأدب، بَلَّص[2] التجار وأخذ مِنْهم مالًا كثير المقدار، ولم يترك ذا ثروة مِن سكان الحرم سوا[3] كان مِن العرب / ق٦٢/ أو مِن العجم، ومِن قبيح فِعْله، وقلّة عَقله وغَفله بعد أنْ نَهَبَ دار الشريف مساعد التي كانت على سفح أجياد، وكانت تُعَدُّ مِن جملة الأبنية الجياد، فأحرقها بالنار ولا فايدة[4] هذا الجبار في كَوْنِه أعفى هذه الآثار، ثم أمر بإخراج مَن بقي مِن آل زيد مِن مكة، وشَتَّتَهم في كُلّ ناحِية وسكة. ومِن جملة فعلته الذمِيْمَة، وطريقته الغير مستقيمة، أنَّه مَال على أهل المال جَوْرًا وشقاق[5]، وأخذ مِن أموالهم شيا[6] لا يُطَاق.

[حريق دار السعادة]

وأمَّا ما نُسِبَ إليه مِن إحراقه لدار السعادة، ومقرّ الملوك ذوي السِّيادة، فإنَّها حُرِقَت بغير إرادته، والحقير تحقّق عن هذا المقدار عن مُشاهدته، والدليل على إحراقها خلف هواه، وأنَّها على مراد اللَّه؛ كَوْنِه ساكنًا فيها بماله وحاله، واحترق في النار بعض مماليكه، وكثير مِن ماله، حتى صاروا يخرجون أدَبْاشه بأعظم مشقّة مِن النار وهي تضَرَّم، ويجمعون بعضها على بعض في أروقة الحرم، ومع هذا نُهِبَ له فيها كثير مِن الأمتعة، وغالت يد الضياع كثيرًا

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: قبائح.

(٢) بَلَّصَ: بَلَصَهُ مِن المال؛ لم يترك له مِنْه شيئاً. **المعجم الوسيط**، ص ٦٩.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: سواء.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: فائدة.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: شقاقًا.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: شيئًا.

مِمَّا جمعه، وبعض الأماكن حالت النار بينهم وبين ما فيها، فكأنَّها القدور على أشافيها، وهذا قد شاهدته عِيانًا بحسْب الظاهر، واللَّه يتولى السَّراير[(١)].

ثم اعْلَمْ أنَّ في مُدَّة إقامتهم بهذا البلد، لم يَسْلم مِن أذيتهم أحد، والأتراك لم تزل تجُور على الناس في الأسواق، وتُرْكِبَهُم المجاهم والأمُور المشاق، وما بَرحوا يركبون جَواد التجَبُّر في بلد الجَبَّار، ولم يجْعلوا لهذا الحَرَم حُرْمَةً ولا مِقْدار[(٢)]، ومِن المشهور أنَّ مَن تجَبَّر على عباد اللَّه تعالى قصمه اللَّه، وكيف بالإساءة على البساط فإنَّها أعظم شطاط، فالعاقل يحتاط ويذكر زلة القدم عند مجاوزة الصراط، مع أنَّ حَرَم اللَّه تعالى مُحْتَرَمٌ في الجاهلية والإسلام، والجاير[(٣)] على أهله فيه يكون عِبْرةً لجميع الأنام.

[حرابة الشريف أحمد مع الجردة المصرية]

العَوْد أحمد إلى أوَّل سياق ما تقَدَّم مِن هذه القصة، وما صار على الشريف أحمد ومِنْه تجَرَّع هذه الغصة؛ فإنَّ الشريف أحمد بن سعيد لمَّا خرج مِن مكة بطلب الأمان، وصان أعراض المسلمين مِن فُجُور الأتراك / ق٦٣/ أهل الطغيان، قصد وادي لِيَّة[(٤)]، وأقام به ثمانية أيام كأنَّها عليه أعوام، فلم يطب له المقام بدون المرام، فأخذ يسعى في عسكر الطايف[(٥)] حتى أفسده، وألقى إليه مِقْوَدَه، فقصد الطايف[(٦)] بالقتال بِمَن معه ومَن أفسده مِن الرجال، ولمَّا أقْبَل على المَأْزِمَيْن[(٧)]، هرب مِنْه وكيل الشريف - أخوه - السيد عبد الكريم

(١) كذا في الأصل، والصواب: السرائر.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: مقدارًا.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: الجائر.
(٤) وادي لِيَّة: وادٍ مِن أودية الحجاز الشرقيَّة، يمر جنوب الطائف بنحو ١٥ كيلًا، له ما يزيد على عشرين رافدًا كبيرًا، وعدة قرى عامرة، ويسكن في أعلاه ثقيف، وبعض فروعه لهُذَيْل، وأسفله للأشراف العبادلة والعُصَمَة مِن عُتَيْبَة، ويُسَمَّى أسفله وادي عدوان لأنَّهم سُكَّانه وملاكه. عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ص ١٤٨٣-١٤٨٥.
(٥) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.
(٦) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.
(٧) **المَأْزِمَيْن**: طريق يأتي المزدلفة مِن جهة عرفة، وهو شعب ضيق بين جبلين يسمّيان الأخشبان،

ابن حسين[١]؛ فدخله الشريف أحمد بغير قتال - لمَّا عنه تحَوَّل - لست بقين مِن شهر ربيع الأول[٢]، فنُودِي باسمه في البلاد، وأطاعه الحاضر والباد، ثم استدعى غالب العُربان؛ فحيعلت لمُناديه مِن كُلّ مكان. وكان الشريف المذكور[٣] صفر اليدين، لم يخل كاهله مِن الدَّيْن، فأخذ على سبيل القرضة خمسة آلاف قرش[٤] مِن الهنود، وفرَّقَها على مَن حضر مِن الجرود.

فلمَّا بلغ ذلك صاحب الترجمة، لم يرضَ بِمَا فعله الشريف أحمد في بلده ورسمه، فلم يهنه المقام في خفر الزمام، فعند ذلك أرسل إلى الطايف[٥] السيد أحمد بن عبد الكريم، ليفسد له القبايل[٦]، ويجمع مِنْهم مَن كان صايل[٧]، وكان رجلًا يُعَدُّ مِن الصناديد، والكُمَاة الصِّيد، يفتل الرمل للرجال دهاءً،ويَصرّ الرِّياح في مِنْدِيل؛ فأفسد العُربان الذي جمعها الشريف أحمد،

يفضي آخره إلى بطن عرنة. عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ص ١٤٩٢-١٤٩٣.

(١) **عبد الكريم بن حسين**: عبد الكريم بن حسين بن يحيى البركاتي الحسني. كان ضمن الفريق الذي وقف ضد الشريف مساعد بن سعيد، وعند قدوم الحملة المصرية إلى الحجاز عام ١١٨٤هـ/ ١٧٧٠م قام بمساعدتها؛ ولذلك عندما تولى أخوه الشريف عبد اللَّه بن حسين شرافة مكة، عيَّنه وكيلاً له على الطائف، فظل فيها حتى استردها مِنْه الشريف أحمد بن سعيد، وقد انقطعت أخباره بعد ذلك، وقد أعقب أربعة أبناء، وهم: يحيى، وأحمد، وشاكر، وسلطان. أحمد ضياء العنقاوي، **أعلام الأشراف**، ٢/ ١٢٧.

(٢) ٢٤ ربيع الأول ١١٨٤هـ/ ١٧ يوليو ١٧٧٠م.

(٣) يقصد الشريف أحمد بن سعيد، الذي لم يكن لديه المال الكافي ليتَمَكَّن مِن الانفاق على العُربان والقوات التي ستنضم إليه، ليقوم بمحاربة الشريف عبد اللَّه لاسترداد ملكه.

(٤) **قِرْش**: من النقود الفضية المتداولة في العصر العثماني، وقد انتقلت إلى التركية من الألمانية Groschen وعرفت باسم قرش، أو غرش، أو إرش. وضرب هذا النقد لأوَّل مرة في عهد السلطان سليمان الثاني (١٠٩٩-١١٠٢/ ١٦٨٧-١٦٩٠م)، وكانت قيمته تساوي أربعين نصف فضة أو أربعين بارة. عبد الرحمن فهمي، **"النقود المتداولة أيام الجبرتي"**، بحث منشور في عبد الرحمن الجبرتي: دراسات وبحوث، إشراف: أحمد عزت عبد الكريم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٦م، ص ٥٧٤-٥٧٥؛ أحمد الصاوي، **النقود في مصر العثمانية**، ص ٩٤-٩٥.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: القبائل.

(٧) كذا في الأصل، والصواب: صائلًا.

وفَرَّقَها عنه ولم يبقَ مِنْها أحد، وأرسل لصاحب الترجمة يُفيده بِمَا حصل هناك، ويطلب مِنْه جانبًا مِن الأتراك؛ فعند ذلك اتفق رأيه مع محمد بيه[١] بالرأي الموافق، وأرسل حسن بيه[٢] شبكة[٣]، ومعه جملة مِن الغُز على الخيل السوابق، ومعهم نحو الثمانين خَيَّالاً مِن السادة الأشراف الحماة بالبيض الرهاف، ومِن أبطال العسكر الذي تقرّ بهم العين نحو الماتين[٤]، وأمَّر على الجميع أخاه السيد حامد بن حسين.

فلمَّا بلغ الشريف أحمد هذا الخبر، وَلَّى مسرعًا وفَرَّ ولم يبقَ له أثر، ووَجَّه عزمه في اليوم الثاني والعشرين مِن ربيع الثاني[٥] على طريق كَرَى، وجَدَّ السير ميمِّمًا نحو أم القرى، وقد جمع له مِن بني سعد[٦] وبني ثقيف جمعًا لطيف[٧]، فعقبه على الطايف[٨] السيد أحمد بن عبد الكريم، ودخل بِمَن معه في جنح ليل بهيم.

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: بيك.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: بيك.

(٣) **حسن بيك شبكة**: مِن مماليك علي بيك الكبير. اشتهر بحسن بيك الجداوي لأنَّه ولي على مدينة جدة، بعد ما استولت الحملة المصرية على الحجاز عام ١١٨٤هـ/ ١٧٧٠م، وفي أثناء الصراع بين إسماعيل بيك وإبراهيم بيك ومراد بيك، انضمّ إلى الأوَّل وساعده، ثم انقلب ضده وانضمّ إلى الآخرين فانتصروا على إسماعيل بيك الذي فرّ إلى الشام، ثم وقع بينه وبينهما الخلاف، وظلّ على ذلك حتى عاد إسماعيل بيك مرة أخرى إلى القاهرة، ولكن بعد وفاة إسماعيل بيك، وعودة مراد بيك وإبراهيم بيك إلى القاهرة، فرّ الجداوي إلى الصعيد حتى قدوم الحملة الفرنسية. وقد جاهد ضدها في مصر والشام وأبلى بلاءً حسنًا. توفي بالطاعون في مدينة غزة عام ١٢١٥هـ/ ١٨٠١م. انظر: عبد الرحمن الجبرتي، **عجائب الآثار**، ٣/ ٢٧٥-٢٧٦.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: المائتين.

(٥) ٢٢ ربيع الثاني ١١٨٤هـ/ ١٤ أغسطس ١٧٧٠م.

(٦) **بني سعد**: مِن القبائل العربية العريقة، ومساكنها في جنوب شرقي الطائف. ماكس أوبنهايم، **البدو**، ٢/ ٥٦٦-٥٦٧؛ محمد بن منصور، **قبائل الطائف**، ص ٧٢-٧٣.

(٧) كذا في الأصل، والصواب: لطيفًا.

(٨) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.

وفـي الـيـوم الـرابـع والـعـشـريـن[1] وصـل الـ طـايـف[2]........................

حسن بيه[3] شبكة والسيد حامد بن حسين، فوجدوا صاحبهم قد صار أثرًا بعد عين، فنُودِي باسم صاحب الترجمة / ق٦٤/ في شوارع البلاد، ودُعِي له في المنبر على الرسم المعتاد، وأمَّا الشريف أحمد لما نزل مِن عقبة كَرَى، وانحدر مِن جبلها السامي الذرى، أناخ بعرفة ووَجَّه عزمه للقتال وصرفه، فلمَّا بلغ أبا الذهب وصولهُ بتلك الأطلال، تَوَجَّه مُجِدًّا وشَمَّر للقتال، وتَوَجَّه معه صاحب الترجمة بجنودٍ وافرة متمَّمة، والتقى الجمعان بعرفة موضع الوقوف، وسال نجيع الدَّم مِن شدّة الحتوف، فوقع بينهما في اليوم الخامس والعشرين مِن ربيع الثاني[4] ملحمة عظيمة، وأي ملحمة، حتى غدت ثغور السيوف مِن الجراح مبتسمة.

واستمرّ القتال يومًا كاملاً إلى آخر النهار، وما انكشف غبار المضمار إلا بعد الاصفرار[5]، وأسفر الأمر عن انكسارة الشريف أحمد، وما يصنه إلا جبل سعد، بعد أنْ قتل وأصاب مِن الأتراك ما يبلغ الماية[6] في العدِّ، ومع هذا لم ينكسر جيش الشريف أحمد إلاَّ عن مكيدة من عسكر يمبع[7] وخديعة، والغدر كما قِيل في الأنام طبيعة، وإلاَّ فقد هزمهم جيش الشريف أحمد مرة بعد مرة، وكرَّ عليهم كرَّة بعد كرَّة، وأخذ بخيله الطلايع[8] جملة مِن خيولهم قلايع[9].

(١) ٢٤ ربيع الثاني ١١٨٤هـ/ ١٦ أغسطس ١٧٧٠م.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: بيك.
(٤) ٢٥ ربيع الثاني ١١٨٤هـ/ ١٧ أغسطس ١٧٧٠م.
(٥) **الاصفرار**: قبيل الغروب.
(٦) كذا في الأصل، والصواب: المائة.
(٧) كذا في الأصل، والصواب: ينبع.
(٨) كذا في الأصل، والصواب: الطلائع.
(٩) كذا في الأصل، والصواب: قلائع.

فلمَّا ظهر عليه الغلب، وساءهم المنقلب، دَسُّوا له هذه الدسيسة، والختر[١] في نفوس الأتراك غريسه، فنكس عسكر يمبع[٢] أعلامهم ليبلغوا مرامهم، وقالوا له: نحن منك وإليك، ولا معولنا إلا عليك؛ فأطلعهم معه على جبل سعد، وبعد أنْ تَمَكَّنوا فيه قاتلوه باليد؛ فحينئذ تكانفوا عليه الجبل مِن كُلّ مَحَلٍّ،حتى كَلَّ أكثرهم مِن الحرب ومَلَّ، فطلب مِنْهم الأمان حين أجهدهم الجوع، ومنعهم لذة الهجوع.

[أبو الذهب يمنح الشريف أحمد بعض الهدايا]

وقد تحقَّق عند أبي الذهب أنَّ هذا القتال مع كونهم لهم ثلاثة أيام، وليس لهم غير الماء مذاقٌ ولا طعام، فأرسل إليه شياء[٣] جزيلًا مِن الزاد، ولو استزاده في غيره لزاد، فَقَبِل مِنْه الشريف أحمد ما به أجاد، وأهدى إليه كَحِيْلَةَ[٤] مِن خيله الجِياد، فَقَبِلها أبو الذهب ونزل مكة بقومه، ولم يقمْ بعرفة غير يومه، ووصل مكة بعد الإشراق، بعد أنْ كابد كُلّ أمر شاق، والشريف أحمد بات ليلته بعرفة بحالٍ رثيثٍ، ثم تَوَجَّه إلى اللِّيْث[٥].

فلمَّا بلغ حسن بيه[٦] ما نال يوم عرفة أبا الذهب مِن حرب متعب ونصب، تَوَجَّه مكة في ذلك اليوم مِن حين / ق٦٥/ ما سمع، وحاوله الوكيل على الجلوس، فلم يقبل مِنْه [ولم يطع][٧]، ثم تَوَجَّه بعده في يوم الاثنين السيد

---

(١) الختر: أي الغدر.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: ينبع.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: شيئًا.
(٤) كحيلة: الخيل البيضاء وعينها سوداء، كأنَّ بها كحلًا. **المعجم الوسيط**، ص ٧٧٨.
(٥) اللِّيْث: ميناء يقع على ساحل البحر الأحمر، جنوبي الحجاز، تبعد عن جِدة بحوالي ٢٠٠ كيلاً جنوبًا. عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ص ١٤٨١؛ سميرة بنت مبارك، **موانئ تهامة ومراسيها**، ص ٥٨. وكان هذا الميناء يخضع لشريف مكة، ويرسل نائبًا عنه ليدير شئونه، وسيأتي ذكره في مواضع كثيرة خلال الأحداث.
(٦) كذا في الأصل، والصواب: بيك.
(٧) وردت في الأصل: (ولم يطمع)، والتصويب مِن النسخة (ب)، ورقة ٤٦.

حامد بن حسين، وبقي السيد أحمد بن عبد الكريم متجلدًا غاية التجلد، والسيد راجح بن حسين وكيلاً على البلد مُقِيْمَين على الجمر، لم يعلموا عاقبة الأمر.

[عودة أبي الذهب إلى مصر]

ثم إنَّ محمد بيه[1] أبا الذهب تحَرَّك للسفر، بعد أنْ ظهر له مِن حرب الشريف أحمد ما ظهر، فأصحب مصطفى بيه[2] معه، وارتحل وخرج مِن مكة في عشرين مِن جمادى الأوَّل[3] إلى حيث آلَ.

إِذَا ذَهَـــبَ الْـحِـمَـارُ بِـــأُمِّ عَـمْـرٍو
فَـلاَ رَجَـعَـتْ وَلاَ رَجَـعَ الْـحِـمَـارُ[4]

وأبْقَى حسن شبكة وَحْدَه، وجعله واليًا على جدة، فأقام بمكة مع الشريف عبد اللَّه بن حسين، وكأنّي به وقد لحق الاثنين.

[الشريف أحمد يسترد شرافة مكة]

فسمع الشريف أحمد بخروج محمد بيه[5] وارتحاله، وإبقاء حسن شبكة على حاله، فشَمَّر عن ساعد الجد لأخذ الثأر، ولم يُصْغ لقول مِن نهاه عن المشار، مَن راقب الناس ما تَهَنَّى، وفاز باللَّذَات الجسور، فجمع العُربان مِن كُلّ مكان، وأقْبَلت عليه قبايل[6] اليمن بالحدِّ والسنان، وجمع له السيد ثقبة بن عبد المحسن الشنبري[7] عُربانًا مِن ثقيف، وأقام في

(١) كذا في الأصل، والصواب: بيك.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: بيك.
(٣) ٢٠ جمادى الأولى ١١٨٤هـ/ ١٠ سبتمبر ١٧٧٠م.
(٤) البيت محدث مولّد ينشد في تكذيب خبر وإبطاله، انظر: محمد الخوارزمي، **الأمثال المولدة**، ص ٣٢٩.
(٥) كذا في الأصل، والصواب: بيك.
(٦) كذا في الأصل، والصواب: قبائل.
(٧) **ثقبة بن عبد المحسن الشنبري**: ثقبة بن عبد المحسن بن أحمد بن سعيد بن شنبر بن =

عرفة بهم على ما وعده الشريف، فأقبلوا على مكة في حادي عشر جمادى الثانية[١] ليلة الاثنين، بعد أنْ أجمع رأيه أنْ يُقِيْم قومه شطرين: شطر[٢] مِن طريق المسفلة[٣]، وشطر[٤] مِن أعلى مكة.

فخرج لقتالهم صاحب الترجمة، ومعه حسن شبكة، فالتقى كُلٌّ مِن الفريقين بجبال المنحنى، وجالت الفوارس بالمهند والقنا، وتقابلت الخيول وصُفَّت الصُّفُوف، وطَيْرُ المَنِيَّة على روسهم[٥] يطوف، والحرب بينهما سجال، وللأبطال رزق بالذابل العسال، ثم أقبلت العُربان الذي[٦] مِن أسفل مكة وشنّوا الغارات، واستمرّ القتال بينهم إلى أربع ساعات؛ فأسفرت هذه الملحمة عن انكسارة صاحب الترجمة، وقُتِل مِن جماعته جَمٌّ غفيرٌ، وانكسر كسرةً بحيث لا يلحق الأولُ الأخيرَ، وما زالوا يقتلون في شارد، ويغنمون مِن خزاينهم[٧] المغنم البارد.

وقُتِلَ مِن البادية التي[٨] مِن جماعة الشريف أحمد جانب خفيف، ومِنْهم رابع شيخ بني ثقيف؛ وبسبب قتل رابع المذكور انتصر الشريف أحمد، وحاز

حسن بن محمد أبي نمي، جمع للشريف أحمد بنِ سعيد عُربانا مِن ثقيف وساعده في دخول مكة المكرمة، وطرد الشريف عبد الله بن حسين في جمادى الآخرة ١١٨٤هـ/ أكتوبر ١٧٧٠م، وكان وكيلاً على الطائف عام ١٢٠٥هـ/ ١٧٩١م، في عهد الشريف غالب، وتوفي في النصف الأول مِن القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي. أحمد زيني دحلان، **خلاصة الكلام**، ص ٢٠٥؛ ضياء العنقاوي، **أعلام الأشراف**، ١/ ١٦٢-١٦٣. =

(١) ١١ جمادى الآخرة ١١٨٤هـ/ أوَّل أكتوبر ١٧٧٠م.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: شطرًا.

(٣) **طريق المسفلة**: يقع جنوب المسجد الحرام، وهي من المسجد الحرام إلى جهتي بركة ماجن والشبيكة فيما بعدها إلى الشميسي، وهذه الجهات أسافل مكة؛ لذلك تسمَّى المسفلة. إبراهيم رفعت، **مرآة الحرمين**، ١/ ١٧٩؛ محمد الكردي المكي، **التاريخ القويم**، ٢/ ٢٥٨.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: شطرًا.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: رءوسهم.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: الذين.

(٧) كذا في الأصل، والصواب: خزائنهم.

(٨) كذا في الأصل، والصواب: الذين.

عقد المُلْك المنضد، فإنَّه لمَّا قُتِلَ رابع / ق٦٦/ صعب أمره على جماعته ثقيف؛ فحملوا حملة رجل واحد،حتى تركوا العدو بعد قوته ضعيف[1]، فطلب الشريف عبد اللَّه بن حسين ذِمَّة، وتَوَجَّه إلى الوادي ومعه الصنجق، ومِن الترك أفراد. وغَنَّى طَيْر المسَرَّة منوهًا بالشريف أحمد على سفح أجياد، فأقام يومه بالوادي حتى تلاحقوا في أيسر مُدَّة، وتَوَجَّه الصنجق ومَن بقي مِن الأتراك إلى جدة، فدخل مكة الكامل المجيد سليل الكُمَاة الصيد، والقادة الصناديد، الشريف أحمد ابن المرحوم الشريف سعيد.

وكان بلوغه الأماني في يوم الاثنين الحادي عشر من جمادى الثاني[2] سنة ١١٨٤ من هجرة سيد المرسلين، فحصل بدخول الشريف أحمد لأهالي مكة غاية الفرح والسرور، وأعطوا على دخوله النذور، ومِن العادة القديمة المستمرة المستديمة، أنَّ أهل مكة لا يحُبون أنْ يتولى عليهم شريف إلا مِن آل زيد الشّم العرانين، لِمَا أوْدَعَه اللَّه تعالى فيهم مِن الشفقة والرأفة على الضعاف والمساكين.

ومنذ دخل الشريف أحمد أمر بحرق دار آل بركات، لمَا ترجح عنده أنَّهم هُمُ الآمرون بحرق دار آل زيد، لا بآفة مِن الآفات، فنهبوا الناس جميع ما فيها مِن متاع، ونهبوا الدور التي للرجال المقربين لهم مِن أرحامٍ وأتباع، ونادى مناديه على رسمه، وهُتِفَ له في المنابر على اسمه.

[عودة الشريف عبد اللَّه إلى مصر]

ثم إنَّ الشريف أحمد أرسل لحسن بيه[3] يأمره بالخروج عن جدة، ويُهَدِّده ويَتَوَعَّده بالمتاعب والشدة، وهو لا يزداد إلا عُتُوًّا ونُفُورًا، ويأبى عن الخروج مِنْها إلا مقتولاً أو مكسورًا، ولما تحقَّق مِنْه الْمُمَانعة، وعلم أنَّه لا

(١) كذا في الأصل، والصواب: ضعيفًا.
(٢) ١١ جمادى الآخرة ١١٨٤هـ/ أوَّل أكتوبر ١٧٧٠م.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: بيك.

تفيد فيه المُرَاجعة، وَجَّه إليه جميع الأشراف، ومِن العسكر والبوادي وغيرهم ما يزيد على أربعة الآف، وقد وصل إلى مكة السيد عبد اللَّه بن مسعود، ومعه مِن قبايل[١] اليمن جرود، لم يلحق بهم الحرب الذي سبق، وكان قد اجتهد في جمع العُربان ليلحق بهم الحرب فما التحق، فتَوَجَّه مع بني عمّه السادة الأشراف إلى جدة، وكان مِن أهل القوّة والشدّة.

وقد تحقَّق عندهم أنَّه قد نوى الصنجق على القتال، ولم يحسب لعاقبة الأمر وما يول[٢] إليه المآل، فصك أبواب البلاد وترَّسها / ق٦٧/ ، وخرَّج المدافع الكبار على الكدوة وأسَّسها، وصارت خيله كُلّ ليلة تخرج مِن البلد وتعسّ[٣] إلى الرَّغَامَة[٤]، ثم تعود صبحًا إلى جدة بالسلامة، فوصلت السَّرية إلى جدة بليل، وأقاموا على موضع يقال له: غُلَيْل[٥]، وأرسلوا رسولًا بكتاب الشريف إلى حسن كَتْخُدا العسكر، ليفسد مَن معه مِن عسكر في البندر، فسعى في نقض تلك المباني، وتواطأ معهم أنْ يهجموا مِن الباب اليماني؛ فهجم جيش الشريف ومعهم وكيل السَّرية، وأوصلوا الأتراك كُلّ بليَّة، فملكوا جدة في غاية جمادى الآخرة[٦]، صبح يوم الجمعة، بعد أنْ قتلوا جملة مِن الأتراك، واحتبك الحرب يومئذ أيْ احتباك، ولم تزل السَّرية تكنسهم مِن زُقَاق إلى زُقَاق، وتركبهم الأمُور المَجاهم والمَشاق، حتى أخرجوهم مِن البلدة جميعها، ولم يبقَ في أيديهم غير القلعة، وتلى لسان الحال هذه القلعة التي ليس فيها رجعة،

(١) كذا في الأصل، والصواب: قبائل.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: يؤول.

(٣) تعسّ: العس طلب الشيء بالليل. **المعجم الوسيط**، ص ٦٠٠.

(٤) **الرَّغَامَة**: الأرض الرملية التي تكون على يمين الطريق للمتجه مِن جدة إلى مكة، يسيل فيها مِن الشرق وادي غُلَيْل. عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ص ٦٩٩.

(٥) **غُلَيْل**: وادٍ يسيل مِن الحرازية، يباري أم السلم مِن الجنوب، ويجتمع معها في الرَّغَامَة بطرف جدة مِن الشرق، وحيث يدفع غُلَيْل في خبت جدة قام حي سمي غُلَيْلاً، وهو أحد الأحياء في جنوب شرقي مدينة جدة. عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ص ١٢٦٤-١٢٦٥.

(٦) غاية جمادى الآخرة ١١٨٤هـ/ ١٩ أكتوبر ١٧٧٠م. =

فترَّسُوها بناءً على أنَّها تصونهم، وتحصنوا بها وظنوا أنَّهم مانعتهم حصونهم.

إِذَا كَانَ غَيْرُ اللَّهِ لِلْمَرْءِ عُدَّةً
أَتَتْهُ الرَّزَايَا مِنْ وُجُوهِ الفَوَائِدِ(١)

فاجتمعت عليهم العساكر حولها، وقد بذلت جَهْدها وحَوْلها، فتحقَّق حينئذٍ الصنجق أنَّه لا تصونه ولا تنفعه ولا تُعينه، فخرج مِن الباب الصغير الذي في موخر(٢) القلعة، وخاض بخيله في الماء، وصار لا يستدل على طريق، وناهيك الغريب أعمى، وتَوَجَّه بِمَن بقي معه إلى رابغ، وهو خلي مِن الأمُور فارغ، وتبعه الشريف عبد اللَّه بن حسين بعد المشقة والبَيْن، ثم تَوَجَّهوا إلى مصر لِمُرْسِلهم علي بيه، لا أَقَرَّ اللَّه تعالى عيْنهم عليه.

وشاع بمكة عند الناس أنَّ قَصْدَه يتَمَلَّك المدينة، ويتحَصَّن بأسوارها الحَصِيْنة، وأنَّه يرسل لسيده كتابًا إلى مصر، ويخبره بِمَا وقع، وأنَّ الشريف عبد اللَّه بن حسين نازعه الشريف أحمد في المُلك فانتزع، فتَوَجَّه مِن رابغ إلى مِصْر ولم يقصد المدينة، وأخذ أجناده وشياطينه، وأمَّا أهل المدينة قد تحصَّنوا واستعدوا مُصَمِّمين لقتاله، غير مكترثين بنزاله وامتثاله، قد بنوا الأسوار والحصون، وترَّسوا الأماكن التي تصون، فلمْ يحصل شيء مِمَّا خطر على البال، وكفى اللَّه المؤمنين القتال/ ق٦٨/ .

ولمَّا دخل حسن شبكة على أستاذه علي بيه(٣)، وقَصَّ عليه القَصَص التي وقع عليه، ضرب الكف على الكف، ومات غيظًا وأسف، ولم يعلم أنَّ مَن قصد مكة بالأذى، حصل لعين بصيرته القذى(٤)، وأين هو مِن قول

---

(١) البيت لأبي فراس الحارث بن سعد بن حمدون، انظر: محمد بن أيدمر المستعصمي، **الدر الفريد وبيت القصيد**، ج٣، تحقيق: كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م، ص ٨٥.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: مؤخر.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: بيك.

(٤) **القَذى**: ما يتكون مِن وسخ أبيض في العين عند مجرى الدمع. **المعجم الوسيط**، ص ٧٢٢.

ربّ العباد: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ﴾[١]، وكان دخولهم شؤمًا عليه، ولم يزل الشريف عبد اللّه مقيمًا بمصر القاهرة، متعجّبًا في حكمة اللّه تعالى الباهرة، وكيف مضى عليه هذا كُلُّه في أَقَلِّ أيامٍ توَلَّى ومَلَكَ، ثم زَال الْمُلْك عَنْه كأنَّه أضْغاث أحلام، وهكذا حِكْمة اللّه تعالى يجريها على حسب مراده: ﴿إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾[٢].

ثم إنَّ علي بيه[٣] الذي مَلَكَ مصر وأكنافها، وتسبب في خراب مكة وأطرافها، أخْرَجه مملوكه محمد بيه[٤] مِن مصر، ثم حصل بينهم قتال فَقُتِلَ فيه[٥]، وسيقف غدًا عنده، ويسأله عمَّا فعل ويجزيه. فلمَّا قتل علي بيه[٦] عام ست وثمانين، تَوَجَّه الشريف عبد اللّه إلى أرض الروم[٧]، ومكث فيها إلى أنْ مات، وحِيْلَ بينه وبين ما يَرُوم، فاللّه تعالى يرحمه ويُرضي عنه الخصومَ.

[ارتفاع الأسعار نتيجة الجردة المصرية]

ولنرجع إلى ما صار على جدة حين ملكوها، وبئس الطريقة التي سلكوها، فإنَّهم نهبوا غالب دور أعيانها الكبار، والحواصل التي فيها أموال

---

(١) القرآن الكريم، سورة **الحج**، آية رقم ٢٥.
(٢) القرآن الكريم، سورة **الأعراف**، آية رقم ١٢٨.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: بيك.
(٤) كذا في الأصل، والصواب: بيك.
(٥) حينما عاد محمد بيك أبو الذهب إلى مصر أرسله علي بيك الكبير في حملة إلى الشام، وبعد أنْ نجح في دخول دمشق انسحب بقواته إلى القاهرة، حيث بدأ عصيانه ضد سيده علي بيك، ثم قبض عليه، وقيل إنَّه مات مسمومًا في السجن، وقيل: إثر نكسة ألمت به، وذلك في شهر صفر ١١٨٧هـ/ مايو ١٧٧٣م. محمد رفعت رمضان، **علي بيك الكبير**، ص ١٩٨-١٩٩.
(٦) كذا في الأصل، والصواب: بيك.
(٧) **أرض الروم**: يعني بها الدولة العثمانية؛ لأنَّها سيطرت على أراضي الإمبراطورية البيزنطية التي كان العرب يعرفونها بالروم.

التجار، وتركوا البَنْدَر خرابًا بعد أنْ كان عمار[1]، ولم يراقبوا أنَّ هذا الفعل على الملك عارٌ وأيّ عار، وهي في الحقيقة خزانة الملك الذي لحمايته أوجبوها، وكم مِن ضررٍ يعود بسبب نهبها على الشريف، وكم غَنِيّ[2] أصبح بعدها ضعيف[3]، قد يفعل الأحمق في نفسه ما ليس يبدي فعله الجاهل، ومع هذا فإنَّ الشريف أحمد مُبَرَّء عمَّا فعله الأجناد، مِن الأمُور التي هي ليست على وجْه السداد، فإنَّه لم يصل إليه شيء مِن ذلك المال، بل أخذه الخائنون، وبقي عليه الوبال، وأنْشَد لسان الحال في هذا المعنى، قول مَن قال: جَنَى وَصلَهَا غَيْرِي وحُمِّلْتُ عَارَهَا[4].

ثم إنَّهم لمَّا نهبوا الأقوات التي فيها، والحبوب التي كانت تكفي مكة وتكفيها، أسْفَرت هذه المقدمة عن نتيجة الغلا[5]، واختلاط الحرام بالحلال، الذي يوجب البلا[6]، فإنَّه لم يَمْضِ عَشَرَةُ أيام مِن رجب[7]،حتى ظهر للناس التعب، فانعدمت الأقوات مِن مكة في رمضان، واشْتَدَّ الكرب على جيران /ق ٦٩/ بيت اللَّه أكثر مِن غيرها مِن البلدان، حتى وصل سعر إِرْدَبّ[8] الحَبّ إلى خمسين غرشًا ذهبيًّا، ولا يأخذه إلاَّ خفية رجلٌ مليا[9]، وأمَّا الفقراء فقد

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: عمارًا.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: غنيًّا.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: ضعيفًا.

(٤) لم أقف على قائله، وهو جزء من بيت شعر أوّله: وأَعْجَبُ مَا لاَقَيتُ في الحُبِّ أنَّهُ، انظر: محمد بن أيدمر المستعصمي، **الدر الفريد وبيت القصيد**، ١٠/ ٩٢.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: الغلاء.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: البلاء.

(٧) رجب ١١٨٤هـ/ ٢٠ أكتوبر - ١٨ نوفمبر ١٧٧٠م.

(٨) **إِرْدَبّ**: مِكيال مِن المكاييل لوزن الحبوب، كان يسع أربعة وعشرين صاعًا (ومقداره ستة وتسعين قدحًا)، وكان حجمه الحقيقي يختلف تبعًا للحبوب الموزونة، وكذلك المكان الذي يستخدم فيه، ومقداره عند الحنفية ٧٨ كجم، وعند الجمهور ٤٩,٩٦ كجم. أحمد الشرباصي، **المعجم الاقتصادي الإسلامي**، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ص ٢٤؛ علي جمعة، **المكاييل والموازين**، ص ٣٩.

(٩) كذا في الأصل، والصواب: مليئًا. وتعني الرجل الغني أو الثري.

لحقهم الجوع وأسال مِن عَذْب آمَاقهم الدموع، حتى شاهدت البادية يقينًا بغير شك ولا التباس، يشربون الدَّم المسفوح وياكلون[١] البساس[٢]، وعند وصُول الحج زاد الغلا[٣] وعجّ، فوصل الإِرْدَبّ إلى خمس وسبعين، ولم تجد الناس ناصرًا غير اللَّه تعالى ولا مُعين[٤].

وفي سنة ٨٥ خمس وثمانين[٥]، انْحَلَّت العقدة في أيسر مُدَّة، بوصول الزعايم إلى جدة، ثم إنَّ الحَب تارة يكون له وجود وتارة مجحود[٦]، وسعر الكَيْلَة[٧] مِنْه في الأسواق سبعة وعشرين ديواني عن يقين، والرز بأربع وعشرين، وفي غير السوق يزيد السعر وينقص، وما زاد عن هذا السعر ولا اخْتَلّ، وكثر السَّفَرْجَل[٨]، وجعلت الناس عليه المُعَوّل.

ومِن أعجب ما رأيته أنَّ ناظر السوق، كُلَّمَا أخرج شياء[٩] مِن الحبوب إلى الأسواق، يباع مِن وقته وحِينه، ولم يبقَ مِنْه شيء لخَزينه، واتفق أنَّه أخرج خمسمائة إِرْدَبّ في يوم واحد، فلم يضرب عليها الضحى ولها واجد، حتى قال بعض المَلأ: إنَّ الجِنَّ عندهم مثل ما عندنا مِن الغلا[١٠]؛ فهم يتشَكَّلون ويخرجون مع الناس في الأسواق ويشترون، فلئن صح هذا عنهم فالازدحام الذي شاهدناه يكون مِنْهم.

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: يأكلون.
(٢) **البَساس**: جمع البَسُّ، وهي الهِرَّة الأهلية، أي القطط. **المعجم الوسيط**، ص ٥٦.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: الغلاء.
(٤) كذا في الأصل، والصواب: مُعينًا.
(٥) سنة ١١٨٥هـ/ ١٤ أبريل ١٧٧١ - ٢ أبريل ١٧٧٢م.
(٦) كذا في الأصل، والصواب: مجحودًا.
(٧) **الكَيْلَةُ**: جمع كَيْلات. وهو مكيال مِن المكاييل، يكال به الحبوب ومقداره ثمانية أقداح. **المعجم الوسيط**، ص ٨٠٨.
(٨) **السَّفَرْجَلُ**: شجر مُثمر مِن الفصيلة الوردية مثمرة، ويعرف ثمرها بالسَّفَرْجَل، وهو يشبه إلى حد كبير الكمثرى والتفاح. **المعجم الوسيط**، ص ٤٣٣.
(٩) كذا في الأصل، والصواب: شيئًا.
(١٠) كذا في الأصل، والصواب: الغلاء.

ثم في هذا العام كَثُرَ قُطَّاع الطريق، وتمرَّد كُلّ جبارٍ وزنديقٍ، ووردت الأخبار بإرسال الجردة إلى الشام[١] فملكه أبو الذهب، وحَلَّ مِنْه عِقْد النظام، فنهب بعض أعيانها، وهَرب مِنْها أُناس مِن سكانها.

[منع إمام اليمن إرسال البن إلى جدة]

وفي عام ست وثمانين[٢] منع إمام اليمن جميع التجار أنْ لا يرسلون البن إلى هذه الأقطار، بسبب ما أحدثه على البن مِن زيادة العشور، والوزير يوسفُ قابلٌ في البَنْدَر المعمور، فقَلَّ على الشريفِ المدخولُ، ولم يكن الحاصل بالمحصول، فلم يكن بُدٌّ عن إرسال رسول، يأخذ خاطر الإمام ويرضيه، ويُعِيد البن كما كان، ويجري الماء في مجاريه؛ فأرسل السيد عبد الله بن أحمد الفِعْر يوم السبت لست بقين مِن شهر الصيام[٣]، فتَوَجَّه إلى اليمن بعد أنْ ظهر له بارق / ق٧٠/ القبول وشام.

[وقوع فتنة بين الشريف أحمد والشريف سرور]

وفي شهر شوَّال[٤] عزل الوزير يوسف قابل، وتولى بعده الجناب السامي الوزير حسن بن إبراهيم الشامي، فوجَّهَه صاحب الترجمة إلى البَنْدَر ومعه السيد سليمان بن يحيى، وجانب مِن العسكر، وأمره بلزوم الوزير قابل، ووضعه في الأغلال والسلاسل، ولم أرَ ثمرة لهذا الإرسال، غير محض الضرر والوبال، فشاع في الناس هذا الخبر لأمرٍ يجري به القضاءُ والقدر، إلى أنْ اتصل بعلم السيد سرور ابن المرحوم الشريف مساعد، فنهض وقام لها حين أعانه الزمان وساعد، فتَوَجَّه إلى جدة قبل أنْ يصلوا إليها، ونزل عند الوزير يوسف قابل، وأخبره بالأُمُور الذي[٥]

---

(١) سبق الإشارة إلى هذه الجردة.

(٢) عام ١١٨٦هـ/ ٣ أبريل ١٧٧٢ - ٢٣ مارس ١٧٧٣م.

(٣) ٢٤ رمضان ١١٨٦هـ/ ١٨ ديسمبر ١٧٧٢م.

(٤) شوال ١١٨٦هـ/ ٢٥ ديسمبر ١٧٧٢ - ٢٢ يناير ١٧٧٣م.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: التي.

عَوَّلوا عليها، فربط أمره على ما ربط، وحزم شغله وضبط.

فأصبح في اليوم الثاني السيد سليمان بن يحيى، وأراد لزم الوزير، فمنعه السيد سرور، وكان له مُجير[1]، فطال بينهما النزاع، وظهر الخبر في أهل البلد وشاع، فاتفق الأمر بينهما على أنْ يوصلاه إلى بين يدي صاحب الترجمة، والنظر إليه في أنْ يهينه أو يكرمه، فخرجوا جميعًا من البلد، وقد عزم على الفراق واعتمد، فلمَّا كانوا في أثنا[2] الطريق مالا عنه شمالًا، والليالي مِن الزمان حَبَالى مُثْقَلات تَلِدْن كُلّ عَجِيْب، فما أصبح الصباح إلا على وادي مَرّ، فنزل به وطاب له المقرّ.

فَأَلْقَتْ عَصَاهَا وَاسْتَقَرَّ بِهَا النَّوَى
كَمَا قَرَّ عَيْنًا بِالإِيَابِ الْمُسَافِرُ[3]

فطنب به خيامه وقنب[4]، وأرسل لعمّه كتاب النسب، فبعث إليه عمّه مراسيل بالصلح، وكفل له مَهْمَا أراد مِن النُّجْح؛ فلم يرضَ إلا بقتاله، وصَمَّم على برازه ونزاله، فلمَّا عَلِمَ عمّه مِنْه عدم الرضى اسْتَهون أمره، ولم يدرِ ما يجري به القضا[5]، وقد قيل:

لاَ تَحْقِرَنَّ صَغِيْرًا فِي تَقَلُّبِهِ
إِنَّ الذُّبَابَةَ تُدْمِي مُقْلَةَ الأَسَدِ[6]

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: مُجيرًا

(٢) كذا في الأصل، والصواب: أثناء.

(٣) البيت لعمرو بن سفيان المشهور بمعقر البارقي، انظر: ابن عبد ربه الأندلسي، **العقد الفريد**، ٦/ ١٢.

(٤) أي شَدَّ خيامه وأحكمها.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: القضاء.

(٦) لم أقف على قائله، انظر: الحسن بن مسعود اليوسي، **زهر الأكم في الأمثال والحكم**، ج ١، تحقيق: محمد حجي ومحمد الأخضر، الشركة الجديدة - دار الثقافة، الدار البيضاء، ط ١، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ص ١١١.

ثم إنَّ السيد سرور[1] أرسل فِئة مِن عُتَيْبَة، وأوعدها على موضع يقال له: السَّيل، وشَهَّل نفسه وسار مِن الوادي جنح ليل، فاجتمع عليه بعض الأشراف، ومعه جماعة مِن عبيد أبيه وغيرهم مِن الرجال الكُمَّل الأوصاف، فَعُرِضُوا عليه ثم تَوَجَّه بهم إلى العَابِديَّة، ولم يزيدوا على ثلاثمائة / ق٧١/ ، فوصل بهم إلى واد المنحنى، وخرج له عمّه بالخيل المعتقة وسمر القنا؛ فوقعت ملحمة بين الفِئتين، وأسفر الأمر عن انكسارة الشريف أحمد بعد قتال ساعتين، ثم نهبت البادية خزانة الشريف أحمد، وانفرط عقد مُلْكه بعد أنْ كان منضد[2]، وزالت عنه الدنيا ووَلَّت، وهذه حالتها أينما حَلَّت، فنعوذ باللَّه تعالى مِن إقْبَالها وإدْبَارها، ومِن غَرُورِهَا وغَرَرِهَا[3].

[هزيمة الشريف أحمد وأخذه الذمة مِن الشريف سرور]

فطلب الشريف أحمد مِن ابن أخيه ذِمَّةً، على حسب القواعد التي بين السادة الكرام، وتَوَجَّه نحو نَعْمَان، ونزل على بئر الخيام، واتفق أنَّه عند انكسارة الشريف أحمد ونهب الخزانة، ثار مرود فيه بارود مِن الجبخانة[4]؛ فأهلك مَن دنى أجله واقترب، مِمَّا ينوف على الخمسين مِن العرب. فدخل[5] يوم السبت إلى مكة، ثالث عشر ذي القعدة في سنة ست وثمانين بعد الألف والماية[6]، مِن هجرة سيد المرسلين.

❑ ❑ ❑

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: سرورًا.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: منضدًا.

(٣) وردت في النسخة (ب) غرارها. ورقة، ٥٠.

(٤) **الجبخانة**: مكوَّنة مِن مقطعين: جبه تعني الدرع، وخانة تعني المكان، أيّ المكان الذي تودع فيه البارود والذخائر والأسلحة. أحمد السعيد سليمان، **تأصيل الدخيل**، ص ٦٥-٦٦؛ سهيل صابان، **المعجم الموسوعي**، ص ٨١.

(٥) يقصد الشريف سرورًا.

(٦) ١٣ ذو القعدة ١١٨٦هـ/ ٤ فبراير ١٧٧٣م.

[عهد الشريف سرور بن مساعد]

[نسبه وولايته الشرافة]

هذه ترجمة مولانا الشريف سرور بن المرحوم الشريف مساعد بن الشريف سعيد بن الشريف سعد بن الشريف زيد ابن الشريف محسن بن الشريف حسين بن الشريف حسن بن الشريف أبي نمي.

مَلِكٌ هِمَّته علية، ساد بها على سادات البرية، مجده مجدٌ راسخٌ، وحسبه هو الحسب الشامخ، أسدٌ رأيه أسدّ، وشهم للمَهَمَّات يُعتمد، بذل نفسه في اقتناص المعالي، والمعالي لم تنل إلا بالعوالي[١]، فهو دُرَّة تاج الملوك آل قتادة، وحَليف المجد والسيادة، أَخَذ في جميع أموره بالحزم، وسحب على الملوك ذيل النِّسيان بالعزم، فبه فخر السادة آل أبي نمي، والراوي حديث مجدهم حي[٢] بعد حي، حاز مِن الجلادة ما لا يقوى عليه غيره ولا يقدر، حتى فتقت له ريح بعنبر، وغُرِست محبّته في أرض القلوب فأينع ثمر المودّة وأزهر، وجنى ثمر الوقايع[٣] بالنصر مِن وَرَق الحديد الأخضر، طبعه مُولع بتأمين الرعايا، مُغرم بطلب المزايا، مضت له سنوات لم يعرف فيها غمض أجفانه، إلا على صهوة حِصانه، يَطُوف بأكناف البلاد مِن وقت العشا[٤] إلى الصباح، ولم يَعُد إلى داره حتى ترشف الشمس ريق الفوادي مِن ثغور الأفاح.

ولم يزل على هذا المنوال، نسجه باللَّيال، حتى لم يلقَ بمكة شارب ولا

---

(١) العوالي: الرماح. المعجم الوسيط، ص ٦٢٥.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: حيًّا.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: الوقائع.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: العشاء.

سارق، ولم يطرقها بغير الخير طارق / ق٧٢/ ، وما صادفه أحد ليلاً إلا ضربه بالسياط، حتى يقطع مِنْه النياط، ثم التفت لتأمين الطريق، وأذاق قطاعه كاس[1] الحريق، وعامل العُربان بالقتل والصِّبَاح، وأخلى الأرض مِنْهم والبطاح، حتى صار يرعى الذيب[2] والغنم، ولم يخشَ أحد سطوة الزمان إذا لَمَّ، سار في الناس سيرةً حسنةً، وولي مكة وهو ابن ثمان عَشَرَة سنة[3]، ولم يبقَ لأحد غيره قولٌ وهو في سنّه، وهي مِن عطا[4] اللَّه تعالى ومنّه، فبايعه بعض الأشراف والبعض امتنع، مُصَمِّمِين على أن لا يتم له الأمر الذي وقع.

إِذَا كَانَ عَوْنُ اللَّه للمَرْء مُسْعِفًا
تَهَيَّأ له مِن كُلِّ شَيء مُرَادهُ

وَإِنْ لَمْ يَكُن عَوْنٌ مِنْ اللَّه للفَتى
فَأَوَّل مَا يَجْني عَلَيْه اجْتِهَادهُ[5]

وأرَّخ عام ولايته بعض الفضلاء، فقال: سرورٌ ملأ كُلّ قلب سرورًا[6].

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: كأس.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: الذئب.

(٣) أيّ إنَّ ولادته في عام ١١٦٨هـ/ ١٧٥٥م. وقد ذكر المؤرخ اليمني لطف اللَّه جحاف: أنَّ بعض أهل مكة أخبره أنَّ ولادته في عام ١١٧٠هـ/ ١٧٥٧م. لطف اللَّه بن أحمد جحاف، **دُرَر نُحُور الحُور العِين بسيرة الإمام المنصور علي وأعلام دولته الميامين**، تحقيق: إبراهيم بن احمد المقحفي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط ١، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، ص ١٤١.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: عطاء.

(٥) البيتان لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ، انظر: المحسن بن علي التنوخي، **الفرج بعد الشدّة**، ج ١، تحقيق: عبود الشالجي، دار صادر، بيروت، د.ط، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م، ص ١٧٧؛ الحسين بن محمد الأصفهاني، **محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء**، ج ١، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط ١، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، ص ٥٣٢.

(٦) **جاءت بحساب الجُمَّل كالآتي**: سرور: س ٦٠ + ر ٢٠٠ + و ٦ + ر ٢٠٠= ٤٦٦. ملأ: م ٤٠ + ل ٣٠ + أ ١= ٧١. كل: ك ٢٠ + ل ٣٠= ٥٠. قلب: ق ١٠٠ + ل ٣٠ + ب ٢= ١٣٢. سرورا: س ٦٠ + ر ٢٠٠ + و ٦ + ر ٢٠٠ + أ ١= ٤٦٧ الأجمالي ٤٦٦ + ٧١ + ٥٠ + ١٣٢ + ٤٦٧ = ١١٨٦.

وأرَّخ أيضًا ولايته مولانا السيد الشيخ الجُفْرِي[١] بقوله: خليفةُ اللَّه[٢].

[أوَّل حرابة مع عمّه الشريف أحمد][٣]

ثم إنَّ الشريف سرور[٤] لمَّا تَمَّ له عشرون يومًا مِن ولايته، أقْبَل عليه عمّه في غاية قوَّته ونهايته، فخرج لقتاله بِمَا لديه مِن خيلٍ وحَشَم، ووقع القتال بينهما على بركة السَّلَم[٥]، فانهزم الشريف أحمد، وتفَرَّق جيشه وتبَدَّد، فأخذ ذِمَّة عشرة أيام، ورجع إلى موضعه الأوَّل وأقام، وكانت هذه الوقعة في رابع ذي الحجة سنة ست وثمانين بعد الماية[٦] والألف[٧] مِن هجرة مَن له العزّ والشرف.

---

(١) الشيخ جُفْرِي: شيخ بن محمد بن شيخ بن حسن الجُفْرِي الحسيني الحضرمي، شاعر ومتصوف. ولد في قرية الحاوي - قرب تريم - في حضرموت عام ١١٣٧هـ/ ١٧٢٥م، ونشأ بها، ثم تنقل إلى اليمن، ومكة المكرمة، والمدينة المنوَّرة، وبيت المقدس، ومِن مؤلفاته: ديوان شعر، والكوكب الدري في نسب السادة آل الجُفْري، وشرح منظومة التصوف بحضرموت، وقد استوطن آخر حياته بمدينة كليكوت في الهند، فكانت وفاته في ٨ ذي القعدة ١٢٢٢هـ/ ٦ يناير ١٨٠٨م. محمد بن يحيى زبارة الحسني الصنعاني، **نيل الوطر من تراجم رجال اليمن في القرن الثالث عشر**، ج ٢، المطبعة السلفية، القاهرة، د.ط، ١٣٥٠هـ/ ١٩٣١م، ص ١٣؛ خير الدين الزركلي، **الأعلام**، ٣/ ١٨٢.

(٢) **جاءت بحساب الجُمَّل كالآتي**: خليفة: خ ٦٠٠ + ل ٣٠ + ي ١٠ + ف ٨٠ + ت ٤٠٠ = ١١٢٠. اللَّه: أ ١ + ل ٣٠ + ل ٣٠ + هـ ٥= ٦٦. الأجمالي ١١٢٠ + ٦٦ = ١١٨٦.

(٣) كتبت على الهامش الأيمن النسخة (ب)، ورقة ٥١.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: سرورًا.

(٥) **بِرْكَة السّلم**: تقع بحرم مكة مِمَّا يلي عرفة ومِنَى، لا يُعْرف مَنْ أنشأها، وقد جدَّدها الأمير المعروف بآل ملك نائب السلطنة بمصر في عام ٧٤٥هـ/ ١٣٤٤م، فأجرى العين مِن مِنى إليها على يد ولده أحمد وابن أخيه فارس الدين. النجم عمر بن فهد المكي، **إتحاف الورى بأخبار أم القرى**، ج ٣، تحقيق وتقديم: فهيم محمد شلتوت، مركز البحث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ص ٢٢٨-٢٢٩.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: المائة.

(٧) ٤ ذو الحجة ١١٨٦هـ/ ٢٥ فبراير ١٧٧٣م.

[العسكر يمتنعون عن الحج مع الشريف سرور]

فلمَّا كان يوم ثامن الحجة[١] أراد الشريف سرور الصعود إلى عرفة، فامتنع جميع العسكر عن الصعود معه إنْ أنت وأنفه[٢]، يزعُمون أنَّ لهم عند عمّه سبع جوامك، ويقولون له: إنْ سلمتها لنا مشينا في مرامك؛ فالتزم لهم بها على أنْ يعطيهم نصفها يوم مِنَى والنصف الآخر عندما ترجع الحجوج وتعود، وأعطاهم رهونًا مثمَّنة تقوم بالمقصود، فامتنعوا تعصبًا وعنادًا، وتجبرًا وإفسادًا، فتركهم وصعد بعبيده وعبيد أبيه، ونزر مِن عشيرته وذويه، ومعه ركب أهل المدينة[٣]، وهو بينهم كالأسد الذي لا يُوصَل عرينه، ولا يخلو أنَّ مولانا الشريف أحمد، هو الذي ساس فيهم وأفسد[٤]، فحجَّ بالناس مولانا الشريف سرور، وكانت حجة أمن وسرور / ق٧٣/ .

[إعادة تجارة البن بين جدة واليمن]

وفي اليوم الحادي عشر[٥] وصل مِن اليمن السيد عبد اللَّه بن أحمد الفِعْر وواجهه الشريف سرور بمنى، وبارك له بالشرافة وهنَّى، وبشَّره أنَّ البن قد أطلقه إمام اليمن، وتفَضَّل به الباري ومَنَّ؛ فأكرمه بِمَا بَشَّر، وأبقاه على المجاهي الذي بيده والمقرّ.

[أمير الحج الشامي يرفض عزل الشريف سرور]

فلمَّا قُضِيت المناسك، ونزلت الوفود مِن جميع المسالك، طلبت

---

(١) ٨ ذو الحجة ١١٨٦هـ/ أوَّل مارس ١٧٧٣م.

(٢) أيّ على رغم أنفه.

(٣) كتب على الهامش الأيسر في (ب) حاشية عن أهل المدينة جاء فيها. «وهم أنصار جده ﷺ ثم بعد ذلك غدر بهم. رحم اللَّه الجميع». ورقة ٥٣.

(٤) يقصد مؤرخنا هنا أنَّ الشريف أحمد أدى دورًا مهمًّا في تقليب العسكر على الشريف سرور، فرفضوا الصعود معه إلى عرفة إلاَّ بعد أنْ يحصلوا على الأموال.

(٥) ١١ ذو الحجة ١١٨٩ هـ/ ٤ مارس ١٧٧٣م.

السادة الأشراف مِن مصطفى باشا الزبانخجي[١] أمير الحاج الشامي - وهو وزيرٌ كفهُ بالمكارم هامٍ - أنْ يعزل لهم الشريف سرور[٢]، ويعيد عمّه كما كان، فامتنع وقال: ليس هذا ممكن[٣] إلاَّ بفرمانٍ مِن السلطان، ثم بعد سفره أرسلت العسكر وطلبت الشريف أحمد، فدخل متخفيًّا إلى البلد، وتوارى في بيته، ولم يشعر به أحد.

[ثاني حرابة للعسكر[٤]]

فلمَّا كان يوم الجمعة في خامس عشرين الحجة[٥] قبل الصلاة، والشريف سرور غافل ما علم بهذا الشيء ولا دراه، لم يفطن إلا والرصاص مِن بيوت العسكر ومِن أبي قُبَيْس[٦] ينصب كالمطر، فسأل عن ذلك فأخبروه بأنَّ عمّه وصل إلى داره، والعسكر قايمون[٧] معه لأخذ ثأره، فاستلحق مَن بقي عنده مِن القبائل الذي[٨] عرضوا عليه في أيام الثمان، وشَمَّر عن ساعد الجد للحرب العوان، ثم خرج عبد والده المُكَرَّم مثقال أغا إلى الزاهر،

---

(١) **مصطفى باشا**: دخل الشام في عام ١١٨٦هـ/ ١٧٧٢م، وكان حاكمًا عادلًا ذا مال، وقد خرج بقافلة الحج في العام المذكور، ولم يستمر في الحكم سوى سنة واحدة، وعُزل في شهر رجب ١١٨٧هـ/ سبتمبر ١٧٧٣. صلاح الدين المنجد، **ولاة دمشق**، ص ٨٤.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: سرورًا.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: ممكنًا.

(٤) كُتِبَتْ على الهامش الأيمن للنسخة (ب) ورقة ٥٢.

(٥) ٢٥ ذو الحجة ١١٨٦هـ/ ١٨ مارس ١٧٧٣م.

(٦) **أبي قُبَيْس**: أشهر جبال مكة، ارتفاعه ٤٢٠ مترًا، يشرف على الكعبة المشرفة، وبينهما عدة أمتار، بل إنَّ الربوة التي بنيت عليها الكعبة تتصل بأصل جبل أبي قُبَيْس، وأصل الصفا الذي يبدأ السعي مِنْه يقع في أسفل جبل أبي قُبَيْس أيضًا، وهو في مقابلة ركن الحجر الأسود، وهو أحد أخشبي مكة وثانيهما جبل قُعَيْقَعَانِ (جبل هِنْدِي)، وقد قيل: إنَّه سُمّي أبا قُبَيْس، لأنَّ أوَّل مَن قام بالبناء فيه رجلٌ يقال له: أبو قُبَيْس، وقد كان هذا الجبل يسمى في الجاهلية الأمين، لأنَّ الحجر الأسود كان مستودعًا فيه عند الطُّوفان، حتى أخذه الخليل إبراهيم - عليه السلام - ووضعه في مكانه. محمد الكردي المكي، **التاريخ القويم**، ٢/ ٣٧٦-٣٨٠؛ عاتق البلادي، **معالم مكة**، ص ١١-١٢.

(٧) كذا في الأصل، والصواب: قائمون.

(٨) كذا في الأصل، والصواب: الذين.

وطلب مِن إبراهيم بيه[1] أمير الحج المصري أنْ يمدّه بالعساكر، فأرسل معه جريدةً مِن الخيل والرجال، ورام أنْ يدهم الشعب على العسكر ضربًا بالنصال، فَرَدَّها الرصاصُ ناكسةً في الحال، وليس للخيل في ميدان الرصاص مِن خلف الجدار مجالٌ، واستمر الحرب بقية اليوم والليلة، وما عرف أحد اعتداله ولا ميله.

وفي صبيحة يوم السبت دق [عند][2] بابه زير الحرب، فاشتدّ القتال يومها وقوى الضرب، وعاد ثانيًا المُكَرَّمُ مثقالٌ أغا إلى الصنجق، لرصاصٍ وباروdٍ طلبه مِنْه واستلحق، فأعطاه ست[3] صناديق مِن الفشك[4]، وجانبًا مِن رجال الفتك والمعترك، فاشْتَدَّ الوطيس في ذلك اليوم، وحملت القوم على القوم، وفَرَّق يومها الشريف أحمد شياء[5] مِن الدراهم على العسكر، وهو نزرٌ قليل لا يذكر، وهم مجتهدون في الحرب عن شهوة في النفوس، لا عن رغبة في الفلوس، ومع كونهم باذلين الجهد، وهم كثيرون / ق٧٤/ في العدِّ، ما ظفروا بشيء بل كُسِروا، وهَمُّوا بإخراجه فما قدروا، وما أوقعهم في سعيهم غير بغيهم، والسبب في تَدْمِيرهم قبح تَدْبِيرهم، ولكل باغ مَصرع، ولا بُدَّ للظالم أنْ يُخدع.

---

(١) **إبراهيم بيك**: إبراهيم بيك الكبير المحمدي، مِن مماليك محمد بيك أبي الذهب، تقَلَّد الإمرة والإمارة في أيام علي بيك الكبير عام ١١٨٢هـ/ ١٧٦٩م، وكان أميرًا للحج عام ١١٨٦هـ/ ١١٧٣م، وولي الدفتردارية عام ١١٨٧هـ/ ١٧٧٣م، وتقَلَّد مشيخة البلد عام ١١٨٩هـ/ ١٧٧٥ م، وكان حاكمًا على الصعيد حين قدمت الحملة الفرنسية عام ١٢١٣هـ/ ١٧٩٨م، وتصَدَّى لقواتها في موقعة إمبابة لكنه هُزِم، وفَرَّ إلى الشام، ودخل الفرنسيون بعدها القاهرة، وقد نفاه محمد علي باشا إلى دنقلة بالسودان، وظَلَّ فيها حتى وفاته عام ١٢٣١هـ/ ١٨١٦م، ونقلت جثته إلى القاهرة، بأمر مِن زوجة محمد علي، ودُفِنَت بمدفنه الذي بناه بالقرافة. عبد الرحمن الجبرتي، **عجائب الآثار**، ٤/ ٤٠٨-٤١٠؛ محمد عارف باشا، **عبر البشر في القرن الثالث عشر**، ج١، د.ن، القاهرة، ١٩٤٥م، ص ١٨-١٩.

(٢) ساقطة في الأصل والإضافة مِن النسخة (ب)، ورقة ٥١.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: ستة.

(٤) **الفشك**: الذخيرة.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: شيئًا.

فأخذ الشريف أحمد مِن ابن أخيه ذِمَّة وخرج، وبات ليلة بالمَعَابِدَة ونهج، وأمَّا العسكر فأمر بإخراجهم مِن البلد، وأنْ لا يبيت بها مِنْهم أحد، خِلاف أهل اليمن، فإنهم كَفُّوا أيديَهم عن القتال، وعَلِمُوا أنَّ البغي زوال، فخرجت العسكر مُنَكِّسِين[١] الأعلام، مُشَتَّتين بين يَمَن وشام، فزلت عليهم تلك الصاولة، ونصر اللَّه تعالى الشريف عليهم حيث لم يسمعوا قوله، وما أراهم إلاَّ كالباحث عن حتفه، والقاطع وريده بكفه.

وفي هذا العام[٢] حصلت كثرة الأمطار في البلاد، والغلا[٣] تارة يرتفع وترخص الأسعار وتارة يزداد.

❒ ❒ ❒

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: مُنكسي.
(٢) عام ١١٨٦هـ/ ٣ أبريل ١٧٧٢ - ٢٣ مارس ١٧٧٣م.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: الغلاء.

[أحداث سنة ١١٨٧]

[عزل الوزير يوسف قابل وحبسه][1]

وفي محرم الحرام عام سبع وثمانين[2]، أُلْبس الوزارة يوسف قابل وتحَلَّى بعقدها الثمين، فمكث بها أربعة أشهر، وهو في ثوب التيه يعثر، فطلبه ببعض دراهم وامتنع، فجرده عن ثوب الوزارة وخلع، وأرسل إلى جدة ريحان أغا[3] عبد أبيه، وهو خزنداره[4]، وأمره بقبضه في السجن وحبسه [في][5] داره، فمكث في بيته أربعة أشهر، وهو مِن نار الوزراة يزفر، فَسَفَّرَه إلى يمبع وحبسه بها إلى شهر رمضان مِن عام إحدى وتسعين[6]، ثم أُعِيد إلى جدة وحبس بها إلى أنْ فارق الدنيا وجاور رب

---

(١) كتبت على الهامش الأيمن النسخة (ب)، ورقة ٥١.

(٢) شهر محرم ١١٨٧هـ/ ٢٤ مارس - ٢٢ أبريل ١٧٧٣م.

(٣) **ريحان أغا**: ريحان الفروجي، كان وزيرًا للشريف في جدة، وقد أدى دورًا مهمًّا في تعمير جدة وفي تاريخ الأشراف، مات في شهر رمضان ١٢٠٠هـ/ يوليو ١٧٨٦م. وسيأتي ذكره في مواضع متعددة في خضم الأحداث.

(٤) **خزنداره**: لفظ مركب من كلمتين: خزن العربية، ودار الفارسية، ومعناه: المسئول عن الخزينة. وتطوَّر مدلوله في العصر المملوكي ليصبح ثلاثة خزندارية: الأوَّل الخزندار الكبير، وهو من مقدمي الألف، وكان مسئولاً عن محتويات خزانة السلطان كالأقمشة والحرير والسروج المذهبة. والثاني خزندار العين، وهو وحده المسموح له بالدخول على الحريم، إضافة إلى مسئوليته عن الخزينة ونقودها. والثالث خزندار الكيس وهو الذي يقوم بتوزيع الصدقات على الفقراء والمستحقّين. مصطفى الخطيب، **معجم المصطلحات**، ص ١٥٦. ويتضح مِن ذلك أنَّ ريحان أغا كان خزندارًا مِن النوع الأوَّل؛ أيّ قائدًا عسكريًّا، بالإضافة إلى عمله في حفظ الخزينة.

(٥) أضيفت حتى يستقيم النص.

(٦) شهر رمضان ١١٩١هـ/ أكتوبر ١٧٧٧م.



العالمين، وذلك في عام اثنين وتسعين لثمان بقين من ربيع الثاني[(١)] عن يقين.

[وفاة المفتي علي عبد القادر الصديقي][(٢)]

وفي شهر صفر عام ثلاث وتسعين[(٣)] توفي المفتي علي بن عبد القادر الصديقي الحنفي مفتي مكة، وكان خليفة النعمان، وزهرة في وجنة الزمان، له في منصب الإفتا[(٤)] ما يزيد على أربعين سَنَة، مضت كأنَّها في مقلة الدهر سِنَة[(٥)]، فألبس ابن أخيه المفتي عبد القادر[(٦)] ابن المفتي يحيى ابن المفتي عبد القادر منصب الإفتا[(٧)]، وكان إمامًا عالِمًا، في كُلّ العلوم فَتَى.

[ثالث حرابة مع عمّه الشريف أحمد][(٨)]

وفي هذا العام[(٩)] خرج غالب الأشراف مُفَارقين، وتفَرَّقوا في

(١) ٢٢ ربيع الثاني ١١٩٢هـ/ ١٩ مايو ١٧٧٨م.
(٢) كتبت على الهامش الأيمن النسخة (ب)، ورقة ٥١.
(٣) يبدو أنه وقع خطأ في نسخ هذا السنة، والصحيح أنهَّا سنة سبع وثمانين، والتي شهدت وفاة المفتى علي بن عبد القادر، كما يشهد بذلك سير الأحداث السابقة واللاحقة، والتي تثبت بأنها جزء من أحداث عام ١١٨٧هـ/ ١٧٧٣م. أحمد القطان، **تنزيل الرحمات**، ٢/ ٢٩٩؛ زيني دحلان، **خلاصة الكلام**، ص ٢٠٩.
(٤) كذا في الأصل، والصواب: الإفتاء.
(٥) سِنَة: أيّ لحظة.
(٦) **المفتي عبد القادر**: عبد القادر بن يحيى بن عبد القادر بن أبي بكر بن عبد القادر الصديقي البكري الحنفي المكي. ولد في مكة المكرمة عام ١١٤٩هـ/ ١٧٣٦م، وولي إفتاء الحنفية بعد وفاة عمّه علي بن عبد القادر عام ١١٨٧هـ/ ١٧٧٣م، وهو سبط الشيخ حسن عجيمي، وقد جمع له تآليف عديدة مِن الهوامش التي كان يكتبها بخطه ويعلقها على الكتب، فجمعها له، ومِنْها «حاشية على الأشباه والنظائر»، و«حاشية على الدرر»، و«تاريخ الطائف». توفي في مكة المكرمة عام ١١٩١هـ/ ١٧٧٧م، ودُفِنَ بمقبرة المَعْلَاة. أحمد القطان، **تنزيل الرحمات**، ٢/ ٣٠٢؛ عبد اللّٰه الغازي، **نظم الدرر**، ص ٢٨٠-٢٨١.
(٧) كذا في الأصل، والصواب: الإفتاء.
(٨) كتبت على الهامش الأيمن النسخة (ب)، ورقة ٥٣.
(٩) أي عام ١١٨٧هـ/ ٢٤ مارس ١٧٧٣ - ١٢ مارس ١٧٧٤م.

كُلّ الجِهات، ومنعوا السُّبل وقطعوا الطرقات. وفي سابع عشر ربيع الأول[١] أقبل على مكة الشريف أحمد، فجمع له صاحب الترجمة واستعد، وحصل بينهما القتال، وانتثر الدَّم وسال؛ فحصلت هزيمة في جيش الشريف سرور، وطلب ذمَّة على قانونهم المشهور / ق ٧٥/ ثم حمل الشريف سرور بنفسه حملة وأيّ حملة، واقتفاه السيد أحمد بن عبد الكريم بقوم وأنكر أخذ الأجلة؛ فانهزم الشريف أحمد، وانفرط عقد قومه وتبَدَّد، فأخذ ذِمَّة عَشَرَة أيام، وتَوَجَّه إلى الْمَعْدِن[٢] وبه أقام، ثم تَوَجَّه مِن غير تَوَان[٣]، ومَلَكَ الطايف[٤] بغير قتال في ربيع الثاني[٥]، فجاءهُ العسكر الذي بالطايف[٦] وخدموه، وأرسل للقبايل[٧] فأجابوه.

[رابع حرابة مع عمّه الشريف أحمد][٨]

ولمَّا طالت عليه الغربة وتوالت السنون، تزوج في الطايف[٩] على بنت الشيخ محمد شيخون، ثم قصد مكة بعبيده ومَن معه مِن العسكر، فخرج له الشريف سرور وشَمَّر، فحصلت بينهما ملحمة بالمَعَابِدَة، عاد مِنْها سرور مسرورًا بالفائدة، ووَلَّى الشريف أحمد هاربًا إلى خُلَيْص، وما ظفر بشيء ولا استفاد، وذلك في عشرين جماد، وقتل في هذه الواقعة

(١) ١٧ ربيع الأول ١١٨٧هـ/ ٧ يونيو ١٧٧٣م.
(٢) الْمَعْدِن: قرية تقع جنوبي الطائف بحوالي ٣٠ كيلًا عند جبل الأخضر، وتعرف - أيضًا - مَعْدِن البُرْم، وقد عُرِفَت بهذا الاسم لوجود آثار حفر للتنقيب عن المعادن، وتتوافر فيها ماء الآبار، كما أنها تشتهر بالنخل والزرع. عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ص ٧٦، ١٦١٨-١٨١٩.
(٣) أي دون تقصير أو تأخير.
(٤) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.
(٥) شهر ربيع الآخر ١١٨٧هـ/ ٢١ يونيو - ١٩ يوليو ١٧٧٣م.
(٦) كذا في الأصل، والصواب: الذين بالطائف.
(٧) كذا في الأصل، والصواب: للقبائل.
(٨) كتبت على الهامش الأيمن النسخة (ب)، ورقة ٥٣.
(٩) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.

نحو العشرين، وهذا بتقدير رب العالمين.

[خامس حرابة مع عمّه الشريف أحمد][١]

ثم في شهر شعبان[٢] وصل السيد عبد اللَّه الفِعْر إلى الطايف[٣]، وتمَّ الأمر بينه وبين السيد سليمان بن يحيى أنْ يعطيه شياء[٤] مِن الدراهم يجمع بها عُربان[٥] ويدعي بطلب مكة، فبلغ الشريف أحمد وهو في خُلَيْص فتَوَجَّه للطايف[٦]، ومع قدرة اللَّه تعالى امتنع السيد عبد اللَّه الفِعْر عن إخراج الدراهم، فلمَّا وصل الشريف أحمد إلى نَعْمَان، خرج الشريف سرور وقصده في ذلك المكان، فهرب إلى موضع لهُذَيْل يقال له: ضَجَّة[٧]، فلحقه وأثار البارود وعجّة[٨]، فهرب إلى جبال شامخة راى[٩] فيها حصانته، فأخذ عليه جانبًا مِن خزانته، وذلك في رمضان[١٠].

[سادس حرابة مع عمّه الشريف أحمد]

ثم تَوَجَّه الشريف أحمد على الهَدَا[١١]، وجمع عُربانًا مِنْه قد ضَلُّوا عن سبيل

---

(١) كتبت على الهامش الأيسر النسخة (ب)، ورقة ٥٣.

(٢) شهر شعبان ١١٨٧هـ/ ١٧ أكتوبر - ١٤ نوفمبر ١٧٧٣م.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: شيئًا.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: عُربانًا.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: للطائف.

(٧) ضَجَّة: شِعْب يسيل على (عِلي) مِن الشرق في وداي رَهْجَان ثم إلى نَعْمَان، أهله بنو إياس، وبطون أخرى صغيرة مِن هُذَيْل مثل: بني كعب، وبني زياد. عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ص ١٠٣٠.

(٨) **عجّة**: صوت، يقال: سمعت عجّة القوم وعجيجهم، أي أصواتهم. ابن منظور، **لسان العرب**، ٢/ ٣١٨.

(٩) كذا في الأصل، والصواب: رأى.

(١٠) شهر رمضان ١١٨٧هـ/ ١٥ نوفمبر - ١٤ ديسمبر ١٧٧٣م.

(١١) كذا في الأصل، والصواب: الهَدَأْة، وهي فرعة واسعة على ظهرالسراة بين مكة والطائف، ذات مزارع كثيرة، وسُكَّانها ثقيف وقُرَيْش. عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ص ١٨٢٤.

الهُدَى، وأخذ الطايف[١] بغير قتال، وأخذ مِن أهله جملة مِن الأموال، وتَوَجَّه قاصدًا مكة بالبادية والعسكر، وقد سبق في علم اللَّه تعالى أنْ لا ينال مكة، وجَرَى بهذه القضاء والقدر، فخرج لقتاله صاحب الترجمة، وخيول عزمه بالظفر ملجمة، فصار بينهم قتال دون ساعتين زمانية، أسفر الأمر عن انكسارة الشريف أحمد، وطرد خلفه ابن اخيه مِن المَعَابِدَة إلى الحُسَيْنِيَّة، وذلك في سابع شوال[٢]، فأدركه ثمة وسلب عبيده وخيله، وسلب عساكره وتركه عيْلة، فمكث بها ستة أيام وأراد التَّوَجُّه نحو اليمن، وعزم على ذلك وظعن، فبلغ ذلك الشريف سرور[٣]، فبادره وأخذ جميع عبيده، وما أبقى له شي[٤]، وعاد مكة مسرور[٥] / ق٧٦/.

فتَوَجَّه الشريف أحمد إلى وادي مَرّ، ثم إلى خُلَيْص، ثم إلى مدينة سيد البشر، فمكث بها ليالٍ وأيام[٦]، إلى أنْ وصل بالحج والي الشام[٧]، فأرسل يطلب مواجهته، فامتنع وهدد مرسوله وقمع، فمكث بها إلى شهر محرم[٨]

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.

(٢) ٧ شوال ١١٨٧هـ/ ٢٢ ديسمبر ١٧٧٣م.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: سرورًا.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: شيئًا.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: مسرورًا.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: أيامًا.

(٧) **والي الشام**: كان والي الشام وأمير قافلة الحج الشامي في هذا العام محمد باشا العظم (١١٨٧-١١٩٧هـ/ ١٧٧٣-١٧٨٣م)، الذي يُعَدُّ أحد أشهر حكام أسرة آل العظم التي حكمت الشام، وجده لأمه إسماعيل باشا العظم. ولد في دمشق في ١٠ شوال ١١٤٣هـ/ ٢٤ ديسمبر ١٧٧٣م، وقد تقَلَّب في حكم العديد مِن المناطق بالدولة، ثم ولي حكم الشام عام ١١٨٧هـ/ ١٧٧٣م، وقد فرح الناس بارتقائه الولاية، واستمر حكمه حوالي أحد عشر عامًا، ولم يشهد أيّ معارضة تذكر، وتَمَتَّعت البلاد بازدهار اقتصادي، وكان موفقًا إلى أبعد الحدود، حتى قال عنه المرادي: إنَّه أفضل حكام دمشق في القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي، وقد توفي ١٣ جمادى الأولى ١١٩٧هـ/ ١٥ إبريل ١٧٨٣م. خليل المرادي، **سلك الدرر**، ٤/ ٩٧-١٠٢؛ عمر عبد العزيز عمر، **المشرق العربي**، ص ١٦٢، ١٨٢-١٨٣؛ عبد الغني عماد، **السلطة في بلاد الشام**، ٨٦-٨٧.

(٨) أي إنَّه ظلّ حتى بدء السنة التالية، شهر محرم ١١٨٨هـ/ ١٣ مارس - ١١ أبريل ١٧٧٤م.

الحرام، ثم إلى تَوَجَّه إلى خُلَيْص وأقام.

[سيول مكة المكرمة سنة ١١٨٧]

وفي يوم الجمعة ثاني شوال[١] جات[٢] أمطار عظيمة بمكة ونواحيها، وسال السيل حتى دخل البيت الشريف، فَنُودِي على الناس لتنظيف المسجد، فجات[٣] بمساحيها[٤] وشالت الناس ما رماه السيل مِن الطين والتراب، حتى صار كالجبل مُلْقَى على كُلّ باب، فما مضى نصف شهر أو أقلّ حتى جاء سيل أعظم مِن الأوَّل، ودخل الكعبة وأعاد التراب في المسجد الحرام، واستدعى الناس نفير عام[٥]، فنظفوا المسجد للمسلمين، وقد ثبت أنَّ إخراج الوسخ مِن المساجد مهر لحور العين[٦].

❑ ❑ ❑

(١) ٢ شوال ١١٨٧هـ/ ١٦ ديسمبر ١٧٧٣م.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: جاءت.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: فجاءت.
(٤) **مساحيها**: جمع مسحاة، وهي مجرفة من حديد. **المعجم الوسيط**، ص ٤٢١.
(٥) كذا في الأصل، والصواب: نفيرًا عامًّا.
(٦) لم أقف عليه في المصادر المتاحة.

[أحداث سنة ١١٨٨]

وفي ثاني يوم من محرم[١] الحرام جاء سيل عظيم، ووصل إلى رديف باب البيت الشريف، وأخرب بعض الدُّور، وأسْكن ثلاثة مِن سُكانها القبور، وذلك سنة ثمان وثمانين بعد المائة والألف[٢] مِن هجرة سيد المرسلين، وبسبب كثرة السيول والأمطار، حصل ارتخاء الأسعار، ووَردت سَواعٍ مِن اليمن وسَواعي البصرة، وكل شيء نزل عن ثمنه، ورخَّص اللَّه تعالى سعره.

[الشريف سرور في مدينة جدة]

وفي اليوم السابع والعشرين مِن ربيع الأول[٣]، نزل صاحب الترجمة إلى جدة، ومكث بها أكثر مُدَّة، فهادته التجار بالهدايا، وهو حري أنْ يقابلهم بالمزايا، وبعد عوده سار في الناس سيرة مرضية وسلك فيهم طريقة هاشميَّة، فرفع كُلّ مكروه فاحش، وأزال ما أمكنه مِن المُنكرات والفواحشِ، فأثَّر فعله في القلوب، وسمحوا عن الزمان بِمَا جناه من الذنوب، فاجتمعوا الأشراف وطلبوا مِنْه المعاش، وقالوا: لا بُدَّ مِن تسليم ما هو لنا، فقال: إنْ قبلتم على دفتر الشريف مسعود، يتم بيني وبينكم المقصود؛ فقبلوا مِنْه ذلك الصنع، وهو بالنسبة إلى ما كان يعطيهم قدر الربع.

---

(١) ٢ محرم ١١٨٨هـ/ ١٤ مارس ١٧٧٤م.
(٢) ١١٨٨هـ/ ١٣ مارس ١٧٧٤ - ٢ مارس ١٧٧٥م.
(٣) ٢٧ ربيع الأول ١١٨٨هـ/ ٦ يونيو ١٧٧٤م.

[السيد عبد اللَّه الفعر يطلب العفو والشريف سرور يرفضه]

وفي ذي القعدة(١) ورد الخبر بأنَّ السيد عبد اللَّه بن أحمد الفِعْر خرج مِن لِيَّة، وقصده المنهج إلى مُلاقاة أمير الحج، فوصل إلى عُسْفان(٢) وخَيَّم، وأراد مُلاقاة محمد باشا بن العظم، فامتنع الباشا عن مُلاقاته، فواجه صنجق المصري وطاح في حماته، فأوعده يوم عرفة / ق٧٧/ يأتيه لكي يسعى بالصلح في مراضيه، ولمَّا أتاه في يوم الوقوف، ركب الصنجق واترجا(٣) لا يعود بغير قبول [الصلح](٤) مصروف؛ فأبى الشريف، وقال: قلبي لم يزل يبغضه، وإنْ لم يرتحل الآن لأركبن عليه وأقبضه، فارتحل قبل تمام المناسك، ولم يزل يخبط مِن طريق سالك وغير سالك، حتى وصل إلى لِيَّة وأقام بها أيامًا وليالي، فلمَّا بلغ الشريف أحمد ما صار على السيد عبد اللَّه الفِعْر، رحل مِن خُلَيْص واستقر بالْمَعْدِن، وهو غير مستقر.

❒ ❒ ❒

---

(١) شهر ذي القعدة ١١٨٨هـ/ يناير ١٧٧٥م.

(٢) **عُسْفَان**: بلدة عامرة تقع شمالي مكة على بعد ثمانين كيلًا على المَحجَّة إلى المدينة. وسُمِّيت عُسْفان لتعسف السيل فيها، وهي عقدة مواصلات مهمة، حيث تخرج مِنْها ثلاث طرق: الأولى إلى المدينة المنوَّرة تأخذ ثنية غَزَال إلى خُلَيْص، والثانية إلى مكة المكرمة على الصُّغْو فضَجْنان، والثالثة إلى جدة تخرج جنوبًا غربيًّا، وفيها آبار عذبة مجصصة ومرقبة، مِنْها بئر التَّفْلة، ويسكنها بِشْر مِن بني عمرو مِن حرب. عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ص ١١٥١-١١٥٣.

(٣) أيّ رجائه لا يعود إلا بانقضاء الصلح بينهما.

(٤) ساقطة مِن الأصل، والإضافة من النسخة (ب)، ورقة ٥٤.

[أحداث سنة ١١٨٩]

[سابع حرابة مع عمّه الشريف أحمد]

وفي أواخر جمادى الآخرة [١] جمع صاحب الترجمة بعض قبائل هُذَيْل ومَن معه مِن المراجل وتَوَجَّه إلى الطايف[٢] بقصد إخراج الفِعْر، ويقاتله إنْ لم يرتحل من تلك المنازل، واستصحب معه آلة الحرب، وما يحتاج إليه ليقاتل به ويمانع، ومِن جملة ما استعده لذلك الدروع والمدافع، فوصل إلى الطايف[٣] في غاية جماد[٤]، وهو في كمال الاستعداد، ونزل بعُرضيه في خارج البلاد، ثم أرسل للقبايل[٥]، فلفت عليه كالنهر السايل[٦].

وأمَّا السيد عبد اللَّه فقد أدخل عبيده وأرحامه في حِصْنه الحَصِين، وتمكَّن به غاية التَّمْكين، فعند ذلك دخل جماعة مِن الأشراف بالصلح بين الطرفين؛ فوقع الصلح وانطوت شقة البَيْن.

وَيُمْكِنُ وَصْلُ الحَبْلِ بَعْدَ انْقِطَاعِهِ
ولَكِنَّهُ يَبْقَى بِهِ أَثَرُ الرُّبْطْ[٧]

وما أظنّ الحال بينهما يستقيم، ولا هذا الصلح بمُسْتَديم، كيف لا وقد

(١) جمادى الآخرة ١١٨٩هـ/ ٢٩ يونيو - ٢٦ أغسطس ١٧٧٥م.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.
(٤) غاية جمادى الآخرة ١١٨٩هـ/ ٢٦ أغسطس ١٧٧٥م.
(٥) كذا في الأصل، والصواب: للقبائل.
(٦) كذا في الأصل، والصواب: السائل.
(٧) البيت لا يعرف قائله، انظر: لويس شيخو اليسوعي، **مجاني الأدب في حدائق العرب**، ٣/ ٦٧؛ أحمد الهاشمي، **السحر الحلال في الحكم والأمثال**، ص ٧٥.

تنافرت القلوب، وكان ترتيب الأمر على غير أسلوب.

إنَّ القُلُوبَ إذَا تَنَافَرَ وُدُّهَا
شِبْهُ الزُّجَاجَةِ كَسْرُهَا لا يُجْبَرُ[١]

ثم عاد الشريف إلى مكة في نصف رجب[٢] بِمَن معه مِن الأشراف والعرب.

[غزوة على الضبان مِن قبيلة هُذَيْل]

وفي شهر شعبان[٣] غزا قبيلة مِن هُذَيْل يقال لها: الضبان[٤]، وهذه ثالث غزوة يغزوهم، وأخذ في هذه مواشيهم واستأصل أغنامهم، وخفر دماءهم حتى صاروا له كالعبيد، يغزو بهم أينما يريد.

[ثامن حرابة مع عمّه الشريف أحمد]

وفي شهر رمضان[٥] بلغ الشريف سرور[٦] أنَّ الشريف أحمد والسيد عبد اللَّه الفِعْر جمعوا القبايل[٧]، وأقبل كُلّ مِنْهما على الطايف[٨] صايل[٩]، فاستعد لقتالهم وكيل البلد، وجمع لهم جند[١٠] مجندة / ق٧٨/ فَوَلّوا هاربين، ونكصوا على أعْقابهم مُدْبِرين.

---

(١) البيت من قصيدة تعرف بالزينبية لصالح عبد القدوس وقيل لعلي بن أبي طالب رضي اللَّه عنه، انظر: لويس شيخو اليسوعي، **مجاني الأدب**، ٤/ ٩١؛ أحمد الهاشمي، **السحر الحلال في الحكم والأمثال**، ص ٦٨.

(٢) ١٥ رجب ١١٨٩هـ/ ١٠ سبتمبر ١٧٧٥م.

(٣) شهر شعبان ١١٨٩هـ/ ٢٦ سبتمبر - ٢٤ أكتوبر ١٧٧٥م.

(٤) **الضبان**: فرع مِن دعد، مِن جميل مِن قبيلة هُذَيْل. محمد سليمان الطيب، **موسوعة القبائل**، ٥/ ٤٤١.

(٥) شهر رمضان ١١٨٩هـ/ ٢٥ أكتوبر - ٢٣ نوفمبر ١٧٧٥م.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: سرورًا.

(٧) كذا في الأصل، والصواب: القبائل.

(٨) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.

(٩) كذا في الأصل، والصواب: صائلًا.

(١٠) كذا في الأصل، والصواب: جندًا.

فلمَّا كان اليوم الثالث عشر مِن شهر شوال[1]، هجم على الطايف[2] وقت الفجر، وتَمَلَّك على وكيل البلد بالغدر، ومعه السيد عبد اللَّه بن أحمد الفِعْر، والسيد عبد اللَّه بن مسعود وجانب مِن العبيد والجرود، فنزل الوكيل مِن المُثنى، وحصل بينه وبينهم قتال طويل أتعبه وعنا، ووجد عشرون مِن بني سعد - مِن قوم الشريف أحمد - مرودًا في بيت الوكيل ملآنًا مِن البارود، فأرادوا قسمته، فثارت فيه نار مزّقتهم كُلّ ممزّق، وأسْكَنتهم اللُّحُود، فصال الوكيل على الشريف أحمد، وحمل عليه بالقوم، فولى هاربًا مِن البلد، واستقرّ بعدها في الْمَعْدِن. والسيد عبد اللَّه الفِعْر ذهب إلى وادي لِيَّة بحالٍ موهن، فمكث برهة ثم تَوَجَّه بكبد دام، وطرف هام، إلى وادي خُلَيْص ينتظر الحاج الشامي، فزلف عنه الحج وما أَمْكَن، فارتفع إلى طرف الحَرَّة وقطن.

❐ ❐ ❐

(١) ١٣ شوال ١١٨٩هـ/ ٦ ديسمبر ١٧٧٥م.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.

[أحداث سنة ١١٩٠]

[القبض على السيد عبد اللَّه الفِعْر وسجنه في القُنْفُدَة]

فلمَّا بلغ صاحب الترجمة، أعمل له حِيلة مُحْكَمَة، وأرسل سرية مِن الركاب والخيل الصافنات، ووَكَّل عليها السيد ناصر بن مستور[1] مِن آل بركات، وأمره بقبضه أينما حَلَّ، وأنْ لا يراعي القانون ولا يختَلّ، فأدركته الخيل وقبضوه في طرف الحَرَّة، واستغرّ على قياسه في عرفهم فغَرَّه، ومعه السيد بركات بن جود اللَّه[2]، فسفَّر الجميع إلى جزيرة القُنْفُدَة، وكسر القانون وسنّ لصرم حباله المُده[3]، ثم أمر بإطلاق السيد بركات، فوصل مكة وصاحبه مسجون في تلك الجهات.

---

(١) **ناصر بن مستور**: ناصر بن مستور بن رضا بن يعلى بن حمزة بن موسى البركاتي النموي، أحد القادة العسكريين للأشراف، وقد أمره الشريف سرور بالقبض على السيد عبد اللَّه الفِعْر عام ١١٨٩هـ/ ١٧٧٥م، وكذلك وكَّله في محاربة عمّه الشريف أحمد عام ١١٩٢هـ/ ١٧٧٨م، وأرسله أيضًا لمساعدة الحامية العسكرية التي تركها في المدينة المنوَّرة عام ١١٩٤هـ/ ١٧٨٠م، وبعد رحيله ثار الأهالي بمساعدة حرب وطردوا هذه الحامية، ولم تفلح السرية في الأمر الذي وكلت به - كما سيأتي ذكره - وعادت تجر أذيال الهزيمة، وقد فُوِّضَ السيد ناصر من قِبل الشريف غالب بن مساعد عام ١٢٠٤هـ/ ١٧٩٠م للصلح بينه وبين إخوته، وقد نجح في ذلك، وأرسله عام ١٢٠٧هـ/ ١٧٩٣م للقضاء على بعض الفتن التي وقعت في المدينة المنوَّرة. أحمد زيني دحلان، **خلاصة الكلام**، ص ٢١١، ٢١٤، ٢٢٦، ٢٦٣؛ أحمد ضياء العنقاوي، **أعلام الأشراف**، ٣/ ٢٢٥.

(٢) **السيد بركات بن جود اللَّه**: بركات بن جود اللَّه بن مسعود بن جود اللَّه بن حسن النموي، انضم إلى السيد عبد اللَّه الفِعْر في محاربته الشريف سرور في عام ١١٨٩هـ/ ١٧٧٥م، وقد قبض عليه السيد ناصر بن مستور، وقام بحبسه في سجن القُنْفُدَة، حتى جاء الأمر مِن الشريف سرور بإطلاق سراحه، فعاد إلى مكة المكرمة، وقد توفي في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي. أحمد زيني دحلان، **خلاصة الكلام**، ص ٢١١؛ أحمد ضياء العنقاوي، **أعلام الأشراف**، ١/ ١٣٦، ١٤٣.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: المُدَى. ومفردها المُدْيَةُ: أي الشَّفْرَةُ الكبيرة، أو السِّكِّين. **المعجم الوسيط**، ص ٤٤٠.

[السيد عبد اللَّه الفِعْر يهرب إلى اليمن]

فلمَّا مَضَى له في السجن قدر نصف عام[١]، وإنسان عينه غرق في بحر الدموع وعام، أرسل يطلبه صاحب الترجمة، ولم يعلم بنتيجة هذه المقدمة، فلمَّا كان في أثناء الطريق أرسل الأمير فرحان سفينته وعسكره، وأخذوه مِن السفينة، وقالوا له: قد نجوت مِن القوم المهينة، فوصل إلى اللُّحَيَّة، وأكرمه الأمير فرحان، وطاب حاله وزان.

[الشريف يراسل إمام اليمن ليسلّمه السيد عبد اللَّه الفِعْر]

فلمَّا بلغ الشريف سرور[٢] هذا الخبر أزعجه وكدّر، ولم يطب له مقرّ حتى أرسل لإمام اليمن[٣]، وأخبره أنَّ هذا يورث بيننا حِقدًا وضَغِن[٤]، فأرسل الإمام كتابًا للأمير، وحذّره عن إبقائه غاية التحذير، وأمره أنْ يُرْسِلَه لصاحب مكة، / ق٧٩/ وهو مُخَيَّر إنْ شاء سجنه، وإنْ شاء فَكَّه، وعَرَّف الشريف أنْ يرسل مَن يقبضه مِن الأمير، فأرسل عبد أبيه الوزير بشير، وأخذه مِنْه وسجنه في القُنْفُذَة، حتى مضى عليه حَوْل، ولم يجد له قوة في خلاص نفسه ولا حول[٥]، ثم نقل إلى سجن ينبع، فسجن به مُضَيِّقًا عليه، ومكث عامًا مسجونًا لديه.

---

(١) أي إنَّه ظل تقريبًا حتى منتصف عام ١١٩٠هـ/ ٢٠ فبراير ١٧٧٦ - ٧ فبراير ١٧٧٧م.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: سرورًا.

(٣) **المنصور باللَّه علي بن العباس** (١١٨٩-١٢٢٤هـ / ١٧٧٥-١٨٠٩م): كان إمام اليمن حينئذ، ولد بصنعاء عام ١١٥١هـ/ ١٧٣٨م، وتولى إمامة اليمن بعد وفاة والده المهدي ١٩ رجب ١١٨٩هـ/ ٧ سبتمبر ١٧٧٥م. توفي في صنعاء في ١٥ رمضان عام ١٢٢٤هـ/ ٢٥ أكتوبر ١٨٠٩م، ودُفِنَ في بستان المتوكل. وللمؤرخ اليمني لطف اللَّه جحاف كتاب في سيرته سمَّاه: "درر نحو الحور العين لسيرة الإمام المنصور وأعلام دولته الميامين". محمد بن زبارة الصنعاني، **نيل الوطر**، ٢/ ١٤٠-١٤٢؛ خير الدين الزركلي، **الأعلام**، ٤/ ٢٩٨؛ حسين العمري، **مِن تاريخ اليمن**، ص ٦٠-١٦٧.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: ضَغِنًا.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: حولًا.

[غزوة على بعض قبائل هُذَيْل]

وفي العام المذكور[١] أرسل صاحب الترجمة سرية مِن الركب والخيل، وصبّح بعض قبائل هُذَيْل، وفي يَوْم التَّرْوِيَة[٢] وقعت الواقعة بين حجاج المغاربة وبين العرب؛ فقتلوا أربعة مِن المغاربة، ولم يعلم لهم السبب.

[الشريف سرور يزور مسجد ابن عباس في الطائف]

وفي عاشر رجب[٣] تَوَجَّه لزيارة سيدنا العفيف، ووضع شباكًا مِن الفِضة تجاه قبره الشريف، وأقام ثمانية أيام، ثم غزا على الشَّيَابِيْن[٤]، ولم يزل يغزوهم حتى أتوه صاغرين، فسمح عنهم وقَرَّبهم وأدناهم، وسببه أَنَّهم كانوا ينهبون القوافل، ويسرقون الحجاج، ويسلكون طريق الليل والاعوجاج.

[سيول على قرية حَدَّة وتضرر الحجاج]

وفي رابع ذي الحجة[٥] سال بقرية حَدَّة[٦] سيل عظيم، ووصل إلى السوق وجرَّ أموالاً عظيمة مِن الحيشان، ثم وردت الحجوج في موسم، والناس في كرب عظيم مِن قطع الطرق، وغلو الأسعار، ولم يقرّ للواقفين ولا القاطنين بها قرار.

---

(١) ١١٩٠هـ/ ٢٠ فبراير ١٧٧٦ - ٧ فبراير ١٧٧٧م.

(٢) يوم التَّرْوِيَة: هو اليوم الثامن مِن ذي الحجة، وهو اليوم الذي يذهب فيه الحجاج إلى منى للمبيت فيها استعداداً لصعود جبل عرفة. ويوافق في هذا العام ٨ ذو الحجة ١١٩٠هـ/ ١٧ يناير ١٧٧٧م.

(٣) ١٠ رجب ١١٩٠هـ/ ٢٤ أغسطس ١٧٧٦م.

(٤) الشَّيَابِيْن: فخذ مِن عيال منصور مِن بَرْقة، مِن قبيلة عُتَيْبَة، يقطن الرُّكْبَة التي تقع إلى الشمال الشرقي مِن الطائف، ولهم في نجد العديد من الهجر ومنها حلبان، والروضة، والخاصرة، ووادي رغوان، والحمة. عمر رضا كحالة، **قبائل العرب**، ٢/ ٦٢١؛ تركي القداح، **دراسات حول عُتَيْبَة**، ص ٢٠-٢١.

(٥) ٤ ذو الحجة ١١٩٠هـ/ ١٣ يناير ١٧٧٧م.

(٦) حَدَّة: بلدة صغيرة على الطريق بين جدة ومكة، بها حصن ومسجد، وعين ماء. إبراهيم رفعت، **مرآة الحرمين**، ١/ ٢٧؛ عاتق البلادي، **معالم مكة**، ص ٨١-٨٢.

[أحداث سنة ١١٩١]

[تاسع وعاشر حرابة مع عمّه الشريف أحمد]

وفي أوايل[1] ألف ومايه[2] وإحدى وتسعين[3]، انتقل الشريف أحمد إلى جبال هُذَيْل، فاجتمعوا عليه فنزل بهم إلى نَعْمَان، فأرسل إليه صاحب الترجمة سرية أمَّر عليها السيد مبارك بن عجلان، فلمَّا أحَسَّ بها وَلَّى هاربًا على الجبال منهزمًا، فتبعه الوكيل عازمًا على لزمه مُصَمِّمًا، فوقع القتال بين هُذَيْل والرتبة، ووثبت عليها هُذَيْل أيّ وثبة، فانهزمت الرتبة، ولم يرجعوا عنها، حتى قتلوا ثلاثة وأصابوا خمسة مِنْها، ومكث الشريف أحمد لديهم مُدَّة مِن الزمان، ثم نزل بهم ثانيًا إلى نَعْمَان، فلمَّا بلغ ذلك الشريف سرور[4]، ركب بنفسه إلى العَابِدِيَّة، وجمع مِن القبايل[5] والأشراف أهل النجدة والحمية، وأقام بها ليال وأيام[6]، ولم يتقد لنار الحرب ضرام، ثم تفرَّقت قوم الشريف أحمد، ورجع جبال هُذَيْل حيث يعهد.

[وفاة مفتي الحنفية عبد القادر بن يحيى]

وفي ثالث صفر[7] توفي المفتي عبد القادر بن يحيى مفتي السادة الأحناف، وسعى للفوز بدار النعيم وطاف، وطاب له مِن ثمار الجنة العطاف / ق٨٠/ .

(١) كذا في الأصل، والصواب: أوائل.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: مائة.
(٣) ١١٩١هـ/ ٨ فبراير ١٧٧٧ - ٢٨ يناير ١٧٧٨م.
(٤) كذا في الأصل، والصواب: سرورًا.
(٥) كذا في الأصل، والصواب: القبائل.
(٦) كذا في الأصل، والصواب: أيامًا.
(٧) ٣ صفر ١١٩١هـ/ ١٢ مارس ١٧٧٧م.

[وفاة السيد أحمد بن عبد الكريم بن يعلى]

وفي خامس صفر[1] توفي السيد أحمد بن عبد الكريم بن محمد بن يعلى، وجيء به مِن الوادي ودفن بالمَعْلا.

[ولاية إفتاء الحنفية للشيخ عبد الملك القِلْعي]

وفي اليوم الحادي عشر من شهر ربيع[2] الأغر، زَهَت وجنة الأرض بنعماتها، وطابت بلد اللَّه تعالى لسُكَّانها، واستقرّ في وجه البسيطة إنسان عينها وعين إنسانها، وتحَلَّى جِيد الزمان العاطل، وطلعت شمس الآفاق في جميع المنازل، حين جرت مياه الحياة في مجاريها، وأُعطيت القَوس لراميها، فوقعت الأشيا[3] في محَلِّها، وأُعِيْدت الأمانة لأهْلها، بتقْلِيد منصب العزّ والفتوى، لمظهر الدين الحنيف أمانة وتقوى، خاتمة المحقِّقِين في جميع العلوم، وعُمدة المدقِّقين في المنطوق والمفهوم، الْهُمَام الذي قدَّمَته المكارم وسَنَّمَته ذُرَاهَا، وتَمَسَّكَت الفضايل[4] بأذيال مجده وأوْثَقَته عُراها، مفرد الوجود، وكعبة الأفْضَال والجُود، الماجد الذي بُهِرَت العُقول بِرواياته ودِراياته، ولاحَت في أفق الخافقين أعلامه وراياته، الفاضل الذي هطلت بمعارفه أعْيُن الغَمَام، وغنَّت على أفْنَان أقْلامه ساجعات الحمام، الْمِلسَان الذِي أبْقَل[5] قُسًّا[6]

---

(١) ٥ صفر ١١٩١هـ/ ١٤ مارس ١٧٧٧م.

(٢) شهر ربيع الأول ١١٩١هـ/ ٨ أبريل - ٧ مايو ١٧٧٧م.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: الأشياء.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: الفضائل.

(٥) **أبْقَل**: ظهر. يقال أبْقَل الشيء أيّ ظهر. وهنا يعني أنَّه ظهر في فن الخطابة وفاق. **المعجم الوسيط**، ص ٦٦.

(٦) **قُسُّ بن سَاعِدَة**: قُسُّ بن سَاعِدَة بن عَمْرو، مِن بني إِيَاد. أحد حُكماء العرب، ومِن كِبار خُطَبائهم في الجَاهِلية، وهو الذي قال فيه النبي ﷺ: «رأيته بسوق عُكَاظ على جمل أحْمَر، وهو يقول: أيُّهَا الناس اجتمِعُوا واسْمَعوا وَعُوا، مَن عاش مات، ومَن ماتَ فَاتْ، وكُلُّ ما هو آتٍ آت». وقيل: إنَّه أوَّل عربي خطب متوكئًا على عصا، وأوَّل مَن قال في كلامه: أمَّا بعد. توفي حوالي عام ٢٣ق.هـ/ ٦٠٠م. شوقي ضيف، **تاريخ الأدب: العصر الجاهلي**، ج١، دار المعارف، القاهرة، ط ٢٤، د.ت، ص ٤١٥؛ كامل سلمان الجبوري، **معجم** =

في خُطْبَتِه يوم عُكَاظ[١]، والبليغ الذي مَلَكَ حُرَّ المعاني ورقيق الألفاظ، فَقُل ما شئت فيه مِن مزايا ومِن لطف ومِن وصف حميد، ولقد حاز مِن حُسْن الخُلُق والوقار والسكينة، مَكَانة مِن الزهد مَكِينة، فهو المفتي الذي أيس عن إدراك معانيه إِيَاس، والألمعي الذي يجوز في حَقّه أنْ يكون طبقة أهل التخريج والقياس، بدر العلوم وشمسُ الفضايل[٢]، نَجْم الهداية الذي أصبح به ركن الجهالة مايل[٣]، مجمع المحاسن الذي أضحى الأنام على علو قدره وفاق[٤]، وسما بالمعارف والعوارف على النيرين وفاق[٥]، خزانة الكنز المنتقى مِن دُرَر البحار، فلم تزل كوسه دهاق[٦] وخِيرة الكنز المصفى مِن صدر الشريعة، الحاوي مِن الهداية ما قام عليه البُرهان بالأدلة البديعة، الذي ساد بِعُلوّ قدره سادة عصره، وعزيز مصره، سعد أهل زمانه في البيان والمعاني، الفقيه المُقَدَّم، مَن حُقَّ له بأنْ يُدْعَى أبو[٧] حنيفة الثاني، إِمَام أهل الصَّرف وخليفة الزَّنْجَانِي[٨]،

= الأدباء من العصر الجاهلي حتى سنة ٢٠٠٢م، ج ٤، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ص ٤٩٠.

(١) **عُكَاظ**: سوقٌ للعرب قبل الإسلام، كانوا يجتمعون فيها فيتناشدون ويتفاخرون، وكانت فيها وقائع، وهي موضع بين نَخْلَة والطّائف، كانت تقوم هلالَ ذي القعدة وتستمر إلى العشرين مِنْه. **المعجم الوسيط**، ص ٦١٩.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: الفضائل.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: مائلًا.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: وفاقا.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: وفاقا.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: كئوسه دهاقًا.

(٧) كذا في الأصل، والصواب: أبا حنيفة.

(٨) **الزَّنْجَانِي**: أبو المعالي عز الدين عبد الوهاب بن إبراهيم بن عبد الوهاب الزَّنْجَانِي الشافعي المعروف بالعزّي صاحب «التصريف» المتن المشهور في الصرف، ولد في النصف الثاني من القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي في زَنْجان في أذْرَبيجان، واستوطن تبريز، وأقام بالموصل، وسكن في أخريات حياته في بغداد، ومن مؤلّفاته: «تصحيح المقياس في تفسير القسطاس»، شرح فيه القسطاس للزمخشري في علم العروض، و«تصريف العزي»، و«الكافي في شرح الهادي»، وهو في النحو والصرف، و«عمدة الحساب»، توفي بعد عام ٧٥٥هـ/ ١٣٥٤م، انظر: مسعود بن عمر بن عبد اللّه التفتازاني، **شرح تصريف العزي**، =

/ ق٨١/ ومرجع أهل الأدب [الأرَّجَانِي][١]، مولانا العلامة القدوة الفهامة شيخنا وأستاذنا المفتي عبد الملك[٢] بن العالم القاضي عبدالمنعم بن العلامة تاج الدين بن القاضي عبد المحسن القلعي الحنفي مفتي مكة دام مجده، وزاد قدره وسعده.

[القضاء على السيد لبَّاس أحد قطّاع الطريق]

وفي أوَّل ربيع الثاني[٣] خرج القَفْل مِن مكة لزيارة العفيف والبحر الخضم، الذي يغترف مِنْه القوي والضعيف، فخرج عليهم السيد لبَّاس ابن عبد المعين[٤]، أخ السيد عبدالكريم[٥]، وجماعة مِن ذوي حمود، ومِن قطّاع الطريق الموصوفين بذلك، لهم خِزْيٌ في الحياة الدنيا، ولهم في الآخرةِ عذابٌ أليم، فأخذوا القافلة بأجمعها، وقتلوا عُرباناً كانوا معها، وضربوا عابدي النَّجاب، فَحُمِلَ إلى مكة، ثم توفي ونال الأجر في يوم الحساب.

= عني به: محمد جاسم المحمد، دار المنهاج، لبنان، ط١، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م، ص ١٠-١٢.

(١) وردت في الأصل: الأجاني، والتصويب مِن النسخة (ب)، ورقة ٥٧.

(٢) سبقت ترجمته.

(٣) أوَّل ربيع الثاني ١١٩١هـ/ ٨ مايو ١٧٧٧م.

(٤) **لبَّاس بن عبد المعين**: لبَّاس بن عبد المعين بن محمد أبي البطين بن حمود بن عبد اللّٰه ابن حسن ابن محمد أبي نمي. كان أحد قطاع الطريق، فقبض عليه الشريف سرور عام ١١٩١هـ/ ١٧٧٧م، وسجنه في مكة ستة أشهر، ثم أرسله إلى سجن ينبع سنة، ثم أخرجه، وأعاده إلى مكة، وانقطعت أخباره، ولم أقف على تاريخ وفاته. أعقب ثلاثة أبناء، وهم: شاهين، وغالب، وعبد المطلب. أحمد زيني دحلان، **خلاصة الكلام**، ص ١١٢؛ أحمد ضياء العنقاوي، **أعلام الأشراف**، ٢/ ٣٧٩-٣٨٠.

(٥) **عبد الكريم بن عبد المعين**: عندما قام الشريف سرور بسجن أخيه لبَّاس، غضب وانضم إلى بعض المناوئين، وخرجوا على الشريف؛ فهزمهم وقبض على بعضهم، وفرَّ بعضهم الآخر، ومنهم السيد عبد الكريم إلى اليمن، ثم طلب العفو مِن الشريف سرور فعفا عنه، وعاد إلى مكة، وانقطعت أخباره، ولم أقف على تاريخ وفاته. أعقب أربعة أبناء، وهم: أبو طالب، وسعد، وعبد المعين، ودخيل اللّٰه. أحمد زيني دحلان، **خلاصة الكلام**، ص ١١٢؛ أحمد ضياء العنقاوي، **أعلام الأشراف**، ٢/ ١٢٩-١٣٠.

وفي شهر جماد[1] خرج قَفْل غير الأوَّل، لزيارة العفيف المفضل، فتعَرَّض لهم السيد لبَّاس، ونهبهم في خَرِيْق الرَّأْس[2]، ثم رجع أهل القافلة إلى عرفة وسَوْأتهم مُنْكَشِفَة، ومِن عجايب[3] الاتفاق أنَّ الشريف سرور[4] كان مُقَيِّلاً في العَابِدِيَّة، فبلغه الخبر وفزع مِن فوره على الأثر، ولم يزل يَقْفُو أثرهم نهاره بِمَا طال، فلمَّا رأوه طرحوا الأخيذ[5]، وتوزاوا[6] روس[7] الجبال، فحَمَلَه لأصحابه إلى عَرَفة، وأخذ كُلّ مَن رأى حَقَّه وعَرَفه.

ثم إنَّ الشريف سرور[8] صَمَّم على لزم السيد لبَّاس، وجعل عليه الجواسيس والحراس، فأخبرته العيون أنَّه يأوي إلى أهله في الشَّرَفِيَّة[9]، فخرج له جنح ليل في سرية، وهجم عليه وهو مختفٍ بين الحريم، وقَبَضَه قبضًا لا يسعه فيها غير التسْليم، وقَتَل ثلاثة مِن عبيده الذي[10] كانوا معه يقطعون الطريق، وجازاهم اللَّه تعالى مِن جنس فعلهم على التحقيق، ووضع السيد لبَّاس في حبس كالرَّمْس، لا يرى مِنْه قمرًا ولا شمس[11]، حتى ذاق الوبال والنكال، وطَوَّقه مِن الحديد بشبر كالهلال.

وتَوَجَّهت فيه السادة آل حمود، وكانوا عنده مِن الْمُقَرَّبين، فلم يقبل وجاهتهم حتى أذاقه العذاب المُهين، فضاق أخوه السيد عبد الكريم لعدم

---

(١) جمادى الأولى ١١٩١هـ/ ٦ يوينو - ٥ يوليو ١٧٧٧م.
(٢) **خَرِيق الرأس**: وادي بقرب الطائف. عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ص ٥٤٥-٥٤٦.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: عجائب.
(٤) كذا في الأصل، والصواب: سرورًا.
(٥) أي الأشياء التي أخذوها ونهبوها.
(٦) أي صعدوا إلى الجبال.
(٧) كذا في الأصل، والصواب: رءوس.
(٨) كذا في الأصل، والصواب: سرورًا.
(٩) **الشَّرَفِيَّةُ**: عين في وادي ضِيم، وتعرف اليوم بعين الباشا. عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ص ٩٠١.
(١٠) كذا في الأصل، والصواب: الذين.
(١١) كذا في الأصل، والصواب: شمسًا.

القبول، ونَبَّ[1] وفارق الأرباع والطلول، والسيد لبَّاس مكث في الحبس نصف سنة، وهو في حالة يستحق فيها الحسنة، / ق٨٢/ ثم أخرجه وسفره إلى يمبع البحر، وحبسه سنة إلا شهر[2]، وبعد ذلك أمر بإطلاقه، وعاد إلى مكة بين أهله ورفاقه، ولم يزل مُلازمًا لداره يراقب الموت وهو في انتظاره، حتى رَثَّت أحواله السقيمة، وظهر له أنَّ عواقب الظلم وَخِيْمة، نعوذ باللَّه تعالى مِن الطغيان، ومِن الأمُور الدَّاعِيَة إلى الهُوان.

[الحرابة الحادية عشرة مع عمّه الشريف أحمد]

ولمَّا خرج السيد عبد الكريم مُغاضبًا لأجل أخيه، ولم يجد له موانسًا[3] يساعده ويواخيه[4]، سوى السيد بركات بن الشريف محمد بن السيد عبد اللَّه بن سعيد، فإنَّه خرج معه إلى جبال هُذَيْل، بِمَن معه مِن أتباعٍ وعبيد، ووجدوا الشريف أحمد قد جمع العُربان، ونزلوا معه إلى وادي في نَعْمَان، فخرج الشريف سرور إلى المَعَابِدَة، بِمَا لديه مِن عساكر ورجال، وخَيَّم بها أيام[5] وليال، فتفَرَّقَت قوم الشريف أحمد في الثالث عشر مِن رجب[6]، وفَرَّ كُلّ صديق عنه واحتجب.

[غزوة لتأديب السادة آل حمود]

وفي ثالث شعبان[7] عَدَت السادة آل حمود على زوار العفيف، وفَزَع خلفهم صاحب الترجمة بنفسه ونال الأرب الوريف، وقَتَل ثلاثة مِن الأشراف، ورابعهم قُطِعَت يده برصاصة، ولم يظفروا بهذه الغنيمة بقصاصة،

---

(١) نَبَّ: صاح وهاج، وهنا بمعنى غضب. ابن منظور، لسان العرب، ١/ ٧٤٧.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: إلا شهرًا.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: مؤانسًا.
(٤) كذا في الأصل، والصواب: يؤاخيه.
(٥) كذا في الأصل، والصواب: أيامًا.
(٦) ١٣ رجب ١١٩١هـ/ ١٦ أغسطس ١٧٧٧م.
(٧) ٣ شعبان ١١٩١هـ/ ٥ سبتمبر ١٧٧٧م.

وهؤلاء الذين كانوا يقطعون السُّبُل مع السيد لبَّاس، ويوذون[١] المسلمين، ويقتلون الناس، فطَهَّر الأرض مِنهم ربّ السموات، وأراح مِنْهم المسلمين والمسلمات.

[زيارة مسجد ابن عباس في الطائف]

وفي الخامس والعشرين مِن شهر شعبان[٢] تَوَجَّه صاحب الترجمة لزيارة العفيف، ابن عم سيد ولد عدنان، ووضع شباكًا مِن الفضة بدل الأَوَّل وزنه ستماية[٣] أُوقِيَة[٤]، ووضعه تجاه الضريح، ونال به المزيد.

[الشريف يقضي على بعض السادة المناوئين له]

وفي ثالث رمضان[٥] تَوَجَّه إلى مكة، وبلغه أنَّ السيد بركات رام ملكه، والسيد عبد الكريم، والسيد عبد اللَّه بن مسعود، والعِواجي وابنه، فارقوا الشريف أحمد بن سعيد مِن الْمَعْدِن، وأقْبَلوا على جبال هُذَيْل، يُرِيْدون هجم مكة جنح ليل، فلمَّا نزلوا بوادي نَعْمَان، أرسل لهم سرية مِن الخيل بصارم و[سِنان][٦].

فلمَّا أحسُّوا بها وقد أدْرَكَتهم، هربوا إلى الجبال وحمتهم، إلا العِواجي وابنه والسيد عبد اللَّه بن مسعود، عجزوا عن الصعود فقبضتهم الرتبة،

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: يؤذون.

(٢) ٢٥ شعبان ١١٩١هـ/ ٢٧ سبتمبر ١٧٧٧م.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: ستمئة.

(٤) أُوقِيَة: مِن أشهر الموازين التي كانت سائدة في الجزيرة العربية؛ وكانت تساوي أربعين درهمًا، وهي عند الحنفية ١٢٤,٨جرامًا، وعند الجمهور ١١٩ جرام تقريبًا. فالتر هنتس، **المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري**، ترجمه عن الألمانية: كامل العسيلي، منشورات الجامعة الأردنية، عمَّان، ١٩٧٠م، ص ١٩؛ علي جمعة، **المكاييل والموازين الشرعية**، القدس للنشر والإعلان، القاهرة، ط٢، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م، ص ٢٠-٢١.

(٥) ٣ رمضان ١١٩١هـ/ ٤ أكتوبر ١٧٧٨م.

(٦) وردت في الأصل سان، والتصويب من النسخة (ب)، ورقة ٥٨.

ووثبت عليهم أيّ وثبه، فسجنهم في بيت عبد أبيه ريحان الفروجي، ونهى عن الرواح إليهم والمجي[١]، حتى مضت عليهم أيام أَسْود مِن الحِبر، وهم في السجن / ق٨٣/ مِن سابع عشر رمضان[٢] إلى ليلة عيد الفطر[٣]، وقطع عنهم المعاش وأسباب الانتعاش، فسافر العِواجي إلى مصر القاهرة، وترك صاحبه في ضَنْكَة مِن الحال ظاهرة.

وأمَّا السيد بركات والسيد عبد الكريم؛ فقد ساروا إلى اليمن، وقاسوا المشَقَّة والمحن، ثم رجعوا ودخلوا مكة، ولم يكن يبلغ الشريف عنهم خبر ولا مساس، وانطرحوا في بيته وسمح عنهم، فلزموا بيوتهم كآحاد الناس.

[القضاء على السيد مبارك البركاتي أحد قطاع الطريق]

ومِن أضَرَّ ما سمعنا في قطاع الطريق، وأشَدّ أذية للناس على التحقيق؛ السيد مبارك بن مزيبن مِن آل بركات، قد أهلك المسلمين والمسلمات، كان غشومًا يقتل النفس قبل أخذ المال، ويُفَرِّق ما يجمعه على البوادي في الحال، طالت عليه مُدَّة التمادي، فأبطأت على الناس مُدَّته، وعظمت فيهم محنته وشدَّته، ولم يزل الشريف سرور يعطي على لزمه النذور، وهو مع هذا لا يستقر بمكان، ولا يعرف له مظان، حتى ترك جماعته وصار ينزل في البراري والقفار، ولم يعلم له منزلٌ ولا دار، مع أنَّ الشريف سرور[٤] كان لا يترك عنه الجواسيس والرُّواد، ولم يرفع شبكه عن الاصطياد، مُعتمد[٥] على الحي القيوم كما مَرَّ، وأنَّ الظلم لا يدوم وإنْ دام دَمَّر.

فجاءه المبشر ليلةً مِن الليالي، بأنَّه مُقِيم في طرف الحَرَّة وهو لا

(١) كذا في الأصل، والصواب: المجيء.
(٢) ١٧ رمضان ١١٩١هـ/ ١٨ أكتوبر ١٧٧٧م.
(٣) ليلة عيد الفطر ٢٩ رمضان ١١٩١هـ/ ٣١ أكتوبر ١٧٧٧م.
(٤) كذا في الأصل، والصواب: سرورًا.
(٥) كذا في الأصل، والصواب: معتمدًا.

يُبَالي، فأجَدَّ ركايب[1] السرى، وركب في معقودة مِن خَيْله وانبرى، ولم يزل يسلك به الرايد[2] في طرق مشعبة ومهامة، وقفار متصعبة، سالكًا به السهل والوعر، حتى أصبح عليه في السادس والعشرين مِن الشهر[3]، فلمَّا أحَسَّ بسنابك الخيل، وأيقن بالخيبة والويل، نهض على الحَرَّة وفرَّ، وهيهات ينجو وقد نزل به القضاء والقدر، فأدركته الخيل قبل الهرب، بعد أنْ أفل نجمه وغرب، ودنا أجله واقترب، فقتله الفرسان بأطراف القنا، وأراح اللَّه تعالى المسلمين مِن هذا العنا[4]، فحشمت[5] له المُقَطَة[6]، وكان نزيلهم في الحَرَّة، ونهبت خزانة الشريف مرّة، وقتلوا فرسين مِن الخيل الجِياد، وأربعة مِن عبيده، ولم يأخذ لهم سداد[7]، فلمَّا علم نهبها كَرَّ عليهم واسترجعها، وأخذ جميع المواشي وجمعها، ولم يزالوا يرمونه[8] هؤلاء البوادي، حتى قَرَّبُوه إلى طرف الوادي، فحاز الغلب / ق٨٤/ وفاز بالمُنقلب، ودخل مكة مُتنومسًا منصورًا مُعَان[9]، لثلاث ليال بقين مِن شهر رمضان[10]، ففَرَّق على المراجل جميع ما أخذه مِن المال، فاستراحت[11] المسلمون مِن شَرِّه واستقرّ الحال، ولم يزل الشريف آمنًا مِنْ الأعدا[12]،

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: ركائب.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: الرائد.

(٣) ٢٦ رمضان ١١٩١هـ/ ٢٧ أكتوبر ١٧٧٧م.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: العناء.

(٥) أي غضبت مِن أجل مقتل السيد مبارك البركاتي.

(٦) **المُقَطَة**: مِن بَرْقة، مِن قبيلة عُتَيْبَة، وهم منتشرون في نجد والحجاز، وقاعدتهم في نجد عروى، أمَّا في الحجاز فيسكنون وادي العقيق، والطرف الشرقي مِن حَرَّة بس، وينقسمون إلى فرعين: البصصة، والكرْزان. عمر رضا حكالة، **قبائل العرب**، ٣/ ١١٣٢؛ تركي القداح، **دراسات حول عُتَيْبَة**، ص ٢٢.

(٧) كذا في الأصل، والصواب: سدادًا.

(٨) كذا في الأصل، والصواب: ولم يزل يرميه.

(٩) كذا في الأصل، والصواب: مُعَانًا.

(١٠) ٢٧ رمضان ١١٩١هـ/ ٢٨ أكتوبر ١٧٧٧م.

(١١) كذا في الأصل، والصواب: فاستراح.

(١٢) كذا في الأصل، والصواب: الأعداء.

سالمًا مِن مكايد[1] الرّدى، وقد نظر إلى الرعِيَّة بعين الإنصاف، ورفع عنهم الجُور والإجْحاف.

[سجن السيد محسن بن عبد اللَّه الحمودي]

وفي شهر شوال حَرَّض على السيد محسن بن عبد اللَّه الحمودي[2] بالخروج مِن بلده، بسبب مكاتيب رآها بخط يده، فخرج وأقام بِنَعْمَان فَشَدَّد عليه بالرحيل مِن ذلك المكان، فارتحل إلى يَعْرِجُ، ثم لحق بالشريف أحمد في الْمَعْدِن، فحَثَّه على الحرب وهو غير مُمَكَّن، فوصل معه إلى جبال هُذَيْل وأكْمَن، ثم تركه ورحل إلى الشام ثم إلى اليمن، ولم يزل يطُوف بأكناف الحمى تارة يرتحل وتارة يُقِيم، حتى أجمع رأيه أنْ ينطرح على الشريف كما فعل السيد بركات والسيد عبد الكريم، فدخل مكة وانطرح على الشريف وبأخته توسل، فلم يسمح عنه ولم يقْبل، وأقام أيامًا وهو مطروح في الدهليز، ومع كل حين تسمع فيه الأراجيز.

[غزوة على القُرَّح مِن قبيلة هُذَيْل]

وفي آخر شوال[3] صَبَّح الشريف فخذًا مِن قبايل[4] هُذَيْل يقال: لهم القُرَّح[5]، وأخذ جميع ما لديهم مِن البهايم[6] السّرح، فهربوا بالأرواح دون المال، وتحَصَّنُوا بقلاقل الجبال، والسبب أنَّهم ينهبون الناس في

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: مكائد.

(٢) **محسن بن عبد اللَّه الحمودي**: طرده الشريف سرور من مكة، ثم سجنه في ينبع، ثم أطلقه في عام ١١٩٤هـ/ ١٧٨٠م، وفي عهد الشريف غالب أرسله في عام ١٢٠٧هـ/ ١٧٩٣م إلى الباب العالي ليطلب المساعدة ضد الوهابيين. أحمد ضياء العنقاوي، **أعلام الأشراف**، ٣/ ٣٦.

(٣) شوال ١١٩١هـ/ نوفمبر ١٧٧٧م.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: قبائل.

(٥) **القُرَّح**: مِن جَمِيل مِن قبيلة هُذَيْل. واحدهم قارِحيٌّ. يسكنون جبال رَايَة، وعُرْوان، وضيم، ودُفاق، ومَحْرَض إلى أعالي يلملم الشمالية، وتلك آخر بلاد هُذَيْل في الجنوب. حمد الجاسر، **معجم قبائل المملكة**، ص ٦٤٩-٦٥٠.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: البهائم.

طريق اليمن، ويُذِيْقُونَهُم أنواع البلا[1] والمحن.

[سجن قطّاع طريق مِن الشَّيَابِيْن مِن قبيلة هُذَيْل]

ولـمَّا ورد الحج في هذا العام[2]، بمزيد مِن الأفضال، قبض صاحب الترجمة يَوْم التَّرْوِيَة[3] على عشرة مِن الشَّيَابِيْن، قد تجَمَّعُوا في الطريق لنهب حجاج المسلمين؛ فَأَدْخَلُوهم الحَبْس مُصَفَّدِين بالحديد، وأذاقهم الويل والتنكيد، وهذه القبيلة كلها تقطع السبيل، وعليها مِن سمة الخيانة غُرَرٌ وتَحْجِيل.

[سجن بَدَوِي بن عيد شيخ حرب وهلاكه]

وفي عشرين مِن ذي الحجة[4]، اجتمع صنجق المصري[5] وبَدَوِي بن عيد شيخ طوايف[6] حرب، في مجلس الشريف بعد صلاة العصر، فأراد التوفيق بينهما على المعلوم المقرر، فتَهَدَّد بَدَوِي بن عيد على الصنجق وتوعَّد، وأغلظ في الكلام عليه وشَدَّد، وأرعد وأزبد، وأتهم وأنجد، والحروب طايفة[7] مشهورة بالفَشْر[8] في الكلام، ومادح نفسه يقريك[9] السلام.

فانقضى المجلس وما أبطى[10]، وبعد خروجه علم أنَّه أخطا[11]، فتَوَجَّه

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: البلاء.
(٢) أي عام ١١٩١هـ/ ٨ فبراير ١٧٧٧ - ٢٨ يناير ١٧٧٨م.
(٣) ٨ ذو الحجة ١١٩١هـ/ ٦ يناير ١٧٧٨م.
(٤) ٢٠ ذو الحجة ١١٩١هـ/ ١٨ يناير ١٧٧٨م.
(٥) أي أمير الحج المصري.
(٦) كذا في الأصل، والصواب: طوائف.
(٧) كذا في الأصل، والصواب: طائفة.
(٨) الفَشْر: ومنها الفَشَّار، وتعني كثير الكذب، وهي كلمة رائجة حتى الآن بين المصريين والحجازيين.
(٩) كذا في الأصل، والصواب: يقرؤك.
(١٠) كذا في الأصل، والصواب: أبطأ.
(١١) كذا في الأصل، والصواب: أخطأ.

على الشريف في السماح عنه / ق٨٥/ بوالي الحاج الشامي، وأراد أنْ يدمل ما شقه مِن الجرح الدامي، فجاء بدوي مع مرسول والي الشام، واعتذر عمَّا فرط مِنْه في ذلك المقام، فأظهر له أنَّه قبل الرجا[١]، وأعاقه في المجلس حتى سجا الدجا، ثم أمر عليه بالقبض، وحبسه في قَبْوٍ تحت تخوم الأرض، فطال فيه حبسه، وزاد ألمه ونكسه، ثم طلع له الجُدَرِيّ وهو في الحبس، وما خرج مِنْه إلاَّ إلى الرمس، فنعوذ باللَّه تعالى مِن آفة اللسان، وما يحل بسببه مِن الهُوان، أعقب ابنيه: بَدَّاي، وبَادي، وهما خميرة الفساد، وأكثر البغي في كُلّ وادي[٢].

كَانَ فِي الْحَارَةِ كَلْب
مَا سَلِمْنَا مِن أَذَاه
خلف الْمَلْعُون جَرْوًا
جَاءَ أنجس مِن أَبَاه

على كُلّ حال، فهم الطغاة الفُجَّار، والبغاة المفسدون لجميع الأقطار، فأهلك اللَّه تعالى بادي[٣]، وبقى بَدَّاي اللَّعين قد أخاف أهل المدينة طغيانًا وظلمًا، وسَيُذِيبُهُ اللَّه تعالى كما يذوب المِلح في الماء، فإنه قَطَعَ أقواتها وحاصرها، وعاضد الوهابيين وناصرها، ثم عصبت حرب وخرجت عن طاعة الشريف سرور، بعد أنْ مات شيخهم المذكور، فشَيَّخ عليهم أخاه، وقَبِلَهُ كُلّ مِنْهم وارتضاه.

ثم في هذا العام سكنت الفتن، واطْمَئنت القلوب مِن المحن، وأمنت الطرقات مِن الأربع جهات، بحيث المسافر وحده يمشي حيث شا[٤]، لا يخاف دَرْكًا ولا يخشى، آمِنًا مِن الْمُخَوِّفَات، سالمًا مِن الآفات.

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: الرجاء.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: وادٍ.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: باديًا.
(٤) كذا في الأصل، والصواب:: شاء.

[وفاة السيد مسعود بن مساعد والشيخ أبي بكر العجيمي]

وفي اليوم الثاني عشر مِن ربيع الأول[1] توفي السيد مسعود بن الشريف مساعد، وتوفي يومها العلامة الشيخ أبو بكر العجيمي[2]، أسكنه اللَّه تعالى جنته، وعامله بلطفه الخفي، كان إمامًا في الآلات، وسيبويه زمانه لدى النحاة.

[قتل السيد هاشم الأمير أحد قطاع الطريق]

ثم اعلم أنَّ مِن قطاع الطريق المشاهير السيد هاشم الأمير، كان تلميذًا للسيد مبارك بن مزيبن في هذه الصناعة، لكنّه أشدّ بأسًا مِنْه وشجاعة، وكان رجلاً عظيم الجسم كأنَّه ليس مِن أهل هذا الجيل، يخاله الرائي بعيرًا أو فيل[3]، فلمَّا قتل شيخه انفرد على حاله، وفاق على أقرانه وأمثاله، ولم يزل يقطع المارين في طريق جدة، مقيمًا على تلك الحالة في هذه المدة، وصاحب الترجمة لم يزل يرصد عليه مرة بعد مرة،حتى جاء البشير بأنَّه مُقِيْمٌ بالحرة، فأرسل مِن سراة الخيل سرية، ناقلين الرماح / ق٨٦/ السَّمْهَرِيَّة[4]، فلمَّا رآها أدركته بادرها بالقتال، وجال معها بِسِنان ونصال، فأصابته رصاصة وقع مِنْها جريح[5]، ولم يزال يهدر كالبعير المشيح، فأدركه

---

(١) ١٢ ربيع الأوَّل ١١٩٢هـ/ ٩ إبريل ١٧٧٨م.

(٢) **أبو بكر العجيمي**: أبو بكر بن محمد بن علي بن محمد حسن العجيمي، الحنفي المكي، ولد في مكة المكرمة، ونشأ فيها، وتلقى العلم على أيدي علمائها مثل الشيخ عبد الملك القلعي، والشيخ طاهر سنبل، وقد نال شهرة واسعة، ومِن مؤلفاته: رسالة في النحو تعرف بـ: «رسالة العجيمي»، وقد ذكر ابن عبد الشكور أنَّ وفاته كانت في ١٢ ربيع الأوَّل ١١٩٢هـ/ ٩ إبريل ١٧٧٨م، بينما ذكرت بعض المصادر الأخرى أنَّ وفاته في ٢ ربيع الأوَّل ١٢٣٦هـ/ ٧ ديسمبر ١٨٢٠م، ودُفِنَ بمقبرة المَعْلَاة. والأرجح الرأي الأوَّل لأنَّه كان معاصرًا له، وتتلمذ على أيدي مشايخه أيضًا. عبد الستار البكري، **فيض الملك الوهاب**، ص ٢٠٣٥؛ عبد اللَّه الغازي، **نظم الدرر**، ص ٣٢٧.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: فيلًا.

(٤) **الرماح السَّمْهَرِيَّة**: الرُّمحُ الصليبُ العودِ. يقال: هو منسوبٌ إلى سَمْهَرٍ، رجل كان يُقَوِّمُ الرماحَ، وامرأَتُهُ رُدَيْنَة التي تُنْسَبُ إليها الرماح. **المعجم الوسيط**، ص ٤٥٢.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: جريحًا.

وكيل السَّرية كي ينجزه، وجعل بأطراف القنا يوخزه، فضرب الوكيل ضربة طاح مِنْها قتيل[١]، فانظر لقوته القويَّة، كيف أخذ ثأره وهو مقتول وحاز المزيَّة، فأخذت السريَّة مواشيه، وأهل بيته وحواشيه، ودخلوا مكة آمنين، وأراح اللَّه تعالى مِنْه المسلمين.

[محاولة القبض على الشريف أحمد]

وفي أواخر جماد[٢] بلغ الخبر أنَّ الشريف أحمد انتقل مِنْ المَعْدِن إلى جبال هُذَيْل، ومالت معه العُربان كُلّ الميل، فجمع الشريف عُربانه وحَصَّن مكانه، وأرسل لوكيل الطايف[٣] أنْ يجمع له مِن العُربان ما يكفيه لهذا الشأن، فلمَّا تحقق إقباله وقويت لطلب الملك آماله، برز صاحب الترجمة بالمراجل والعساكر، وخَيَّم بِمَن ذكر في جوخي الزاهر، ثم دخل مكة ليفرّق على العبيد البارود، ولم يعلم بِمَا في طيّ الغيب مِن الأمر الموعود، فلمَّا فَرَّقه أخذ واحد مِنْهم جمرة ليختبره، كي يظهر ويستبين، فأحرقه وثار شيء كثير أحرق نحو الأربعين، فأزعجه ذلك واغتَمَّ وندم غاية الندم.

ثم إنَّ هُذَيْل[٤] تفَرَّقَت عن الشريف أحمد وانفرط عقد عزمه وتبَدَّد، فمكث بأطراف نَعْمَان، ثم عاد إلى الثنية وأقام بها أيام[٥]، ثم تَوَجَّه إلى جهة الشام؛ فتبعه الشريف رجاء أنْ يدركه في تلك الطلول، ففات عليه وتَوَجَّه إلى مدينة الرسول، فدخلها في شهر رمضان[٦]، وأكرمه أهلها وأنزلوه في أرفع مكان، وهذا شأن أهل المدينة إكرام الغريب، ومواساته

(١) كذا في الأصل، والصواب: قتيلًا.
(٢) جمادى الأولى ١١٩٢هـ/ ٢٧ مايو - ٢٥ يونيو ١٧٧٨م.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.
(٤) كذا في الأصل، والصواب: هُذَيْلًا.
(٥) كذا في الأصل، والصواب: أيامًا.
(٦) شهر رمضان ١١٩٢هـ/ ٢٢ سبتمبر- ٢١ أكتوبر ١٧٧٨م.

وموانسته[١] بعد تعبه ومقاساته، وكفاهم قوله تعالى: ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾[٢]، وبها قد أثنى الله تعالى عليهم.

[زواج الشريف سرور مِن بنت الشيخ العرابي]

وفي سلخ شعبان[٣] تَوَجَّه الشريف سرور إلى زيارة سيدي الحَبْر، وتزوج على بنت الشيخ العرابي[٤]، وأقام إلى نصف الشهر[٥]، ثم تَوَجَّه إلى مكة مِنْ طريق اليمانيَّة[٦].

[غزوات على قبائل هُذَيْل]

فلمَّا وصل إلى الزَّيْمَا[٧] خطر بباله نيَّة فوضع بها أحماله، وخفف أثقاله، وركب على المُقَطَة، التي قتلوا عبيده وحاربوه مع أهل ابن مزَيِن - كما تَقَدَّم - فأخذوا مواشيهم، وعَجْعَج عليهم البارود وثار، ووصل القتال / ق٨٧/ بينهم إلى آخر النهار، فعاد مُتمنعًا على طرف الحَرَّة، حتى تعبت مراجله ولحقها المضَرَّة، وقُتِلَ له عبدٌ وفرسٌ وأصيب خيَّال،

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: مؤانسته.

(٢) القرآن الكريم، **سورة الحشر**، آية رقم ٩.

(٣) سلخ شعبان ١١٩٢هـ/ ٢١ سبتمبر ١٧٧٨م.

(٤) **الشيخة صالحة بنت الشيخ بكري العرابي**، تزوّجها الشريف سرور في شعبان ١١٩٢هـ/ سبتمبر ١٧٧٨م، وقد أقرّ لها في وصيته بـ «جميع ما تحت يدها مِن مصاغ، ولبس، ودبشها، وعبيد، وجوار، وأغاه فهو لها، وتستحق في ذمتي ثلاثة آلاف قرش ذهبي، وهي وكيلة على أولادها، وعليها وصيًّا الوزير ريحان أغاه والمشرفين عليه كذلك». انظر الوصية منشورة في: عمر بن فيصل آل زيد، **الشريف سرور بن مساعد أمير الحرمين وسلطان الحجاز (١١٨٦-١٢٠٢): سيرته وحياته وولايته**، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م، ص ١٤٠.

(٥) ١٥ رمضان ١١٩٢هـ/ ٦ أكتوبر ١٧٧٨م.

(٦) **طريق اليمانيَّة**: الطريق التي تربط بين مكة والطائف، وهي مِن أشهر الطرق وأقدمها، وتقع في وادي نخلة اليمانيَّة شرقي مكة. عاتق البلادي، **معالم مكة**، ص ١٢٤-١٢٥.

(٧) **الزَّيْمَا**: عين عذبة الماء بوادي نخلة اليمانية، على بعد ٤٥ كيلًا على طريق الطائف، لها شهرة في مكة كمتنزَّه، لجمال بساتينها، وكانت المرحلة الأولى على نظام القوافل القديم مِن مكة إلى الطائف. عاتق البلادي، **معالم مكة**، ص ١٢٤-١٢٥.

ورجع عنهم بعد أخذ المال.

فعاد إلى مكة وقد اشْتَدَّ عليهم غضبه، وظهر تعبه ونَصَبُه، فنادى عليهم بالجنيه في جميع ممالكه، وبالغ عليهم في تضيق مسالكه، وأرسل عليهم سرية أخرى في عاشر شوال[١]، وحصل بينهم القتال، لم يبلغ فيه مثال، فلمَّا ضاق عليهم الحال، وعَلِمُوا أنَّهم يقعون في الوبال، نزلوا عليه في غاية القعدة[٢]، وانطرحوا على بابه العالي مُدَّة، ثم عفا عنهم وزرَّبهم على عادتهم مع السادة الأشراف، وأمرهم بالرحيل والانصراف.

وفي نصف شوال[٣] بلغه أنَّه قد نزل بالخبت[٤] جماعة مِن هُذَيْل، فأرسل عليهم سرية، وغزاهم جنح ليل، وقتل مِنْهم رجلين، وأخذ أباعرهم وارتحل، وتفرَّقُوا مِن ذلك الموضع إلى حيث آل، وفي ثامن ذي القعدة[٥] ركب عليهم فوقع على بني خالد بطريق الغلط، وقتل أربعة، وأصاب ثلاثة، وأخذ أغنامهم وانخرط، وقتلوا أغاة مِن أغوات العسكر ومعه عبد آخر؛ فغضب لذلك جميع هُذَيْل، ولم يصبروا على ما حَلَّ بهم مِن الويل، فباينوه جهارًا، وعصوه واستكبروا استكبارًا، وصَمَّمُوا على قطع طريق العباد، وفَجَرُوا في حرم اللَّه تعالى، ﴿وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادٍ﴾[٦]، فنهبوا قفلًا فيه قاضي الطايف[٧] في خَرِيْق الرَّأْس، وبلغ إيذاهم[٨] كثيرًا مِن الناس، ثم نهبوا قفلًا آخر خرج مِن الطايف[٩]

---

(١) ١٠ شوال ١١٩٢هـ/ ٣١ أكتوبر ١٧٧٨م.
(٢) غاية ذو القعدة ١١٩٢هـ/ ٢٠ نوفمبر ١٧٧٨م.
(٣) ١٥ شوال ١١٩٢هـ/ ٥ نوفمبر ١٧٧٨م.
(٤) **الْخَبْت**: السهل الذي فيه حَرَّة طفيل، ويشمل كُلّ الساحل بين وادي فاطمة وأسفل وادي اللِّيْث. عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ص ٥٣٢.
(٥) ٨ ذو القعدة ١١٩٢هـ/ ٢٧ نوفمبر ١٧٧٨م.
(٦) القرآن الكريم، **سورة الحج**، آية رقم ٢٥.
(٧) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.
(٨) كذا في الأصل، والصواب: إيذاؤهم.
(٩) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.

بقصد الحج في وادي نَعْمَان، وقتلوا مِنْه أربعة وأصابوا ثمان[١].

[محاولة ثانية للقبض على الشريف أحمد]

ولمَّا وردت الحجوج أخبروه بأنَّ الشريف أحمد أراد مواجهة باشة الحج فأبى، وخرج مِن المدينة إثره طلبًا، وأنَّه ينتظر الحج في خُلَيْص؛ فجَهَّز عليه سرية وَكَّلَ عليها السيد ناصر بن مستور، وأمره أنْ يقبضه ولو طار مع الطيور، فأدركته السَّرية على حين غفلة، وحملت الخيل عليه حملة، فلمَّا أَحَسَّ بهم ركب فرسه وانحاش[٢]، وترك ما معه مِن أحمال وأدباش، فحماه اللَّه تعالى بحمايته، ولا يحسد السالم على سلامته، وقُتِلَ يومها مِن السَّرية فَرَسٌ وعَبْدٌ، ودخلوا مكة ولم يبلغوا القصد؛ فغضب الشريف على السيد ناصر بن مستور، واتّهمه / ق٨٨/ أنَّه قَصَّر في لزم المذكور.

[إغارات قبيلة هُذَيْل على بعض الأشراف]

وفي الرابع والعشرين مِن ذي الحجة[٣]، أغارت هُذَيْل على شريف مِن ذوي صامل[٤]، فنهبت متاعه، ثم ضربوه ضربًا أصابت مِنْه المَقَاتِل، فمات وفات، وعليه رحمة رب السموات، ولم تبالِ هُذَيْل بِمَا هو آت.

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: ثمانية.

(٢) لفظ عامي، معناه: انصرف خفية.

(٣) ٢٤ ذو الحجة ١١٩٢هـ/ ١٢ يناير ١٧٧٩م.

(٤) **ذوي صامل**: عقب الشريف صامل بن زامل بن عبد اللَّه، الجد الجامع للأشراف العبادلة. ومساكنهم بين غميقة والليث، وكثير مِنْهم في مكة المكرمة حاليًّا، وهم غير آل صامل سكّان رَنْيَة في عالية نجد. ويتفرعون إلى تسعة فروع، وهم: آل زيد، وآل سرور، وآل سعد، وآل سالم، وآل عبد المعين، وآل عبد اللَّه (الشعارية)، وآل مبارك، وآل محمد (آل مطيلب)، وآل سعد. محمد بن منصور آل عبد اللَّه بن سرور، **قبائل الطائف وأشراف الحجاز**، ص ٥٢؛ أحمد ضياء العنقاوي، **معجم أشراف الحجاز**، ص٧٨٠-٧٨١؛ صالح حسن الفضلة، **الجوهر العفيف في معرفة النسب النبوي الشريف**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠١٣م، ص ١٤٨.

وفي السادس والعشرين[١] أغاروا - أيضًا - على جماعة مِن أهل الطايف[٢] وفيهم شريف مِن ذوي جازان[٣]؛ فنهبوهم وضربوا الشريف وقتلوه، وقتلوا معه واحدًا مِن وقدان[٤]، فانقطع بعدها الطريق، وقوِيَت شوكة ذلك الفريق.

❑ ❑ ❑

(١) ٢٦ ذو الحجة ١١٩٢هـ/ ١٤ يناير ١٧٧٩م.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.

(٣) **ذوي جازان**: عقب الشريف جازان بن قايتباي بن الحسن بن محمد النموي الحسني. ويقال لواحدهم: الجازاني أو الجيزاني، وكان لهم نشاط حول مكة، وبخاصة في أوئل القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي في أحداث الصراعات بين الشريف سعد بن زيد والشريف عبد الكريم البركاتي. ومساكنهم في وادي البجيدي شمال جبل كبكب، وسراة الطائف الغربية في وادي الشرقة. أحمد ضياء العنقاوي، **معجم أشراف الحجاز**، ص ٢٥٣-٢٥٥؛ صالح حسن الفضلة، **الجوهر العفيف**، ص ٨٠-٨٣.

(٤) **وقدان**: فخذ مِن ذوي صرير مِن بَرْقة، مِن قبيلة عُتَيْبَة، يقطنون وادي نخب شرقي الطائف، ومن قراهم أم سبيع، والقنينة، والدارالعليا، والركاء، والصور. تركي القداح، **دراسات حول عُتَيْبَة**، ص ٣١.

[أحداث سنة ١١٩٣]

ودخلت السنة الجديدة سنة [١١٩٣][1]، والناس تكابد المصايب[2] العديدة مِن قطع الدروب، وقلّة الأمطار، وارتفاع الأسعار، وما يقع مِن أولئك الفُجَّار على القاطن والمار.

[وفاة السيد عبد اللَّه ميرغني المحجوب]

وفي العام المذكور توفي السيد الجليل، والكهف النبيل، قطب دايرة[3] الأفلاك، الراقي بأخْمَصه مراقي الأفلاك، واسطة عقد آل الرسول، وقُرَّة عين الزهراء البتول، قطب الدايرة[4] وذو الكرامات الشاهرة، العارفُ باللَّه تعالى والدَّالُ عليه، مولانا السيد عبد اللَّه ميرغني المحجوب[5]، نفعنا اللَّه تعالى به

---

(١) السنة غير موجودة في الأصل، وقد أُضيفت سنة ١١٩٣ فيما بين المعقوفين، تبعًا للسنة السابقة لها واللاحقة عليها.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: المصائب.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: دائرة.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: الدائرة.

(٥) **عبد اللَّه ميرغني المحجوب**: عبد اللَّه بن إبراهيم بن حسن ميرغني، الشهير بالمحجوب، ولد في مكة المكرمة عام ١١١٩هـ/ ١٧٠٧م، ونشأ بها، وأخذ عن عُلماء عصره مثل: النخلي، والمهدلي، وغيرهما، وانتقل إلى الطائف عام ١١٦٦هـ/ ١٧٥٣م، ومن مؤلفاته: «فرائض الدين»، «والكوكب الثاقب»، و«سواد العينين»، و«الفُروع الجوهرية في الأئمة الاثني عشرية». توفي عام ١١٩٣هـ/ ١٧٧٩م، بقرية السلامة في الطائف، ودُفِنَ بزاويته التي أعدَّها لنفسه هناك، وذكر الجبرتي خطأً أنَّ وفاته عام ١٢٠٧هـ/ ١٧٩٣م، وما ذكره ابن عبد الشكور هو الصحيح، لأنَّه كان معاصرًا له، وأكَّدَ ذلك العلامة تاج الدين بن محمد سراج المكي، أحد تلاميذ المحجوب. عبد الرحمن الجبرتي، **عجائب الآثار**، ٢/ ٣٦٤-٣٦٦؛ عبد الرازق البيطار، **حلية البشر**، ٢/ ١٠١١-١٠١٢؛ عبد اللَّه الغازي، **نظم الدرر**، ص ٢٩٠-٢٩١.

وبأسلافه، وعاملنا ببركة برّه وإسعافه، فهو صاحب التصانيف العديدة، والعلوم الكثيرة المفيدة، كان مُحْتَجِبًا في داره نحو أربعين سنة، وهو مشغول بتصانيف العلوم في هذه الأزمنة، شُوهِدَت له كرامات كالشمس في الظهيرة، لا تخفى على ذي بصر ولا بصيرة.

[انتشار مرض يسمّى: أبا الركب]

وفي هذا العام نزل بمكة وغيرها نازل غريب، وشيء عجيب أي عجيب، وهو داء حدث بالناس يسمّونه: أبا الركب، مَنَع الناس عن بعضها وحجب، ما سلم مِنْه صغير ولا كبير، ولا مأمور ولا أمير، حتى لزمه في المفاصل والركب، وأوقعه وكب، وأعاقه عن الدخول والخروج، ومكث ثلاثة أيام كأنَّه مفلوج[1]، وكان يخرج الرجل وهو بغاية الصحة مشمولٌ، فيضربه في السوق، فلا يعود إلى داره إلا وهو محمول، وطالما حمل شخص صاحبه ليوصله إلى الدار، فما يبرح عنه حتى يضربه ويقع مثله، ويصير عليه كما صار، ولم يقدر أحد على القيام إلا بعد ثلاثة أيام، وما اتفق أنَّ أحدًا قدر على الانبعاث قبل مضي الثلاث، وكان علاج هذا الداء الناتحة[2]، والزنجبيل[3].

[وقوع قتال بين قبيلتي عُتَيْبَة وحَرْب]

وفي هذا العام[4] نزل حي مِن عُتَيْبَة بديار/ ق٨٩/ حَرْب لأجل المرعى،

---

(١) **مفلوج**: أي مشلول، والمقصود هنا عدم القدرة على الحركة؛ أي شللًا مؤقتًا.

(٢) **الناتحة**: أي العرق. يقال: نتح العرق مِن الجلد. **المعجم الوسيط**، ص ٨٩٩.

(٣) يبدو أنَّ هذا الوباء قد انتشر في عديد من البلدان في هذا العام، وقد ذكره الجبرتي في أحداث عام ١١٩٣هـ/ ١٧٧٩م، في منتصف شهر رجب/ ٢٩ يوليو ١٧٧٩م، بقوله: «ظهر بمصر وضواحيها مرض سموه بأبي الركب، وفشا في الناس قاطبة حتى الأطفال، وهو عبارة عن حمة، ومقدار شدته ثلاثة أيام، وقد يزيد على ذلك وينقص باختلاف الأمزجة، ويحدث وجعًا في المفاصل والركب والأطراف، ويوقف حركة الأصابع، وبعض ورم، ويبقى أثره أكثر من شهر، ويأتي الشخص على غفلة فيسخن البدن، ويضرب على الإنسان دماغه وركبه، ويذهب بالعرق والحمام، وهو من الحوادث الغريبة». عبد الرحمن الجبرتي، **عجائب الآثار**، ٢/ ٧٣.

(٤) أي عام ١١٩٣هـ/ ١٨ يناير ١٧٧٩ - ٦ يناير ١٧٨٠م.

فحصل بينهما قتال تُرِكَ القومُ فيها صرعى، فمات ما ينوف عن الستين، غير مَن أُصِيب، وتفرَّق كُلّ لصاحبه طليب(١).

[نادرة نمو لحية لجذع]

ومِن أغرب الغرايب(٢)، وأعجب العجايب(٣)، نادرة ما سُمِعَ بمثلها مِن قديم الزمن في شام ولا يمن، وهي لشخص مِن أهل الحجاز جذع(٤) في داره، وتوالت عليه الدهور، وتقادمت به الأعوام والعصور، فلمَّا أصبح ذات يوم مِن الأيام، رأى الْجَذَع قد نبت له لحية كلحية الرجل، شاهدوها عِيانًا بيان(٥)، وشعره بين بياض وسواد، لا فرق بينها وبين شعر لحية الإنسان، فحلقوها كما تحلق بعض اللحى، فعادت كما كانت واستحالت، وفزعت(٦) القوم لذلك واستهالت، فسبحان الصانع الحكيم الفعَّال لمَا يشا(٧)، مَالِك الْمُلْك، الذي بيده أزمّة الأشيا(٨)، فهذا أعجب ما سمعناه في هذه الديار، وقد تواترت بالمشاهدة عنه الأخبار.

[القبض على الشريف أحمد وولديه]

وفي يوم السبت ثاني جمادى الأولى(٩)، بلغ الشريف سرور(١٠) أنَّ الشريف أحمد مُقِيْم بـرُهَـاط(١١)، وهي قرية ذات نخل مسافتها عن مكة

(١) كذا في الأصل، والصواب: طليبًا.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: الغرائب.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: العجائب.
(٤) جَذَع: الشَّابُّ الحَدَث، صَغِير السّن. **المعجم الوسيط**، ص ١١٣.
(٥) كذا في الأصل، والصواب: بيانًا.
(٦) كذا في الأصل، والصواب: وفزع.
(٧) كذا في الأصل، والصواب: يشاء.
(٨) كذا في الأصل، والصواب: الأشياء.
(٩) ٢ جمادى الأولى ١١٩٣هـ/ ١٧ مايو ١٧٧٩م.
(١٠) كذا في الأصل، والصواب، سرورًا.
(١١) **رُهَاط**: قرية تقع شمال شرقي مكة المكرمة، تشتهر بزراعة النخيل، ويتوافر فيها الماء بكثرة، وسُكَّانها الرُّوقَة مِن عُتَيْبَة. عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ص ٧٣٥-٧٣٧.

ثلاث محاط[١]، فركب بنفسه في قوة عظيمة، وطوى شقة البين، وأجد خيله وصبحه في يوم الاثنين، فلم يفطن إلا وقد أحاطت به الرجال مِن الجوانب الأربع، وعلم أنْ لا خلاص مِن يده ولا منزع، فلم يتَمَكَّن مِن الفِرار، وقد جرت عليه الأقدار؛ فاستسلم حينئذ للقضا[٢]، وتلقَّاه بالقبول والرضا، فقبض عليه وعلى ولديه، وتَشَتَّت عبيده وأصدقاؤه مِن بين يديه، فَرَكَّبَهَ خَلْفَ واحِدٍ وأمر بحفظه، وأسرع السَّير وأجَدّه، ونزل به إلى بَنْدَر جدة، ثم رَكَّبَه على سفينته في البحر، ولم يعلم ماذا يحدث عليه مِن أمْرٍ، وأمَرَ السَّفان أنْ يوصله إلى يمبع، ويؤبد حبسه حتى يغيب عن الدنيا شمسه، فحبسه وحبس أولاده: السيد راجح، والسيد الحسن، وقاسوا في الحبس أنواع البلاء والمحن.

فانظر أيُّها المتأمل لهذه الدُّنْيَا وغدرها، وما تفعل بالملوك مع حقارة قدرها، كيف أسقته كاس[٣] الهُوان، وقد كان بالأمس مَلِكًا مُصَان[٤]، وَاعْجَبْ لفعلها بِمَلِك مُطاع، كان يمد للسِّمَاك[٥] يدًا وباع[٦]، مَلِكٌ مَلَكَ إقليم الحجاز، وصارت تحت قبضته حقيقة لا مجاز[٧]، / ق٩٠/ طالما أمر ونهى، وامتضى بأخْمَصه هام السُّها، فَصَيَّرته في السلاسل والأغلال، وأذَلَّته غاية الإذلال، إنَّ في ذلك لعبرة لِمَن اعتبر، وتبْصِرة لِمَن اسْتَبْصر، وهي الدُّنْيَا الدَّنِيَّة، وأمُورها كالأحلام المقضيّة، لقد صدق الحَرِيْرِيّ[٨] فيما قال في قصيدته التي هذا أوَّلها:

---

(١) أي محطات، وهي مراحل في السفر.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: للقضاء.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: كأس.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: مُصَانًا.

(٥) السِّمَاك: نجم معروف. والسِّمَاكانِ نجمان نَيِّران، أحدهما في الشمال وهو السِّمَاك الرَّامِح، والآخر في الجنوب وهو الأعْزَلُ، وهما في برج الميزان، يقال: بلغ السِّمَاك أي بلغ مرتبة عالية. **المعجم الوسيط**، ص ٤٥٠.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: باعًا.

(٧) كذا في الأصل، والصواب: لا مجازًا.

(٨) الحَرِيْرِيّ: أبو محمد القاسم بن علي الحريري البصري، ولد في بلدة المَشَان، قُرْب البصرة عام ٤٤٦هـ/ ١٠٥٤م، وتلقى العلم في البصرة، ثم رحل إلى بغداد، وتعَلَّم على أيدي عُلمائها مثل: المُجاشعي، الشِّيرازي، ابن الصَّباغ، الخَبْرِي، وغيرهم، وقد صار الحريري =

يَـا طَـالِـبَ الـدُّنْـيَـا الـدَّنِـيَّـة إِنَّـهَـا
شَـرَكُ الـرَّدَى وَقَـرَارَةُ الأَكْـدارِ

دَارٌ إِذَا مَـا أَضْـحَـكَـت فِـي يَـوْمِـهَـا
أَبْـكَـت غَـدًا تـبًّـا لَـهَـا مِـنْ دَار

وهي طويلة ذكرها في المقامات[١]، فعليك بها للعبرة والعبارات، فسبحان الْمُعِزِّ الْمُذِّل، الذي لا يَزُول ولا يتَحَوَّل، يفعل ما يشاء، ولا يُسْأل عمَّا يفْعل.

ثم بعد أنْ وصل إلى حبس يمبع عاد الشريف إلى مكة، وعلم انفكاك الحروب بعد حبسه، وقد كانت غير مُنْفَكَّة.

[قبيلة هُذَيْل تقطع طريق الطائف]

وفي هذه السنة[٢] بلغه أنَّ قفلًا تَوَجَّه إلى الطايف[٣]، فنهبته هُذَيْل في

= أشهر أدباء عصره، وذاع صيته بكتابه «المقامات»، ومِن مؤلفاته: «درة الغواص في أوهام الخواص»، و «ملحة الإعراب»، و«صدور زمان الفتور وفتور زمان الصدور»، و«توشيح البيان». توفي في البصرة ٦ رجب ٥١٦هـ/ ١١ سبتمبر ١١٢٢م. ياقوت الحموي الرومي، **معجم الأدباء: إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب**، ج ٥، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، ص ٢٢٠٢-٢٢١٦؛ شمس الدين الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ١٩/ ٤٦٠-٤٦٥؛ خير الدين الزركلي، **الأعلام**، ٥/ ١٧٧-١٧٨.

(١) **المقَامَاتُ**: مفردها مَقَامَة، والْمَقَامة لغة: المجلس يجتمع فيه الناس، واصطلاحًا: قصة قصيرة مسجوعة، تدور حوادثها في مجلس واحد، وتشتمل على عظة أو ملحة، كان الأدباء يظهرون فيها براعتهم، وتقع حوادث كل قصة في مكان تنسب إليه الْمَقَامة، وهي مِن قمم الأدب في الصناعة اللغوية والإتقان، وقد ابتدع هذا النوع مِن الأدب بديع الزمان الهمذاني، ولكن نالت مَقَامات الحريري شهرة واسعة. وقد قام يحيى بن محمود الواسطي (ت ٧هـ/ ١٣م) بنسخ الْمَقَامات وزَيَّنَهَا بمائة منمنمة مِن رسومه تعبر عن الخمسين مقامة ثروت عكاشة، **فن الواسطي من خلال مقامات الحريري**، دار المعارف، القاهرة، ط ١، ١٩٧٤م؛ حسن عباس، **نشأة المقامة فى الأدب العربي**، دار المعارف، القاهرة، د.ط، د.ت، ص ٩-٤٠.

(٢) أي عام ١١٩٣هـ/ ١٨ يناير ١٧٧٩ - ٦ يناير ١٧٨٠م.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.

جبل كَرَى، وصعدوا إلى جبلهم السامي الذرى، وكان مع القفل نفر مِن العسكر، أخذوا مِنْهم السلاح، وأثخنوا فيهم الجراح، وصادفهم جماعة مِن شَهْرَان[١]، فنهبوهم وقتلوا ثلاثًا[٢] مِنْهم ظلمًا وعدوان[٣]. وفي تسعة عشر مِن شهر ربيع[٤] نهبت هُذَيْل مِن طريق الطايف[٥] أربعة مِن البغال، بِمَا عليها مِن الأحمال، وقتلوا حُرْمَة[٦] وثلاثة مِن عسكر اليمن، وأصابوا مِنْهم ثلاثة؛ فتوقفت الناس عن السفر، حتى تبدو مِن اللَّه تعالى الإغاثة؛ وانقطع الدرب، واشْتَدَّ على الناس الكرب.

[غزوة على بني مُخَاشِن]

وفي يوم سبع وعشرين[٧] صَبَّح الشريف سرور بني مُخَاشِن، وأخذ ما لديهم مِن الأغنام ودخل مكة بسلامٍ، ولم تزلْ هذه سريته مع البُغاة، والطاغين والعُتاة، حتى قمع صولة المُتمردين، وكسر شوكة الجبابرة المعاندين، ببلد اللَّه تعالى الأمين، ولم يميز في الأحكام والحقوق بين وضيع وشريف، ولم يتمرد في أيامه قوي ولا ضعيف.

[مؤامرة لاغتيال الشريف سرور]

ومِن المعلوم صولة السادة الأشراف، وما يَسْلكونه مِن أحكام الشرع

---

(١) **شَهْرَانُ**: مِن قبائل عَسِيْر، واحدهم شَهْرَانِي، وتدعى شَهْرَان العريضة لكثرة فروعها. وبلادهم مِن بيشة شمالاً إلى أعالي أوديتها في الجنوب حيث بلاد قحطان، في سفوح سراة عسير على ضفاف وادي شَهْرَان، وقاعدتهم خميس مُشَيْط، يحدهم شرقًا تثليث، وجنوبًا بلاد قحطان، وغربًا عسير، ورجال الحَجْر. حمد الجاسر، **معجم قبائل المملكة**، ص ٤١٨-٤١٩؛ صلاح هريدي، **عسير تحت الحكم العثماني**، ص ٨٥.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: ثلاثة.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: عدوانًا.

(٤) ١٩ ربيع الأوَّل ١١٩٣هـ/ ٥ إبريل ١٧٧٩م.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.

(٦) **حُرْمَة**: امرأة.

(٧) ٢٧ ربيع الأوَّل ١١٩٣هـ/ ١٣ إبريل ١٧٧٩م.

في الانحراف، وصولة سادتنا العبيد، وأبنائهم المواليد مِن كُلّ فاجر عتيد عنيد، فلم يزل يعاملهم بالجور، ويسلك فيهم طريق التسلسل والدور، وكُلّمَا تعدى أحد عن طوره، بالغ في عقوبته مِن فوره، / ق٩١/ فاشمأزت نفوسهم لعدم المألوف، وكانوا يرون أَنّهم شم الأُنُوف، فربط على قتله طايفة[١] مِن المذكورين، بأَنّهم بعد قتله يَلُون مكانته، ويُعِيْدون الماضي مِن القوانين، على أَنَّهم يترصَّدوا[٢] له بغتة في الأزِقَّة كالحرس، ويقتلونه غدرًا بالليل وهو في العَسَس[٣].

وكان معهم في الرابطة السيد عبد المجيد بن سعيد بن علي فَنَمَّ عليهم، وأخبر الشريف سرور[٤] بالخبر الواضح الجلي، وأخبره أَنَّه ارتبط عليك سبعة مِن ذوي زيد بالخيانة والكيد، وأنَّ معهم ملفقين ما ينوف على الخمسين، بأنهم يقتلونك في ليلة حالكة الجلباب، ويلي مكانتك السيد دباب، وأنَّ سالم بن علي بن عبد اللَّه هو الوزير، وقد فرَّقَوا المناصب على الصغير والكبير، وأنَّ السيد مسعود[٥] العِواجي هو الذي يتقدَّمُهُم بالقتل، ويفاجيك[٦] قبلُ.

فلم يُصَدّقَه في الخبر الذي رواه، وظن أَنَّه حديث افتراه، فأعاقه عن الخروج في ذلك اليوم، لينكشف له خبر القوم، ولم يزل ملزومًا عنده، حتى أزهرت نجوم الظلام، وآنَ للعَسَس وقت القيام، فأرسل مَن يكشف له الخبر، ليظهر له صدق الرجل فيما ذكر، فعاد الرسول موضحًا له غاية الإيضاح، بأَنّه وجد المذكورين في الأزِقَّة والأسواق حاملين السلاح، فثبت حينئذ عنده ما قال، وبادر في لزمهم بغير إهمال، وما كان يظن أنَّ أحدًا يتجَرَّأ على قتله، لكَوْنه لم تمضِ على آبائه مِن قَبْلِه.

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: طائفة.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: يترصَّدون.
(٣) العَسَسُ: الطواف في الليل للكشِف عَن أهلِ الريبَةِ واللصُوصِ. **المعجم الوسيط**، ص ٣٦٣.
(٤) كذا في الأصل، والصواب: سرورًا.
(٥) كذا في الأصل، والصواب: مسعودًا.
(٦) كذا في الأصل، والصواب: يفاجئك.

فأمر عليهم بالقبض؛ فَقُبِضَ البعضُ وهَرَبَ البعض، فَمِمَّنْ قبضوه السيد مسعود العِواجي، وهو المباشر للقتل المفاجي[١]، وكذلك ابنه السيد مساعد، والسيد محمد عامر ابن الشريف عبد اللّٰه بن سعيد، وسالم بن علي، ومحمد بن جار اللَّه المخرج، ونحو العشرين مِن العبيد، فحبسهم قدر شهر، ثم أخرجهم ليلة الخامس والعشرين مِن جماد[٢]، وقَرَّرهم فاعترفوا بِمَا ربطوه مِن الفساد، فأمر بقطع يد أربعة مِن العبيد، وقطع يد السيد مسعود، وأمر على سالم بن علي يصلبونه على عود، ثم أرسلهم إلى جدة وحبسهم فيها مُدَّة، ثم سَفَّرَهم مع المراكب الهنديَّة، فلم يبق لأهل الربطة بقيَّة، فغابوا سنة كاملة، ثم عادوا إلى اليمن، وقاسوا أنواع المحن، فمات بها السيد مسعود / ق٩٢/ ، ومَن دنا أجله وآنَ مُرْتَحَله، وتفرَّق الباقون بأرض اليمن شذر مذر، وبهذا جرى عليهم القضاء والقدر.

وأمَّا البعض الذي هرب[٣] فيهم: السيد دباب المعهود، وأولاد عبد اللَّه بن مسعود فإنَّهم أقاموا ببدر، ثم سافروا مع الحج سفرة الشوم[٤]، فمنهم مَن مات بمصر، ومنهم مَن مات بالروم.

[زيادة في بناء مسجد ابن عباس بالطائف]

وفي هذا العام[٥] وَكَّل والي الشام محمد باشا بن العظم، الخواجا[٦]

---

(١) كذا في الأصل، الصواب: المفاجئ.

(٢) ٢٥ جمادى الأولى ١١٩٣هـ/ ٩ يونيو ١٧٧٩م.

(٣) وردت في النسخة (ب): هربوا، ورقة ٦٥.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: الشؤم.

(٥) أي عام ١١٩٣هـ/ ١٨ يناير ١٧٧٩ - ٦ يناير ١٧٨٠م.

(٦) **الخُواجا**: كلمة فارسية بـ (و) لا تنطق؛ فهي على ألسنة عجم إيران «خاجة»، وقد انتقلت إلى العربية في صيغتها «خُواجا» بضم الخاء، وانتقلت إلى التركية العثمانيَّة في صيغة «خُوجه»، وجعلوها لقبًا من ألقاب التشريف، اختصّ به الشيوخ ورؤساء العلماء. كما كانت تطلق على مَن يمتون بصلة إلى الأصل الفارسي. أحمد السعيد، **تأصيل الدخيل**، ص ٩١؛ مصطفى الخطيب، **معجم المصطلحات**، ص ١٦٨؛ مصطفى بركات، **الألقاب والوظائف العثمانية**، ص ٢٥٠-٢٥٢.

محمد[١] العنتبلي أنْ يزِيْد في مسجد الحَبْر، ويُعِيْنَه على ما فيه الثواب والأجر، فزاد فيه اثنين وثلاثين ذراعًا[٢] في الطول، ومثلها في العرض؛ فاتسع المسجد ونال الفوز في يوم العرض، فتَمَّت عمارته في شهر رمضان، وجزاه اللَّه تعالى خيرًا، وتفضل عليه بالإحسان.

ولمَّا طلع صاحب الترجمة لزيارة الحَبْر، جَدَّد في المسجد المذكور عقدين، فزاد اتساعًا، وزاد في شمسته مِن جهة المشرق عشرين ذراعًا، فشكر اللَّه تعالى سعيه وتقبّل مِنْه، وقد ورد عن النبي ﷺ أنَّه قَالَ: «**مَنْ بَنَى مَسْجِدًا لِلَّهِ كَمَفْحَصِ قَطَاةٍ[٣]، أَوْ أَصْغَرَ، بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ**»[٤] صلى اللَّه تعالى عليه وعلى آله سفينة النجا[٥]، وأصحابه بدور الدجا[٦]، ونسأله أنْ يُوَفقنا لما يحبه ويرضاه، بجاه نبيه ومصطفاه.

وفي اليوم الحادي عشر مِن جماد[٧] توفي فجأة خليل باشا والي جدة، وحصل يوم موته ارتفاع في الأسعار وشدة.

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: محمدًا.

(٢) ذراع: مِن المقاييس التي عرفها العرب، ومِنْها أنواع مختلفة من حيث الطول، أشهرها: الذراع الهاشميَّة طولها ٦٤ سم، والذراع المعماريَّة طولها ٧٥ سم، والذراع البلديَّة طولها ٥٨ سم. ومِن أجزاء الذراع القبضة والإصبع. ومِن مضاعفاتها الباع. أحمد الشرباصي، **المعجم الاقتصادي**، ص ١٧٩-١٨٠؛ مصطفى الخطيب، **معجم المصطلحات**، ص ١٩٣.

(٣) **قَطَاة**: طَائر، وهو نَوعٌ مِن اليَمَام يُؤْثِرُ الحياةَ في الصحراء، ويتَّخِذ مَفْحَصه (عشه) في الأرض، ويطير جماعاتٍ، ويقطع مسافاتٍ شاسعة. كمال الدين الدميري، **حياة الحيوان الكبرى**، ١/ ٢٩٨؛ **المعجم الوسيط**، ص ٧٤٨.

(٤) أخرجه ابن ماجة في سننه، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي حُسَيْنٍ النَّوْفَلِيِّ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، به. انظر: محمد بن يزيد بن ماجه، **السنن: سنن ابن ماجه**، ج١، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، دار الرسالة العالمية، بيروت، ط١، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م، ص ٤٧٥.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: النجاة.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: الدجى.

(٧) ١١ جمادى الأولى ١١٩٣هـ/ ٢٦ مايو ١٧٧٩م.

وفي الثامن والعشرين مِن رجب[١] تَوَجَّه الشريف سرور بأهله إلى الطايف[٢] ونزل في قرية السَّلَامَة[٣]، وفي نفسه أنْ يجمع العُربان ويزور قبر جده المُظَلَّل بالغَمَامة، وفي نصف شعبان[٤] أخرج الهلال القديم، الذي على قبة سيدي الحَبْر، مِن حين بنى هذه القبة المستنجد بالله يوسف العباسي[٥]، سنة خمسماية[٦] وخمس وخمسين[٧]، وكان الهلال صُفْرًا[٨] مُمَوَّهًا بالذهب، فوضع بدله هلالاً أبدع في صنعته وأغرب، وَزْنُه ستماية[٩] أُوقِيَة مِن الفضة النقيَّة، وبعد مضي أيام سَوَّدَه النَّدى فتصدى لِتَمْوِيْهَه بالذهب، فمكث طالع الهلال بأفق القبة يستمدّ مِن نورها، حتى دارت الأهلة في انقضاء دَوْرِهَا، فأخرجه ووضع آخر أكبر مِنْه يقارب وَزْنُه قِنْطَار[١٠]، وبعد ثلاث سنوات أخرجه ومَوَّهَه بالنُّضَار[١١].

---

(١) ٢٨ رجب ١١٩٣هـ/ ١٠ أغسطس ١٧٧٩م.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.

(٣) **قرية السَّلَامَة**:، إحدى قرى الطائف، بها مسجد عبد الله بن عباس ﷺ، وهي كثيرة البيوت والبساتين، وبها عين ماء، وكان ينزلها أعيان مكة وفضلاؤها. عاتق البلادي، **معالم الحجاز**، ص ٨٢٥.

(٤) ١٥ شعبان ١١٩٣هـ/ ٢٧ أغسطس ١٧٧٩م.

(٥) **المستنجد بالله يوسف العباسي** (٥٥٥-٥٦٦هـ/ ١١٦٠-١١٧٠م): أحد خلفاء الدولة العباسية، ولد في بغداد عام ٥١٨هـ/ ١١٢٤م، وبويع بولاية العهد عام ٥٤٧هـ/ ١١٥٢م، وتولى الخلافة بعد وفاة أبيه المقتفي لأمر الله عام ٥٥٥هـ/ ١١٦٠م، وكان المستنجد موصوفًا بالعدل والرفق، شديدًا على المفسدين، وألغى المكوس التي أثقلت كاهل الرعية، ثم مات خنقًا نتيجة مؤامرة حيكت ضده عام ٥٦٦هـ/ ١١٧٠م، ودُفِنَ في بغداد. شمس الدين الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ٢٠/ ٤١٢-٤١٨.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: خمسمائة.

(٧) سنة ٥٥٥هـ/ ١١٦٠م.

(٨) **صُفْرًا**: النحاس الأصفر. **المعجم الوسيط**، ص ٥١٦.

(٩) كذا في الأصل، والصواب: ستمائة.

(١٠) كذا في الأصل، والصواب: قِنْطَارًا. وهو يساوي مائة رِطْل، أيّ خمسة وأربعين كيلو جرامات. فالتر هنتس، **المكاييل والأوزان**، ص ٤٠؛ أحمد الشرباصي، **المعجم الاقتصادي**، ص ٣٧٠-٣٧١.

(١١) **النُّضَار**: الذهب الخالص. **المعجم الوسيط**، ص ٩٢٩.

[ارتفاع الأسعار وانتشار الجوع]

وقد تقَدَّم أنَّ بموت الباشا / ق٩٣/ ارتفع سعر الأقوات، في أغلب الجهات، حتى وصل سعر كَيْلَة[١] الحب والزبيب ورِطْل[٢] السمن إلى قرشين، والدخن والذرة بقرش ونصف، وعُلو[٣] الأسعار أنْ قُرَّ شَيْن. وأمَّا البوادي فقَلَّت عليهم الأمطار، وحصل عندهم القحط في جميع الأسعار، فتركوا ديارهم وهاسوا[٤] في جميع الديار، وأكلوا ساير[٥] اللُّحوم حتى الكلب والحمار، وباعوا السلاح والبلدان، ومات أكثرهم جوعًا سيَّما غَامِد[٦] وزَهْـرَان[٧]، حتى إنَّ بعضهم تصَرَّف في بيع بلدته بعشاء ليلته.

ثم فشا الموت فيهم، وأخلى مِنْهم الديار، وصارت الموتى في كهوف الجبال وتحت الأشجار تأكل مِن لحومهم الرَّخم والبوم، ولا يجِدُون مَن

---

(١) كَيْلَة: وعاء يكال به الحبوب، ويقدر بثمانية أقداح، ومقدار حجمه ٥-١٦ لترًا. فالتر هنتس، **المكاييل والأوزان**، ص ٧٢؛ علي جمعة، **المكاييل والموازين**، ص ٣٥.

(٢) رِطْل: معيار يُوزن بِهِ أَو يُكَال يختلف باختلاف البلاد، وقد كان الرِّطْل في مكة يساوي مثيله العراقي؛ أي ٢٥- ٤٠٦ جرامًا. فالتر هنتس، **المكاييل والأوزان**، ص ٣٠-٣١؛ علي جمعة، **المكاييل والموازين**، ص ٢٩-٣٠.

(٣) وردت غلو في النسخة (ب)، ورقة ٦٦.

(٤) هَاسُوا: دَاروا وانتشروا في أيِّ مكان. **المعجم الوسيط**، ص ٩٩٩.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: سائر.

(٦) غَامِد: مِن قبائل عسير، واحدهم غَامِدي. ومِنْهم: بَنُو كبير، بنو ظبيان، بنو خثيم، بلجرش، بالشهم، آل صياح، وغيرهم. وتقع ديارهم بين الشلاوي مِن الشمال، وشمران مِن الشرق، وبَلْقَرن وبلعريان مِن الجنوب، وزبيد وزهران مِن الغرب، وتمر طريق الطائف - أبها وسط ديار هذه القبيلة. صلاح أحمد هريدي، **عسير تحت الحكم العثماني** (١٢٨٩-١٣٣٦هـ/ ١٨٧٢-١٩١٤م)، دار المعرفة الجامعية، إسكندرية، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ص ٧٣.

(٧) زَهْرَانُ: من أكبر قبائل عسير، واحدهم زَهْرَاني. ومِنْهم: بَنُو يُوس، بنو سُليم، بنو عُمَر، دَوْس، بنو عُمَر الأَشَاعِيْب. وتقع ديارهم بين ديار بني مالك من الشمال، وغامد من الشرق، وزُبَيْد مِن الجنوب والجنوب الغربي، وذوي حسن مِن الغرب، وتمتد في الغرب إلى ما يقرب إلى ساحل البحر بمقدار ١٥ ميلاً. رضا كحالة، **القبائل العربية**، ٢/ ٤٨١؛ صلاح أحمد هريدي، **عسير تحت الحكم العثماني**، ص ٧٢.

يواريهم إلى بيتهم المعلوم، فخلت مِنْهم المنازل بسبب هذا النازل، وفي أغلب تلك الديَار لم يبقَ ديّار ولا نافخ نار، حتى الذي تشَتَّت في أرض أخرى مات فيها، نسأل اللَّه الكريم أنْ يدركنا بلطفه الخفي، ويعاملنا بِمَا هو أهله بجاه نبيه الوفي.

والعرب سَمَّت هذا الفنا[١] والغلا[٢]: حوقة، وهذا كله آفة المعاصي والطغيان، وعدم المُبَالاة بحقوق الرحمن، وسيأتي أنَّ الذي بقي مِن بعد هذا الفنا[٣]، توالدوا وتناسلوا حتى زادوا على المائة ألف، وكُلّهم دخلوا في دين الشقي الوهابي، وصاروا يقاتلون المسلمين معه قتالاً لا يكيّف، فانظر لحكمة اللَّه تعالى التي أفنت أولئك، ولو كانوا موجودين لزادوا على هؤلاء، ودخلوا في الدين الحالك.

ولم يزل هذا الحال إلى شهر القعدة[٤]، ثم فَرَّج اللَّه تعالى الكرب، وحَلَّ هذه العقدة، وتفضل بإرسال الغيث المدرار، ووردت الزعايم[٥] وهانت الأسعار، وكانت مُدَّة هذا الابتلاء والقحط، الذي أفنى المَلأ، ستة أشهر إلا عَشَرةَ أيامٍ، ففَرَّج اللَّه تعالى الكرب، وتفضل بالإنعام.

[غزوة على الشَّيَابِيْن وقبيلة هُذَيْل]

وفي ليلة ثالث عشر شوال[٦] فزع الشريف بِمَن لديه مِن الرجال، وركب وصَبَّح الشَّيَابِيْن، وأخذوا مِن أغنامهم ألفين ومِن الإبل ماتين[٧] وثمان وعشرين، ثم ركب على هُذَيْل ونواهم بالخيبة والويل، فحذرتهم العيون،

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: الفناء.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: الغلاء.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: الفناء.
(٤) شهر ذي القعدة ١١٩٣هـ/ ٩ نوفمبر - ٨ ديسمبر ١٧٧٩م.
(٥) كذا في الأصل، والصواب: الزعائم.
(٦) ١٣ شوال ١١٩٣هـ/ ٢٣ أكتوبر ١٧٧٩م.
(٧) كذا في الأصل، والصواب: مائتين.

وأفشوا سره المصون، فأخذوا حذرهم، وكَمَّنُوا له في الشعاب والهضاب، وتَرَّسُوا له في تلك الجبال الصعاب / ق٩٤/ .

فلمَّا أقْبَل عليهم بادروه بالقتال، ومكث الحرب بينهم ساعتين وما استطال، فعاد ولم يبلغ مِنْهم منال[1]، وتركهم على روس[2] الجبال، ثم ركب أيضًا بنفسه على الشَّيَابِيْن، فأُنْذِرُوا به ووَلّوا على أعقابهم مُدبرين.

[غزوة على الشَّلاَوَى مِن بني الحارث]

فعاد ومكث سبعة أيام، ولم يطب له المقام، فركب على قبيلة يقال لها: الشَّلاَوَى[3]، فَخْذٌ مِن بني الحَارِث[4]، بعثه على قتالهم باعث؛ منازلهم بأطراف الشرق، وينجعون مِنْه إذا أتعبهم المحلُ وشَق، فأجَدَّ خيله مُسْرعًا يومين وليلتين، وصَبَّحَهم في اليوم الثالث، وأذاقهم شقة البين، واستدام الحرب بينهم نهاره بِمَا طال، ثم وَلّوا هاربين، وتركوا الحلة والمال، فجَرَّعَهم كاس[5] الموت الأحمر، وأصاب جانبًا مِنْهم، وقتل ثلاثة عشر، وتبَدَّد شمْلهم وتفَرَّق، وأخذوا في اليوم الأبيض الحلة على الأزرق، فمِن ذلك سبعة آلاف مِن الغنم، ومِاية[6] وثمانين مِن حُمر النعم، سوى الأدباش والسلاح، وما يتعلق بأسباب المراح.

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: منالًا.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: رءوس.

(٣) **الشَّلَاوَى**: مِن فروع قبيلة بني الحارث. وهم بادية يسكنون بقرب حَضَن، وينقسمون إلى: ذوي حطاب، والمعاتبة، وذوي حنيتم، والجعارين، والقناثلة، والجثايث، والحمدات، والعمور، والجلاه. حمد الجاسر، **معجم قبائل المملكة**، ص ١٣٠-١٣٢.

(٤) **بني الحارث**: من قبائل الحجاز ويقال لها: بَالْحَارِث. وواحدهم حارثي. وتنقسم القبيلة إلى: بَنُيُوس (بنو أوس)، والشَلاَوِى، وناصرة. وتقع ديارهم جنوب الطائف على مسافرة ٦٠ كيلاً وهي مستطيلة؛ وتمتد من تهامة على حدود اللَّيْث غربًا إلى بلاد البُقُوم وغامد شرقًا، مخترقة بذلك جبال السروات، وهي أرض ذات سهول وجبال، تقع سهولها في عالية نجد، وفيها عدد من الأودية المشهورة مثل: مَيْسَان، بواءٍ، أبو راكة. حمد الجاسر، **معجم قبائل المملكة**، ص ١٢٧.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: كأس.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: مائة.

وعاد إلى الطايف[١] في اثنين وعشرين مِن الشهر[٢]، وهو مؤيد بالفتح والنصر، ثم تحرك بالرحيل إلى وطنه ودار مقرّه وسكنه، فدخلها وأقام بها، ولم يغز أحدًا مِن البوادي حتى نادى بالحج الْمُنادي، وكان والي الشام ذو الرأي والحَزْم محمد باشا بن العظم سنة ١١٩٣ [٣]، وأمير الحاج المصري مراد بيك[٤]، جاء في قوّة عظيمة، وأراد ما أراد مِن الإفساد.

[زواج الشريف سرور مِن بنت سلطان المغرب]

وفي هذا الموسم أرسل سلطان المغرب مولاي محمد[٥]

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.

(٢) ٢٢ شوال ١١٩٣هـ/ أوَّل نوفمبر ١٧٧٩م.

(٣) سنة ١١٩٣هـ/ ١٨ يناير ١٧٧٩ - ٦ يناير ١٧٨٠م.

(٤) **مراد بيك**: مراد بيك الكبير المحمدي، مِن مماليك محمد بك أبو الذهب، اشتراه عام ١١٨٣هـ/ ١٧٦٨م، وصار مِن المقربين إليه، وبعد وفاته اقتسم السلطة مع زميله إبرهيم بك الكبير - المذكور آنفًا - وقد خرج أميرًا على الحج عام ١١٩٣هـ/ ١٧٧٩م، ووقعت العداوة بينه وبين الشريف سرور في ذلك العام، وتقاتل مع العُربان عند الخيف أثناء عودته، وكان حاكمًا على الوجه البحري عند قدوم الحملة الفرنسية عام ١٢١٣هـ/ ١٧٩٨م، فتصَدَّى لهم في موقعتي: شبراخيت، وإمبابة، وبعد هزيمته فَرَّ إلى الصعيد، وبدأ في مقاومة الفرنسيين، ثم تصالح معهم، وأصبح حاكمًا على الصعيد، وقد توفي هناك بالطاعون في ٢٨ ذي القعدة ١٢١٨هـ/ ٢١ أبريل ١٨٠١م، ودُفِنَ في سوهاج. إسماعيل الخشّاب، **خلاصة ما يراد من أخبار الأمير مراد**، حقّقه وترجمه وعلّق عليه: حمزة بدر ودانيال كريسيليوس، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، ص١٧-٤٥؛ عبد الرحمن الجبرتي، **عجائب الآثار**، ٣/ ٢٧٠-٢٧٥.

(٥) **مولاي محمد** (١١٧٠-١٢٠٤هـ/ ١٧٥٧-١٧٩٠م): محمد بن عبد اللَّه الخطيب ابن إسماعيل بن علي الشريف العلوي، سلطان المغرب الأقصى، ولد في مكناس عام ١١٣٤هـ/ ١٧١٠م، وخرج إلى الحج مع جدته عام ١١٤٣هـ/ ١٧٣١م، ثم تولى الحكم ٢٥ صفر ١١٧١هـ/ ٧ يوليو ١٧٥٧م، ويُعَدُّ أشهر السلاطين حيث شهدت مملكته ازدهارًا في كافة النواحي: السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية، ونال مكانة على المستوى الدولي، وقام باسترداد مزاغان من البرتغاليين عام ١١٨٢هـ/ ١٧٦٩م، وعقد مع ملك فرنسا لويس السادس عشر Louis XVI (١١٦٧-١٢٠٣هـ/ ١٧٥٤-١٧٨٩م)، اتفاقية لإلغاء الرق عام ١١٩١هـ/ ١٧٧٧م، وكان على علاقة طيبة مع السلطان العثماني، وبينهما كثير من المراسلات، وتوفي في ٢٤ رجب ١٢٠٤هـ/ ٩ أبريل ١٧٩٠م، ودُفِنَ في عين عتيق قرب الرباط. محمد الضعيف الرباطي، **تاريخ الضعيف (تاريخ الدولة السعديَّة)**، تحقيق وتعليق: =

بنته[1] يزوجها على الشريف سرور، واختار بأنْ يكون له صهرًا، وكفى بِمَن تطلبه الملوك لبناتها فخرًا، وأرسل معها أخويها: اليزيد[2] وسلامة[3]..............................

= أحمد العماري، دار المأثورات، الرباط، ط١، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ص ١٦٢ وما بعدها؛ أحمد بن خالد الناصري، **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، الدولة العلوية، القسم الثاني، الجزء الثامن، تحقيق وتعليق: جعفر الناصري و محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، ٣-٧٢؛ خير الدين الزركلي، **الأعلام**، ٦/ ٢٤١-٢٤٢.

(١) **الشريفة لبابة بنت محمد**، تزوّجها الشريف سرور في أواخر عام ١١٩٣هـ/ ١٧٧٩م، وأقرّ لها الشريف سرور في وصيته بـ«جميع ما تحت يدها من مصاغ، وملبوس، ودبش، وعبيد، وجوار، وأغاة فهو لها، وتستحق مني عشرة آلاف قرش ذهبي، وإذا أرادت السفر إلى بلدها فتحمل وتزمل وترسل إلى أهلها من مالنا كذلك، وإن أتاها من بلدها ما يحملها ويزملها من أهلها فلا تعطى من مالنا غير الذي تستحقه بذمتنا». وللشريفة لبابة حجة شرعية حول وقف رباط، وهي صادرة من محكمة مكة المكرمة. انظر: عمر بن فيصل آل زيد، **الشريف سرور...أمير الحرمين**، ص ١٤٠-١٤١، ١٨٩.

(٢) **اليزيد بن محمد**: ولد في مدينة فاس عام ١١٦٣هـ/ ١٧٥٠م، وفي عام ١١٨٢هـ/ ١٧٦٩م، ولاه والده على كروان، إحدى أكبر القبائل المغربية، فشجعه أولئك على الخروج على أبيه، فبعث له والده الأمان مع كاتبه، فصطحبه إلى مراكش عام ١١٨٤هـ/ ١٧٧١م، ثم أرسله إلى الحج عام ١١٩٣هـ/ ١٧٧٩م، وبعد عودته إلى المغرب ظلّ على طبيعته في التمرد، حيث اعترض الحجاج عام ١١٩٥هـ/ ١٧٨١م، واستولى على الأموال التي كان يريد والده إرسالها إلى مكة؛ فغضب والده وتبرأ مِنْه، فهرب إلى الشرق، وظلّ على ذلك حتى توفي والده، فتولى الحكم من بعده في ١٨ شعبان ١٢٠٤هـ/ ٢ مايو ١٧٩٠م، وقد مات في إحدى المعارك التي خاضها ضد أخيه هشام، في ٢٣ جمادى الآخرة ١٢٠٦هـ/ ١٦ يناير ١٧٩٢م، ودُفِنَ في مقابر الملوك السعديين بمراكش. عبد السلام بن عبد القادر ابن سودة، **اتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع (١١٧١-١٤٠٠هـ/ ١٧٥٦-١٩٨٠م)**، ج١، تنسيق وتحقيق: محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ص ٤٧، ٥٧، ٦٨، ٦٩-٧٠، ٧٢؛ عبد الستار البكري، **فيض الملك الوهاب**، ص ٢٠١٠؛ خير الدين الزركلي، **الأعلام**، ٨/ ١٨٧-١٨٨.

(٣) **سلامة بن محمد**: ويعرف أيضًا باسم مسلمة. لمَّا مات أخوه السلطان اليزيد، أراد أخذ البيعة لنفسه، لكنه فشل في ذلك، حيث تمّت مُبايعة أخيه السلطان سليمان بن محمد (١٢٠٦-١٢٣٨هـ/ ١٧٩٢-١٨٢٢م)، فتصالح معه، ثم تَوَجَّه إلى الحج، وظل في مكة حينًا مِن الدهر، ثم تجول في كثير مِن البلدان، ثم عاد إلى تونس ١٢٢٦هـ/ ١٨١١م؛=

بأموالٍ عظيمةٍ[١]، أهداها للشريف حُبًّا له صدقة[٢] للسادة الأشراف لِكُلٍّ بُدٌّ، والسادة العلويون أخذوا حصتهم مِنْها ولا بدّ، ثم إنَّ مولانا الشريف دعا العُلماء والقضاة، وأمراء الحجوج وعظماه[٣]، ودعا المفاتي والسادة الأشراف بني عمّه آل عبد مناف، وعَقَد على بنت السلطان بمحضر هذه الأعيان.

فَعَقَدَ له بها ملك العُلماء الذي امتطى غارب الجوزاء، وجعله سُلَّمًا و[تَسَنَّم][٤] هامَة السِّمَاك، وجاوز قدره الأفلاك، مفتي بلد اللَّه تعالى الحرام، والمرجع في الأمُور إذا تشابهت الأحكام، / ق٩٥/ مولانا المفتي عبد الملك ابن المفتي عبد المنعم بن المفتي تاج الدين الحنفي؛ بخطبة نكاح لو رآها بديع الزمان[٥]؛ لأذعن لها غاية الإذعان، أو الحريري لجعلها جُلَّ مراماته،

= ثم تَوَجَّه إلى المغرب الأقصى، فلم يطب له العيش فيها، فعاد إلى تونس، وظلّ بها حتى وفاته في ١٥ جمادى الآخرة ١٢٥٠هـ/ ١٩ أكتوبر ١٨٣٤م، ودُفِنَ بزاوية سيدي عزوز. عبد السلام ابن سودة، **اتحاف المطالع**، ١/ ٧٢، ٧٣، ١٥٤.

(١) وكان هذا الوفد يضم: اليزيد، وسلامة، وأمهما شهر زاد، وأختهما الشريفة لبابة التي تزوَّجها الشريف سرور، والسيد الحاج عبد الكريم بن يحيى. انظر: عبد السلام ابن سودة، **إتحاف المطالع**، ١/ ٤٧. ويصف الناصري مظاهر الأبهة والعظمة، والأموال الكثيرة التي صاحبت الموكب إلى مكة المكرمة بقوله: «وأصحبهما ... هدية عظيمة لأهل الحرمين الشريفين، ومالاً كثيرًا يُفَرَّق على أشراف الحجاز واليمن، وجوائز سنية للعُلماء والنقباء وأرباب الوظائف بمكة والمدينة، وبعث معهما وجوه أهل المغرب ... وكان جهاز ابنة السلطان ما يزيد على مائة ألف دينار مِن الحلي والياقوت والجواهر، وكان يوم دخولها مكة يومًا مشهودًا، حضره عامَّة أهل الموسم الأعظم مِن الآفاق، وتناقلت حديثه الركبان والرفاق». أحمد بن خالد الناصري، **المغرب الأقصى**، ٨/ ٣٤.

(٢) يبدو أنّ هذه الكلمة وقع بها لبسٌ لدى المؤرخ؛ حيث إنّ الصَدَقة لا تجوز على آل النبي ﷺ كما ورد في الصحيح، قال النبي ﷺ: «**إنَّ الصَّدَقَةَ لا تَنْبَغِي لِآلِ مُحَمَّدٍ، إنَّما هِي أَوْسَاخُ النَّاسِ**». انظر: مسلم بن الحجاج النيسابوري، **صحيح مسلم: المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول اللَّه ﷺ**، ج٢، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م، ص ٧٥٢.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: عظماءه.

(٤) وردت في الأصل تَسلّم، والتصويب مِن النسخة (ب)، ورقة ٦٨ . وتَسَنَّم الشيء أيّ صعد إليه.

(٥) **بديع الزمان**: أبو الفضل أحمد بن الحسين بن يحيى بن سعيد الهمذاني، اشتهر ببديع =

ووقف عندها دون مقاماته، ولو ظفرت بها الآن لذكرتها، وكانت كالعقد في جِيد الزمان.

وفي التاسع عشر[١] سافر الحج الشامي إلى الديار وتَوَجَّه على مدينة المختار.

[مُحاولة عزل الشريف سرور مِن قبل أمير الحج المصري مراد بيك]

وفي الثاني والعشرين[٢] برز أمير الحاج المصري مراد بيك إلى الزاهر، وأرسل غيره يلبس خِلْعة الشريف تَكَبُّرًا ظاهر[٣]، فحصل بينهما مباغضة ومعاداة، لأمرٍ أوجب هذا الحال واقتضاه؛ والسبب أنَّ عبيدًا هربوا مِن الشريف، وتَفَيَّؤا في غير ظلّه الوريف، والتجوا[٤] إلى مراد بيك، فتحيَّل بهم حتى استخلصهم لديه، وبالغ في ضربهم بِمَا طال، ووضعهم في السلاسل والأغلال، فأرسل مراد بيك يتَوَجَّه في خلاصهم، فأبى وأضرب صفحًا عن قوله ونبا، ثم شرد عبيد آخرون بخيلهم الجِياد، والتجوا[٥] إلى الصنجق مراد، فأرسل الشريف يطلب مِنْه العبيد، فشتم مرسوله وبالغ في التهديد.

وحدَّثته نفسه أنْ يضع للمَكَانة خلافه، وأنْ يكون مِن بيت الشرافة، فاستلحق السيد سليمان بن يحيى، وعزمه على أنْ يدعي طلب هذه المكانة، وتكفَّل له بالنجدة والإعانة، فقويت مِن السيد سليمان الآمال، وهو أهل لهذا الفضل والإجلال، فجعل في كُلّ ليلة يتردد عليه ويجول معه فيما يصير هذا الأمر إليه، فلمَّا بلغ الشريف

= الزمان الهمذاني. ولد في مدينة همذان بإيران، عام ٣٥٦هـ/ ٩٦٧م. وتُعَدّ كتاباته أقدم نص تتبلور فيه سمات الفن المقامي، توفي مسمومًا في مدينة هراة في شهر جمادى الآخرة ٣٩٨هـ/ فبراير ١٠٠٨م. ياقوت الحموي، **معجم الأدباء**، ١/ ٢٣٤-٢٥٣؛ شمس الدين الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ١٧/ ٦٧-٦٨؛ حسن عباس، **نشأة المقامة**، ص ٥٢-٧٣.

(١) ١٩ ذو الحجة ١١٩٣هـ/ ٢٧ ديسمبر ١٧٧٩م.

(٢) ٢٢ ذو الحجة ١١٩٣هـ/ ٣٠ ديسمبر ١٧٧٩م.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: ظاهرًا.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: الْتَجَأوا.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: الْتَجَأوا.

سرور[١] هذا الخبر، شقّ عليه وكدر، فطرح العيون عليه مِن كُلّ مكان، وأمرهم بلزمه بأيّ وجه كان، فخرج في ذات ليلة مِن عنده مُتنكِّرًا في زيّ سَايس[٢] عليه زعبوط[٣]، فقبضوه في طريق الْحَجُون وجاوا[٤] به مربوط[٥]، ثم وضعه في السجن مُدَّة، ثم أرسله وحبسه في يمبع، بعد أنْ حبسه في جدة.

فلمَّا بلغ الصنجق حبس السيد سليمان، اشْتَدَّ غضبه واشتعل بالنيران، فأمر الحج بالارتحال، وصَمَّم على ما صَمَّم عليه مِن القتال، فأقام بالخيول والرجال لطلب الشر، وأرسل الحج، وقد وصل إلى وادي مَرّ، ومِن اللُّطْف والعناية كان مثقالُ أغا عند الصنجق مُقِيْم[٦]، وكان بينهما صداقة وود قديم، ولم يزل يثنيه / ق٩٦/ عن عزمه ويراجعه، ويلاطفه في الكلام ويخادعه، حتى غربت الشمس، وضاقت النفس.

وأمَّا صاحب الترجمة فقد تَرَّس الدار بالرجال، واستحضر للقتال، بل بلغني أنَّه أراد الخروج عليه إلى الزاهر، بقصد قتاله وتَشْتِيْته ووباله، فَسَلَّم اللَّه تعالى، ولم يقع بينهما شيء، وسافر ولم يحصل له ما أراد مِن العنا[٧]،

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: سرورًا.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: سَائِس. وهو يعتني بالدَّوابِّ ويُدرِّبُها، مثل سَائِس الخَيْل. **المعجم الوسيط**، ص ٤٦٢.

(٣) **زعبوط**: اسم يطلق على أغطية الرأس، ويتخذ أشكالا كثيرة، ويُصنع من خامات متعددة، وفيه عدة أنواع، مِنْه: أوسكوف، وهو مِن اللباد يلبسه جنود الإنكشارية، وحافته الملامسة للرأس محلاة بالصيرمة. بورك: وهو مِن اللباد الأبيض كان يستخدمه فتية الأخية، وصار غطاء رأس رسميًّا لجنود الإنكشارية مُنْذ عهد السلطان بايزيد الأوَّل. ولأغطية الرأس مُسَمَّيات كثيرة، تختلف باختلاف الفئات الاجتماعية التي ترتديها، أو درجتهم العلمية والعسكرية. صالح سعداوي، **مصطلحات التاريخ العثماني: معجم موسوعي مصوَّر**، ج١، دارة الملك عبد العزيز، الرياض، ٢٠١٦م، ص ١٨٦، ٢٩٧.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: جاءوا.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: مربوطًا.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: مُقِيْمًا.

(٧) كذا في الأصل، والصواب: العناء.

وأصحب معه السيد ناصر بن سليمان، وكذلك العبيد الشَّارِدُونَ ركبوا معه عِيانًا بيان[1].

[قبيلة حرب تهاجم ركب الحج المصري]

فلمَّا وصل مراد بيك إلى الخَيْفِ، قاتله أهل الخَيْف مِن الجبال، ورَمُوه بالرصاص، فأسرع هاربًا ولم يجد له خلاص[2]، فَقُتِلَ بعضُ الحجاجِ، ومَرَّ الباقون تحت العَجَاج، وكان معه جملة مِن شيوخ حرب رهاين[3]، خوزقهم بعد ما مَرَّ تلك الجهات، ولم يعطِ في ذلك العام ما هو لحرب مِن المعاليم والمُقَرَّرات[4].

وجنح في بال الشريف رُبَّمَا إذا مَرَّ يمبع يفك الشريف أحمد، ويَنكيه بهذا المقصد، فاستلحقه مِن يمبع، وحبسه في جدة، وبعد أنْ تعَدَّى يمبع أعاده إلى مكانه ورَدَّه، فأرسل معه السيد سليمان بن يحيى، وأمر بسجنه سوا[5] يموت أو يحيا.

❐ ❐ ❐

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: بيانًا.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: خلاصًا.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: رهائن.
(٤) يُصَوِّر الجبرتي الحال في مصر، والمظالم التي وقعت على الناس، عند خروج موكب الحج في هذا العام، بقوله: «وهاجت مصر وماجت في أيام خروج الحج، بسبب الأطلاب وجمع الأموال، وطلب الجمال، والبغال، والحمير، وغصبوا بغال الناس، ومن وجدوه راكبًا على بغلة أنزلوه عنها وأخذوها قهرًا». وقد سجّل الجبرتي الاعتداء على محمل الحج المصري، قرب المدينة المنوَّرة، عند عودته في صحبة مراد بيك، قائلاً: «هاجمه العُربان في الصفرة والجديدة، وحصروا الحجاج بين الجبال، وحاربوهم نحو عشر ساعات، ومات كثير مِن الناس والغز والأجناد، ونهبت بضائع وأحمال كثيرة، وكذلك الجمال والدواب، والعرب بأعلى الجبل، والحج أسفل، كل ذلك والحج سائر». عبد الرحمن الجبرتي، **عجائب الآثار**، ٢/ ٧٣-٧٤، ٨٣.
(٥) كذا في الأصل، والصواب: سواءً.

[أحداث سنة ١١٩٤]

[انتشار الأمراض في الحجاز]

ثم في هذا العام سنة ١١٩٤ [١] اشتدّ على الناس الأكسال، وتنَّوَعَت الأمراض، وصرمت حبال الآجال بمقراض، فأعرب مبتداه[٢] عن رفع، كان مبتداه[٣] بمكة وما حولها في شهر صفر[٤]، واستطال حتى أباد الناس بيد الحفر، فتكامل في صلاة العصر إلى عشرين جنازة مجتمعة، حتى صار الشخص يمشي ويحمل وصيته معه، وبلغ العدد في كُلّ يوم إلى خمسين بهذا البلد الأمين، فامتلأت المقابر، وضاقت بالرفات، وصاروا يجمعون في القبر بين الماتين[٥] والثلاث، وفتحوا الفاسقيات[٦] لكثرة الأموات، وجَدَّد أهل الخير مقبرتين بالمَعْلا عن يمين الداخل واحدة، والأخرى عن اليسار، فجزى اللَّه تعالى منشيها[٧] خيرًا وجازاه في تلك الدار.

وأمَّا العُربان فقد تقَدَّم ما حَلَّ بهم في تلك الجهات مِن الفوات، وزاد الحال عليهم الآن، حتى لا يجدون مَن يدفن لهم الأموات، وصار المار بديارهم إذا مَرَّ وجدها خالية، ولسان حاله يقول: ﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ۝٨﴾[٨] / ق٩٧/

(١) ١١٩٤هـ/ ٧ يناير- ٢٥ ديسمبر ١٧٨٠م.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: مبتدأه.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: مبتدأه.
(٤) صفر ١١٩٤هـ/ ٦ فبراير - ٥ مارس ١٧٨٠م.
(٥) كذا في الأصل، والصواب: المائتين.
(٦) **الفاسقيات**: جمع فسقية؛ وهي القبر الجماعي.
(٧) كذا في الأصل، والصواب: منشئها.
(٨) القرآن الكريم، **سورة الحاقة**، آية رقم ٨.

ولم يسمع بمثل هذا الرفع قَطّ بإقليم الحجاز، ولا ضبطه مورخ[١] ولا حاز.

[زيارة الشريف سرور المدينة المنوَّرة]

وفي شهر ربيع الأوَّل[٢] عَنَّ لصاحب الترجمة زيارة قبر جده المُفضل، فاستلحق العُربان وطلبهم مِن كُلّ مكان، ولم يزل تلفي عليه العرب إلى ربيع الثاني[٣] تكامل عنده القَدْر الذي طلب، وما زالوا مُقيمين في ظلّ عيشه الوريف، وفي كُلّ يوم يجري عليهم المصاريف.

وفي ربيع الثاني خَفَّ الرفع عن الناس، وأتى اللَّه تعالى بالشفا[٤] وارتفع البأس، فتَقَوَّت هِمته للزيارة، وأهاج عزم الجرم وأثاره، فطلب الجِمال مِنْ جَمَّالة مكة ومِن جَمَّالة الطايف[٥] ومِن جَمَّالة حرب، وعيَّن لهم قدرًا معلومًا يكفيه لهذا الدَّرْب، فظن أهل الجِمال أنَّه يأخذها سخرة، ولم يعطهم فيها أجرة، فما صدق تخمينهم وأخطأت [استهم][٦] الحفرة، فاستعدّ بكمال الاستعداد، وجميع ما يحتاجه على وفق السداد، وجميع الذخاير[٧]، وما يحتاجه المسافر، واصطنع لأهله جحفًا أشبه شي[٨] بالمحمل، يضعون فيها شخصًا ويحملونه على الجمل، ووضع لها أثوابًا مُكَلَّلة بالفضة والحرير، فجات[٩] في أسلوب ليس له نظير.

ولمَّا اجتمعت القبايل[١٠] والعشاير[١١]، فَرَّق الزَّاد لِكُلّ مسافر، فأعطى

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: مؤرخ.
(٢) شهر ربيع الأوَّل ١١٩٤هـ/ ٦ مارس - ٤ إبريل ١٧٨٠م.
(٣) شهر ربيع الآخر ١١٩٤هـ/ ٥ إبريل - ٣ مايو ١٧٨٠م
(٤) كذا في الأصل، والصواب: بالشفاء.
(٥) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.
(٦) وردت في الأصل أسهم، والتصويب مِن النسخة (ب)، ورقة ٦٩. والاست هي فتحة الدبر.
(٧) كذا في الأصل، والصواب: الذخائر.
(٨) كذا في الأصل، والصواب: شيء.
(٩) كذا في الأصل، والصواب: فجاءت.
(١٠) كذا في الأصل، والصواب: القبائل.
(١١) كذا في الأصل، والصواب: العشائر.

للجَمَّالة مائة غرش أجرةَ كُلِّ بعير، وأعطى لِكُلِّ شخص عَشَرَةَ ريال تدبير[١]، وأعطى كُلّ شخص مِن الأشراف، ومَيَّز بعضهم على بعض، وسلك معهم طريق الإنصاف.

وتَوَجَّه ليلة الأربعاء[٢] في اليوم الحادي عشر مِن جماد الأوَّل، عام أربع وتسعين وماية[٣] وألف[٤] مِن هجرة جَدِّه المفضل، وكان جملة مَن معه مِن العُربان خمسة آلاف، ومِن مراجله ألفان، ومعه خمسماية[٥] مِن السادة الأشراف، وماتين[٦] وخمسين خَيَّال[٧]، وثلاثة آلاف وخمسماية[٨] مِن الجِمَال[٩]، وخرج مِن مكة في أَتَمِّ نظام، ودخل مدينة جدة، وأقام بها ثمانية أيام.

ومِن أعجب ما اتفق وظهر واشتهر، مِن حظّه الذي يقسم الحجر، عدم وصول الموسم الهندي[١٠] في هذا العام، واتفقوا على فوات وقته، وأنَّه لم

(١) كذا في الأصل، والصواب: تدبيرًا.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: الأربعاء.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: مائة.
(٤) ١١ جمادى الأولى ١١٩٤هـ/ ١٤ مايو ١٧٨٠م.
(٥) كذا في الأصل، والصواب: خمسمائة.
(٦) كذا في الأصل، والصواب: مائتين.
(٧) كذا في الأصل، والصواب: خَيَّالًا.
(٨) كذا في الأصل، والصواب: خمسمائة.
(٩) يبدو واضحًا مِن الأعداد التي اصطحبها الشريف سرور معه في زيارة المدينة المنوَّرة أنَّ هدفه لم يكن الزيارة فقط، بل كان يسعى إلى أمر مروم؛ وهو فرض سيطرته على المدينة، وتولية أحد أتباعه عليها، وكي يستعرض قوته في تلك المنطقة بعد أنْ فرغ من القضاء على الأشراف المناوئين لحكمه؛ سواء بالحبس أو القتل أو النفي وأهمهم عمّه الشريف أحمد، وترجع أسباب الحقيقة وراء هذه الزيارة إلى قمقمجي، وأنَّ أهل المدينة طلبوا مِنْه الصفح والعفو، فهدأت الأوضاع بينهما، ولكن ما لبثت أنْ اشتعلت لتحدث فتنة كبيرة، كما سيتبن في أسطر المخطوط وتعليقاته.
(١٠) **الموسم الهندي**: الوقت الذي تصل في السفن مِن سواحل الهند إلى مدينة جدة، في مايو مِن كُلِّ عام؛ حيث كانت تفرض عليها الضرائب التي يحصل الشريف على جزء =

يبقَ له أيام، فصادف يوم دخوله إلى جدة والناس في شنآن، فدخل الموسم الهندي بغير رُبَّان، فأقام لأجله تلك اللَّيال، حتى جمع له وزيره ما تحصّل مِن الأموال، ثم تَوَجَّه وصحب معه الوزير ريحان، وأصبحوا على عُسْفان، ثم على خُلَيْص ونادى بالأمان على أهله، / ق٩٨/ وأنْ يبقى كُلٌّ في محلّه، فأقام به رويد[1]، ومِنْه أصبح على قديد، ثم على رابغ بالجنود المنصورة، ثم أصبح على مَسْتُورة[2]، ثم على بدر؛ فتلقاه أهله برحب الصدر، فعرضوا عليه، وقَدَّمُوا الهدايا بين يديه، ثم وسْوس لهم الشيطان، وسلكوا معه طريق التجبر والطغيان، فادَّعوا أنَّ لهم عوايد[3] مِن الملوك إذا مَرَّت بهم وقوانين، وأنَّه أخذ عليهم مِن الصنجق معلوم ثلاث سنين[4].

= مِنْها. والموسم اصطلاح ملاحي عند البحارة العرب العاملين في سواحل شبه الجزيرة العربية والمحيط الهندي، حيث كانوا يسافرون بالسفن الشراعيَّة مع الريَّاح الموسميَّة، التي تهب على هذه المنطقة كل عام، فيسيرون مِن الهند نحو سواحل شبه الجزيرة العربية، ومِنْها إلى جدة. والرِّيَاح الموسميَّة في المحيط الهندي يسرت الملاحة فيها، وهي نوعان: أولهما: الرِّيَاح الشماليَّة الشرقيَّة مِن أكتوبر إلى إبريل، وهذه تؤدي إلى ساحلي شبه الجزيرة العربية وأفريقيا، والأخرى: الرِّيَاح الموسميَّة الجنوبيَّة الغربيَّة مِن إبريل إلى أكتوبر، وهذه تؤدي إلى الهند والصين. أنور عبد العليم، **الملاحة وعلوم البحار عند العرب**، سلسلة عالم المعرفة (١٣)، المجلس الوطني للثقافة، الكويت، ١٩٧٩، ص ١٣٢-١٣٦؛ شوقي عبد القوي عثمان، **تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلاميَّة (٤١-٩٠٤هـ/ ٦٦١-١٤٩٨م)**، سلسلة عالم المعرفة (١٥١)، المجلس الوطني للثقافة، الكويت، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، ص ٨٧ وما بعدها. وللمزيد عن الملاحة والتجارة في البحر الأحمر انظر: حسام عبد المعطي، **العلاقات المصرية الحجازية**، ص ١٥٤-١٦١.

(١) كذا في الأصل، والصواب: رويدًا.

(٢) مَسْتُورة: بلدة قريبة مِن ساحل البحر الأحمر، تقع على ضفة وادي الفُرُع مِن الشمال، وتبعد عن رابغ ٤٠ كيلاً، ومِنْها كان طريق الحج يفترق إلى ثلاث طرق تؤدي إلى المدينة المنوَّرة، وهي في منتصف الطريق بين مكة المكرمة والمدينة المنورة، وتبعد عن الأولى بحوالي ٢٣٥ كيلاً. عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ص ١٥٨٣-١٥٨٤.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: عوائد.

(٤) هذا لا يتفق مع الوقائع السابقة، فالمعروف أنَّ الشريف سرورًا كان على خلاف مع أمراء الحج السابقين، فكيف يسلمونه مستحقّات القبائل، ويُعرِّضون أنفسهم لغضب قبيلة حرب؛ وما يتلو ذلك مِن مهاجمتهم في طريق عودة ركب الحج إلى المدينة المنورة؟!

فتوغرت بينهم الصدور، بسبب دعواهم الزور، واستقر الحال، ودار القيل والقال، فمكث يعالجهم على الصلح ثلاثة أيام، وإنْ هُم إلاَّ كالأنعام، فثار الحرب بينهم مِن كُلّ الجهات، واستمرّ إلى ثلاث ساعات، فانتصر عليهم، وقتل مِنْهم أربعة عشر نفرًا، وفَرَّ مَن بقى، فدخل شيوخهم بين الفريقين، وأصلحوا ذات البين، على أنْ يعطيهم أربعة عشر ألف غرش، ويعطوه مِنْهم رباي[١] تضمن لهم ما يحصل مِن الأرْش[٢]، فَسَلَّمَهم القَدْر المَعْلُوم وكان سهلًا عليه وهاين[٣]، وأخذ مِنْهم أربعين رجلًا رهاين، وفرَّق يومها بارودًا على قومه، فوقعت فيه شرارةٌ فأثاره، وأحرق مِنْه سبعة أنفار، ولم يأخذ لهم بثأر.

ولمَّا وصل إلى الحمرا[٤] أخبروه أنَّ ولد نَصَّار بن عطية صعد الجبل وتوارى عنك في وصيد، فشَيَّع خَلْفه إلى الجبل فاقتنص وصِيد، فجاوا[٥] به فوضعه هو والرهاين[٦] كلهم في الحديد[٧]، وتأكدت العداوة بينهم غاية التأكيد.

ودخل المدينة لتسع خلون مِن رجب[٨]، وفاز بزيارة جَدِّه التي هي

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: روابط.

(٢) **الأَرْش**: النزاع، يقال: أَرَّشت بين القوم، إذا أوقعت بينهم. **المعجم الوسيط**، ص ١٣.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: هينًا.

(٤) **الحمراء**: قرية بوادي الصفراء، تقع جنوبي المدينة المنوَّرة بحوالي ١٢١ كيلًا، كانت قائمة على عين ماء، ويسكنها في الأساس الحوازم مِن بني سالم مِن قبيلة حرب. البلادي، عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ٣/ ٥٠١.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: فجاءوا.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: الرهائن.

(٧) لقد ورد في الاتفاق بين الشريف سرور ورؤساء حرب أنْ يعطيهم الأموال مقابل تسليمهم بعض الرهائن، ليضمن ولائهم وعدم اعتدائهم عليه، وكان هروب ابن نصَّار بن عطية سببًا في تشديد الشريف على هؤلاء الرهائن، حيث أثقلهم بالحديد والأغلال، فأغضب رؤساء حرب هذا التصرف، رغم أنَّ واحدًا مِنْهم هو مَن أخلَّ بالاتفاق، ولا ريب أنَّ الرهينة التي هربت ثم قبض عليه، كان مِن أهم الرهائن، الأمر الذي دفعه إلى التقلّب على الأسرى.

(٨) ٩ رجب ١١٩٤هـ/ ١٠ يوليو ١٧٨٠م.

مِن أعظم القرب، فخرج أهلها وقابلوه مِن العَنْبَرِيَّة[١]، ودخل بموكب بين قلعجية وإسباهية، وأناخ بالْمَنَاخَة[٢] رحله، وسكن بها أهله، ثم تَوَجَّه إلى القبر الشريف لنيل الأرب، وعند ذاك المرجى ينتهي الطلب، فجاوه[٣] الأغوات، والكواخي، وشيخ الحرم[٤]، وطلبوا مِنْه السماح فسمح، ومال إلى العفو عنهم وجنح، ونثر يومها مِن الذهب والفضة شيا كثير[٥]، والتقط مِنْه الصغير والكبير، ثم إنَّه سلك مع أهل المدينة سلوك الإنصاف، وعاملهم باللُّطْف والإسْعاف، فاطمئنت به البلاد، واستراح الحاضر والباد[٦].

---

(١) **العَنْبَرِيَّة**: أحد أبواب المدينة المنوَّرة، كان يقع في السُّور الغربي. إبراهيم رفعت، **مرآة الحرمين**، ١/ ٤١٣.

(٢) **الْمَنَاخَة**: تقع في المدينة المنوَّرة، غربي المسجد النبوي، وكانت بها سوق تبتدئ حدودها مِن مسجد المُصَلَّى إلى قلعة الباب الشامي. عبد القدوس الأنصاري، **آثار المدينة المنوَّرة**، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، ط٣، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م، ص ١٦٣-١٦٥؛ عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ص ١٦٧٢.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: فجاءه.

(٤) شيخ الحرم وقتئذٍ أحمد طيفور أغا، وقد تولى مشيخة الحرم المدني حوالي عام ١١٩٠هـ/ ١٧٧٦م، وأدى دورًا مهمًّا للقضاء على الفتن التي ظهرت في تلك الفترة، وظلّ في منصبه إلى شعبان ١١٩٤هـ/ أغسطس ١٧٨٠م، حتى عزله الشريف سرور عن المشيخة، واصطحبه معه إلى مكة المكرمة، فقام الباب العالي بتعيين علي أغا شيخًا للحرم في ذي القعدة من العام المذكور. عارف عبد الغني، **أمراء المدينة**، ص ٣٩٣-٣٩٥.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: شيئًا كثيرًا.

(٦) يزعم أحد الباحثين المحدثين أنَّ ما يرويه مؤرخنا عن المعاملة الحسنة مِن جانب الشريف سرور لأهل المدينة هو محض افتراء، وأنَّ الشريف غدر بهم ووضع أعيانهم في الحديد والأغلال. فائز البدراني، **فصول من قبيلة حرب**، ص ٣٠١-٣٠٣، ٣٠٧. على الرغم مِن أنَّ أحد مؤرخي المدينة المعاصرين للأحداث - والذي وجه نقدًا لاذعًا للشريف سرور - يؤكد على أنَّه قد أحسن معاملة أهل المدينة، وأجزل لهم العطاء والإكرام، وذلك بقوله: «ومكث بالمدينة مِن أيام مراعيًا بها الذِّمَم إلى أنْ شاع أنَّ قصده الظعن، وأعطاهم مِن الإكرام عطاء معن». جعفر بن حسين المدني، **الأخبار الغريبة**، ص ٨٤-٨٥. والحقيقة أنَّ ما زعمه الباحث المذكور كان محاولة مِنْه إلى لي عنق النص، وأراد إظهار الأمر بأنَّ الشريف سرورًا، أساء معاملة أهلها منذ قدومه إليها، وليس بعد أنْ ظهرت مؤامرة ضده بتحالف بين بعض أعيان أهل المدينة وقبيلة حرب لمقاتلته، ثم يحاول أنْ يثبت وجهة نظره بأنْ يروي ما سجله زين البرزنجي، مدعيًا بأنَّه =

وأمَّا رهاين[١] حرب فقد شَدَّد عليهم غاية التَّشْدِيْد، وزاد فيهم القيود والحديد، فلمَّا بلغ قبايل[٢] حرب حنقت/ ق٩٩/ نفوسهم وقطعوا الدرب، فأعاقوا جميع الزوار، ولم يدعوا طريقًا يسلكه المار.

وقد جرت العادة أنْ يحضر على الركاب زوارٌ مِن مكة وجدة والطايف[٣] وغيرهما مِن البلدان، ويقصدوا في شهر رجب[٤] زيارة قبر سيد ولد عدنان، فلمَّا وصلوا إلى الخَيْفِ أعاقهم عن الزيارة نَصَّار بن عطية، وكان هو المصدر عن حرب البغاة في هذه القضية، فعالجوه أشدَّ العلاج ولو بشيء مِن الدراهم فامتنع، وما أفاق مِن سُكْر بغيه ولا رجع[٥]، فأقاموا ثلاثة أيام، ثم رجعوا إلى مكة ولم يطب لهم المقام؛ فدخلوا مكة ليلة عيد المعراج[٦]، وظلمهم نَصَّار ظُلْمًا لم يظلمه الحَجَّاج[٧].

= مِن المؤرخين المحايدين، رغم أنَّ البرزنجي كان مِن أشدّ أعداء سرور، ومِن الآخذين جانب أهل القلعة، ولذلك تراه يفر إلى مصر بعد المصالحة بين الشريف سرور وأمير الحج الشامي. زين العابدين بن محمد البرزنجي، «**كشف الحجب والستور عمَّا وقع لأهل المدينة مع أمير مكة سرور**»، تحقيق: حمد الجاسر، مجلة العرب، الرياض، ج ١-٢، س ٢٠، رجب شعبان ١٤٠٥/ إبريل مايو ١٩٨٥، ص ٤٣٧.

(١) كذا في الأصل، والصواب: رهائن.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: قبائل.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.

(٤) شهر رجب ١١٩٤هـ/ ٢ يوليو - ٣١ يوليو ١٧٨٠م.

(٥) لقد منع نَصَّار بن عطية هؤلاء الزوّار مِن دخول المدينة المنوَّرة، نتيجة سوء معاملة الشريف سرور لرهائن حرب، ولكن لماذا أدخل الزوّار في ذلك الصراع الدائر بينه وبين الشريف، فهل أراد إحراج الشريف سرور أمام رعاياه في تلك المناطق؟ وهل خشي مِن دخول هؤلاء إلى المدينة وينضمون إلى الشريف فيشكلون خطرًا عليهم؟ أم إنه توقع وجود اتفاق مُسَبّق بين الشريف سرور وأولئك الزوَّار القادمين مِن مكة وجدة والطائف؟ ولماذا لم يتخذ الشريف سرور موقفًا عسكريًا ضد هذا التصرف المُشين مِن قِبَل نصَّار بن عطية؟

(٦) ٢٦ رجب ١١٩٤هـ/ ٢٧ يوليو ١٧٨٠م.

(٧) **الحَجَّاج**: أبو محمد الحَجَّاج بن يوسف بن الحكم الثقفي، مِن أشهر القادة العسكريين في العصر الأموي بصورة خاصة، ولد في الطائف عام ٤١هـ/ ٦٦١م، ونشأ بها، وتعلّم =

ثم إنَّ حرب حدَّثتهم نفوسهم بأنْ يجتمعوا ويقاتلوه في المدينة، وهيهات أنْ يروم الثعلب قتال الأسد ويدخل عرينه، فلمَّا بلغه الخبر طرح عليهم العيون، وجعل يرسل خَيْلَه كُلّ ليلة خارج البلاد، ليَقْبِضُوا مَنْ يُصَادِفهم مِنْ الرواد، فصادفوا نجَّابًا[1] خارجًا مِن المدينة، ومعه كتب مِن الكواخي

= القرآن والحديث، ثم صار مُعَلِّمًا للصبيان، ولكنه ما لبث أنْ رحل إلى دمشق، وخدم في الشرطة، فظهر نجمه، ونال مكانة كبرى لدى الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان (٦٥-٨٦هـ/ ٦٨٥-٧٠٥م)، ثم أسند إليه القضاء على عبد اللَّه بن الزبير في الحجاز عام ٧٣هـ/ ٦٩٢م، فنجح في ذلك وقتله؛ فولاه الخليفة على الحجاز، ثم ولاه على العراق عام ٧٥هـ/ ٦٩٤م، وقد نجح في القضاء على كافة الخوارج والثورات التي قامت ضد الأمويين وقتئذ. توفي في مدينة واسط بالعراق عام ٩٥هـ/ ٧١٤م. محمود زيادة، **الحجاج ابن يوسف الثقفي**، دار السلام، القاهرة، ط١، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ص ٣٢ وما بعدها؛ خير الدين الزركلي، **الأعلام**، ٢/ ١٦٢.

(١) يذكر المؤرخ المدني صاحب «الأخبار الغريبة»، أنَّ أمر هذا النَّجَّاب كان مُعَدًّا له سلفًا، حيث سعى مصطفى ابن الكَتْخُدا محمد القُمقْمُجيّ إلى افتعال هذا الأمر ليشعل الفتنة بين الشريف سرور مِن جهة وبعض أعيان المدينة وعسكر القلعة مِن ناحية أخرى؛ وذلك لأنَّ الشريف سرورًا لم يفِ بوعده بإعادة أبيه في منصب الكَتْخُدا؛ فقام بتزوير كتاب على أعيان أهل المدينة موجهًا إلى شيخ قبيلة حرب، ثم اتجه إلى أعرابي مِن الجبل، وأجزل له المال، وقال له: «إذا كان الوقت الفلاني تلقاني مع جماعة ناحية النقا التحتاني، فمر بالكتاب علينا، ولا تسلّمه إنكارًا إلا بعد جهد جهيد إلينا، ولك الجعل وافرًا وإنْ شئت خذه حاضرًا»، ثم اتجه إلى بعض المقرّبين للشريف سرور، ودعاهم لزيارة بعض مزارات المدينة؛ فوافقوا، ولما ذهبوا للمكان الموعود، حضر الأعرابي بالكتاب المزوّر، وتظاهر بارتباكه حينما رآهم، فوقع الارتياب في صدورهم مِنْه، فقبضوا عليه، وعثروا في حوزته على الكتاب المَوَجَّه إلى شيخ حرب، الذي جاء فيه: «قد علمت ما وقع بيننا في بعضنا بعضًا مِن الشرور، وما وقع بينكم بعضكم في بعض مِن مدلهمات الأمُور، وكل ذلك مِن دسائس الشريف سرور، فغاية الأمر وما فيه إرغام إنْ أردت اغتنام الفرصة، فَهَلم إلينا مِن خارج ونحن مِن داخل؛ كي نرهقه الغصة، ويصير بعدها عبرة لِمَن اعتبر وقصة، ولك عندنا غير ما تحصل مِنْه جانبًا مِن المال وحصة، فلا يكون جوابك إلا المجيء، وقطع ذلك الغصن الرديء»، فقبض أتباع الشريف على الأعرابي، وساقوه إلى سيدهم، وأخرجوا له الكتاب، «ولما قرأه طلعت عيناه في أم رأسه، وكشر عن أنياب أضراسه»، وقبض على المتآمرين وسجنهم. جعفر ابن حسين المدني، **الأخبار الغريبة**، ص ٨٥-٨٧. وعلى ذلك فيتضح جليًّا أنَّ الشريف سرورًا لم يُقْدم على ما فعله إلاَّ بعد أنْ ظهر له أمر تواطؤ عسكر القلعة وبعض أعيان المدينة مع مشايخ حرب. ونلحظ أنَّ أمر هذا النجَّاب قد ذكره مؤرخنا ابن عبد الشكور =

لقبايل[١] حرب، يحثونهم على الإقدام إليهم بصدد الحرب، على أننا نقاتله مِن داخل البلد وأنتم خارجه، حتى ندع أجسامهم في بحر الدماء مايجة[٢].

= والمؤرخ جعفر المدني، وبينما اكتفى الأول بالإشارة إليه بصورة مقتضبة مثبتًا فيها صحة نسبة الكتاب المذكور، نرى الآخر قد استفاض في وصف ما حدث، نافيًا نسبة الكتاب لأهل المدينة، ومؤكدًا على أنَّه مزورٌ، وأمَّا البرزنجي فقد غفله أو تغافل عن ذكره، وهذا يضع كثيرًا مِن علامات الاستفهام؛ لأنَّ في حالة إثباته قصة النجَّاب حتى وإنْ كانت على نفس الصورة التي أوردها ابن جعفر المدني؛ فإنَّه يحمل إشارة على دفع ذنب ما اقترفه الشريف سرور مع أهل القلعة وبعض أعيان المدينة المتآمرين ضده. والحقيقة أنَّ الباحث لا يستطيع أنْ ينفي أو يثبت صحة هذا الكتاب لأنَّه لا توجد سوى روايتين الأولى تثبت والأُخرى تنفي، وإذا افترضنا أنَّ الكتاب صحيحٌ، فما الدوافع وراء صدوره؟ وهل أقلق بعض أعيان المدينة وعسكر القلعة طول المدة التي قضاها الشريف سرور في المدينة المنوَّرة، وتجاوزت شهرًا، وخشوا مِن حدوث أمر ما، فسعوا إلى مكاتبة مشايخ حرب للتحالف ضده، وبخاصة بعد أنْ قطعت قبائل حرب السبل عن المدينة، ومنعت الزوار مِن وصولها، فتلاقت مصالح الطرفين ضد الشريف سرور؟ ولعلَّ ما يرجح ذلك أنَّ بعضًا مِن أحداث الفتن السابقة بالمدينة شهدت تعاونًا بين عسكر القلعة وقبائل حرب؟ فلمَّا لا يكون الكتاب صحيحًا وغير منحول عليهم؟ وهل كانت النية مبيتة عند حرب بقتال الشريف سرور حينما منعوا قدوم ركب الزائرين للمدينة؟ وإذا افترضنا أنَّ الكتاب مزورٌ وأنَّه كان بفعل مكيدة من ابن القمقمجي لإشعال الفتنة بين الشريف وأهل القلعة، فما الذي كان من المتوقع أنْ تكون ردة فعل الشريف سرور حينما وصله الكتاب؛ هل سيأتي بالمتآمرين عليه ليحتفي بهم؟ أم إنَّ موقفه كان رد فعل طبيعيًّا على المؤامرة التي حيكت ضده ؟ هذا ولا بدَّ من التأكيد على أنَّ ما كتبه البرزنجي قد يُوهم القارئ بأنَّ الشريف أنزل النكال بكل أهل المدينة، وهذا مخالف للواقع؛ حيث إنَّ مَن طالهم العقاب كانوا مِن عسكر القلعة المتآمرين عليه، وبعض الأعيان المتحالفين مع قبيلة حرب، وقد ذكر المؤرخون المناوئون للشريف سرور أنَّ بعض أهل المدينة المنوَّرة قد تعاونوا معه في سبيل الايقاع بأهل القلعة، ومِن المعروف أنَّ مجتمع المدينة لم يكن نسيجًا واحدًا، بل كان منقسمًا وكل يعمل حسب مصالحه، ولقد كان للأشراف سلطة ويد طولى في المدينة المنوَّرة، ولهم أتباع إبَّان هذه المرحلة يتعاونون معهم. انظر: زين الدين البرزنجي، **كشف الحجب والستور**، ص ٥٩٦ وما بعدها. الافتراض الثالث هل كان أمر هذا الكتاب بمعرفة مِن الشريف سرور حتى يحقّق مبتغاه ويفرض سيطرته على المدينة؟ ورُبَّمَا الشريف سرور تشكّك في نوايا حرب بسبب قطعهم الطريق، ونوى على مراقبة المدينة والداخل والخارج إليها، وعندئذ قام ابن القمقمجي بفعل فعلته التي اشتعلت بها الفتنة بين الجانبين.

(١) كذا في الأصل، والصواب: لقبائل.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: مائجة.

فلمَّا قرأها أرسل في طلب شيخ الحرم والكواخي فورًا بلا تراخي، وكان حازمًا في أموره يتوقع الأمر قبل صدوره، فأنْكَرُوا عرفتها وكبروا فرقتها، قال لهم: بل هي منكم ولا يفيدكم الإنكار وتَشْهَد عليكم الخُطوط والأمْهَار، فقالوا: إذًا هي علينا مُزَوَّرة، وإنْ كانت مُمْهَرَة، فقال لهم: إنْ كُنتم صادقين[١] المقال فأعطوني القلعة تحت يدي، حتى يتضح لي الحال، فامتنعوا عن إعطاء ما طلب، وقالوا: هذه تكون للفتنة سبب[٢].

فلمَّا لم يفعلوا أعاقهم عنده، وأرسل شيخ الحرم لأهل القلعة يطلبها مِنْهم لتكون تحت يده، وأنْ يُحَصِّنها بِمَنْ يختاره مِن عُمَدِه، فتَوَجَّه شيخ الحرم إليهم ووجدهم قد ترَّسُوها بالرجال، ونووا على ما نووا عليه مِن ذميم الفعال، وتَعَذَّرُوا له بأننا رمينا عند سيدنا بالزور والبهتان، ولا نُسَلِّمها ما لم تأتنا مِنْه بالأمان، فلمَّا رجع له وأخبره بالخبر، فسمح عنهم وأمَّنَهم، وأرسل معه مَن يحفظها مِن العسكر، / ق١٠٠/ وقال لهم شيخ الحرم: هذه الْمَحْرَمَة أمان لكم مِن صاحب الترجمة، فلم يفطن إلا ورمي الرصاص عليه كالمطر، وما وسعه إلا فَرَّ عنهم ونفر، فأصابوا واحدًا مِنْ العسكر[٣]، وكان هذا مفتاح الشَّر.

فلمَّا رأى ذلك[٤]، قبض على الثلاثة كواخي الذي[٥] عنده، وأغات القلعة[٦]، وحطهم في الحديد، وتحقّقت الوقعة، وابتدروا بالرمي على

(١) كذا في الأصل، والصواب: صادقي.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: سببًا.

(٣) هذا القتيل بَيْرَقْدار جنود الشريف الذين ذهبوا لتسلم القلعة، وقال على أهلها: «يخرجون وهم كلاب»، فضربه أحدهم برصاصة، فسقط صريعًا أمام الباب. انظر: زين الدين البرزنجي، كشف الحجب، ص ٥٩٧.

(٤) يقصد الشريف سرورًا.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: الذين.

(٦) كَتْخُدا القلعة وقتئذٍ أبو بكر الحلبي، وقد تولّى هذا المنصب بعد وفاة الكَتْخُدا محمد فلبلي عام ١١٩٠هـ/ ١٧٧٦م، وظلّ في منصبه حتى قدم الشريف سرور إلى المدينة فقبض عليه وعزله في شعبان ١١٩٤هـ/ أغسطس ١٧٨٠م، وعيَّن بدلاً مِنْه وزيره محمد المضايفي =

بيته عن قصد، [وقتلوا][١] قبالة بابه بعيرين ورجل[٢] قتْلَ عَمْدٍ، ثم إنَّه نقل أهله إلى بيوتٍ بعيدةٍ عن القلعة حَذَرَ الرصاص، وما رأى له في القرب مِنْها خلاص[٣]، ووقع القتال بينهم مِن ليلة عيد المعراج واستمر إلى ثلاثة أيام[٤]، وما تمَّ لأحد مِن الفريقين مرام.

وقد صنع لهم سلالم مِن الخشب الطوال، وأطلع عبيده عليها في ليلة مِنْ تلك الثلاث ليال، فبلغوا بها المقصود ووصلوا، ولو لم ينبئهم شخص [كان][٥] معهم لملكوها ودخلوا، ثم أرسل لهم بأني قد سمحت عنكم فاخرجوا بأمان اللَّه ورسوله، وأظن أنَّه ما فعل ذلك إلاَّ لأجل التحصن مِن العدو قبل وصوله، فرضوا خديعة مِنْهم ليدخلوا مِن جماعاتهم مَنْ لم يكن دخل، وطلبوا مُهلة ثلاثة أيام ففعل، فعند ذلك كف الرمي مِن الطرفين، وقد أخمدوا له الغدر والْمَيْن.

فأرسل مِن حينه عسكرًا ترَّسُوا البيوت التي حول القلعة مِن كُلّ جانب، ورمى بسهم رأيه لهذا الغرض فجاء صايب[٦]، وأمرهم إنْ دخل عليهم أحد فامنَعُوه، ومَن أراد الخروج مِن القلعة فدعوه، فليت شعري هل فطن لما استبطنوه مِن الغدر، أم كان فعله إلهامًا مِن اللَّه تعالى الذي أمَدَّه بالنصر، ولمَّا رأوه لزم عليهم البيوت، ووهنت حِيلتهم كما وهن بيت العنكبوت، أحرقوا السلالم الذي[٧] اصطنعها في الحال، وظهر أنَّهم لم يجنحوا للسلم في المقال، وشرعوا يرمونه بالرصاص، فأمر عسكره بقتالهم، والجروح قصاص.

= العدواني. انظر: جعفر المدني، **الأخبار الغريبة**، ص ٨٤، ٩٠.

(١) وردت في الأصل: وقاتلوا، والتصويب مِن النسخة (ب)، ورقة ٧٢.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: رجلًا.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: خلاصًا.

(٤) أي بين يومي ٢٦ - ٢٨ رجب ١١٩٤هـ/ ٢٧ - ٢٩ يوليو ١٧٨٠م.

(٥) ساقطة في الأصل، والإضافة مِن النسخة (ب)، ورقة ٧٢.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: صائبًا.

(٧) كذا في الأصل، والصواب: التي.

واستمرّوا على حالهم في اليوم الأوَّل، وفي اليوم الثاني ظهر عجزهم وتخلخل[١]، وما أتلفهم شيء مثل البيوت التي ترَّسَها في الثلاثة الأيام الأُول[٢]، وكانت هي السبب في هذا العجز والخلل، وبعد صلاة الفجر في اليوم الثاني ربط شخص مِنْهم نفسه بحبل ونقز مِن القلعة، وتبعه الثاني، والثالث وهكذا /ق١٠١/ إلى سبعة[٣]، وأصحابهم غافلين[٤] عن هذا الانطلاق[٥]، ولم يفطنوا لهذا الحبل المربوط إلاَّ بعد الإشراق، فنقدوا لبعضهم بالنقد، وعَرَفُوا مَن افتقد.

وكان صاحب الترجمة في المسجد المعظّم، يطلب مدد اللَّه تعالى متوسلاً بجده - صلى اللَّه تعالى عليه وسلم - فجاه[٦] الخبر بأنَ جانبًا مِنْهم شرد، ونزل على الأحبال، فأرسل خلفهم خَيَّالةً تلحقهم في الحال، وركب مِن فوره وأمر برمي مدفع على بيت آغاة القلعة

---

(١) كُتِبَ على هامش ورقة ٧٢ مِن النسخة (ب)، ما نصّه: «فلمَّا اشتدّ به الحال، وآل أمره إلى الوبال، وكان معه ساحرٌ مِن سنار، فأمره برصد تلك النار، فصار بارودهم لم يثور، وذلك مِن فعل ساحر لا فعل سرور». وقد ذكر أمر هذا الساحر - أيضًا - جعفر البرزنجي في «**كشف الحجب والستور**»، ص ٥٩٨.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: الأولى.

(٣) وردت في الأصل (إلى سبعة أيام)، والتصويب مِن النسخة (ب)، ورقة ٧٢، وهو الصحيح، أي إنَّه صار عدد الهاربين سبعة أنفار، لأنَّ الجملة التي بعدها تثبت أنَّ أمر أولئك الهاربين قد اكتشف بعد الإشراق، أيّ في الصباح، ولأنَّ مُدَّة حصار الشريف لأهل القلعة لم تستمر سوى ثلاثة أيام.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: غافلون.

(٥) كان أحد الفارين مِن القلعة صبيًّا، ضاق ذرعًا مِن الحصار، فخرج مِن القلعة على حين غفلة مِن أهلها، فلمَّا رآه أحد أهل المدينة التابعين للشريف، قبضه وأخذه إليه، فسأله الشريف عمَّا في القلعة مِن الرجال، فقال: نحو عشرين مِن العسكر وبعض النساء والأطفال، فظن الشريف كذب الصبي، فهدّده بالقتل، فقال له: واللَّه ما قلت زورًا ولا أتيت فجورًا، وعندئذ حرّض الشريف رجاله على التشديد على مَن بالقلعة للإسراع في إسقاطها. جعفر المدني، **الأخبار الغريبة**، ص ٨٨. ويذكر البرزنجي أنَّ عدد الهاربين مِن أعلى سور القلعة بلغ ثمانية عشر رجلاً، وقد أمر الشريف سرور بقتلهم جميعًا. زين الدين البرزنجي، **كشف الحجب والستور**، ص ٥٩٨.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: فجاءه.

لِكَوْنه واهن البنا[١] فانخرق خرقًا ظهر مِنْه السَّنا، وزاد في توسيعه بهدِ جانبٍ مِن البنيان[٢]، حتى صار يدخل مِنْه الإنسان، ثم جلس في بيتٍ مِنْ البيوت المقابلة للقلعة، وصار يحرض الرجال ويحثهم على سرعة الرمي في القتال، فعمَّا قليل بدا العجز فيهم وظهر، وفروا مِنْها لو وجدوا مفر[٣]، وصارت البادية ترجمهم بالأحجار[٤]، ولم يطب لهم بعد ذلك فيها قرار، فصاحوا صيحةً واحدةً بطلب الأمان، وقد قدَّر اللَّه تعالى عليهم بالخذلان، وطلعوا عليهم مِن كُلّ مكان، ودخلها العُربان والعسكر فنهبوا جميع ما فيها من الأثاث والنقود وأنواع السلاح الذي قلَّ أنْ يكون له وجود.

ومِن القضاء النافذ أنَّ غالب أكابر أهل المدينة وضعوا في القلعة عزيز أدباشهم الثمينة، فذهبت شذر مذر، ولا حذر عمَّا قضاه اللَّه تعالى وقدَّر، وأخرجوا العسكر[٥] أهل المدينة الذي كان ملزومًا مِن الخناق، فأمر بسجنهم ووضع لهم السلاسل في الأعناق، فقاسوا مِن أنواع المشاق ما لا يطاق، ومكثوا أيامًا ينهبوها[٦]، وحفروها أرضها[٧] حتى أخربوها، وأمر بنهب بعض بيوت معلومة خارجة عن القلعة فنهبت في الحال، وعفوا رسوم ما يُنهي حتى كأنَّه طللٌ بالٍ، مِنْها: بيت لأحمد مكي[٨]، وكان فيه مال جزيل، ومِنْها: بيت لأمين

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: البناء.

(٢) كان هدم السور مِن ناحية باب الصغير، مِن خلال القمقمجي الذي كان على علم بمناطق ضعف القلعة. زين الدين البرزنجي، **كشف الحجب والستور**، ص ٥٩٨؛ جعفر المدني، **الأخبار الغريبة**، ص ٨٨، خريطة مرآة الحرمين.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: مفرًّا.

(٤) كتب على هامش ورقة ٧٢ نسخة (ب) ما نصه: «قوله: ترجمهم بالأحجار، كذب في مقاله، وليسوا في إخوانه».

(٥) كذا في الأصل، والصواب: وأخرج العسكر.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: ينهبونها.

(٧) كذا في الأصل، والصواب: حفروا أرضها.

(٨) **أحمد مكي**: مِن القيادات العسكرية في المدينة المنوَّرة، وقد تولى منصب كَتْخُدا النوبتجية مرتين، عندما وقعت الفتنة بين كَتْخُدا النوبتجاية محمد قمقمجي، وكَتْخُدا القلعة محمد =

ميكائيل[1]، ومِنْها: بيت مفتي المدينة تاج الدين إلياس[2]، ووجدوا فيه مِن معتبرات الكتب ما يضيع فيه القياس.

ثم لمَّا تمَّ له فيها ما تمَّ، وكان عليه مسرة وعليهم مأتم، قام بأمورها بغير تراخي، وألْبس مِن طرفه الوزير والكواخي، وأسكن وزيره[3]

= فلبلي، استنصر كل مِنْهما على الآخر بالشريف سرور عام ١١٨٨هـ/ ١٧٧٤م، وتَمَكَّن الأوَّل مِن أنْ يأخذ الشريف إلى جانبه، فاجتمع شيخ الحرم المدني مع بعض القيادات العسكرية وقرروا عزل قمقمجي مِن الكَتْخُدية وتولية أحمد مكي بدلاً مِنْه، فلمَّا وصل الأمر إلى الشريف كلّف بعض رجاله وشيخ حرب بدوي بن عيد بإعادة قمقمجي إلى منصبه، وفي موسم الحج في ذي الحجة ١١٨٨هـ/ فبراير ١٧٧٥م، كان أمير الحج محمد باشا العظم، ولمَّا وصل إلى المدينة خرج إليه الكَتْخُدا محمد قمقمجي والكَتْخُدا أحمد مكي، فرأى العظم أنَّ الشريف سرورًا يميل إلى قمقمجي، فنصبه وأخذ أحمد مكي معه إلى مكة، وفي موسم الحج عام ١١٨٩هـ/ ١٧٧٦م، جاء فرمان مِن الدولة بعزل محمد قمقمجي وتولية أحمد مكي مرة أخرى. جعفر المدني، **الأخبار الغريبة**، ص ٦٥-٧٨؛ عبد الباسط بدر، **التاريخ الشامل للمدينة**، ٢/ ٣٩٩-٤٠٩.

(١) **أمين ميكائيل**: محمد أمين ميكائيل، كَتْخُدا الإنكشاريَّة في المدينة. جعفر المدني، **الأخبار الغريبة**، ص ٥٨.

(٢) **تاج الدين إلياس**: تاج الدين بن جلال الدين إلياس زاده، ولد في حوالي عام ١١٤٤هـ/ ١٧٣١م. تلقى العلم على عُلماء عصره، ومنهم: شيخ بن إسماعيل الأُزبكيُّ، وإسماعيل النقشبندي، وإبراهيم السندي، والعربي الحُريشي، وعطا المصري، وعمل إمامًا وخطيبًا ومدرسًا بالمسجد النبوي، وتولى إفتاء الحنفية مرتين بالمدينة المنوَّرة، وعندما وقعت الفتنة بين أحمد مكي ومحمد قمقمجي كتب شيخ الحرم رسالة إلى الباب العالي لتعيين الأول وعزل الثاني، فسافر بهذه الرسالة المفتي تاج الدين مع ركب الحج الشامي محرم ١١٨٩هـ/ مارس ١٧٧٥م، ووصل إلى إستانبول، وعاد بمرسوم مِن الدولة بعزل محمد قمقمجي والقبض عليه، وتعيين أحمد مكي كَتْخُدا للنوبتجاية، ولذلك فقد حدث العداء بينه وبين الشريف سرور، بسبب ميل الشريف إلى محمد قمقمجي، فكان ما وقع على بيت المفتي حينما سيطر الشريف على المدينة المنوَّرة. مؤلف مجهول، **تراجم أعيان المدينة**، ص ٣٢؛ عبد الباسط بدر، **التاريخ الشامل للمدينة**، ٢/ ٤٠٣، ٤٠٨-٤٠٩.

(٣) **الوزير**: كان وزير الشريف القائد محمد العداوني المضايفي، وهو مِن قبيلة عدوان المشهورة في نواحي الطائف، وقد عينه الشريف سرور قائدًا عسكريًّا لقلعة المدينة المنوَّرة، وزوده بأربعمائة مِن جنوده اليمنية في القلعة، ولكن أساء هؤلاء الجنود معاملة الأهالي، وظلّ الحال على ذلك شهرًا، وفي ٢٣ رمضان ١١٩٤هـ/ ٢١ سبتمبر ١٧٨٠م انتفض أهل المدينة ضده، وحاصروا القلعة، وتَمَكَّنوا بالتعاون مع اثنين مِن شيوخ حرب، =

بداخل[1] القلعة، وهمّ بالتراخي[2] والنجعة، فدبّر عساكره وبرز، وقطع علايقه[3] ونجز، فنصبت بالنقا خيامه، وأقام / ق١٠٢/ بها أيامًا هو وأقوامه، وأسر مِن أهل المدينة نحو خمسين ووضع الحديد في الأطراف[4]، وأطلق ربطا[5] حرب وأمرهم بالانصراف، وأخرج فرمانًا سلطانيًّا[6]

= وهما: محمود ونصّار، مِن طرد وزير الشريف والحامية المصاحبة له مِن المدينة في ١٧ شوال/ ١٥ أكتوبر مِن العام المذكور، فعاد الوزير إلى الشريف في مكة بخفي حنين. زين الدين البرزنجي، **كشف الحجب والستور**، ص ٦٠٠-٦٠٥؛ أحمد زيني دحلان، **خلاصة الكلام**، ص ٢١٨؛ جعفر المدني، **الأخبار الغريبة**، ص ٩٠-٩٤؛ عارف عبد الغني، **أمراء المدينة**، ص ٣٩٥.

(١) وردت: بباطن في النسخة (ب)، ورقة ٧٢.

(٢) وردت: بالترحيل في النسخة (ب)، ورقة ٧٢.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: علائقه.

(٤) كتب على هامش لوحة ٧٣ نسخة (ب) «ليسوا كفار بل إنَّ قصد (كلمة غير مقروءة) بل هم جيران سيد البشر صلى اللّه عليه وسلم».

(٥) كذا في الأصل، والصواب: ربطاء.

(٦) يذكر البرزنجي أنَّ الشريف سرورًا بعد أنْ أحكم سيطرته على المدينة المنوَّرة، كتب عرضًا إلى الدولة العليَّة، وأجبر أهل المدينة على مَهر (ختم) العَرْض، ففعلوا تحت التهديد، وقد جاء فيه: «إنَّه لما وصل الحاج المصري بعد أن عاد من المدينة وبِالْخَيْفِ نزل، قاتلته العرب مِن كل جبل، وقتلوا الحجاج، وقطعوا السُّبل والفجاج؛ ركبنا عليهم غيرةً لحضرة السلطان، فانتصرنا عليهم، وقصدنا زيارة جدنا سيد الأكوان، فلمَّا وصلنا إلى البلدة، وجدنا أهلها في غاية الكرب والشدة، والقتل والنهب والطعن والضرب، وانقطاع المسالك - والحال أنَّ أهل المدينة على خلاف ذلك - فأرسلنا إليهم بالأمان، والإكرام والإحسان، ثم بعد أنْ أقمنا بالمدينة اثنيْ عشر يومًا، وقفنا على كُتُب مِن كبارهم يستصرخون بها لقتالنا باديةً وقومًا، فمسكنا عند ذلك رؤساءَهُم المفسدين، وأبقيناهم عندنا مُصَفَّدِين، وأرسلنا لأغواتهم بالأمان، وأمرنا بعض عسكرنا بالدخول معهم في القلعة، خوفًا من الخديعة والخذلان، فأغلقوا القلعة ورموا بالرصاص على الأوادِم والبهائم والشرايف، وتركوا كُلَّ مَنْ بالمدينة وهو مرعوب خايف، فحملنا عليهم بعساكرنا المنصور، وقاتلناهم قتلاً أحرَّ مِن حَرِّ الظَّهيرة، وفتحنا القلعة يوم التاسع والعشرين من رجب الحرام، وأسْكنَّا بها وزيرًا مِن طرفنا، والسلام». زين الدين البرزنجي، **كشف الحجب والستور**، ص ٥٩٩.

بعزل أحمد أغا شيخ الحرم(١)، وأمره أنْ ينتقل معه مِن حرم إلى حرم، فانتقل معه لتسع بقين مِنْ شهر شعبان(٢)، ومعه نَحْوُ الثلاثين مِنْ ركب أهل مكة، وأظهر أنَّ طريقه على حرب إلى ساعة السفر، ثم تَوَجَّه مِنْ طريق الشرق(٣) قصرًا للشر.

ولمَّا وصل في أوَّل مرحلة بموضع يقال له: الخنق(٤)، طاح واحد مِنْ مرابيط أهل المدينة والسلسلة في حلقه فاختنق(٥)، فلمَّا أقبل على موضع فيه آبار يقال لها: الْحَجْرِيَّة(٦)، قلَّ الماء على الناس بالكلية، وحصل عليهم مظمأ

---

(١) بعد أنْ قام الشريف سرور بعزل أحمد أغا تصادف ذلك مع وصول فرمان سلطاني بنصب علي أغا شيخًا للحرم في ذي القعدة ١١٩٤هـ/ نوفمبر ١٨٨٠م. زين الدين البرزنجي، **كشف الحجب والستور**، ص ٥٩٩؛ عارف عبد الغني، **أمراء المدينة**، ص ٣٩٥.

(٢) ٢١ شعبان ١١٩٤هـ/ ٢١ أغسطس ١٧٨٠م.

(٣) **طريق الشرق**: إحدى الطرق التي يسلكها الحجاج بين مكة المكرمة والمدينة المنوَّرة، وكثيرًا ما تسلكه القوافل في المواسم التي تشتد فيها الحرارة وأوقات وقوع الحوادث على الطرق الأخرى، وهي تخرج من مكة المكرمة من باب المعلى، وتتجه إلى البيَّاضة، ثم تسير في طريق شمال طريق منى، وتتجه إلى الشرق، وتمر على عديد من المحطات، وهي: بئر البارود، ووادي الليمون، والحفاير، وبركة سمرة، وبركة المِسْلَح، والحبيط، وسُفَيْنَة، والسُّوَيْرِقِيَّة، والْحَجْرِيَّة، وغُرابة أو غراب، والغدير، وسيدنا حمزة، والمدينة المنوَّرة، ويعيش على هذه الطريق عُربان مِن الزيود، واللَّهبَة، وعُتَيْبَة، ومُطَيْر، والرَّحَلَة، وكانوا أبعد الأعراب عن الحضارة وقتئذٍ. محمد لبيب البتنوني، **الرحلة الحجازية**، ص ٢١٢-٢١٣؛ إبراهيم رفعت، **مرآة الحرمين**، ١/ ٣٦٩-٣٨٢.

(٤) **الخَنَق**: هو مضيق وادي رَنْيَة بين الأملح والروضة، وهو من المحطات الأولى على طريق الشرق مِن المدينة المنوَّرة إلى مكة، وكان يوجد فيه بحيرة كبيرة تجمعت مياهها مِن الأمطار. أيوب صبري، **موسوعة مرآة الحرمين الشريفين وجزيرة العرب**، ترجمة: محمد حرب وآخرين، ج٥، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م، ص ١٦٨؛ عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ص ٥٧٧.

(٥) كتب في هامش لوحة ٧٣ نسخة (ب) «الذي يخبر عنه هو المرحوم محمد رجب، سأله الشريف عن مَن بقى مِن الرجال، فأجابه بجوابٍ عنيف وقال، فعند ذلك ضربه بدبوس قطع مِنْه الوريف، وهو إذ ذاك مصفد بالحديد غفر اللّٰه للجميع».

(٦) **الْحَجْرِيَّة**: قرية صغيرة تقع غربي المدينة، وإحدى المحطات على طريق الشرق مِن المدينة إلى مكة، ويوجد بها العديد مِن الآبار العذبة. أيوب صبري، **مرآة الحرمين**، ٥/ ١٦٨؛=

بل مشقّة عظما[١]، وأخبرهم مَن لا له درايةٌ عن الطريق ولا نقد، أنَّهم لا يصلون إلى الماء إلا بعد غد، فطاح كثيرٌ مِن الوهم، ورماه العطش بسهم، وحصل لكثير مِن الناس دَهْشٌ مِن الوهم لا مِن العطش، وأناخ كثيرون واستسلموا للهلاك، فلطف اللَّه تعالى بهم وسيرهم مسير الأفلاك، فعمَّا قليل جاء رايده[٢] ببدرتين ملآنة بالماء، وبشر بالماء قريب، والوارد لا يظمأ، فدارت حُمَيَّا الحياة فيهم، وطار نعاس الناس مِن مَآقيهم، ووصل جناحهم وأراش، وابتلَّت قلوبهم مِنْ العطاش، وتَوَجَّهوا كأنَّما نشروا مِنْ رمْس، وآخرهم وصل إلى الماء قبل مطيح الشمس، وما غاب أحد مِنْهم ولا فات، ولا عَاطِشٌ مِنْهم إلا حفرته الوفاة.

فأقام بهم يومين على هذا الماء، ثم جدد للرحيل عزمًا، فلمَّا وصل إلى البِرْكَة[٣]، موضعٌ مِن الطايف[٤] على مرحلتين، استأذنه بعض أتباعه ومعهم ركب أهل مكة، وتَوَجَّهوا يوم الاثنين، وتَوَجَّه بأهله إلى الطايف[٥]، ودخله في سابع يوم مِن شهر رمضان[٦]، وحصل له شنآن وأي شنآن، ثم حث نجايب[٧] السرى، وارتحل نحو أم القرى، فدخلها لأربع بقين مِن شهر الصيام[٨]، وفاز مِنْ الحَجَرِ المُكَرّم بالاستلام، فسلم عليه جيرانها، وفاز بالمسرّة سُكَّانها،

= حمد الجاسر، **المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية: معجم مختصر**، دار اليمامة، الرياض، د.ط، د.ت، ص ٤١٥.

(١) كذا في الأصل، والصواب: عظمى.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: رائده.

(٣) **البِرْكَة**: تُعرف بِبِرْكَة زبيدة، نسبة إلى السيدة زبيدة زوجة الخليفة العباسي هارون الرشيد، تبعد عن مكة المكرمة ١٣٣ كيلاً، وهي إحدى محطات استراحة طريق الشرق بين المدينة ومكة، وكانت بركة واسعة على شكل دائري مبنية بالحجر والجص يزيد قطرها عن عشرين مترًا. انظر: عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ص ١٩٦.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.

(٦) ٧ رمضان ١١٩٤هـ/ ٥ سبتمبر ١٧٨٠م.

(٧) كذا في الأصل، والصواب: نجائب.

(٨) ٢٦ رمضان ١١٩٤هـ/ ٢٤ سبتمبر ١٧٨٠م.

فاستقرّت به البلد، ورجعت الروح في الجسد.

فأقام ثلاثة أيام متمّمة حتى جاء نجَّاب [مِن][(١)] المدينة، وأخبره بنقض ما أبرمه، وأنَّ وزيره في القلعة محصور، والقتال بينه وبين أهل / ق١٠٢/ المدينة مِنْ داخل السور، فأزعجه نقض الأمُور الذي بناها، قبل أنْ يستريح مِن عناها[(٢)]، وهذا الأمر مِن مُوجِبات القهر ومتاعب الدهر، على أنَّ أهل المدينة اجتمع رأيهم واستحسنوا لهم تدبير[(٣)]، وأحكموا لهم حيلةً قويَّةً على الوزير، بأنْ يستخرجونه[(٤)] مِن القلعة بلطافة وصنعة، فإذا خرج ببعض العسكر إلى خارج البلد، يسطوا[(٥)] فيهم بالسلاح مِن يد، ويرسلوا[(٦)] مِنْهم جماعة على مَنْ يبقى في القلعة مِن العسكر، وأمرهم سهل لا يُعْبَأ به ولا يُذْكر، فَنملكها مِنْ أيديهم قهرًا، ونأخذ الثأر مِنْهم غدرًا.

فاتفقوا على هذه الحيلة، وذهبوا إلى الوزير وقالوا له: جئناك بأمر نستشيرك فيه، ومثلك مَنْ يُسْتَشار ويستشير، وأنت الوزير ولك الأمر والتدبير، ورأيك هو الرأي الكبير، وكان هذا الوزير عدوانيًّا مِن آحاد عدوان[(٧)]، وقع عليه نظر الملك فارتفع هذا المكان، وقالوا له: قد جانا[(٨)]

(١) زائدة في النسخة (ب)، ورقة ٧٥.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: عنائها.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: تدبيرًا.
(٤) كذا في الأصل، والصواب: يستخرجوه.
(٥) كذا في الأصل، والصواب: يسطون.
(٦) كذا في الأصل، والصواب: يرسلون.
(٧) **عدوان**: مِن أقدم القبائل العربية في الطائف، وأشهر قراهم على وادي ليَّة، أم الشرم، والعُبَيْلاء، والمجنب الأعلى، والمجنب الأسفل، وصلبة، والباردة، وقد كانوا على علاقات طيبة مع أشراف مكة وأمرائها. ماكس أوبنهايم، البدو، ٢/ ٥٦١-٥٦٢؛ محمد بن منصور آل سرور، **قبائل الطائف**، ص ٦٥-٦٦.
(٨) كذا في الأصل، والصواب: جاءنا.

خبر بأنَّ القافلة محشورة بأبيار علي[١] والحسا[٢]، ورأت القافلة مِنْ القوم شدّة ومشقة وقسا[٣]، وأرسلوا يطلبون النجدة والمعونة، وأنت المتصرف في أقطار المدينة، فما تأمرنا نقتفيه ولا نخالفك فيه، فقال لهم: ليس الرأي إلا نركب عليهم ونُرْدِيهِم، ونستخلصها مِنْ أيادِيهم، على أنْ أركب معكم ببعض عسكري وتبعِي، وأنتم تكونون معي، فقالوا: حُبًّا وكرامة، وهذا هو المطلوب الذي جيناك[٤] فيه، وعسى اللَّه أنْ يتمّمه ويقضيه.

سَـــارَتَ مُـشَـــرِّقَـةٌ وَسِـــرتُ مُـغَـرِّبًـا
شَـــتَّـان بَـيْـن مُـشَـــرِّق وَمُـــغَـــرِّبِ

فركن بالركوب على العسكر، ولم يبحث على الأمُور ويتفَكَّر.

وَإِذَا الْـمَـنِـيَّـة أنْـشَـبَـتْ أظْـفَـارهَـا
أَلْـفَـيْـتَ كُـلَّ تَـمِـيْـمَـةٍ لاَ تَـنْـفَـعُ[٥]

فتَقَدَّم نحو عشرين مِن عسكر الوزير، وخرجوا قبله لسابقة التقدير، فجاء شخص مِن أهل المدينة[٦]، وأخبر الوزير عن الربطة، وحذّره مِن الخروج والوقوع في هذه الورطة، فحزب أهل المدينة وخرجوا للعَنْبَرِيَّة وانتظروه انتظارًا طويل[٧]، وظنّوا أنْ يأتيهم هدية في مِنْدِيل، فلمَّا استبطؤه أرسلوا له

(١) أبيار علي: وتعرف بذي الحُلَيْفَة، وهي أحد المواقيت المكانيَّة، تبعد عن المدينة بحوالي ٩ أكيال في طريق مكة. ويحرم مِنْها أهل المدينة المنورة والذين يأتون إلى المدينة ثم يتجهون إلى مكة. عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ص ٤٩٤-٤٩٥.

(٢) **الحسا**: جزء من وادي عقيق المدينة، ويطلق على الجزء الواقع بين أبيار الماشي إلى قرية الوسِطَة، وفيه مزارع كثيرة وقرى لحرب مِنْها: العلاوة، والوسِطَة، وأبيار علي (ذي الحُلَيْفة)، ويسكنه عوف من قبيلة حرب. عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ص ٤٦٥، ١١٧٤.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: قسوة.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: جئناك.

(٥) البيت من قصيدة لأبي ذؤيب الهذلي .

(٦) كتب على هامش النسخة (ب)، ورقة ٧٤: «المخبر رجل من بيت (كلمة غير مقروءة)».

(٧) كذا في الأصل، والصواب: طويلًا.

رسولاً يطلبونه بالسرعة، ليدركوا القوم قبل النجعة، فأعاد لهم الجواب بعدم الرواح، وأنْ ليس له عن /ق١٠٤/ القلعة براح.

فلمَّا عَلمُوا أنَّه انتبه لحِيْلتهم تَنَدَّمُوا، وقَتَلُوا العشرين الذين تقَدَّموا، وثار الحرب بالمدينة بين الوزير وجميع سكانها، وأضرمت بينهم الحرب بنيرانها، وما زال الحرب ثاير[١] بينهم بالليل والنهار، وانقطع طريق المسلمين حتى لم يدعوا طريقًا لمار، وأضاعوا ما يجب لحضرة النبى ﷺ مِن الوقار، ولم يراعوا له حقّ الجوار[٢]، فتقطعت السبل، واشتدّ الغلا[٣]، وتعب الفقير مِن البلا[٤]، فنفد زاد الوزير، ولم يبقَ عنده قليل ولا كثير، وقلت ذخايره[٥]، وضاقت موارده ومصادره، فزاد بهم الجوع.

واشْتَدّ الحال إلى سابع عشر شوال[٦] فَسَلَّمُوا في القلعة، وطلبوا الأمان بعد طول الحصار، وخرجوا في وجه شيخ بني نصَّار، ثم أقام الوزير في البَرَكَة[٧] بِمَن معه، وعرّف الشريف بِمَا وقع عليهم مِن التزيف، مع أنَّه أرسل إليهم قبل أنْ يصل رسولهم سرية[٨]،

(١) كذا في الأصل، والصواب: ثائر.

(٢) كُتِبَ على هامش النسخة (ب)، ورقة ٧٤، الآتي: «قد أضاعه قبل مِن هو أحقّ به مِنْهم». ولعلّه يقصد ما فعله الشريف سرور في المدينة المنوَّرة مِن قَبل.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: الغلاء.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: البلاء.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: ذخائره.

(٦) ١٧ شوال ١١٩٤هـ/ ١٥ أكتوبر ١٧٨٠م.

(٧) البَرَكَة: عين في وادي الصفراء، مجاورة للفارعة، قرب المدينة المنورة على الطريق الغربي. عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ١٩٦. وهي تختلف عن البِرْكَة - سالفة الذكر - الواقعة في الطريق الشرقي.

(٨) كان قائد هذه السرية السيد ناصر بن مستور، وعندما وصلت قرب المدينة ٢٧ شوال ١١٩٤هـ/ ٢٥ أكتوبر ١٧٨٠م، استعد أهل المدينة ومعهم قبائل حرب، وخرجوا لملاقاتهم. زين الدين البرزنجي، **كشف الحجب والستور**، ص ٧٦٧-٧٦٨؛ جعفر المدني، **الأخبار الغريبة**، ص ٩٥-٩٧.

نحو ثمانماية[1] مِن أهل النجدة والحمية، وكُلّهم على خيل وركاب، وأمرهم يجدوا[2] السير في المهامه والهضاب، وكان طريقهم على درب الشرق، فلمَّا أقبلوا بلغهم أنَّ الوزير خرج مِنْها قبل وصولهم بعَشَرَة أيام[3]، وأخذ مِنْهم عهدًا وزمام[4]، فندموا حيث لا ينفعهم الندم، وتمَنّوا أنَّهم وصلوا ولا سلم، فنزلوا خلف أُحد[5] بِمَا معهم مِن جموع، وأرسلوا للوزير يطلبونه للرجوع.

فلمَّا سمع أهل المدينة بالسَّرية، خرجوا لقتالهم حمية جاهلية، وكان خروجهم مِن سوء التدبير، ومعهم أربعمائة مِن حرب، كانوا يقاتلون

(١) كذا في الأصل، والصواب: ثمانمائة.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: يجدون.

(٣) أي إنَّهم وصلوا إلى المدينة المنوَّرة في ٢٧ شوال ١١٩٤م/ ٢٥ أكتوبر ١٧٨٠م، وكان خبر محاصرة الوزير في قلعة المدينة قد وصل إلى الشريف في ٢٩ رمضان/ ٢٧ سبتمبر مِن العام المذكور، أي إنَّ الشريف سرورًا استنزف شهرًا حتى تصل المعونة إلى أتباعه المُحَاصَرِيْن في المدينة، وهي مُدَّة طويلة، ورغم أنَّ السرية كان يتراوح عددها بين ٨٠٠ إلى ١٠٠٠ مقاتل، فإنَّ قائدها السيد ناصرًا أرسل بعض أتباعه للحاق بالوزير لإعادته حتى ينضم إليه في القتال، ويبدو أنَّ هذا الشريف لم تكن له قدرة على القيادة، لأنَّه لو باغت أهل المدينة، لمَا استطاعوا أنْ يستنجدوا بشيوخ حرب، لينضموا إليهم ويستعدوا لملاقاته، فضيع عليه الوقت خمسة أيام ينتظر قدوم الوزير، الذي خرج عن طريق قرية بدر إلى مكة، بينما جاءت السرية عن طريق الشرق، فأعطى للمدنيين فرصة ترتيب أنفسهم والاستعداد لقتاله، وانضمام أربعمائة مِن قبيلة حرب إليهم، كما أنَّ تأخر السَّرية في خروجها دليل على التخبط الذي أصاب الشريف سرورًا، ولذلك فرغم القوة المحدودة التي خرجت لمحاربة سرية الشريف، فإنَّها لم تستطع الصمود؛ فهزمت وولّت مدبرة إلى مكة. عبد الباسط بدر، **التاريخ الشامل للمدينة**، ٢/ ٤١٩-٤٢١.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: زمامًا.

(٥) **أُحُد**: جبل يقع شمالي المدينة المنوَّرة، يبعد عن المسجد النبوي بحوالي خمسة كيلو مترات، وقد وقعت عنده غزوة أحد ٣هـ/ ٦٢٥م بين المسلمين ومُشركي قُرَيْش، وقد قال فيه النبي ﷺ: «هَذَا جَبَلٌ يُحِبّنَا ونُحِبّهُ». انظر: إبراهيم العياشي، **المدينة بين الماضي والحاضر**، المكتبة العلمية، لمدينة المنورة، ط١، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م، ص ٥٢٢؛ عبد القدوس الأنصاري، **آثار المدينة المنوَّرة**، ص ١٩٧-٢٠٠.

معهم الوزير، فالتقى الصفان في البساتين التي خلف البقيع[١] في غُرَّة ذي القعدة[٢]، وقع بينهم هذا الأمر الفظيع، فتكاسرت الرتبة حتى أخرجوهم للبراح، ورَدَّتَ الخيل عليهم ضربًا بالمهند والرماح، فقتل يومها مِن المدنيين ما يزيد على العشرين[٣]، خلا مَن جُرِحَ مِنْهم وأُصِيْب، في ذلك اليوم العصيب، وقتل مِن الرتبة عبد وصوبت فرسان مِن الخيل الطلايع[٤]، وصوب ثلاث[٥] وأخذت أربعة مِن خيلهم قلايع[٦]، ثم رجعوا مِن طريق الشرق في أسرع مُدَّة، ودخلوا مكة في الثاني عشر مِن ذي القعدة[٧].

وهذه تَمَام سيرة الشريف سرور مع أهل المدينة، ونسأل اللَّه تعالى أنْ ينزل علينا وعليهم الأمن والسكينة.

ثم إنَّ صاحب الترجمة / ق١٠٥/ خشى مِنْ حرب أَنَّها تطلق عمّه الشريف أحمد بن سعيد مِن يمبع مِن السجن، وتوصله جبال هُذَيْل على ظهور الهجن، فأرسل لوزيره بيمبع أنْ يرسله ومَنْ معه مِن الأشراف إلى جدة، ولو قاسى المتاعب والشدة، فلمَّا وصلوا أطلق السيد محسن بن عبد اللَّه، وأقاله مِن الهُوان، وأبقى عمّه في السجن ومعه السيد سليمان، وأخبروا بأنَّ السيد

---

(١) **البقيع**: مقبرة أهل المدينة المنوَّرة، منطقة مستطيلة بشرقي المدينة المنوّرة، مُسَوَّرَةٌ مِن جميع النواحي، وقد دُفِنَ فيها ما يقرب مِن عشرة آلاف صحابي وصحابية. والمنطقة الممتدة خلف البقيع إلى جبل أحد مليئة بالبساتين حيث تتوافر فيه مياه الآبار، ولعل أشهرها: بئر أبي أيوب، وبئر حاء، وبئر بضاعة. عبد القدوس الأنصاري، **آثار المدينة**، ص ١٧٥-١٧٦؛ البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ص ٢٢٥-٢٢٦.

(٢) غُرَّة ذو القعدة ١١٩٤هـ/ ٢٨ أكتوبر ١٧٨٠م.

(٣) كتب على هامش الأصل ما نصه: «الذين قتلوا مِن أهل المدينة في هذه الوقعة تسعة أنفس لا غير، وهم: سليمان خوج، وعبد الرحمن بن خالد، ومصطفى خطاب، ومثقال عبد بيت عاشور، وعبد اللَّه مشعل وابنه محمد وخادمهما واهس البدوي».

(٤) كذا في الأصل، والصواب: الطلائع.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: ثلاثة.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: قلائع.

(٧) ١٢ ذو القعدة ١١٩٤هـ/ ٨ نوفمبر ١٧٨٠م.

راجح[١] بن الشريف أحمد قضى اللَّه تعالى عليه، واختاره إليه، فهذا حال الدنيا، والسجن قبر الأحياء.

[اعتداء قبيلة جُهَيْنَة على قافلة الحج المصري]

ثم في موسم هذا العام[٢]، وصل الحج لبيت اللَّه الحرام ووقع بين الحاج المصري[٣] وجهينة[٤] وقعة يقضي الغريم بها دينه[٥]، وسببه أنَّهم استضعفوه وتعبشوا عليه بطلب الزيادة، مع أنَّه أوْفَاهم المقرر لهم في الدفاتر المعتادة، فلم يرضوا وقتلوا شخصًا عبشًا مِن جماعته،

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: راجحًا.

(٢) عام ١١٩٤هـ/ ٧ يناير- ٢٥ ديسمبر ١٧٨٠م.

(٣) كان أمير الحج المصري في هذا العام مصطفى بك الكبير المحمدي، أحد مماليك محمد بك أبي الذهب، ولي إمارة الحج في هذا الموسم، وخرج بالقافلة في ٢٠ شوال ١١٩٤هـ/ ١٨ أكتوبر ١٧٨٠م، وعاد بها ١٩ صفر ١١٩٥هـ/ ١٤ فبراير ١٧٨١م، ونلحظ أنَّ الرشيدي والجبرتي لم يذكرا ما وقع للحج المصري مع قبيلة جهينة، ورُبَّمَا يرجع ذلك إلى وصول القافلة بسلام وعدم إصابة أيّ مِن الحجاج، على عكس ما سيحدث في المواسم التالية، فسوف يخرج مصطفًى بك بالحج ثلاثة مواسم أُخَر في الأعوام الآتية: ١١٩٧هـ/ ١٧٨٣م، و١١٩٨هـ/ ١٧٨٤م، و١١٩٩هـ/ ١٧٨٥م، وسيمر بكثير مِن المتاعب والمشكلات - كما سيأتي ذكره في محله - نتيجة لاضطراب الأوضاع في مصر، ومُمَاطلة كلٍّ مِن مراد بك وإبراهيم بك في دفع عوائد العُربان، ونفقات أمير الحج، وصرّة الحرمين الشريفين. أحمد الرشيدي، **إمارة الحج**، ص ٢٢٤؛ عبد الرحمن الجبرتي، **عجائب الآثار**، ٢/ ٨٥، ٨٦، ٣/ ٢٧٨.

(٤) **جُهَيْنَة**: إحدى القبائل الكبرى في الحجاز، يعيشون في المنطقة الممتدة مِن وادي الحمض حتى مسافة قريبة مِن المدينة المنوَّرة وينبع، وقد كانت جهينة مِن الرعايا المخلصين لأشراف مكة، وكانوا يعتمدون عليهم في خلال نزاعاتهم، ولجهينة علاقات طيبة مع بلي، وأمَّا حرب فهم في عداء معهم. أيوب صبري، **موسوعة مرآة الحرمين**، ٥/ ٢٠٧؛ ماكس أوبنهايم وآخرون، البدو، ٢/ ٥١٤-٥١٩.

(٥) هناك مخطوط صغير يتكون مِن ٢٩ ورقةً، باللغة التركية العثمانية، تناول هذه الوقعة بالتفصيل، وهو لمؤلف مجهول، بعنوان: «**تغريد حمام الأيك فيما وقع لأمير الحج مصطفى بيك**»، مكتبة جامعة إستانبول، تحت رقم (ع ١٢٩٩). انظر: خليل ساحلي أوغلي، **مِن تاريخ الأقطار العربية في العهد العثماني: بحوث ووثائق وقوانين**، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، إستانبول، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، ص ١٤٩-١٥٠.

فجعل الله تعالى النصر تحت رايته، فقتل مِنْهم في أسرع حين ما ينوف على الثمانين، ولم يتَوَجَّه مِن عندهم حتى أحرق لهم السوق، وهذه آفة الطغيان والفسوق.

ولكن تحيَّر فكره، في كيف يكون الرجوع إلى بلده، لِكَوْنه ضعيفًا في عُدَدِه وعَدَدِه، فأشار إليه حضرة الشريف سرور أنْ يتَوَجَّه مِن طريق الشرقيَّة، ويسلم من هذه الحمية الجاهليَّة، فتَوَجَّه مِن مكة وأصبح بوادي المضيق، ثم عاد إلى الطريق السلطاني بعد أنْ قاسى شياء[1] لا يقواه ولا يطيق، فدخل المدينة على حين غفلة مِن أهلها، بعد أنْ قاسى مِن وعور الطريق وسهلها، ثم تَوَجَّه على طريق العلا، وتعب وأتعب الملأ، وقعدت له جهينة على طريق القزاز، فقتل مِنْهم أربعة، وحاز السلامة وفاز، هذا خبر الحاج المصري.

[الشريف يرفض شفاعة أمير الحج الشامي في أهل المدينة]

وأمَّا الحاج الشامي، فإنَّه لمَّا ورد إلى المدينة المنوَّرة، وشاهد الروضة المُطَهَّرة، وقع عليه أهلها بأنْ يستسمح لهم خاطر الشريف، فيما وقع بينهم وبين وزيره، وأقرُّوا له بالذنب، وأنْ يقوموا له بالخدمة في جميع أموره، وسألوه أنْ يفك أهم الربطا[2] حال كونهم مُعترفين بالخطأ، فبلغ الشريف هذه القضية فأرسلهم قبل وصول الحج إلى العَابِدِيَّة، ولمَّا وصل الحاج الشامي، وكان وزيره الجناب السامي محمد باشا بن العظم، فخاطبه هذا الوزير صاحب الرأي والتدبير على أنْ يفكهم لأجله، ولا يواخذ[3] الجاني بسوء فعله، فأبى بعد / ق١٠٦/ معالجته أشدَّ العلاج، وما أفاد قوله ولا

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: شيئًا.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: الربطاء.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: يؤاخذ.

راج، فلمَّا لم يقبل الشريف رجاه[١]، سافر ولم يجتمع به ولا جاه[٢].

فلمَّا وصل المدينة أخبرهم الخبر، وأنَّه لم يُجْعل لقوله أثر، فأعذروه عمَّا صار، وما زالوا في انتظارٍ لطلب الانتصار، فبينما هم كذلك إذ هدف عليهم خبر، وشاع وذاع، بأنَّ الشريف سرور[٣] أقبل عليهم بجنود ملأت البقاع، فاضطربت لذلك أحوالهم، ونالهم مِن الخوف ما لا ينالهم، فاسترجوا مِن محمد باشا بأنْ يُقِيْم عندهم أيامًا، حتى يتضح لهم الحال، وينظرون ما يول[٤] إليه المآل، خوفًا مِن أنْ يصير عليهم مثل ما صار أوَّل مرة، وليس لهم على مُمَانعته قدرة، فصَكّوا الأبواب، وبنوا المتارس، وطرحوا عليه العيون والحوارس، فلمَّا وصل الحاج المصري سألوه عن حقيقة الحال، فظهر أنَّه زُور ومحال.

❑ ❑ ❑

(١) كذا في الأصل، والصواب: رجاءه.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: جاءه.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: سرورًا.
(٤) كذا في الأصل، والصواب: يئول.

[أحداث سنة ١١٩٥]

[وفاة الشريفة صالحة بنت مساعد]

وفي غُرَّة محرم سنة خمس وتسعين بعد المائة والألف[1] مِن هجرة مَن له العز والشرف، توفيت المصونة المكنونة، الذي[2] أقَرَّ المجدُ بها عيونَه، ذات الحجاب الرفيع، والستر الصافي المنيع، المتحجبة عن أعين الكواكب، والمخدرة بسمر القنا وبيض القواضب، الشريفة الصالحة، وهي على اسمها صالحة بنت المرحوم الشريف مساعد، الذي أعانه الزمان وساعد، فهي الملكة المنضمة، والحريّة بأنْ تذكر في هذه الترجمة، لأنَّها هي التي شيَّدت الْمُلْك لأخيها، وأنارت أيامها ولياليها، وقد فاقت على كثير مِن الرجال، ولله در أبي الطيب حيث قال:

فَمَا التَّأْنِيثُ لاسْمِ الشَّمْسِ عَيْبٌ
وَلاَ التَّذْكِيرُ فخرٌ للهلال
وَإِنْ كَانَ النِّسَاء كَمَنْ ذَكَرْنَا
لَفُضِّلَتِ النِّسَاءُ عَلَى الرِّجَالِ[3]

وفي هذا العام حصلت كثرة الأمطار، وارتخت بعد غلوها الأسعار.

---

(١) غُرَّة محرم ١١٩٥هـ/ ٢٧ ديسمبر ١٧٨٠م.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: التي.

(٣) البيتان للمتنبي من قصيدة يرثي بها والدة سيف الدولة الحمداني، انظر: الصاحب بن عباد، الأمثال السائرة من شعر المتنبي، ص ٣٨.

[إصلاحات في عَيْن زُبَيْدة]

وفي هذا العام أرسلت الدولة العليَّة مِعْمَرْجيًّا ينظر في أمر العين، ويُعَمِّر عينَ زُبَيْدَة، ثم عينَ حُنَيْن، فابتدوا[1] بالعمارة مِنْ البَزَابِيزِ[2]، وأصرفوا اللُّجَيْن والإِبْرِيز[3]، ووَجَدوا عند المدرج دمارًا[4] فنزعوه، وفي عرفة دمارًا فأطلعوه، فلمَّا وصلوا إلى وادي نَعْمَان، شاهدوا الخراب عِيانًا بيان[5]، فشرعوا في إصلاحها، وبذلوا المال والهمة، وجَدَّدوا ما يحتاج إلى / ق١٠٧/ التَّجْدِيد، ورَمّمُوا ما يحتاج إلى الْمَرَمَّة، ولم يَرَ دمارًا في دَبْل[6] ولا خرزة، حتى أصلحه ونجزه.

فصلحت بحمد اللَّه تعالى، وجرت بعد انقطاعها أربعة عشر سنة[7]، وكان هو السبب الداعي لهذه الحسنة، فاطمأنت البلاد، وفرحت أنفس العباد، وفاز مُجْرِيها يوم الحشر بالرشاد، أحسن اللَّه تعالى إليه كُلّ الإحسان، وأدام اللَّه الكريم دولة آل عثمان على مَمَرّ الزمان، ثم أرسل عروضًا إلى الدولة العليَّة، وأخبرهم بورود العين إلى البلد المحميَّة، فحصل عندهم السرور وغاية المأمول، وأكرموا الرسول حتى عاد بالإحسان مشمول[8].

ثم إنَّ مولانا السلطان عبد الحميد خان[9]، جَدَّد لتعمير العين ألف

---

(١) كذا في الأصل، والصوّاب: فابتدأوا.
(٢) البَزَابِيزُ: النبع.
(٣) أي: أنفقوا الفِضة والذهب.
(٤) يقصد بها الهدد.
(٥) كذا في الأصل، والصواب: بيانًا.
(٦) دَبْل: مجرى الماء في قناة تحت الأرض.
(٧) كذا في الأصل، والصواب: أربع عشرة سنة.
(٨) كذا في الأصل، والصواب: مشمولًا.
(٩) **السلطان عبد الحميد خان الأول** (١١٨٧-١٢٠٣هـ/ ١٧٧٤-١٧٨٩م): ابن السلطان أحمد الثالث. ولد في عام ١١٣٧هـ/ ١٧٢٤م، وتولّى الحكم في ذي القعدة ١١٨٧هـ/ يناير ١١٧٤م. وقد كان صافي القلب، رحيمًا بالشعب، ومُتَدَينًا إلى درجة أنَّ الروايات حول كرامته انتشرت بين أفراد الشعب، وقد حاول إدخال بعض الإصلاحات في الدولة لكن =

مَحْبُوب(١) ترد صدقة، مع الصّر في كُلّ سنة، وناهيك بهذه الحسنة، ولم تزل جارية في كُلّ عام ترد مع الصّر، لِمَا يبدو بها مِن خراب ويظهر، وهذا المقدار خلا ما هو مرتب مِنْ آبائه السلاطين، أدام اللَّه تعالى ملكهم إلى يوم الدين.

في أوَّل شهر صفر(٢) يوم السبت، خرج صاحب الترجمة متنزهًا إلى الخبت، فحصل له مرض شديد أعاقه عن القعود والقيام، حتى كاد أنْ يسلّمه إلى يد الإعدام، قاسى مِنْه المشاق وجيء به إلى مكة محمولاً على الأعناق، فشفاه اللَّه تعالى الذي يشفي المرضى، وهناه على السلامة بقصيدة طنانة صاحبنا محمد رضا.

[وفاة الشريف أحمد بن سعيد]

وفي عشرين مِن شهر ربيع الثاني(٣)، ورد الخبر بوفاة مَن قدّس اللَّه

= الظروف جاءت بعكس مَا أراد؛ حيث اضطرت الدولة في عهده إلى توقيع معاهدة كوتشك قينارجه مع الروسيا ١٢ جمادى الأولى ١١٨٨هـ/ ٢١ يوليو ١٧٧٤م، وهذه المعاهدة تُعَدّ بداية النهاية للدولة العثمانية؛ حيث إنها جعلتها دولة مِن الدرجة الرابعة، فقد ذُكِرَت بعد دولٍ مثل: إنجلترا، وفرنسا، والروسيا، بالإضافة إلى أنَّ المعاهدة أوصلت الروسيا إلى البحر الأسود، ووضعتها في موضع سهل لها أنْ تحتل شبه جزيرة القرم، فقد أعلنت قيصرة روسيا كاترينَ الثانية في شعبان ١١٨٧هـ/ يوليو ١٧٨٣م بضمها القرم، وجعلها ولاية مِن الولايات الروسية، بعد أنْ حكمها العثمانيون ثلاثمائة وعشرة أعوام، وقد توفي في ١٢ رجب ١٢٠٣هـ/ ٧ إبريل ١٧٨٩م، بعد أنْ حكم خمسة عشر عامًا وثمانية أشهر. محمد فريد بك، **الدولة العليَّة**، ص ٣٤١-٣٦٢؛ أحمد آق كوندز وسعيد أوزتوك، **الدولة العثمانية**، ص ٣٥٨-٣٦٢.

(١) **مَحْبُوب**: مِن النقود الذهبيَّة في الدولة العُثمانيَّة، وزنه ٢,٥٩٦ جرام، وكان سعر صرفه ١١٣,٣ نصف فضة في العام الذي أرسل فيه السلطان عبد الحميد هذه الصدقة. مصطفى الخطيب، **معجم المصطلحات**، ص ١٣٦-١٣٧؛ أحمد السيد الصاوي، **النقود المتداولة في مصر العثمانية**، مركز الحضارة العربية، القاهرة، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م، ص ٧٢، ١٩٢.

(٢) شهر صفر ١١٩٥هـ/ ٢٦ يناير - ٢٣ فبراير ١٧٨١م.

(٣) ٢٠ ربيع الآخر ١١٩٥هـ/ ١٤ إبريل ١٧٨١م.

تعالى روحه، وجعل مِن الفردوس غبوقه وصبوحه[١]، سُلالة آل الرسول، وقُرّة عين الزهراء البتول، واسطة العقد الفريد، الشريف أحمد بن المرحوم الشريف سعيد[٢]، فحصل له مشهد عظيم، ودُفِنَ بساحل بَنْدَر جدة، وكلّ مَن عليها فانٍ، ويبقى وجه اللَّه تعالى وحده، فسبحان مَن حكم على عباده شرب كاس[٣] المنون، وبه انقطع طمع الطامعين، و﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦﴾[٤]، وبقى ابنه السيد الحسن، والسيد سليمان في الحبس، وخلاصهم إمَّا للدنْيا وإمَّا للرَّمْس.

[مقتل نصَّار بن عطية مِن مشايخ حرب]

وفي غُرَّة جمادى الأخرى[٥] ورد نجَّاب للشريف مِن طريق مصر، وهو مِن الدولة العليَّة، فأخبره بأنَّه استضاف نصَّار بن عطية، وأوعده بأنْ يمرّ عليه إذا رجع مِن هذا الطريق، ليكون معه إلى مصر رفيق[٦]، فأسَرَّها / ق١٠٨/ الشريف في نفسه ولم يبدها إليه، ونوى على نصَّار ما نوى عليه، وعلم أنَّها فرصة تغتنم لذوي المروءة والشيم.

فكتب أجوبة النجَّاب وأرسله لوزير يمبع، وأوصاه أنْ يكرمه، ويراصد على نَصَّار بتعويق النجَّاب حتى يلزمه، فأعاق الوزير النجَّاب حتى سمع بوصوله نصَّار وأنَّه ينتظر النجَّاب، فأرسل له عشرين شخصًا على خيل ركاب، فأحاطوا بنَصَّار بعد أنْ دارت عليه دواير[٧] الأقدار، لكن لم يكن أحد

(١) الغبوق شُرب العشي والصبوح خلافه يشرب صباحًا. ابن منظور، **لسان العرب**، ١٠/ ٢٨٢.
(٢) أحمد القطان، **تنزيل الرحمات**، ٢/ ٣٠٦.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: كأس.
(٤) القرآن الكريم، **سورة البقرة**، جزء مِن آية ١٥٦.
(٥) غُرَّة جمادى الآخرة ١١٩٥هـ/ ٢٤ مايو ١٧٨١م.
(٦) كذا في الأصل، والصواب: رفيقًا.
(٧) كذا في الأصل، والصواب: دوائر.

مِن نفسه، فقتلوه وجاوا[١] للوزير براسه[٢]، وهرب ابنه فتطلبوه ولم يلحقوه، وسلبوا عبيده وركايبه[٣] وكل ما لقوه.

[قبيلة حرب تستولي على ميناء ينبع]

ثم إنَّ ابنه المذكور صاح مستنجدًا بقبائل حرب، فيما حصل على أبيه مِن القتل والسلب، وصاح مُستنجدًا بقبائل جهينة وبكل قبيلة لتعينه، فاجتمع معه نحو خمسة آلاف مِن طغاة الأعراب، وأقبل بهم على وزير يمبع فترَّس البلد وصكَّ الأبواب، وأرسل للشريف يستنجده في عساكر يحفظ بها البندر، فتوانى عن إرسالها، ولم تكن له عادة أنْ يتأخَّر، فلمَّا أرسل العسكر وجد الوقت قد فَات، وأخذوا البلد وللتأخير آفات، فملكوها بعد قتال ثلاثة عشر يوم[٤]، وقتل نحو الخمسين مِن القوم.

[فشل وزير الشريف في استرداد ينبع]

فلمَّا بلغ الشريف حصل عنده غاية الكدر، ولا محيص عمَّا جرى به القضا[٥] والقدر، ولو عمل همة وأدركهم قبل ذلك، لأراح نفسه وقومه مِن المتاعب والمهالك، ثم إنَّ وزير يمبع وصل إلى جدة بأهله وبجميع ما يملكه مِن الأموال، واتفق أنَّ الشريف كان في جدة فأُخبر بحقيقة الحال فأحزنه أخذ البَنْدَر بالقهر، ولم يكن له على ذلك جلد ولا صبر، فأمر وزير جدة أنْ يلزم أغربة[٦] مِن مراكب اليمن، وأوصى بشحنها مِن كُلِّ

(١) كذا في الأصل، والصواب: جاءوا.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: برأسه.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: ركائبه.
(٤) كذا في الأصل، والصواب: يومًا.
(٥) كذا في الأصل، والصواب: القضاء.
(٦) أغربة: جمع غراب. مِن السفن الشراعية، التي استخدمت بكثرة في الغارات والغزو، وانتشرت في كافة أنحاء العالم الإسلامي شرقًا وغربًا، وقد عُرِفَت بهذا الاسم لأنَّ مقدم هيكلها كان على شكل رأس غراب، وكذلك لسوادها حيث كان يتم طلاؤها بالأطلية المانعة للماء عنها. وكانت ذات أحجام مختلفة تتنوع بعدد المجاديف. درويش النخيلي، =

فنّ، وقد نوى على ما نوى عليه على قبائل حرب واشْتَدّ عليهم الغضب.

[الشريف يعد حملة لقتال قبيلة حرب، وتفشل]

فتَوَجَّه إلى مكة في غاية رجب[1]، وكتب إلى جميع القبائل يطلبهم مِن كُلّ مكان، وأوعدهم أنْ يصلون[2] في غُرَّة رمضان، ثم تَوَجَّه بنفسه إلى الطايف[3] لجمع القبايل[4] بحيث لم يترك كلمة لقائل، فاستلحق جميع الشيوخ وأعطاهم البخاشيش[5] وألبسهم الجوخ، وصحب معه هلال[6] مِن الفِضة وضعه على قبة الحَبْر، راجيًا مِن اللَّه تعالى الثواب والأجر / ق١٠٩/، فأقام أيامًا ثم تَوَجَّه إلى مكة، ولم يلبث بها غير قليل حتى جاته[7] العُربان مِن كُلّ سِكة، وأراد السفر في رمضان فتأخَّر بعض القبائل وتَعَذَّر الإمكان، ولم يزل يجمع في الذخاير[8]، وتُلْقَى عليه القبايل والعشاير[9]، وأخذ مِن جميع أرباب الصنايع[10]، ومِن المُعلمين والنجارين وعبيد العين، وكُلٌّ جاء راضيًا طايع[11]، ثم صرف الأموال بين الرجال؛ فأعطى البادية اثني عشر مَحْبُوبًا،

= السفن الإسلامية على حروف المعجم، جامعة الإسكندرية، الإسكندرية، ١٩٧٤م، ص ١٠٤-١١٢.

(١) غاية رجب ١١٩٥هـ/ ٢١ يوليو ١٧٨١م.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: يصلوا.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: القبائل.

(٥) **البخاشيش**: لفظ فارسي معناه: هبة، أو منحة، أو عطاء، ويُكتب بقشيش في التركيَّة. وما يزال حتى يومنا هذا دارجًا على ألسنة العامة بنفس اللفظ في معظم البلدان العربية. أحمد السعيد سليمان، **تأصيل الدخيل**، ص ٤٣؛ مصطفى الخطيب، **معجم المصطلحات**، ص ٧٠.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: هلالًا.

(٧) كذا في الأصل، والصواب: جاءته.

(٨) كذا في الأصل، والصواب: الذخائر.

(٩) كذا في الأصل، والصواب: القبائل والعشائر.

(١٠) كذا في الأصل، والصواب: الصنائع.

(١١) كذا في الأصل، والصواب: طائعًا.

وعشرين للخَيَّال، وضبط قدر المنصرف مِن صنف النقود خمسماية[1] ألف غرش ما عدا المهَمَّات لليوم المعهود، وما عدا الذخاير[2] وكرى الجمال، والاستعداد لأمور القتال، فإنَّه يبلغ قدرًا عظيمًا مِن المال لِمَن يتأمل، وعن الملوك فلا تسل[3].

وأطلق يومها خمسة وعشرين مِن أهل المدينة المسجونين، وأمرهم بالسفر وترك الباقين، وأمر وزيره بجدة أنْ يرسل الأغربة والـدَّاوَات[4] إلى يمبع في الحال، فلمَّا وصلوا قريبًا مِنْها خرج لهم جهينة في دواتهم مُستعدِّين للقتال، فثار الرمي بينهم، ولم يكونوا للقتال مُستعدِّين؛ فانهزمت الأغربة وعادت إلى جدة مكسورين.

وفي الرابع والعشرين مِن شوال[5] تَوَجَّه صاحب الترجمة بِمَن معه مِن الجنود، وكان الطالع نحسًا، فلهذا لم يدرك المقصود، وكان معه مِن عُتَيْبَة ستة آلاف، ومعه سبعماية[6] مِن بني عمّه السادة الأشراف، ومعه ما ينوف عن الألفين مِن المراجل، ومِن ثقيف وهُذَيْل ثلاثة آلاف، فكان الجمع اثني عشر

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: خمسمائة.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: الذخائر.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: تسأل.
(٤) **الدَّاوَات**: جمع داو، وداوة، وتعرف في الإنجليزية باسم Dhow، وهي سفينة بشراع واحد، حمولتها مائتا طن، وكانت تستعمل في البحر العربي والبحر الأحمر بكثرة، وكانت تطلق هذه التسمية بخاصة على السفينة التي كانت تستخدم بسواحل شرقي أفريقيا في تجارة العبيد، وتعرف في سواحل الهند الغربية، وتتميز بأشرعتها المثلثة الشكل، وكانت هذه السفن تستخدم في حمل البن والبهار وبضائع التجار بين مواني اليمن والبحر الأحمر، وكذلك في نقل المؤن والجنود، فضلاً عن نقل الحجاج إلى سواحل الحجاز. انظر: درويش النخيلي، **السفن الإسلامية**، ص ٤٥.
(٥) ٢٤ شوال ١١٩٥هـ/ ١٢ أكتوبر ١٧٨١م.
(٦) كذا في الأصل، والصواب: سبعمائة.

ألف مقاتل، ومعه خمسماية[١] مِن الخيول الطلايع[٢]، وماية[٣] وخمسين مِن أرباب الصنايع[٤]، ومعه جمال لحمل الذخاير[٥] سبعة آلاف جمل.

وهكذا تكون هِمّة الملوك، وعن الملوك فلا تسل[٦]. فدخل بعض هؤلاء القوم إلى جدة وترك البعض في الطريق علمًا بأنَّ البَنْدَر عن دخولهم يضيق، فحصلت منافسة بين قبيلتين، وحصل بينهم القتال، فما افتر إلاَّ بعد قتل رجلين، فعاهد بين القبائل بعضهم بعضًا، خشية مِن إثارة فتنة توجب للأُمُور نقضًا، ثم دنا الرحيل مِن جدة، وتَوَجَّه في خامس القعدة[٧]، فأصبح يوم الأربعاء بعُسْفان، وهزّ يوم الخميس بخُلَيْص الذايل[٨] والْمُرَّان، فنهبت السوق عُتَيْبَة، ولم يبقَ للقوم سوى الخيبة، ونهبوا جميع ما في البلاد، ونهى القومَ /ق١١٠/ عن النهب فما أفاد، فما أقام فيه غير بياض يومه، وأمر بالرحيل على قومه، فتَقَدَّمَت البيارق والعساكر والخيول التي تسرّ الناظر.

وتَوَجَّهت جميع القبايل[٩] مِن راكب وراجل إلا هُذَيْل فإنَّها امتنعت، وأرسل لها رسولاً فما سمعت، فجاءهم بنفسه وخاطبهم، فلمَّا أعاد القول عليهم ثانيًا أغلظوا في الجواب، قيل: إنَّ صاحب الترجمة ضرب واحدًا مِنْهم بمِشْعاب ضربة غير مُؤلِمَة، فعمد إلى بندقية ورماه برصاصة تعمد بها المقتل، فسَلَّمَه اللَّه تعالى مِنْها عزّ وجلّ، ثم كرُّوا إلى مكة راجعين ولم يُبَالوا، وجنحوا إلى ما جنحوا إليه حين مَالوا.

فأرسل خلفهم السيد منصور بن عبد اللَّه الحمودي، وأمره أنْ

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: خمسمائة.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: الطلائع.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: مائة.
(٤) كذا في الأصل، والصواب: الصنائع.
(٥) كذا في الأصل، والصواب: الذخائر.
(٦) كذا في الأصل، والصواب: تسأل.
(٧) ٥ ذو القعدة ١١٩٥هـ/ ٢٢ أكتوبر ١٧٨١م.
(٨) كذا في الأصل، والصواب: الذائل؛ وهو الفرس ذو الذيل الطويل.
(٩) كذا في الأصل، والصواب: القبائل.

يتعطَّف خواطرهم، ويقول لهم قولاً لينًا عَلَّه يفيد، فلمَّا خاطبهم قالوا له: إنْ ترد مكة فامشِ معنا، ونحن نحارب الحرب الشديد، فلمَّا أخبره الخبر تحيَّر في أمره وتكدر، ولم يهنه مقرّ حتى غاب عن حسه، ولم يدرِ ما يخمن في حدسه.

ثم إنَّه أمر بردّ الخزانة إلى خُلَيْص، وأبقى عندها بعض المراجل وبعض الأعراب، وتَوَجَّه خلفهم بالعساكر والمراجل على خيل وركاب، فأدركهم على موقدات صبيحة يوم الجمعة، في يوم يسمونه لهوب، وحصل بينهما ملحمة مِن وقت الإشراق إلى وقت الغروب، ومال عليهم كُلّ الميل، وقتل جانبًا كثيرًا مِن هُذَيْل، ونهب جمالهم وما معهم مِن بنادق وسلاح، وجندل دون الماية مِنْهم في تلك البطاح، ثم إنَّهم تدخلوا على الشريف فَكَفَّ عنهم القتال، ولو أراد استيصالهم[1] عن آخرهم لطال، وقُتِل مِن عُتَيْبَة أَحَدَ عَشر رجلاً، وواحد[2] مِن الأشراف.

ثم عاد الشريف إلى الوادي، وأقام به حتى لحقته الخزاين[3]، ودخل البيت الحرام، ومَن دخله كان آمن[4]، فوجد هُذَيْل[5] قد تدخلوا على الأوليا[6] مِن شدّة الخوف، لما عَلِمَت مِنْه مِن الحوف، فأَمَّنَهم وعفا عنهم، ورحلوا إلى أهلهم في أسوء حال، وهذا جزاء الخاين[7] الخَتَّال، فعند ذلك أمر العُربان بالانصراف، وعزم على العود ثانيًا إنْ حصل له مِن اللَّه تعالى إسعاف، وتلى لسان حاله يقول حين يجول:

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: استئصالهم.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: وواحدًا.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: الخزائن.
(٤) كذا في الأصل، والصواب: آمنًا.
(٥) كذا في الأصل، والصواب: هُذَيْلًا.
(٦) كذا في الأصل، والصواب: الأولياء.
(٧) كذا في الأصل، والصواب: الخائن.



وَلاَ بُدّ لِي مِن عَوْدة بَعْد هَذِه
وَأَشْفِي بِبِيْض الهِنْد حَرّ غَلِيْلِي[١]

/ ق١١١/.

فلمَّا أقرّ بمكة أرسل للشيوخ فجاوا[٢] مُعترفين مُنقادين، وقد ظهر عندهم الخطأ واتضح، فعفى عنهم وسمح، وجعل لهم مُقرّرات عوضًا لهم في المقاتيل، وعاملهم بفعله الجميل.

وفي عشرين مِن ذي القعدة[٣] أمر بتسفير مَن بقي مِن محابيس أهل المدينة؛ فسفّرهم إلى القُنْفُدَة.

[أخبار قوافل الحج]

ووردت الحجوج، وأخبروا أنَّ يوسف باشا بن محمد باشا ابن العظم والٍ على جدة ومحافظٌ لمدينة النبي - صلى اللَّه تعالى عليه وسلم - وكان والي الحاج الشامي محمد باشا ابن العظم، وجاء في قوّة عظيمة، وأحواله مِن كُلّ الأمُور مُستقيمة، والسنة بحمد اللَّه رخية، وأفعال الناس مرخية، إلا أنَّ أهل مكة ومَن حَوْلها لم يحجوا في هذا العام، توقّعُوا حصول فتنة بينه وبين شريف مكة، للعداوة التي سبق عليها الكلام.

فحجت الحجوج ووقفت الناس، وهم في غاية السرور والإيناس، وجات[٤] الأمُور على خلاف القياس، ثم توسّط بينهما بالصلح الوزير ريحان، وأصلح بينهما صلحًا أتْقَنه غاية الإتْقان، وجاء كُلّ مِنْهما عند الآخر، وعاهد بينهما داخل البيت الحرام، وبلغا غاية المرام، وقَدَّم كُلّ مِنْهما هدية للآخر، وبالغ فيما قدَّمَه وفاخر، وأقام إلى اليوم الثالث والعشرين مِن ذي الحجة[٥]،

---

(١) لم أقف على قائله فيما لدي من مصادر.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: فجاءوا.
(٣) ٢٠ ذو القعدة ١١٩٥هـ/ ٦ نوفمبر ١٧٨١م.
(٤) كذا في الأصل، والصواب: جاءت.
(٥) ٢٣ ذو الحجة ١١٩٥هـ/ ٩ ديسمبر ١٧٨١م.

وتَوَجَّه على طريق الشرق، فلمَّا وصل المدينة قبض على كواخيها وثلاثة مِن راسايها[1] أهل الصَّولة[2]، وأخبرهم أنَّه بفرمان مِن الدولة.

وفي ست وعشرين[3] سافر الحج المصري على الطريق الفرعي، لا زال بحفظ اللَّه تعالى مرعي[4]، وسافر معه نحو سبعين رجلًا مِن أهل المدينة، ولم يعطِ ما هو مُرَتَّب لحَرْب وجُهَيْنَة.

❑ ❑ ❑

(١) كذا في الأصل، والصواب: رؤسائها.
(٢) كتب على هامش النسخة (ب)، ورقة ٨٠: الأشخاص الذين قبض عليه أمير الحج، «وهم: الكيخية أحمد رجب، والكيخية مصطفى، والكيخية الحويري، ومِن الأعيان الشيخ عبد ؟؟؟ والديري، ومدة إقامتهم عنده في الشام ثمانية أشهر وعشرة أيام، ثم رجعوا إلى المدينة المنوَّرة».
(٣) ٢٦ ذو الحجة ١١٩٥هـ/ ١٢ ديسمبر ١٧٨١م.
(٤) كذا في الأصل، والصواب: مرعيًّا.

[أحداث سنة ١١٩٦]

[آل علي مِن قبيلة هُذيل يقطعون طريق الطائف]

وفي سنة ١١٩٦ ألف وماية وست وتسعين[١] عصت على صاحب الترجمة آل علي بن سالم، وهم بطن مِن هُذَيْل، وقطعوا طريق الطايف[٢] ومالوا كُلّ الميل، فنهبوا حجَّاجًا وتوازوا بالجبال، ولحقتهم أهل المدارك وأعادوا بعض المال، وأخذوا مرة ثانية وثالثة، ولم تزل هذه القبيلة طاغية عابشة، ولم يَتَمَكَّن مِنْهم لِكَوْن جِبالهم حصِيْنة مانِعَة، وأمَاكِنُهُم شاهقةً شاسعة.

وفي شهر صفر[٣] أطلق السيد الحسن بن الشريف أحمد بن سعيد، والسيد سليمان بن يحيى مِن الحبس وكان مريضًا، وبعد عشرة أيام سكن الرَّمْس.

[الشروع في بناء قلعة أجياد]

وفي شهر رجب[٤] جمع العمال والمعلمين الذين هم في البلاد، وشرع في عمارة القلعة التي على راس[٥] جبل بَلبَل بسفح أجياد، واستلحق معلمي الطايف[٦] وجدة، واستعدّ لها أعظم عدة، واشترى جميع ما حولها مِن البيوت،

(١) ١١٩٦هـ/ ١٦ ديسمبر ١٧٨١هـ - ٥ ديسمبر ١٧٨٢م.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.
(٣) شهر صفر ١١٩٦هـ/ ١٥ يناير - ١٢ فبراير ١٧٨٢م.
(٤) شهر رجب ١١٩٦هـ/ ١١ يونيو - ١٠ يوليو ١٧٨٢م.
(٥) كذا في الأصل، والصواب: رأس.
(٦) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.

لأجل الأخشاب والأحجار، بحيث لم يقدر غيره على تعمير حانوت ولا دار، واشترى غالب البيوت التي بشعب عامر[١]، ولم يترك بيتًا خاربًا ولا عامر[٢]، ثم أمر بهدم هذه البيوت بحيث يعقرونها الفعلة مِن أسفلها، فتطيح الدار دفعة واحدة، كما رأيناهم بالمُشاهدة، وهذا كُلّه لأجل السرعة والمعونة، ومع هذا تتلف أغلب المؤنة، فطاحت البيوت وبقيت أكوام[٣] في أقلّ أيام، ثم أطلق المُنادي في شوارع البلاد على جميع الحاضر والباد، حتى العبيد والعساكر، والأكابر والأصاغر، وأرباب الحرف، ومَن جهل ومَن عرف، على أنَّهم يحضروا ويشيلوا[٤] مِن هذا الدمار، ويُقَرِبُونَه مِن الدار، ومَن لم يكن له استطاعة يرسل أتباعه، وعيّن لكل مِنْهم أجرة، ولم يُشَغّل أحدًا بالسخرة، فبلغت أجرة كُلّ يوم ألفين[٥] غرش، ومع هذا كثير من الناس لم يطلبها، ويمر عنها ويتجنبها، وما زال هذا الشأن إلى أربع في الثمان.

وفي ذي القعدة[٦] أرسل القُنْفُدَة، وطلب المحبوسين مِن أهل المدينة، وحبسهم في جدة ببيت الوزير، ولم نعلم لذلك سببًا غير التقدير.

[أخبار قوافل الحج]

وفي اليوم التاسع والعشرين[٧] طلع الشريف إلى الطايف[٨] لزيارة

---

(١) **شِعْب عامر**: يقع في الشمال الشرقي لمكة المكرمة، وفيه حيّ مِن أشهر أحيائها، يجاور شِعْب علي مِن الشمال، عرف بهذا الاسم نسبة إلى عامر بن لؤي القرشي، ويرد في بعض المصادر شِعْب بني عامر وابن عامر. وكان به قبة مولد الرسول ﷺ وقريب مِنْه قبة مولد علي بن أبي طالب ﷺ وكانت فيه بيوت بني هاشم في الجاهلية. إبراهيم رفعت، **مرآة الحرمين**، ١/ ١٨١؛ عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ص ٩١٧.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: عامرًا.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: أكوامًا.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: يحضرون ويشيلون.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: ألفي.

(٦) شهر ذي القعدة ١١٩٦هـ/ ٧ أكتوبر - ٥ نوفمبر ١٧٨٢م.

(٧) ٢٩ ذي القعدة ١١٩٦هـ/ ٤ نوفمبر ١٧٨٢م.

(٨) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.

حبر الأنام، وكان مِن عادته لا يترك الزيارة في كُلّ عام، فدخلها في غُرَّة ذي الحجة[(١)]، وأقام يومين وتَوَجَّه ودخل مكة في خامس الثمان، وصادف دخول الحاج في أمنٍ وأمان، وكان أمير الحاج الشامي محمد باشا بن العظم، جاء في قوة عظيمة، بنى أموره على الحزم، وأمير الحاج المصري أيوب[(٢)] بيه[(٣)] في هذا العام، ومعه مغاربة بصدقة مِن سلطان المغرب[(٤)] وإنعام.

فحجت الناس ووقفت بعرفة، وكان موسمًا مُباركًا، قلوب المسلمين فيه مؤتلفة، وارتخت الأسعار بسبب ما سبق مِن الأمطار، وبيع إرْدَبّ الشعير بسبعة غروش بعد التنظيف، وجبر اللَّه تعالى فيه قلب كُلّ ضعيف.

[حريق في إسلامبول]

وأخبرت الحجوج عن الحريق الذي وقع في إسلامبول[(٥)]، وأنهم لا يعلمون مثل هذا الأمر المهول حتى قيل: إنَّ عُنْصُرَ النار قد سُلِّط على هذه / ق١١٣/ البلدة وأحرق ثلثها، وذهبت فيه نفوس وأموال لا تُعَدّ، وركب السلطان بنفسه واجتهد في طفيها، فعجز وما أمكنه رَدّهَا، ثم قال: دَعُوهَا فإنها مُسَلَّطَة حتى تأخُذ حَدَّهَا، مع هذا وهم مُستعدّون للحريق كمال الاستعداد، وقد قَدَّر اللَّه تعالى بهذا وأراد.

---

(١) غُرَّة ذي الحجة ١١٩٦هـ/ ٦ نوفمبر ١٧٨٢م.

(٢) **أيوب بيك**: أيوب بيك الكبير المحمدي، مِن أتباع محمد بك أبي الذهب، انضم إلى مراد بيك وإبراهيم بيك في صراعها ضد إسماعيل بيك الكبير، وشاركهما في جميع الأحداث التي وقعت في عهد سيطرتهما على مصر، وخرج أميرًا للحج عام ١١٩٦هـ/ ١٧٨٢م. وصفه الجبرتي بقوله: «كان لين الجانب، مهذب النفس، يحب أهل الفضائل، ذا ثروة وعزوة وعفة». توفي بالقاهرة عام ١٢١٥هـ/ ١٨٠١م. أحمد الرشيدي، **إمارة الحج**، ص ٢٢٥؛ عبد الرحمن الجبرتي، **عجائب الآثار**، ٣/ ٢٧٨.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: بيك.

(٤) عبد السلام ابن سودة، **اتحاف المطالع**، ١/ ٥٦.

(٥) كانت بيوت مدينة إستانبول مصنوعة مِن الأخشاب، الأمر الذي جعلها عرضة للحرائق بين الفينة والأخرى، التي كان يصعب السيطرة عليها. أندريه ريمون، **المدن العربية الكبرى في العصر العثماني**، ترجمة: لطيف فرج، دار الفكر للدراسات، القاهرة، ط١، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، ص ١١٤.

[فيضان في بَنْدَر سورة في الهند]

وردت أخبار مِن الهند أنَّ بَنْدَر سورة[١]، زاد فيه عُنْصُر الماء وطغى، وهدم كُلّ بيت حول البحر فلباه وصغى، وغرق نحو ماتين[٢] وستين مركب[٣] في المراسي، وانطمست بها فيها طمسًا، وكان جملة ما انهدم مِن البيوت ثلثمائة بيت، وكم تلف أموالاً وكم ترك ميت[٤].

وسافرت الحجوج في أيامها على طرقها المُعتادة، لأمر قضاه اللَّه تعالى وأراده، قيل: إنَّه حصل على الحج المصري أمطار وسيول، وذهب ثلث الحج مِن هذا الأمر المهول.

❐ ❐ ❐

(١) **بَنْدَر سورة**: يقع على الساحل الغربي للهند، ويُعَدّ مِن أقدم الموانئ الهندية، ويرجع تاريخ إنشائه إلى عام ٩٤٣هـ/ ١٥٣٧م، وكان الميناء الذي يمر مِنْه الحجاج إلى مكة المكرمة. أحمد رجب علي، **المدن الأثرية الإسلاميَّة في الهند**، ص ١٠٦.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: مائتين.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: مركبًا.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: ميتًا.

[أحداث سنة ١١٩٧]

[وفاة محمد باشا العظم أمير الحج الشامي]

وفي شوال سنة [١١٩٧ (١)] ورد الخبر بأنَّ يد الحمام غالت محمد باشا بن العظم بدمشق الشام، رحمه اللَّه تعالى، وجعل سحب رضوانه عليه تتوالى، وقد وقف عشر حجج بالمحمل، فطوبى له بهذا المنهل، فألْبست الدولة محمد باشا(٢) بن عثمان الصادق، ومكث شهرين، وطرقه مِن المنون خير طارق، فأرسلوا الأطواخ(٣) إلى أخيه درويش(٤)، وما زال جناح همة عزمه يريش، فحج بالمحمل عام

(١) وردت في الأصل سنة ١١٩٦هـ، والصواب أنَّها ١١٩٧هـ، فقد توفي محمد باشا العظم في ١٣ جمادى الأولى عام ١١٩٧هـ/ ١٥ إبريل ١٧٨٣م. انظر: خليل المرادي، **سلك الدرر**، ٤/ ١٠٢.

(٢) **محمد باشا**: محمد باشا ابن عثمان باشا الصادق والي الشام. كان متسلمًا على مدينة طرابلس الشام في عهد والده، إبَّان الصراع ضد ضاهر العمر، وبعد وفاة محمد باشا العظم والي الشام في ١٣ جمادى الأولى ١١٩٧هـ/ ١٥ إبريل ١٧٨٣م، عيّنته الدولة على الشام، فدخلها في ١١ رجب/ ١١ يونيو مِن العام المذكور، ولكنَّه كان مريضًا، فلم يدم سوى شهر واحد، ومات في ٩ شعبان/ ٩ يوليو، ودُفِنَ في سيدي خمار بدمشق. صلاح الدين المنجد، **ولاة دمشق**، ص ٨٥.

(٣) **الأطواخ**: كلمة صينية الأصل، دخلت إلى التركية بمعنى راية من نوع خاص، كانت تتخذ من القماش، تحمل على عمود، ويعلق بها ذيل ثور أو حصان يسمى: شاليش، وعلى رأس العمود كرة ذهبيَّة يعلوها هلال. مصطفى الخطيب، **معجم المصطلحات**، ص ٣١٠.

(٤) **درويش باشا**: درويش باشا ابن عثمان باشا الصادق، كان متسلمًا على مدينة صيدا، وبعد وفاة أخيه صدر الفرمان بتعيينه على الشام، فدخلها في ١١ رمضان ١١٩٧هـ/ ٩ أغسطس ١٧٨٣م، فاحتفل الناس به، فقد كان عادلاً وفي قلبه رقة، محبًا للعلم والعلماء، وقد حج بالناس في عامي ١١٩٧هـ/ ١٧٨٣م، و١١٩٨هـ/ ١٧٨٤م، ثم عزله الباب العالي في ١٨ ربيع الآخر ١١٩٩هـ/ ٢٧ فبراير ١٧٨٥م. خليل المرادي، **سلك الدرر**، ٢/ ٧٢، ٣/ ٣٩؛ صلاح الدين المنجد، **ولاة دمشق**، ص ٨٥.

سبع وتسعين، وكانت سنة [١]١١٩٧ أبرك السنين ثم تَوَجَّهت الحجوج، وأمور الناس بالخير تروج.

[ورود صدقات مِن سلطان المغرب]

ووَرد صدقة في موسم هذا العام، تفضلاً مِن سلطان المغرب[٢] وإنعام[٣]، لأشراف مكة الكرام، وللعُلماء الأعلام، وخُدَّام بيت اللَّه تعالى الحرام، وكذلك لأهل مدينة الرسول مثل هذا القول، وكانت الصدقة ذهبًا مطبوعًا، مقدار كُلّ واحد وزن ريال مِن الفِضة، مكتوب عليها: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾﴾[٤].

[أهل المدينة يقبضون على أمير الحج المصري]

وفي هذا العام تَمَرَّد أمير الحج المصري[٥] عن تسليم المعاليم، وادَّعى أنَّه لم يقبض ذلك وافيًا وارتحل، وأراد أنْ يفعل بأهل المدينة كما فعل، فتَحَيلوا عليه بحيلة لطيفة مُبتكرة، حتى أدخلوه بيت العشرة[٦]، فطالبوا بجميع الصُّر، وقالوا له: إنْ لم تعطِهِ فأنت مسجون محصر، فتيقّن عدم الخلاص، ولات حين

---

(١) ١١٩٧هـ/ ٦ ديسمبر ١٧٨٢ - ٢٤ نوفمبر ١٧٨٣م.

(٢) عبد السلام ابن سودة، **اتحاف المطالع**، ١/ ٥٩.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: إنعامًا.

(٤) القرآن الكريم، **سورة التوبة**، آية رقم ٣٤.

(٥) كان أمير الحج المصري مصطفى بك الكبير، المذكور سابقًا، وقد خرج بالمحمل في ٢٠ شوال ١١٩٧هـ/ ١٨ سبتمبر ١٧٨٣م، وعاد في ٢٣ صفر ١١٩٨هـ/ ١٧ يناير ١٧٨٤م. أحمد الرشيدي، **إمارة الحج**، ص ٢٢٥؛ عبد الرحمن الجبرتي، **عجائب الآثار**، ٢/ ١٠٦، ١١٤.

(٦) **بيت العشرة**: لعله يقصد دار العشرة، والتي كانت تعرف بدار آل عمر بن الخطاب رضي اللَّه عنه، وكانت تقع في قبلة المسجد النبوي الشريف من الجهة الشرقية، انظر: أبو الحسن علي بن عبد اللَّه السمهودي، **وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى**، ج٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، ص ٢٣٥.

مناص، فأعطى ما يملكه مِن النقود، وأبقى رهونًا في الباقي بمحضر الشهود، وتَوَجَّه في شهر محرم سنة ١١٩٨ (١).

❑ ❑ ❑

(١) شهر محرم ١١٩٨هـ/ ٢٥ نوفمبر - ٢٤ ديسمبر ١٧٨٣م.

[أحداث سنة ١١٩٨]

[وفاة علي باشا والي جدة]

وفي غاية هذا الشهر[1]، ورد علي باشا على جدة / ق ١١٤/ وأقام شهرًا، وتوفي بها، ودعاه داعي الحمام إلى دار السلام.

وفي خامس عشر مِن شهر صفر[2] عزل سعيد الجبرتي مِن منصب النظارة، وتولى بعده حسن الرشيدي بقدر لا أعرف مقداره.

[نقض قلعة أجياد وإعادة بنائها]

وفي شهر ربيع[3] نقض القلعة التي على جبل بَلبَل[4]، وأعادها على ما هي عليه الآن، وأتقنها غاية الإتقان، لأنَّ المُعلِّم الذي بناها، لم يدرِ ما طحاها.

[عزل نائب الحرم وتولية آخر]

وفي غاية ربيع الأول[5] عزل السيد عثمان نايب[6] الحرم، لِكَوْنه تولاها بقدر معلوم مِن الدراهم، فسلَّم بعضه والبعض قصر، وولي بعده الشيخ أحمد

---

(١) غاية محرم ١١٩٨هـ/ ٢٤ ديسمبر ١٧٨٣م.
(٢) ١٥ صفر ١١٩٨هـ/ ٨ يناير ١٧٨٤م.
(٣) شهر ربيع الأوَّل ١١٩٨هـ/ ٢٣ يناير - ٢١ فبراير ١٧٨٤م.
(٤) أي قلعة أجياد.
(٥) غاية ربيع الأوَّل ١١٩٨هـ/ ٢١ فبراير ١٧٨٤م.
(٦) كذا في الأصل، والصواب: نائب.

الحلبي بشيء مِنْ المال، يُسلمه لأهل الوظايف(١) في الحال.

[رفع ضرائب غير شرعية عن الناس]

وفي هذا العام(٢) وفقّ اللَّه سبحانه وتعالى صاحب الترجمة، ورفعَ الصابونَ الذي يؤخذُ على الأموات، والمصالح التي تؤخذ على الصرّ، واستقام على ذلك مُدَّة حياته واستقرّ، ورفع المكوسَ التي تؤخذ على الجِمَال، ورفع كثيرًا مِن المكوس جعلها ذخيرة للمال.

وفيها ناقل بِمَا بقى مِن دار السعادة بعد ما احترق، وأعطاهم الدار التي عند قهوة المفترق.

[بشارة بمولود للسلطان، سمَّاه: مرادًا]

وفيها ورد نجَّاب مِن الدولة العليَّة في شهر جماد(٣)، وأخبر بأنَّه أتاه مولود، وسمَّاه: مراد، وأخبر أنَّ على الدولة سفرين، وأخرجوا له عُرضين، وشرعوا في قراة(٤) سورة الفتح، وصحيح البخاري(٥)، وينتظرون النصر على

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: الوظائف.

(٢) عام ١١٩٨هـ/ ٢٥ نوفمبر ١٧٨٣ - ١٢ نوفمبر ١٧٨٤م.

(٣) شهر جمادى الأولى ١١٩٨هـ/ ٢٢ مارس - ٢٠ إبريل ١٧٨٤م.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: قراءة.

(٥) نقل ابن أبي جمرة أحد شرّاح صحيح البخاري عن بعضهم قوله: إنّ صحيح البخاري ما قرئ في شدّة إلا فرجت ولا ركب به في مركب إلاَّ نجت. وقال تقي الدين السبكي: وأمَّا الجامع الصحيح، كونه ملجأ للمعضلات، ومجربًا لقضاء الحوائج فأمر مشهور، ولو اندفعنا في ذكر تفصيل ذلك، وما اتفق فيه لطال الشرح، وقد جرى على العمل بذلك كثير من رؤساء العلم ومقدمي الأعيان إذا ألم بالبلاد نازلة مهمة فيوزعون أجزاء الصحيح على العلماء والطلبة ويعينون للختام يومًا، وقد ردّ هذا العمل بعض العلماء، وعدوه من المحدثات في الدين. للمزيد انظر: تاج الدين عبد الوهاب السبكي، **طبقات الشافعية الكبرى**، ج٢، تحقيق: محمد الطناحي و عبد الفتاح الحلو، هجر للطباعة والنشر، ط٢، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، ص ٢٣٤؛ أبو الفضل أحمد بن علي بن ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري في شرح صحيح البخاري**، ج١، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة، بيروت، د.ط، ١٣٧٩هـ/ ١٩٦٠م، ص ١٣؛ محمد جمال الدين القاسمي، **إصلاح** =

الأعداء وفتح الباري.

وفي شهر جماد عزل حسن النايته مِن منصب الشابندرية(١)، ولم يبق له فيها مجال، وتولى بعده أحمد القاري بأربعة آلاف ريال، وخرج في أيامه قماش بثلاث وثمانين ألفًا على الهنود رمِيّة، واشترط أن لا يقبض غير المَحَابِيْب الذهبية.

[ذوو هجار يطلبون السماح مِن الشريف]

وفيها وصلوا ذوي(٢) هجار(٣)، وطاحوا على الشريف، وطلبوا مِنْه السماح عن القوي والضعيف، وطلبوا مِنْه أنْ يرسل وزيره لحفظ البندر(٤)، وأنَّ جميع ما تحصَّل في المدّة السابقة يُسَلِّمونه على حسب ما هو مُسَطَّر في الدفتر، فرأى أنَّ أخذه في هذه الصورة حيف عليه وأيّ حيف، ولم تقبل هاشميته إلا أخذها بالسيف، فمكثوا أيامًا يرمون دلوهم في كُلِّ موضع

= **المساجد من البدع والعوائد**، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٤، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ص ٢٥٥-٢٥٩.

(١) **الشَّابَنْدَرِيَّة**: مكوَّن من مقطعين: أولهما شاه: الملك، والآخر بندر: الميناء، معناه: شيخ التجار، ورئيس تجار الميناء، ويكتب شَهْبَنْدر، وشاهُبَنْدر، دخل اللغة العربية في العصر الإسلامي المُتأخر، وقد تطور المعنى في العصر العثماني، فأطلق على: جابي الضرائب، ومدير الميناء، والقنصل في الدول العثمانية؛ على اعتبار أنَّ معظم القناصل تجار لدولهم. مصطفى الخطيب، **معجم المصطلحات**، ص ٢٦٧-٢٦٨

(٢) كذا في الأصل، والصواب: وصل ذوو.

(٣) **ذوو هجار**: هم الأشراف ذوو هجار، ويقال لهم الهجارية ولواحدهم «هجاري» - بالتخفيف وكسر الهاء - وهم أحد فروع الأشراف القتادات الرئيسية، وينحدرون مِن نسل الشريف هجار بن دراج بن معزى بن هجار القتادي، الذي كان أميرًا على ينبع إمارة ينبع (٩١٠-٩١٧هـ/ ١٥٠٥-١٥١١م)، وكان آخرهم في حكم ينبع الشريف عبد الكريم بن بديوي عام ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤م، وكانت فيها مساكنهم ومزارعهم وخيوفهم؛ فهم في ينبع النخل منذ القدم، وكانت لهم بها ستة قرى، وهي: قرية الأشراف مركزهم ومقر إمارتهم، وقرية العلقمية، وقرية المزرعة، وقرية المبارك، وقرية عين النوى، وقرية البركة. أحمد ضياء العنقاوي، **معجم أشراف الحجاز**، ص ١٥١٦-١٥١٨؛ صالح الفضلة، **النسب النبوي**، ص ٦٤-٦٩.

(٤) يقصد مدينة ينبع، التي سبق أنْ سيطرت عليها قبيلة حرب، كما ذكر آنفًا.

ويخيب، ثم ارتحلوا بعد مُدَّة فلا داعي ولا مجيب، وقد صمَّم على تركه في أيديهم ما عاش مدّ الزمان، أو يسترجعه بالسيف والسنان.

[هبوب سَمُوم أدت لوفاة حجاج قادمين مِن البحر]

وفي ذي القعدة[1] حصل بمكة سَمُوم عظيم لم يعهد، مات فيه كثير مِن الحجاج الواصلين /ق١١٥/ في البحر عندما اشْتَدَّ، ولم يتعرض بيت المال لأخذ شيء مِن المال، فجزاه اللَّه تعالى خيرًا وبلغه الآمال.

وفي سادس ذي الحجة[2] عزل حسن الرشيدي عن النظارة، وتولاها بعده محمد الغزاوي بثمانية عشر ألف، غير ما أعطاه للوسايط[3] مِن الكف.

❑ ❑ ❑

---

(١) شهر ذي القعدة ١١٩٨هـ/ ١٥ سبتمبر - ١٤ أكتوبر ١٧٨٤م.

(٢) ٦ ذو الحجة ١١٩٨هـ/ ٢٠ أكتوبر ١٧٨٤م.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: للوسائط.

[أحداث سنة ١١٩٩]

[امتناع أمير الحج المصري عن زيارة المدينة المنورة]

ودخل العام الجديد والطالع السعيد - سنة ١١٩٩ - سنة تسع وتسعين بعد المائة[١] والألف[٢]، مِن هجرة مَن له العزّ والشرف، وأوَّل خبر سمعناه ورد، أنَّ صنجق الحاج المصري[٣] بصرّ أهل المدينة شرد، لأنَّه لمَّا وصل إلى رابغ مال إلى نحو نخشوش، وإلى يمبع، وإلى مصر، ولم اتفق[٤] قبله أنْ يسافر الحاج بدون الزيارة[٥]، لكن هذا الصنجق باع عرضه بالمال، ولم يخش عاره[٦].

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: المائة.

(٢) ١١٩٩هـ/ ١٣ نوفمبر ١٧٨٤ - ٢ نوفمبر ١٧٨٥م.

(٣) كان أمير الحج المصري مصطفى بك الكبير - المذكور آنفًا - وقد خرج بالمحمل في ٢١ شوال ١١٩٨هـ/ ٧ سبتمبر ١٧٨٤م، وعاد به في ١٥ صفر ١١٩٩هـ/ ٢٨ ديسمبر ١٧٨٤م. عبد الرحمن الجبرتي، **عجائب الآثار**، ٢/ ١١٨، ١٣٢.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: يتفق.

(٥) دون زيارة المسجد النبوي الشريف.

(٦) إنَّ تحليل ابن عبد الشكور هنا مخالف للواقع، وبه تحامل على مصطفى بك أمير الحج المصري، الذي كان قد كتب على نفسه لأهل المدينة وأعطاهم رهونًا على ما تبقى لهم مِن المال، كي يطلقوا سراحه، وهو الأمر الذي ذكره مؤرخنا في موسم الحج السابق، أي عام ١١٩٧هـ/ ١٧٨٣م، وعلى الأرجح أنَّ أمير الحج خشي الذهاب إلى المدينة المنوَّرة، حتى لا يحدث نزاع بينه وبين أهلها، يؤثر على القافلة وسلامة الحجاج؛ وبخاصة أنَّه لم يتوفَّر لديه المال الذي كتبه على نفسه من قبل، وذلك لم يكن بتقصير منه، بل من مراد بك وإبراهيم بك حيث إنَّهما كانا يماطلان أمير الحج في دفع المخصصات والمُقرّرات، ويذكر الجبرتي الأوضاع التي صاحبت خروج هذا المحمل، بأنَّه كان موكبًا حقيرًا جدًّا بالنسبة للمواكب السابقة، وأنه تأخر له مبلغ من مال الصرة وخلافها، وقد =

[عُربان مِصْرَ ينهبون الحجاج المغاربة]

ثم ورد خبر أنَّ عُربان مصر[١] نهبوا الحج المغربي استأصالًا، وأثخنوه جراحًا وقتالاً[٢]، فاللَّه تعالى يجانيهم على فعلهم الذميم، ويخزيهم في الدنيا، ولهم في الآخرة عذاب أليم.

وفي شهر ربيع[٣] عزل محمد الغزاوي مِن النظارة سنة ١١٩٩، ولم يلبث

= ماطله إبراهيم بك ومراد بك، حتى اضطر الأخير إلى الدفع لإخراج موكب الحج، ويبدو أن المقررات المخصصة للحرمين الشريفين كانت محدودة، وأقلّ من المتعارف عليه، وذلك يتضح من المكاتبات التي وصلت في أواخر ذي الحجة ١١٩٨هـ/ نوفمبر ١٧٨٤م، وهي شكاوى إلى الأمراء والعُلماء، من الشريف سرور ووكلاء التجار، بسبب منع غلال الحرمين وغلال المتاجر، وحضور المراكب مُصَبَّرة بالأتربة، وزيادة الضرائب عن الحد المعروف، ثم يعلِّق الجبرتي عليها بقوله: «فلما حضرت قُرِئ بعضها وتُغُوفِل عنها، وبقي الأمر كذلك». ولعل في هذا ما يثبت براءة أمير الحج من التهم المنسوبة إليه باستيلائه على المقررات، كما أن عدم زيارته للمدينة لم يكن رغبة في الاستيلاء على مقرراتهم بل لحماية الموكب، نظرًا لعدم توفر الأموال المقررة المخصصة للقبائل والأهالي في المدينة المنوَّرة، ولو كان التقصير من أمير الحج لاتخذ موقفًا صارمًا ضده عند عودته القاهرة، وما كانوا أخرجوه في موسم الحج التالي، أي عام ١١٩٩هـ/ ١٧٨٥م، كما سيأتي ذكره. عبد الرحمن الجبرتي، **عجائب الآثار**، ٢/ ١١٨، ١٢١.

(١) **عُربان مصر**: هي القبائل العربية المتواجدة في شبه جزيرة سيناء، وكانت هذه القبائل تتنقل بينها وبين الحجاز، وكثيرًا ما قامت بمهاجمة القوافل التجارية ومحمل الحج المصري. وللمزيد عن هذه القبائل، انظر: إيمان محمد عبد المنعم، **العُربان ودورهم في المجتمع المصري في النصف الأول مِن القرن التاسع عشر**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، تاريخ المصريين (٩٧)، القاهرة، ١٩٩٧م، ص ٢٣-٢٤، ٨٨-٩٢

(٢) تعرّضت قافلة الحج المصري في هذه السنة لصعوبات وكوارث شديدة، عصفت بها في نهاية الأمر، ويصوّر الجبرتي ما حَلّ على الحجاج بقوله: «وحصل للحجاج في هذه السنة مشقّة عظيمة مِن الغلاء ... ووقفت العُربان لحجاج المغاربة في سطح العقبة، وحصروهم هناك، ونهبوهم وقتلوهم عن آخرهم، ولم ينج مِنْهم إلا نحو عشرة أنفار». عبد الرحمن الجبرتي، **عجائب الآثار**، ٢/ ١٣٢.

(٣) شهر ربيع الأول ١١٩٩هـ/ ١١ يناير - ٩ فبراير ١٧٨٥م.

إلا ثلاثة أشهر سيارة، وتولاها بعده حسن الرشيدي مرة أخرى بشيء مِن المال، لا أعلم له قدرًا، وبلغني أنَّه سلّم من النقد والصنف قدر ثلاثين ألف. وفي شهر ربيع تولى درويش بن صالح صبغه منصب بيت المال، بقدر معلوم مِن المال، وعشرة أوجاب مِن غير سوله، ومِن النقود التي كانت حوله.

[وفاة الشيخ عبد اللطيف الحُريشي]

وفي يوم عيد المولد الشريف[1] توفي العالم العلامة، والعمدة الفهَّامَة، قَرَّاءُ أهل زمانه، ووحيد عصره وأوانه، شيخنا الشيخ عبد اللطيف الحُريشي، عليه الرحمة والرضوان، وأسكنه فسيح الجنان.

[وقوع سيل وكسوف في مكة]

وفي الثالث عشر مِن ربيع أوَّل[2]، شهر مولد النبي المُفضل، حصل بمكة سيل عظيم حتى أسال الشعاب والهضاب، وكثيرًا مِن البيوت أوهنها الخراب، ودخل المسجد الحرام وارتفع مِن البيت الشريف إلى قفل الباب، وكم مات فيه أنداد وأتراب.

وفي ثمان وعشرين[3] بعد صلاة العصر، كسفت الشمس بقدر ثلثي ساعة، وكل كوكب في السماء أظهر شعاعه، ثم أسفر محياها ولاح سرورها، ووقف في الخافقين سناها ونورها.

[القبض على الشريف الوبير أحد قُطَّاع الطريق]

وفي اليوم الثالث عشر من ربيع الثاني[4] ركب صاحب الترجمة لا زالت دولته مُنظمة وتَوَجَّه على طريق اليمن، ثم استدار على الوادي،

(١) ١٢ ربيع الأول ١١٩٩هـ/ ٢٢ يناير ١٧٨٥م.
(٢) ١٣ ربيع الأول ١١٩٩هـ/ ٢٣ يناير ١٧٨٥م.
(٣) ٢٨ ربيع الأول ١١٩٩هـ/ ٧ فبراير ١٧٨٥م.
(٤) ١٣ ربيع الآخر ١١٩٩هـ/ ٢٢ فبراير ١٧٨٥م.

وطالع السعد له حادي، ثم على المبارك والطرفاء/ ق١١٦/ ثم على المضيق، وقبض على الشريف الوبير، مِن أكبر قُطَّاع الطريق، طالما ركب عليه المرّة بعد المرّة، ولم يظفر به حتى لحقته عليه الحسرة، وأخذ مراحه ومواشيه، وأراه سهم المنون الذي يغشيه، وقبض معه شريفين، ورماهم في الحبس مُصّفَدِين، وأراح مِنْهم المسلمين.

[وفاة السيد عبد اللَّه هارون العلوي]

وفي خمس وعشرين مِن ربيع الثاني(١) توفي السيد الفاضل والماجد الكامل سلالة آل الرسول وقُرَّة عين الزهراء البتول السيد عبد اللَّه هارون العلوي، نفعنا اللَّه تعالى بسرهم القوي، وأفاض علينا مِن مشربهم الروي، كان في الصلاح راسخ القدم، وفي الطاعة والعبادة على أشدّ قدم.

[وفاة الشيخ محمد العمودي]

وتوفي أيضًا العالم العلامة والعمدة الفهامة الوالي الزاهد الشيخ محمد العمودي، وأجاب داعي اللَّه تعالى، وأدام الفيض عليه يتوالى.

[ذكر ولاية أحمد باشا الجزار على الشام]

وفي شهر رجب(٢) وردت الأخبار، أنَّ الدولة العليَّة أنعمت بإمارة الشام على أحمد الجزار(٣)، وهو ظالم غشوم طال ما ظلم وجار، وعمل

---

(١) ٢٥ ربيع الآخر ١١٩٩هـ/ ٦ مارس ١٧٨٥م.

(٢) شهر رجب ١١٩٩هـ/ ٨ مايو - ٧ يونيو ١٧٨٥م.

(٣) **أحمد باشا الجزار**: ولد في البوسنة حوالي عام ١١٣٢هـ/ ١٧٢٠م وقيل عام ١١٤٧هـ/ ١٧٣٤م، ثم هرب إلى إستانبول، ثم انتقل إلى مصر عام ١١٧١هـ/ ١٧٥٧م حيث خدم عند عدة أشخاص مِن بينهم علي بك الكبير، ولقب بالجزار لشدة بطشه ببدو إقليم البحيرة. وبعدها انتقل إلى بلاد الشام، حيث أدى دورًا مُهمًّا في تاريخ المنطقة، فَقد عُيِّن في البدء على بيروت ثم تدرَّج في المناصب حتى عُيِّن على ولاية الشام أربع فترات: الأولى (١١٩٩-١٢٠١هـ/ ١٧٨٥-١٧٨٧م)، والثانية (١٢٠٥-١٢١٠هـ/ ١٧٩٠-١٧٩٥م)، والثالثة (١٢١٣-١٢١٤هـ/ ١٧٩٨-١٧٩٩م)، والرابعة (١٢١٨-١٢١٩هـ/ ١٨٠٣-١٨٠٤م). وقد بلغ ذروة مجده عندما نجح في وقف الحملة بقيادة نابليون بونابرت على الشام عندما كان متوليًّا مدينة عكا عام ١٢١٤ =

بأعمال الفُجَّار، طالعه شوم[1] وهو سفاك غشوم، مشغول بسفك الدماء ونهب الأموال، ولا يفرّق بين الحرام والحلال، تارة يدعي أنَّه شريف الطرفين أبوه وأمه مِن الحسن والحسين، وتارة يدعي أنَّه هو المهدي المنتظر، مع أنَّه أفجر مَن فجر، وعلى كُلّ حال، إنَّه مِن كبار الفئة الخاسرة، الذين اشتروا الدنيا بنعيم الآخرة، أعاذنا اللَّه تعالى مِن فجوره وطغيانه، وعاملنا بلطفه وإحسانه.

وفي ست مِن شهر رمضان[2] تَوَجَّه الشريف إلى جدة ببعض أجناده، لأجل الموسم الهندي على حسب معتاده، فطلع يومًا يتفرج على مركب مِن مراكب الإنقليز[3]، فرأى غلامًا مُسلمًا مِن المنيبار[4] بلغ أسره القبطان بالقوة والاقتدار، فوقع الغلام على الشريف وقبَّل قدميه، واستنجده في الخلاص مِن يديه، فطلب الشريف خلاصه مِن يده بمهما أراد مِن المال، فما جنح خاطره ولا مال، والغلام متعلق بأردانه، يدري النَّجِيع مِن أعيانه، فأخذته الحمية الهاشمية، وهزته لذلك الأريحية، فأخرجه مِن المركب جبرًا على

= هـ/ ١٧٩٩م، توفي وهو في منصب ولاية الشام في ذي الحجة ١٢١٨هـ/ أبريل ١٨٠٤م. عبد الرحمن الجبرتي، **عجائب الآثار**، ٣/ ٥٠٨ - ٥١٠؛ أحمد حيدر الشهابي، **قصة أحمد باشا الجزار بين مصر والشام وحوادثه مع نابليون بونابرت**، إعداد وتحقيق: عبد العزيز جمال الدين، سلسلة صفحات من تاريخ مصر (٧٦)، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط١، ٢٠٠٨م؛ صالح علي الشورة، **أحمد باشا الجزار والي صيدا (١٧٧٦-١٨٠٤)**، رسالة ماجستير، كلية الدراسات الإنسانية، الجامعة الأردنية، ١٩٩٨م، ص ١١ وما بعدها.

(١) كذا في الأصل، والصواب: شؤم.

(٢) ٦ رمضان ١١٩٩هـ/ ١٢ يوليو ١٧٨٥م.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: الإنجليز.

(٤) **المَنيبار**: ويكتب المَلَبَار، والملابار Malabar، وهو الساحل الجنوبي الغربي للهند، ويبلغ طوله حوالي ٨٥٠ كم، وكان به بعض المراكز التجارية المُهمَّة مثل: بومباي، كووة، كاليكوت، التي كانت سوقًا للمتاجر الشرقية مثل الفلفل، والزنجبيل، والصندل، والساج وغيرها. ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ٥/ ١٩٦؛ عبد العزيز المنقادي، **تاريخ ظهور الإسلام في ساحل مليبار مِن خلال مخطوط تحفة المجاهدين في بعض أخبار البرتغاليين**، مجلة الوثيقة، مج٩، ع١٧، ذو الحجة ١٤١٠هـ/ يوليو ١٩٩٠م، البحرين، ص ١٦٠ وما بعدها.

القبطان، ووضعه في زعيمة وسلمه في يد الربان، فغاظه ذلك ونوى الخيانة، ونطق لجماعته بحرق الجبخانة، فقيض اللَّه سبحانه وتعالى / ق١١٧/ مَن يخبر الشريف بِمَا أراد ذلك الكلب، بأنَّ قصده يحرق الشريف ويحرق نفسه ومَن في المركب، فهالت الشريف فعلته الذميمة، وقبض القبطان وجماعته ورماهم في الزعيمة، وحبسه في بيت وزيره ريحان وأطلقه بعد مُدَّة، وهذا جزاء مَن خان، وتَوَجَّه الشريف إلى مكة ومعه الغلام، وسافر المركب بدون الصبي، وتم الكلام.

وفي شهر شوال[1] بنى المنارة التي على راس[2] الجبل.

[إتمام بناء قلعة أجياد]

وفي هذا العام تَمَّت القلعة[3]، وما أراده فيها مِن عمل وتمّ نظامها، وقد بناها كلها أقبوة وعقود، وتَمَّت في الطالع المسعود، وأرَّخها صاحبنا الجمال محمد رضا ببيتين، ما نسج مثلهما على منوال، ولعمري إنَّه أجاد فيما صنع، ووقع له شيء ما تمّ لغيره ولا وقع، يخرج مِن البيتين ست وثلاثون تاريخًا؛ فشطر كُلّ بيت مِنْهما تاريخ، ومهمله وكذلك معجمه، ومهمل الشطر الأول، ومعجم الشطر الثاني وعكسه، ومهمل الشطر الأول من البيت الأول، ومعجم الشطر الثاني، وهكذا في الأربعة أشطار، وَلْيكن كذلك الاقتدار، وهُمَا قوله:

قَـد طيلـت الـدَّار دَار الْـعِـزّ حَـقّ بِـهَـا
نَـصـر الْـعـنَـايَـة عَـال فَـاز صاحـبـهـا

---

(١) شهر شوال ١١٩٩هـ/ ٦ أغسطس - ٣ سبتمبر ١٧٨٥م.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: رأس.

(٣) **قلعة أجْياد**: قلعة على ربوة بَلبَل، مِمَّا يلي المسجد الحرام، بناها الشريف سرور عام ١١٩٦هـ/ ١٧٨٢م، وقد ظلَّت قائمة في قبضة الأشراف آل غالب، حتى أصدر الملك فهد ابن عبد العزيز آل سعود (١٤٠٢-١٤٢٦هـ/ ١٩٨٢-٢٠٠٥م) أمرًا بانتزاعها مِن أهلها، وإعطائها لأوقاف الحرم، ثم هدمت عام ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، وأُقيمت مكانها عمارة شامخة، فجاء المطر فهدمها. إبراهيم رفعت، **مرآة الحرمين**، ١/ ١٨٣؛ عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، / ١٣٩٦-١٣٩٧.

فِـي سـوحـهَـا الـسّـعْـد مبقا مَـا تَــزال مـرا

عَــات الـلَّـطِـيْـف وَقَــهْـرًا زال حَـاربـهـا

وعندي أنَّه لو ملأ فمه بالدر جايزة[١] لَمَا جازاه، بيد أنَّه حبسه أيام الموسم وأرزاه، ونسبه أنَّه دسّ ثلاثة أعجام وحرمة، لأجل أخذ الضرمة.

[تأخر غسيل البيت الشريف]

وفي هذه السنة[٢] تأخَّر غسيل البيت الشريف عن معتاده، ولم يغسلوه إلا في رابع ذي الحجة[٣]، وكل شيء على وفق مراده، وسببه أنَّ الشريف تَوَجَّه في هذا العام لزيارة الحَبْر، ولم يصل غير رابع الشهر.

[امتناع أمير الحج المصري عن تسليم الصرّ لأهل مكة]

وفي هذا العام لم يعطِ صنجق المصري مصطفى بيه[٤]، ما هو لأهل مكة مِن المعاليم[٥]، وسافر بها هذا الفاجر اللئيم.

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: جائزة.

(٢) أي عام ١١٩٩هـ/ ١٣ نوفمبر ١٧٨٤ - ٢ نوفمبر ١٧٨٥م.

(٣) ٤ ذو الحجة ١١٩٩هـ/ ٧ أكتوبر ١٧٨٥م.

(٤) خرج بمحمل الحاج في ٢١ شوال ١١٩٩هـ/ ١٨ أغسطس ١٧٨٥م، وعاد في ١٦ صفر ١٢٠٠هـ/ ١٩ ديسمبر ١٧٨٥م. عبد الرحمن الجبرتي، **عجائب الآثار**، ٢/ ١٣٥، ١٤٧، ١٥٣، ١٥٦.

(٥) يبدو أنَّه رُفِعَت إلى الباب العالي مكاتبات سواء مِن أمير الحج الشامي أحمد باشا الجزار أو مِن الشريف سرور، حيث إنَّه بعد عودة أمير الحج المصري مِن حج ذلك العام، وصلت مكاتبات إلى القاهرة في رجب ١٢٠٠هـ/ أبريل ١٧٨٥م، ومضمونها: طلب الخزائن المتأخرة، وإرسال مرتبات الحرمين الشريفين مِن الغلال والصرر عن السنين الماضية، واللَّوم على عدم زيارة المدينة المنوَّرة، ثم تكرر إرسال المكاتبات في شهر رمضان/ يوليو مِن العام المذكور، فاجتمع أمراء المماليك مع الباشا في القلعة، فأغلظ مراد بك للباشا قائلاً: «ليس لكم عندنا إلا حساب، أمهلونا إلى بعد رمضان ... وإلا فلا نُشَهِّل حجًّا ولا صُرَّة، ولا ندفع شيئًا، وهذا آخر الكلام». عبد الرحمن الجبرتي، **عجائب الآثار**، ٢/ ١٥٣-١٥٦.

[أحداث سنة ١٢٠٠]

وقد تَمّت السنة، ودخلت السنة الجديدة، بالطوالع السعيدة، سنة ١٢٠٠ [١] ألف وماتين[٢].

[إصلاحات بناء في المسجد الحرام]

وفي هذا العام أرسلت الدولة العليَّة مِعْمَرجيًّا، ومعه مِن الترك مُعَلِّمين[٣] لإصلاح المسجد الحرام، وتعديل ما مال مِن الأسطوانات الرخام، وأرسلوا معهم مراكب / ق١١٨/ موسوقة بالخشب، وكل ما يحتاجون لهذا السبب، فَشَرعُوا في غُرَّة شهر ربيع الأول[٤] ببئر زمزم، وقَلَعُوا الأحجار التي ببابها، ووضعوا بدله رخامًا زاد في إعجابها، فوجدوا مِن داخل الجدار البرانيَّة، تقوية لأبنيتها السنية، رصاصًا مصبوبًا مستديرًا بها، عرضه أربعة قراريط[٥] بذراع العمل[٦]، حتى صيرها كأنَّها قطعة مِن جبل، ثم قلعوا فراش أرضيتها الحجر، ووضعوا بدله مِن الرخام المرمر، ثم جعلوا في جوانب الباب حلياتٍ

---

(١) ١٢٠٠هـ/ ٣ نوفمبر ١٧٨٥ - ٢٢ أكتوبر ١٧٨٦م.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: مائتين.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: مُعَلِّمُون.

(٤) غُرَّة ربيع الأول ١٢٠٠هـ/ أوَّل يناير ١٧٨٦م.

(٥) **قراريط**: جمع قيراط، معيار في الوزن والقياس. ويأتي في الموضع المذكور بمعنى القياس، وهو جزء مِن أربعة وعشرين، وهو مِن الفدان ١٧٥ مترًا. فالتر هنتس، **المكاييل والموازين**، ص ٩٨؛ مصطفى الخطيب، **معجم المصطلحات**، ص ٣٥٧.

(٦) **ذراع العمل**: مقياس يُقاس به أرض البنيان مِن الدور وغيرها، طوله ثلاثة أشبار بشبر رجل معتدل، أي حوالي ٦٦,٥ سم. فالتر هنتس، **المكاييل**، ص ٨٩؛ أحمد الشرباصي، **المعجم الاقتصادي**، ص ١٨٠.

وعقود، تذرى بالحلي والعقود، ووضعوا في الحليتين الذين[1] في جوانب الباب سبيلين تملآ[2] مِن كُلِّ الجهات، وقايضها بنصب على سبيل الأغوات، وهم يشربون مِن بين السبيلين، وينغمسون في تلك العين، وجعلوا مِن الرخام على نفس البير[3]، كُلّ حجر بقدر القامة مُستدير[4]، فظهرت في الحسن بديعة الشكل، لم تكن هذه المحاسن مِن قبل، ظهر لها في محاسنها شأن حسنها وما شان، فجات[5] في غاية الإبداع والإتقان كما تراها الآن[6]، ولمَّا أحكموا

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: اللتين.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: تملآن.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: البئر.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: مُستديرًا.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: فجاءت.

(٦) أورد العديد مِن المؤرخين نصوص الكتابات والنقوش، التي وردت على بئر زمزم مِن عهد السلطان عبد الحميد الأول، ولكن لم يشيروا إلى التجديدات التي تَمَّت في هذه المناسبة، وجعلته يكتب هذه النقوش، ويُعَد مؤرخنا ابن عبد الشكور شاهد عِيان لهذه التجديدات والأحداث التي أوردها بشيء مِن التفصيل في نص المخطوط. وسوف نشير لكافة الكتابات التي وردت بمناسبة التجديدات التي وقعت في عهد السلطان عبد الحميد الأول، وهي:

كتب على باب قبة زمزم هذه الأبيات:

سرور لِسُلْطَان الْبَسِيْطَةَ وَالْوَرَى ... عَبْد الْحَمِيد الْبَرّ بَحْر الْمَكَارِم

ونصر له أيضًا وفتح وَرفعة ... بِتَجْدِيد هَذَا الْمأثرِ الْمتقادم

حفيرة إبراهيم يوم بن آجر ... وركضة جبريل على عهد آدم

وكتب على الشباك الشرقي مِمَّا يلي باب القبة مِن الجهة الشمالية (مَاء زَمْزَم شِفَاء مِنْ كُلِّ دَاء)، ومكتوب أيضًا (آيَة مَا بَيْنَنَا وَبَيْن الْمُنَافِقِين أَنَّهُم لاَ يَتَضَلّعُون مِن زَمْزَم)، وكتب تحت الحديثين (السلطان عبد الحميد خان ١٢٠١). وكتب على الشباك الجنوبي مِمَّا يلي باب قبة زمزم (مَاء زَمْزَم لِمَا شُرِبَ لَه - لاَ يَجْتَمِع مَاء زَمْزَم وَنَار جَهَنْم فِي جَوْف عَبْد)، ومكتوب فيه أيضًا (السلطان عبد الحميد خان سنة ١٢٠١هـ). إبراهيم رفعت، **مرآة الحرمين**، ١/ ٢٥٧؛ حسين عبد اللَّه باسلامة، **تاريخ عمارة المسجد الحرام**، تهامة للنشر، جدة، ط٤، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م، ص ١٨٤-١٨٥. وقد قام بنشر هذه النصوص وعمل دراسة أثرية وحضارية لها؛ عادل محمد نور عبد اللَّه غباشي، **المنشآت المائية لخدمة**=

وضعها وتمّ صنعها، كتب على بابها مولانا الشيخ طاهر سنبل هذه الأبيات، بقوله:

سُرُور لِسُلْطَان الْبَسِيْطَة وَالْوَرَى
عَبْد الْحَمِيد الْبَرّ بَحْر الْمَكَارِمِ
ونَصْر لَهُ أيضًا وَفَتْحٌ وَرفعةٌ
بِتَجْدِيدِ هَذَا الْمأثرِ الْمُتَقَادِمِ
حَفِيْرَة إِبْرَاهِيْم يَوْم بن آجِر
وَرَكْضَة جِبْرِيْل عَلَى عَهْد آدَمِ

وفي شهر ربيع الثاني[١] شرعوا في تصليح ثلاثة مِن العواميد، وتعديل أغصانها التي كادت تميد، ومِن أعجب ما شهدناه، وأعذب ما رويناه، [بعد أنْ رأيناه][٢]، أنَّهم عَدَّلوها بغير ترس يحفظون بها العمود، ويقيمون ما ماس مِن تلك القدود، بل حفظوا العماويد بالشواحي، حفظاً يلزمها مِن الأربعة النواحي، وضربوا بين تلك الأساطين خوابير فلسطين، ثم هدموا القباب الأربع التي على تلك العقود، وفرطوا أنظم سلكها بمحضرٍ وشهود، فبقي عمود الرخام قايما[٣] كأنَّه الأهرام، واقفًا على قَدم الإجلال في غاية الإتقان والاعتدال، وجعلوا / ١١٩/ في حَلَقه حَبْلاً مِن مَسَد، إذا عصر به اعتدل وقعد.

ومِن أعجب ما رؤي وروي، شيء ما رواه الراوون، ولا رأته الراؤون، أنَّه صار الشخص الواحد يُمِيْل العامود يمينًا وشمالاً، ويثقفه حتى كأنَّه

= مكة المكرمة والمشاعر المقدسة في العصر العثماني دراسة حضارية، رسالة دكتوراه، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، ص ١٢٩، ٥٠٧-٥١٥.

(١) شهر ربيع الآخر ١٢٠٠هـ/ ٣١ يناير - ٢٨ فبراير ١٧٨٦م.

(٢) ساقطة في الأصل، والإضافة مِن النسخة (ب)، ورقة ٨٥.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: قائمًا.

الرمح اعتدالاً، وهذا شيء لا يصدقه إلاَّ مَن كان مِنْه بمشهد أو خبر صدق عليه المعتمد، ثم بعد أنْ تَمَّت عمارة هذه الثلاثة العواميد على الوجه الأتم، صنعوا بالثلاثة الأُخَر - كَمَا تَقَدَّم - فأدام اللَّه تعالى دولة آل عثمان، وحماها مِن الزوال على مَمَرّ الزمان.

[وفاة الشيخ أسعد بن أحمد الحباب]

وفي أحد عشر شعبان[1]، توفي العالم الفاضل، والجهبذ الكامل، الأريب الماهر، والناظم عقود الجواهر، مولانا الشيخ أسعد بن أحمد الحباب[2]، عليه رحمة الملك الوهاب، دُفِن رحمه اللَّه تعالى بالمَعْلا، ولم يعقب مِن الأولاد أصلاً.

[زيارة الشريف جامع ابن عباس بالطائف]

وفي ثلاث وعشرين من شعبان[3]، تَوَجَّه صاحب الترجمة، لا زالت أيام دولته منظمة، مُقَيِّلاً في العَابِدِيَّة، على مُقتضى عادته السنية، فعَنَّ له زيارة سيدنا الحَبْر، وتَوَجَّه مِن محلّه وأقام ثمة برهة، ثم عاد إلى أهله.

وفي العاشر مِن شهر رمضان[4] تَوَجَّه إلى جدة، وحضر الموسم الهندي الجديد، وقبض ما تحصَّل مِن العوايد، وعاد إلى مكة قبل العيد.

---

(١) ١١ شعبان ١٢٠٠هـ/ ٨ يونيو ١٧٨٦م.

(٢) **أسعد بن أحمد الحباب**: أسعد بن أحمد بن يحيى الحباب بن صالح المكي الحنفي، ولد في مكة، ونشأ بها، وأخذ عن علمائها، وأجاز له شيوخه بالإفتاء والتدريس؛ فدرَّس بها، وكان من مشاهير فقهاء وقته، وقد ذكر مؤرخنا أنَّ وفاته في ٢٣ شعبان ١٢٠٠هـ/ ٢٠يونيو ١٧٨٦م، بينما ذكرت بعض المصادر الأخرى أنَّه توفي عام ١٢٣٠هـ/ ١٨١٥م. انظر: عبد اللَّه الغازي المكي، **نظم الدرر**، ص ٣٣٤؛ عبد الستار البكري، **فيض الملك الوهاب**، ص ٢١٠-٢١١؛ عبد اللَّه المعلمي، **أعلام المكيين**، ١/ ٣٥٦.

(٣) ٢٣ شعبان ١٢٠٠هـ/ ٢٠ يونيو ١٧٨٦م.

(٤) ١٠ رمضان ١٢٠٠هـ/ ٦ يوليو ١٧٨٦م.

[وفاة الوزير ريحان أغا الفروجي]

وفي الثامن والعشرين مِن رمضان[١]، وصل إلى مكة الوزير ريحان، وقد شفه المرض حتى صيره نحيل[٢]، ينتظر مِن اللَّه تعالى الإذن بالرحيل، فما مكث غير يومين بعد وصوله ثم توفاه اللَّه تعالى، ونال غاية سؤله، وكان هذا الوزير حسن الرأي والتدبير، وهو السبب لهذا البَنْدَر في التعمير ربع وزارته بالمحاسن عامر، وله مزايا قصر عن فعلها الأوايل[٣] والأواخر، مِنْها صدق محبته في أهل البيت وحسن عقيدته في كُلّ حي مِنْهم وميت. ومِنْها أنَّه بنى ببَنْدَر جدة جامعًا للمحاسن جامع[٤]، يقصده كُلّ ساجد لله تعالى وراكع، وأجرى له أوقافًا تصرف على مَهَمَّاته، وفايضها[٥] لتعميره ومرماته، ومِنْها أنَّه عَمَّر بالطايف[٦] مسجدًا لله تعالى، وأوقف عليه بستانًا بوادي لِيَّة يقال له: ليلاه، وأوقف عليه دارًا بمكة في خط سويقة على قارعة الطريق، مركبًا على الظّلة التي تجاه دكة الرقيق / ق١٢٠/ وبنى بمكة زاوية بأوَّل سفح أجياد، وسمَّاها حين رسمها بزاوية الحداد[٧]، وهي في الحقيقة مسجد بمصلاه، وبيت مِن بيوت اللَّه، وأوقف عليها جملة مِن الكتب المُعتبرات، ونال مِن اللَّه تعالى الأجور والمبرات، تقبّل اللَّه تعالى مِنْه الإحسان، وجازاه بالمغفرة والرضوان، ثم أُلْبِس بعده خِلْعةُ الوزارة ألماس تابع السيد يحيى رمضان.

[ذكر أخبار حسن باشا جزايرلي مع المماليك في مِصْر]

وفي اليوم العاشر مِن ذي القعدة[٨] ورد خبر مِن مصر بأنَّ حسن باشا

---

(١) ٢٨ رمضان ١٢٠٠هـ/ ٢٤ يوليو ١٧٨٦م.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: نحيلًا.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: الأوائل.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: جامعًا.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: فائضها.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.

(٧) زاويةُ الحداد: كانت تقع هذه الزاوية عند مدخل أجياد، وقد دخلت في هدميات شارع الملك سعود، انظر: أحمد السباعي، **تاريخ مكة**، ص ٥١٠.

(٨) ١٠ ذو القعدة ١٢٠٠هـ/ ٣ سبتمبر ١٧٨٦م.

جزايرلي قبطان[١] استولى على مصر، وأخذها مِن يد الغز، فلم يبق لهم فيها ذكر، وفي اليوم الثاني عشر مِن شوال[٢] استأصل ما في بيوتهم مِن أموال، وولُّوا هاربين على الصعيد، قيل: لما أقبل عليها مِن جهة البحر، خرج لقتاله جميع الصناجق، ومعهم ألوف مؤلفة مِن الخيول السوابق، فلمَّا رأت العين العين رماهم بقنبرة[٣] واحدة وقعت في وسطهم فأثارت النقع، فأصابت كثيرًا مِنْهم وتشتّت ذلك الجمع، وهكذا عاقبة مَن ظلم، لكونهم لم يشكرون[٤] اللَّه تعالى على ما خَوّلَهم مِن النعم.

---

(١) **حسن باشا جزايرلي قبطان:** مِن أشهر القادة العثمانيين، عُرف بالجزايرلي لأنَّه تولى إيالة الجزائر، وعرف بالقبطان لأنَّه كان مِن رجال البحريَّة العثمانيَّة، وتولى الصدارة العظمى في الدولة العثمانية. ولد في القفقاس عام ١١٢٧هـ/ ١٧١٥م، وفي أثناء الصراع بين المماليك في مصر، وانتشار الفوضى، أرسله الباب العالي ليقضي عليها، فوصل إلى الإسكندرية في ١٠ رمضان ١٢٠٠هـ/ ٦ يوليو ١٧٨٦م، ثم انتقل إلى رشيد، فأرسل له مراد بيك وإبراهيم بيك وفدًا مِن العُلماء والوجهاء بصحبتهم الهدايا، لكي يحصلوا مِنْه على الأمان، فلم يصلوا معه إلى حلٍّ، وعادوا إلى القاهرة، وبعدها تحرّك حسن باشا إلى القاهرة، ولمَّا علم المماليك بقدومه، هربوا إلى الصعيد، فدخلها في ١٢ شوال/ ٧ يوليو مِن العام المذكور، وأمَّن أهلها، ورفع كثيرًا مِن المظالم، وانتهى الأمر بوصوله إلى اتفاق مع إبراهيم بيك ومراد بيك على أنْ يترك لهما حكم المنطقة من برديس بالقرب من جرجا حتى شلال أسوان، وعيَّن إسماعيل بك شيخًا للبلد، وعلي بيك دفتر دارًا، وحسن الجداوي أميرًا للحج. وظلّ يرتّب أمور البلاد إلى ما يقارب عام، حتى خرج مِن القاهرة في ٢٣ ذي الحجة ١٢٠١هـ/ ٦ أكتوبر ١٨٨٧م، مصطحبًا معه بعض رهائن المماليك، متجهًا إلى إستانبول. وقد عيِّن في منصب الصدارة العظمى عام ١٢٠٤هـ/ ١٧٨٩م، ولكنَّه ما لبث أنْ توفي فجأة في مدينة شومينو بالبلقان عام ١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م. مصطفى القلعاوي، **صفوة الزمان**، ص ٢٨٤-٢٨٧؛ عبد الرحمن الجبرتي، **عجائب الآثار**، ٢/ ١٥٧-٢٢٢؛ حسن عثمان، «**تاريخ مصر في العصر العثماني ١٥١٧-١٧٩٨**»، بحث منشور في كتاب المجمل في التاريخ المصري، القاهرة، ط١، ١٣٦١هـ/ ١٩٤٢م، ص ٢٨٣-٢٨٤؛ فيصل حبطوش، **الشراكسة ومنصب الصدارة العظمى في تركيا العثمانية والحديثة**، مجلة نارت، الجمعية الخيرية الشركسية، عمَّان - الأردن، العدد ٨٧، آذار/ مارس ٢٠٠٦م، ص ٢٨-٣٣.

(٢) ١٢ شوال ١٢٠٠هـ/ ٧ أغسطس ١٧٨٦م.

(٣) قنبرة: ما يقذفه المدفع بواسطة البارود، واللفظ متداول في العصر العثماني، وتكتب أيضًا قمبرة، وقنبلة. مصطفى الخطيب، **معجم المصطلحات**، ص ٣٧٤.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: يشكروا.

[إنشاء بيت للشريف سرور في عرفة]

وفي غُرَّة ذي القعدة[١] أرسل صاحب الترجمة ستين مُعَلِّمًا غير أتباعهم مِن أصحاب المعرفة، وأمرهم أنْ يبنوا له بيتًا بعرفة[٢]، فبنوه وتَمّ مقصوده في غاية الإتقان، في شهر ذي القعدة وست أيام مِن الثمان، ولم يسبق لغيره بناء دار في هذا المحل، وعن الملوك فلا تسل[٣].

[الدولة ترسل صفائح الفضة لأعمدة الحرم المكي]

وفي هذا الشهر أرسلت الدولة العليَّة، زادها اللَّه تعالى صلة ومزيَّة، خمسين أقة[٤] مِن الفِضة النقية، وأمر أنْ تصنع صفايحا[٥] مُمَوّهة بالذهب بنظر مولانا الشريف، ويطوّقون بها الثلاثة العمادية التي داخل البيت، زاده اللَّه تعالى عزًّا وتشريف[٦]، فاستلحق كبار الصُّواغ، وأتقن كُلٌّ صنعته فيها وأفرغ، فطوّقوا بها العمدان، أحسن اللَّه تعالى عليهم كُلّ الإحسان.

ووصلت الحجوج على عاداتها في موسم هذا العام، بكمال الخير

---

(١) غُرَّة ذي القعدة ١٢٠٠هـ/ ٢٥ أغسطس ١٧٨٦م.

(٢) **بيت عرفة**: كان يقع أسفل جبل الرحمة على يسار المصلي بمسجد الصخرات. ويبدو أنَّ هذا البيت كان على انقاض دار عتيقة في هذه المنطقة، حيث يذكر ابن جبير - في رحلته موسم الحج عام ٥٧٨هـ/ ١١٨٣م - هذه الدار بقوله: «وفي أسفل هذ الجبل المُقَدَّس [جبل الرحمة]، عن يسار المستقبل للقبلة فيه، دار عتيقة البنيان، في أعلاها غُرف ... وعن يسار الدار في استقبال القبلة، الصخرةُ التي كان عندها موقف النبي ﷺ وهي في جبل مُتَطَامِن. وحول جبل الرحمة والدار المكرّمة صهاريج للماء وجبات، وعن يسار الدار أيضًا، على مقربة مِنْها، مسجد صغير». أبو الحسين محمد بن جُبير الأندلسي، **رحلة ابن جبير**، دار صادر، بيروت، د.ط، د.ت، ص ١٥٢؛ محمد الكردي المكي، **التاريخ القويم**، ٥/ ٢٠٩-٢١١.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: تسأل.

(٤) أَقة: وحدة وزن تعادل ٤٠٠ درهم، أو حوالي ١,٢٨٢٨ كجم، أو ١,٢٤٨ كجم. **المعجم الوسيط**، ص ٢٢؛ فالتر هنتس، **المكاييل والأوزان**، ص ١٩.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: صَفَائِحَ.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: تشريفًا.

والإنعام، وكان والي الحاج الشامي أحمد باشا الجزار - الْمُتَقَدِّم ذِكْره - وما له مِن قبيح الأخبار، فأقامت الحجوج بمكة على حسب العادة، ثم انصرفوا ونال كُلٌّ مرادَه.

[اعتداء قبيلة حرب على قافلة الحج المصري وإبادتها]

وها أنا أذكر نادرة غريبة ومصيبة وأيّ مصيبة / ق١٢١/ ، لمَّا تَوَجَّه الحج المصري ووصل إلى خُلَيْص، وأراد اللَّه تعالى أنْ يوقعه في حَيْص بَيْص، قبض الصنجق[1] على لصوص مِن حرب، كانوا يقطَعون الدَّرب، فَشَفَّع فيهم كبار هذه القبيلة، وتحيلوا في تخليصهم مِن يده بكل حيلة، فأبى أنْ يقبلهم بل أغلظ عليهم في الكلام، وقال: واللَّه لا بدَّ أنْ أوسمهم بالنار، ليعرفهم الخاص والعام، وحلف أن لا يتركهم حتى يضع في خدودهم المياسم[2]، ويجعلهم عبرة في جميع المواسم، فأوقد نارًا في أخدود، وأحمى المحاوير وكواهم على الخدود، وقد استحسن ذلك لقصور نظره، لما سبق في قضاء اللَّه تعالى وقدره.

ولمَّا غدوا كالبهايم[3] في خدودهم الحلق، سارعوا مُسَارعة السلق[4]، وصاحوا بالنجدة في جميع الأحيا[5]، وتصلفوا بالوجه الذي لم يبقَ فيه حيا[6]،

---

(١) كان أمير الحج المصري محمد بك حسن، وقد خرج بالقافلة في ٢٧ شوال ١٢٠٠هـ/ ٢٣ أغسطس ١٧٨٦م، وعاد في ١١ صفر ١٢٠١هـ/ ٣ ديسمبر ١٧٨٦م. عبد الرحمن الجبرتي، **عجائب الآثار**، ٢/ ١٧٥، ٢٠٢.

(٢) أي علامات من أثر الكي بالنار.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: البهائم.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: الصولاق. وهم صنف مِن العسكر العثماني، يتميَّزون بسرعة الحركة لأنَّهم يخضعون لنمط معين مِن التدريبات، واستخدم بعضهم في أعمال البريد لمهارتهم في الانتقال مِن مكان إلى آخر، وسرعتهم في الجري. مصطفى الخطيب، **معجم المصطلحات**، ص ٢٩٧.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: الأحياء.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: حياء.

فجاهم[١] كل فاجر ملعون، مِن كل حدب ينسلون، فأدركوه بموضع يقال له: قويزة[٢]، وأَنَاخُوا حَوْزَه، ثم أرسلوا للصنجق الجاهل العابث، القاصر نظره عن عواقب الحوادث، وقالوا له: إنْ أردت السفر بالسلامة، فاجعل مقرراتٍ لِمَن وضعت على خُدُودِهم العلامة، فأبى اللئيم وامتنع، حتى وقع على حجاج المسلمين ما وقع، فعند ذلك صاحت الأعراب وتناخت، وحملت على الحج حملة واحدة وشاخت، فظهر عليه الذُّل والإنكسار، وشَمَّر ذيل عزمه وركب مطية الفرار، فانهزم بجريدة مِن الخيل، وجعل يطردها بالنهار والليل، حتى دخل المدينة، وكل نفس بِمَا كسبت رهينة، وترك الحجاج في تلك الفجاج، فما راق حال ولا راج، فاستولى عليه العُربان قتلاً ونهبًا، واستأصلوه إيجابًا وسلبًا، وجَرَّدُوه حتى لم يبقَ له أثر[٣]، وتفَرَّق جَمْعه شذر مذر.

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: فجاءهم.

(٢) **قويزة**: حي يقع الآن في شرق جدة.

(٣) يذكر عاتق البلادي رواية شفوية حكاها له أحد المعمرين عن شاهد عيان لهذه الواقعة، فقال: «لقد تشاور مشايخ حرب قبل الهجوم مع العسكر المصري، فَقَرَّرُوا أنْ يطلبوا مِن الحاج الابتعاد عن العسكر، فنادى مُناديهم: حَوْزَه يا حجاج حَوْزَه، ولكنّ أمير الحاج المصري أوْهَمهم بأنَّ القبائل تريد عزلهم لنهبهم، وأكَّد لهم أنَّ ما معه من جيش قادر على حمايتهم، وتجاوز ذلك، فوَزَّع عليهم الأسلحة فأخذوا يَصُبون البنادق إلى رجال القبائل، وهم في ثياب الإحرام. وكان سبب هذه الواقعة منع أمير الحج المصري صرف مخصصات بني حرب المقررة سنويًّا». عاتق البلادي، **نسب حرب**، ص ١٢٢. وهذه الرواية يشوبها الريبة، وسوف نناقشها بربطها مع المصادر المعاصرة للأحداث، مِن خلال الآتي:

أولاً- إنَّ ما ذكره عن سبب هذه الحادثة هو منع أمير الحج مقرّرات حرب، هو محض افتراء؛ حيث إنَّ الجبرتي أشار إلى أنَّ أمير الحج لما أراد أنْ يتجه إلى المدينة المنوَّرة أرسل إلى أكابر القبائل ودفع لهم عوائد سنتين، وقسَّط الباقي على السنين المقبلة بموجب الفرمان. وهنا يتضح أن الخلاف لم يكن على المقررات، ونلحظ إشارة عبارة العوائد والمخصصات السابقة - والتي لم يدفعها أمراء الحج المصريون السابقون - قد رُفِعَ أمرها إلى السلطان العثماني، الذي أصدر فرمانًا بدفع سنتين للقبائل وتقسيط ما تبقى لهم على سنوات أخرى.

ثانيًا- هناك تضارب في أمر الرجال الأربعة المذكورين، وكيفية وصولهم في قبضة أمير الحج، ودوافع فعلته فيهم؛ فقد ذكر مؤرخنا ابن عبد الشكور أنَّ هؤلاء الأربعة كانوا لصوصًا وقطاع طريق قبض عليهم أمير الحج في خُلَيْص، ورفض شفاعة أكابر الشيوخ فيهم، وقام بوسمهم عقابًا لهم، بينما يذكر الجبرتي أنَّ الأربعة كانوا رهائن قد تسلمهم أمير الحج =

....

= من القبائل بعد أنْ قام بتسليم العوائد المخصصة لهم؛ فلمَّا أخذهم كواهم بالنار في وجوههم. والحقيقة لا ندري لماذا يقوم أمير الحج بوسم أولئك الرهائن الأربعة بالنار، رغم أنهم الضمان الوحيد لعدم تعرض القبائل لقافلة الحج خلال تَوَجُّهها إلى المدينة المنوَّرة؟ وإذا كان فعل ذلك رعونة مِنْه في التقدير، ورغبة في الانتقام، فلماذا يطلق سراحهم بعد أنْ وسمهم ليجعل نفسه عرضة لهجوم القبائل على قافلته ويضيع الضمان الوحيد لحمايته؟ فهل أراد مِنْهم أنْ يستصرخوا قبائلهم عليه ليقاتلوه؟

ثالثًا- ذكر ابن عبد الشكور أنَّ المشايخ اجتمعوا بأمير الحج، وطلبوا مِنْه فرض مقرّرات لِمَن تم وسمهم، ويبدو أنَّ ذلك على سبيل التعويض - أي إنَّهم لم يطالبوه بمقرّراتهم. ولعل في ذلك ما يؤكد رواية الجبرتي بأنَّ الأمير دفع لهم عوائدهم - ولكن أمير الحج رفض هذا العرض، فكان ذلك دافعًا لقتالهم هذا الأمير والاعتداء على القافلة ومَن بصحبتها، حتى وقع في القافلة ما وقع.

رابعًا- إذا كان الخلاف بين أمير الحج والمشايخ، فلماذا اعتدوا على حجاج بيت اللَّه الحرام الآمنين وأحدثوا فيهم القتل والسلب والنهب وسبي النساء - كما ذكر الجبرتي - وسنجد لدى أتباع القبيلة الرواية الشفوية التي ذكرها البلادي لتبرير فعلتهم هذه، ويذكرون بأنَّ أمير الحج وَزَّع الأسلحة على الحجاج فشاركوا في القتال! ولا أعرف هل قدَّر أمير الحج ذلك البلاء فدجَّج القافلة بالأسلحة التي تكفي عسكره المصاحبين، وما يفيض ليستخدمه الحجاج؟ وهل كان هؤلاء الحجاج مدربين على حمل السلاح لقتال رجال حرب؟ وماذا تعني عبارة: أنَّ الحجاج قاتلوا وهم بثياب الإحرام؟ وهل ظلّ الحجاج بملابس الإحرام بعد انتهاء موسم الحج؟ أم إنَّ الراوي تعمد اشراك الحجاج في الحدث للتغطية على الكارثة التي اقترفوها في حقهم؟

ولنترك الآن الجبرتي يقصّ علينا أمر الحجاج الذين قُدِّر لهم البقاء ووصلوا إلى مصر في ١١ صفر ١٢٠١هـ/ ٣ ديسمبر ١٧٨٦م، وذلك بقوله: «وفي يوم الأحد حادي عشره، نزل الحجاج ودخلوا مصر على حين غفلة، وهم في أسوأ حال من العري والجوع، ونهبت جميع أحمال أمير الحاج وأحمال التجار وجمالهم وأثقالهم وأمتعتهم، وأسر العرب جميع النساء بالأحمال، وكان أمرًا شنيعًا جدًّا، ثم إنَّ الحجاج استغاثوا بأحمد باشا الجزار أمير الحاج الشامي، فتكلَّم مع العرب في أمر النساء، فأحضروهن عرايا ليس عليهم إلاَّ القمصان وأجلسوهن جميعًا في مكان، وخرجت الناس أفواجًا كلّ مَن وَجَد امرأته أو أخته أو أمه أو بنته وعرفها اشتراها مِمَّن هي في أسره، وصارت المرأة مِن نساء العرب تسُوق الأربعة مِن الجمال والخمسة بأحمالها فلا تجد مانعًا ... وفعلت العرب في الحجاج ما فعلوه، وأخذوا ما أخذوه، فلم ينج مِنْهم إلاَّ مَن طال عمره، وسلم نفسه أو افتداها إلى غير ذلك، وأخذوا المحمل أيضًا ولم يردوه». عبد الرحمن الجبرتي، **عجائب الآثار**، ٢/ ٢٠٢. وهناك مؤرخ معاصر للأحداث يقصّ هذه الحادثة بقوله: «وتوجهت المحامل مِن مكة المشرّفة نحو المدينة المنورة، فكمنت الحرامية مِن بُدوان حَرْب لانتهاب الطريق، فوافاهم محمل أهل مصر، وكانت قلوبهم تغلي مِن =

فما رأيت فيما رأيت، وما رويت فيما رويت، أنَّ حجًّا استوصل[1] بين الحرمين، وغدا أثرًا بعد عين، إلا ما وقع لهذا الحج في هذا العام، ولا لهذه المقدمة نتيجة تحل عقد الإبرام، فانظر لهذه القبيلة الباغية، والفرق اللَّعِيْنة الطاغيَّة، كيف تجرت على ما تجرت[2] عليه، والأمر كُلّه للَّه والمُنتهى إليه، فاللَّه تعالى يجزيها بالويل والتنكيل، وهو حسْبنا ونعم الوكيل، ولا بُدَّ للباغي مِن مصرع، وعمَّا قريب / ق١٢٢/ يُجازيه اللَّه تعالى بِمَا صنع، وكما يَدِينُ الفتى يُدان، وكُلّ يوم هو في شأن. وأرجو أنْ تكون عقوبة هذه العصابة الفاجرة في الدنيا قبل الآخرة، فقد روينا عن المشايخ أنَّ العقوباتِ في الآخرة إلا عقوبةَ اثنين: الباغي، وعاق الوالدين، فإنَّ لهم عقوبة في الدنيا، حتى يُبْصرها الأحيا[3]، ونَرْجُو أنْ تكون عقوبتهم وفاء الأجل، ويكون الجزاء مِن جنس العمل.

❐ ❐ ❐

= باشتهم (الباشا) إذ كان قد أتى بسبعةٍ منهم عند وروده مكة فعزرهم ومثّل بهم، وكانت جماعتهم قد كمّنت ثلاثة مكامن، فَبدّد وأجمَع المصارية، وانتهبوا أثقالهم وأتوا على أموالهم، وقتلوا الأجزل مِن أهل المحمل حتى قال بعض الناس: لم يرجع مِنْهم سوى أربعين نفرًا». لطف اللَّه جحاف، **درر نحور العين**، ص ٢٢٣. وقد استغلّ الشريف سرور هذه الحادثة لصَالِحِهِ للتنكيل بقبيلة حَرْب، حيث رفع تقريرًا للباب العالي ذكر فيه أنَّه نصح أمير الحج المصري بأنْ يأخذ الطريق الفرعي لأنَّ الطريق السلطاني غير آمن؛ ولكن الأمير توجه على الطريق السلطاني، فوقع له من قبيلة حرب ما وقع، ثم ختم الحديث بقوله: «إنَّ تدمير العربان المذكورة أصبح في مرتبة الوجوب». **الأرشيف العثماني**، ٧٧٥ H.H نقلاً عن: فائز البدراني، **مِن تاريخ قبيلة حرب**، ص ٣٨١.

(١) كذا في الأصل، والصواب: اسْتُؤْصِلَ.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: كيف تجرأت على ما تجرأت.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: الأحياء.

[أحداث سنة ١٢٠١]

[عمارة منارة الحرم المكي]

ولمَّا انقضى عام الألف والمائتين[١]، ختام القرن الثاني عشر، ذكرت ما حدث في الواحد بعدها على الآثر، فمِمَّا جَرَى من الحوادث، وانبعث به البواعث سنة ١٢٠١ [٢]، عمارة المنارة التي بالمسجد الحرام، لتذكير القلوب الغافلة عن السلام، فباشرها المُعَلِّم حسن مهدي مهندس البلد، وقوَّمها حتى كأنَّها في الرياض غصن أملد، فظهرت بديعة في شكلها تزدري بِمَن قبلها، تامة النظام، مثمنة القوام، فجعل يعمرها برهة، ويتركها تتشمع أيامًا وليال، حتى تَمَّت بعامها في غاية شوال[٣]. ولم أرَ مَنْ تعرَّضها بتاريخ مِن أهل الأدب، ولا أعلم لمنعهم عن ذلك ما السبب، فقال لسان حال بانيها أنا أولى بها، وأمر أنْ يُكْتَب على بابها: أمر بتعمير هذه المنارة مِن ماله الشريف سرور بن مساعد.

وها أنا أذكر بالمناسبة، سابقة لطيفة، ونكتة جرت بمصر المحروسة، ولكنها ظريفة، قيل: لمَّا تَمَّت عمارة المسجد[٤] الذي

---

(١) عام ١٢٠٠هـ/ ٣ نوفمبر ١٧٨٥ - ٢٢ أكتوبر ١٧٨٦م.

(٢) عام ١٢٠١هـ/ ٢٣ أكتوبر ١٨٨٦ - ١١ أكتوبر ١٨٨٧م.

(٣) غاية شوال ١٢٠١هـ/ ١٣ أغسطس ١٧٨٧م.

(٤) **جامع المؤيد شيخ**: يقع عند داخل باب زويلة في القاهرة، وقد شُرع في بنائه عام ٨١٨هـ/ ١٤١٥م، وقد حدث أنَّه لمَّا بَنَوْا مئذنتي الجامع مالت إحداهما إلى السقوط عندما كملت، فرسم بهدمها فهدمت، ثم أُعيدت ثانيًا، وقد أرجع بعض عُلماء وقته أنَّ سبب ذلك هو قيام المؤيد بظلم الناس عند تحصيله رخام الجامع، وكذلك أخذه باب مدرسة السلطان حسن والتنور النحاس الكبير وجعلهما في جامعه بأقل الأثمان، وأخذ العمودين السماق من محراب جامع قوصون. وقد حدث =

عمَّره الملك المؤيد[١]، وقد أتقن بناءه وشيّد، وقعت منارته على قصر الملك المؤيد فانهدم، وندم على ذلك واستشاءم، وكان في أيام دولة العَالِمَيْنِ الْهُمَامَيْنِ: قاضي القضاة الإمام العَيْني الحنفي[٢]، والشيخ ابن حَجَر الشافعي[٣]، ومن المعلوم أنَّ المُعَاصَرَة مُعَاصَرَة، فكتب

= هذا الميل في ربيع الآخر ٨٢١هـ/ مايو ١٤١٨م. أحمد بن علي المقريزي، **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار**، ج٢، دار صادر، بيروت، د•ط، د.ت، ص ٣٢٨-٣٢٩.

(١) **الملك المؤيد (٨١٥-٨٢٤هـ/ ١٤١٢-١٤٢١م)**: شيخ بن عبد اللّه المحمودي الظاهري، من سلاطين العصر المملوكي، تلقَّب بالملك المؤيد، تولى الحكم عام ٨١٥هـ/ ١٤١٢م، قضى على بعض الفتن التي ظهرت في عهده مثل فتنة الأمير نوروز في دمشق، وقاد حملة على الشام وآسيا الصغرى عام ٨١٧هـ/ ١٤١٤م فاستعاد طرطوس وما جاورها من العثمانيين، ومن آثاره الشهيرة جامع المؤيد شيخ قرب باب زويلة، والبيمارستان المؤيدي قرب القلعة، توفي في القاهرة في ٩ محرم ٨٢٤هـ/ ١٣ يناير ١٤٢١م. بدر الدين العيني، **السيف المهند في سيرة الملك المؤيد**، حققه وقدم له: فهيم علوي شلتوت، راجعه: محمد مصطفى زيادة، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م، ص ٣٠٣ وما بعدها؛ خير الدين الزركلي، **الأعلام**، ٣/ ١٨٢.

(٢) **العَيْنِي الحَنَفِي**: محمد بن أحمد بن موسى العينتابي الحنفي، ولد في عين تاب بالشام في ٢٦ رمضان ٧٦٢هـ/ ٢٩ يوليو ١٣٦١م، وينحدر من أسرة مشهورة بالعلم، فتلقى العلم على يدى والده وعُلماء عصره، وتنقل في الشام ومصر في رحلات علمية، ثم استقر المقام به في مصر، ثم ولي الحسبة والقضاء عدة مرات، وله العديد من الشروح والمؤلفات مِن أشهرها: «عمدة القاري في شرح البخاري»، و«عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان»، توفي بالقاهرة في ٤ ذي الحجة ٨٥٥هـ/ ٢٩ أكتوبر ١٤٥١م، ودُفِنَ بمدرسته التي بناها قرب الأزهر. صالح يوسف معتوق، **بدر الدين العيني وأثره في علم الحديث**، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ص ٥٥ وما بعدها؛ **خير الدين الزركلي**، الأعلام، ٧/ ١٦٣.

(٣) **ابن حَجَر الشَّافِعِي**: أحمد بن علي بن محمد بن حجر الشافعي العسقلاني، أحد أشهر أئمة الحديث والتاريخ. ولد بالقاهرة في ٢٢ شعبان ٧٧٣هـ/ ٢٧ فبراير ١٣٧٢م، وتلقى العلم على أيدي عُلماء عصره، وقام برحلات إلى: الشام، والحجاز، واليمن، وولي القضاء في مصر عدة مرات ثم اعتزل، وله العديد مِن الشروح والمؤلفات، مِن أشهرها: «فتح الباري في شرح صحيح البخاري»، و«الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة»، توفي بالقاهرة في ١٨ ذي الحجة ٨٥٢هـ/ ١١ فبراير ١٤٤٩م، ودُفِنَ في القرافة الكبرى قرب الإمام الشافعي. شمس الدين محمد السَّخاوي، **الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر**، ٣ أجزاء، تحقيق: إبراهيم باجس عبد المجيد، دار =

الشيخ ابن حَجَر بيتين ورّى بالإمام العَيْني فيهما، فقال:

[لِـجَـامِـعِ][1] مَـوْلَانَـا الْـمُـؤَيَّـد رَوْنَـقٌ
مَـنَـارَتـهُ [بِـالـحُـسْـنِ][2] تَـزْهُـو وَبِـالـزَّيْـنِ
تَـقُـول وَقَـدْ مَـالَـت عَـلَـى الـقَـصْـرِ أَمْـهِـلُـوا
فَـلَـيْـس عَـلَـى جِـسْـمِـي أَضَـرُّ مِـن الـعَـيْـنِي

فلمَّا بلغت الإمام العيني أجاب وأتقن الجواب، فقال:

مَنَـارَةٌ كَـعَـرُوسِ الْـحُـسْـنِ إِذْ جُلِيَتْ
وَهَـدْمُـهَـا بِـقَـضَـاءِ الـلَّـه وَالـقَـدَرِ
قَـالُـوا أُصِيْـبَـت بِـعَـيْـنٍ قلـتُ: ذَا غَـلَـطٌ
مَـا أَوْجَـبَ الـهَـدْمَ إِلاَّ خِـسَّـة الـحَـجَـرِ

فانظر بِمَا تداعبوا به جلال القَدْر، مع سماحة الخاطر وسلامة الصدر/ ق١٢٣/.

وفي شهر ربيع الأول[3] وردت الأخبار بالواقعة التي بين عسكر المدينة، وما ارتكبه بعضهم مِن الأمُور المشينة، فتَرَّسُوا البلد، وصككوا الأبواب، وحمي الوطيس واشْتَدَّ ضرب الرقاب، وسببه أنَّ شيخ الحرم أبعد كَتْخُداه أحمد رجب ونصب بدله إليه عبد اللَّه المديني وقرب، والعسكر لا يريدون غير كخيتهم الأوَّل، وعالجوا شيخ الحرم على ردّه فلم يقبل، فلأجل ذلك

= ابن حزم، بيروت، ط ١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، ص ١٠١ وما بعدها.

(١) وردت في الأصل لمسجد، والتصويب مِن: تقي الدين المقريزي، **المواعظ والاعتبار**، ٢/ ٣٢٩.

(٢) ما بين القوسين ساقطة مِن الأصل. والإضافة مِن: تقي الدين المقريزي، **المواعظ والاعتبار**، ٢/ ٣٢٩.

(٣) شهر ربيع الأول ١٢٠١هـ/ ٢١ ديسمبر ١٧٨٦ - ١٩ يناير ١٧٨٧م.

ثارت الفتنة، وزادت المشقة والمحنة، فلمَّا اشْتَدَّ الكرب وقوي الحرب، دخل بينهم السادة والخطبا[١] وتَوَجَّهوا على شيخ الحرم، وأرادوا طفي[٢] هذه النار التي تضرم، وقالوا له: عاقبة الأمر لا تحمد ما لم يكن العَوْدُ أَحْمَدَ، فأعاده وهو مَقْهور، وحصل الصلح وتمّ السُّرور.

وقد سبق لك آنفًا ذكر العمارة التي عمَّرَها الشريف سرور في شِعْب أَجْيَاد[٣]، وذكرنا أنَّه أتقن فيما صنعه وأجاد، وأنَّه هدم جُملة دور وأمكِنَة، وقصور مُشَيَّدةٍ مُتقنة، ومِن جُملة ما هدمه ثلاثة أربطة موقوفة على الفقراء قديمة البنا[٤]، لا يُعلم واقفها ولا يُدرى، فأخرج مِنْها سُكَّانها، وهدم بنيانها، طلبًا لتوسعة ساحة داره، وانتفاعًا بمونته وأحجاره، وعمَّر بدلها ثلاثة أربطة في شِعْب بني عامر، ليستبدل ما هدمه مِن الوقف الخارب بالوقف العامر، فبناها وأتقنها، وميّزها وعينها، فعند تتمة الأربطة الثلاثة قرب الأجل، وأدركته المَنِيَّة وما استبدل، فجعلتها الورّاث تراث[٥]، وقسموها مِن جُملة المِيراث.

[حملة الشريف سرور على قبيلة حَرْب]

وفي شهر جمادى الأولى[٦] أرسل صاحب الترجمة - لا زالت رماح أسنته مُثقفة في الأعدا[٧] ومُقوَّمة - كتبًا لمشايخ العرب، وحَثّ عليهم بالطلب، بحيث يُحضروا[٨] مِن كُلِّ قبيلة شيخها واثنين مِن المزاريب، ولا يتأخَّر أحدٌ

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: الخطباء.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: إطفاء.
(٣) شِعْب أجْيَاد: يقع في مكة المكرمة، يلي الصفا، وهُمَا أجْيَادان: أجْيَاد الكبير، وأجْيَاد الصغير. عاتق البلادي، معجم معالم الحجاز، ص ٦٠-٦١.
(٤) كذا في الأصل، والصواب: البناء.
(٥) كذا في الأصل، والصواب: تراثًا.
(٦) شهر جمادى الأولى ١٢٠١هـ/ ١٨ فبراير - ١٩ مارس ١٧٨٧م.
(٧) كذا في الأصل، والصواب: الأعداء.
(٨) كذا في الأصل، والصواب: يُحضرون.

مِنْهم ولا يغيب، وما أظهر للناس خبرًا عن مراده، إلاَّ أنَّهم يرون هِمَّته وقوة اجتهاده، وما أراه إلا حرَّكته الأقدار، ونزت الأيام لأخذ الثأر، مِن أولئك الفُجَّار، فجات[1] الشيوخ القريب مِنْهم والشاسع، / ق١٢٤/ وتكاملوا في اليوم التاسع؛ فأخبرهم أنَّ قصده يسير على قبيلة حرب، ويستقضي للحج الذي أخذوه قتلاً وسلب[2]، فقالوا: ما منَّا خلاف، فأوعدنا بموعدٍ لم يكن فيه إخلاف، فاتفق معهم على نقد متعيّن، وأوعدهم في يوم بيّن، وبخشش الشيوخ على اثني عشر مَحْبُوبًا والمزاريب على سبعة، وتَوَجَّهوا بعد أنْ ربطوا القول معه.

وفي اليوم الثالث عشر[3] مِن تاريخ هذا الشهر، أمر جميع العساكر أنْ يبرزوا في جوخي الزاهر، فنصب لهم الخيام، ولاَح لموع برقه يمنًا وشام[4]، وأخرج المدافع والمَهمَّات، وما يحتاجه مِن الآلات، وفي خمس وعشرين[5] وَرَدَه أوَّل الجرود مِن عربيات الدار، والمدنيين مِن الأقطار، فيعرضوا عليه ويقفوا[6] صَفًّا تحت القصر، حتى يحصيهم بالعَدّ والحصر، ويأمر لهم بالمصروف وهم وقوف.

وفي السادس والعشرين مِن جماد الثاني[7] وصلت قبايل[8] الشرق يسارعون كالبرق، فحشرهم بشعبة المصافي، بِكُلِّ مَن يراه مكافي[9]، وصكّ

(١) كذا في الأصل، والصواب: فجاءت.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: سلبًا.
(٣) ١٣ جمادى الأولى ١٢٠١هـ/ ٢ مارس ١٧٨٧م.
(٤) كذا في الأصل، والصواب: شامًا.
(٥) ٢٥ جمادى الأولى ١٢٠١هـ/ ١٣ أبريل ١٧٨٧م.
(٦) كذا في الأصل، والصواب: فيُعرضون عليه ويَقفون.
(٧) ٢٦ جمادى الآخرة ١٢٠١هـ/ ١٤ أبريل ١٧٨٧م.
(٨) كذا في الأصل، والصواب: قبائل.
(٩) كذا في الأصل، والصواب: مكافأً.

عليهم بخيله وبِمَن يراه معتمد[١]، وأخرجهم شيا[٢] بعد شيء لأجل العُدد، فبلغت خيلهم ماتين[٣] في ذلك الميقاف، وعددهم تسعة آلاف، وقد شرع يُسَلِّم الدراهم التدبير للخَيَّالة الأشراف على مائة غرش، وللبارودية مِنْهم على خمسين، ولكافة العرب على عشرة مَحَابِيْب ذهب، وعيَّن في كُلّ ثلاثة أيام لمراجله وللعسكر زادًا لِكُلِّ شخص كَيْلَة مِن الدقيق، وربع رِطْل مِن السمن، ورِطْل مِن التمر، وأعطى لجميع القوم مصرف أربعين يوم[٤]، مبتدأه مِن رجب[٥] كما أمر وطلب.

وفي سادس رجب[٦] وصل أهل الحَرَّة، وهم: سليم، ومعبد، وبني[٧] عبد اللَّه، وكل قاطن بتلك المحلّة، فأحصاهم عدَّة، وسلّمهم مصروف تلك المُدَّة.

وفي يوم الحادي عشر[٨] وقعت الواقعة بين هُذَيْل وعُتَيْبَة، وثار الرمي في الحال، وطلعوا كالقرود على روس[٩] الجبال، وصار الأمر الذي لا يخطر ببال، واستدام وطال، فاستمرّ إلى نصف النهار، ولم يفء إلى أمر اللَّه أحد مِن أولئك الأشرار، فأرسل يقرعهم بوجهه وما اقترعوا، وردوا مراسيله ليقرع بينهم فما اقترعوا، وقد حمي وطيس القتال، ونفقت الأرواح في سوق الآجال، فحينئذ خشي أنْ تُشَتَّت الجرود مِن يده، ولا يتم جل مرامه ومقصده، فجمع من جماعته / ق١٢٥/ أهل الثبات والميقاف، ومِنْهم بنو عمّه السادة الأشراف، وجمع العبيد والمراجل والعسكر وأهل الخيل، وركب بنفسه

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: معتمدًا.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: شيئًا.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: مائتين.
(٤) كذا في الأصل، والصواب: يومًا.
(٥) شهر رجب ١٢٠١هـ/ ١٨ أبريل - ١٧ مايو ١٧٨٧م.
(٦) ٦ رجب ١٢٠١هـ/ ٢٣ أبريل ١٧٨٧م.
(٧) كذا في الأصل، والصواب: بنو.
(٨) ١١ رجب ١٢٠١هـ/ ٢٨ أبريل ١٧٨٧م.
(٩) كذا في الأصل، والصواب: رءوس.

على هُذَيْل ولـمَّا رأوا اليد عليهم ثقيلة، تفكَّكَت عزايمهم[١] وقلت الحيلة، وعلموا أنَّهم إذا لم يكفوا أنفسهم يدرعهم القتل، ويفعل بهم الآن كما فعل في العام الذي قبل، وقد جربوه وعرفوه فلأجل ذلك توقف، وقد قيل مَن جرب المجرب حلّت به الندامة، فكفوا أيديهم عن القتال وأمرهم بالنزول عن الجبال، ولم أعلم عدد القتلى إلا أنَّه قُتِل مِن الطرفين، وقتلت فَرَسين[٢].

وفي اليوم الثالث عشر من رجب[٣] خرج مولانا الشريف بآلاي منظم في موكب معظم بالمراجل والعساكر، ونزل في مُخَيَّمه الذي بالزاهر، فأقام إلى واحد وعشرين من الشهر[٤] وأمر بشَدّ الخزاين[٥]، وتوْجِيه المراجل إلى وادي مَرّ ولحقهم صبيحة اليوم الثاني، محفظ[٦] بالمثاني، ثم تَوَجَّه إلى خُلَيْص ومِنْه إلى رابغ، ورحل بعساكره المنصورة وأقام بمَسْتُورة، وسرى غزية على جبل صُبْح[٧]، فغنموا مواشي أهل تلك الدايرة[٨]، وعادوا إليه وهو في مَسْتُورة.

وأمَّا طايفة عُتَيْبَة فإنَّهم يصلون البنادر، وينهبونها قبل وصول العساكر، فأقام أيامًا على مَسْتُورة بحالة مُجملة مَسْتُورة، أمر على جميع عُتَيْبَة أنْ يُقِيْمُوا بالحُدَيْبِيَّة، وأمَّا حَرْب فقد تَجَمَّعُوا مِن كُلِّ مكان ناوين على قتاله متى وصل فاستبطؤه[٩] وطالت الإقامة، ولم يعلموا قصده ومرامه، فظنوا أنَّه لم يتأخَّر عنهم إلا خوفًا مِنْهم، وخطر ببالهم أنْ يَدْهَمُوه في محلّه، وأنَّهم يظفر

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: عزائمهم.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: فَرَسان.
(٣) ١٣ رجب ١٢٠١هـ/ ٣٠ أبريل ١٧٨٧م.
(٤) ٢١ رجب ١٢٠١هـ/ ٨ مايو ١٧٨٧م.
(٥) كذا في الأصل، والصواب: الخزائن.
(٦) كذا في الأصل، والصواب: محفوظًا.
(٧) **جبل صُبْح**: جبل يقع غربي المدينة المنورة، على بعد مائة كيلًا عن قرية بدر، وعُرِفَ بهذا الاسم نسبة إلى بني صبح مِن قبيلة حرب. عاتق البلادي، **معجم معامل الحجاز**، ص ٢٩٧.
(٨) كذا في الأصل، والصواب: الدائرة.
(٩) كذا في الأصل، والصواب: فاستبطأوه.

بخزاينه(١) وحلّه.

فحرَّكهم داعي الغي والغوى، وتركهم الرشد واتباع سبيل الهوى، واجتمع مِن أولئك الأجْلاف نحو ثمانية آلاف، وما أراهم إلا كالباحث على حتفه، والقاطع مآرف أنفه بكفه، فأقْبَلُوا مِن مواضعهم على عُتَيْبَة في ثلاثة عشر شعبان(٢)، وأحاطوا بهم مِن كُلّ مكان، وكان منزلهم نازحًا عن العرضي بسويعات، وفات مِن الفريقين مَن دنى أجله بالوفاة، فعند ذلك صاح مُستنجدهم بالشريف، وقد ظهر الفرار عليهم والتزييف، فنهض صاحب الترجمة كما ينهض الأسد بعزمه القوي ورأيه الأسدّ، واستنجد الكُمَاة مِن بني عمّه السادة الهاشميَّة، والضياغم أهل الحميَّة / ق١٢٦/ وكل مَن كان معه بذلك النادي، مِن العسكر والمراجل والبوادي، وانساب كما ينساب الأُفْعُوان.

وشَمَّر للحرب العوان، وفرغ لهم الذهب الأصفر النافع في اليوم الأَسْود، فرموا أنفسهم في الموت الأحمر للخناق الأزرق، فلمَّا رأوا عيون البُوم، وداعي المَنِيَّة يحوم في اليوم الشوم(٣)، ونادى عليهم وعيون القوم شاخصة، كُلّ مَنْ قطع رأسًا فله خمسة مشاخصة؛ فتتابعوا للقتال كأنَّهم ناشطون مِن عقال، فلم يكن إلا كلمحة شارق، أو لمعة بارق، إلا والروس(٤) بين يديه منشالة، بتخضيب الصفايح والرماح العسالة، وقتلوا فيهم القتل الشنيع، فلو عاينهم ذو الرُّمَّة(٥) لا يستطيع،

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: يظفرون بخزائنه.

(٢) ١٣ شعبان ١٢٠١هـ/ ٣٠ مايو ١٧٨٧م.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: الشؤم.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: الرءوس.

(٥) ذُو الرُّمَّة: أبو الحارث غيْلَان بن عقبة بن بُهَيْس، والرُّمَّة هو الحبل البالي، مِن فحول شعراء الطبقة الثانية، عاش في العصر الأموي، ولد حوالي عام ٧٧هـ/ ٦٩٦م، أكثر شعره تشبيب وبكاء أطلال، وكان مُقِيمًا في البادية، يحضر إلى اليمامة والبصرة كثيرًا، وامتاز بإجادة التشبيه، توفي في أصبهان، وقيل في البادية عام ١١٧هـ/ ٧٣٥م. عبد اللَّه بن قتيبة =

وما أراه إلا مثل يوم النحر مِن كثرة الجلاد، أو يوم تَمُجَّ القتلى دمايها[١] بدجلة بغداد، فأخذته الشفقة لكثرة القتلى، وقال الربط مِنْهم أولى، فنادى عليهم المربوط دون المقتول، بِمَا وقع عليه القول، فانبهرت الناس في الحال، وأخذت معها الأحبال، فلم يكن إلا كلمحة طرف أو إيما[٢] بكف، حتى رأيت مِنْهم مربوطين كالغنم، فما غربت شمسها حتى تمزّقت تلك الفئة، وربطوا ما ينوف عن الخمسمائة، فعاد إلى مُخَيَّمه قرير العين، بعد أنْ أذاقهم الحَيْن، وجعل يتعرض المرابيط، ويسالهم عن أسمايهم[٣]، ومِن أيّ القبايل[٤]، ويأمر بوضعهم في الأغلال والسلاسل، وجاء الخبر إلى مكة بطيب الأرج، مع نجَّابه الشيخ سليمان بن أبي بكر أبو الفرج[٥]، وافتدى يومها بالسَّمّامِير[٦] الفاخرة، والنقود المُتكاثرة، ثم بعد أيام وصلت المرابيط في الزعايم مُصَفَّدِين، وكُبْكِبُوا في الحبس أجمعين.

[إخضاع قبائل وادي الفرع، والصفراء، وبدر، والسويق، ويمبع]

وفي الحادي عشر مِن رمضان[٧] وصل مكة جماعة مِن عُتَيْبَة وهُذَيْل مُتنكرين[٨] السّمة، هاربين مِن صاحب الترجمة، فقبض على بعضهم وكيل الشريف الذي بمكة، وبعضهم هرب ولم يوغل خلفهم الطلب، وأخبروا أنَّ

= الدينوري، **الشعر والشعراء**، ١/ ٥٢٤-٥٣٦؛ خير الدين الزركلي، **الأعلام**، ٥/ ١٢٤.

(١) كذا في الأصل، والصواب: دماؤها.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: إيماء.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: ويسألهم عن أسمائهم.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: القبائل.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: أبي الفرج.

(٦) أيّ فراء حيوان السَّمُّور، وقد سبق التعريف به.

(٧) ١١ رمضان ١٢٠١هـ/ ٢٦ يونيو ١٧٨٧م.

(٨) كذا في الأصل، والصواب: مُتنكري.

الشريف تَوَجَّه على الفُرُع[١] وملكه بغير قتال، وهرب أهله مِن تلك الخلال، فحرق بعض الدور، وقطع نخيلات مِن نخل ابن جود اللّه المشهور، فعندما سمعوا جاوا[٢] يهرعون إليه طالبين السماح، ومعهم شيخهم شيخ بدر والصفرا[٣] وتلك البطاح، فتَوَجَّه إلى مَسْتُورة، بتلك الجيوش / ق١٢٧/ المنصورة، وأقام بها أيامًا رحب الصدر، ثم تَوَجَّه إلى بدر فلقيه أهلها بالإطاعة والإذعان، وأعطاهم الأمن والأمان، ثم ارتحل إلى يمبع النخل، ثم تَوَجَّه إلى السُّوَيْق[٤]، وخَيَّم تجاه البندر[٥]، وأحاط عليه بالجنود والعسكر، فأخرجوا حريمهم مُتدخلين عليه ومُسْتجيرين، وتقدمت مِنْهُنّ اثنتان، وقالتا: أتينا طايعين[٦]، فآوى إليهن ومنعهنّ القوم، وقال: لا تثريب عليكم اليوم.

ولزم في حضور ابن جُبَارة، ليريه عجزه ويعرفه مقداره، ولو مِن أيّ خرارة، فنودي عليه في أنحاء العرب بالطلب، فخرج مِنْها خايفا[٧] يترقَّب، فلمَّا مثل بين يديه جلس بغير استئذان فصاح عليه صيحة أرعده، فما قام إلاّ كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان، فأخذ يَتَعَذّر وهو يوبخه، ويذكره قوله: الشام شامنا واليمن يمننا بذلك الأنف الذي كان يشمخه، ثم قال له: لا بدُّ مِن دخولي هذه البلد، بجمع كثير العدد، والنكال يقوم مقام القتال، وقد سمحت رحمة للنساء والأطفال، والتزم له بهذا الشرط أنْ لا يقع خلاف، وذهب إلى

---

(١) **الفُرُع**: وادٍ من أطول أودية الحجاز، وأغناها عيونًا، يبعد عن المدينة ١٥٠ كم جنوبًا. يأخذ أعلى مساقط مائه مِن حرَّة بني عمرو، ويسمَّى أيضًا بوادي النَّخْل لكثرة نخيله، ويسكنه بنو عمرو مِن حرب، ومِن قراه: أبو ضباع، وأم العيال، والمضيق، والفَقير. عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ص ١٤١٣-١٤١٧.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: جاءوا.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: الصفراء.

(٤) **السُّوَيْق**: قرية تقع في ينبع النخل، عُرِفَت بهذا الاسم حيث كانت تقام فيها سوق عامرة وما تزال قائمة حتى الآن، يشرف عليها من الشمال جبل رضوى، وتبعد عن ينبع البحر ٥١ كيلاً، ويسكنها قبيلة جُهَيْنَة. عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ص ٨٥٣.

(٥) يقصد بَنْدَر ينبع.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: طائعين.

(٧) كذا في الأصل، والصواب: خائفًا.

جماعته وأخبرهم بِمَا صار، وعاد راضيًا مختار[١]، فدخلها بعض جماعته أشرافًا وأطراف[٢]، وحذرهم مِن وقوع الخلاف، فحصلت غفلة بغير اطلاعه، مِن بعض أشياعه وأتباعه، فأوجبت النقض، وحرك البعض إلى البعض، فلمَّا بلغه جعل يضرب في جماعته حتى بالسيف، ويوبخهم على فعل الزيف، فما أجدى بعد أنْ ثار الرمي ولم يفد، وانفرط الأمر كما ينفرط العقد، فزاد الحال واتسع الخرق، ولم يقدر على جمع ما تفرق، فخرجوا هاربين مِن البلد، وفاز بعمره مَن شرد، وأسرعوا بالانهزام، حتى وصلوا إلى الخيام، ولم يزل القتال بينهم إصدارًا وإيراد[٣]، والحرب سجال لدى الأجناد، حتى ظفر بهم صاحب الترجمة، ونقض سور عزمهم وهدمه، فملكها على أحسن الحالات وأجمل الأوضاع، وداسها بالأخيار والأوضاع، [ونهب كُلّ ما فيها وضاع، وخمد دخان الشرّ الذي ضاع][٤] وقُتِلَ مِن الطرفين مَن دنا مِنْه الحَيْن، وقبض على سبعين، وأرسلهم في الحديد مُصَفَّدين، وارتحل إلى يمبع البحر، فارغ الفكر خالي البال، وأقام بها حتى شوال[٥].

[زيارة الشريف سرور للمدينة المنورة]

ثم ارتحل إلى بدر ومَنْه إلى الخَيْف، / ق١٢٨/ وقد جرد عنه عزمه إلى السيف، فوجد أهلِه مترّسين على شواهد الجبال، وظنوا أنَّهم مانعتهم

(١) كذا في الأصل، والصواب: مختارًا.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: أطرافًا.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: إيرادًا.
(٤) ما بين القوسين المعقوفين زائدة في النسخة (ب)، ورقة ٩٢.
(٥) شهر شوال ١٢٠١هـ/ ١٦ يوليو - ١٣ أغسطس ١٨٧٨م. ويذكر الجبرتي ضمن أحداث هذا الشهر، أنَّ الشريف سرورًا أرسل رسالة، «يخبر فيها بعصيان عرب حرب وغيرهم، وقعودهم على الطريق، ومنعهم السبيل، ويحتاج أنَّ أمير الحاج يكون في قوة واستعداد، وأنَّ الحرب قائمة بينهم وبين الشريف، وخرج إليهم في نحو خمسة عشر ألفًا». وفي موضع آخر يذكر أنَّه وردت رسالة أخرى من الشريف يخبر فيها بانتصاره على العرب وهزيمتهم، وأنَّه قتل منهم نحو ثلاثة آلاف. انظر: عبد الرحمن الجبرتي، **عجائب الآثار**، ٢/ ٢١٨، ٢١٩.

حصونهم مِن القتال، وقد جعلوا ردمًا في الطريق الذي بين الجبلين سدًّا، وظنوا أنَّه لا يستطيع له هدًّا، فعدت الجنود على السد كما يعدي السَّلِيْك ابن سُلَكَة[١]، ونقضوا البنا[٢] بأدنى حركة، فانفتح الطريق وسلك، وحرق بعض الدور بعد ما مَلَكَ، وأسر نحو العشرين، وهرب شيخهم اللعين، وتم المقصود بحرق نخل محمود.

وأرسل نجَّابًا مُبَشِّرًا بهذا الخبر، وهو السيد عبد الوهاب الصِّيرفي كاتب الصرّ، وذلك أنَّه مَلَكَ الخَيْف ونهبه وقَتَل وأسر، فأخرج الناس بالخبر وأسر.

وأرسل لمولانا المُفتي عبد الملك، مُفتي بلد اللَّه تعالى الأمين، وطلبه لزيارة سيد المرسلين، فتَوَجَّه للزيارة التي هي مِن أعظم القرب، ونال بالوقوف بين يديه - صلى اللَّه تعالى عليه وسلم - أَسْنى الرتب.

ثم تَوَجَّه مِن الخَيْف إلى المدينة المنوَّرة، زادها اللَّه تعالى تعظيمًا وإجلال[٣]، ودخلها في سبعة عشر مِن شوال[٤]، فقابله أهلها بالقبول، وهبت عليه ريح الصَّبَا والقَبُول، وقصد قبر جده سيد البرية، وأدى ما يجب عليه مِن التحية، وأقام في ساحة المقام السامي، إلى دخول الركب الشامي، ولم يتعرض لأهل المدينة بنقض ولا حل، ولا تولية ولا عزل.

[امتناع والي الحج الشامي عن إلباس الخِلْعة للشريف في المدينة]

وكان والي الحج الشامي أسد الهيجاء الذي لا يتحاشى، بطال حسين

---

(١) **السَّلِيْك بن سُلَكَة**: السَّلِيْك بن عمير السعدي التميمي، مِن شعراء العصر الجاهلي، واشتهر بابن سُلَكَة نسبة إلى أُمِه، وكان مِن أدَلّ الناس بالأرض وأعلمهم بمسالكها، وأجودِهم عَدْوًا على رِجْلَيه؛ ولذلك ضُرِبَ به المثل فقيل: أعْدَى مِن السَّلِيْك، وكان لا يغير على مضر، وإنما يغير على اليمن، فإذا لم يمكنه ذلك أغار على ربيعة، قتله أسد بن مدرك الخثعمي حوالي عام ١٧ق.هـ/ ٦٠٥م. عبد اللَّه بن قتيبة الدينوري، **الشعر والشعراء**، ص ٣٦٥-٣٦٨؛ خير الدين الزركلي، **الأعلام**، ٣/ ١١٥.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: البناء.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: إجلالًا.

(٤) ١٧ شوال ١٢٠١هـ/ أوَّل أغسطس ١٧٨٧م.

باشا[١]، فجاءه مرسول الشريف يطلب الخلعة التي يعتاد لبسها بمكة، وأجابه لذلك ثم امتنع[٢]، وما أراه إلا لأمر بينهم قد وقع، فعالج والي الحج على أن يلبسه إلا هنا بالمدينة بأشدّ العلاج، فما قبل قوله ولا راج.

ثم تَوَجَّه الحج قاصدًا حما الحرم، والبيت الشريف المعظّم، وخرج بعده بيوم بِمَا معه مِن القوم، والتقى بالحج المصري[٣] يوم بدر تخفق عليه رايات النصر، كيف لا والشريف سرور قد مهَّد تلك الأراضي وطَيَّبها لِكُلّ غريب، حتى صارت الشاة ترعى مع الذيب[٤]، ولم يستطع أحدٌ مِن حَرْب يَتَعَرَّض لحجاج المسلمين، خوفًا مِن سطوة أسد العرين.

ودخلت الحجوج مكة سادس ذي الحجة[٥]، وأناخوا يومين بساحة البيت المحرم، وتَوَجَّهوا إلى الموقف الأعظم، وأمَّا الشريف فما صعد إلاَّ بعد صلاة العصر/ ق١٢٩/ في اليوم التاسع[٦]، وصلى المغرب بعرفة، وكرَّ

---

(١) **بطال حسين باشا**: حسين باشا بن علي باشا والي إيالة أرضروم، من القادة المشهورين الشجعان، كان رجلاً عاقلاً عادلاً، ولي على حلب في شوّال ١٢٠٠هـ/ أغسطس ١٧٨٦م، ثم عُزِل وولي على دمشق، فدخلها في ٧ ربيع الآخر ١٢٠١هـ/ ٢٦ يناير ١٧٨٧م، وخرج بقافلة الحج عام ١٢٠١هـ/ ١٧٨٧م، ولم يلبث في الحكم طويلاً؛ حيث عزل في جمادى الأولى ١٢٠٢هـ/ فبراير ١٧٨٨م. كامل بن حسين الحلبي الغزي، **نهر الذهب في تاريخ حلب**، ج٣، المطبعة المارونية، حلب، د.ط، د.ت، ص ٣٠٨-٣٠٩؛ صلاح الدين المنجد، **ولاة دمشق**، ص ٨٦.

(٢) يبدو أنَّ أمير الحج الشامي قد امتنع على ذلك لأنَّه خشى أنْ يخالف الدولة لأنَّ إلباس الخِلْعة السلطانية مقرها في مكة، كذلك عرف ما يرمي إليه الشريف خاصة بعد الحملة الكبرى التي قام به لتأديب قبيلة حرب، كما أنَّ وجود مفتي مكة في المدينة أثناء التنصيب رُبَّمَا يحمل رسالة لأهل المدينة المنورة بالنسبة للشريف؛ فامتنع صاحبنا عن التنصيب، وتَوَجَّه إلى مكة بقافلة الحجيج.

(٣) كان أمير الحج غيطاس بك، خرج بالمحمل في ٢٤ شوال ١٢٠١هـ/ ٩ أغسطس ١٧٨٧م، وعاد في ١٩ صفر ١٢٠٢هـ/ ٣٠ نوفمبر ١٧٨٧م. عبد الرحمن الجبرتي، **عجائب الآثار**، ٢/ ٢١٩، ٢٣٣.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: الذئب.

(٥) ٦ ذو الحجة ١٢٠١هـ/ ١٨ سبتمبر ١٧٨٧م.

(٦) ٩ ذو الحجة ١٢٠١هـ/ ٢١ سبتمبر ١٧٨٧م.

في الحال راجع(١).

ولمَّا كان اليوم الرابع والعشرون(٢) تَوَجَّه الحج الشامي إلى مدينة سيد المرسلين، ولم يطب بعده لوالي المصري مقام إلاَّ خمسة أيام(٣).

[صدقات مِن سلطان المغرب وحكام الهند]

وفي موسم هذا العام، وردت ثلاثة(٤) صدقات لأشرف البقعات: صدقة مِن سلطان المغرب كفت أهل المدينة كافة على سبيل العموم، وأفراد(٥) مِن أهل مكة نالوا مِنْها شياء معلوم(٦)، ومنها شيء عظيم لأهل اليمن(٧)، وأهل يمبع وحضر موت وعدن(٨)، فوزعها وزعته ولا أعلم لها كمية، والصدقة

(١) كذا في الأصل، والصواب: راجعًا.
(٢) ٢٤ ذو الحجة ١٢٠١هـ/ ٦ أكتوبر ١٧٨٧م.
(٣) ٢٩ ذو الحجة ١٢٠١هـ/ ١١ أكتوبر ١٧٨٧م.
(٤) كذا في الأصل، والصواب: ثلاث.
(٥) كذا في الأصل، والصواب: وأفرادًا.
(٦) كذا في الأصل، والصواب: شيئًا معلومًا.
(٧) أرسل حاكم اليمن الإمام المنصور، مندوبًا مِن لدنه وهو أحمد بن إسماعيل حنش، إلى الشريف سرور ليقبض هذه الصدقة الواردة مِن المغرب، فلمَّا وصل كان الشريف في مرض موته، فلمَّا مات قبضها مِن أخيه الشريف غالب ابنِ مساعد. انظر: لطف اللَّه جحاف، درر **نحور العين**، ص ٢٤٤-٢٤٥، ٦٣٩. ويبدو أنَّ هذه الأموال التي أرسلها المولاي محمد بن عبد اللَّه كانت تتعرض للضياع والتبديد ولا تصل إلى المستحقين؛ ولذلك قام المولاي بعد ذلك بإرسال الأموال إلى إستانبول حتى ترسلها بمعرفتها إلى الحرمين الشريفين، وتوزعها على المستحقين، ولا يحدث ما حدث في المرات السابقة. محمد عبد اللطيف هريدي، **شئون الحرمين**، ص ٩٨-٩٩، وانظر: **ملحق الوثائق**، وثيقة رقم (٢).
(٨) **عدن**: أهم المدن الساحلية اليمنية، وتقع شرقي باب المندب. اكتسبت أهميتها مِن موقعها الاستراتيجي القابض على الفتحة الجنوبية للبحر الأحمر، ومكانتها كأعرق ميناء بحري وتجاري بين الشرق والغرب، وهي مدينة تقوم على شبه جزيرة صخرية بركانية، تحيط بها الجبال من ثلاث جهات. وبهذه الصفة تميزت عدن عن بقية الموانئ اليمنية بموقعها الاستراتيجي المُسَوَّر بالجبال والمعزول تقريبًا بماء البحر عن البَرِّ. إبراهيم المقحفي، **معجم البلدان والقبائل اليمنية**، ٢/ ١٠٢٥-١٠٢٨.

الثانية مِن الهند: أرسلها محمد علي خان فأظهروا مِنْه ماية[1] ألف غرش وخان فيها مَن خان، والصدقة الثالثة مِن الهند: أرسلها نظام علي لأهل مكة، وقدرها أربعة وعشرون ألف مشخص فرقت، وكُلّ أخذ مِنْها مَخَص[2].

وفي هذا الموسم ألْبس كبير أغا قيمقام البَنْدَر المعمور، وسلك سلوكًا أرضى الجمهور.

❑ ❑ ❑

(١) كذا في الأصل، والصواب: مائة.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: مخصًا.

[أحداث سنة ١٢٠٢]

[ختان أولاد الشريف سرور ومعهم ولد أخيه]

وفي اليوم العاشر مِن ربيع الأول[١] ختن صاحب الترجمة أولاده ومعهم ولد أخيه، وتم له ختان لم يسبق مثله لذويه، فألْبس الملابس الفاخرة لِكُلّ مَن حضر الختان، ونثر مِن الذهب والفِضة نثارًا ينطق به لسان المزمار، وأمر أهل الحارات يعرضون عليه وكُلّ مَن يعرف شيا[٢] مِن الملاعيب، وهو ينثر عليهم النثار الذي تقرّ به العين وتطيب، ومِن بعد صلاة المغرب ينتصب الديوان بالعساكر، والنوبة تضرب بأنواع المزامِر[٣].

ولم يتأخَّر أحد عن الحضور في ذلك النادي مِن الحضور والبوادي، وعرضت عليه جماعة مِن السادة الأشراف فألبسهم جميعًا ابناشًا وأصواف[٤]، وأعطاهم صُرة مِن الدراهم تُوَزَّع لِمَن حضر مِن بادية وحضر، ولم يزل كُلّ يوم وليلة على هذا النظام البديع إلى السابع والعشرين مِن ربيع[٥]، وأولم للسادة الأشراف وللعُلماء وبياض الناس وليمة منظمة، وصنع فيها مِن أنفس المآكل وخيار الأطعمة، وأوْلَم لجميع عساكره وأشياعه وعبيده وأتباعه وأطلق في هذه الوليمة، وما استخصّ أحد[٦]

(١) ١٠ ربيع الأول ١٢٠٢هـ/ ١٩ ديسمبر ١٧٨٧م.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: شيئًا.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: المزامير.
(٤) كذا في الأصل، والصواب: أصوافًا.
(٥) ٢٧ ربيع الأول ١٢٠٢هـ/ ٥ يناير ١٧٨٨م.
(٦) كذا في الأصل، والصواب: أحدًا.

بهذه العزيمة.

[احتفالات وولائم في مكة]

وفي سبع وعشرين[١] أمر جميع عساكره وخَيَّالته أنْ يحضروا بباب دولة إمارته، وأمرهم أنْ يطوفون[٢] بأكناف البلاد، في موكب عظيم وآلاي منظم، فخرجوا بأفخر الملابس /ق١٣٠/ وأحسن السّمة، مشاة وركبانًا على الخيول الْمُسَوَّمَة، مُصْطَفين كُلّ أربعة خَلْف أربعة، مُقَدَّمًا أمام الجيش سبعة مِن المدافع تسير معه، ولم يبقَ أحد مِن أهل المدينة حتى خرج يوم الزينة، ولما عادوا إلى داره العامرة، ألْبس الجميع أَسْنى الملابس الفاخرة، ونثر يومها مِن الدراهم ما أغنى به كُلّ صعلوك، وقال الرائي لذلك: هكذا شان[٣] الملوك.

وفي غُرَّة ربيع الثاني[٤] جعل فرحًا عظيمًا، ووليمة للنسا[٥]، دعى المغنيات وأكساهن أفخر الكسا[٦]، فهرع نساء البلد متبرجات على الغناء متفرجات، وأكل مِن الوليمة كُلّ مَن حضرها مِن بواديها وحضرها، والمغنيات يغنين للنسا[٧] بأنواع الألحان، كتغريد الطيور في الأغصان، وما زال الضرب على هذا التوقيع إلى ثلاثة أيام خلون مِن ربيع، وكان خاتمة الفرح والسرور، وقد تمّ له ما لم يتم لغيره، فليخش عواقب الأمُور،كما في المثل المشهور:

إِذَا تَــمَّ أَمْــرٌ بَــدَا نَقْصُهُ
فَحَاذِرْ زَوَالًا إِذَا قِيلَ تَمّ[٨]

---

(١) ٢٧ ربيع الأول ١٢٠٢هـ/ ٥ يناير ١٧٨٨م.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: يطوفوا.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: شأن.
(٤) غُرَّة ربيع الآخر ١٢٠٢هـ/ ٩ يناير ١٧٨٨م.
(٥) كذا في الأصل، والصواب: للنساء.
(٦) كذا في الأصل، والصواب: الكساء.
(٧) كذا في الأصل، والصواب: للنساء.
(٨) البيت لأبي العَتَاهِيَة، انظر: محمد بن أيدمر المستعصمي، **الحماسة المغربية**، ٢/ ٢٩٥.

ثم لم يمضِ له مقدار أسبوع، حتى أجرى الزمان حكم الأيام في النكس والرجوع، فتَغيَّرَت تلك الأفراح وذهبت، واسترجعت الأيام ما وهبت، ودارت أدوارها، وتقَلَّبت أكوارها، وتبدل السرور بالكدر، ولا محيص عمَّا جرى به القدر، فحصل عليه إغماء غيَّبه عن الوجود، وكدر المنهل العذب بعد الورود، فكتموا أمره عن الناس دون العاني، إلى اليوم الرابع عشر مِن ربيع الثاني[١].

[وفاة الشريف سرور]

وبينما الأيام تُضِيء كما تُضِيء الشموع، إلا وانعكس الأمر وانقلب الموضوع، فتوهموا أنَّه قد فات ومات، فأعلنوا بالنحيب، وأسالوا العبرات، فاضطربت البلاد لعظم المشقة، ووقع الجري في الأسواق والأزِقَّة، وشقّ على الناس موته بغتة، وقد أصابتهم بهتةٌ وأيّ بهتة، فهرعت العساكر إلى داره ينتشقون الخبر، ويلتمسون الأثر، والناس على بابه زُمَرًا، وقد سرى في قلوبهم مِن الوجل ما سرى، فمِن كثرة ضجيج الناس لهذا الأمر الشاق، حصل له صحوةٌ فأفاق، فنظر إلى الناس وهم في ذلك الميقاف، فشقّ عليه ذلك، وأمرهم بالانصراف.

فعند ذلك استبشرت الناس واطمنت[٢]، وحنَّت القلوب بعد ما أنَّت، لكن لم يفد وقد نفد السهم في أيام دولته وشق أستارها، / ق١٣١/ ويد المَنِيَّة أنشبت أظفارها، فلم يَعِشْ بعدها غير أربعة أيام، ثم هطل غصن دوحته الرطيب يدُ الحمام، فمات في اليوم الثامن عشر مِن ربيع الثاني عام ألف وماتين واثنين[٣] مِن هجرة سيد الكونين، وجرت دماء المدامع مِن كُلّ عين، ودفن بالمَعْلا بقبة السيدة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها بعد الإشراق، وأشرقت

---

(١) ١٤ ربيع الآخر ١٢٠٢هـ/ ٢٢ يناير ١٧٨٨م.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: اطمأنت.
(٣) ١٨ ربيع الآخر ١٢٠٢هـ/ ٢٦ يناير ١٧٨٨م.

الناس بدموعهم إشراق[١].

عاش مِن العمر نحو خمس وثلاثين سَنة كأنَّها قدر سنة، وتَوَلَّى مكة وهو حديث السن، وكان مُهَابًا تخافه الإنس والجن، ولم يليها[٢] أصغر مِنْه سنًّا، فيما رويته وما رأيته، وليها وعمره نحو عشرين سنة، وسار في الناس سيرة حسنة[٣].

وكانت مُدَّة ولايته خمس عشرة سنة وخمسة أشهر وثمانية أيام، فمضت على عجل كأنَّها طيف أحلام.

وَلَيتَ ذَاكَ السَّوادَ الجَونَ مُتَّصِلُ
قد اِستَعارَ سوادَ القَلْبِ وَالبَصَرِ[٤]

أعقب مِن الذكور على ما هو مشهور ابنه: عبد اللَّه[٥]،

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: إشراقًا.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: يَلِهَا.
(٣) يُوضح لطف اللَّه جحاف أنَّ خبر وفاة الشريف سرور وقع على أهل مكة وقع الصاعقة، بقوله: «وظنّ العامة في موته الظنون، وحلفوا باللَّه إنَّه اختفى، وأنَّه سيظهر من بعد». لطف اللَّه جحاف، **درر نحور العين**، ص ٢٥٠. ولعلّ في ذلك لأكبر دليل على محبّة الناس له، والسيرة الطيبة التي ساد بها بينهم.
(٤) البيت للفتح بن خاقان من قصيدة في ابن زيدون، انظر: شهاب الدين أحمد المقري التلمساني، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، ج١، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ص ٦٣٠-٦٣١.
(٥) **عبد اللَّه بن سرور**: أكبر أبناء الشريف سرور، وقد كانت لديه رغبة في تولي الشرافة بعد وفاة أبيه، فحارب عمّه الشريف غالبًا عام ١٢٠٤هـ/ ١٧٩٠م، ثم اصطلح معه، وبعد سنوات تَوَجَّه إلى إِسْتَانْبُولَ وحاول الحصول على تأييد السلطان في توليه الشرافة، ولكنه فشل، فظل هناك عدة سنوات، ولما علم باستيلاء الوهابيين على مكة، اتجه إلى الدرعية وحاول إقناع الأمير سُعُود فِي أَنْ يتولى شرافة مكة، ولكنه فشل أيضًا، وعندما طلب الرجوع إلى مكة، لم يأذن له سعود إلا بالتَوَجُّه إلى السُّوَيْرِقِيَّة، وبعد مضي ثلاث سنوات سمح له سعود بالعودة إلى مكة، ولكنَّ الشريف غَالِبًا منعه مِنْ دخولها، فاتجه إلى قرية الجال بالقرب مِنْ الطائف، وقضى فيها بقية حياته حتى توفي عام ١٢٣٩هـ/ ١٨٢٣م، ونقل إلى مكة، ودُفِنَ بها. أحمد زيني دحلان، **خلاصة الكلام**، ص ٢٩٣؛ جون لويس بوركهارت، **ترحال في الجزيرة العربية**، ١/ ٢٧٨؛ أحمد ضياء العنقاوي، **أعلام الأشراف**، ٢/ ١٥٩-١٦٠.



ويحيى[١]، وسعيد[٢]، وأحمد، ومحمد.

رحمه اللَّه تعالى، ورحم روحه ونَوَّر ضريحه، ولا زالت شآبيب الرحمة والرضوان، تنهل على قبره مدى الأزمان. ولم يعهد لأحد بعده بالْمُلْك، وترك المقادير تجري بالْفُلْك، فقام لها أخوه العاقل الفطين، وسليل علي الأنزع البطين، حضرة مولانا الشريف عبد المعين / ق١٣٢/ .

❐ ❐ ❐

(١) **يحيى بن سرور**: ولد في مكة، ونشأ بها، ولاه على شرافة مكة محمد علي باشا، بعد عزل عمّه الشريف غالب بن مساعد عام ١٢٢٨هـ/ ١٨١٣م، وقد كانت فترة شرافته هادئة، حيث ظلّ حوالي أربعة عشر عامًا، حتى قام محمد علي باشا بعزله في شعبان ١٢٤٢هـ/ فبراير ١٨٢٧م، ثم رحل إلى مصر عام ١٢٤٣هـ/ ١٨٢٨م، وأقام بها حتى وفاته عام ١٢٥٤هـ/ ١٨٣٨م، أعقب خمسة أبناء، وهم: حسين، وحسن، ومنصور، وشرف، وعبد المحسن. أحمد زيني دحلان، **خلاصة الكلام**، ص ٢٩٩-٣٠٨؛ عبد الستاري البكري، **فيض الملك الوهاب**، ص ٢٠٠٩؛ إسماعيل حقي، **أمراء مكة**، ص ٢٠١-٢٠٧.

(٢) **سعيد بن سرور**: ولد في مكة في حدود عام ١٢٠١هـ/ ١٧٨٦م، وتعلم فيها، ويوصف بأنّه كان رجلاً فيه صلاح، نائيًا بنفسه عن النواحي السياسية، وحين عزل أخوه الشريف يحيى عن شرافة مكة، عام ١٢٤٢هـ/ ١٨٢٧م، كان في الأربعين من عمره، وقد ورد اسمه ضمن الأشراف المرشحين لشرافة مكة في إحدى الوثائق، في ٢٦ ذي القعدة ١٢٤٢هـ/ ٢٠ يونيو ١٨٢٧م، ولم يتم له الأمر، توفي في ٦ جمادى الأولى ١٢٥٤هـ/ ١٨ يوليو ١٨٣٨م. وأعقب ابنين، وهما: محمد، وأحمد. أحمد ضياء العنقاوي، **موسوعة أعلام الأشراف**، ٢/ ٢٠-٢١.

[عهد الشريف غالب بن مساعد]

[نسبه وولايته الشرافة]

هذه ترجمة مولانا الشريف غالب بن الشريف مساعد ابن الشريف سعيد ابن الشريف زيد بن الشريف محسن بن الشريف حسين بن الشريف حسن بن الشريف أبي نمي، سَدَّد اللَّه تعالى سهام رأيه في أغراض الصواب، وفتح له بمفاتيح البيض والسُّمر مغلق كُلّ باب، فهو المَلِكُ الذي شرَّفه اللَّه تعالى بمزايا جَمَّة، وجعله مِن سلالة المُخاطب بِكُنْتم خَيْر أُمَّة، واختاره لحماية هذا الحرم، فشاع بذكره الركبان وحدا به الحادي وزمزم، وما زال قايما[1] لحماية الحرمين الشريفين، وباسمه ينوه في المقامين المنيفين، وما برحت ساحته محطّ الرجال، ومنتهى الآمال، ومَعْدِن الجود والكرم، والمقصد الذي لا يخيِّب مَن أمّ، وهو غاية الطلب وموسم أهل الأدب، قبلة الوفود وكعبة السماحة والجُود، نادرة الزمن، ونابغة بني حسن، وربّ الفصاحة واللسن، الذي سَنَّ الإغارة وشَنَّ درة الفلك، أرأف مَن سَلَكَ حِيْن مَلَكَ، منبع الجُود والإحسان، وصاحب المزايا الحسان، افتخرت بدولته الأيام، وتَحَلَّى جِيدها بطوق يهزء بطوق الحَمَام، هِمَته مقصودة على مجد يشيِّده أو حديث يستَرويه ويستورده، ينعقد على همته عقود الخناصر، وتثني على سيرته الدهور والعناصر، ويقصر عن مداه كُلّ ملسان، / ق١٣٣/ ولو جاء بالبيان عجزت الفصحاء عن إدراك بعض أوصافه، كما قصر باع السَّالفين عن أوصاف أسلافه، فَمَن عضّه الدهر بنابه فَلْيَلْذْ بجنابه ويقف ببابه، فسوحُ الأنورُ لأهلِ

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: قائمًا.

العلمِ الجامعُ الأزهر، مجمع الأدبا[١] ومأوى الغربا[٢].

كَـأَنَّـمَـا هُـوَ مَغْـنَاطِيْـس أَنْفُـسنَا

حَيْـث مَـا دَارَ دَارَت نَحْـوه الـصُّـور[٣]

ولم تزل أرباب الآمال بسوحه ينزلون، ومِن كُلّ حدبٍ إليه ينسلون.

تَـرَى النَّاس أفْـوَاجًـا عَلَى بَابه الأسْمَى

وَكَـم سَايِـل قَـدْ حَـلّ سَاحَته العُظَمَا

فَمَا خَاب مَن وَافَى حِمَاه مُؤمّلا

وَمَـن وَرَد الـبَحْر الْخضَم فَـلاَ يَظْمَا

ثم ينقلب إلى أهله مسرورًا ومجبورًا، بعد أنْ كان مكسورًا ناشرًا لواء الثنا[٤]، ظاهرًا عليه أثر الغنا[٥]، وهو ينشد معلنًا:

وَلَـمَّـا وَردنَـا لايـذين بسُوحه

أعَـان عَلَى جَـوْر الزَّمَان الَّذِي عَنا

وَردنَـا حِمَاهُ مُجدبين فَأخصبت

لَنَا الْعَيْش فَورًا حِيْنَ مَن وَلاَ منا[٦]

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: الأدباء.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: الغرباء.

(٣) البيت لا يعرف قائله، انظر: شهاب الدين أحمد بن محمد الخفاجي، **ريحانة الألبّا وزهرة الحياة الدنيا**، تحقيق: محمد الحلو، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط١، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٧م، ص ٤٠١.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: الثناء.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: الغناء.

(٦) لم أقف على قائله فيما لدي من مصادر، وهو قريب من قول لأبي الفرج الأصفهاني:

لـمَّـا انتجعنا لائذين بظلـه ... أعَـان وَمَـا عَنى وَمَـن وَمَـا منا

ردنا عَلَـيْـهِ مقترين فراشنا ... وردنا نداه مجدبين فأخصبنا

انظر: لويس شيخو، مجاني الأدب، ٥/ ٢٨٣.

فيأمن مِن نكبة الدهر كأنَّما صادف ليلة القدر، مُهَنَّئًا بجزيل وفره، منعمًا ببيضه وصُفره، ويعلم أنَّ أيام دولته مواسم بل للعفاة بواسم، وتاريخٌ للمجد والمكارم، كم سطرت الفضلاء في حُسن أوصافه رسايل[1] بأنَّ راحته نَهْر سايلٌ وما نَهَر قط سايل[2]، لا يلقاك إلاَّ بوجه طلق يسر القلوب، ويفرج كرب كُلّ مكروب، ويغفر للدهر ما جناه مِن الذنوب، ومع ما حواه مِن الإحسان والمحاسن، روضُ الفضل الذي غير آسن، لا يخيب مِن أمله وقصد ساحته وأمَّ له.

بَشَاشَةُ وَجْهِ الْمَرْءِ خَيْرٌ مِن الْقِرَى[3]
فَكَيْف إِذَا جَاءَ الْقِرَى وَهْوَ بَاسِمُ[4]

فكم معروف[5] مع ملهوف صنع، وما إِخَالُهُ إلا كالغيث أينما همع نفع، فهو البحر الذي تستمد الأنهار مِن أنهاره، والشمس الذي تستضيء بدور الكواكب بأنواره، كيف لا وهو سلطان إقليم الحجاز، وابن سلاطينها الذين ملكوها / ق ١٣٤/ حقيقة لا مجاز[6].

مِن آل زَيْد الَّذِي لَوْلاَ وُجُودهم
مَا قَرّت النَّاس فِي حِلٍّ وَفِي حَرَم

فهم مِن سادة سادوا بشرفهم ساداتِ البرية، وامتطوا سنام الجوزاء بهمتهم العليَّة، اختارهم اللَّه تعالى صيانة لِحَرَمه، وجيران بيته الحافظين لِحُرَمِه، لا زالت دولتهم مُرتبطة بارتباط الفلك السَّيار، وصولتهم تَزيد

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: رسائل.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: سائلًا.
(٣) **القِرَى**: ما يُقَدَّم إلى الضيف. **المعجم الوسيط**، ص ٧٣٢.
(٤) البيت لعبد العزيز الديريني، انظر: لويس شيخو، **مجاني الأدب**، ٣/ ١٤٨. وفيه:
بَشَاشَةُ وَجْهِ الْمَرْءِ خَيْرٌ مِن الْقِرَى   فَكَيْف بِمَن يَأْتِي وَهْوَ ضَاحِكُ
(٥) كذا في الأصل، والصواب: معروفًا.
(٦) كذا في الأصل، والصواب: مجازًا.

كازدياد النور في الشموس والأقمار، ولا زال السَّعد واقفًا ببابه، والحظ خادمًا لركابه، ولا انْفَكَّ طالعه سعيد[1]، وأيام دولته كُلّ يوم في تجْدِيد، وهو واسطة عقدهم الفريد.

ولي مكة يوم الخميس أذان ظهره، وحيعل داعي الفلاح بفتحه وبنصره، وكان العام والفصل مريعًا وربيع[2]، والشهر كثمان مِن ربيع سنة ١٢٠٢ ألف وماتين[3] واثنين، مِن هجرة سيد الكونين، صلى اللَّه تعالى عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين.

❒ ❒ ❒

(١) كذا في الأصل، والصواب: سعيدًا.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: ربيعًا.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: مائتين.

بيان الحوادث الواقعة في أيام دولة الشريف المترجَم أدام الله تعالى نعمه عليه وأنعم

[شراء الشريف غالب بُستانًا في المَعَابِدَة]

ففي اثنين وعشرين مِن شهر رجب[1]، عام اثنين بعد الألف والمايتن[2]، اشترى البُسْتان الذي بالمَعَابِدَة مِن السيد ماضي بن سليمان[3]، وعَمَّره فأتقنه غاية الإتقان، وغرسه بأنواع الغروس حتى صار نزهة للنفوس، وجعل في وسطه منزهًا عديم النظير، وكساه مِن الجهات الأربع ثوبًا أخضر، زرّدته أنامل المنثور بالأزاهير، فقصدته الشعرا[4] بأنواع القصايد[5]، وحلّت جِيده مِن جواهر النظم بالقلايد[6]، مِنْها قصيدة السيد سعيد بن مالك[7] تتيه حسنًا

(١) ٢٢ رجب ١٢٠٢هـ/ ٢٧ إبريل ١٧٨٨م.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: المائتين.

(٣) **ماضي بن سليمان**: ماضي بن سليمان بن يحيى بن سعد بن زيد النموي الحسني، ولد في مكة، ونشأ بها، ورُشِّح والده لشرافة مكة أثناء الصراع بين الشريف سرور ومراد بيك أمير الحج المصري. وأمَّا السيد ماضي فقد لمع نجمه في عهد الشريف غالب، عندما اشترى مِنْه الشريف بُستانًا يمتلكه في المَعَابِدَة، ثم صار أحد القادة العسكريين لديه إبَّان صراعه ضد الوهابيين، وفي نهاية الأمر انضمَّ إلى الوهابيين أثناء حصارهم مكة في عام ١٢٢٠هـ/ ١٨٠٥م - كما سيأتي ذكره - وفي شوَّال/ ديسمبر مِن العام المذكور دخل حربًا مع الوهابيين ضد قوات الشريف غالب، قُتِل خلالها ابنه السيد سليمان، وقُطِعَ رأسه وعُلِّق في أحد أسواق مكة لمدة يومين. أعقب السيد ماضي أربعة أبناء، وهم: يحيى، وسعد (أو سعيد)، وحسين، وحسن. أحمد الحضراوي، **تاج تواريخ البشر**، ٣/ ٣٩٧، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠٢، ٤٠٩؛ أحمد ضياء العنقاوي، **موسوعة أعلام الأشراف**، ٣/ ٦.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: الشعراء.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: القصائد.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: بالقلائد.

(٧) **سعيد بن مالك**: سعيد بن مالك بن ناصر بن أحمد بن محمد بن الحارث النموي، مِن=

بالسبع المَمَالك، ومِنَها قصيدة لصاحبنا العفيف بل الشاب الظريف عبد اللَّه بن أحمد شَلْهُوب[1] تأخذ بمجامع القلوب، ومِنْها قصيدة للسيد خضر صَحَرَا[2] أودعها مِن البيان سِحْرًا، ومِنَها قصيدة للسيد زين الخطاب كشف عن عرايس[3] مُخَدَّرَاتها النقاب، ومِنْها قصيدة للسيد سعد بن زيد العَتاوي أقَرّ بفضلها الحاضر والبادي، وقَفَوت أثر الجماعة بقصيدة على قدر البضاعة، وحسب الاستطاعة، ولولا خوف التطويل لأوردتها إليك وجلوت محاسنها عليك، / ق١٣٥/ لكن المدة قصيرة عن سَرد السِّيرة.

[زيارة الشريف لمدينة الطائف]

وفي خامس شعبان[4] تَوَجَّه إلى الطايف[5] قاصدًا زيارة العفيف، ومتفيئًا بظل روضه الوريف، فأقام أيامًا يستمد مِن فايض[6] مَدَدِه، إلى أنْ أعاده اللَّه إلى بلده.

= رجالات الأشراف في عهد الشريف غالب، ويبدو أنَّه كان ينظم الشعر، توفي في مكة المكرمة في ١٨ ذي الحجة ١٢٠٤هـ/ ٦ نوفمبر ١٧٨٩م، أعقب ابنين، وهما: مالك، وحسن. انظر: أحمد ضياء العنقاوي، **موسوعة أعلام الأشراف**، ٢/ ٢٥.

(١) **عبد اللَّه بن أحمد شَلْهُوب**: عبد اللَّه بن أحمد شَلْهُوب الزمزمي الحنفي المكي، الشاعر الأديب، اللوذعي الأريب، مِن أشهر أدباء الحجاز في القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي، وهو جد بيت شَلْهُوب الموجودين في مكة، وهو بيت قديم في حرفة الزمازمة. ولم يرد في المصادر المعاصرة ذكر لتاريخ ميلاده أو وفاته. عبد اللَّه ميرداد، **مختصر نشر النور**، ص ٣٠٢؛ عبد اللَّه المعلّمي، **أعلام المكيين**، ص ٥٦٨.

(٢) **خضر صَحَرَا**: السيد خضر ابن السيد يحيى بن سحرة المكي، مِن أدباء الحجاز، وله ديوان شعر، مدح الشريف غالب بن مساعد بالعديد مِن القصائد، وله تخميس على لامية العجم (قصيدة لامية لمؤيد الدين الطغرائي ت ٥١٣هـ)، ووصفه الحضراوي بقوله: «ينبوع الكلام ... صاحب البلاغة والقلم، أمير المعاني..»، وتوفي سنة نيف وثلاثين ومائتين وألف. أحمد الحضراوي، **نزهة الفكر**، ١/ ٣٦٩-٣٧١؛ عبد الستار البكري، **فيض الملك الوهاب**، ص ٥١٠.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: عرائس.

(٤) ٥ شعبان ١٢٠٢هـ/ ١٠ مايو ١٧٨٨م.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: فائض.

[وصول الخِلْعة السلطانيَّة للشريف غالب]

وفي التاسع والعشرين مِن ذي القعدة(١)، وصل أبو بكر أغا مهتار(٢) بالخِلْعة السلطانيَّة والفرمان مِن صاحب الخلافة، وهي أوَّل خِلْعة لبسها صاحب الشرافة، فأخرج لملاقاته العساكر المنظمة بالخيول المسوّمة، ودخلوا بموكب تضيء له الغياهب، ويزهو حسنًا على الكواكب، فنزل إلى المسجد الحرام، وأقام بين الركن والمقام، وحضرت السادة الأشراف المنتسبين(٣) إلى عبد مناف، والعُلماء والأعلام شموس الآفاق وبدور التمام، وقاضي الشريعة المُطهرة، والمفاتي الأربعة، وجميع الخواص مِن الأشخاص، فقرأ الفرمان العالي باسمه، وبرز مرسومه برسمه، ولبس الخِلْعة السلطانيَّة بالفرو السَّمُّور الجالب لأنواع السرور، ثم ألْبَس أرباب مناصبه في ذلك المقام، ومَن له معتاد مِن عهد آبائه الكرام، ثم أمر بزينةٍ ثلاثةَ أيام تبجيلاً لِمَا ناله مِن الإنعام.

[خروج بعض الأشراف على الشريف غالب]

وفي اليوم الحادي عشر مِن ذي الحجة(٤) أفرقه إخوانه وخرجوا جنح ليل، وتَوَجَّهوا بأتباعهم إلى جبال هُذَيْل، رامين حصول المكانة، وهي منحة مِن اللَّه سبحانه، فغابوا نحو ثمانية أيام وجاوه(٥) بهُذَيْل اليمن

---

(١) ٢٩ ذو القعدة ١٢٠٢هـ/ ٣٠ أغسطس ١٧٨٨م.

(٢) **مهتار**: أصله مهتر، لفظ فارسي معناه: رئيس القوم، وقد شاع استعماله منذ العصر الأيوبي كلقب أطلق على الكبير في كُلِّ طائفة. وفي العصر العثماني ضاق استعماله، لينحصر على ما له صلة بالفرقة الموسيقيَّة، فقد أطلق لفظ مهتارية على أفراد الفرقة الموسيقيَّة التي تتألف مِن تسعة شواش يضاف إليهم عازفو الآلات المختلفة، ويرأسهم ضابط يعرف بلقب: مهتار أغا أو مهتار باشي، ينتقى مِمَّن يتمتعون بأُذُن موسيقيَّة مرهفة ونَفَسٍ قَوي. مصطفى الخطيب، **معجم المصطلحات**، ص ٤٣١-٤٣٢.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: المنتسبون.

(٤) ١١ ذو الحجة ١٢٠٢هـ/ ١١ سبتمبر ١٧٨٨م.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: جاءوه.

والشام، وتَرَّسَوا بجبال المَفْجَر[١] وتلك الجِهات، فخرج لقتالهم بالسراة أُسُود الغابات، وأمَدَّه أمير الحج الشامي[٢] بنزر مِن العسكر، فالتقى الفريقين[٣] في تاسع عشر الشهر[٤]، وحصلت بينهما ملحمة، أسفرت عن انتصار صاحب الترجمة، وسطعت النيّران بفلكه، ودخل منصور[٥] إلى مَقَرّ ملكه، فأكرم العساكر وكساها، وناداه لسان الزمان لك مقرها ومرساها، وأمَّا إخوانه فقد أخذوا مِنْه ذمَّة، ووهنت حالتهم بعد تلك الهِمَّة، وتَوَجَّهوا إلى الطايف[٦]، واحتربوا مع وكيله فضيَّق عليهم غاية التضييق، ولم يمتنعوا إلا بحصن العَقِيق[٧].

ولمَّا بلغ صاحب الترجمة ما فعله الوكيل بِمَن لديه، بالغ في إكرامه وأثنى عليه، وأمَدَّه برتبة مِن العسكر تقوية وتحصينًا للبَنْدَر، ثم إنَّهم تَرَفَّعُوا / ق١٣٦/ عن العقيق والمنزه الأنيق، لموضع يقال له: بِسِل[٨]؛ وهو اسم على مُسَمّى، قد حاز نصيبًا مِن اسمه وسهمًا، فأقاموا به أيامًا وجمعوا

(١) **جبالُ المَفْجَر**: سهل يقع في أواخر مِنَى على يمين الصاعد إلى مزدلفة من بطن مِنَى مِن جهة مسجد الخيف، وجبال المَفْجَر يطلق على الجبال المحيطة بهذا الموضع. محمد الكردي المكي، **التاريخ القويم**، ٥/ ٢٩٩-٣٠٠؛ عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ص ١٦٣٦.

(٢) كان أمير الحج الشامي إبراهيم باشا والي دمشق، وقد تولَّى الحكم في ١٧ جمادى الآخرة ١٢٠٢هـ/ ٢٣ فبراير ١٧٨٨م، وخرج في الحج ثلاثة مواسم في أعوام: ١٢٠٢هـ/ ١٧٨٨م، و١٢٠٣هـ/ ١٧٨٩م، و١٢٠٤هـ/ ١٧٩٠م. وعُزل عن دمشق في صفر ١٢٠٥هـ/ أكتوبر ١٧٩٠م. صلاح الدين المنجد، **ولاة دمشق**، ص ٨٦-٨٨.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: الفريقان.

(٤) ١٩ ذو الحجة ١٢٠٢هـ/ ١٩ سبتمبر ١٧٨٨م.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: منصورًا.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.

(٧) **العَقِيق**: وادٍ يأخذ مِن جبل الغُمَير الذي يظلل الطائف وقت الغروب، ويمر بطرف الطائف مِن الغرب والشمال، وعليه أحياء مِن الطائف، ثم يعدل شمالاً، وفيه قرى مِنْها: المليساء، ولُقَيم، وأُم الحمضة، وملاكه الأشراف وبخاصة العبادلة، وفيه أخلاط مِن عُتَيْبَة، والحمدة مِن ثقيف ملاكه الأصليين. عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ص ١١٧٤-١١٧٥.

(٨) **بِسِل**: وادٍ يأخذ أعلى مساقط مياهه مِن جبال ناخرة وسلامة؛ وهو كثير القرى والمزارع والروافد، سُكَّانه العُصَمَة، والحشابرة، والجُعَدَة. عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ص ٢٠٦.

مِمَّا حوله أقوامًا، وأقبلوا على مكة مُجِدِّين، يطلبون الغفلة، وهيهات أنْ يغفل [الأسد عن](١) العرين؛ فلمَّا تحقَّق عنده الخبر، أمر بتجهيز المراجل والعسكر، وبرز تجاه بستانه الذي بالأبطح(٢)، وتَقَلَّد بصارم النصر وتوشح، وجعل في كُلّ ليلة يبيت بالمَعَابِدَة، وينزل إلى داره عند الصباح، ولسان السَّعد يحييه بحي على الفلاح، وتبقى العساكر والمراجل في المَعَابِدَة، لقتالهم مراصدة.

❒ ❒ ❒

(١) ساقطة في الأصل والإضافة من النسخة (ب)، ورقة ٩٩.

(٢) **الأبطح**: مسيل الوادي الواقع بين مكة ومِنَى، ويعرف بالمحصَّب، وخيف بني كنانة. انظر: عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ٣٩-٤٠.

[أحداث سنة ١٢٠٣]

[القتال بين الشريف والخارجين عليه]

ففي ثمانية مِن ربيع الأوَّل[١] جاءه المُستفزع إلى داره، يستصرخه ويخبره أنَّهم وصلوا الميدان، وجالوا وهَمُّوا بِمَا لم ينالوا، فركب مِن فوره بهِمَّة عليَّة عَلويَّة، وناهيك بهِمَّة الهواشم، وطلب أنْ يطلعوا معه هُذَيْل فامتنعوا إلا بتعجيل الدراهم، فعالجهم على الطلوع معه أشَدَّ علاج، فما أفاد قوله معهم ولا راج، فطلع وحده معتقدًا ومتوكلاً على مَن أولاه، عالمًا أنْ هُذَيْلاً تخذله وما النصر إلا مِن عند اللَّه؛ فقاتلهم العسكر وفازوا بالنصر قبل طلوعه، وأمَدَّهم اللَّه تعالى بالإعانة وكسروا إخوانه، ورجعت بواديهم مهانة، فبلغه الخبر وهو في أثناء الطريق، فلمَّا وصل ظهر له التحقيق، فحمد اللَّه تعالى على مزيد فضله وإحسانه، ثم إنَّ إخوانه بعد انكسارهم قصدوا وادي الزَّيْمَا، ومِنْه إلى ليّة ومِنْه إلى الأُخَيضر[٢]، وأقاموا فيه شهرًا ويومًا.

وفي نصف جمادى الأولى سنة ١٢٠٣ [٣]، عاملهم عُربان ثقيف، وأحربوا الطايف[٤] وكسروا وكيل الشريف، فأخذ مهلة مِنْهم ثلاثة أيام،

---

(١) ٨ ربيع الأوَّل ١٢٠٣هـ/ ٦ ديسمبر ١٧٨٩م.

(٢) **الأُخَيضر**: قرية في أسفل وادي العرج للعُصَمة مِن عُتَيْبَة، وعندها يسمى وادي العرج وادي الأخيضر، وهذا الوادي تختلط فيه قبائل: العُصَمَة والأشراف ذوو حراز، وعدوان وغيرهم. عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ص ٧٨.

(٣) ١٥ جمادى الأولى ١٢٠٣هـ/ ١٠ فبراير ١٧٨٩م.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.

وخرج مِن البلد وما بقى مِن عسكر الشريف أحد، فوصلوا إلى مكة على طريق كرا، وأناخوا برحاب سيدهم سامي الذرا، ثم بلغ صاحب الترجمة أنَّ إخوانه يجمعون في الجرود، وقصدهم يقاتلونه في يوم موعود، فأرسل صاحب الترجمة للعُربان وجمعهم مِن كُلّ مكان.

وفي اليوم التاسع عشر[١]، برز إلى المَعَابِدَة بالبيارق والعساكر، وخرج بمراجله / ق١٣٧/ كالأُسُود الكواسر، ولمَّا ثبت عنده أنَّ في غدٍ سيكون القتال، سَلَّم لكل واحد مِن العُربان سبع ريال[٢]، فوصله الخبر في غدٍ أنَّهم في عرفة، وأمزجتهم مِن القتال منحرفة، ومضى لهم فيها يومان، ورجعوا ناكسين إلى نَعْمَان، وأقاموا يومهم بقلب خايف[٣]، ثم ارتحلوا إلى الطايف[٤].

[انعقاد الصلح بين الشريف والخارجين عليه]

وفي الرابع والعشرين مِن الشهر[٥] المذكور، أرسل صاحب الترجمة لا زال منصور[٦] إلى إخوانه السيد ناصر بن مستور، ونايب[٧] قاضي الشرع، والمفاتي الأربع يتوسطون بينه وبين إخوانه بالصلح، ﴿وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞۗ وَأُحۡضِرَتِ ٱلۡأَنفُسُ ٱلشُّحَّۚ﴾[٨]، فأكرموا المراسيل، وأثنوا عليهم بالثناء الجميل، فعرضوا عليهم وقبلوا، وما توقفوا ولا تأملوا، واشترطوا عليه شروط[٩]، وكان مدار الأمر عليها منوط[١٠]، ثم نزلوا إلى مكة وأخبروه

(١) ١٩ جمادى الأولى ١٢٠٣هـ/ ١٤ فبراير ١٧٨٩م.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: سبعة ريالات.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: خائف.
(٤) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.
(٥) ٢٤ جمادى الأولى ١٢٠٣هـ/ ١٩ فبراير ١٧٨٩م.
(٦) كذا في الأصل، والصواب: منصورًا.
(٧) القرآن الكريم، **سورة النساء**، جزء من آية ١٢٨.
(٨) كذا في الأصل، والصواب: نائب.
(٩) كذا في الأصل، والصواب: شروطًا.
(١٠) كذا في الأصل، والصواب: منوطًا.

بِمَا اشترطوه، فتمَّم لهم الكلام الذي ربطوه، وأعادهم ثانيًا إلى الطايف[١] لتتمِيم الصلح، وتحصيل المسَرَّة والنُّجْح، فوصلوا إلى الطايف[٢] ونزلوا جميعًا إلى بلد اللَّه تعالى المحميَّة، وخرج لملاقاتهم صاحب الترجمة إلى العَابِدِيَّة، فَقَيَّلوا بها يومًا وباتوا إلى الصباح، ثم نزلوا في موكب مُعَظَّم تزهو به البطاح.

[ذكر ولاية السلطان سليم خان]

وفي هذا العام[٣] توفي مولانا السلطان، وخليفة رسول الرحمن، القايم[٤] بوظيفة الجهاد، والباذل نفسه في إصلاح العباد والبلاد، سُلطان السَّلاطين، ومالك الأقاليم والأساطين، دُرَّة تاج آل عثمان، وأشرف ملوك الزمان، مولانا السُّلطان عبد الحميد خان ابن المرحوم أحمد خان[٥]، أسكنه اللَّه تعالى فسيح جنته، وعامله بفضله ومنته، وأُقيم مقامه على

(١) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.

(٣) عام ١٢٠٣هـ/ أوَّل أكتوبر ١٧٨٨ - ١٩ سبتمبر ١٧٨٩م.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: القائم.

(٥) **السلطان أحمد الثالث** (١١١٥-١١٤٣هـ/ ١٧٠٣-١٧٣٠م): ولد في ٣ رمضان ١٠٨٣هـ/ ٢٣ ديسمبر ١٦٧٣م، تولّى الحكم في ٢٢ شعبان ١١١٥هـ/ ٣١ ديسمبر ١٧٠٣م، وقد دخلت الدولة في عهده في حروب عديدة ضد الروسيا والبندقية، وعقدت في نهاية الأمر الصلح مع الروسيا بمعاهدة باساروفجه ١١٣٠هـ/ ١٧١٨م، واسترجعت كذلك إقليم المورة، وقلعة آزاق، وفتحت عدة مدن مِنْ الأقاليم الإيرانية، وفي عهده تمَّ تأسيس أوَّل دار طباعة رسمية في إستانبول بعد إقرار المفتي لها عام ١١٤٠هـ/ ١٧٢٧م، وفي أواخر أيامه قام الإنكشارية بثورة في إستانبول في ١٥ ربيع الأول ١١٤٣هـ/ ٢٨ سبتمبر ١٧٣٠م، بزعامة بترونا خليل، وقاموا بقتل الصدر الأعظم، وأميرال الأساطيل البحرية، ثم أعلنوا عزل السلطان أحمد الثالث، ونادوا بابن أخيه السلطان محمود الأول؛ فأذعن السلطان أحمد، وتنازل عن الحكم بدون معارضة، وظلّ معزولاً حتى وفاته في ربيع الأوَّل ١١٤٩هـ/ يوليو ١٧٣٦م. محمد فريد، **الدولة العليَّة**، ص ٣١٢-٣١٩؛ أحمد آق كوندز وسعيد أوزتوك، **الدولة العثمانية**، ص ٣٣٥-٣٥١.

تخت الخلافة ابن أخيه القايم[1] بأمور الْمُلك على الأمر الذي يرضيه، دُرَّة تاج الخلفا[2] أهل العزم والوفا[3]، مَن أحيا ذكر الدولة العثمانية، وزادهم فخرًا ومَجْدًا ومَزِيَّة، مُنظم الأقطار الإسلامية، والذاب عن المسلمين بصولته القويَّة، ذو الهمة والعزم، والقوة والحزم، مولانا السلطان سليم[4] خان بن المرحوم مصطفى خان[5]، زاده اللَّه تعالى ثباتًا ومننًا، وأنبته اللَّه

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: القائم.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: الخلفاء.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: الوفاء.

(٤) **السلطان سليم الثالث** (١٢٠٣-١٢٢٢هـ / ١٧٨٩-١٨٠٧م): ولد في عام ١١٧٥هـ/ ١٧٦٢م، وتولّى السلطنة في ١٢ رجب ١٢٠٣هـ/ ٨ أبريل ١٧٨٩م، وهي مِن أخطر فترات الدولة العثمانية؛ حيث كانت الحرب على أشدها ضد النمسا والروسيا، وانتهت بتوقيع الباب العالي معاهدة زشتوي مع النمسا ١٢٠٥هـ/ ١٧٩١م، ومعاهدة ياش مع الروسيا ١٢٠٦هـ/ ١٧٩٢ م، وقد قام هذا السلطان - الذي يُعَدّ مِن السلاطين المُصلحين في الدولة العثمانية - بحركة إصلاح للأوضاع الداخلية، فأعلن عن تأسيس النظام الجديد عام ١٢٠٧هـ/ ١٧٩٣م، ولكن هذا النظام لم يؤتِ ثماره نتيجة معارضة الإنكشارية والعناصر الرجعية في الدولة، وتدهورت الأوضاع الخارجية للدولة حيث غزت فرنسا مصر ومكثت فيها الفترة ما بين عامي (١٢١٣-١٢١٥هـ/ ١٧٩٨-١٨٠١م)، وتمكّن محمد علي باشا (١٢٢٠-١٢٦٤هـ/ ١٨٠٥-١٨٤٨م) مِنْ انتزاع فرمان توليته مِن الباب العالي، واستطاع الوهابيون ضمّ الحرمين الشريفين إلى دولتهم بصورة نهائية عام ١٢٢١هـ/ ١٨٠٦م، وقام الصرب بثورة ضد الحكم العثماني في عام ١٢٢١هـ/ ١٨٠٦م، وفي أواخر عهده قام الإنكشارية بحركة عصيان داخلية ضده، وأجبروه على إلغاء النظام الجديد، ثم عزل السلطان المذكور في ٢١ ربيع الآخر ١٢٢٢هـ/ ٢٨ يونيه ١٨٠٧م، وتولى من بعده مصطفى الرابع، وقد ظلّ السلطان سليم الثالث بعد عزله على قيد الحياة، حتى توفي في ٤ جمادى الأولى ١٢٢٣هـ/ ٢٨ يونيه ١٨٠٨م. محمد فريد، **الدولة العليَّة**، ص ٣٦٣-٣٩٣ ؛ أحمد آق كوندز وسعيد أوزتوك، **الدولة العثمانية**، ص ٣٦٢-٣٨١.

(٥) **السلطان مصطفى الثالث** (١١٧٠-١١٨٧هـ/ ١٧٥٩-١٧٧٤م): ابن السلطان أحمد الثالث، ولد في عام ١١٢٩هـ/ ١٧١٧م، وتولّى الحكم في عام ١١٧٠هـ/ ١٧٥٩م، وكان شاعرًا، وخطاطًا، وعالمًا، وقد اهتم بأمور الدولة، وحاول علاج مشاكلها، وفكر في حفر قناة السويس، وأقام جامع «لاله لي»، وشهد عصره حركة استقلال علي بك الكبير فِي مصر، ومُنِيَت الدولة فِي عهده بعدة هزائم مِن الروسيا، انتهت باستيلاء الروسيا على رومانيا، وتقدمت مِنْها إلى بلغاريا، وقد أصيب السلطان جراء ذلك بالفالج، وتوفي في ٨ ذي القعدة ١١٨٧هـ/ ٢١ يناير ١٧٧٤م. محمد فريد، **الدولة العليَّة**، ص ٣٢٩-٣٤٠؛ أحمد آق =

نباتًا حسنًا، ووفَّقَه لجميع مصالح المسلمين / ق١٣٨/ وسدّد أموره - آمين - وأصلح أرباب دولته، ووفَّقَهم للنظر بزيادة صولته.

[مقتل الشيخ عبد السلام الحُريشي]

وفي يوم الجمعة مِن الشهر المذكور[١]، وقعت حادثة مِن الحوادث بمكة شرفها اللَّه تعالى، وجعل الخير على أهلها يتوالى، وهي أنَّ خطيب الجمعة الشيخ عبد السلام الحُريشي[٢] عندما نزل إلى المسجد الحرام، وكان بين المنبر والمقام، تعرض له بنقاليٌّ[٣]، قِيْلَ: مجنون، قبل الصلاة، وضربه سكينًا قطع بها أمعاه[٤]، فكانت هي القاضية الماضية، ووقع في المسجد ضَجَّة عظيمة حتى أشاع بعض العوام، أنَّ المهدي المنتظر ظهر بين الركن والمقام، وعمَّا قليل انكشف الإلباس، وتقَدَّم خطيبٌ آخر فخطب وصلى بالناس، وأمر صاحبُ الترجمة بصلب القاتل.

[وقوع منافسة بين والي جدة ووزير الشريف هناك]

وفي شهر شعبان[٥] حصلت منافسة بين والي جدة عزت محمد باشا

كوندز وسعيد أوزتوك، **الدولة العثمانية**، ص ٣٥٥-٣٥٧.

(١) شهر جمادى الأولى ١٢٠٣هـ/ ٢٧ يناير - ٢٥ فبراير ١٧٨٩م.

(٢) **عبدُ السلام الحريشي**: عبد السلام الحريشي الفاسي المغربي المكي. لم أعثر على ترجمه له، ولكن وجدت ترجمه لابن له ذكرها الزبيدي في معجمه، ويتضح مِن خلالها أنَّ والده دخل إلى مكة المكرَّمة، وأقام فيها، حتى صار مِن خطباء الحرم، وكان له أربعة أبناء، وهم: علي، والعربي، وعبد الخالق، وعبد الوهاب، والأخير كان ضريرًا، وفيه يقول الزبيدي: «لقيته في دروس شيخنا المرحوم أحمد الأشبولي في الجامع الصغير، وكان أكثر السؤال له في الدرس، وكان شيخنا يلتفتُ إليه كثيرًا، يجلّه». محمد مرتضى الزبيدي، **المعجم المختصّ**، اعتنى به وقابل أصولهُ: نظام محمد صالح يعقوبي ومحمد ابن ناصر العجمي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط١، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، ص ٤٤٧.

(٣) أي من بلاد البنغال المعروفة اليوم بنغلاديش. .

(٤) كذا في الأصل، والصواب: أمعاءه.

(٥) شهر شعبان ١٢٠٣هـ/ ٢٦ إبريل - ٢٤ مايو ١٧٨٩م.

وبين وزير الشريف سعيد؛ فأغلق الفُرْضَة[1] والقَبَّان[2]، وقَلَّد قاضي الشرع بالمقالِيد، فجعل القاضي ينزل الفُرْضَة لجمع العشور، ويضبط ما تحصَّل مِن المال المذكور.

[حبس الوزير ألماس رمضان]

وفي الخامس والعشرين[3] جاوا[4] بالوزير ألماس رمضان إلى مكة وسجن، وقيد بالحديد حتى امتهن.

[تعيين على بلح في النظارة]

وفي الثالث عشر مِن ذي القعدة[5]، ألْبس علي بلح على منصب النظارة، وتشرَّف بالخدمة على أقرانه.

[أخبار قوافل الحج]

وفي سادس ذي الحجة[6] وصل الحج الشامي وتلاه المصري، وحجت الناس وقضت المناسك، وعاد إلى وطنه كُلّ غريب وناسك.

❑ ❑ ❑

---

(١) **الفُرْضَة**: هي فُرْضَةُ البحر، أي أماكن محطّ السفن في الميناء. **المعجم الوسيط**، ص ٦٨٣.

(٢) **القبَّانُ**: الميزان ذو الذراع الطويلة المقسَّمة أقسامًا، ينقلُ عليها جسمٌ ثقيل يسمَّى الرُّمَّانة، لتعيِّن وزنَ ما يوزن. **المعجم الوسيط**، ص ٧١٣.

(٣) ٢٥ شعبان ١٢٠٣هـ/ ٢٠ مايو ١٧٨٩م.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: جاءوا.

(٥) ١٣ ذو القعدة ١٢٠٣هـ/ ٤ أغسطس ١٧٨٩م.

(٦) ٦ ذو الحجة ١٢٠٣هـ/ ٢٧ أغسطس ١٧٨٩م.

[أحداث سنة ١٢٠٤]

وانقضت السنة بخير، ودخل العام الجديد بحمد اللَّه المبدئ المعيد سنة ١٢٠٤[١].

[فتنة يحيى سلتوح]

وفي خمس وعشرين مِن جماد الأوَّل[٢]، حبس صاحبُ الترجمة مقدم أخيه يحيى سلتوح، سَدًّا لباب الفتنة التي في صفحات جبينه تلوح، ووضعه في قبو تحت الأرض في بيت ريحان الفروجي، وهو موضع فيه بياض النهار كليل الدُّجَا[٣]، فأقام فيه برهة مِن الزمن كُلّ يوم يفتقد، ففي أثنائها هَدَم بَالُوعَة المَطْهَر[٤]، ومِنْها شرد وتوارى في بيت أولاد الشريف سرور، وكان داعية لهذه الفتنة والشرور، فأقام أيامًا يرتب تراتيب الفساد، الذي ظهر في أشرف وادٍ، وصاحب الترجمة لم يعلم له مكان[٥]، وتَطَلَّبه فلمْ يجده، فظن أنَّه بان، وفي آخر ربوع مِن صفر[٦] أبدى ما رامه مِنْ الفساد وأظهر، وأغَرَّ عبد اللَّه ابن الشريف سرور/ ق١٣٩/ ، وحَثَّه على طلب المكانة، وتَكَفَّل له بالإعانة، وهو صغير السن لم يبلغ عمره اثني عشر سنة، غير مُكَلَّف بسيئة ولا حسنة،

---

(١) عام ١٢٠٤هـ/ ٨ سبتمبر ١٧٨٩ - ٢٠ سبتمبر ١٧٩٠م.

(٢) ٢٥ جمادى الأولى ١٢٠٤هـ/ ٩ فبراير ١٧٩٠م.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: الدُّجَى.

(٤) بَالُوعَة المَطْهَر: في العصر العثماني كانت المَطْهَرة المكان الذي يسكب فيه الماء للطهارة؛ أيّ الوضوء، والبالوعة المدخل الذي يفرغ فيه السقَّاؤن الماء من القِرب سواء على ظهورهم أو على ظهور الجمال.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: مكانًا.

(٦) ٢٥ صفر ١٢٠٤هـ/ ١٤ أكتوبر ١٧٨٩م.

فأرسل شرذمة مِنْ العبيد تبلغ الخمسين، ورموا مِن المسجد بالبنادق على بيت الشريف، ثم وَلّوا مُدبرين، وتَرَّسُوا ببيت الوزير ريحان، وبيت القطي وما حوله مِن البيوت، وثبت الشريف في داره غاية الثبوت، فوقع الحرب مِن الطرفين، وأضرمت نار الحرب مِن الجانبين، واستمر اليوم كله بِمَا طال تعصبًا وعناد[1]، وانقطعت الناس عن المسير في طرقات البلاد، وما فتروا عن الرمي حين رَوَّق الليل البهيم، بل إلى الصباح والحرب مُسْتديم.

[القتال بين الشريف غالب والسيد عبد اللَّه بن سرور]

وما زالوا على هذا المنوال أربعة أيام وأربع ليالٍ، فانقطعت الصلوات الخمس مِن المسجد، وبطل المطاف، واستبدل الأمن في بلد اللَّه تعالى بالمخاف، ولم يُصَلِّ أحد مِن المسلمين صلاة الجمعة، وعن ذمة مَن روى أنَّ الحجر الشريف أُصِيب برصاصة وطارت مِنْه قطعة، ومع هذا لم يظفروا بمرام، كيف بِمَن لم يخفر للبيت الحرام زمام[2].

فخرج عبد اللَّه بن سرور وأخوه محمد، وأخذوا ذِمَّة مِن صاحب الترجمة لا زال مؤيد[3]، وهُمُوا في وجوه جملة مِن الأشراف أهل الحميَّة، وخرجوا وتَوَجَّهُوا إلى العَابِديَّة، وخرج معهم يحيى سلتوح وجميع عبيد أبيهم، وجملة أشرافٍ وبادية كانوا مُختفين بناديهم، فأرسل عليهم رتبة أمَّرَ عليها أخاه عبد المعين، وحاصرهم في بيت العَابِديَّة حتى حِيْن، فلمْ يطب لهم المقام، وشَرَدُوا ليلاً والناس نيام، فلم يُقْفَ لهم أثر، ولم يقف لهم على خبر.

وفي الثامن[4] مِنْ هذا الشهر، فَرَّق الشريف للمراجل والعسكر الدراهم، وأقام بالأبطح وخَيَّم، وتَرَّس الجبال المُطلة على بركة السَّلَم.

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: عنادًا.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: زمامًا.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: مؤيدًا.

(٤) ٨ جمادى الأولى ١٢٠٤هـ/ ٢٣ يناير ١٧٩٠م.

وفي اليوم الثالث عشر[١] قِدَمَ السيد عبد اللّه بن سرور بالجنود والبوادي، والجمّ الغفير الذي ضاق به الوادي، فحصلت بينهما ملحمة بقدر خمس ساعات، حتى ارتوت الأرض بالبِيض والرُّدَيْنِيَّات[٢]، وأسفر الأمر عن انكسارهم عيانًا بيان[٣]، وفَرُّوا مُنْهَزِمِين إلى رَهْجَان[٤].

ثم إنَّ صاحب الترجمة عاد إلى مقرّ ملكه، وأشرقت شموس الإقبال بِفَلَكِه / ق١٤٠/.

وفي اليوم الثاني بلغ الخبر بأنَّهم رجعوا إلى العَابِديَّة، يرومون الهجوم على مكة المحميَّة، فأرسل عليهم سريةً مائة راس[٥] مِن الخيل، وجنود تنساب انسياب السيل، وأمَّرَ عليها أخاه عبد المعين، وقَلّدَه بسيف العزم الثمين، وأتبعه بجندٍ آخر أمَّرَ عليها أخاه السيد عبد العزيز، وفتية توذي الأعادي أيّ أزيز، فلمْ يثبتوا عندما أقبلوا، وفَرُّوا قبل أنْ يصلوا، فأقاموا بالرتبة ثمة يومين، وعادوا بخُفَي حُنَين وتَوَجَّهوا إلى جبال هُذَيْل، وظنُّوا أنَّهم يميلون معهم كُلّ الميل، فأبوا عن معاملتهم لكونهم قد عاملوا الشريف، فتركوهم وتَوَجَّهوا إلى الطايف[٦] حتى ملكوه، وبذلوا الهمة في طريقهم الذي سلكوه.

ثم إنَّ وكيل الشريف أخذ مِنْهم ذِمَّة وارتحل، وصحب معه العسكر ونزل، ولمَّا وصلوا إلى الكرد، قابلتهم رتبة تقوية لهم ومدد، وأخبروهم أنَّهم

(١) ١٣ جمادى الأولى ١٢٠٤هـ/ ٢٨ يناير ١٧٩٠م.
(٢) **الرُّدَيْنِيَّات**: الرّمَاح. مفردها الرُّدَيْنِيّ. نسبة إلى رُدَيْنَة، وهي امرأة كانت تُقَوِّم الرماح. **المعجم الوسيط**، ص ٣٤٠.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: بيانًا.
(٤) **رَهْجَان**: وادٍ مِن روافد وادي نَعْمَان، يسيل مِن جبال سَحَار وجبال الخُشاع، يفترق رأسه إلى شعبتين كبيرتين: رَهْجَان الأبيض مِن الشرق، ورَهْجَان الأَسْود مِن الغرب مِن جبل قُرظَة، ويصب في وادي نَعْمَان على بُعد ٢٩ كيلاً مِن مكة يمين طريق الطائف، وهي الطريق التي تأخذ على جبل كرى. ويسكن رَهْجَان: الجوابرة، ودعد، وبنو نداء، وكلهم مِن هُذَيْل. عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ص ٧٣٨.
(٥) كذا في الأصل، والصواب: رأس.
(٦) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.

قد تَمَكَّنُوا مِن البلد، فعادوا جميعًا إلى أم القرى، وأخبروا صاحب الترجمة بِمَا جرى، ثم إنَّهم أقاموا أيامًا بالطايف(١)، وأمورهم تزداد في التقوية والارتباط، ومِنْه تَوَجَّهُوا إلى رُهَاط.

فلمَّا عَلِمَ صاحب الترجمة، لا زالت نتايج(٢) المقدمات له مُسَلَّمة، نزل بعُرضيه مِن المَعَابِدَة، وأجرى عليهم مِن البخاشيش صلة وعايدة(٣)، وما زال قرير العين مِمَّا يعاني إلى الثالث عشر مِن جماد الثاني(٤)، فبلغه أنَّهم أقبلوا بالقبايل(٥)، والخيل الجياد الأصايل، وأنَّهم يُقِيمُون بوادي الرَّيان(٦)، يرومون المُلك وطَرْف الزمان عنهم وَسْنَان(٧)، فبرز الشريف بوادي الأبطح، وَتَقَلَّد مِن النصر بعسال وأملح، وأخرج المراجل واستدعى القبايل(٨)، وكُلّ كمي مِن السادات الأشراف كالأسد الصايل(٩)، وفي السادس عشر(١٠) حصلت بينهما ملحمة جَرَّعَهم فيها ناقع الحَمَّة، بعد أنْ انكسرت أولاً قبايل(١١) الشريف وصالت قبايله(١٢)، ولمعت ساعة سيوفه وحمائله، وهزم صفه ذلك الصف، وسكت الرمي ساعة وكف، ودخل بعض عبيده إلى مكة منشرح الصدر، ونزل على بني حسن الهايف، يبشر أهله بالنصر، هذا كُلّه قد حصل وصاحب الترجمة ثابت الجنان،

(١) كذا في الأصل، والصواب: بالطائف.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: نتائج.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: عائدة.

(٤) ١٣ جمادى الآخرة ١٢٠٤هـ/ ٢٧ فبراير ١٧٩٠م.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: القبائل.

(٦) وادي الرَّيَّان: وادٍ يقع شمال شرقي مكة المكرمة، وبه قرية تعرف بذات الاسم، يسكنها الأشراف المُنَاعِمَة. عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ص ٧٤٠.

(٧) وَسْنَان: النائم الذي ليسَ بمستغرقٍ في نومِهِ. ابن منظور، **لسان العرب**،١٣/ ٤٤٩.

(٨) كذا في الأصل، والصواب: القبائل.

(٩) كذا في الأصل، والصواب: الصائل.

(١٠) ١٦ جمادى الآخرة ١٢٠٤هـ/ ٢ مارس ١٧٩٠م.

(١١) كذا في الأصل، والصواب: قبائل.

(١٢) كذا في الأصل، والصواب: قبائله.

مُتَقَلِّد الحسام ومعتقل السنان، / ق١٤١/ راسٍ على صهوة الطرف كالطود الراسخ، وهيهات أنْ يزعج الريح شُمّ الجبال الشوامخ، حتى سكنت روعة مِن ارتاع، وكشفت يد السعد عن وجه النصر القناع، حمل حملةً واحدةً أمام جيشه، وترك عقل مِن ارتاع في طيشه، فكسرهم كسرة لا تعهد، وقبض على عبد اللَّه وأخيه محمد باليد، فَتَبَدَّد ذلك الجمع وتَشَتَّت، وتكسر طاق الحرب وتَفَتَّت، وتدخل عبيده الأوليا[١] كأبي طالب والمحجوب، وكم رأيت مأسورًا مِنْهم ومسلوب[٢]، فأقاموا ثلاثة أيام في ضريحه متدخلين، ثم أخذ سلاحهم ونفاهم وكانوا نحو الخمسين، وكان في ذلك المحجوب مِن العبيد نحوٌ مِن هذا العدد، وتَفَرَّقوا واحدًا بعد واحد، وأراح اللَّه تعالى مِنْهم البلد.

ثم رتب صاحب الترجمة هذا الترتيب، وترك معانده أسيرًا وسليب[٣]، ونزل مِن المَعَابِدَة وأمر الجنود أنْ ينزلوا بمهماتهم، وأطلق أبناء أخيه يذهبوا[٤] لأمهاتهم وسامحهم وعفى[٥]، ولم يأخذ أحدًا مِنْهم بِمَا هفى، ورتب لهم المصاريف والجوامك، وأجرى عليهم النعم، وصاروا مِنْ جملة الخدم.

إِذَا كَانَ عَوْنُ اللَّهِ لِلْمَرْءِ مُسْعِفًا
تَهَيَّأَ لَهُ مِن كُلِّ شَيءٍ مُرَادُهُ

وَإِنْ لَمْ يَكُن عَوْنٌ مِنْ اللَّهِ لِلفَتَى
فَأَوَّلُ مَا يَجنِي عَلَيْهِ اجْتِهَادُهُ[٦]

فاستقرّ الأمر وسكن، والحمد لله على إخماد الفتن، وقد هرب يحيى

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: الأولياء.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: مسلوبًا.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: سليبًا.
(٤) كذا في الأصل، والصواب: يذهبون.
(٥) كذا في الأصل، والصواب: وعفا.
(٦) البيتان لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي اللَّه عنه، انظر: المحسن بن علي التنوخي، **الفرج بعد الشدّة**، ١/ ١٧٧؛ الحسين بن محمد الأصفهاني، **محاضرات الأدباء**، ١/ ٥٣٢.

سلتوح إلى ديار حَرْب، ثم إلى المدينة على ساكنها أفضل الصلاة وأتم السلام، ثم تَوَجَّه إلى دمشق الشام، وزَوَّر عرضًا للدولة ممهور[١]، بطلب المُلك لعبداللَّه بن سرور، ثم تَوَجَّه به إلى إسلامبول، ورفعه إلى الأعتاب العالية، ولم يصادف قبول [٢]، فعاد كصقر الجراد إلى مصر القاهرة، وأقام بها حتى سكن الحافرة.

هذا ما كان مِنْ أمرهما وأمره، فانظر لدهاء هذا الرجل ومكره.

[وصول الخِلْعة السلطانيَّة للشريف]

وفي اليوم السابع والعشرين[٣]، وصل قفطنجي مِن الدولة العليَّة بالقُفْطَان[٤] والخِلْعة السنية، وصحبته فرمان عزيز الشأن، والخطابات لصاحب الترجمة لا زال سامي البنيان، فقروه[٥] / ق١٤٢/ في داره بحضرة السادة الكرام، وكانوا قبل ذلك يقرونه[٦] في المسجد الحرام، فألْبَس أرباب دولته الخِلَع الثمينة، ونادى ثلاثَ ليالٍ بالزينة، فَزَيَّن دكانه العزيز والمَهِين، ومِنْ جملتهم عبد اللَّه بن جعفر كان مُزَيِّن[٧].

[زيارة الشريف لمدينة الطائف]

وفي تسع وعشرين مِن شوال[٨] تَوَجَّه إلى الطايف[٩] بقصد الزيارة، فأقام أيامًا ثم شرف دياره.

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: ممهورًا.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: قبولًا.
(٣) ٢٧ جمادى الآخرة ١٢٠٤هـ/ ١٣ مارس ١٧٩٠م.
(٤) القُفْطَان: جمع قَفاطينُ. ثوبٌ فضْفاضٌ مفتوح مِن الأمام، يَضُمّ طرفيه حزام، ويُتَّخذ مِن الحرير أو القطن، وتُلبَس فوقَه الجُبَّة. المعجم الوسيط، ص ٧٥١.
(٥) كذا في الأصل، والصواب: فقرؤوه.
(٦) كذا في الأصل، والصواب: يقرأونه.
(٧) كذا في الأصل، والصواب: مُزَيِّنًا، أيّ يعمل في تعليق الزينة في الاحتفالات.
(٨) ٢٩ شوال ١٢٠٤هـ/ ١١ يوليو ١٧٩٠م.
(٩) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.

[صدقة من الهند أرسلها الأمير محمد علي خان]

وفي غاية ذي القعدة[١] وردت صدقة محمد علي خان، كان اللَّه له حيث كان، وجازاه بكل إحسان، فوزعت كما في دفتره على أربابها، وفاز بالأجور وحاز حسن ثوابها، وكانت له ذخيرة إذا نزل بالقبور وثوى بها.

[أخبار قوافل الحج]

وفي ست مِن ذي الحجة[٢] وصل الحاج الشامي، وأميره إبراهيم باشا[٣] لا زال قدره سامي[٤]، وفي سابعه[٥] وصل الحج المصري، وحجت الناس وقضت المناسك، وحث للرحيل كُلّ زاهد وناسك، فأسرع كما يسرع البرق، وتَوَجَّه على طريق الشرق، ثم تَوَجَّه الحج المصري على الطريق السلطاني حسب معتاده، ووردت الأخبار بوصوله إلى بلاده.

❑ ❑ ❑

---

(١) ٣٠ ذو القعدة ١٢٠٤هـ/ ١٠ أغسطس ١٧٩٠م.
(٢) ٦ ذو الحجة ١٢٠٤هـ/ ١٦ أغسطس ١٧٩٠م.
(٣) إبراهيم باشا: والي دمشق، تولَّى الحكم في ١٧ جمادى الآخرة ١٢٠٢هـ/ ٢٣ فبراير ١٧٨٨م، وخرج في الحج ثلاثة مواسم في أعوام: ١٢٠٢هـ/ ١٧٨٨م، و١٢٠٣هـ/ ١٧٨٩م، و١٢٠٤هـ/ ١٧٩٠م. وعُزل عن دمشق في صفر ١٢٠٥هـ/ أكتوبر ١٧٩٠م. صلاح الدين المنجد، ولاة دمشق، ص ٨٦-٨٨.
(٤) كذا في الأصل، والصواب: ساميًا.
(٥) ٧ ذو الحجة ١٢٠٤هـ/ ١٧ أغسطس ١٧٩٠م.

[أحداث سنة ١٢٠٥]

وتَمَّ العام ودخل العام الجديد بالمسرة والتجديد سنة ١٢٠٥[١].

[إطلاق الوزير ألماس رمضان من السجن وتعيينه على جدة]

وفي الثامن مِن محرم الحرام[٢]، أُطْلِق الوزير ألماس رمضان مِن الحبس، وظهر كوكب سعده بعد الطالع النحس، وكانت مُدَّة حبسه ثمانية وعشرين شهرًا[٣]، وسيحدث اللَّه تعالى بعد ذلك أمرًا، وفرّج اللَّه تعالى عنه بمحض فضله، وأمره أنْ ينزل إلى جدة مسرعًا لأهله، فما مضي عليه ثلاثون يومًا حتى أفاض عليه خِلْعة الوزارة، وأيْنَع له روض المجد واقتطف أزهاره، ومازال في البَنْدَر له الحل والعقد، والاختيار في اختبار النقد.

[غزوة على الأشراف ذوي حسن سكان الشَّاقَّة]

وفي الشهر المذكور[٤] غزا صاحب الترجمة، لا زالت عقود دولته منظمة، وصَبَّح الأشراف ذوي حسن سكان الشَّاقَّة، وارتكب المهامة والهضاب الشَّاقَّة، لأنَّهم كانوا يقطعون طريق اليمن، ويسلكون غير طريق جدهم الحسن، كم قتلوا مسلمًا ونهبوه، وأتلفوا ضعيفًا وسلبوه، وما زالوا يقطعون طريق المارين، ويمنعون سبيل المسلمين، فظفّره اللَّه تعالى عليهم وأخذ مواشيهم، وقتل مِنْهم وأسر فيهم.

---

(١) عام ١٢٠٥هـ/ ٩ سبتمبر ١٧٩٠ - ٢٩ أغسطس ١٧٩١م.

(٢) ٨ محرم ١٢٠٥هـ/ ١٦ سبتمبر ١٧٩٠م.

(٣) حبس منذ ٢٥ شعبان ١٢٠٣هـ/ ٢٠ مايو ١٧٨٩م حتى ٨ محرم ١٢٠٥هـ/ ١٦ سبتمبر ١٧٩٠م.

(٤) شهر المحرم ١٢٠٥هـ/ ٨ سبتمبر - ٨ أكتوبر ١٧٩٠م

[الشريف يأمر بحفر بئر في الخبت]

وفي الثامن والعشرين مِن ربيع الثاني[١]، خرج للخبت بقصد نزاهة الصيد والقنص، واغتنام اللذات والفرص، وأمر بحفر بئر يشربون مِنْه الفقرا[٢]، لينال ثوابها في الدار الأخرى، فأقام في الخبت شهرًا، ثم عاد إلى وطنه ومَقَرّ مُلْكَه وسَكَنه / ق١٤٣/ .

[حريق برج سفح أجياد]

وفي الثاني عشر مِن رمضان[٣] ثارت بطة[٤] بارود على غير المراد، وأحرقت البرج الذي بناه الشريف سرور على سفح أجياد، فاقتلعت البرج مِن أساسه، ووصلت الأحجار إلى المسجد وكانت سبب اندراسه؛ فمات مَن دنا أجله بالحرق، وكان الشريف غايبا[٥] في الشرق، ثم بناه مقدمه يحيى أغاه، فأجاده كما كان وأحسن بناه[٦].

[احتراق بيتين للشريف سرور]

وفي خمس وعشرين مِن رمضان[٧]، احترق بيتان للشريف سرور وأهله ساكنون فيها، وخربت أسافلها وأعاليها، وكان في هذين البيتين مِن عزيز الجواهر ونفايس[٨] الذخاير[٩] ما ليس له أشباه ولا نظاير[١٠]، بل كُلّ ما حواه الشريف سرور أيام دولته إلى

---

(١) ٢٨ ربيع الآخر ١٢٠٥هـ/ ٣ يناير ١٧٩١م.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: الفقراء.
(٣) ١٢ رمضان ١٢٠٥هـ/ ١٤ مايو ١٧٩١م.
(٤) بطة: وعاء مِن جلد كقربة الماء. أحمد السعيد سليمان، تأصيل الدخيل، ص ٤٠-٤١.
(٥) كذا في الأصل، والصواب: غائبًا.
(٦) كذا في الأصل، والصواب: بناءه.
(٧) ٢٥ رمضان ١٢٠٥هـ/ ١٤ مايو ١٧٩١م.
(٨) كذا في الأصل، والصواب: نفائس.
(٩) كذا في الأصل، والصواب: الذخائر.
(١٠) كذا في الأصل، والصواب: نظائر.

نهاية مُلْكه وصولته، ذهب أكثره شَذَرَ مَذَرَ، وكان عبرة لِمَن اعتبر، فَسُرِقَ بعضُه وحُرِقَ البعضُ بالنار، وبقي النزر الذي فيه تذكرة لأولي الأبصار، وكانوا[1] أولاد الشريف سرور مع عمّهم في الشرق، ولم يحضروا في هذا الحرق.

[أخبار قوافل الحج]

وفي السادس مِن شهر الحجة[2]، وصل الحج الشامي بجنود كالبحر الطامي، وأميره جزار أحمد باشا، ظالم عن قتل النفوس لا يتحاشى، وتلاه الحج المصري، فخرج لهما صاحب الترجمة بموكبه، ووضع الخِلَع السلطانيَّة على منكبه، ثم نزل بعد الوقوف إلى منى، واقتبس مِن المشاهد المنيرة الثنا[3]، وتَوَجَّه الشامي في اليوم الرابع والعشرين[4] على طريق الشرقيَّة إلى طيبة المحميَّة وزيارة خير البرية، وتلاه الحج المصري مِن هذه الطريق وما تلاها، بعد ثلاثة أيام قبل طلوع الشمس وضحاها.

❑ ❑ ❑

(١) كذا في الأصل، والصواب: وكان.
(٢) ٦ ذو الحجة ١٢٠٥هـ/ ٥ أغسطس ١٧٩١م.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: الثناء.
(٤) ٢٤ ذو الحجة ١٢٠٥هـ/ ٢٣ أغسطس ١٧٩١م.

[أحداث سنة ١٢٠٦]

ثم دخل العام الجديد والطالع السعيد سنة ١٢٠٦[١].

[تنقلات الشريف بين الخبت وجدة ومكة]

ففي اليوم الرابع والعشرين مِن جمادى الأولى[٢]، خرج إلى الخبت للنزهة في زمن الخلاعة والصبا، ليصطاد ما سنح له مِن الظبا، وصحب معه مِن الخواص، مَن يتم بهم لذة الاقتناص، فأقام في الخبت مُدَّة ومنه تَوَجَّه إلى جدة.

وفي ثاني رجب[٣] الأصم تَوَجَّه لمشاهدة البيت المحرَّم، ثم عاد إلى بندره جدة في الثامن والعشرين مِن شعبان[٤]، وصام بها أيامًا مِن رمضان.

[ذكر أخبار الحرب بين الدولة العليَّة والنمسا]

وفي عشرين مِن شوال[٥] وصلت زعيمة، أخبرت أنَّ عُرضي الدولة العليَّة - زادها اللَّه تعالى هِمَّة قويَّة - صال على عُرض النمسا[٦]، وذاقوا مِن

---

(١) عام ١٢٠٦هـ/ ٣٠ أغسطس ١٧٩١ - ١٧ أغسطس ١٧٩٢م.
(٢) ٢٤ جمادى الأولى ١٢٠٦هـ/ ١٨ يناير ١٧٩٢م.
(٣) ٢ رجب ١٢٠٦هـ/ ٢٤ فبراير ١٧٩٢م.
(٤) ٢٨ شعبان ١٢٠٦هـ/ ٢٠ إبريل ١٧٩٢م.
(٥) ٢٠ شوَّال ١٢٠٦هـ/ ١٠ يونيو ١٧٩٢م.
(٦) **حرب النمسا**: ترجع أسباب هذه الحرب إلى رغبة الروسيا والنمسا في الاستيلاء على ممتلكات العثمانيين؛ فعقد تحالف بين إمبراطورة الروسيا كاترين الثانية Catherine II (١١٧٥-١٢١٢هـ/ ١٧٦٢-١٧٩٦م) وإمبراطور النمسا جوزيف الثاني Joseph II (١١٨٠-١٢٠٤هـ/ ١٧٦٥-١٧٩٠م)، وعرف هذا التحالف بـ"المشروع الإغريقي"؛ وقام على طرد الدولة العثمانية مِن أوروبا وتقاسم أملاكها. وقد نجحت الإمبراطوريتان في =

أيدي المسلمين شدةً وقسا، حتى إنَّ جملة مِن رعاياهم دخلوا تحت الطاعة، وأخذوا المسلمين[1] مِن أراضيهم اثنتين وسبعين ساعة.

[أخبار قوافل الحج]

وفي سابع شهر الحجة[2] وصل /ق١٤٤/ حجاج المسلمين مِن الشام، وأميرها أحمد باشا الجزار، جاء على قوة ونظام، ووصل أمير المصري[3] يوم

= الاستيلاء على العديد من الأراضي العثمانية، وأنزلا بقواتهما هزائم متوالية، ولكن وقعت بعض الأحداث السياسية في غرب أوروبا، حالت دون إتمام التحالف الروسي - النمساوي ضد الدولة العُثمانية، منها وفاة إمبراطور النمسا، وقد خلفه ليوبولد الثاني Leopold II (١٢٠٤-١٢٠٦هـ/ ١٧٩٠-١٧٩٢م)، الذي انشغل في بعض المنازعات الداخلية، وكذلك الوقوف ضد الثورة الفرنسية التي اندلعت عام ١٢٠٣هـ/ ١٧٨٩م، خوفًا مِن امتدادها إلى أراضيه، ولذلك فإنَّ التحالف النمساوي - الروسي تحول نحو فرنسا، فعقدت النمسا معاهدة مع الدولة العثمانية في زستوي Zistovi في ذي الحجة ١٢٠٥هـ/ أغسطس ١٧٩١م، والتي بمقتضاها عادت الدولة العثمانية إلى حدودها التي كانت عليها قبل الحرب، واستعادت جميع المناطق التي فقدتها بِمَا في ذلك بلغراد مع استثناء بعض التعديلات البسيطة على الحدود وبعض الأراضي، وبهذا أدى الصلح إلى الحفاظ على الوضع القائم بين الدولة العثمانية والإمبراطورية النمساوية اللتين لم تتحاربا مرة أخرى حتى عام ١٢٩٥هـ/ ١٨٧٨م. كما عقدت الروسيا مع الدولة العثمانية معاهدة ياش Yas في ١٥ جمادى الأولى ١٢٠٦هـ/ ٩ يناير ١٧٩٢م، التي أنْهت الحرب بينهما. انظر: يلماز أوزتونا، **تاريخ الدولة العثمانية**، ج١، ترجمة: عدنان محمود سليمان، منشورات مؤسسة فيصل للتمويل، إستانبول، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ص ٦٣٩-٦٤٢. وللمزيد عن العلاقات العثمانية مع النمسا والروسيا انظر: منصور بن معاضه بن سعد العمري، **الحروب والمعاهدات العثمانية الروسية خلال الفترة** (١١٢١-١٢٢٠هـ/ ١٧٠٩-١٨٠٥م)، رسالة دكتوراه، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م، ص ١٦٦-١٨٠، ٢٠٥-٢١٢؛ إيمان علاء الدين إبراهيم صائغ، **العلاقات العثمانية النمساوية** (١٢١٩-١٢٨٤هـ/ ١٨٠٤-١٨٦٨م)، رسالة دكتوراه، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م، ص ٤١-٤٦.

(١) كذا في الأصل، والصواب: أخذ المسلمون؛ أيّ استولى العثمانيون على جزء مِن أراضيهم.

(٢) ٧ ذو الحجة ١٢٠٦هـ/ ٢٦ يوليو ١٧٩٢م.

(٣) كان أمير الحج عثمان بيك طبل الإسماعيلي، وهو مِن مماليك إسماعيل بيك. خرج =

الاثنين، فقابلهما صاحب الترجمة ولبس الخِلْعتين، ولمَّا قضت المناسك حجاج المسلمين، وتملوا مِن هذا البلد الأمين، تَوَجَّهوا في حفظ اللَّه المعين في اليوم الثاني والعشرين[1] لزيارة سيد المرسلين، صلى اللَّه تعالى عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

❐ ❐ ❐

= أميرًا للحج المصري في عامي ١٢٠٦هـ/ ١٧٩٢م، و١٢٠٧هـ/ ١٧٩٣م، وفي العام الأخير تعرَّضت قافلة الحج لهجوم العُربان في مغاير شعيب (مدين)، وجُرِحَ عثمان بيك، وَفَرَّ إلى غزة، ثم رجع إلى القاهرة بعد أنْ حصل على الأمان، فأهمل أمره، ولمَّا جاءت الحملة الفرنسية إلى مصر عام ١٢١٣هـ/ ١٧٩٨م، خرج إلى الشام، وظَلَّ هناك حتى وفاته بالطاعون عام ١٢١٥هـ/ ١٨٠٠م. عبد الرحمن الجبرتي، **عجائب الآثار**، ٣/ ٢٧٦-٢٧٧؛ أحمد بن محمد بن أحمد الحضراوي، **مختصر حسن الصفا والإبتهاج في ذكر من ولي إمارة الحاج**، تحقيق: محمد بن ناصر الخزيم ومحمد بن سيد أحمد التمساحي، دار زهراء الشرق ودار القاهرة، القاهرة، ط١، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، ص ٢٨٣-٣٨٤.

(١) ٢٢ ذو الحجة ١٢٠٦هـ/ ١٠ أغسطس ١٧٩٢م.

[أحداث سنة ١٢٠٧]

وانقضى العام بحمد اللَّه على التمام، ودخل العام الجديد بالمسرة والتجديد سنة ١٢٠٧[١].

[زيارة الشريف غالب لمسجد النبي ﷺ والسيدة ميمونة]

وفي اليوم الثالث والعشرين مِن محرم الحرام[٢]، تَوَجَّه صاحب الترجمة لزيارة خير الأنام، ونال بقربه أقصى المرام، فأقام شهر[٣] إلا ثلاثة أيام ثم قضى شئونه، وقصد مِنْه زيارة السيدة مَيْمُونَة[٤].

[وفاة الشيخ عبد الرحمن القبائي المدني]

وفي عشرين من محرم[٥] توفي الوجيه عبد الرحمن القبائي المدني،

---

(١) عام ١٢٠٧هـ/ ١٨ أغسطس ١٧٩٢ - ٧ اغسطس ١٧٩٣م.

(٢) ٢٣ محرم ١٢٠٧هـ/ ٩ سبتمبر ١٧٩٢م.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: شهرًا.

(٤) **السيدة ميمونة**: أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث الهلالية. آخر امرأة تزوَّجها الرسول ﷺ في عمرة القضاء في ذي القعدة ٧هـ/ مارس ٦٢٩م، وبنى بها في سَرِف شمال غربي مكة حاليًا، كان اسمها بَرَّة فسمّاها الرسول ميمونة، رُوي عنها ثلاثة عشر حديثًا. توفيت بعد أدائها فريضة الحج، ودفنت في سَرِف عام ٥١هـ/ ٦٧١م، وقد بلغت مِن العمر ثمانين أو إحدى وثمانين سنة، وقد أُقيم وقتئذ على قبرها قبة، فصارت مِن مزارات الحجاج في مكة المكرمة، وقبرها معروف إلى يومنا، يقع في حي النوارية على يمين الداخل إلى مكة المكرمة. محب الدين أحمد بن عبد اللَّه الطبري، **السمطُ الثمين في مناقب أمهات المؤمنين**، تحقيق: محمد علي قطب، دار الحديث، القاهرة، ط١، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ص ١٨٩-١٩٣؛ عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ص ٨٠٥-٨٠٧.

(٥) ٢٠ محرم ١٢٠٧هـ/ ٦ سبتمبر ١٧٩٢م.

أمَدَّنا اللَّه تعالى بمدده السني، كان عارفًا مِن كُمَّل الرجال، وبطلاً مِن العارفين الأبطال، وصاحب كشف وأسرار، وخوارق أجلى مِن بياض النهار، وذكره الشرنوبي في «طبقات العارفين»[١]، عاش مِن العمر إلى حدود الثمانين ودُفِنَ بالمَعْلا بالقبة التي تجاه البحر الرابي سيدي عُمر العرابي[٢].

[ترميم بركة الشَّامِي والمِصْري]

وفي غُرَّة ربيع الثاني[٣] سرحوا المُعَلِّمين في ترميم بركة الشامي والمصري، وملوها[٤] مِن العين، وأصلحوا ما فيها مِن الخراب ونقلوا الرماد، وكان الصرف مِن مال أحمد باشا الجزار.

[خروج الشريف إلى متنزه الخبت]

وفي الثالث والعشرين مِن هذا الشهر[٥]، خرج صاحب الترجمة إلى الخبت للتنزه والصيد، فأقام به رويد[٦]، ثم فاز بالسرى إلى أم القرى.

---

(١) يبدو أنَّه وقع سهو من مؤرخنا في ذكر المصدر الذي استقى منه معلوماته؛ لأنّ الشرنوبي المذكور هو أحمد بن عثمان بن أحمد بن علي الشرنوبي المصري من أهل القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي (٩٣١-٩٩٤هـ/ ١٥٢٤-١٥٨٦م)، وكتابه «طبقات العارفين» رسالة في مناقب الأقطاب الأربعة للصوفية، طبع في القاهرة عام ١٣٠٥هـ/ ١٨٨٨م في (٤٨ صفحة)، انظر: إدوارد كرنيليوس فانديك، **اكتفاء القنوع بما هو مطبوع: أشهر التآليف العربية في المطابع الشرقية والغربية**، صححه وزاد عليه: محمد علي الببلاوي، مطبعة التأليف (الهلال)، مصر، ١٣١٣هـ/ ١٨٩٦م، ص ١٠٩؛ خير الدين الزركلي، **الأعلام**، ١/ ١٦٧.

(٢) **عمر العرابي**: أحد أئمة الصوفية في مكة المكرمة، وكان قبره أحد المزارات الدينية التي يزورها الناس، وذكرته بعض المصادر بأنه عمر العربي، ولم أقف على ترجمة له. انظر: سامح إبراهيم عبد العزيز، **الظواهر الطبيعية في مكة المكرمة**، ص ٢٤٧.

(٣) غُرَّة ربيع الآخر ١٢٠٧هـ/ ١٥ نوفمبر ١٧٩٢م.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: ملؤوها.

(٥) ٢٣ ربيع الآخر ١٢٠٧هـ/ ٧ ديسمبر ١٧٩٢م.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: رويدًا.

[صدقة مِن الهند مِن الأمير محمد علي خان]

وفي غاية جمادى الأولى[1]، أرسل محمد علي خان صاحب الخيرات، ومُجْرِي مبرات الصِّلَات، اثني عشر تنور[2] مِن صافي البلور، وأمر أنْ يضعوا في كُلّ مقام مِنْها اثنتين، وتُسرج بالشمع الكافوري بين العشائين، واثنتين على عتبة البيت الحرام، واثنتين تعلق بمقام الخليل، عليه وعلى نبينا افضل الصلاة وأزكى السلام، تقبَّل اللَّه تعالى إحسانه، ووفَّقَه للخير وأعانه.

[وقوع خلاف بين الكواخي ووزير الشريف في المدينة المنورة]

وفي السابع عشر مِن شعبان[3] ورد الخبر مِن مدينة سيد ولد عدنان، بأنَّه وقع خُلْفٌ بين وزير الشريف والكواخي، واشْتَدّ الأمر بعد أنْ كان متراخي[4]؛ فخشي - أطال اللَّه تعالى بقاه[5] - اتساع الفتنة، وداعي المشقة والمحنة، فأرسَل / ق١٤٥/ السيد ناصر بن مستور، ينظر في عواقب الأمُور، فجمع كلا الفريقين وأصلح ذات البَيْن.

[صدقة عظيمة مِن الهند مِن الأمير محمد علي خان]

ولثمان خلون مِن شعبان[6]، وصلت صدقة عظيمة مِن محمد علي خان، وما زال يحسن بها على أهل مكة والمدينة، ما ينوف عن عشرين سنة، ويرجو بها مِن اللَّه حسنة، إلى أنْ تُوفي رحمة اللَّه تعالى عليه، وسيجدها نورًا يوم القيامة تسعى بين يديه، فوزعتها وَزَعَتَه بين أربابها، ودخل كُلّ مُستحق مِن بابها، وحاز مُجريها جزيل الثواب مِن الملك الوهاب.

---

(١) ٣٠ جمادى الأولى ١٢٠٧هـ/ ١٢ يناير ١٧٩٣م.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: تنورًا.
(٣) ١٧ شعبان ١٢٠٧هـ/ ٢٩ مارس ١٧٩٣م.
(٤) كذا في الأصل، والصواب: متراخيًا.
(٥) كذا في يالأصل والصواب: بقاءه.
(٦) ٨ شعبان ١٢٠٧هـ/ ٢٠ مارس ١٧٩٣م.

[الشريف في بَنْدَر جدة]

وفي غاية شعبان[١] تَوَجَّه مولانا الشريف - لا زال بعين اللَّه تعالى منظور[٢] - إلى بَنْدَر جدة المعمور، فأقام بها اثنين وعشرين يومًا، ثم نادى بالرحيل مناديه، وفي الثالث والعشرين[٣] وصل إلى ناديه.

[خلاف بين شيخ الحرم وأهل المدينة المنورة]

وفي رابع شوال[٤] ورد خبر أنَّ بين شيخ الحرم وأهل المدينة اختلاف[٥] وعدم ايتلاف[٦]، وطال بينهم الشقاق وعدم الاتفاق، فأرسل كتابًا صاحبُ الترجمة للسيد ناصر بن مستور أنْ يوفق بين شيخ الحرم وأهل المدينة، وأنَّه لا يدع الفتنة تطول بينهما وتمتد، فدخل بالصلح بين كُلِّ فريق، والحمد لله تعالى على التوفيق.

[مُراسلة الباب العالي لطلب المعونة لقتال السلفيين]

وفي السادس عشر مِن الشهر[٧] المذكور أرسل مراسيله صاحب الشرافة إلى الأعتاب السلطانيَّة - لا زالت آمنة محميَّة - وأنهى إليهم أمر الشقي عبد العزيز بن سعود، وما أفسد في التهايم[٨] والنجود، وما وقع بين أهل المدينة مِن الأفعال المشينة، وكتب لهم المراسيم وتَوَجَّهُوا في حفظ الكريم، وهم: السيد مبارك بن محمد بن مساعد[٩]، والسيد محسن

(١) ٢٩ شعبان ١٢٠٧هـ/ ١٠ إبريل ١٧٩٣م.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: منظورًا.
(٣) ٢٣ رمضان ١٢٠٧هـ/ ٣ مايو ١٧٩٣م.
(٤) ٤ شوَّال ١٢٠٧هـ/ ١٤ مايو ١٧٩٣م.
(٥) كذا في الأصل، والصواب: اختلافًا.
(٦) كذا في الأصل، والصواب: ائتلاف.
(٧) ١٦ شوَّال ١٢٠٧هـ/ ٢٦ مايو ١٧٩٣م.
(٨) كذا في الأصل، والصواب: التهائم.
(٩) **السيد مبارك بن محمد**: مبارك بن محمد بن مساعد بن سعيد بن سعد بن زيد النموي، أحد القادة العسكريين في عهد الشريف غالب، أرسل في وفدٍ إلى الباب العالي عام ١٢٠٧هـ/ =

ابن عبد اللَّه الحمودي، والسيد حسين مُفتي المالكيَّة، وحسن آغات الجوخدارية، فتَوَجَّهوا لذلك المرام، وعاد السيد حسين بعد ثمانية أيام لوجع اعتراه فعاد لمقتضاه.

[وصول قُفْطَان للشريف مِن الدولة العليَّة]

وفي شهر القعدة[١] وصل رسول مِن الدولة العليَّة إلى مكة البهيَّة، ومعه قُفْطَان لصاحب الترجمة - لا زالت عقود أيامه منظمة - فلبسه مَعْدِن الشرافة، كما كان يلبس أسلافهُ.

[أخبار قوافل الحج]

وفي سابع ذي الحجة الحرام[٢]، وصل الحاج الشامي وأميره أحمد باشا الجزار، ووصل الحاج المصري[٣] في يومه ضحوة النهار، ففاز ذو الشرافتين بلبس الخِلْعتين، وحجت الحجاج، وتَوَجَّهت مع جميع الفجاج، وسافر المحملان قواصد سيد ولد عدنان / ق١٤٦/ .

= ١٧٩٣م لطلب المساعدة ضد الوهابيين، وأمَّره على جيش في ٢٥ ربيع الآخر ١٢١٢هـ/ ١٦ أكتوبر ١٧٩٧م لقتال بعض قبائل حرب، وشارك مع الشريف غالب في موقعة الخُرمة شعبان ١٢١٢هـ/ يناير ١٧٩٨ ضد الوهابيين، والتي مني فيها الشريف بخسائر فادحة - كما سيأتي ذكره - واضطر على أثرها إلى عقد الصلح مع الوهابيين عام ١٢١٣هـ/ ١٧٩٨م. أحمد زيني دحلان، **خلاصة الكلام**، ص ٢٦٦، ٢٦٧؛ أحمد ضياء العنقاوي، **أعلام الأشراف**، ٣/ ٢٦.

(١) شهر ذي القعدة ١٢٠٧هـ/ ٩ يونيو - ٧ يوليو ١٧٩٣م.

(٢) ٧ ذو الحجة ١٢٠٧هـ/ ١٥ يوليو ١٧٩٣م.

(٣) كان أمير الحج المصري عثمان بيك طبل الإسماعيلي - المذكور سابقًا - خرج بالمحمل في شوال ١٢٠٧هـ/ مايو ١٧٩٣م، وفي أثناء عودته خرجت عليهم العُربان عن مغاير شعيب، قرب العقبة، وقاتلهم فَجُرِحَ وضرب بثلاث رصاصات، ثم اتجه إلى غزة خوفًا مِن القدوم إلى مصر، وعاد الحجاج إلى القاهرة في صفر ١٢٠٨هـ/ سبتمبر ١٧٩٣م، ثم عاد عثمان بيك بعد أنْ حصل على الأمان في جمادى الأولى/ ديسمبر مِن العام المذكور. عبد الرحمن الجبرتي، **عجائب الآثار**، ٢/ ٣٧٨-٣٨٠، ٣/ ٢٧٦-٢٧٧؛ أحمد الحضراوي، **مختصر حُسْن الصفا**، ص ٢٨٣-٢٨٤.

[أحداث سنة ١٢٠٨]

وتم العام بالسرور والإنْعَام، ودخل العام الجديد بالمسرة والتجديد سنة ١٢٠٨[١].

[زيارة الشريف إلى الطائف]

وفي رابع عشر محرم الحرام[٢]، أرسل صاحب الترجمة عياله إلى الطايف[٣]؛ فرارًا مِن الحر[٤] الزمن الصايف[٥]. وفي السابع عشر[٦] مِنْه تَوَجَّه بنفسه وأدركهم في الطريق، وشاهدوا السلامة مِن واد العقيق، فأنزلهم في قرية السَّلاَمَة[٧]، لكونها في وجنة الرياض شامة، فأقام إلى الثالث والعشرين مِن ربيع، وهو في ظلّ عيش مريع، ثم عاد إلى حما الحرم، وفاز باستلام الحجر المكرم.

[إخراج عمر بلح وصالح نصيف مِن بَنْدَر جدة]

وفي هذا الشهر المذكور، أخرج عمر بلح وصالح نصيف مِن جدة، وطهَّر اللَّه تعالى مِنْهما تلك البلدة، فإنَّهما إكْسير الفساد، وأفجر مِن ثمود

---

(١) عام ١٢٠٨هـ/ ٨ أغسطس ١٧٩٣ - ٢٧ يوليو ١٧٩٤م.
(٢) ٤ محرم ١٢٠٨هـ/ ١١ أغسطس ١٧٩٣م.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.
(٤) كذا في الأصل، والصواب: حر.
(٥) كذا في الأصل، والصواب: الصائف.
(٦) ١٧ محرم ١٢٠٨هـ/ ٢٤ أغسطس ١٧٩٣م.
(٧) قرية السَّلاَمَة: من قرى الطائف الجنوبية، بها مسجد للنبي ﷺ وفي جانبه قُبَّة فيها قبر عبد اللَّه بن عباس رضي الله عنهما وجماعة من أولاده، ومشهد للصحابة رضي الله عنهم وقد وسَّع مسجد ابن عباس حاليًا. انظر: عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ص ٨٢٥.

وعاد، وظالمين[1] وأيّ ظالمين، وكُلّ مِنْهما نجس العين، نقل لي عَمَّن سَمِع مِنْهما أنَّ أحدهما يقول: لو يعلم فيه شعرة تدخل الجنة لقطعها ورماها، وفي هذا القدر كفاية لأشقاها، ولولا اعتقد أنَّ مكة كالكير تنفي الخبث، لاستشأمه دخول هذا الحَدث، فانظر إلى هذا الزنديق كيف يتكبر مِن رحمة اللَّه، وييأس مِن روح اللَّه.

[وصول الخواجة محمود مُحَرَّم]

وفي شهر جماد وصل الخواجة محمود مُحَرَّم[2]، ودخل حالًا إلى البيت المحرّم، فأضافه صاحب الترجمة ثلاثة أيام، وأكرمه غاية الإكرام، وأنزله في داره وعرف بحقّ مقداره، وفعل له ما يفعل بالضيف إذا قام، ونزل بساحة الكِرَام.

[القبض على بعض الأشراف وسجنهم]

وفي رابع جماد قبض على السيد عبد اللَّه بن الشريف سرور، وسجنه في دار أبيه التي في سفح أجياد، لما بلغه أنَّه يسعى بين مراجله بالإفساد، فمكث في الحبس أربعة أشهر لهذا السبب. وفي ثاني شوَّال[3] كسر شباكًا وتدلَّى بحبل وهرب. وفيه قبض على مقدمه يحيى أغا مهتار ووزيره الأغا سعيد، وسجنهما في الخشب والحديد، وبعد ثلاثة أيام قبض على ابني عمّه السيد حمود والسيد حسين أبناء الشريف أحمد بن سعيد، وأرسلهم إلى جدة وسجنهم في حبسها مُدَّة مِن الزمن، ثم سفرهم إلى اليمن، ومات بها السيد حسين وسكن اللحود،

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: ظالمون.

(٢) **الخواجة محمود مُحَرَّم**: ولد في القاهرة، وكان والده مِن أشهر تجارها، فنشأ في عز ورفاهية، ثم اشتغل مع والده في التجارة، وعرف بالصدق والأمانة؛ "فاشتهر ذكره، ونما أمره، وشاع خبره بالديار المصرية والحجازية والشامية والرومية"، وقد ذهب إلى مكة المكرمة عن طريق البحر لأداء فريضة الحج عام ١٢٠٨هـ/ ١٧٩٤م، وفي أثناء عودته في صحبة أمير الحج عثمان بيك الشرقاوي، تعرضت القافلة للعُطَّاش، فقضي عليه فيها، ودُفِنَ في الخيوف. عبد الرحمن الجبرتي، **عجائب الآثار**، ١/ ٣٨٥-٣٨٧.

(٣) ٢ شوَّال ١٢٠٨هـ/ ٢ مايو ١٧٩٤م.

وعاد إلى مكة يحيي أغا والسيد حمود، وسَفَّر ثلاثة عشر مِن أغوات الخزنة مِن عبيد أخيه / ق١٤٧/ الشريف سرور، لإصلاح أمور الجمهور، وقد جرت العادة في الملوك أنَّهم لا يسمحوا[1] عَمَّن قدح في الْمُلك بفساد، ولو كان مِن أَعَزّ الأولاد، كما قيل شعرًا:

إِنَّ الْـمـلـوكَ لَـتَـعْـفُـو عِـنْـد قُـدرتِـهَـا ... إِلَّاَ ثَـلاَثَـا فَـعَـنـهَـا الـعَـفْـو قَـد نَـزحَـا

هَـتْـك الْـحَـرِيـمِ وَإِفـشَـاء لـسِـرهـمُ ... وَالْـقَـدح فِـي الْـمُـلـك مِـمَّـن جَـدّ أَوْ مَـزحَـا

[الشريف يتنزه في الخبت ويزور جدة]

وفي غاية هذا الشهر ركب صاحب الترجمة معقودة مِن خيله الجِياد، وتَوَجَّه إلى الخبت لأجل التنزه والاصطياد، فأقام به مُدَّة ثم تَوَجَّه إلى جدة، ثم ارتحل مِنْها وعاد إلى عامر، ليقتنص ما سنح له مِن غزلانه النوافر، ثم بعد انقضاء المرام تَوَجَّه إلى حما البيت الحرام.

[وقوع سيل عظيم في مكة]

وفي غُرَّة شعبان[2] غيَّمت السماء مِن جميع الأقطار، وهمت السحب بغيث مدرار في ثلاث ساعات مِن النهار، وعصف الريح فأزجى سحابًا، وفُتِحَتْ السماء فكانت أبوابًا، وابتسم البرق يمنًا وشام[3]، وقهقه الرعد لبكاء الغَمَام، فأسفر الأمر عن مطرٍ شديدٍ كأفواه القرب، واستمرّ إلى أربع ساعات على هذا الصبب، فَجَلَّ السيل حتى كادت الأرض بالماء

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: يسمحون.
(٢) غُرَّة شعبان ١٢٠٨هـ/ ٣ مارس ١٧٩٤م.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: شامًا.

تغور، وعلا على الهضاب والشعاب وفار التنور، ثم انفجر السد الذي عند جبل النور[١]، وخلط سيلُ الزاهر هذا السيل المذكور، فزاد الحال، واشْتَدّ الكرب ومال، وكم هرب شخص إلى جبل شامخ ليعتصم، و﴿لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾[٢]، ودخل البيت الحرام حتى امتلى[٣]، ووصل إلى رديف باب الكعبة الأعلى، وهدم أعلى بيوت الشوارع التي على الطريق، وكم جرّ شخصًا فيه غريق[٤]، وانهدمت دكاكين الأسواق وأتلف ما فيها مِن البضايع[٥]، ولا دافع لتقدير اللَّه تعالى ولا مانع، ومات في ذلك السيل نحو الأربعين[٦]، فعليهم رحمة رب العالمين.

وبعد أيام نادى صاحب الترجمة على الخاص والعام، بإخراج الدمار مِن المسجد الحرام، فاستمرُّوا ينقلونه ليلاً ونهارًا نحو شهر، ولم يبتغوا مِن الأُجْرَة غير الأجْر، ومِن أغرب ما سمعناه أنَّ كُلّ مَن وصل إلى البلدان / ق١٤٨/ ذكر أنَّ هذا اليوم جاهم[٧] مثل يوم الطوفان.

---

(١) **جبل النُّوْر**: هو جبل حِرَاء. يقع بين الحرم المكي ومنى، وسُمِّي بهذا الاسم لظهور أنوار النبوة فيه، حيث كان النبي ﷺ يخلو فيه ليعبد اللَّه قبل البعثة في غار حِرَاء، الذي بدأ فيه الوحي، ونزلت سُورة العلق، أوَّل سُورة مِن القرآن الكريم. وبسفحه الجنوبي كانت توجد عين الزعفران؛ وهي مِن العيون التي أجرتها السيدة زُبيدة إلى مكة. أيوب صبري، **موسوعة مرآة الحرمين**، ٢/ ٩١٢-٩١٥؛ عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ص ٤٢٦-٤٢٨.

(٢) القرآن الكريم، **سورة هود**، جزء مِن آية ٤٣.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: امتلأ.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: غريقًا.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: البضائع.

(٦) أوقع هذا السيل كثيرًا مِن الدمار، ولذلك رفع الشريف غالب على الفور رسالة إلى السلطان العثماني، يعلمه بتفاصيل الأمر، ويطلب الأموال لعمل الترميمات اللازمة، وإزالة الخراب الذي خلَّفه السيل، وقد بيَّنت الاجراءات التي اتخذها الباب العالي لحلّ هذه المشكلة مدى الاهتمام الذي أولاه للعناية والحفاظ على الحرمين الشريفين. **الأرشيف العثماني**، HH.١٠٧١٧، قام بنشر الوثيقة وترجمتها: سهيل صابان، **"مكة المكرمة في بعض الوثائق العثمانية"**، مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية، مج١٢، ع١، فبراير ٢٠٠٦م، الرياض، ص ٢١٩-٢٢١. وانظر: **ملحق الوثائق**، وثيقة رقم (٣).

(٧) كذا في الأصل، والصواب: جاءهم.

[ولاية يوسف باشا على جدة]

وفي الخامس والعشرين مِن شعبان[١]، وصل إلى جدة واليها وشيخ الحرم المُحترم، الوزير الأعظم، والصدر الرحيب الأفخم، عالي المقام يوسف باشا[٢]، وزير الختام، فاستقرّ في جدة على عادة أسلافه الوزرا[٣]، وأبرز المنشور السلطاني للأعيان ليقرا[٤]، وبعد أسبوع أرسل سلحداره لصاحب الترجمة بهدية منظمة، فتلقاها بالقبول وأكرم الرسول، وعاد بجزيل الوفر مشمول[٥]، وأصحبه كتابًا بتهنية[٦] الوصول.

[يوسف باشا يزور مكة، ويأمر بتعمير عَيْن زُبَيْدَة]

وفي سابع عشر مِن شهر رمضان[٧] وصل إلى مكة بنفسه لزيارة الحرم، ومعه نحو سبعين مِن الخدم، فأنزله صاحب الترجمة في مدرسة تجاه البيت الحرام، وقابله بِمَا يليق له مِن الإكرام، وتَوَجَّه إليه بعد صلاة الجمعة ليهنيه[٨] بالقدوم، ويلتمس مِنْه قضاء مطالبه التي يروم، وفي

---

(١) ٢٥ شعبان ١٢٠٨هـ/ ٢٧ مارس ١٧٩٤م.

(٢) **يوسف باشا**: مِن أشهر القادة العسكريين العثمانيين، وقد تولى الصدارة العظمى، ولمَّا عزل طلب مِن السلطان أنْ يوليه على ولاية جدة، فأظهر اهتمامًا بالغًا بالحرمين الشريفين، ونشر الأمن بين ربوعهما، وكان يختلف مع الشريف غالب في التعامل مع الوهابيين، وقد وقعت مراسلات بينه وبين الأَمِير عبد العزيز بن محمد بن سعود، أقنعه خلالها على ضرورة إرسال مندوبٍ من لدنه إلى إستانبول، ولذلك كان الشريف غالب حانقًا على يوسف باشا، وقد توفي عام ١٢١٥هـ/ ١٨٠٠م. محمد بن علي الشوكاني، **البدر الطالع**، ٢/ ٣٥٧-٣٦٨؛ سهيل صابان، «**وثيقتان عثمانيتان حول الاتصالات بين الإمام عبد العزيز ابن محمد بن سعود والسلطان العثماني سليم الثالث**»، مجلة الدارة، الرياض، مج ٣٢، ع ٢، ربيع الآخر ١٤٢٧هـ/ نوفمبر ٢٠٠٦م، ص ١٩٥ وما بعدها. وانظر: **ملحق الوثائق**، وثيقة رقم (٤).

(٣) كذا في الأصل، والصواب: الوزراء.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: لِيُقْرَأ.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: مشمولًا.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: بتهنئة.

(٧) ١٧ رمضان ١٢٠٨هـ/ ١٧ إبريل ١٧٩٣م.

(٨) كذا في الأصل، والصواب: ليهنئه.

اليوم الثاني تَوَجَّه هو لبيت مولانا الشريف، وأقام عنده ساعة زمانية، وقَدَّم له خنجرًا مرصَّعًا بالجواهر هدية، فقابله الشريف بثلاثة روس(١) مِن الخيل المُسَوَّمَة، ومِنْها حِصان مَرَخَّت(٢) جعله تقدمة، ثم بعد يومين عاد إليه مولانا الشريف، وذاكره في تعمير المسجد الشريف، وتعمير عين زبيدة، وإصلاح الخراب الذي حدث فيها مِن السيل الذي عَمَّ أطراف مكة، وأخربها مِن كُلّ ناحية وسكة.

وكان مجيء هذا السيل جنح ليل، وكانت ليلة العاشر مِن رمضان(٣)، فأخرب عين الحُسَيْنِيَّة والعَابِدِيَّة وما حولها مِن البلدان، فما خرج مِن عنده حتى أمر بعمارة العين، وقال له: على الراس(٤) والعين، وكذا أمر بعمارة المسجد الحرام، وأذعن أنْ يقوم بها أحسن قيام، وأشار لخادمه فانبرى في الأثر، وقَدَّم له حِصانًا مَرَخَّتًا، وسيفًا مجوهر(٥)، وساعة مُرَصَّعَة بالألماس تخطف بأبصار الجلاس، وتَوَجَّه مِن وقته إلى جدة.

[ذكر اعتداء ذئب على أهل مكة]

وفي ليلة الثالث عشر مِن رمضان(٦) دخل مكة ديب(٧) مستغلس، وشوهد بالعين ونهش في المَعَابِدَة شخصين، ثم دخل المسجد الحرام وحام حول المقام، وتَوَجَّه مُسْرِعًا وما أقام، وعاد إلى المعلا ودخل بيت رجل مغربي فنهشه بعد نهش بنته، / ق١٤٩/ فماتت البنت والرجل

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: رءوس.

(٢) مَرَخَّت: أصلها مِن الفارسية رَخْت، وهي كلمة لها معانٍ كثيرة، وتعني هنا: طقم الحصان وعدة لجامه، فيقال: حصان مرَخَّت، أي مطهم تطهيمة عالية. أحمد السعيد سليمان، **تأصيل الدخيل**، ص ١١٣؛ مصطفى الخطيب، **معجم المصطلحات**، ص ٢٠٨.

(٣) رمضان ١٢٠٨هـ/ إبريل ١٧٩٤م.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: الرأس.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: مجوهرًا.

(٦) رمضان ١٢٠٨هـ/ إبريل ١٧٩٤م.

(٧) كذا في الأصل، والصواب: ذئب.

لوقته، ثم إنَّ مغربيًّا آخر ضربه بالسيف ضربة قويَّة؛ فقتله ودفن تجاه حارة السليمانيَّة.

[الشريف يتابع أعمال إصلاح عَيْن زُبَيْدَة]

وفي سادس عشر شوَّال[١] تَوَجَّه حضرة مولانا الشريف إلى وادي نَعْمَان، لينظر ما صنعه المُعَلِّمُون في العَيْن مِن البنْيَان، فما وجد مِن الفَعلة والمُعَلِّمِين إلا النزر القليل، وعلم بهذه القلة يستديم الشغل ويستطيل، فاقتضى نظره العالي لا زال شامل[٢] أنْ يسرحوا للعين أربعماية[٣] عامل، فسرحوا فيها وظهر العزم والاجتهاد، وعَمَّا قريب يحصل بعون اللَّه تعالى المراد.

[أخبار قوافل الحج]

وفي ثلاثة مِن ذي الحجة[٤] وصل الوزير الأعظم إلى مكة بقصد الحج، وأقبل حجاج المسلمين مِن كُلّ فج، وفي سابعه[٥] وصل الحاج الشامي، وكان أميره الغشوم الجبار أحمد باشا الجزار، وفي آخر النهار وصل الحج المصري[٦]، ولبس صاحب الترجمة الخِلْعتين مِن الأميرين.

---

(١) ١٦ شوَّال ١٢٠٨هـ/ ١٦ مايو ١٧٩٤م.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: شاملًا.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: أربعمائة.

(٤) ٣ ذو الحجة ١٢٠٨هـ/ أوَّل يوليو ١٧٩٤م.

(٥) ٧ ذو الحجة ١٢٠٨هـ/ ٥ يوليو ١٧٩٤م.

(٦) كان أمير الحج المصري عثمان بيك الشرقاوي، مِن مماليك محمد بيك أبو الذهب، وقد عرف بالشرقاوي لأنَّه تولى إقليم الشرقية، وقد خرج أميرًا للحج في عامي ١٢٠٨هـ/ ١٧٩٤م، و١٢٠٩هـ/ ١٧٩٥م. وحج العام الأخير ذكره مؤرخنا ابن عبد الشكور كما سيأتي ذكره. عبد الرحمن الجبرتي، **عجائب الآثار**، ٢/ ٣٨٦، ٣/ ٢٧٧-٢٧٨. وقد ذكر الحضراوي خطأً أنَّ أمير الحج كان حسن كاشِف المِعْمَار، ويبدو أنَّه قد اختلط عليه الأمر، لأنَّ الأمير حسنًا المِعْمَار خرج في صحبة قافلة الحج لعام ١٢٠٧هـ/ ١٧٩٣م، وليس أميرًا عليها، وقد تعرضت القافلة لهجوم العُربان - كما تمت الإشارة - ومات الأمير المذكور فيها، ودُفِنَ في مغاير شعيب (مدين)، ثم أحضر رفاته إلى القاهرة، ودُفِنَ فيها. =

[إرسال الدولة العليَّة كسوة الكعبة الداخليَّة]

وفي موسم هذا العام أرسلت الدولة العليَّة كسوة البيت الداخلية[١]، كساها اللَّه تعالى ثوب العزّ والمهابة، ورزقها الفوز وحسن الإنابة، وطلعت الناس في اليوم الثامن[٢] إلى عرفة وأحرمت الحجاج مِن مكة المشرفة فلم يصيبوا بها ماء لانقطاع العين، وضجّت الناس مِن العَطَش، وقلق الفقيرُ والضعيف اندهش، والسبب في ذلك عدم إصلاح العين إلى هذه المُدَّة، التي أمر بعمارتها يوسف باشا والي جدة، واسْتَقَى مِن عين الحُسَيْنِيَّة والعَابِدِيَّة جميع الوارد، وبيع الماء بزيادة عن الثمن المعتاد، وتصَدَّق بعض الناس ثوابًا وأجر[٣]، وذخيرة يوم العَطَش الأكبر، وما زال الخير في أُمَّة المظلّل بالغَمَامة إلى يوم القيامة، ووقف الناس إلى وقت الغروب، وتَوَجَّهوا مغفورين[٤] الذنوب، وبلغوا المنى برمي الجمرات، وطافوا بالإفاضة ساكبين[٥] [العبرات][٦].

وفي الثاني والعشرين مِن الشهر[٧] تَوَجَّه الحج الشامي مِن طريق الشرقيَّة،

= أحمد الحضراوي، **مختصر حُسْن الصفا**، ص ٢٨٤ ثم قارن مع: عبد الرحمن الجبرتي، **عجائب الآثار**، ٢/ ٣٧٩، ٣٨٧-٣٨٨.

(١) **كسوة البيت الداخلية**: كان للكعبة المشرفة كسوة داخلية، ولكن هذه الكسوة لم يكن يتم استبدالها كل عام مثل الكسوة الخارجية، لأنَّ عوامل التلف لا تنالها، وكان يتم تصنيعها في إستانبول مُنذ أمرَ بذلك السلطان أحمد الثالث (١١١٥-١١٤٣هـ/ ١٧٠٣-١٧٣٠م) في عام ١١١٨هـ/ ١٧٠٦م، وقد ظلّ الأمر على ذلك حتى نهاية العصر العثماني في الحجاز، وأمَّا عن هيئة هذه الكسوة، فهناك ذكر للكسوة التي أرسلها السلطان عبد العزيز الأوَّل (١٢٧٧-١٢٩٣هـ/ ١٨٦١-١٨٧٦م)، في عام ١٢٧٧هـ/ ١٨٦٠م، وكانت تغطي سقف الكعبة وحوائطها، وهي مِن الحرير الوردي، وعليها مربعات مكتوب فيها «اللَّه جلّ جلاله». محمد الكردي المكي، **التاريخ القويم**، ٣/ ٥٨١-٥٨٤؛ محمد فهيم بيومي، **مخصصات الحرمين الشريفين**، ص ٢٧٢-٢٧٣.

(٢) ٨ ذو الحجة ١٢٠٨هـ/ ٦ يوليو ١٧٩٤م.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: أجرًا.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: مغفوري.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: سَاكِبِي.

(٦) وردت في الأصل (العربات)، والتصويب مِن النسخة (ب)، ورقة ١١٠.

(٧) ٢٢ ذو الحجة ١٢٠٨هـ/ ٢٠ يوليو ١٧٩٤م.

وتلاه المصري قواصد خير البرية، وتَوَجَّه صحبته الوزير الأعظم والصدر الأفخم يوسف باشا محافظًا للمدينة المنوَّرة، بحسب الفرامين المسطّرة، وأبقى كَتْخُداه بالبَنْدَر المعمور لمباشرة تحصيل العشور. وتَمَّت السنة الثامنة، والناس بحمد اللَّه تعالى آمنة / ق١٥٠/ .

□ □ □

[أحداث سنة ١٢٠٩]

[الشريف يزور الطائف]

وفي سبع مِن شهر محرم سنة ١٢٠٩[١] أرسل صاحب الترجمة حريمه إلى الطايف[٢] لا زال حظه نايف[٣]، وتلاهم بعد ثمانية أيام، وأقام بساحة ذلك المقام.

[تعرض قافلة الحج المصري للعطش واعتداء العربان]

وفي خامس شهر صفر[٤] ورد تحقيق الخبر بأنَّ الحاج المصري سلك طريق الدّورة من أشار عليه تلك الشورة، وحصل عليهم عَطَش عظيم مات فيه كثيرون، ونزل عليه العُربان فانتهبت الباقون، ومات فيهم الخواجا محمود مُحَرَّم، ونهبت أمواله وهو مُحرم.

[أسعار صرف النقود]

وفي تاسع عشر[٥] مِن ربيع وصل علي بلح مِن الطايف[٦]، وسعّر المشخص سبعة غروش، والريال بأربعة، والديواني الكبير بصغير، وسلكت في أيدي الناس على هذا التسعير.

---

(١) ٧ محرم ١٢٠٩هـ/ ٣ أغسطس ١٧٩٤م.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: نائفًا.
(٤) ٥ صفر ١٢٠٩هـ/ ٣١ أغسطس ١٧٩٤م.
(٥) ١٩ ربيع الأول ١٢٠٩هـ/ ١٣ أكتوبر ١٧٩٤م.
(٦) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.

[يوسف باشا والي جدة يطلع على أمر السلفيين]

وفي واحد وعشرين مِن ربيع[١]، وصل الشيخ سليمان المقدم مِن الطايف[٢]، لا زال مرسله آمنًا مِن المخاوف، بمكاتيب ليوسف باشا والي المدينة، لا زالت بعون اللَّه تعالى حصينة، وبَيَّن له أمر الخارجي ابن سعود[٣] اللَّعِين، وبَيَّن له غاية التَّبْيين، وفي رابع جمادى الثانية[٤] أعاد زمام العيش ثاني[٥] لمرسله، ولم ينتج بشيء مَمَّا أرسله.

[خلاف بين يوسف باشا ومفتي المدينة النورة]

وفي الثالث والعشرين مِن هذا الشهر[٦]، وصل مِن المدينة الجناب الأكبر، والمقام المُحترم فخر العُلماء الأعلام، ومُفتي مدينة سيد الأنام أبو السعود أفندي الشرواني[٧]، لا زال محروسًا بالسبع المثاني، هاربًا مِن يوسف باشا، لأنَّه أراد الفتك به ولم يتحاشا[٨]، حيث أمره أنْ يمهر على عرض للدولة فامتنع لكونه اطلع على ما في باطنه لم يكن وقع، فمنعته الديانة عن ترتيب ما لم يكن مُرَتَّب[٩]، وخرج مِنْها خائفًا يَتَرَقَّب، فنزل بساحة هذا الشريف، وتفيأ بظلّ وجوده الوريف، فأنزله منزلة أكرم بها مثواه، وأعطاه مِن الوفر ما تمناه، ولم يزل جليسه ونديمه، كما نادم اليزدي جذيمة.

---

(١) ٢١ ربيع الأول ١٢٠٩هـ/ ١٦ أكتوبر ١٧٩٤م.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.
(٣) أي الأمير عبد العزيز بن محمد بن سعود، ثاني حكام الدولة السعودية الأولى.
(٤) ٤ جمادى الآخرة ١٢٠٩هـ/ ٢٦ ديسمبر ١٧٩٤م.
(٥) كذا في الأصل، والصواب: ثانيًا.
(٦) ٢٣ جمادى الآخرة ١٢٠٩هـ/ ١٤ يناير ١٧٩٥م.
(٧) **أبو السعود أفندي الشرواني**: من مشاهير علماء المدينة المنورة، وينتمي إلى بيت علم أصله من مدينة شروان الرومية، ولد في المدينة المنورة عام ١١٦٨هـ/ ١٧٥٥م، وتلقى العلم فيها، وتولى الخطابة في المسجد النبوي عام ١١٨٩هـ/ ١٧٧٥م، ثم تولى الإفتاء في المدينة المنورة. انظر: عبد الرحمن الأنصاري، **تحفة المحبين**، ص ٣٠٠-٣٠١.
(٨) كذا في الأصل، والصواب: يتحاشَ.
(٩) كذا في الأصل، والصواب: مُرَتَّبًا.

[الانتهاء مِن إصلاح عيون الماء في مكة]

وفي خمس وعشرين مِن جمادى الأولى[١] جرت العيون بمكة، وأشرقت بهجتها وسرورها، وصرفت في جميع الموارد وأضاء نورها، وحصل يوم دخولها لسكان هذا الواد ما يضاهي المواسم والأعياد، وكان مُدَّة انقطاعها ثمانية أشهر وخمسة أيام، ثم سعت على راسها[٢] وقبلت مِن أصول أغصان الرياض أكف الأقدام، فجزى اللَّه تعالى مجريها خيرًا وضاعف له الأجر، / ق١٥١/ وأسقاه يوم الفزع الأكبر مِن حوض الكوثر، ولم أقف على ما أنفق عليها مِن الصرف، وفيما يظهر نحو الخمسين مِن الألف.

[يوسف باشا يتخلّص مِن كواخي المدينة المنورة]

ثم إنَّ هذا الوزير المذكور، والمُدَبِّر أمر الجمهور، مِن حين وصل إلى المدينة، دسّ على أهلها في نفسه دسيسة كمينة، وأظهر لهم كمال المحبَّة والوداد، وسلكوا معه في واد غير ذلك الواد، وما زالوا[٣] كواخيها يترددون كُلّ يوم بابه، ويمشون إذا ركب تحت ركابه، فأرسل مدافعه إلى القلعة يوم وصوله، وأرسل معها حراسها، وجعل هذا الإرسال أصل الدسيسة وأساسها، ثم اختار مِن شجعان جماعته أشخاصًا وفرقها ثلاثة[٤] فرق، وأمرهم بالمرور كُلّ يوم مِن باب القلعة للمناضلة، واللعب بالسيوف والدَّرَق[٥].

ولمَّا مضى نصف عام أراد إبراز هذا السر المضمر، فاستلحق كبار المدينة وكواخي العسكر، وقال لهم: جاني[٦] رسول مِن قافلة حشرها العُربان

---

(١) ٢٥ جمادى الأولى ١٢٠٩هـ/ ١٧ ديسمبر ١٧٩٤م.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: رأسها.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: وما زال.
(٤) كذا في الأصل، والصواب: ثلاث.
(٥) **الدَّرَق**: ترس مِن الجلود يتخذها الجند للوقاية مِن الضربات. **المعجم الوسيط**، ص ٢٨١.
(٦) كذا في الأصل، والصواب: جاءني.

في الحَسَا(١)، وضَيَّقُوا عليهم وأذاقوهم أنواع القسا(٢)، وأرسلوا يطلبون مِن النجدة والمدد، فهل عندكم رأي يُعتمد عليه ويُستند؟ فقالوا له: الأمر مِنْك وإليك، ولا نخرج مِن بين يديك، فقال لهم: أرى أنْ تخرجوا بأنفسكم، ومعكم جانب مِن العسكر والرجال، وأرسل معكم مِن جماعتي خمسين خيال(٣)، وتَوَجَّهُوا مُسرعين في الحال وتأتون بالقافلة وتُعَدُّوهَا(٤)، ولا تبالون(٥) عن القوم تعدوها(٦)، فقالوا: سَمْعًا لك وطاعة، وها نحن نخرج الساعة، فخرجوا مع كَتْخُداه لأمر قدره اللَّه تعالى وقضاه، ثم إنَّه أوصى كَتْخُداه إذا وصلتم خارج البلد لا تبقي(٧) مِن هؤلاء أحد(٨)، ولا يكن في قتل الكواخي عندكم تراخي، ولتكن في الساعة الثالثة وقوع هذه الحادثة، وأوصى رايِّس حراس المدافع، إذا مَرّ بهم الجماعة الذين يخرجون لرمي الشارة(٩)، يعزمهم إلى دخول القلعة، فإذا تكاملوا أثاروا الغارة.

فلمَّا مَرَّت أوَّل فرقة، تعرَّض لها وعزمها على شرب القهوة، وتكاملت الثانية والثالثة في ضحوة، فعندما تكاملوا أرسل أمامه ومعه جماعة مِن الأتراك، ليس لهم عقل ولا إدراك، فقاموا على أهل القلعة بالسيوف غدر(١٠)، وقتلوا البعض وأخرجوا البعض قهر(١١)، وبالغد طابت لهم القلعة وملكوها، والغدر

---

(١) **الحَسَا**: جزء من وادي النَّقيع بين بئار الماشي إلى قرية الوسطة، ثم يُسمَّى الوادي بعد ذلك العَقيق إلى أنْ يجتمع مع بقية أودية المدينة، ويمر الحَسَا بين جبل عَيْر شمالاً وحمراء الأسد جنوبًا، وبه زراعة وآبار كثيرة. عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ص ٤٦٥.

(٢) أي القسوة.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: خيالًا.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: تعدونها.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: تبالوا.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: تعدونها.

(٧) كذا في الأصل، والصواب: لا تُبْقِ.

(٨) كذا في الأصل، والصواب: أحدًا.

(٩) أي الإشارة.

(١٠) كذا في الأصل، والصواب: غدرًا.

(١١) كذا في الأصل، والصواب: قهرًا.

بئس طريقة سلكوها، وتَمَّت حِيلتهم على أهل / ق١٥٢/ القلعة بهذه الصنعة. والحِيلة الأخرى على الذي[١] خرجوا لملاقاة القافلة، وكانت شموس آجالهم آفلة، فإنَّهم لما نزلوا موضعًا يقال له: ربوة، نزل الكَتْخُدا ونصبت له شارقة وأمر بطبخ القهوة، فلمَّا حضرت طلب كواخي المدينة لشربها، وداعي المَنِيَّة دعا آجالهم لقربها، ولمَّا مثلوا بين يديه وسلم الجميع عليه، أبقاهم في المكان وطلب إبريق[٢]؛ ليريق ما ليس له تحقيق، وأمر جماعته أنْ يطلقوا عليهم تعشيرة بالبنادق، ولم يرعِ لهم عهودًا ومواثق، فقتلوا ثلاثة مِن كواخي المدينة، وسيسأل عنهم يوم يحشر الناس ضحًى يوم الزينة، وقتل شاوشين[٣] ما عدا الأنفار.

وكل تلك الحِيلتين تَمَّت في الساعة الثالثة مِن النهار، ثم ألْبَس كواخي غيرهم للبلاد، وضبط أمورها على وجه السداد، فانظر لهذه الدويهية، كيف صنع مِن الفعل المهول، الذي تتحير فيه العقول، فوصل إلى ما وصل، وصاد الأرنب بالعجل.

[صدقة مِن الهند مِن الأمير محمد علي خان]

وفي خمس وعشرين مِن شوال[٤] ورد جدة أربع[٥] مراكب فيها صدقة للحرمين، ومِن العروض والعين مِن محمد علي خان - أحسن اللَّه تعالى إليه كُلّ الإحسان - مِنْها مركب فيه فقرا[٦] يحجون بيت اللَّه الحرام، ويَعُودُون إلى بلدهم بعد زيارة سيد الأنام، قد تكفل لهم بالمعونة وكفاهم المؤنة، ومِنْها مركبان مشحونة مِن الدراهم والأرز والقماش، توزع بين سكان الحرمين ليكون لهم بها راحة وانتعاش،

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: الذين.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: إبريقًا.

(٣) شاوشين: وتكتب جاوش، وجاويش، أحد المناصب العسكرية في العصر العثماني. أحمد السعيد، **تأصيل الدخيل**، ص ٥٩-٦١؛ سهيل صابان، **المعجم الموسوعي**، ص ٨٠-٨١.

(٤) ٢٥ شوَّال ١٢٠٩هـ/ ١٤ مايو ١٧٩٥م.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: أربعة.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: فقراء.

والمركب الرابع شحنه عسكر[١]؛ لئلا يسطو عليه العدو ويظفر.

[أخبار قوافل الحج]

وفي ست مِن ذي الحجة[٢] وصل الحاج الشامي ضحوة النهار، وأميره أحمد باشا الجزار، فخرج لمقابلته والي البلدة المحميَّة، للبس الخِلْعة السنيَّة مِن الدولة العليَّة.

وفي اليوم السابع مِن الثمان، ورد الحج المصري وأميره الشرقاوي عثمان[٣]، فلبس مِنْه الخِلْعة، وكانت الوقفة بالجمعة، فلمَّا قضيت المناسك وقَصَّر، وما قصّر كُلّ فاضل وناسك، تَوَجَّهت الحجوج لأوطانها، وطابت البلدة لسُكَّانها.

[أحمد باشا الجزار يأمر بإنشاء صهاريج في مِنَى]

فدعا والي الحج الشامي أحمد باشا الجزار الخواجة محمد العنتبلي - لا زال قدره سامي[٤] - وأمره أنْ يَبْنِي له في مِنَى سهاريج[٥] وبرك، وترك عنده مِن الأموال ما ترك.

[يوسف باشا يحاول القبض على أحمد باشا الجزار]

ثم تَوَجَّه إلى المدينة، فعند وصوله إلى تلك البلد، تحيَّل عليه يوسف باشا وأراد مسكه / ق١٥٣/ باليد، فأفسد جميع العساكر باطنًا

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: عسكرًا.
(٢) ٦ ذو الحجة ١٢٠٩هـ/ ٢٣ يوليو ١٧٩٥م.
(٣) ذكر الحضراوي خطأً أنَّ أمير الحج في هذا العام كان عثمان بيك الأشقر الإبراهيمي. أحمد الحضراوي، **مختصر حسن الصفا**، ص ٢٨٤. ويبدو أنَّ ما ذكره مؤرخنا ابن عبد الشكور هو الصحيح، لأنَّ الجبرتي لم يذكر عثمان بيك الأشقر أميرًا للحج إلا في عام ١٢١٠هـ/ ١٧٩٦م. عبد الرحمن الجبرتي، **عجائب الآثار**، ٣/ ٣٤٤.
(٤) كذا في الأصل، والصواب: ساميًا.
(٥) كذا في الأصل، والصواب: صهاريج، وهي أحواض كبيرة يجتمع فيه الماء. **المعجم الوسيط**، ص ٥٢٧.

وظاهر[(١)]، بحيث لم يبق أحد مِن العسكر إلا انضم إليه، وسلك فيما عمده عليه، ففطن لِمَا استبطنه مِن الحيلة الدفينة، وهرب وترك أغلب الحج[(٢)] بالمدينة، فعزلته الدولة لعدم الحزم، وألْبَسَت عبد الله باشا ابن العظم[(٣)].

وفي هذا الموسم الأغر، عزل الشيخ أحمد الحلبي مِن كتابة الصُّر، وولي بدله السيد عبد الوهاب؛ فصفى له الوقت وطاب.

❒ ❒ ❒

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: وظاهرًا.

(٢) أي الحجاج.

(٣) **عبد الله باشا العظم**: عبد الله بن محمد باشا والي الشَّام الأسبق. تولَّى حكم الشَّام تسع سنوات بشكل متقطع على ثلاث فترات: الأولى (١٢١٠-١٢١٣هـ/ ١٧٩٥-١٧٩٨م)، والثانية (١٢١٤-١٢١٨هـ/ ١٧٩٩-١٨٠٣م)، والثالثة (١٢١٩-١٢٢٢هـ/ ١٨٠٤-١٨٠٦)، وبين هذه الفترات كان الباب العالي يولي أحمد باشا الجزار، الذي كان في صراع معه على ولاية الشام. وفي ولاية عبد الله باشا الأخيرة، فشل في الدخول بقافلة الحج الشامي إلى مكة المكرمة عام ١٢٢١هـ/ ١٨٠٧م، بعد سيطرة الوهابيين على الحجاز، فقام الباب العالي بعزله، وعين بدلاً مِنْه يوسف بَاشا كنج. انظر: عبد الغني عماد، **السُّلطة في بلاد الشام فِي القرن الثامن عشر**، دار النفائس، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، ص ٧٧-٧٩.

[أحداث سنة ١٢١٠]

وتَمَّت السنة ودخل العام الجديد بالمسرّة والتجديد سنة ١٢١٠ [١].

[وفاة الشيخ محمد الجبرتي]

وفي الثامن والعشرين من محرم الحرام[٢] عام ألف وماتين[٣] وعشرة، توفي الشيخ محمد الجبرتي، نفعنا اللَّه تعالى به وأمَدَّنا بمدده السني، كان رجلاً من الرجال الواصلين والكمل المقتدين، له أسرار ومُكاشَفات، وأمور خارقة للعادات، فدفن بالمَعْلا على قبر الوجيه، رحم اللَّه تعالى الجميع -آمين- وأمَدَّنا بمددهم والسامعين، ومشي خلف جنازته صاحب الترجمة، كان اللَّه تعالى مُعينه، وهو الذي باشر تجهيزه وتكفينه، وتَوَجَّه آخر الليل إلى الطايف[٤]، أجاره اللَّه تعالى مِن المخاوف، فأقام يرتع في تلك الرياض، ويَكْرَعُ نميرًا مِن صافي الحياض إلى غاية جمادى الثانية[٥]، وكانت مُدَّة غيبته أربعة أشهر واثني عشر يومًا، وعاد سَالِمًا لوطنه وخير مُسْتَقَر لسكنه.

[إصلاح بعض الأعمدة في حاشية المطاف]

وفي خمس وعشرين مِن شهر ربيع الثاني[٦]، طاح العمود الرخام

(١) سنة ١٢١٠هـ/ ١٧ يوليو ١٧٩٥- ٥ يوليو ١٧٩٦م.
(٢) ٢٨ محرم ١٢١٠هـ/ ١٣ أغسطس ١٧٩٥م.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: مائتين.
(٤) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.
(٥) ٢٩ جمادى الآخرة ١٢١٠هـ/ ٩ يناير ١٧٩٦م.
(٦) ٢٥ ربيع الآخر ١٢١٠هـ/ ٧ نوفمبر ١٧٩٥م.

المقابل للمقام الحنبلي[1] بحاشية المطاف، وتكسر ستة أوصال، وحصل لبعض العواميد الصغر ميل وانحراف، وبعد مُضِيّ شهرين أمر بإعادته مَن يتقن البُنيان، وتعديل ما مال مِن العواميد الصغر كما كان.

[وفاة ناظر السوق علي بلح]

وفي غُرَّة جمادى الثانية[2]، توفي ناظر السوق علي بلح، غفر اللَّه تعالى له وسمح، وكان من أهل المُرُوءة والشهامة والفتوّة، عارفًا بقدر أحبابه في غيبته وإيابه، وكانت مُدَّة نظارته خمس سنين، وعادت بنظر سليمان أبي عدس، فأناب فيها محمد[3] عز الدين.

[الشريف يتنزه في الخبت]

وفي ثمانية وعشرين مِن جمادى الثانية[4]، تَوَجَّه صاحب الترجمة للخبت للصيد والقنص واغتنام أوقات الفرص.

[انتهاء بناء صهاريج الجزار باشا في مِنَى]

وفي شعبان[5] تَمَّت عمارة البِرَك والسهاريج[6]، التي أمر ببنائها الجزار، وبناها له العنتبلي بِمِنَى، وهو هذا المقدار بركة مُستطيلة، مُلازِقَة لمسجد

---

(١) **المقام الحنبلي**: كان يقع فى الجنوب مِن الكعبة مع ميل قليل فى اتجاه الشرق. وكان قريبًا جدًّا مِن بناء بئر زمزم ويكاد يتصل به، لكن هذا الموقع قد تغيّر فى عهد السلطان عبد الحميد الثاني بهمة عثمان باشا والي الحجاز عام ١٢٩٧هـ/ ١٨٨٠م، وصار هناك فاصل معقول بين المقام المذكور وأبنية بئر زمزم، إذ جعل المقام الحنبلي فى مواجهة المقام الحنفي، وقد هدم هذا المقام في التوسعة السعودية في عهد الملك سعود، في ٢١ شعبان ١٣٧٧هـ/ ١٢ مارس ١٩٥٨م. أيوب صبري، **موسوعة مرآة الحرمين**، ١/ ٦٩؛ محمد الكردي المكي، **التاريخ القويم**، ٥/ ٩٨.

(٢) غُرَّة جمادى الآخرة ١٢١٠هـ/ ١٢ ديسمبر ١٧٩٥م.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: محمدًا.

(٤) ٢٨ جمادى الآخرة ١٢١٠هـ/ ٨ يناير ١٧٩٥م.

(٥) شهر شعبان ١٢١٠هـ/ ٩ فبراير - ٨ مارس ١٧٩٦م.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: والصهاريج.

الخَيْف[١]، مقسومة الوسط، وعمارتها أوهن مِن بيت العنكبوت، وقِس على هذا النمط، وأنشأ سهريجًا[٢] كبيرًا على / ق١٥٤/ يمين الصاعد إلى عرفة، وكُلُّ مَن صعد مِنَى ورآه عرفه، يملأ مِن الغيث إذا همى فأحكمه، وفتح له ستة عشر فمًّا، وأنشأ بجانب البركة بيرًا[٣] في وسط المسيل، وأطال حفرها، ولم يبدُ فيها مِن الماء إلا القليل، وأنشأ سُبُلاً تجاه المسجد بقارعة الطريق، تملأ ماء ويشرب مِنْها كُلّ فريق، وأنشأ بركة أخرى بمحطة المصري، وبجانبها سهريج[٤] يملأ مِن المطر، وجعل مشاربهما مِن سيل الوادي إذا مَرَّ، ونَظَّفَ بمِنَى جملة سهاريج كبارٍ، ورسم سهريجين[٥] بباطن مسجد الخَيْف، وأخرج مِنْهما الدمار، وبنى الجدار الذي سقط مِن شرقي المسجد، وأصلح الخراب، ورمَّم البرج وأصلح الباب، ثم عمَّر بمكة الدَّبْل التي بآبار سوق الليل[٦]، وأجرى فيه الماء بعد أنْ أوقفه السيل، وعمَّر دَبْل أمير ياخور[٧]، ونصف السهريج[٨] الذي بباب إبراهيم[٩] ....

---

(١) **مسجدُ الخَيْف**: يقع في مِنَى في الجهة الجنوبيَّة، على يسار القادم مِن عرفات، وسمي بالخَيْف نسبة إلى ما انحدر عن غلظ الجبل وارتفع عن مسيل الماء، وهو يقع في خَيْف بني كنانة، وكان المسجد - وقتئذٍ - مُستطيل الشكل، طول ضلعه البحريّ ١٣٠ مترًا وضلعه الغربيّ ١٠٠ متر، وبابه الأكبر في واجهته البحريَّة، وبه أربعة صهاريج كبيرة؛ أُقِيْمَت لحفظ مياه الأمطار والشرب مِنْها في موسم الحج، وكان مكشوفًا ما عدا جهتيه الشماليَّة والغربيَّة. أيوب صبري، **موسوعة مرآة الحرمين**، ٢/ ٨٩١-٨٩٢؛ محمد الكردي المكي، **التاريخ القويم**، ٥/ ٣٠١-٣٠٨.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: صهريجًا.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: بئرًا.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: صهريج.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: صهريجين.

(٦) كانت تقع في الجهة الشماليَّة الشرقيَّة للحرم المكي.

(٧) **دَبْل أمير ياخور**: هو دبل تحت الأرض بمكة المكرمة، إليه تنتهي مجاري مياه الحمامات والمراحيض، فيسير بامتداد وادي إبراهيم إلى المسفلة، وهناك بئر على شكل بركة كبيرة تركد فيها هذه المياه، تسمى بئر ياخور. عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ١٨٤٩.

(٨) كذا في الأصل، والصواب: الصهريج.

(٩) **باب إبراهيم**: أحد أبواب الجدار الغربي للمسجد الحرام، وقد عُرف بهذا الاسم نسبة إلى شخص كان يعمل خياطًا عند الباب، فعرف باسمه، وليس المقصود به سيدنا إبراهيم - عليه السلام =

وكان مدمور[1]، وبنى جدار مقبرة ابن سليمان بالمَعْلا، وزاد في بنائه قليلًا وأعلى، وعَمَّر مدرج الفَلْق[2] والحَجُون، ينتفع به يوم لا ينفع مال ولا بنون.

[أخبار قوافل الحج]

وفي سبعة مِن ذي الحجة[3] وصل الحج الشامي وأميره عبد اللَّه باشا بن العظم، ونزل بوادي الأبطح، وهَزّ به غصن دوحته ورنح، وفي اليوم السابع اختلع مولانا الشريف ولبس الخِلْعة السلطانيَّة، لا زالت مدى الزمان عليه، وفي اليوم الثامن[4] وصل الحج المصري وأميره قاسم بيك أبو سيف[5]، فحجت الناس بالأمن والسلامة.

= - وقد حل هذا الباب مكان باب الخياطين وباب بني جمح وذلك عندما أضيفت زيادة باب إبراهيم عام ٣٠٦هـ/ ٩١٨م في عهد الخليفة العباسي المقتدر باللَّه، وقد أجريت أهم عماره لهذا الباب في العصر المملوكي في عام ٩١٧هـ/ ١٥١١م، في عهد السلطان قنصوه الغوري (٩٠٦-٩٢٢هـ/ ١٥٠٠-١٥١٦م)، الذي أمر بإعادة بنائه، وصار اتساعه ثلاثة أمتار ونصف المتر، فأصبح بذلك أكبر أبواب الجدار الغربي للمسجد الحرام، ولم يطرأ أيّ تغيير عليه سوى بعض الترميمات في عهد السلطان عبد الحميد الثاني (١٢٩٥-١٣١٩هـ/ ١٨٧٨-١٩١٠م) إلى أنْ هُدِمَ في التوسعة السعودية. إبراهيم رفعت، **مرآة الحرمين**، ١/ ٢٣٣؛ طه عمارة، **أبواب المسجد الحرام**، ص ١٢١-١٢٤، ١٧٤-١٧٥.

(١) كذا في الأصل، والصواب: مدمورًا؛ أيّ هالكًا.

(٢) **الفَلْق**: ثنية في مكة تصل بين المَعْلَاة عند الأبطح، وأسفل مكة في الشُّبَيْكة بجانب المسجد الحرام من الغرب. عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ص ١٣٢٩.

(٣) ٧ ذو الحجة ١٢١٠هـ/ ١٢ يونيو ١٧٩٦م.

(٤) ٨ ذو الحجة ١٢١٠هـ/ ١٣ يونيو ١٧٩٦م.

(٥) **قاسم بيك أبو سيف**: مِن مماليك عثمان بيك أبو سيف، وقد خدم مرادًا بيك واشتهر ذكره، وخرج بإمارة الحج مرتين، وكان له إقطاع والتزام وإيراد، وبنى داره في البركة الناصرية، وكان له ملكة في هندسة البناء، وعندما دخل حسن باشا الجزايرلي إلى القاهرة، ظلَّ قاسم بيك فيها، فَقَلَّدُوه الإمارة والصنجقية عام ١٢٠١هـ/ ١٧٨٧م، فعظمت إمرته وزادت شهرته. توفي بالقاهرة في ٦ ذي القعدة ١٢١٦هـ/ ١٠ مارس ١٨٠٢م. عبد الرحمن الجبرتي، **عجائب الآثار**، ٣/ ٣٣٥، ٣٤٦-٣٤٧. وقد ذكر الجبرتي أنَّ أمير الحج في العام المذكور كان عثمان بيك الأشقر الإبراهيمي. عبد الرحمن الجبرتي، **عجائب الآثار**، ٣/ ٣٤٤. ولم أستطع الترجيح بينهما في ضوء ما لديَّ مِن مصادر.

وفي الثاني والعشرين[١] تَوَجَّه [الحج][٢] الشامي لزيارة المُظَلَّل بالغَمَامة، وأقام بعده الحج المصري في هذا المقام ثلاثة أيام، وتَوَجَّه لزيارة صاحب الرسالة عليه الصلاة والسلام.

❑ ❑ ❑

(١) ٢٢ ذو الحجة ١٢١٠هـ/ ٢٧ يونيو ١٧٩٦م.

(٢) أضيفت حتى يستقيم النص.

[أحداث سنة ١٢١١]

وتم العام ودخل العام الجديد بحمد المُبْدِئ المُعيد سنة ١٢١١ [١]، ألف وماتين[٢] وأحد عشر مِن هجرة سيد البشر.

[وفاة الشيخ محب اللَّه السليماني]

وفي سادس محرم[٣] توفي العالم العلامة والبحر الفهامة، إمام المعقول والمنقول مولانا الشيخ محب اللَّه السليماني[٤] الحنفي نزيل مكة - عامله اللَّه تعالى بلطفه الخفي - كان رجلاً ورعًا ناسكًا مُتزهد[٥]، مُشتغلًا بالدروس والطاعة مِن البيت إلى المسجد، وله في العلوم قدر راسخ، وبيت مجد في الفضل شامخ، جاور بيت اللَّه تعالى أعوامًا كأنَّها أيامٌ، وانتفع به كثير مِن المسلمين، فعليه رحمة رب العالمين / ق ١٥٥/ .

[شراء الشريف غالب عَيْن الحُسَيْنِيَّة وتعميرها]

وفي هذا العام[٦] اشترى صاحب الترجمة عَيْن الحُسَيْنِيَّة وعمَّرها عمارة قويَّة، وأنشأ فيها بُستانًا أخذ مِن الحُسن قسمًا، ووسعه حتى صار

(١) سنة ١٢١١هـ/ ٦ يوليو ١٧٩٦ - ٢٤ يونيو ١٧٩٧م.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: مائتين.
(٣) ٦ محرم ١٢١١هـ/ ١١ يوليو ١٧٩٦م.
(٤) سبقت ترجمته، ص ٣٠، حاشية رقم (٢).
(٥) كذا في الأصل، والصواب: متزهدًا.
(٦) سنة ١٢١١هـ/ ٦ يوليو ١٧٩٦ - ٢٤ يونيو ١٧٩٧م.

يُسْقَى بخمس وجبات[١] مِن الماء، وما سمعنا في الحرمين مثله في البساتين الظراف، وغرس فيه مِن النخل عشرة آلاف، ما عدا غيره مِن أنواع الثمار، الذي يستجاد في جميع الأقطار، ثم إنَّ هذا الغرس طلبه مِن نخل المدينة، ومِن ديار حَرْب وجُهينة، ومِن تُربَة[٢]، ورَنْيَة[٣]، ورُهَاط، وكونه مِن أعزّ النخل مِن جملة الاشتراط، وسَوَّر هذا البُسْتان وأتقنه غاية الإتقان، حتى صار أحد منزهات الزمان، وبنى بها دار[٤] لطيفة تُنْسِيك الخَوَرْنَق وغُمْدَان، متَّعه اللَّه تعالى طول عمره، وأطعمنا مِن يانع ثمره.

[وفاة السيد عبد العزيز بن الشريف مساعد]

وفي الثامن والعشرين مِن جمادى الأولى[٥] توفي السيد عبد العزيز ابن المرحوم الشريف مساعد، واختار لقاء اللَّه تعالى حين رأى منازله وشاهد، ودفن بضريح جدته خديجة الكبرى، المُبَوَّأة بالفردوس في الدار الأخرى، على قبر أخيه المرحوم مولانا الشريف سرور، أسكنهما اللَّه تعالى شامخات القصور.

وفي غُرَّة جمادى الثانية[٦] وصل حسن كَتْخُدا قلعة جدة بالمراسيم العليَّة، لحضرة صاحب الترجمة البهيَّة.

---

(١) **الوجبات**: جمع وجبة، وهي سُقي الماء من شروق الشمس حتى غروبها. وخمس وجبات أيّ خمسة أيام، في المتوسط حوالي ٦٠ ساعة، وهذا يدل على عظم هذ البُستان المذكور.

(٢) **تُربَة**: بلدة عامرة تقع شمالي شرقي الطائف بحوالي ١٨٠ كم، ويسكنها البُقُوم. وعُرِفَت بهذا الاسم نسبة إلى وادي تُربَة، وهو وادٍ فحل من أودية الحجاز الشرقية، يأخذ أعلى مساقط مياهه من سراة زَهْرَان ثم يكون اتجاهه في الشمال الشرقي.ويسكن في أعلاه زَهْرَان، ووسطه البُقُوم، وأسفله سُبَيْع. عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ٢/ ٢٦٤-٢٦٥.

(٣) **رَنْيَة**: بلدة تقع شرقي تُربَة، وجنوبي الخُرمَة، وعرفت بهذا الاسم نسبة إلى وادي رَنْيَة، وهو وادٍ فحل مِن أودية الحجاز الشرقية. عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ص ٧١٥.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: دارًا.

(٥) ٢٨ جمادى الأولى ١٢١١هـ/ ٢٨ نوفمبر ١٧٩٦م.

(٦) غُرَّة جمادى الآخرة ١٢١١هـ/ أوَّل ديسمبر ١٧٩٦م.

[محمد عز الدين مُحْتسب لبندر جدة]

وفي غاية شهر شعبان[1] أُلْبس محمد عز الدين مُحْتسبًا ببَنْدَر جدة، لعزل صالح نصيف، وأراح اللَّه المسلمين مِن التطفيف، وقلت فيه أبياتًا لم تخل مِن التنكيت والتبكيت عليه وعلى أهل جدة، يلحظ معناها البديع مِن أجال طرفه ورده.

يَا أهَلَ جِدَّة بُشْرَاكُم بِكُلِّ عُلا
حزتم مِنْ الْمَجْد موهوبًا وَمكتسبًا
سموتموا كَشُمُوس الأُفْق مَنْزِلَة
رقيتموا بالْمَعَالِي للسُّها رتبًا
مُذُّ حَلَّ هَذَا الْجَمَال الشَّهْم سَاحَتكم
قَرُّوا عُيونًا وَمَدُّوا للعلا سَبَبًا
عَادَ الرَّخَاء مِثْل مَا قَد كَان عِنْدكم
يهنيكموا صَوْم خَيْرٍ أَجْره كتبًا
فَاسْتَقْبلُوه بوجه مِنْكُمُ طَلق
قَدْ قَام للَّه عِزُّ الدِّيْن مُحْتَسبًا

/ ق٦٥١/

[غزية على السادة ذوي عمرو أهل اللفاع]

وفي شهر رمضان[2]، ركب صاحب الترجمة على السادة ذوي عمرو أهل اللفاع، وهم عصبة أضرّ على المسلمين مِن الثعابين والأفاع[3]، وكانوا نازلين

(١) ٢٩ شعبان ١٢١١هـ/ ٢٦ فبراير ١٧٩٧م.
(٢) شهر رمضان ١٢١١هـ/ ٢٧ فبراير - ٢٨ مارس ١٧٩٧م.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: الأفاعي.

في القعر وأطراف الحَرَّة؛ لنهب المسلمين والأذيَّة والمَضَرَّة، وما زالوا في مَنْع السبيل، وقتل المسلمين جيلاً بعد جيل، حتى صار لهم هذا الفعل كالغُرر والتَّحْجِيل، فقتل مِنْهم ثلاثة وربط أربع[1]، وأتلف مراحهم وشنَّع وأخذ الحلة بِمَا فيها، وعاد إلى جدة وأقام فيها أيامًا، ثم تَوَجَّه إلى مكة وبلغ مِن البيت والمسجد الحرام مرامًا.

[أخبار قوافل الحج]

وفي رابع ذي الحجة سنة ١٢١١ [2]، وصل الجناب الأمجد، ذو القدر السامي عبد الله باشا ابن العظم أمير الحاج الشامي، وفي يوم سابعه[3] وصل حجاج مصر المحروسة، لا زالت آمنة مأنوسة، فخرج حضرة الشريف، ولبس الخلع السلطانيَّة بعزمه وإمضائه، على عادة السابقين مِن آبائه، وصعد الناس يوم ثانيه إلى عرفة مِن مكة المشرفة.

وعندما نفر الحج عثر بعير المحمل الشامي وانكسر، وعَدَّها الشاميون لإحْدَى الكُبَر، فجمعت أخشابه إلى مُزْدَلِفَة، وما باتت إلا موتلفة[4] على تلك الصّفة، ثم نزلوا إلى مِنَى وأتَمُّوا المناسك، وتَوَجَّهُوا على طريق الشرق الأبهج في ثمان بقين مِن شهر الحجة[5]، وتلاه الحج المصري بعد ثلاثة أيام، ونال بالبيت أقصى المرام.

❑ ❑ ❑

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: أربعة.
(٢) ٤ ذو الحجة ١٢١١هـ/ ٣٠ مايو ١٧٩٧م.
(٣) ٧ ذوالحجة ١٢١١هـ/ ٢ يونيو ١٧٩٦م.
(٤) كذا في الأصل، والصواب: مؤتلفة.
(٥) ٢٢ ذو الحجة ١٢١١هـ/ ١٧ يونيو ١٧٩٦م.

[أحداث سنة ١٢١٢]

[احتراق دار عند باب القطبي لأولاد الشريف سرور]

وفي سابع عشر محرم الحرام ١٢١٢ [١]، مِن عام ألف وماتين[٢] واثني عشر مِن هجرته عليه الصلاة والسلام، حُرِقَت دار بباب القطبي[٣] لأولاد الشريف سرور، وتلف فيها مِن الأدْباش ما يضيق عنها السطور، وحُرِقَ داران للخواجة محمد العنتبلي تجاه هذه الدار، وأخرجوا ما فيهما قبل أنْ تتلفه النار.

[مُراسلة الدولة العليَّة لطلب المُسَاعدات ضد السلفيّة]

وفي سادس جمادى الأولى[٤]، أرسل صاحب الترجمة الشيخ أحمد تُركي[٥]، شيخ المُطَوِّفِين بكتبٍ إلى الدولة العليَّة، وذكر مقاساته مع

(١) ١٧ محرم ١٢١٢هـ/ ١١ يوليو ١٧٩٧م.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: مائتين.
(٣) **باب القطبي**: أحد أبواب الجدار الشمالي للمسجد الحرام، ويعرف بباب الزيادة الغربي المنفرد، تمييزًا له عن باب الزيادة الشمالي، حيث إنَّه يقع على يمين الداخل إلى المسجد الحرام من باب الزيادة (السويقة)، وقد شيد بين عامي ٢٨١-٢٨٤هـ/ ٨٩٤-٨٩٧م في عهد الخليفة العباسي المعتضد باللَّه، وعُرِفَ في القرن ١١هـ/ ١٧م بباب القطبي نسبة إلى المؤرخ قطب الدين النهروالي المكي، ثم حُرِّف إلى باب القطبية، وقد ظل بناؤه على عمارته العباسية حتى هدم في التوسعة السعودية. إبراهيم رفعت، **مرآة الحرمين**، ١/ ٢٣٤؛ طه عمارة، **أبواب المسجد الحرام**، ص ١٣٨-١٤١.
(٤) ٦ جمادى الأولى ١٢١٢هـ/ ٢٦ أكتوبر ١٧٩٧م.
(٥) **أحمد تركي**: شيخ المطوفين في مكة المكرمة، كان رجلًا ذا عقل ومعرفة، وصار مِن خواص الشريف غالب؛ فكان يرسله إلى الباب العالي بالرسائل المُهِمَّة لقضاء احتياجاته، وقد ظهر على مسرح الأحداث عندما أرسله الشريف في ٦ جمادى الأولى ١٢١٢هـ/ ٢٦ =

الطايفة[1] المشرقيَّة، وقد تكرَّرت المراسيل والأنباء عن طايفة[2] التضليل، يطلب مِنْهم النجدة والإمداد، فما يزدادون إلا نومًا وسهاد[3]، ولسان الحال يقول له حين أنشد: لو كان السلطان هناك لأنجد، فلا نرجو المدد إلا مِن الواحد الأحد، فما زال مولانا الشريف يحمي حمايتها، مِن القوم الذين لا يرعونها حقّ رعايتها، ويُقاتل هؤلاء البغاة حتى يأْذن الله إلى أنْ نفدت خزاينه[4]، وكادت تقف في اللجة سفاينه[5]، وأرجو / ق١٥٧/ أنْ لا يخيب سعيه حتى يسمع عن عدوه نعيه، وأنْ تكون له عاقبة الأمر بعد هذا الصبر.

[سيل عظيم يدخل إلى الحرم]

وفي السادس والعشرين مِن شهر جماد، حصل بمكة مطر عظيم مِن فيض الجَوَاد، واستمر الغيث يهمي أربع ساعات على كُلّ الجهات؛ فأسفر الأمر عن سيل دخل المسجد الحرام، وطاف بالبيت والمقام، فربا السيل وصعد، حتى وصل بالقرب مِن الحجر الأسعد، وكم بيتٍ بسببه سجد.

= أكتوبر ١٧٩٧م إلى الباب العالي ليطلب المُساعدات ضد الوهابيين، ثم أرسله مرة ثانية في ١٧ رمضان ١٢١٣هـ/ ٢١ فبراير ١٧٩٩م؛ وقد صار لهذا الرجل دراية واسعة بشئون الحجاز؛ ولذلك عندما وصل محمد علي باشا إلى الحجاز عام ١٢٢٨هـ/ ١٨١٣م، قرَّبه إليه، وكان مُدبرًا للمؤامرة التي حيكت للقبض على الشريف غالب والتي انتهت بنفيه إلى سالونيك، وقد ظلَّ الشيخ تركي يؤدي دورًا مهمًّا في تاريخ الحجاز، حيث اعتمد عليه محمد علي اعتمادًا كبيرًا في التعامل مع القبائل، حتى وفاته في عام ١٢٣٥هـ/ ١٨٢٠م. أحمد زيني دحلان، خلاصة الكلام، ص ٢٦٦، ٢٩٧-٢٩٩؛ عبد الله الغازي، **إفادة الأنام**، ٤/ ٥٣ وما بعدها.

(١) كذا في الأصل، والصواب: الطائفة.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: طائفة.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: سهادًا.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: خزائنه.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: سفائنه.

[وفاة الشيخ عبد الغني هلال مفتي الشافعية]

وفي ليلة الجمعة غُرَّة شعبان(١)، توفي العالم العلامة إمام أهل التدريس، وخليفة ابن إدريس(٢)، الفاضل الكامل، العالم العامل، قطب دايرة(٣) الكمال، مفتي الشافعيَّة ببلد اللَّه تعالى المحميَّة، شيخ مشايخ أهل الزمن، وأستاذهم في كُلّ فن، شمس المعارف وبدر الكمال، مولانا الشيخ عبد الغني هلال(٤) فَجُرِحَت بموته القلوب، وكادت مِن الحزن عليه تَذُوب، ولعَمري إنَّه أحد أعين بلد اللَّه تعالى الحرام، وخير مِن أُلقي إليه الزمام، كيف لا والأقوال بأفضاله شاهدة، فعسى اللَّه أنْ يرحمه ويبقي لنا هذه العين الواحدة، ويشيد به مذهب النعمان، ويهمي عليه مِن الفيض والرضوان، أعقب اثنين مِن الأولاد، ولم تخلف النار إلا الرماد.

[وصول المِعْمَرجِي عبد اللَّه أغا لإصلاح أبواب الحرم]

وفي منتصف ذي القعدة(٥)، وصل الجناب الأكرم، والهُمَام الأعظم عبداللَّه أغا، دام مجده وعلاه، جاء وهو مِعْمَرجِي مِن طرف الدولة العليَّة، بإصلاح ما أخربته السيول في البلد المحميَّة، ولإصلاح ما يحتاجه الحَرم، وما يجب له مِن الحقوق والحُرم، وتنظيمه على الوجه الأتم، فقطع ما اعتلى مِن الأرض حول أبواب المسجد الحرام، وجعل الأرض مِهَادًا للأنام، واصطنع عربات مِن الأخشاب تملأ بالتراب، ويَجُرهَا شخص واحد وينساب، فشرع مِن باب إبراهيم، وأبذل الجهد والهِمَّة، حتى وقف بباب الرحمة(٦)، وقبل

---

(١) غُرَّة شعبان ١٢١٢هـ/ ١٨ يناير ١٧٩٨م.

(٢) أي الإمام الشافعي رحمه اللَّه.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: دائرة.

(٤) سبقت ترجمته.

(٥) ١٥ ذو القعدة ١٢١٢هـ/ ٣٠ إبريل ١٧٩٨م.

(٦) باب الرحمة: أحد أبواب الجدار الجنوبي للمسجد الحرام، ولا يعرف سبب تسميته بباب الرحمة. وقد عُرِفَ أيضًا بباب المجاهدية نسبة إلى الملك المجاهد علي بن داود=

الإتمام أمر أنْ يبني البرج اليماني بجدة، فبناه في أسرع مُدَّة، وأتقن بناه[١] النفيس خشية طايفة[٢] الفرنسيس[٣]، وعمَّر غير ذلك في رواقات المسجد الحرام، بعد أنْ أحكم السَّد الذي بجبل النور غاية الإحكام، فجزاه اللَّه تعالى خيرًا، وجازى الدولة العليَّة بالإنعام / ق١٥٨/ .

[أخبار قوافل الحج]

وفي سادس شهر الحجة[٤] وصل حجاج المسلمين مِن الشام لزيارة بيت اللَّه تعالى الحرام، وكان أميره الجناب الأكرم عبد اللَّه باشا بن العظم، وتلاه الحج المصري[٥]

= الرسولي (٧٠٤-٧٦٤هـ/ ١٣٠٤-١٣٦٢م)، الذي شيد مدرسة ملاصقة لجدار المسجد الحرام. وعُرِفَ بباب أجْيَاد الكبير لأنَّه في مواجهة شِعْب أجْيَاد الكبير. وقد شُيِّد في عهد الخليفة العباسي محمد المهدي، وكان له منفذان، وأُعِيد بناؤه في العصرالعثماني عام ٩٨٤هـ/ ١٥٧٦م، وبلغ اتساعه ستة أمتار ونصف المتر، وقد هُدِم في التوسعة السعودية. إبراهيم رفعت، **مرآة الحرمين**، ١/ ٢٣٢؛ طه عمارة، **أبواب المسجد الحرام**، ص ١٠٥-١٠٨، ١٦٨، ١٩٥.

(١) كذا في الأصل، والصواب: بناءه.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: طائفة.

(٣) ويعني بهم الحملة الفرنسية على مصر ١٢١٣هـ/ ١٧٩٨م - وستأتي تفاصيلها في موضعها - ويفهم مِن سياق النص أنَّ الْمِعْمَرجِي عبد اللَّه أغا قد ظَلَّ فترة طويلة في الحجاز، فقد استخدمه الشريف غالب في إقامة بعض التحصينات في مدينة جدة، بالإضافة إلى عمله الأساسي في تعمير ما أفسدته السيول في المسجد الحرام بمكة المكرمة.

(٤) ٦ ذو الحجة ١٢١٢هـ/ ٢١ مايو ١٧٩٨م.

(٥) كان أمير الحج صالح بيك، مِن مماليك محمد بيك أبي الذهب، خرج بالقافلة في شوَّال ١٢١٢هـ/ إبريل ١٧٩٨م، وفي طريق عودته إلى مصر عند العقبة، علم باستيلاء الفرنسيين عليها، فأرسلوا إليه بالأمان، ولكنَّه دخل بالحج وانضم إلى إبراهيم بيك في بلبيس وقاتلوا الفرنسيين؛ فهزموا وفَرُّوا جميعًا إلى الشام، وقد أدخل المحمل إلى القدس، وأودعه فيه. توفي في الشام عام ١٢١٣هـ/ ١٧٩٨م، وبعد مدة أرسلت زوجته وأحضرت رفاته، ودُفِنَ في القاهرة بمقبرة المجاورين. عبد الرحمن الجبرتي، **عجائب الآثار**، ٣/ ٢٠-٢١، ١١٣؛ أحمد الحضراوي، **مختصر حُسْن الصفا**، ص ٢٨٧؛ نقولا الترك، **ذكر تملك جمهور الفرنساوية الأقطار المصرية والبلاد الشامية**، تحقيق: ياسين سويد، دار الفارابي، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، ص ٤٧.

في اليوم السابع[١]، فخرج صاحب الترجمة ولبس الخِلَع السَّمُّور الجالبة للسرور، وحج حجاج المسلمين وقضى المناسك، وطاف بالبيت العتيق كُلّ ناسك.

[وفاة الوزير ألماس رمضان]

وبلغ الخبر يوم مِنَى[٢] بوفاة وزيره ألماس رمضان، وأنَّه قد فارق الدنيا وصار في جوار الرحمن، فأرسل صاحب الترجمة محمد الدَّلاَّل، ليحفظ ما كان في داره مِن الأموال. وتَوَجَّه الحج على سبيل عادته بعد بلوغ إرادته.

❑ ❑ ❑

(١) ٧ ذو الحجة ١٢١٢هـ/ ٢٢ مايو ١٧٩٨م.
(٢) ٨ ذو الحجة ١٢١٢هـ/ ٢٣ مايو ١٧٩٨م.

[أحداث سنة ١٢١٣]

[وفاة السيد أحمد التواتي المجذوب]

وفي الثاني عشر محرم الحرام[١] سنة ثلاثة عشر بعد الماتين[٢] والألف مِن هجرته عليه السلام توفي السيد أحمد التواتي المجذوب، ونال بقرب مولاه كُلّ مطلوب، أمَدَّنا اللَّه تعالى بمدده.

[إرسال مقدم الشريف الشيخ سليمان إلى جدة لأخذ العشور]

وفي الثاني والعشرين مِن محرم[٣]، أمر صاحب الترجمة مقدمه الشيخ سليمان، ومعه جمع مِن التجار والأعيان، وأمرهم بالنزول إلى البَنْدَر المعمور، لتنجيل المراكب وأخذ العشور، إلاَّ أنَّه لم يلبسه خِلْعة الوزارة، ولم يُعْلِ بسنائها مقداره، بل صيَّره قايم[٤] مقام يقضي فيها زمانه، حتى يظهر صاحب المكانة، فمكث بجدة خمسة وثلاثين يومًا، وغاص في بحر أموالهم عومًا.

[شمعتان مِن مصر لإضاءة الحرم]

وفي هذا الشهر المذكور[٥]، وصل مِن مصر لهذا المسجد شمعتان، وزن كُلّ شمعة قِنْطَارَان، فجعلوا يسرجونها عند مقام الحنفي[٦]، حتى غاب

---

(١) ١٢ محرم ١٢١٣هـ/ ٢٨ يونيو ١٧٩٨م.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: المائتين.

(٣) ٢٢ محرم ١٢١٣هـ/ ٥ يوليو ١٧٩٨م.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: قائم.

(٥) شهر محرم ١٢١٣هـ/ ١٤ يونيو - ١٣ يوليو ١٧٩٨م.

(٦) **المقام الحنفي**: كان يقع هذا المقام في شمال بيت اللّه أمام ميزاب الرحمة، ويستقبل أهل المدينة المنوَّرة والشام والقدس الشريف هذه الناحية مِن الكعبة عند الصلاة، وكذلك =

ضوؤها وخفي.

[ذكر استيلاء الفرنساويَّة على مِصْر]

وفي غاية صفر[(١)] وصل الشيخ أحمد تُركي مِن إسلامبول بالخبر الذي يهول، ويذهب العقول؛ أخبر بأنَّ الطايفة[(٢)] الفرنساويَّة[(٣)]، استولت على مدينة الإسكندريَّة[(٤)]؛ فتَوَجَّه هاربًا مِن مصر[(٥)] قبل استيلائهم عليها، غير أنَّهم سيصلون إليها، وبعد أيام ورد الخبر أنَّهم ملكوا مصر، وأخذوا جميع أقاليمها، وأخرجوا

= سكان بلاد المسلمين الواقعة في ناحيتها، وقد هُدِمَ المقام في التوسعة السعودية في عهد الملك سعود، في شوَّال ١٣٧٧هـ/ إبريل ١٩٥٨م. أيوب صبري، **موسوعة مرآة الحرمين**، ١/ ٦٩؛ محمد الكردي المكي، **التاريخ القويم**، ٥/ ٩٨.

(١) ٢٩ صفر ١٢١٣هـ/ ١١ أغسطس ١٧٩٨م.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: الطائفة.

(٣) **الطائفة الفرنساوية**: جاءت الحملة الفرنسية على مصر (١٢١٣-١٢١٦هـ/ ١٧٩٨-١٨٠١م) بقيادة نابليون بونابرت، كجزء مِن الصراع بين فرنسا وبريطانيا، ورغبة الأولى في إقامة مستعمرة في الشرق تكون قاعدتها مصر، ولتقطع الطريق بين بريطانيا ومستعمراتها في الهند. وقد تحركت الحملة بقيادة نابليون بونابرت في سرية تامة، مِن ميناء طولون جنوبي فرنسا مايو ١٧٩٨م، ووصل الفرنسيون إلى سواحل مدينة الإسكندرية في ٢٧ يونيو، ونجحوا في الاستيلاء عليها بسهولة، ثم تابعوا سيرهم حتى وصلوا إلى شبراخيت، وهناك اشتبكوا بجيش مملوكي بقيادة مراد بيك، فانتصروا عليه، بينما تقهقر هو إلى القاهرة، واستعد المماليك بكامل قوتهم بقيادة مراد بيك وإبراهيم بيك لقتال الفرنسيين، فالتقى الجمعان في إمبابة قرب القاهرة، وأسفرت المعركة عن انتصار الفرنسيين وهزيمة المماليك، وفرار مراد بيك إلى الصعيد، بينما فَرَّ إبراهيم بيك وبصحبته الوالي العثماني إلى بلاد الشام، ودخل الفرنسيون القاهرة في صفر ١٢١٣هـ/ يوليو ١٧٩٨م. للمزيد محمد فؤاد شكري، **الحملة الفرنسيَّة وخروج الفرنسيين مِن مصر**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٣م، ص ٤٢ وما بعدها.

(٤) **الإسكندرية**: مدينة على ساحل البحر المتوسط، شمال مصر، وكانت عاصمة للبلاد قبل الفتح العربي الإسلامي، وصارت مِن أهم المدن التجارية في العصر العثماني، وللمزيد عن وضع المدينة في ظلّ سيطرة الفرنسيين على مصر، انظر: محمد عبد الحميد الحناوي، **الإسكندرية في عهد الحملة الفرنسية (١٧٩٨-١٨٠١م)**، رسالة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة المنيا، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ص ١٩٠ وما بعدها.

(٥) يقصد القاهرة، وكان يطلق عليها مصر وقتئذ، مِن باب إطلاق الكُلّ على الجزء.

صناجيقها، وسَبُوا بعض حريمها، وملكوا إقليم الصعيد[١] ومزارع الطين، وانتهكوا حُرَم المسلمين.

[الدولة العليَّة تأمر بتحصين مدن الحجاز خشية الفرنساويَّة]

وفي جماد الأوَّل[٢]، ورد خبر مِن المدينة المنوَّرة مِن يوسف باشا، صاحب الصدارة وحسن الرأي والاستشارة، بأنَّه قد جاء فرمان مِن الدولة العليَّة بِمَا فعل الفرنسيس بالأقطار المصريَّة، وإخراجهم للصناجق /ق١٥٩/ وإيذائهم للرعيَّة، وأمرهم بالمحافظة واتفاق الكلمة، وعدم المُناقضة، وأنْ يَسْتَعِدُّوا للعدو بالكفاح، وأنْ لا يتركوا حمل السلاح، وأنْ يُحَصِّنُوا سُور جدة[٣]

---

(١) لم يستطع الفرنسيون الاستيلاء على صعيد مصر؛ نظرًا لشدّة المُقاومة التي لقوها هناك، فاكتفوا بالمُوافقة على أنْ يحكمه مراد بيك، بعد أنْ عقدوا الصلح معه. للمزيد انظر: نبيل السيد الطوخي، **صعيد مصر في عهد الحملة الفرنسيَّة** (١٧٩٨-١٨٠١م)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م. وتجدر الإشارة إلى أنَّه خرجت حملة شعبية مِن الحجاز بقيادة الشيخ محمد الجيلاني واتجهت إلى صعيد مصر لمقاومة الاحتلال الفرنسي. للمزيد انظر: شفيق شوكت العمروسي، «**المكيُّون في مصر: دور عرب الجزيرة في مقاومة الحملة الفرنسيَّة**»، مجلة الدارة، ع١، س ١٠، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، الرياض، ص ٥٤-٦٤؛ عبد اللَّه بن محمد أبو داهش، «**موقف أدباء الجزيرة من الحملة الفرنسيَّة على مصر** (١٢١٣-١٢١٦هـ/ ١٧٩٨-١٨٠١م)»، مجلة العرب، ج ١١-١٢، الجماديان ١٤٠٦هـ/ يناير وفبراير ١٩٨٦، الرياض، ص ٧٥٤-٧٦٦؛ حسين بن محمد الغامدي، «**دور عرب الحجاز في مقاومة الحملة الفرنسيَّة على مصر**»، مجلة الدارة، ع١، س٢٥، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، الرياض، ص ٥-٤٤.

(٢) شهر جمادى الأولى ١٢١٣هـ/ ١٠ أكتوبر - ٨ نوفمبر ١٧٩٨م.

(٣) **سُور جدة**: كان يحيط بميناء جدة، وقد أُقيم في عهد السلطان المملوكي قنصوه الغوري، وذلك للحماية مِن أخطار البرتغاليين، التي باتت تهدد أراضي الحرمين الشريفين، وكان للسور خمسة أضلاع: الغربي مِنْها على البحر وطوله ٥٧٦ مترًا، والبحري طوله ٦٧٥ مترًا، والشرقي طوله ٥٠٤ مترات، والشرقي الجنوبي طوله ٣١٥ مترًا، والجنوبي طوله ٨١٠ مترات، وكان بالسور برجان، وستة أبواب، وهي: باب مكة ويفتح جهة الشرق، وباب المدينة ويفتح جهة الشمال، وباب الشريف ويفتح جهة الجنوب، وأبواب البحر والمغاربة والشهداء تفتح إلى جهة البحر. وقد تمَّت العديد من التحصينات على سور المدينة وبخاصة في عهد الشريف غالب، وذلك لمواجهة أخطار الفرنسيين والوهابيين، =

غاية التَّحْصِين، ولو يَسْتَدِيْنُو[1] مِن تجار بلد اللَّه تعالى الأمين.

وقد وَرَدَ فرمان نظير هذا الفرمان، لحضرة صاحب الترجمة لا زال عالي الشأن.

وفي اليوم الثاني مِن جماد الثاني[2]، أمر صاحب الترجمة بإقراء الفرمان، نظير الذي قُرِئ بمدينة سيد ولد عدنان، ونادى مناديه أنْ تنزل الرعيَّة بعد صلاة العصر، ويسمعون[3] خطاب الدولة زادها اللَّه تعالى عزًّا ونصرةً، فصلوا العصر ونزلوا، وأطاعوا الأمر وامتثلوا؛ فقرأ الفرمان الشاب الكَيِّس مولانا الشيخ محمد صالح الرَّيِّس[4]، مضمونه مِمَّا صدر مِن طايفة[5] الفرنسيس بمصر القاهرة مِن الخيانة الظاهرة، ونقضهم المواثيق والعهود، وسلوكهم طريقًا غير معهود، وأنَّ مِن قصدهم هدم البيت الحرام، وقُبَّة النبي عليه الصلاة والسلام، وهدم بيت المقدس، والمسجد الذي بني على التقوى وأُسِّس، وأنَّ مِن قَصْد هؤلاء المعاندين قتل

= فقام بحفر خندق حول السور، وبناء برج جهة الميناء. محمد لبيب البتنوني، **الرحلة الحجازية**، ص ٦-٧؛ أيوب صبري، **موسوعة مرآة الحرمين**، ٥/ ١٢٨-١٢٩؛ أحمد بن محمد الحضراوي، **الجواهر المعدة في فضائل جدة**، تحقيق: علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط ١، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، ص ٣٥-٣٦، ٤١.

(١) كذا في الأصل، والصواب: يَسْتَدِيْنُون.

(٢) ٢ جمادى الآخرة ١٢١٣هـ/ ١٠ نوفمبر ١٧٩٨م.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: ويسمعوا.

(٤) **محمد صَالح الرَّيِّس**: جمال الدين محمد صالح بن إبراهيم بن محمد بن عبد اللطيف بن عبد السلام الرَّيِّس الزَّمزمي المكي الزبيري الشافعي، ولد في مكة المكرمة عام ١١٨٨هـ/ ١٧٧٤م، وحفظ القرآن وهو دون العاشرة مِن عمره، وله العديد من الشروح والحواشي والمؤلفات، مِنْها: «شرح حزب الإمام النووي»، و«حاشية على المنهج»، و«كرامات الأولياء»، و«فتح ذوي العزة والكرم لأولى الهمم»، توفي في مكة المكرمة ٧ جمادى الآخرة ١٢٤٠هـ/ ٢٦ يناير ١٨٢٥م، ودُفِنَ بمقبرة المَعْلَاة عند قبر والده. عبد اللَّه ميرداد، **مختصر نشر النور**، ص ٢١٤-٢١٦؛ عبد الستار البكري، **فيض الملك الوهاب**، ص ١٣٥٠-١٣٥٣.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: طائفة.

عَامَّة المسلمين ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾﴾[1]، وأمرت الدولة بالتحريض على محافظة مكة، وجدة، وما حولها، وأنْ تصغى الرعيَّة لأوامر الدولة وتمتثل قولها.

[تقلد الشيخ عبد اللطيف الرَّيِّس فتوى الشافعيَّة]

وفي ثلاثة مِن جماد الآخر[2]، تَقَلَّد الشيخ عبد اللطيف الرَّيِّس فتوى الشافعيَّة ببلد اللَّه تعالى المحميَّة، وكان هذا المنصب لأبيه مِن قبل فصار مِن أهله في محلّه، فنال كُلّ مقاصده، ولا غرو أنْ يحذو الفتى حذو والده.

[وزيرا الشريف في جدة صالح أغا، وحسن بن مصطفى]

وفي يوم الجمعة لتسع بقين مِن جمادى الثانية[3]، ألْبس صاحب الترجمة، [وزيريه][4] بجدة، وقد تعطَّل حبل هذين المنصبين مُدَّة، أحدهما: مملوكه صالح أغاه دام مجده وعلاه، فسلك في الناس طريقة مرضيَّة، وسار سيرة رضيت به عنه الرعيَّة، حتى قيل: إنَّه فيما عدا الكرم يخلف الوزير ريحان، لكونه مِن برامكة الزمان.

والوزير الثاني: الجناب النايف[5] المُكَرَّم حسن بن مصطفى الهائف فإنَّ المذكور قد تَقَلَّد كثيرًا مِن المناصب ولم يحل بينهما وبينه حاجب، وأوَّل ما تَقَلَّد منصب النظارة، واستقصى أموره واقتفى آثاره / ق١٦٠/ ثم أغاه على عسكر اليمن، وسلك السلوك الحسن، ثم ألْبس أغاه على تلك الحضارم، وانفردت به ولم يكن له فيها مزاحم، ثم تَقَلَّد وزارة المدينة المنوَّرة، وتَشَرَّف بتقبيل الروضة المُطَهَّرة، ثم تَقَلَّد وزارة الباب، وهذا المنصب حادث لم يكن

---

(١) القرآن الكريم، سورة التوبة، آية رقم ٣٢.
(٢) ٣ جمادى الآخرة ١٢١٣هـ/ ١١ نوفمبر ١٧٩٨م.
(٣) ٢٢ جمادى الآخرة ١٢١٣هـ/ ٣٠ نوفمبر ١٧٩٨م.
(٤) وردت في الأصل وزيره، والتصويب مِن النسخة (ب)، ورقة ١١٨.
(٥) كذا في الأصل، والصواب: النائف.

في الحساب، وهو أوَّل مَن تَوَزَّر في الباب، وصفا له الزمان وطاب، والآن صار هو الوزير الصغير بالبَنْدَر المعمور، فأكرمه صاحب الترجمة بلبس السَّمُّور، وتَوَجَّه مع الوزير صالح، واسْتَسَرَّ بهما كُلّ غاد ورايح[1]، وقلتُ بيتين تاريخًا، وفيهما التورية بولاية الوزيرين، قد استعنت بأصحاب الكسا فلذا أرَّخْته صالحًا هذا الوزير حسن[2].

[تعمير سور بَنْدَر جدة]

وفي الثامن والعشرين مِن شعبان[3]، أمر بتعمير سور جدة، وأنْ يتقنه غاية الإتقان، فاجتهد المعلمون في بنيانه، وبالغوا في تحصيل إتقانه، وجاء على الوجه الأتم، عندما فرغوا مِنْه وتم، وكانت هذه الإمارة والتأسيس، قطعًا لمطامع الفرنسيس[4].

[ذكر التعاون بين الدولة العليَّة والإنجليز ضد الفرنساويَّة]

وقد ورد الخبر أنَّ الدولة العليَّة - زادها اللَّه تعالى عُلُوًّا وقدرًا - جهزوا على الفرنسيس برًّا وبحرًا، وأرسلوا لطلب عسكر مِن الإنقليز، وجعلوا لهم على القِرَانَات[5]..............................

(١) كذا في الأصل، والصواب: رائح.

(٢) **جاءت بحساب الجُمَّل كالآتي**: صالحًا: ص ٩٠ + أ ١ + ل ٣٠ + ح ٨ + أ ١ = ١٣٠. هذا: هـ ٥ + ذ ٧٠٠ + أ ١ = ٧٠٦. الوزير: أ ١ + ل ٣٠ + و ٦ + ز ٧ + ي ١٠ + ر ٢٠٠ = ٢٥٤. حسن: ح ٨ + س ٦٠ + ن ٥٠ = ١١٨. الأجمالي: ١٣٠ + ٧٠٦ + ٢٥٤ + ١١٨ = ١٢٠٨. ويبدو أنَّ التاريخ غير صحيح لأنَّه يحتاج إلى ٧ حتى يكون ١٢١٣، ويوافق تاريخ الولاية المذكور.

(٣) ٢٨ شعبان ١٢١٣هـ/ ١١ نوفمبر ١٧٩٨م.

(٤) **دارة الملك عبد العزيز**، سجل ٢٣٩٦٣، ملف ١٠٤/ ١٦، وثيقة رقم ٣٢٦. وانظر: **ملحق الوثائق**، وثيقة رقم (٥).

(٥) **القِرَانَات**: كلمة صقلبية دخلت التركية، وكانت تطلق في الدولة العثمانية على الملوك المسيحيين، وربما تستعمل بمعنى المملكة. أحمد السعيد سليمان، **تأصيل الدخيل**، ص ١٦٦-١٦٧.

تميز[١]، وأمروهم أنْ يصلوا مِن بحر الهند إلى السويس[٢] والقصير[٣]، ويحاصروهم ليلا[٤] تصل أذيتهم إلى الغير، كما حاصروهم مِن بُغاز[٥] الإسكندرية المراكب الإنقليزية[٦]، بحيث لا

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: تمييزًا.

(٢) **السويس**: تقع في مصر عند النهاية الشمالية لخليج السويس، وهي مدينة كليسما التي سمَّاها العرب: «القُلْزُم». محمد رمزي، **القاموس الجغرافي للبلاد المصرية**، ق٢، ج١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، ص ٧.

(٣) **القصير**: يقع في مصر على الساحل الغربي البحر الأحمر، وهي في مواجهة مدينة قوص بصعيد مصر، وكان يستخدم في التجارة. محمد رمزي، **القاموس الجغرافي**، ق٢، ج٤، ص ٢٧١.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: لئلا.

(٥) **بُغاز**: المكان الضيق بين جبلين، وتعني هنا مرسى السفن. أحمد السعيد سليمان، **تأصيل الدخيل**، ص ٤١.

(٦) أدى استيلاء الفرنسيين على مصر إلى حدوث تعاون بين الدولة العثمانيَّة وبريطانيا لطردهم مِنْها؛ ويتجلى ذلك في: أولاً- موقعة أبي قير البحريَّة: فبعد أنْ استولى نابليون على الإسكندريَّة، توجه قائد الأسطول الفرنسي بروي Brueys ورسى به في خليج أبي قير شرقي الإسكندريَّة، وفي تلك الأثناء كان قائد الأسطول البريطاني نيلسون Nelson، يبحث عن الفرنسيين، فلمَّا تأكدت لديه المعلومات بمكان وجودهم، توجه إليهم، واشتبك معهم في موقعة أبي قير البحريَّة في صفر ١٢١٣هـ/ أوَّل أغسطس ١٧٩٨م؛ والتي أسفرت عن هزيمة الفرنسيين، وتحطم أسطولهم ومصرع قائده، فانقطعت علاقة الحملة بفرنسا، وسيطر الإنجليز على السواحل الشمالية لمصر. محمد عبد الحميد الحناوي، **الإسكندريَّة في عهد الحملة الفرنسيَّة**، ص ٢٦٨-٣١٢.
ثانيًا- إرسال بريطانيا مُسَاعدات مِن الهند: فقد طلبت بريطانيا مِن السلطان العثماني السماح بدخول سفنها في البحر الأحمر، حتى تتمكَّن مِن إرسال المساعدات والمؤن إلى مصر، فأصدر السلطان فرمانًا يمنح السفن البريطانيَّة حرية الملاحة فيه - وكان ذلك محرَّمًا على الأوروبيين مِن قبل ذلك - كما أصدر الأوامر لحكام الثغور لتقديم المساعدة للقوات البريطانيَّة أثناء زيارتهم لها؛ فأصبحت سفن شركة الهند الشرقيَّة البريطانيَّة تمخر عباب البحر الأحمر، محمَّلة بالقوات والمساعدات العسكريَّة إلى مصر عن طريق مينائي السويس والقصير. فاروق عثمان أباظة، **عدن والسياسة البريطانيَّة في البحر الأحمر ١٨٣٩-١٩١٨**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ص ٧٩-٨٤؛ يسري محمد عبد الهادي الحنفي، **أثر الحملة الفرنسيَّة على مصر وبلاد الشام في شبه الجزيرة العربيَّة**، رسالة دكتوراه، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، ص ٢٥١-٢٥٩. وسيذكر مؤرخنا ابن عبد =

يجدوا[١] الفرنساويون ملجأً إلى الخروج، ولا مفرًّا ولا مدخلًا إلى العروج.

[وصول مراكب للإنجليز إلى بَنْدَر جدة مُتجهة للسويس]

وفي تاسع شعبان[٢] وصل أوَّل التجهيز، مركبان مشحونة بعساكر الإنقليز، وفيها مِن الاستعداد والقوة ما يسر الخاطر ويقرّ به الناظر، ومع ريِّسهم فرمان عالي الشان[٣]، لحضرة مولانا الشريف لا زال قدره مصان[٤]، بأنَّ هؤلاء الإنقليز صاروا مِن جملة الخدم القايمين[٥] بخدمتنا على قدم، فتكرموهم[٦] لأجل خدمتنا وترعوهم[٧]، ومَهْمَا أرادوه بالدراهم تبايعوهم، فخرجوا إلى البَنْدَر المعمور، وأسكنوا ريِّسهم في أحسن الدور، وأرسل ريِّسهم الفرمان لهذا الشريف المترجَم، فقابلهم بالقبول وأكرم الرسول وأنعم، وخرج الإنقليز إلى البلد وباعوا وشروا، ووسقوا مراكبهم مِن الماء وغيره / ق١٦١/ مَهْمَا قدروا، وتَوَجَّهوا إلى السويس في حادي عشر شوال[٨]، حين خَفق الأَزَيْب[٩] وسَكَن الشمال[١٠].

وكتب صاحب الترجمة للدولة العليَّة جواب الفرمان، وأرسل به الشيخ أحمد تُركي في سابع عشر رمضان[١١]. وفيه وقع العقد الذي في

= الشكور بعضًا مِن أخبار السفن البريطانيَّة في مواضع متعددة مِن تاريخه، الأمر الذي يوضح التعاون العثماني - البريطاني في سبيل استرداد مصر مِن الفرنسيين. وانظر: **ملحق الوثائق**، وثيقة رقم (٦).

(١) كذا في الأصل، والصواب: يجد.

(٢) ٩ شعبان ١٢١٣هـ/ ١١ نوفمبر ١٧٩٨م.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: الشأن.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: مصانًا.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: القائمين.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: فتكرمونهم.

(٧) كذا في الأصل، والصواب: وترعونهم.

(٨) ١١ شوَّال ١٢١٣هـ/ ١٧ مارس ١٧٩٩م.

(٩) **الأَزَيْب**: ريح تأتي مِن الجنوب إلى الشمال. **المعجم الوسيط**، ص ٤٠٨.

(١٠) **الشَّمَال**: ريح تأتي من الشمال إلى الجنوب. **المعجم الوسيط**، ص ٤٩٤.

(١١) ١٧ رمضان ١٢١٣هـ/ ٢١ فبراير ١٧٩٩م.

المروة رابعة النهار، ولم يتأذَّ به قاطن ولا مار.

[وفاة الشيخ رضوان الرَّيِّس]

وفي غايته[١] توفي الشيخ رضوان الرَّيِّس، وجاور المَلِك العلام، وقطفت زهرة عمره يد الحمام، واختار في شهر الصوم دار البقا[٢]، وكان مِن جملة العتقا[٣].

[وصول مراكب للإنجليز إلى بَنْدر جدة مُتجهة إلى السويس]

وفي سادس شوال[٤]، وصل مركبان مِن مراكب الإنقليز، فارتوت مِن الماء وسقت، وحملت المراكب ووَسقت، ثم تَوَجَّهت إلى السويس ولحقت بالمركبين، وصارت أثرًا بعد عين.

[الشريف في زيارة إلى بَنْدَر جدة]

وفي عاشر ذي القعدة[٥]، تَوَجَّه صاحب الترجمة إلى جدة، فقضى إربه مِنْها وعاد في أسرع مُدَّة.

[أخبار قوافل الحج]

وفي سادس الحجة الحرام[٦]، وصل الحجاج مِن دمشق الشام، وكان أميره محمد أفندي كاتب ديوان الجزار، أنابه عنه لحصار الفرنسيس له أيّ حصار[٧]، وجاء بكسوة البيت الحرام مِن الشام، ولم يسبق مجيئها مِنْه قبل

---

(١) ٢٩ رمضان ١٢١٣هـ/ ٥ مارس ١٧٩٩م.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: البقاء.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: العتقاء.
(٤) ٦ شوَّال ١٢١٣هـ/ ١٢ مارس ١٧٩٩م.
(٥) ١٠ ذو القعدة ١٢١٣هـ/ ١٤ إبريل ١٧٩٩م.
(٦) ٦ ذو الحجة ١٢١٣هـ/ ١٠ مايو ١٧٩٩م.
(٧) عقب تحطم الأسطول الفرنسي على يد الإنجليز في موقعة أبي قير البحريَّة صفر ١٢١٣هـ/ أغسطس ١٧٩٨م، أدرك نابليون بونابرت أنَّ بقاءه في مصر لن يستمر إلا بامتلاك الشام، =

هذا العام.

[انقطاع محمل الحج المصري]

ولم يصل عامها المحمل المصري[1] ولا أحد مِن المصريين حج سوى

= حيث وصلت إليه الأخبار بأنَّ أحمد باشا الجزار يقوم بتحصين قلاع الشام، ويُعد العُدَّة للهجوم على الفرنسيين في مصر؛ فخرج نابليون مِن القاهرة في رمضان ١٢١٣هـ/ فبراير ١٧٩٩م على رأس قوة عسكريَّة، مُكَوَّنة مِن ستة عشر ألف مقاتل متجهًا إلى الشام؛ فاستولى في طريقه على العريش، وغزة، والرملة، واللد، ويافا، وحيفا ثم اتجه إلى حصار عكا، ولكنَّه فشل في الاستيلاء عليها، نتيجة حصانة أسوارها، واستبسال أهلها بقيادة أحمد باشا الجزار، ومساعدة الأسطول البريطاني لأهالي عكا عن طريق البحر، وانتشار الطاعون بين جنوده، الأمر الذي دفعه إلى رفع الحصار عنها، وعاد إلى القاهرة متظاهرًا بالنصر، فوصلها في محرم ١٢١٤هـ/ يونيو ١٧٩٩م. أحمد حيدر الشهابي، **قصة أحمد باشا الجزار**، ص ١٥٤-١٥٦؛ نيقولا الترك، **جمهور الفرنساوية**، ص ٦٣-٨٣؛ صالح علي الشورة، **أحمد باشا الجزار**، ص ٧٢-١٠٢.

(١) حينما سيطر الفرنسيون على مصر، سعى نابليون بونابرت إلى إظهار تودده للمسلمين في مصر؛ فاختار مصطفى بيك كَتْخُدا الباشا العثماني - الذي تعاون معهم - ليكون أميرًا للحج، وقد تم تنصيبه في احتفال كبير في ربيع الأول ١٢١٣هـ/ سبتمبر ١٧٩٨م، كما عمل على تبادل الرسائل مع الشريف غالب، وطلب مِنْه حماية الموكب والحجيج مِن هجمات العُربان، ويظهر مِنْها إلحاح الشريف المتكرر لاستئناف إرسال قافلة الحج لِمَا تدره مِن مال على الحرمين الشريفين، ولكن ما أراده نابليون لم يتم نتيجة الظروف التي أَلَمَّت بالحملة، وحفظت كسوة الكعبة التي صنعت في عهده بالمشهد الحسيني بالقاهرة، وعندما تولى جاك مينو قيادة الحملة في مصر عمل على إخراج الكسوة لإرسالها إلى مكة، حتى تعلق على الكعبة باسم المشيخة الفرنساوية، ولكن ذلك لم يحدث حيث أُخْرِجَ الفرنسيون مِن مصر، وبناءً على ما تقدَّم لم تخرج أيَّة قافلة حج مِن مصر طوال الغزو الفرنسي، وقد أُعِيْد إرسالها بعد استرداد العثمانيين لها. عبد الرحمن بن حسن الجبرتي، **مظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيس**، تحقيق: عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م، ص ٤٩، ٩٩، ١١٩-١٢١، ١٢٨-١٢٩؛ حسام عبد المعطي، **العلاقات المصرية الحجازية**، ص ٢٣٥-٢٣٧؛ محمد علي فهيم، **مخصصات الحرمين**، ص ٤١٨-٤٢٢؛ شيرين عبد الحليم القباني، **المحمل المصري**، ص ٥٩-٦١، ١٣٩. وللمزيد عن عَلاقة الشريف غالب ونابليون بونابرت، والمراسلات التي تبودلت بينهما انظر: سامية أسْعَد بشاوري، **الشريف غالب**، ص ١٨٣-١٩٣؛ محمد زكريا عناني: "**مراسلات متبادلة بين الشريف غالب بن مساعد وبين نابليون بونابرت ورجال حملته على الشرق**"، مجلة الدارة، الرياض، ع ٣، س ٦، =

نزر مِن المغاربة[١]، لم يمنعهم الفرنسيس عن سلوك هذا المنهل، فوقف حجاج المسلمين بعرفة، مُلَبِّين بأحسن خضوع وأجمل صفة. وفي الخامس والعشرين[٢] تَوَجَّه مِن طريق الشرق، حين صفا الوقت ورقّ.

[وصول مراكب للإنجليز إلى بَنْدَر جدة مُتجهة للسويس]

وفي الثامن والعشرين[٣]، ورد مِن مراكب الإنقليز مركبان كأنَّهما الجبلان، فاستقوا مِن الماء وتَوَجَّهوا، واشتروا مِن البَنْدَر ما اشتهوا.



= ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ص ٧٣-٩٩؛ محمد زكريا عناني: **"مراسلات متبادلة بين الشريف غالب بن مساعد وبين نابليون بونابرت ورجال حملته على الشرق"**، مجلة الدارة، ع ٤، س ٢١، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ص ٥-٢٩. وقد كانت الدولة العثمانية على معرفة بهذه المراسلات، وتابعتها باهتمام شديد، وأدركت أنَّ الشريف لا يتعاون بالشكل المطلوب مع القوات الإنجليزية التي تأتي إلى جدة، وتتجه إلى السويس لمحاربة الفرنسيين في مصر وإخراجهم مِنْها. محمد عبد اللطيف هريدي، **شئون الحرمين**، ص ١١٧-١١٩. وانظر: **ملحق الوثائق**، وثيقة رقم (٧).

(١) **حجاج المغاربة**: كان حجاج المغرب يصلون إلى القاهرة، ثم يخرجون في صحبة قافلة الحج المصري، وفي ٦ ذي القعدة ١٢١٣هـ/ ١١ مارس ١٧٩٩م، وصل حجاج المغاربة إلى الجيزة على الضفة الغربية لنهر النيل، وكان عددهم حوالي عشرين ألفًا، فانتشرت الشائعات بأنَّهم حضروا للجهاد ضد الفرنسيين، فأحضر الفرنسيون كبير المغاربة، للوقوف على حقيقة الأمر، فقال لهم: «إنَّنا لم نأت إلا بقَصْد الحج ... وإنَّ هذه البلاد ليست لنا ولا لسلطاننا، حتى نقاتل عليها، ولا يصح أنْ نقاتلكم بهذه الشرذمة القليلة، وليس معنا إلا نصف قنطار بارود»؛ ولذلك قام الفرنسيون في اليوم التالي بنقل الحجاج إلى الضفة الشرقية لنهر النيل، ليستكملوا طريقهم إلى الحجاز. عبد الرحمن الجبرتي، **مظهر التقديس**، ص ١٢٠-١٢١.

(٢) ٢٥ ذو الحجة ١٢١٣هـ/ ٢٩ مايو ١٧٩٩م.

(٣) ٢٨ ذو الحجة ١٢١٣هـ/ أوَّل يونيو ١٧٩٩م.

[أحداث سنة ١٢١٤]

وتَمَّت السنة ودخل العام الجديد[١] [سنة ١٢١٤] وتحلى جِيد الزمان بالعقد الفريد.

[زيارة الشريف لمدينة الطائف]

وفي الثالث والعشرين من محرم[٢] سنة ١٢١٤، عام ألف وماتين[٣] وأربعة عشر، تَوَجَّه صاحب الترجمة بأهله إلى الطايف[٤]، لا زال مجده على صفحات الدهور نايف[٥]، وهرعت الناس إلى الطايف[٦] في هذا العام، وتراكمت ساحته كتراكم الغَمَام، وحَدَى فيه حَادِي الصفا بالأُنْس، بِمَا يغنِي عن ذكر الأندلس.

[الصدر الأعظم بالجيش العثماني في الشام]

ووَرَدَ الخبر أنَّ عُرضي الدولة، ومَعَه صاحب الختام[٧]،

(١) عام ١٢١٤هـ/ ٤ يوليو ١٧٩٩ - ٢٣ مايو ١٨٠٠م.
(٢) ٢٣ محرم ١٢١٤هـ/ ٢٦ يوليو ١٧٩٩م.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: مائتين.
(٤) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.
(٥) كذا في الأصل، والصواب: نائفًا.
(٦) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.
(٧) **صاحب الختام**: ويقصد به الصدر الأعظم أحمد ضيا باشا، تولى الصدارة العظمى في جمادى الأولى ١٢١٣هـ/ أكتوبر ١٧٩٨م، وعقد اتفاقيتي تحالف مع الروسيا وإنجلترا لإخراج الفرنسيين من مصر، وكان الباب العالي قد عهد بقيادة الجيش الزاحف إلى مصر إلى أحمد باشا الجزار، ولكن ضيا باشا عرض على السلطان استعداده للقيام بتلك المهمَّة، وخرج الصدر الأعظم مِن إستانبول في ١٢١٤هـ/ يونيو ١٧٩٩م بجيش مِن الإنكشارية، وجند بابه ووصل إلى دمشق، وظلَّ بها حوالي خمسين يومًا، ثم بدأ بالزحف على مصر، ولكن هذه الحملة تعرضت للهزيمة على أيدي الفرنسيين؛ =

أناخ ركايب[١] العزم بدمشق الشام، قاصدًا مصر القاهرة، فأرسل مولانا الشريف المكاتيب / ق١٦٢/ مع إبراهيم أفندي البكاي، وأسداه بِمَا يعينه على البعاد والتنآي[٢]، وتَوَجَّه مِن الطايف[٣] لحضرة الوزير[٤] واجه به في دمشق في شهر أمشير، ثم عاد بالأجوبة في الثامن والعشرين مِن جماد لصاحب الترجمة، وذكر أنَّ الوزير أنعم عليه وأكرمه.

[وصول مراكب للإنجليز إلى بَنْدَر جدة مُتجهة للسويس]

وفي السادس عشر مِن ربيع الثاني[٥]، ورد البَنْدَر للإنقليز أربعة مراكب، وهي في غاية القوة وأَسْنى المطالب للعدو المحارب، فوَسَقت وَسَقَت مِن الماء، وركبت اللجة الدهما[٦].

[ذكر نزول صاعقة على مكة]

وفي الثاني مِن ربيع هَمَا الغيث المريع، فحنت الرعودُ، وأومض البرقُ، ولمع غربًا وشرق[٧]، ونزلت صاعقةٌ هدمت بعض الدار الملازقة للقَبَّان الجديد، ولم تصب أحدًا بفضل المُبديء المُعيد.

= وتقهقرت إلى الشام. وقد وصف أحمد ضيا باشا بأنَّه «كان وزيرًا عاقلاً فاضلاً، وعن أمور الشريعة مُناضلاً، يبغض الظلم والعدوان، ويحب العدل والأمان». نقولا الترك، **جمهور الفرنساوية**، ص١٠١ وما بعدها. وللمزيد عن الحملة العثمانيَّة البريَّة مِن ناحية الشام على مصر. عزت حسن الدارندلي، **الحملة الفرنسية على مصر في ضوء مخطوط عثماني: مخطوط «ضيانامة»**، دراسة وترجمة: جمال سعيد عبد الغني، تاريخ المصريين (١٣٤)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م، ص ٢٣-٢٦، ٢٠٣ وما بعدها.

(١) كذا في الأصل، والصواب: ركائب.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: التنائي.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.

(٤) ويقصد به الصدر الأعظم أحمد ضيا باشا.

(٥) ١٦ ربيع الآخر ١٢١٤هـ/ ١٦ سبتمبر ١٧٩٩م.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: الدهماء.

(٧) كذا في الأصل، والصواب: شرقًا.

[سرقة الحجر الأحمر مِن المعجن]

وفي غُرَّة جماد سُرِقَ الحجر الأحمر(١) الذي في المعجن(٢)، ومِن يوم ضياعه انقلب على أهل مكة ظَهْر المِجَنّ، فحصل لهم أمراضٌ وإكسال، وأذن داعي المنون بالانتقال، وما زالت الناس تزداد في الأسقام والأمراض، ويد المَنِيَّة تقرض حبل آجالهم بِمِقْرَاض، ومِن أواخر شهر رمضان(٣) ابتدأ الرفعُ وزادت الشدة، والجنايز(٤) تتوالى إلى آخر نهاية القعدة(٥)، وما زال كاس(٦) المَنِيَّة يُصيِّر الأرواح عن أجسامها منحازة، حتى بلغ في هذه المدة بين اليوم والليلة أربعين جنازة. ولم يرتفع هذا الرفع الْمُقَدَّر حتى وُجِدَ الحجر الأحمر.

---

(١) **الحجر الأحمر**: حجرٌ رخاميٌّ كان في حفرة المعجن، في الجهة الملاصقة للبيت الحرام. أيوب صبري، **موسوعة الحرمين الشريفين**، ٢/ ٨٠٨. وقد كان طوله سبعين سنتيمترًا، وعرضه أربعة وثلاثون سنتيمترًا، وكتب فيه: «بسم اللَّه الرحمن الرحيم، أمر بعمارة المطاف الشريف، سيدنا ومولانا الإمام الأعظم، المعرض للطاعة على سائر الأمم، أبو جعفر المستنصر باللَّه أمير المؤمنين، بلغه اللَّه آماله وزين بالصالحات أعماله، وذلك في شهور سنة إحدى وثلاثين وستمائة، وصلى اللَّه على سيدنا محمد». انظر: محمد الكردي المكي، **التاريخ القويم**، ٣/ ٤٦١.

(٢) **المعجن**: كانت حفرة ملاصقة للكعبة المشرفة على يمين بابها، يبلغ طولها مترين، وعرضها ١١٢ سنتيمترًا، وعمقها ٢٨ سنتيمترًا. ويروى أنَّ مقام سيدنا إبراهيم عليه السلام كان في مكان موضع هذه الحفرة، و أنَّ الصلاة حينما فُرِضَت على المسلمين، صلى جبريل بالنبي ﷺ مرتين فى هذا المكان. وهذه الحفرة لم تكن حفرة حقيقة، وإِنَّما كانت في صدر الإسلام مِن نفس أرض المطاف الترابية، وكان يوضع في موضعها علامة تدل عليها، ولمَّا فرشوا أرض المطاف بالحجارة، جعلوا هذا الموضع حفرة كالحوض عُمقها نحو ثلاثين سنتيمترًا حتى لا يندرس هذا المحل. وقد تمَّ ردم الحفرة أثناء التوسعة السعودية الأولى في عهد الملك سعود بن عبد العزيز وتجديده وترميمه للكعبة المعظمة، وذلك بسبب وقوع بعض الحجاج فيها وقت الطواف في موسم الحج، وكان ذلك في يوم الخميس ٢ شعبان ١٣٧٧هـ/ ٢٠ فبراير سنة ١٩٥٨م. أيوب صبري، **موسوعة الحرمين الشريفين**، ١/ ٦٧؛ محمد الكردي المكي، **التاريخ القويم**، ٣/ ٤٥٤-٤٦٢.

(٣) شهر رمضان ١٢١٤هـ/ ٢٦ يناير - ٢٤ فبراير ١٨٠٠م.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: الجنائز.

(٥) ٣٠ ذو القعدة ١٢١٤هـ/ ٢٤ إبريل ١٨٠٠م.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: كأس.

وسَمعتُ مِمَّن يوثق بقوله باطنًا وظاهرًا، مولانا الشيخ العلامة محمد طاهر(١) ابن المرحوم العلامة الشيخ سعيد سُنْبُل(٢)، أنَّه رأى في بعض التواريخ السابقة، أنَّ شخصًا سَرَق حجرًا مِن أحجار البيت الشريف فيما تَقَدَّم مِن الأزمنة، فحصل بسببه الرفعُ الذي عَمَّ جميع الأمكنة، فما ارتفع الرفع حتى عاد الحجر في مكانه، وذكر المورخ(٣) أنَّها وقعت هذه الوقعة في زمانه. ولقد شاهدت واقعة الحجر الأحمر بالعين مشاهدة، وأهل مكة المعاصرون بالواقعة شاهدة، وكُلٌّ قيس قياسًا على سارقه ورجم، وأجمعوا أنَّه لم يسرقه غير العجم، ولم يخل هذا الحجر مِن الخواص، لكونه دُرَة مِن دُرَرِ الغوَّاص، ولقد شاهدنا عمل أهل زماننا عليه الآن يلحسونه باللسان، ويقولون: إِنَّه نافع لداء اليرقان(٤).

ثم اعلم أنَّ شخصًا مِن مجاوري مكة، وهو مِن أصحاب الثروات، يدعي بعلي البصنوي خَلَّفَ ابنًا اسمه محمد، ومات وابنه المذكور / ق١٦٣/ مُبتلى بداء السوداء(٥)، ويخلط في كلامه هَزلًا وجِدًّا، فأنفق مِن مُخَلَّفَات أبيه أموالًا كثيرة، ومات في مُدَّة يسيرة، فَوُجِدَ الحجر الأحمر في تركته، وما أظنَّه أخذه

---

(١) سبقت ترجمته.

(٢) **سَعِيْد سُنْبُل**: محمد سعيد بن محمد سُنْبُل المجلائي المكي، مِن فقهاء مكة المكرمة، تولى التدريس والإفتاء في المسجد الحرام. ومِن مؤلفاته «الأوائل السنبليَّة» في أوائل كتب الحديث، توفي في الطائف عام ١١٧٥هـ/ ١٧٦١م، ودُفِنَ أمام شباك الصحابي عبد اللَّه بن عباس - رضي اللَّه عنه. أحمد الحضراوي، **نزهة الفكر**، ٢/ ١٩-٢٠؛ خير الدين الزركلي، **الأعلام**، ٦/ ١٤٠.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: المؤرخ.

(٤) **داء اليرقان**: مرض ناشئ عن اختلال في إفراز الصفراء أو المرارة ويصحبه اصفرار الجلد والأنسجة والبَول. محمد بن أحمد الخوارزمي، **مفاتيح العلوم**، دراسة وتصدير: عبد الأمير الأعسم، دار المناهل، بيروت، ط١، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٨م، ص ١٥٥. **المعجم الوسيط**، ص ١٠٦٤.

(٥) **داء السّوداء**: ويعرف حاليًا بمرض المَلَنْخُولْيَا، مرضٌ عقليٌّ وضرب من الجنون وهو أنْ تحدث للإنسان أفكار رديئة ويغلبه الحزن والخوف وربما صرخ ونطق بالأفكار الردية وخلط في كلامه. محمد الخوارزمي، **مفاتيح العلوم**، ص ١٥٥. **المعجم الوسيط**، ص ٨٨٧.

إلا ليلتمس مِن بركته، فإنَّ المذكور شاهدناه مِن أصلح الرجال، ينفقُ على المُسْتحقين جَمًّا غفيرًا مِن المال، وهذا هو السبب الحامل على اقتلاعه، سوءُ عقله لا سوء طباعه.

وفي ليلة تاسع شهر الصيام[1]، مِن شهور هذا العام، وقع عمودان مِن الصفر الذي حول المطاف، فأعادهما كما كان سليل عبد مناف.

[أخبار قوافل الحج]

وفي ليلة ثامن الحجة[2]، وصل حجاج المسلمين لزيارة البيت الأمين، وكان أميره ابن العظم عبد اللَّه باشا، بلغه اللَّه تعالى مِن الخيرات ما شا[3]، فخرج إليه سليل السادة الأمجاد، ولبس الخِلْعة السلطانيَّة على الوجه المعتاد، فحج بالناس ولم يقع بفضل الكريم باس[4].

وفي الثالث والعشرين[5] تَوَجَّه لزيارة سيد الأنام، حين لمع بارق السلامة يمنًا وشام[6]، وتَمّ العام بالفيض والإنعام.

❐ ❐ ❐

(١) ٩ رمضان ١٢١٤هـ/ ٣ فبراير ١٨٠٠م.
(٢) ٨ ذو الحجة ١٢١٤هـ/ ٢ مايو ١٨٠٠م.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: شاء.
(٤) كذا في الأصل، والصواب: بأس.
(٥) ٢٣ ذو الحجة ١٢١٤هـ/ ١٧ مايو ١٨٠٠م.
(٦) كذا في الأصل، والصواب: شامًا.

[أحداث سنة ١٢١٥]

ولـمَّا هلَّ هلال المحرم ولمع بالخير طالعه سنة ١٢١٥[١] سبقت في ميدان الخيرات طوالعه.

وفي السادس والعشرين مِن محرم[٢] هذا العام، ورد الخبر مِن مدينة سيد الأنام - عليه أفضل الصلاة والسلام، سنة ١٢١٥ ألف وماتين وخمسة عشر[٣] مِن هجرة سيد البشر - بوفاة الوزير المكرم والصدر الأعظم يوسف باشا، فَاسْتَسَرّ كُلٌّ بموته وما تحاشا، لكونه مَن شَيَّد دولة الوهابيين، وأَسَّس هذا الحزب الذي يبقى في الحرمين حتى حِيْن.

[إصلاحات في الحرم وتعمير مقام إبراهيم]

وفي غُرَّة محرم[٤] هذه السنة، تفضلت الدولة العليَّة بهذه الحسنة، أمرت بتنقيل الحجر المفروش في رواق المسجد الحرام، وتعمير مقام [الخليل][٥] عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام، وتنقيل جميع المماشي، وما حول الطواف والمقامات مِن حواشي، جزاهم اللَّه تعالى خيرًا وأحسن إليهم كُلّ الإحسان، وأبقى دولتهم على ممر الزمان.

[زيارة الشريف إلى بَنْدَر جدة]

وفي خامس[٦] هذا الشهر، تَوَجَّه صاحب الترجمة إلى جدة، أدام اللَّه

(١) عام ١٢١٥هـ/ ٢٤ مايو ١٨٠٠ - ١٢ مايو ١٨٠١م.
(٢) ٢٦ محرم ١٢١٥هـ/ ١٨ يونيو ١٨٠٠م.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: مائتين وخمس عشرة.
(٤) غُرَّة محرم ١٢١٥هـ/ ٢٤ مايو ١٨٠٠م.
(٥) وردت في الأصل (السيد خليل)، والتصويب مِن النسخة (ب)، ورقة ١٣٢.
(٦) ٥ محرم ١٢١٥هـ/ ٢٨ مايو ١٨٠٠م.

تعالى مجده وأعلاه سعده، فغاب بها قدر شهر، ثم عاد إلى المقر.

[الشريف يشترى دار عمِّه في أول المَعَابدَة]

واشترى في عامه دار عمّه جعفر التي بأوَّل المَعَابِدَة، وهي مِن أحد الدور المتنزهات، والنسيم يعثر في رياضها مِن كُلّ الجهات، وعَمَّرها عمارة تشهد / ق١٦٤/ لِهمَّته بعلوها، وتسر الصديق بغيظ عدوها.

[زيارة الشريف إلى الطائف]

فأقام بمكة خمسة أيام، وأماط عن وجه السفر للطايف[١] اللثام، فتنزه في رياضه وكرع مِن نمير حياضه مُدَّة ثلاثة أشهر ونصف، وهو عن الأنس والصفا لا يتحول، وعاد إلى مكة في الخامس والعشرين مِن جماد الأول[٢].

[وفاة السيد فهيد بن عبد اللَّه بن سعيد]

وفي غُرَّة جمادى الأولى[٣] تَوَجَّه مِنْه السيد فهيد بن الشريف عبد اللَّه بن سعيد إلى بلد اللَّه تعالى الحرام، فأقام يومين وقضى شؤنه وتَوَجَّه إلى الشام، وكان سَفَره خنقًا واختلاسًا عن صاحب الترجمة، ولم يظهر لسَفَره إشارة ولا سِمَة، فركب متن الطريق وأَمَّه، وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّة، فلمَّا علم به أوغل في طلبه المراسيل، ولم يدركوا مِنْه غير تعب الرحيل، وما أظنَّه سَاقَتَه غير أمنيته بهم الهمم، ويسعى القدم لعمر دنا أو رزق قسم؛ ولمَّا وصل إلى الشام دعاه داعي الحمام، ودفن بها عليه رحمة المَلِك العلاَّم، أعقب مِن الذكور ابنه النجيب الحايز[٤] مِن الكمالات أوفر نصيب السيد عبد اللَّه ابن السيد فهيد، فهو الفاضل الذي سلك طريق المعالي واجتهد، والشبل كما يقال: ولد الأسَد.

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: للطائف.

(٢) ٢٥ جمادى الأولى ١٢١٥هـ/ ١٣ أكتوبر ١٨٠٠م.

(٣) غُرَّة جمادى الأولى ١٢١٥هـ/ ١٩ سبتمبر ١٨٠٠م.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: الحائز.

[أسعار صرف النقود]

وفي عشرين مِن جمادى الثانية[١] مِن العام المذكور، زادت المعاملة عن أسعارها، وارتفعت مقدارًا على مقدارها، فبلغ المشخص أحد عشر غرشًا وربعًا، والريال بخمسة غروش بعد أنْ كان بسبعة وأربعة، وحصل لبعض الناس مضرَّة وللبعض منفعة.

[عمارة سور لحماية الطائف]

ولمَّا رأى صاحب الترجمة الإرجاف، وخيانة الفساد والأعراب عمّت جميع الأكناف والأطراف، والشقي الخارج فتحت لأخذ البلدان مسامعه، وقويت شوكته على المسلمين وزادت مطامعه، أمر حاكمه الجناب المُكَرَّم سليمان بن أحمد الهائف، بعمارة سور حصين محيط بقرية الطايف[٢]، وصيانتها لسكانها مِن رجوم المردة، وحفظًا لأوطانها مِن هجوم القردة، عَالِمًا إنْ تَمَكَّن مِنْهم ذلك الجبار، يفنيهم جميعًا ويخلي مِنْهم الديار، ولم يبقِ مِنْهم دَيَّارًا ولا نافخ نار، وجعل لهذا السور ثلاثة أبواب: الباب الأوَّل باب السلامة ويقال له: باب الريع. والثاني باب حوايه. والثالث باب اليمانيَّة، تمام الجميع.

[الشريف يأمر بإقامة أبراج لتحصين مكة]

وأمر صاحب الترجمة أنْ تُحَصَّن بعض جبال مكة بأبراج / ق١٦٥/ خشية المُنافق، رغبةً وأمنًا للساكن ورهبة وتخويفًا لكُلِّ مُنافق؛ فَبَنَى بقرب المَعَابِدَة برجين[٣] على راس[٤] جبلين شاهقين، وعلى ثنية شعب الْحَجُون بُرجين مُتقابلين[٥] تُدْنِي لمحاربها الحَيْن، وبرج على بئر طُوَى لا ينازله عدو

---

(١) ٢٠جمادى الآخرة ١٢١٥هـ/ ٧ نوفمبر ١٨٠٠م.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: برجان.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: رأس.

(٥) إبراهيم رفعت، مرآة الحرمين، ١/ ٣٠.

ولا يقوى، وبنا بُرجين مُتقابلين بقرب الشيخ محمود[١]، تمنع الداخل مكة عن الورود[٢]، وأمر ببناء برج على البئر الذي بشاقة المنشية، ينال محاربه مِنْه كاس[٣] المَنِيَّة.

[وصول مراكب للإنجليز إلى بَنْدَر جدة مُتجهة للسويس]

وفيه وصل مركب، وثلاثة بعده، وبعدها جملة مراكب مِن مراكب الإنقليز، فاستقت ورحلت على مصر، وهي مشحونة بالعساكر، ومجهزة غاية التجهيز، فكسر أكبر المراكب وهو داخل إلى جدة بعد موضع يقال له: العلم، فاجتمع مِن مراكبهم نحو الثلاثين، وأرادوا خروجه فلم يمكن وجوده بعد العدم، فأخرجوه لصاحب الترجمة بعد أنْ عافروا فيه وما ملكوه، وبعد أنْ أعطاهم إيَّاه سافروا وتركوه، فمكث في الماء نحو أربع سنوات، وهو موثوق بالشحنة التامة مِن جميع الآلات، وبعد ذلك أخرج مِنْه صاحب الحظ الذي يقسم الحجر مِن البارود وغيره مِن آلات القتال شي[٤] لا يدخل تحت الحصر، ثم وردت خمسة مراكب إنقليزيَّة؛ فاستقت وسافرت للجهات المصريَّة.

[أخبار قوافل الحج]

وفي سابع ذي الحجة[٥]، ورد الحج الشامي بالفيض الهامي، وكان أميره عبد اللَّه باشا بن العظم، فنال زيارة البيت المكرم.

وفي هذا العام المذكور[٦] لم يصل مِن مصر محمل ولا حج؛ لاشتغال

---

(١) الشيخ محمود: موضع في جَرْوَل بمكة، دُفِنَ فيه الشيخ محمود بن أدهم، أحد الصالحين الأتقياء، وكان قبره مِن مزارات الحجاج، عاتق البلادي، معجم معالم الحجاز، ص ١٥١٨.

(٢) إبراهيم رفعت، مرآة الحرمين، ١/ ١٨٣.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: كأس.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: شيئًا.

(٥) ٧ ذو الحجة ١٢١٥هـ/ ٢٠ إبريل ١٨٠١م.

(٦) عام ١٢١٥هـ/ ٢٤ مايو ١٨٠٠ - ١٢ مايو ١٨٠١م.

الدولة العليَّة بقتال الإفرنج، فخرج صاحب الترجمة دام إسعاده وإسعافه، ولبس الخِلْعة كما يلبسها آباؤه وأسلافه، وحج بالمسلمين مِن وفاد وقاطنين.

وفي هذا العام(١)، حج أشقى الأنام سعود وأقوامه اللئام، ونفرت الناس في ثالث مِنَى قبل الزوال للفتنة الواقعة بين بادية الشريف وعصابة أهل البغي والضلال، ووقع الجري في الأسواق، ونالت الناسَ متاعبٌ ومشاق، وسأقصّ عليك واقعة الوهابيين في محلّها، وأوضح بيان إضلالها وجهلها.

وفيه وقع قتال بين عبيد لصاحب الترجمة وبني هُذَيْل، ونال كُلًّا مِن صاحبه شدةٌ وميل، ففرعها بينهم ذو الشرافتين، بعد أن أصيب مِن كلا الطرفين.

وفي اليوم السادس والعشرين(٢)، بعد أنْ خلق ثوب الأصيل / ق١٦٦/ ورق، تَوَجَّه المحمل الشامي بجنوده مِن طريق الشرق.

❒ ❒ ❒

---

(١) عام ١٢١٥هـ/ ٢٤ مايو ١٨٠٠- ١٢ مايو ١٨٠١م.
(٢) ٢٦ ذو الحجة ١٢١٥هـ/ ٩ مايو ١٨٠١م.

[أحداث سنة ١٢١٦]

وتَمَّت السنة بالمسرة والميمنة، وَوَلَجَ العام الجديد[١] [سنة ١٢١٦]، والطالع السعيد، ففي العاشر مِن محرم الحرام[٢]، عام ألف وماتين[٣] وستة عشر مِن هجرة خير الأنام، نزل صاحب مكة بالجنود والعساكر إلى بَنْدَر جدة العامر.

[وصول مراكب للإنجليز إلى بَنْدَر جدة مُتجهة للسويس]

وفي اليوم الثاني عشر[٤] وَرَدَ اثنا عشر مركبًا مِن مراكب الإنقليز؛ تقْوِية لما شيَّدته الدولة مِن التجهيز، فخرج رايِّسهم واجتمع بصاحب الترجمة - لا زالت الأيام له مبتسمة - وطلب مِن حضرته العليَّة وهمته القويَّة، أنْ يشتري لهم خمسمائة مِن النُّوق والجِمال، ومثلها خَيلاً وبغال[٥]، برخيصٍ بغال، ليركبها عسكرهم مِن القصير إلى الريف، ومِنه يتَوَجَّهُون إلى مصر وظلها الوريف؛ فأعطاهم مِن النُوق والجِمال والخَيل والبِغال قديمة الميلاد مِن عهد عاد، مِمَّن تحق حرب البسوس، وأدركت زمن دقيانوس[٦]، مِن خَيل

(١) عام ١٢١٦هـ/ ١٣ مايو ١٨٠١ - ٢ مايو ١٨٠٢م.
(٢) ١٠ محرم ١٢١٦هـ/ ٢٢ مايو ١٨٠١م.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: مائتين.
(٤) ١٢ محرم ١٢١٦هـ/ ٢٤ مايو ١٨٠١م.
(٥) كذا في الأصل، والصواب: بغالًا.
(٦) **دقيانوس**: الإمبراطور الروماني ديقيوس Decius، تولى الحكم عام ٢٤٩م، وقد كانت النصرانيَّة قد انتشرت بين أرجاء الإمبراطورية؛ فقام باضطهاد النصارى ليفرض عليهم العبادات الوثنية، وقيل: إنَّه المَلِك الظالم الذي اختفى في عهده أهل الكهف، الذين وردت قصَّتهم في القرآن الكريم، في سورة الكهف بالآيات (٩-٢٢)، وقد مات قتيلاً في إحدى المعارك الحربية عام ٢٥١م. محمد بن أحمد القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**،=

الطواحين التي مَضَى لها حين بعد حين، بعضها صعب وبعضها حرون، لو بِيْعت بفلس فشاريها مَغْبون، تعدّ مِن أسنها أسنانها، ولا تعرف إلا بأنينها مكانَها، يعثرها النوى، وتسقط مِن الهَوى.

وعلى كُلّ حالٍ، فقد صَكَّهم صَكَّة عمى، وكوى فوايدهم[١] بها أعظم كي، فعينها لهم وشراها، ومكنهم أزمتها وعراها، فتَوَجَّهوا بها على القصير، وانبروا كما ينبري الطير، ثم عاد مولانا الشريف إلى مكة، وأقام بها أسبوع[٢]، وتَوَجَّه إلى الطايف[٣] المأنوس هاتيك الربوع.

وورد للإنقليز ثلاثون مركبًا وصلت إلى جدة، واستقت وتَوَجَّهت في أسرع مُدَّة، وأقام مولانا الشريف بسوح الطايف[٤] وحماه أشهرًا وعاد إلى حرم اللَّه.

[ذكر الجوجوات والمصاحبجية قصار القامة]

ثم اعْلَمْ أنَّ مِن أعجب ما رأيناه مِن نوادر الزمان أنَّه وَرَدَ في سابع عشر رمضان[٥] رَجُلان في السن هيئتهما تفجع الجِنّ، وهما مِن أطراف الدولة العثمانيَّة، يسمونها: جوجوات ومصاحبجية، وهما قصار القامة في غاية القصر، وعِبْرة لِمَن اعتَبر، لم يزد طول أحدهما على ثلاثة أشبار، وقِسْ على هذا المقدار، يَحْمِلُونهم[٦] على أعناقهم الخدم، إذا أرادوا النزول إلى الحرم،

= مج ٥، راجعه: محمد الحفناوي، خرَّج أحاديثه: محمود عُثمان، دار الحديث، القاهرة، د.ط، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، ص ٦٨٣-٦٨٦؛ مصطفى العبادي، **الإمبراطورية الرومانية والنظام الإمبراطوري ومصر الرومانية**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، ص ١٥٣.

(١) كذا في الأصل، والصواب: فوائدهم. ويقصد أفئدتهم.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: أسبوعًا.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.

(٥) ١٧ رمضان ١٢١٦هـ/ ٢٠ يناير ١٨٠٢م.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: يحملهم.

ومتى برزوا مِن بيوتهم للخروج، يحسبهم الناس يأجوج ومأجوج، فيهرعوا[١] إليهم ويتفرَّجون، ويتعجَّبون على ما لم يَرَه الراؤون، ولم يروه الراوون.

[ولاية طوسون محمد باشا على جدة]

وفي الثامن والعشرين مِن شهر الصيام[٢]، وَرَدَ الجناب الهُمَام، والأسد القمقام طوسون محمد باشا[٣]، ماجد سَرَدَ سهم المجد وأراشه، كان رجلًا مِن أهل الهمم موصوفًا بالشجاعة والكرم، جاء مِن طَرف الدولة واليًا على البندر، ومعه ثمان مائة مِن جيد العسكر.

وفي رابع عشر شوَّال[٤] وصل بنفسه طوسون محمد باشا المذكور، لزيارة البيت الحرام لا زال معمور[٥]، فأرسل صاحب الترجمة جانبًا مِن عسكره، يقابلونه ويمشون أمامه ودونه، فدخل مكة ماشيًا على القدم حتى فاز بالحجر المكرم، فأضافه ثلاثة أيام، وبالغ فيما يجب له من الإكرام.

[فتنة بين العسكر في جدة]

وفي اليوم الثامن والعشرين[٦] وقع ببَنْدَر جدة ملحمة بين عسكره وعسكر صاحب الترجمة، فمات مِن الفريقين مَن دنا مِنْه الحَيْن، ثم أصلح بينهما أكابر البلاد، وأجروا أمورهما على وفق السداد.

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: فيهرعون.

(٢) ٢٨ رمضان ١٢١٦هـ/ ٣١ يناير ١٨٠٢م.

(٣) **طوسون محمد باشا**: مِن القادة العسكريين المصاحبين للقوات العثمانية التي دخلت مصر مع الصدر الأعظم يوسف ضيا باشا، فَأَسْند إليه ولاية جدة والحبش، مع رتبة الوزارة عام ١٢١٦هـ/ ١٨٠١م، وأمر له براتب ستة أشهر لخمسمائة مِن الجند، ومَنَحَه الجزيل مِن المال للقيام بمهمَّته، فتوجه إلى السويس ومنها إلى جدة، ولكن حكمه لم يستمر سوى عام واحد؛ فتوفي بعد أداء فريضة الحج في عام ١٢١٦هـ/ ١٨٠٢م، ودُفِنَ في جدة. عزت حسن الدارندلي، ضيانامة، ص ٣٨٨-٣٩٠، ٤٤٣؛ عبد الرحمن الجبرتي، **عجائب الآثار**، ٣/ ٣١٩، ٣٥٠.

(٤) ٤ شوَّال ١٢١٦هـ/ ٦ فبراير ١٨٠٢م.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: معمورًا.

(٦) ٢٨ شوَّال ١٢١٦هـ/ ٢ مارس ١٨٠٢م.

وفي سادس الحجة[١] وصل كلا الحجين الشريفين، وخرج صاحب الترجمة ولبس الخِلْعتين المنيفتين.

[وفاة والي جدة طوسون باشا]

وفي ثالث عشر ذي[٢] الحجة توفي طوسون باشا، ودفن بالمعلا بعد أنْ أَتَمَّ حجَّه وتملا.

[أخبار قوافل الحج]

وفي ثمانية عشر[٣] حصل قتال بين عسكر الحج المصري وعسكر والي الشام، واستمر القتال بينهم ساعة واستدام، فأرسل صاحب الترجمة مِن طرفه مَن أَجَدَّ السَّيْر وأصلح بينهم، والصلح خير.

وفي الثالث والعشرين[٤] مِنْه سافر عبد اللَّه باشا والي الشام لزيارة النبي عليه الصلاة والسلام. وفي السابع والعشرين[٥] مِنْه سافر عثمان بيك[٦] أمير الحاج المصري، يختبط الضلماء ويسري.

وفي هذا العام[٧] لم يحج أحد مِن طايفة[٨] الوهابيين، عليهم لعنة ربّ العالمين، وأراح اللَّه تعالى مِنْهم المسلمين آمين.

---

(١) ٦ ذي الحجة ١٢١٦هـ/ ٨ إبريل ١٨٠٢م.
(٢) ١٣ ذو الحجة ١٢١٦هـ/ ١٥ إبريل ١٨٠٢م.
(٣) ١٨ ذو الحجة ١٢١٦هـ/ ٢٠ إبريل ١٨٠٢م.
(٤) ٢٣ ذو الحجة ١٢١٦هـ/ ٢٥ إبريل ١٨٠٢م.
(٥) ٢٧ ذو الحجة ١٢١٦هـ/ ٢٩ إبريل ١٨٠٢م.
(٦) **عثمان بيك**: خرج بقافلة الحج مِن القاهرة في ١٩ شوال ١٢١٦هـ/ فبراير ١٨٠٢م، وعاد إليها في ٢١ صفر ١٢١٧هـ/ يونيو ١٨٠٢م. عبد الرحمن الجبرتي، **عجائب الآثار**، ٣/ ٣٢٢، ٣٣٣، ٣٥٢؛ أحمد الحضراوي، **مختصر حُسْن الصفا والابتهاج**، ص ٢٩١-٢٩٢.
(٧) عام ١٢١٦هـ/ ١٣ مايو ١٨٠١ - ٢ مايو ١٨٠٢م.
(٨) كذا في الأصل، والصواب: طائفة.

[أحداث سنة ١٢١٧]

ولمَّا هَلَّ هلال محرم الحرام بالفيض والإنعام، ودخل عام[١] السابع عشر بعد الماتين[٢] والألف سنة ١٢١٧[٣]، ففي اليوم الثاني عشر[٤] مِنْه تَوَجَّه صاحب الترجمة إلى جدة، وأقام بها سبعة أيام، ثم يَمَّم سعيه تجاه البيت الحرام، فما أقام إلا يوم واحد[٥] وانحاز، وأعمل اليَعْمَلاَت إلى الحجاز، وهرع غالب أهل مكة إلى الطايف[٦] في هذا العام، / ق١٦٨/ لِمَا شاهدوا فيه هذه السنة مِن زيادة الأُنْس والسرور التام، وفاضت الخيرات فيه واتصل الرخا[٧]، ورأى الناس في نفوسهم أزيد مِمَّا يعهدونه مِن المودة والإخا[٨].

وابتهج الطايف[٩] في هذا العام[١٠] ابتهاجًا ظهر للناس بالمسرّة وتبين، وأخذ زخرفه وتزيَّن، وكان عامها جميع الثمار صالحة، لم يعترها آفة سماوية ولا جائحة، والأزهار بطيب أرجها نافحة، والسنابل قايمة[١١] على أقدامها تشق جيوبها كالنايحة[١٢]، والناس أفواجًا أفواجًا يهرعون

---

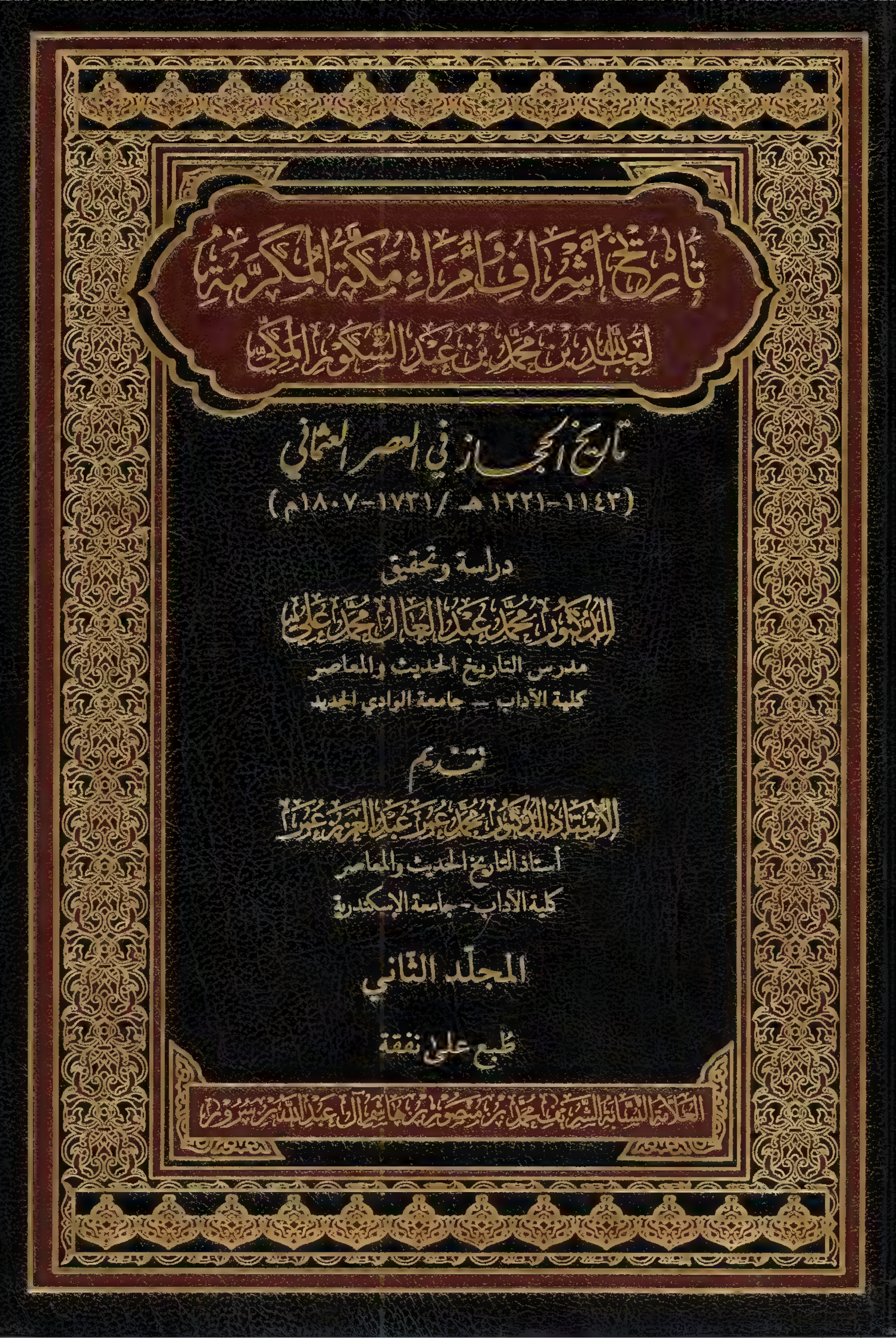
(١) كذا في الأصل، والصواب: العام.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: المائتين.
(٣) سنة ١٢١٧هـ/ ٣ مايو ١٨٠٢ - ٢١ إبريل ١٨٠٣م.
(٤) ١٢ محرم ١٢١٧هـ/ ١٤ مايو ١٨٠٢م.
(٥) كذا في الأصل، والصواب: يومًا واحدًا.
(٦) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.
(٧) كذا في الأصل، والصواب: الرخاء.
(٨) كذا في الأصل، والصواب: الإخاء.
(٩) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.
(١٠) عام ١٢١٧هـ/ ٣ مايو ١٨٠٢ - ٢١ إبريل ١٨٠٣م.
(١١) كذا في الأصل، والصواب: قائمة.
(١٢) كذا في الأصل، والصواب: كالنائحة.

إلى المثنى، ويعتنقون قدود أغصانها فرادى ومثنى، والنسيم العليل الذي تصح به الأبدان تخفق راياته، وتهدي مِن طيب رياضه للندمان جهاته، وأصوات الأطيار تغرد على أغصانها، وتجلب الأنس لسكانها، ومقامات الآلاف بأوتارها عوابث، والنفوس ترقص فرحًا مِن ربَّات المثاني والمثالث، حتى مضى نصف هذا العام، وهُم بهذا السرور التام، فنزلوا مِن الطايف[1] وتركوه على هذا الحال، والسرور مُسْتديم بالنعيم والأفضال / ق١٦٩/ .

❑ ❑ ❑

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.



تاريخ أشراف وأمراء مكة المكرمة
لعبد الله بن محمد بن عبد الشكور المكي
تاريخ الحجاز في العصر العثماني
(١١٤٣-١٢٢١ هـ / ١٧٣١-١٨٠٧م)
دراسة وتحقيق
الدكتور محمد عبد العال محمد علي
مدرس التاريخ الحديث والمعاصر
كلية الآداب ـ جامعة الوادي الجديد
تقديم
الأستاذ الدكتور محمد عمر عبد العزيز عمر
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر
كلية الآداب ـ جامعة الإسكندرية
المجلد الثاني
طبع على نفقة
العلامة النسابة الشريف محمد بن منصور بن هاشم آل عبد الله بن سرور

فتنة الوهابية

حَمدًا لِمَن تَجرِي المَقادِير على حَسْب إرادته وتقديره، وترى أمُور الكاينات[١] بعلم قُدرته في تحريره وتسطيره، مَالِك المُلْك وخالق السماوات والأرض، الذي كَوَّن هذا النوع الإنساني، وأذاق بعضه بأس بعض، جَرَى في علمه القديم وقضى وقَدَّر، أنْ تَجرِي سُفُنٌ مِن الفتن في بحارِ دماءِ أهلِ القرن الثالث عشر، وكان منشيها[٢] مِن المشرق أرض مُسَيلمة المُجرِم، فتفرَّقَت على جزيرة العرب كقطعٍ مِن الليل المُظْلم، فلم يقرّ للعالم مِن هذه الفتنة قرار، ولم يعلم أحد مِن خوفها إلى أين الفرار؟ كُلَّمَا قيل انقطعت تَمادت، أو نقصت تعاظمت وزادت، فطوبى لِمَن كان على شفا حُفرة مِن نار هذه الفتنة؛ فأنقذه اللَّه تعالى مِنْها، وطلب النجاة مِن خَالقه؛ فأبعده عنها، وشُكرًا له أنْ جعلنا مِن جِيران بيته المُعَظَّم، وحمانا مِنْهم بحماية هذا الحَرَم المُحترم.

وأشهد أن لا إله إلا اللَّه، المَلِك العدل، الجبَّار المُنتقم، الذي يَقْتَصّ يوم القيامة مِن الظَالم لِمَن ظُلِم يوم: ﴿تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا﴾[٣] / ق١٧٠/ وتُجْزى كُلّ نفسٍ بِمَا كسبت وتجد فعلها، ويكون الحاكم المَلِك الجبَّار، والسجنُ يكونُ في النارِ، ويُنادي: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ١٦﴾[٤]، ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ٥٢﴾[٥] وصلاةً وسلامًا على عَرُوس المَملَكة

(١) كذا في الأصل، والصواب: الكائنات.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: منشؤها.
(٣) القرآن الكريم، سورة الحج، جزء مِن آية ٢.
(٤) القرآن الكريم، سورة غافر، جزء مِن آية ١٦.
(٥) القرآن الكريم، سورة غافر، آية ٥٢.

الشَّفِيع المُشَفَّع، الذي عَمَّ الأنام حياةً وموتًا بجزيل النفع، وأسأله الشفاعة يوم القيامة، والورود إلى حياض عَين السلامة، صلى اللَّه تعالى عليه وعلى آله سفينة النجاة، وأصحابه نجوم الدجى، وخير مَن يؤمل ويرتجى، نبي أطلعه اللَّه تعالى على السِّر المَصُون، فأخبر عَمَّا كان وعَمَّا يكون.

وقد أخبر صلى اللَّه تعالى عليه وسلم عن هذه الفتنة الصما(١)، والمصيبة الدهما(٢)، في الليلة الظلما(٣)، وأوردت العُلماء في شأنها الأحاديث الكثيرة، وهو في الكتب المُعتبرة كالصحيحين وغيرهما شهيرة، فَمِنْها قوله عليه الصلاة والسلام - وهو لا ينطق إلا بالحقّ -: «**الفِتْنَةُ مِنْ هَا هُنَا**» وَأَشَارَ إِلَى المَشْرِقِ(٤).

وقال ﷺ: «**يَخْرُجُ نَاسٌ مِنْ قِبَلِ المَشْرِقِ، يَقْرَءُونَ القُرْآنَ لاَ يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، ثُمَّ لاَ يَعُودُونَ فِيهِ حَتَّى يَعُودَ السَّهْمُ إِلَى فُوقِهِ**»، قِيلَ مَا سِيمَاهُمْ؟ قَالَ: «**سِيمَاهُمْ التَّحْلِيقُ - أَوْ قَالَ: التَّسْبِيدُ**»(٥). [رواه أبو سعيد].

وعنه ﷺ: «**سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي اخْتِلَافٌ وَفُرْقَةٌ، قَوْمٌ يُحْسِنُونَ الْقِيلَ، وَيُسِيئُونَ الْفِعْلَ، وَيَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ، لَا يَرْجِعُونَ حَتَّى يُرَدَّ عَلَى فَوْقِهِ، شَرُّ الْخَلْقِ وَالْخَلِيقَةِ، طُوبَى لِمَنْ قَتَلَهُمْ وَقَتَلُوهُ، يَدْعُونَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَلَيْسُوا مِنْهُ فِي شَيْءٍ، مَنْ**

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: الصماء.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: الدهماء.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: الظلماء.

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه عن سُفْيَانَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما به. انظر: محمد إسماعيل البخاري، **صحيح البخاري**، ٧/ ٥١. وأخرجه مسلم في صحيحه عن اللَّيْثِ، عَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ مُسْتَقْبِلُ الْمَشْرِقِ، يَقُولُ: «**أَلَا إِنَّ الْفِتْنَةَ هَاهُنَا، أَلَا إِنَّ الْفِتْنَةَ هَاهُنَا، مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ**». انظر: مسلم النيسابوري، **صحيح مسلم**، ٤/ ٢٢٢٨.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه عن مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ، عَنْ مَعْبَدِ بْنِ سِيرِينَ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه، به. انظر: محمد إسماعيل البخاري، **صحيح البخاري**، ٩/ ١٦٢.

قَاتَلَهُمْ كَانَ أَوْلَى بِاللَّهِ مِنْهُمْ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَمَا سِيمَاهُمْ؟ قَالَ: «التَّحْلِيقُ»(١). [رواه أبو سعيد وأنس].

وقال ﷺ: «سَيَخْرُجُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ أَحْدَاثُ الْأَسْنَانِ، سُفَهَاءُ الْأَحْلَامِ، يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ الْبَرِيَّةِ، يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ، فَإِنَّ فِي قَتْلِهِمْ أَجْرًا، لِمَنْ قَتَلَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(٢) / ق١٧١/.

وقال ﷺ: «إِنَّ بَعْدِي مِنْ أُمَّتِي، أَوْ سَيَكُونُ بَعْدِي مِنْ أُمَّتِي قَوْمٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حُلُوقَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، ثُمَّ لَا يَعُودُونَ فِيهِ، هُمْ شِرَارُ الْخَلْقِ وَالْخَلِيقَةِ»(٣). [رواه أبو ذر].

وقال ﷺ: «يَخْرُجُ نَاسٌ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ، وَيَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، ثُمَّ لَا يَعُودُونَ فِيهِ حَتَّى يَعُودَ السَّهْمُ إِلَى فُوقِهِ»، قِيلَ: مَا سِيمَاهُمْ؟ قَالَ: «سِيمَاهُمُ التَّحْلِيقُ»(٤). [رواه ابو سعيد].

وفي المصابيح(٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك عن الْأَوْزَاعِيِّ، عن قَتَادَةَ بْنِ دِعَامَةَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، وَأَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنهما. انظر: محمد بن عبد اللَّه الحاكم النيسابوري، **المستدرك على الصحيحين**، ج٢، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، در الكتب العلمية، ط٢، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م، ص ١٦١.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه عن الأَعْمَشِ، عَنْ خَيْثَمَةَ، عَنْ سُوَيْدِ بْنِ غَفَلَةَ، عن عَلِيٍّ، به. انظر: مسلم النيسابوري، **صحيح مسلم**، ٢/ ٧٤٦-٧٤٧، وأخرجه البخاري من حديث أبي سعيد الخدري، ومن حديث علي بن أبي طالب بلفظ مقارب، انظر: البخاري، **صحيح البخاري**، ٤/ ٢٠٠، ٦/ ١٩٧.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه عن أَبِي بَكْرِ بْنِ أَبِي شَيْبَةَ، عن أَبِي أُسَامَةَ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ الْمُغِيرَةِ، عَنْ حُمَيْدِ بْنِ هِلَالٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الصَّامِتِ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ، به. مسلم النيسابوري، **صحيح مسلم**، ٢/ ٧٤٦.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي، **مصابيح السنة**، ج٤، تحقيق: يوسف عبد الرحمن المرعشلي، محمد سليم إبراهيم سمارة، جمال حمدي الذهبي، دار المعرفة =

«**رَأْسُ الكُفْرِ نَحْوَ المَشْرِقِ، وَالفَخْرُ وَالخُيَلاءُ فِي أَهْلِ الخَيْلِ وَالإِبِلِ**»[١].

وعن أبي مسعود الأنصاري عن النبي ﷺ قال: «**مِن هَا هُنَا جَاءَتِ الْفِتَنُ - نَحْوَ الْمَشْرِقِ**»[٢].

وعن جابر رضي الله عنه أنَّه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**غِلَظُ الْقُلُوبِ، وَالْجَفَاءُ فِي الْمَشْرِقِ، وَالْإِيمَانُ فِي أَهْلِ الْحِجَازِ**»[٣].

وعن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ :«**اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي يَمَنِنَا**» قَالُوا: يا رسولَ اللَّه وَفِي نَجْدِنَا؟ قَالَ:«**اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي يَمَنِنَا**» قَالُوا: يا رسولَ اللَّه وَفِي نَجْدِنَا؟ فأظنُّه قَالَ فِي الثَّالثةِ: «**هُنَاكَ الزَّلاَزِلُ وَالفِتَنُ، وَبِهَا يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ**»[٤].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**وَيْل لِلعَرَبِ مِن شرٍّ قد اقتربَ، أفلحَ من كفَّ يَدَهُ**»[٥].

وفيما أوردته كفاية لِمَن له أدنى دراية[٦]، والكتب مشحونة مِن هذه

= للطباعة والنشر، بيروت، ط ١، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ص ٢٢٧؛ محمد بن عبد اللَّه الخطيب التبريزي، **مشكاة المصابيح**، ج٣، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٢، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، ص ١٧٦٥.

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنِ الأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، به. انظر: **صحيح البخاري**، ٤/ ١٢٧. **صحيح مسلم**، ١/ ٧٢.

(٢) الحسين البغوي، **مصابيح السنة**، ٤/ ٢٢٧؛ الخطيب التبريزي، **مشكاة المصابيح**، ٣/ ١٧٦٦.

(٣) الحسين البغوي، **مصابيح السنة**، ٤/ ٢٢٨؛ الخطيب التبريزي، **مشكاة المصابيح**، ٣/ ١٧٦٧. والحديث رواه مسلم في صحيحه، ١/ ٧٣.

(٤) الحسين البغوي، مصابيح السنة، ٤/ ٢٢٨؛ الخطيب التبريزي، **مشكاة المصابيح**، ٣/ ١٧٦٧. والحديث رواه البخاري في صحيحه، ٢/ ٣٣.

(٥) أخرجه أبو داود في سننه عن الأعمشِ، عن أبي صالح عن أبي هريرة، به. انظر: سليمان بن الأشعث أبو داود، **سنن أبي داود**، ج٦، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، دار الرسالة العالمية، بيروت، ط ١، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م، ص ٣٠٢؛ الحسين البغوي، **مصابيح السنة**، ٣/ ٤٧٥.

(٦) الأحاديث التي أوردها ابن عبد الشكور صحيحة لا ريب فيها، ولكن الشأن كله في صحة تنزيلها على الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأتباعه، لأنّه كان من المصلحين السلفيين في =

الأحاديث، فَمَن أرادها فليسأل عُلماء الزمان القديم والحديث، أعاذنا اللَّه تعالى وجميع المسلمين مِن ضلال هذه الفتنة، وأنقذ مَن دخل تحت أسرهم بالكره عليه فإنَّها أعظم محنة؛ فقد ورد في الحديث الشريف عن سيد العشاير[1]: «**يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا**»[2].

اللَّهم أجرنا مِن جميع الفتن، واجعلنا مِمَّن سمع واستيقن، ولا تسلطهم علينا بذنوبنا يا رحيم يا تواب، واجعلنا مِمَّن تبع الحق ورجع عن الظلم، وتاب إليك وأناب، فإنَّ معولنا عليك وأزِمَّة كُلّ شيء بيديك.

[بدء ظهور السلفيين]

تنبيه لِمَنْ تأمَّل، وعقد مُفصل بعد مُجمل. لمَّا شاهدت مِن أمر هذه الطايفة[3]، التي لم تزل على البغي عاكفة، ورأيت مِن أحوالهم ما رأيت، حينئذ رويت عنهم ما رويت / ق١٧٢/ مع القصور عن أغلب حقايقهم[4]، التي ما اطلعت عليها ولا وَعيت، أحببت أنْ أذكر نبذة مِن أحوالهم تبقى لآخر الزمن، وينتشر ذكرهم في البلدان ويتبيّن، لأنَّ في القَصَصَ والتواريخ وكتب السير، عبرة لِمَن أراد الاعتبار، فتذكر واعتبر، وفيها تنبيه لِمَن تأمَّل عاقبة الأمر، وإعلام لِمَن قطن الدنيا واقتطف زهور ربيعها وتجنب مُحَرَّمها، وأيقن أنَّه على جناح سفر، وأنَّه مسئول عَمَّا نهى وأمر، وبنى وعَمَّر، وطَغَى وتَجَبَّر، وتَعَاظم وتَكَبَّر، يوم ينبأ الإنسان بِمَا قَدَّم وآخر، وأنَّهُ ستخطفه مخاليب القضاء والقدر، ويصاب بسهم المَنِيَّة، فلا يجديه أخذ الحذر، وقد نطق الكتاب العزيز المنزل على سيد البشر:

= العصر الحديث، ولم يكن من الخوارج أو مبتدع كما وصفه المصنف.

(١) كذا في الأصل، والصواب: العشائر.

(٢) أخرجه مسلم عن الْعَلَاءِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، به. ونصّه: «**بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا**». انظر: صحيح مسلم، ١/ ١١٠.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: الطائفة.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: حقائقهم.

﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ (٣٥) نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ (٣٦) لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ (٣٧)﴾[١].

وكان مِن أعظم البلايا والمحن، هذه الفتنة العميا[٢]، والداهية الدهيا[٣]، ما سُمِع بمثلها في الفتن، وما حواها مِن الأزمنة، زمن طاشت بلاياها العقول، وحار فيها أرباب العقول، والتكن الفصيح الملسان، وسفه الحليم ذو الإنعام، أعيت اللبيب في عاقبة تفكيرها، وعجز ذو الرأي السديد في تدبيرها؛ وهي ظهور محمد عبد الوهاب رئيس المُلحدين بالاتفاق، سبقه الشيطان الذي أثار قدمًا على ساق، وساعفته الدنيا، فسعى فيها بإفساد العباد، وطاف بأكنافها، وأهلك الحرث والنسل، واللَّه لا يحب الفساد.

فظهر الشقي بهذا الدين، وأغراه به شيطانه اللعين، وصار ينتقل في قُرَى نجد مِن قرية إلى قرية، ويضل به كثيرًا مِن رُعاة الشاة بكُلّ قرية، وما زال كذلك قوم يُحِبُّونَه وقوم يكرَهُونه ويُنزِلونه منزل مُسَيلمة الكذَّاب دونه، وكان ابتداء ظهور هذا اللعين سنة ألف ومائة وثلاث وأربعين[٤]، فآواه أهل الدرعيَّة ساكني وادي حنيفة، ومِنْها ظهر في الكون نتن هذه الجِيفة.

يَا سَاكِنِي وَادِي حَنِيْفَةَ إِنَّكُم
تَابَعتمو مُتَزَنْدِقًا ضِلّيلاً

آبَاؤكم مِنْ قَبْلِكم مِنْ جَهْلِهم
حَسبُوا مُسَيْلَمَةَ الْكَذَّاب رَسُولاً

/ ق١٧٣/

وظنَّ أهل الدرعيَّة أنَّه رسول لكافة البرية، فصَنَّف لهم رسالة سمَّاها: «كَشْفُ الشُّبهَات عَن خَالق الأَرْضِ وَالسَّموَاتِ»، كَفَّر فيها جميع المُسلمين،

(١) القرآن الكريم، **سورة المدثر**، الآيات ٣٥-٣٧.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: العمياء.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: الدهياء.
(٤) سنة ١١٤٣هـ/ ١٦ يوليو ١٧٣٠ - ٦ يوليو ١٧٣١م.

وزَعَمَ أنَّ الناس كُفَّار منذ ستمائة مِن السنين، وعندما أعْمَاه اللَّه تعالى وأصَمَّه، نزَّل الآيات التي على كفار قُرَيْش على أتقياء هذه الأمة، فقام محمد بن سعود - والد عبدالعزيز الموجود - بأعباء دينه، وجَرَّعه مِن كُفرِيات مُعتقداته صافي معينه.

ومحمد بن سعود هذا كبير الدرعيَّة المشهورة، وريِّسهم الذي تنعقد به المشورة، فتابعه أهلها كما تابعه، ونُودِي عليهم الصلاة جامعة، فَتَمَكَّنَ الدين بقلبهم وبقلبه، ولبَّاه كُلّ مِنْهم والب بلبه، وأثبت في آذانهم أنَّ جميع مَن هو تحت السبع الطباق مُشرك على الإطلاق، ومَن قَتَلَ مشركًا مِنْهم له الجنة، فتابَعُوه وجعلوا نفوسهم بهذا الاعتقاد مُطمئنة، فَصَدَّقُوه فيما افتراه؛ حين قطع مِن الإسلام عراه، وجاء بشيء فريًّا، ونبذ عهد اللَّه ظهريًّا.

ومِمَّا أثبته في آذانهم أنَّ مَن قال: يا رسول اللَّه أسألك الشفاعة يوم القيامة، فهو المُشرك الذي يهدر ماله ودمه، وتزداد حسرته وندمه، ومِمَّا تكلَّم به ذلك الجهول مِن كلام الفضول أنْ أثبت لمولانا الحلول تنزه رافع السماوات، وتقدَّس عن الجهات. ومِمَّا اشتبه لهم مِن مُعتقداته أنَّه ﷺ ميت في قبره، وهذا نقص في جانب صاحب الرسالة مع عظيم قدره، وإلاَّ فما الفرق بينه وبين جميع الوجود، إنْ كان على ما قاله هذا الشقي المطرود، ومع هذا أفقد نطق الكتاب المَصُون: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾[1]. وأين مراتب الأنبياء مِن مراتب الشهداء؟ له الويل واللعنة والردى، فكيف بريِّسهم الأعظم صلى اللَّه تعالى عليه وسلم.

ومِمَّا أثبته أنَّه ﷺ صار جيفة لا ينفع ولا يضر، وأنَّ عصا أحدهم خيرٌ مِنْه، فيكفر الملعون بهذا القول، ولا يشعر إلى غير ذلك مِن عقايدهم[2] المُكفرات، وأمورهم الموبقات، فصار يُسَلِّط بعض / ق١٧٤/ العرب على بعض، ويجتهد فيما أبرموه بالنقض، ويَدَّعِي إنَّمَا يُقاتل لإعلاء كلمة اللَّه

---

(١) القرآن الكريم، سورة آل عمران، آية رقم ١٦٩.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: عقائدهم.

تعالى لتكون هي العليا، وفي الحقيقة إنَّمَا يُقاتل للحرص والتكالب على الدنيا. وما زال كذلك حتى فَرَّق أحزاب تلك الزُّمَر، وخلا له الجو حين اشتغل بالمحرم، فباض وصفر، ولو كان مع البادية اتفاق لبدَّدُوا شمله، وبتوه بتّا، ولكن تحسبهم جميعًا وقلوبهم شتَّى، وما زال يطيعه في دخول هذا الدين حَيٌّ بعد حَي مِن أحياء العرب، ويعدون بعضهم لبعض بهذا الدين، الذي هو كالجرب، وكل مَن دنا مِنْهم واقترب، ولو أنَّه دخل هذا الدين لغرض أو أرب.

وَمَا يَنْفَعُ الجَرْبَاءَ قُرْبُ صَحِيْحَةٍ
إِلَيْهَا وَلَكِنَّ الصَّحِيْحَةَ تَجْرَبُ[١]

وكانوا لا يدخلون قرية إلا أفسدوها، ولا ينزلون مدينة إلا محوا آثارها وبَدَّدُوها، ولا يمر بموضع إلا دمره، ولا يدخل جيدُ تحت طاعته إلا لوى عليه وكسره، فهم في الشوم[٢] كالبوم، وكالحميم ونار السموم، ومتى وطئت أقدامهم أرضًا جاءها الويل والدمار، كأنَّها إعصارٌ فيه نار.

ومِن جملة شروطه على مَن أراد الدخول في هذا الدين، حلق راسه[٣] وإلا فلا يُعَدُّ مِن المسلمين، جعل حلق راس[٤] الشخص سمة وعلامة لإسلامهم الجديد، ومَن رأى الشعر براسه[٥] فهو مشرك عنده ولو نطق بكلمة التوحيد، وهذا شاهد للحديث الشريف على التحقيق أنَّ سيماهم التحليق، والشاهد الآخر قوله: أدعوك لدين اللَّه، ففي الحديث: «**يَدْعُونَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ**

---

(١) البيت ينسب لجحظة البرمكي، انظر: محمد بن أيدمر المستعصمي، الدر الفريد وبيت القصيد، ١١/ ٢٥٥.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: الشؤم.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: رأسه.
(٤) كذا في الأصل، والصواب: رأس.
(٥) كذا في الأصل، والصواب: برأسه.

وَلَيْسُوا مِنْهُ فِي شَيْءٍ»[1]. ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾[2].

ثم اعلم أنَّه قد جَرى في قضاء اللَّه تعالى، أنْ يَصُول هذا الشقي على هؤلاء الناس، ويملك هذه الأرض ويُذيق ساكنيها لباس الجور والبأس، فصار هو وأهل الدرعيَّة يتملكون أرضًا بعد أرض، ومتى صال على قوم قرض أعمارهم أيّ قرض، حتى أخاف البادية، وتوسعت له الأمُور رايحة[3] وغادية، ويقول لهم: إِنَّمَا أدْعُوكُم لدين اللَّه، وكلمة التوحيد، ولا أطلب شياء[4] مِن أموالكم ولا أريد، ولا آخذ مِن أموالكم غير الزكاة المفروضة، ولم أزد عليها قدر بعوضة، / ق١٧٥/ وإذا غنمنا أموال المُشركين، أخذت مِنْها خُمسها عن يقين، فيمشون معه حيث ما مشى، ويأتمرون له بِمَا شاء.

ولم يزل تنقاد له الأمُور على حسب انقضاء المقدور، وتتسع له الدائرة، وتذل له الصعاب الجايرة[5]، حتى آل أمره إلى ما آلَ، ومَلَكَ جزيرة العرب سهلاً وجبال[6]، فمتى أراد يغزو بلدًا مِن البلدان، وحدثته نفسه بكل قاصٍ أو دان، كَتَبَ كِتَابًا بقدر الخنصر، فتأوي إليه العُربان مِن كُلّ مكان، وتنساب إليه كالطيار المُتلاطم بالأمواج، وتتهافت عليه تهافت الفَرَاش على السِّرَاج؛ فإذا نهبوا شيا[7] مِن أموال الناس، دفعوا له الخمس وأخذوا الأربعة الأخماس، ولم يعطِ أحدًا مِنْهم زادًا ولا شيا[8] مِن الجوامك المُقَدَّرات، كما تفعل الملوك في كُلّ الجهات، بل يأكل ويشرب كُلٌّ مِن ماله، ويسيرون معه أينما يسير، ولا يستطيعون مخالفة أمره فيمشون مثل الحمير، وما زال يعامل العُربان بالهتك

(١) سبق تخريجه.
(٢) القرآن الكريم، **سورة النجم**، الآيتان ٣-٤.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: رائحة.
(٤) كذا في الأصل، والصواب: شيئًا.
(٥) كذا في الأصل، والصواب: الجائرة.
(٦) كذا في الأصل، والصواب: جبالًا.
(٧) كذا في الأصل، والصواب: شيئًا.
(٨) كذا في الأصل، والصواب: شيئًا.

والفتك، والحصر الشديد والضنك، فإذا مَلَكَ قبيلة مِن قبائل العرب سَلَّطَهَا على مَن دنا مِنْها واقترب، ويُسَلِّط الأخرى على ما بعدها، حتى تبدّد شملها وتحل عقدها.

[اتساع مُلْك السلفيين]

وما برح على هذا المنوال ينسج، ولم يعجل في أموره حتى تنتج، حتى مَلَكَ الشرق بأكمله، ومَلَكَ نجدًا العريضة بمُجْمَله ومُفَصّله، ثم مَلَكَ إقليم الأحساء ورد أهلها قهرًا ونكسًا، ثم مَلَكَ الزّبارة، ثم البحرين، ومَلَكَ مِن جواهر اللؤلؤ المكنون ما تقَرّ به العين، ثم مَلَكَ أرض عُمَان بأطراف مسكت وسكت أهلها وبكت، ومَلَكَ إلى قريب بغداد وأطراف البصرة، وأودع أهلها نار أسف وحسرة، إلى غير ذلك، وهذا حده مِن الجنوب وأمَّا حده مِن الشمال، وما آلَ إليه المآل، فقد مَلَكَ الحرار بأسرها وسهلها ووعرها، ومَلَكَ ما تحتها مِن الخيوف ذوات النخيل كرُهَاط، والغريق، وهجر، وسَايَة، والفُرُع، وأبي ضُبَاع، والمَضِيْق، ثم مَلَكَ الحربيَّة والجهينيَّة، ثم مَلَكَ جميع ما بين مدينة الرسول - عليه الصلاة والسلام - إلى قُرب دمشق الشام، وتَعَدَّاه واقترب حتى جاوز حلب، ومَلَكَ العُربان الذي[1] بين الشام وبغداد سهلًا ووهاد[2]، ولم نعلم إلى أين يؤل أمر هذا اللعين، عدو اللَّه تعالى وعدو المسلمين.

ولم يبقَ له معاند في جزيرة العرب إلا حضرة الشريف غالب، / ق١٧٦/ لا زال سامي المراتب، فإنَّه قذًى لعينيه، ونرجو مِن اللَّه تعالى أنْ يكون دماره على يديه.

ثم اعلم أنَّ محمد بن عبد الوهاب عاش مِن العمر سنين، حتى كاد أنْ يكون مِن المُنظَرِين، فعاش مُدَّة محمد بن سعود، وهو يغريه إلى ما يغريه، ويُغضب اللَّه تعالى بقتل خلقه ليرضيه، ثم لمَّا هلك وأُقِيْم ولده عبد العزيز

(١) كذا في الأصل، والصواب: الذين.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: ووهادًا.

مقامه، فعاضده حتى مَلَكَ كُلّ ما ذكرته وتمَّ مرامه، ثم أهلك اللَّه تعالى محمد عبد الوهاب، وخلف أولادًا وأحفادًا غير أنجاب، فَأُقِيْم أكبر أولاده مقام أبيه، ويعلمهم قواعد أبيهم الذي يحبه ويرضيه، وجاء هذا الجرو أنجس مِن أبيه.

[السلفيون وأشراف مكة]

ومع هذا فإنَّهم مِن مبدء ظهورهم، وقبل تطاير جمرة شرورهم، راموا حج البيت الحرام(١)، وأضمروا بانتهاك المشاعر المأثورة بين الرُّكن والمَقام، وقد دَسَّ في نفسه دَسِيسَة خَسِيسَة، والخبث في طبع اللئام غريسة، فأرسل لحضرة الشريف مسعود بن سعيد مِن عُلمائه نحو الثلاثين(٢)، لِيَنْظُرُوا في

(١) بدأ الاحتكاك الأوَّل بين أشراف مكة وأتباع الدعوة الوهابيَّة في عام ١١٦٢هـ/ ١٧٤٩م، وهذا ما أجمعت عليه المصادر المعاصرة للأحداث، ويذكر بعض مؤرخي الوهابيَّة بأنَّ الشريف مسعودًا قد حَبَس حجاج نجد، ومَنَعهم مِن الحج. عثمان بن عبد اللَّه بشر النجدي، **عنوان المجد في تاريخ نجد**، ج١، حققه وعلق عليه عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ، مطبوعات دارة الملك عبد العزيز، الرياض، ط٤، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م. ص ٥٩-٦٠؛ عبد الرحمن بن حسن، **المقامات**، دراسة وتحقيق: عبد اللَّه بن محمد المطوع، دارة الملك عبد العزيز، الرياض، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، ص ٩٧. ويذكر المؤرخ العثماني سليمان عزي في أحداث عام ١١٦٣هـ/ ١٧٥٠م أنَّ الشريف مسعودًا أرسل إلى السلطان، يُعلمه بظهور محمد بن عبد الوهاب، ويطلب المساعدات للقضاء عليه. سليمان عزي، **تاريخ عزي**، القسطنطينية، ١١٩٩هـ، ص ٢٠٧. وقد جاء الرد مِن السلطان بأنْ يسعى الشريف إلى إقناع الشيخ بالعدول عن آرائه، وإنقاذ الأهالي مِن الضلالة، كما صدرت الأوامر إلى والي جدة للتعاون مع شريف مكة في هذا الأمر. **الأرشيف العثماني**: H.H ٦٧١٩؛ إسماعيل جارشلي، **أشراف مكة**، ص ١٨٠. وللمزيد انظر: محمد عبد العال محمد علي، **العلاقات بين الحجاز والدولة السعودية**، ص ٤١-٤٦.

(٢) يبدو المُبالغة الواضحة في ذكر عدد العُلماء الذين أوفدهم الوهابيون إلى مكة، فقد كانت الدعوة في بدايتها، كذلك لو أرسلوا وفدًا مِن هذا النوع - مهما كان عدد أفراده - لَمَا ترك ذكره ابن غنَّام الذي كان يحرص كل الحرص على تدوين ما له علاقة بكل الأمور الدينيَّة والدعويَّة للوهابيين. عبد اللَّه الصالح العثيمين، **تاريخ المملكة العربية السعودية**، ج١، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام عَلَى تأسيس المملكة، الرياض، ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م، ص ١٢٤.

مُعتقداتهم وما هم عليه مُنْطَوين(١)، وأرسل يستأذنه في حج بيت اللَّه تعالى الحرام، ولو بِمُقَرَّرٍ مِن الدراهم يدفعها في كُلّ عام(٢)، فلمَّا ناظر بينهم الأئمة والأعلام عُلماء مهبط الوحي، المُشَيِّدِين شريعةً ابن عبد مناف بن قُصي، وَجَدُوهُم ضحكة بينهم ومَسْخرة، كحُمرٌ مُسْتنفرة فَرَّت مِن قَسْورة، ونظروا إلى دينهم وما هم عليه مِن المُعتقدات، وإذا فيها مِن الكُفريات ما يشملهم مِن الست جهات، كُفرًا صريحًا لا يحتاج إلى تأويل، بعد أنْ أقاموا عليهم البرهان والدليل، فعند ذلك أمر حضرة مولانا الشريف قاضي الشرع الحنيف أنْ يكتب حُجَّة بكفرهم الظاهر، ليعلم بها الأوَّل والآخر، وأمر بسجن أولئك الملاحدة الأنذال، ووضعهم(٣) الجميع في السلاسل والأغلال، فسجن مِنْهم جانبًا وجانب فَرَّ ووصل إلى مخدومه، فعتا واستكبر وقطع عن الوصول النظر، وناوى عن هذا القصد وتأخَّر، حتى مضت مُدَّة الشريف مسعود، وسكن جنات الخلود.

وأُقِيْم مِن بعده أخوه المرحوم الشريف مساعد لكونه ولي عهده، فأرسل إلى حضرة مولانا الشريف مساعد بن سعيد، ليستأذنه في حج بيت اللَّه تعالى، / ق١٧٧/ فأبى وامتنع بعد أنْ وقع ما وقع، فضعفت عن الوصول مطامعه(٤)،

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: مُنْطَوُون.

(٢) كان حجاج نجد يذهبون لأداء فريضة الحج دون دفع مقرراتٍ من المال كغيرهم من حجاج شبه الجزيرة العربية، فليس مِن البدهي أنْ يعرضوا مثل هذا الأمر، ويثقلوا أنفسهم بأموالٍ لم يكونوا يمتلكونها وقتئذٍ في تلك الفترة المبكرة مِن عمر دعوتهم. وكما سيأتي فإنَّ الشريف سرور بن مساعد سيعرض على الوهابيين السماح بأداء فريضة الحج مقابل بعض الأموال والمقرَّرات؛ ولكنهم سيرفضون ذلك العرض، ويمتنعون عن أداء فريضة الحج. محمد عبد العال، **العلاقات بين الحجاز والدولة السعودية**، ص ٤٢.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: ووضع.

(٤) توضح المصادر العثمانيَّة أنَّ الشريف لم يكتفِ بمنع الوهابيين مِن أداء فريضة الحج، بل قام برفع رسالة إلى السلطان مصطفى الثَّالثِ (١١٧٠-١١٨٧هـ/ ١٧٥٦-١٧٧٤م) يطلب مِنْه المساعدات لردعهم؛ وقد أراد السلطان الوقوف على حقيقة الأمر، فقام بالاستفسار مِن والي الشام عثمان باشا (١١٧٤-١١٨٥هـ/ ١٧٥٩-١٧٧١م) الذي قام برفع تقرير إليه، ذكر فيه «أنَّهُ لدى استقصاء أخبار محمد بن عبد الوهاب، ومذهبه، =

وزُيفت مِن النقود يلامعه، واشتغل بقتال مَن دنا مِن العُربان ومَن تَباعد، حتى مضت أيام دولة المرحوم الشريف مساعد.

= ومسلكه، والدواعي إلى خروجه مِمَّنْ له اطِّلاعٌ على الأخبار؛ أنَّه يُقيم في قرية على مقربة مِن البصرة، تبعد عن مكة المكرمة ما يناهزُ خمسَ عشرةَ مرحلةً، ولا يتجاوز عدد بيوتها ثلاثينَ بيتا، ويقوم بالتدريس لِمَا لا يزيد عن ثلاثين طالبًا. وأنَّ سُكَّان القرى مِمَّنْ يجاوره، بعدت قراهم أو قربت مِنْه، والذين يبلغ عددهم خمسمائة أو ستمائة نفرٍ مِمَّن لا يقدرون على فهم مقالاته، يطعنون فيه ويشنعون عليه، فيذكرون أنَّه لا يهتم بقراءة القرآن ويستنكرون ما يقوله ... فلهذا شاع عَنْه أنَّه منكرٌ للنبوة، وأنَّه تَفَقَّهَ في الشام، وتوغل في كتب الكلام والحكم، ويخالف عقائد أهل السنة في مسألة التنزيه والتقديس ... وأنَّه مِن أصحاب العقائد، وليس بشيخ أو رئيس قبيلة يقوى على الحرب والضرب ليكون داعية للخروج على الدولة». وقد أشار الباشا أنَّ الشيخ محمد بن عبد الوهاب أرسل إليه أحد أتباعه، ليوضح حقيقة ما يدعو إليه، وذكر على لسان الشيخ أنَّه قال: «إنَّ أمير مكة المكرمة قد قَدَّم محضرًا بشأني، ولكن ليس عندي استعداد لعمل مثل هذا الفساد، فضلاً عن أنَّ ديني وعقلي ينهياني عن مثل هذه الحركات ... وأنا مشتغلٌ بتدريس العلوم للطلاب، فينبغي ألا تعتمدوا على البهتان في شأن رجل يُمْضِي أوقاته بالتدريس وبالدعاء للدولة العليَّة مثلي أنا». أحمد جودت، **تاريخ جودت**، ج ٢، دار الطباعة العامرة، إستانبول، ١٨٩١م، ص ٧٣-٧٤. وقد جاء هذا التقرير مُدعِّمًا للوهابيين، إمَّا تقليلاً مِن شأنهم وإمَّا خشية أنْ يأمره السلطان بالتوجه للقضاء عليهم، وكان التقرير مقاربًا للحقيقة التي كانت عليها الدعوة الوهابيَّة وقتئذٍ، لأنَّها كانت محدودة في نجد، ولم تنتشر خارجها، ويبدو أنَّ السلطان غَضَّ النظر عنهم، ولكن الشريف مساعدًا لم ييأس مِن الأمر، بل رفع التقارير للدولة يُعدد فيها مخاطر الوهابيين، فقد جاء في وثيقة عثمانيَّة بتاريخ شوال ١١٧٨هـ/ إبريل ١٧٦٥م، موجهة مِن المجلس السلطاني إلى والي بغداد عمر باشا (١١٧٧-١١٩٠هـ/ ١٧٦٣-١٧٧٦م)، تأمره بالزحف على الدرعيَّة والقضاء على الوهابيين، وقد ورد فيها أنَّه في بدايات عام ١١٧٨هـ/ ١٧٦٤م قام الشريف مساعد بإرسال شقيقه الشريف أحمد على رأس قوة عسكرية تضم مائة مِن الأشراف، إضافة إلى ستة مدافع، وذخائر حربيَّة أخرى، تلبية لاستغاثة حاكم الأحساء عريعر بن دجين (١١٦٩-١١٨٨هـ/ ١٧٥٦-١٧٧٤م)، لمُساعدته في حملة ضد الوهابيين. **الأرشيف العثماني**: مهمة دفتري، حكم ٨١٧، في أواسط شوال ١١٧٨هـ/ بدايات إبريل ١٧٦٥م. ولم تسعفنا المصادر التاريخيَّة بِمَا فعله عمر باشا تجاه الوهابيين، كما أنَّها لم تُشر إلى الدور الذي أدته القوة العسكريَّة للأشراف في هذه الحملة، ولكن الثابت أنَّ الحملة التي قادها عريعر حاكم الأحساء قد فشلت في تحقيق أهدافها. انظر: عبد الكريم بن عبد اللَّه الوهبي، **بنو خالد وعلاقتهم بنجد** (١٠٨٠-١٢٠٨هـ/ ١٦٦٩-١٧٩٤م)، دار ثقيف، الرياض، ط ١، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م، ص ٢٦٦-٢٧٦، ٣٩٥. وانظر: **ملحق الوثائق**، وثيقة رقم (٨).

فلمَّا أُقِيم أخوه الشريف أحمد، ولبس عقد الشرافة المنضد، أرسل مِن عُلمائه[1] كما أرسل في المُدَّة السابقة، فلمَّا اختبروهم وَجَدُوهُم لا يَتَدَيَّنُونَ

(١) تذكر المصادر الوهابيَّة أنَّ الشريف أحمد بن سعيد أرسل إلى الإمام عبد العزيز بن محمد والشيخ محمد بن عبد الوهاب يطلب مِنهما أنْ يُرسلا إليه عالمًا وفقيهًا يبيِّن حقيقة ما يدعوان إليه، ويناظر عُلماء مكة، فأرسلا وفدًا على رأسه الشيخ عبد العزيز الحُصَيِّن مصطحبًا معه بعض الهدايا، ورسالة نصُّها: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، المَعْرُوضُ لَدَيْكَ أَدَامَ اللَّهُ فَضْلَ نِعَمِهِ عَلَيْكَ حَضْرَةَ الشَّرِيفِ أحمدَ بْنَ الشَّرِيفِ سَعِيدٍ، أعزَّهُ اللَّهُ فِي الدَّارَيْنِ، وأعزَّ بِهِ دِينَ جَدِّهِ سيِّدِ الثَّقَلَيْنِ. إنَّ الكِتَابَ لمَّا وَصَلَ إِلَى الخادِمِ، وتأمَّلَ مَا فِيهِ مِنْ الكلامِ الحَسَنِ، رَفَعَ يَدَيْهِ بالدُّعاءِ إِلَى اللَّهِ بتأييدِ الشَّرِيفِ لمَّا كَانَ قصدُهُ نَصْرَ الشَّرِيعَةِ المُحَمَّدِيَّةِ وَمَنْ تَبِعَهَا، وَعَدَاوةَ مَنْ خَرَجَ عَنْها. وهَذَا هُوَ الواجِبُ عَلَى وُلاةِ الأمورِ. ولَمَّا طَلَبْتُمْ مِنْ نَاحِيَتِنَا طالِبَ عِلْمٍ امتَثَلْنَا الأَمْرَ، وهُوَ واصلٌ إِليكُمْ، ويَحْضُرُ فِي مَجلِسِ الشَّرِيفِ أعزَّهُ اللَّهُ تَعَالَى هُوَ وعُلماءُ مَكَّةَ فإِنْ اجْتَمَعُوا فالحَمْدُ للَّهِ عَلَى ذَلِكَ، وإِنْ اخْتَلَفُوا أحْضَرَ الشَّرِيفُ كُتُبَهُمْ وكَتُبَ الحنْابِلَةِ. والواجِبُ عَلَى كُلٍّ منَّا وَمِنْهمْ أنْ يَقْصِدَ بِعِلمِهِ وَجْهَ اللَّهِ ونَصْرَ رَسولِهِ، كَمَا قَال تعالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾، فَإِذا كَانَ اللَّهُ سبحانَهُ قَدْ أَخَذَ الميثاقَ عَلَى الأنبياءِ إِنْ أدركُوا محمدًا ﷺ على الإيمانِ بِهِ ونُصْرَتِهِ، فكَيفَ بِنَا يَا أُمَّتَهُ! فَلَا بُدَّ مِنْ الإِيمانِ بِهِ، وَلا بدَّ مِنْ نُصْرَتِهِ، لَا يكْفِي أَحدُهُمَا عَنْ الآخَرِ. وأَحقُّ النَّاسِ بِذَلِكَ وأَوْلاهُمْ أَهْلُ البيتِ الَّذِينَ بعثهُ اللَّهُ مِنْهُمْ وَشَرَّفَهُمْ عَلَى أَهْلِ الأرضِ. وَأحقُّ أَهْلِ البَيْتِ بِذَلِكَ مَنْ كَانَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ ﷺ. وَغَيْرُ ذَلِكَ يَعْلَمُ الشَّرِيفُ أَعَزَّهُ اللَّهُ أنَّ غِلْمَانَكَ مِنْ جُمْلَةِ الخُدَّامِ، ثُمَّ أَنْتُمْ فِي حِفْظِ اللَّهِ وحُسْنِ رِعَايَتِهِ». وقد وصل الشيخ الحُصَيِّن إلى مكة، واستقبله الشريف، واجتمع ببعض العُلماء عنده، ومنهم: يحيى ابن صالح الحنفي، وعبد الوهاب التركي مفتي السلطان وعبد الغني هلال، ودار الحديث حول ثلاث مسائل: أولها: ما ينسب إلى الدعوة وأنصارها من التكفير بالعموم، وثانيهما: هدم القباب التي على القبور، وثالثهما: إنكار دعوة الصالحين، وطلب الشفاعة منهم، والاستغاثة بهم في النوازل. فذكر الشيخ الحصيِّن أنَّ نسبة التكفير بالعموم إليهم زورٌ وبهتانٌ، وأمَّا هدم القباب التي على القبور فهو الحقُّ والصواب، كما ورد في كثير من الكتب، وليس لدى العُلماء شك في ذلك. وأمَّا دعوة الصالحين والاستغاثة بهم فقد نصَّ عليه الأئمة العُلماء، وقرَّروا أنَّه من الشرك الذي فعله القدماء، وقد احتكم الفريقان إلى كتب الحنابلة، فاقتنعوا وأعترفوا بأنَّ هذا دينُ اللَّه، وقالوا: هذا مذهب الإمام المعظَّم، ثم انصرف الشيخ الحصيِّن إلى الدرعيَّة. حسين بن غنام، **تاريخ نجد المسمى: «روضة الأفكار والإفهام لِمُرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام»**، حققه وحرره: ناصر الدين الأسد، قابله على الأصل: عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ، دارالشروق، القاهرة، ط ٤، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م، ص ١٣٥-١٣٦؛ عبد الرحمن بن محمد النجدي، **الدرر** =

إلا بدين الزنادقة، فأبى أنْ يُقِرَّ لهم في حما البيت الحرام قرار، ولم يأذن لهم بعد أنْ أثبت العُلماء أنَّهم كفار، ومنعهم بموجب فتوى العُلماء الأعلام، ولقوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ﴾(١).

فامتنعوا أيام دولة الشريف أحمد، واعلموا أنَّ قولهم قد ارتد، إلى أنْ تولى مولانا الشريف سرور، وأضات(٢) أم القرى مِن مشكاته بالنور، وتَبَسَّمَت لولايته الثغور، فأرسل إليه ذلك الشقي المغرور(٣)، يستأذنه في

= **السنية فِي الأجوبة النَجْدِية**، ج١، ط٦، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، ص ٥٥-٥٦. ولكن القدر لم يمهل الشريف أحمد لكي يواصل العلاقات مع الوهابيين، نتيجة للظروف التي وقعت في الحجاز نتيجة قدوم الحملة المصرية بقيادة محمد بيك أبو الذهب عام ١١٨٤هـ/ ١٧٦٩م، ثم المشكلات التي ظهرت نتيجة خروج بعض الأشراف عليه، ثم قيام الشريف سرور بن مساعد بمحاربته حيث تمكن من طرده من مكة، وتوليه الشرافة. للمزيد انظر: محمد عبد العال، **العلاقات بين الحجاز والدولة السعودية**، ص ٥٠-٥٥.

(١) القرآن الكريم، **سورة التوبة**، آية رقم ٢٨.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: أضاءت.

(٣) تذكر المصادر الوهابيَّة أنَّ في عام ١١٩٧هـ/ ١٧٨٢م أهدى الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود إلى الشريف سرور بن مساعد خيلاً وإبلاً، واستأذنهُ في الحج، فأذن له بذلك، وخرج إلى الحج نحو ثلاثمائة مِن أتباع الدعوة الوهابية. حسين بن غنام، **تاريخ نجد**، ص ١٥٨. ونلحظ أنَّ الشريف سرورًا قد رفع إلى السلطان العديد مِن الرسائل يطلب مِنْه المساعدات الماديَّة والعسكريَّة حتى يتَمَكَّن مِن محاربة الخطر الوهابي وصده، ولكن ديوان السلطان لم يعطِ أيَّ اهتمام، بسبب أنَّه لم يَرِد مِن ولاة الولايات المجاورة لنجد أيُّ خبر بهذا المعنى، ولذلك لم يأخذ الديوان الأمر على محمل الأهميَّة، ولكن لمَّا تواصلت الرسائل وتواترت الأخبار في هذا المعنى مِن جِهة الحرمين الشريفين، تنبه الوزراء في الديوان لخطورة الأمر، ولكن وردت الأخبار مِن والي جدة مناقضة للشريف سرور، فقرَّر الديوان الاستفسار عن الأمر مِن باشوات الولايات المجاورة. أحمد فؤاد متولي، «**ملامح مِنْ تاريخ الحِجَاز فِي عهد الدَّوْلة السُعُوديّة الأُولَى**»، مجلة الدارة، العدد الرابع، السنة السادسة، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، الرياض، ص ١١٥؛ عبد الفتاح حسن أبو علية، **دراسة حول المخطوط التركي حجاز سياحتنامه سي**، دار المريخ، الرياض، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ص ٢٨-٢٩. ولقد قام والي الشام محمد باشا العظم (١١٨٧-١١٩٧هـ/ ١٧٧٣-١٧٨٣م) برفع تقريرٍ عن الوهابيين في عام ١١٩٠هـ/ ١٧٧٦م ذكر فيه أنَّ محمد بن عبد الوهاب وأتباعه تغلبوا على القبائل في نجد، ويسيطرون عليها منذ عشرين سنة بمذهبهم الجديد الذي أحدثوه، وأنَّهم ينوون في تلك السنة مهاجمة مكة المكرمة والسيطرة عليها. **الأرشيف** =

زيارة البيت المعمور، فأجابه بالبديهة - ولم يتأمَّل ولم يستشر أحدًا ولم يسأل - بأنَّكم إنْ أردتم الوصول، فآخذ مِنْكم في كُلّ عام ضرمة مثل ما نأخذها مِن الأعجام، ونأخذ مِنْكم مائة مِن الخيل الجِياد، تساق إلى داري بسفح أجياد، فعظم عليه تسليم هذا المقدار، ومساواته بالعجم الأشرار، فامتنع أيام دولته كُلّهَا، يُعَلِّل نفسه بالوصول ويعلها، وقد جرى في قضا[1] اللَّه تعالى أنَّه يدخل مكة، ولا شك إذا آنَ الأوان، وقرب الوقت وحان.

فلمَّا توفي المرحوم الشريف سرور، وجاوز في الجنات الخلود ولدانًا وحور[2]، وأُقِيْم مكانه هذا الهُمَام، والبطل الضرغام أَسَد الهيجا[3]، ومُقَوِّم كُلّ معوجًا، مولانا الشريف الغضنفر الغطريف غالب بن مساعد، فإنَّه لمَّا اسْتَقَرَّ على تخت الشرافة ليثها الكاسر، وانقادت له صعاب الأمُور باطنًا وظاهر[4]، أرسل له ذلك الشقي الخَتَّال[5]، يتسلق بالوصول ويحتال، فمنعه عن الوصول

= العثماني، C. DAH ١٦٠٤٤، وقد قام شيخ الإسلام في إستانبول برفع تقريرٍ إلى السلطان جاء فيه: «إنَّ شيخ نجد محمد بن عبد الوهاب رجل على المذهب الحنبلي، ويتعصب ضد معتقدات الأشعريَّة، وهذا التعصب هو السبب في انتقاده تصرفات ومواقف أشراف مكة المكرمة، كما يزعم أنَّهم زيديون ويرميهم بالكفر، ممَّا أبرز العداوة بينه وبين الشريف، وكان الأخير قد راجع الدولة مطالبًا التصدي لهم، ولمَّا تبيَّن من التحقيقات التي أُجريت لمعرفة كنة الأمر، وأنَّ الشكاوي ناتجة على أهواء نفسية، لم تنهض الدولة لتلبية طلباته». **الأرشيف العثماني**، H.H ٩٤/٣٨٦٢ ويبدو أنَّ التناقض الشديد في التقارير التي رفعت إلى الباب العالي، قد أدت إلى عدم اهتمامه بأمر الوهابيين وقتئذ، وظن أنَّ الخلاف بينهم خلافٌ في الرأي، ولن يؤدي إلى اعتداء بين الطرفين. كما أنَّ الدولة كانت مشغولة بحروبها في أوروبا، وقد ألقى المؤرخ أحمد جودت اللوم على موظفي الدولة في معالجة هذه لقضية وأنَّهم السبب وراء تفاقم قضية الوهابيين وسيطرتهم على الحجاز. أحمد جودت، **تاريخ جودت**، ٦/ ١٢١-١٢٤.

(١) كذا في الأصل، والصواب: قضاء.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: حورًا.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: الهيجاء.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: ظاهرًا.

(٥) تذكر المصادر الوهابيَّة أنَّ في عام ١٢٠٤هـ/ ١٧٩٠م، أرسل الشريف غالب إلى الإمام عبد العزيز والشيخ محمد بن عبد الوهاب يخبرهم أنَّه يريد رجلاً عارفًا مِن أهل الدعوة =

هذا الهُمَام والأَسَد الضرغام، وبادره بهمته وإِبَائه، بِمَا لم يقدر عليه أحد مِن آبائه، وتَوَعَّده بالركوب إلى بلده أرض مُسَيلمة الكذوب، وسيجعل قوله فعلاً، ويرسل الكتايب[1] وعرًا عليه وسهلًا، / ق١٧٨/ وإِنْ لم يساعد على منعه القضا[2] والقدر، ورَقَّمَ في اللوح دُخُوله وتَسَطَّر.

= يعرفه حقيقتها، ليكون فيها على بصيرةٍ، فقاما على الفور بإرسال وفدٍ دينيٍّ على رأسه الشيخ عبد العزيز الحُصيِّن، ومعه كتاب يوضح مبادئ الدعوة، جاء فيه: «مِنْ مُحَمَّدِ بنِ عَبْدِ الوَهَّابِ إِلَى العُلماء الأَعْلاَمِ فِي البَلَدِ الحَرَام، نَصَرَ اللَّهُ بِهِمْ سَيِّدَ الأَنَام عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلاَةِ وَالسَّلاَم، وتَابِعِي الأَئِمَّةِ الأَعْلاَم: سَلامٌ عَلَيكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، وَبَعْدُ؛ فَقَدْ جَرَى عَلَيْنَا مِنْ الفِتْنَةِ مَا بَلَغَكُمْ وَبَلَغَ غَيْرَكُمْ؛ سَبَبُهُ هَدْمُ بُنْيَانٍ فِي أَرْضِنَا عَلَى قُبُورِ الصَّالِحِيْنَ، وَمَعَ هَذَا نَهَيْنَاهُمْ عَنْ دَعْوَةِ الصَّالِحِيْنَ، وأَمَرْنَاهُمْ بِإِخْلاَصِ الدُّعَاءِ. فَلَمَّا أَظْهَرْنَا هَذِهِ المَسْأَلَةَ، مَعَ مَا ذَكَرْنَا مِنْ هَدْمِ البنَاءِ الَّذِي عَلَى القُبُورِ، كَبُرَ عَلَى العَامَّةِ، وَعَاضَدَهُمْ بَعْضُ مَنْ يَدَّعِي العِلْمَ لأَسْبَابٍ مَا تَخْفَى عَلَى مِثْلِكُمْ، أَعْظَمُهَا: اتِّبَاعُ الهَوَى، مَعَ أَسْبَابٍ أُخَرَ. فَأَشَاعُوا عَنَّا أَنَّا نَسُبُّ الصَّالِحِينَ، وَأَنَّا عَلَى غَيْرِ جَادَّةِ العُلَماء. وَرَفَعُوا الأَمْرَ إِلَى المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ. وَذَكَرُوا عَنَّا أَشْياءَ يَسْتَحِي العَاقِلُ عَنْ ذِكْرِهَا. وَأَنَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا نحْنُ عليْهِ، بِسَبَبِ أَنَّ مِثْلَكُمْ مَا يَرُوجُ عَلَيْهِ الكَذِبُ عَلَى أُنَاسٍ مُتَظَاهِرِيْنَ بِمَذْهِبِهِمْ عِنْدَ الخَاصِّ وَالعَامِّ. فَنَحْنُ وَلِلَّهِ الحَمْدُ مُتَّبِعُونَ لاَ مُبْتَدِعُونَ، عَلَى مَذْهَبِ الإِمَامِ أَحْمَدَ بنِ حَنْبَلٍ. وَأَنْتُم تَعْلَمُونَ - أَعَزَّكُمُ اللَّهُ - أَنَّ المُطَاعَ فِي كَثِيرٍ مِنْ البلْدَانِ لَوْ يَتَبَيَّنُ بالعَمَلِ بِهَاتَيْنِ المَسْأَلَتَيْنِ أَنَّهَا تَكبُرُ عَلَى العَامَّةِ الَّذِينَ درجُوا وآباؤهُمْ عَلَى ضِدِّ ذَلِكَ. وأَنتُمْ تَعْلَمُونَ - رَحِمَكُمْ اللَّهُ - أَنَّ فِي ولايةِ الشَّرِيفِ أَحْمَدَ بنِ سَعِيدٍ وَصَلَ إِليكُمْ الشَّيْخُ عَبْدُ العَزِيزِ بنُ عَبْدِ اللَّهِ، وَأَشْرَفْتُمْ عَلَى مَا عِنْدَنَا بَعْدَمَا أَحْضَرُوا كُتبَ الحَنَابِلَةِ الَّتِي عِنْدَنَا عُمْدَةٌ - كالتُّحْفَةِ والنِّهَايَةِ عِنْدَ الشَّافِعِيَّةِ. لَمَّا طَلَبَ مِنَّا الشَّرِيفُ غَالِبٌ - أَعَزَّهُ اللَّهُ وَنَصَرَهُ - امْتَثَلْنَا، وَهُوَ إِلَيْكُمْ وَاصِلٌ. فإنْ كَانَتْ المَسْأَلَةُ إِجْمَاعًا فَلاَ كَلاَمَ، وَإِنْ كَانَتْ المَسْأَلَةُ اجْتِهَادًا فَمَعْلومُكُمْ أَنَّهُ لاَ إِنْكَارَ فِي مَسَائِلِ الاجْتِهَادِ. فَمَنْ عَمِلَ بِمَذْهَبِهِ فِي مَحَلِّ ولاَيَتِهِ لاَ يُنكَرُ عليْهِ. وَأَنَا أُشْهِدُ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ وَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي عَلَى دِيْنِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَأَنِّي مُتَّبِعٌ لأَهْلِ العِلْمِ. وَالسَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ». ولمَّا وصل الحُصيِّن إلى مكة استقبله الشريف غالب، واجتمع معه عدة مرَّات، وأبدى اقتناعه بمبادئ الدعوة، وقد طلب مِنْه أنْ يحضر العُلماء ليناظرهم في أمور التوحيد، فرفضوا الحضور، وقالوا للشريف غالب: «هؤلاء الجماعة ليس عندهم بضاعة إلا إزالة نهج آبائك وأجدادك، ورفع يدك عمَّا يصل إليك من خير بلادك». فعاد الوفد الوهابي إلى الدرعيَّة وقد بدت العداوة والبغضاء بين الجانبين. حسين ابن غنام، **تاريخ نجد**، ص ١٧٣-١٧٥؛ عبد الرحمن النجدي، **الدرر السنية**، ١/ ٥٦-٥٨.

(١) كذا في الأصل، والصواب: الكتائب.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: القضاء.

عَلَى الْمَرءِ أنْ يَسْعَى لِمَا فِيْهِ نَفْعُهُ
وَلَيْسَ عَلَيْهِ أنْ يُسَاعِدَهُ الدَّهْرُ[١]

فقد اهتم بِمَا لم يهتم له غيره مِن الملوك، حتى تَشَرَّفت التواريخ بسيرته كما تَشَرَّفت بالجواهر السلوك، وأبقى سيرة هذا الشقي المُفتتن، يتناقلها المورخون[٢] إلى آخر الزمن.

[هذه غزية السِّرِّ أميرها عبد العزيز بن مساعد][٣]

وفي سنة ألف وماتين[٤] وخمسة[٥]، نابذهم صاحب الترجمة لا زال عزيز القدر، وفتح عليهم باب الشرق بالشر، وأرسل عليهم غزية خيل وركاب ورجال[٦] مِن الكُمَاة كأُسُود الغاب، وفيهم عُصبة مِن عُصابته السلالة المُنتقين المُنتسبين للأَسَد الكرَّار علي البطين، أعني عمّه وذويه، وأخيه[٧] السيد عبد العزيز؛ لكونه أكثر دراية بالأُمُور وتمييز[٨]، ومعه مِن المراجل والعساكر، كُلّ ليث عرين كالأَسَد الكاسر؛ فتَوَجَّهت هذه الصيحة في غاية الاستعداد والأهبة، وعدتهم على ما رواه المخبرون نحو ستمائة أو يزيدون[٩]، فلمعت نار عزمهم كما يلمع البرق، وتَوَجَّهوا تلقاء الشرق.

---

(١) البيت لابن شمس الخلافة، انظر: محمد بن أيدمر المستعصمي، **الدر الفريد وبيت القصيد**، ٧/ ٢٣٣.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: المؤرخون.

(٣) كتب على هامش الأصل، ورقة ١٨٢؛ والنسخة (ب)، ورقة ١٤٠.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: مائتين.

(٥) عام ١٢٠٥هـ/ ٩ سبتمبر ١٧٩٠ - ٢٩ أغسطس ١٧٩١م.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: خيلًا وركابًا ورجالًا.

(٧) كذا في الأصل، والصواب: وأخاه.

(٨) كذا في الأصل، والصواب: وتمييزًا.

(٩) تحرّكت الحملة مِن مكة المكرمة وعددها كما ذكر ابن عبد الشكور حوالي ستمائة، ولكن المصادر الوهابية تذكر أنَّها وصلت إلى عشرة آلاف يصحبهم عشرون مدفعًا. عثمان بن بشر، **عنوان المجد**، ١/ ١٧٣. ويبدو أنَّ هناك عددًا كبيرًا مِن رجال القبائل قد انضم إلى حملة الشريف أثناء مرورها مِن أراضيهم رغبة في إرضاء الشريف والحصول على الأموال منه، والحصول على الغنائم مِن تلك الحرب، بالإضافة إلى بعض القبائل المتضررة مِن =

فعرضت عليه البُقُوم[١] حين أناخ بِتُربَة، وهم: المُورِكة[٢]، والمَرَازِيْق[٣]، ورَحْمَان[٤]،والقُرُوف[٥]، والكُرْزَان[٦]، والكُلَبَة[٧]، وعرضت عليه الشَّلاَوَى في مُنتصف النهار، بنو ياس وبنو الحارث؛ وهم بطن مِن آل سيار. ثم عرض عليه بنو يَكْلُب[٨]

= المدّ الوهابي. وسوف نلحظ أنَّ هذا الخليط الذي تكوَّنت مِنْه الحملة سوف يؤثر عليها سلبيًّا. للمزيد عن الحملة وتداعياتها، انظر: محمد عبد العال، **الحجاز والدولة السعودية**، ص ٦٩ وما بعدها.

(١) **قَبِيلَة البُقُوم**: والنسبة إليهم بَقَمِي. وتنقسم إلى جِذْمَيْن: محاميد (بني محمد)، ووازع (بني وازع). ومنازلهم شرق الطائف في: وادي تُربَة وما حوله مِن وادي كراء. والحرَّة المعروفة باسم تلك القبيلة، وفي جبل حَضَن وما حوله. حمد الجاسر، **قبائل المملكة**، ص ٥٠؛ محمد الطيب، **موسوعة القبائل**، ٧/ ١٠٢٠.

(٢) **المُوْرَكة**: مِن المحاميد، مِن قبيلة البُقُوم، واحدهم مُوْرِكي. ومِنْهم: الطريفات، بنو سنان، الهُمَلة، الجيلان، والبحان، الشلالين، الفلاتين، اللَّهَبَة، الرواجح، القواودة، الهُرَاسين. حمد الجاسر، **قبائل المملكة**، ص ٨٢١-٨٢٢؛ محمد الطيب، **موسوعة القبائل**، ٧/ ١٠١٥١٠٢٠.

(٣) **المَرَازِيْق**: مِن المحاميد، مِن قبيلة البُقُوم، واحدهم مَرْزُوقِيٌّ. ومِنْهم: الحوَّاصين، الرجلات، الرشادين، الجراذية، الشمارين، السمون، الخضارين، الشماليف، الظهران. حمد الجاسر، **قبائل المملكة**، ص ٧٣٣.

(٤) **رَحْمَان**: مِن وازع، مِن قبيلة البُقُوم، واحدهم رَحْمَانِي. ومِنْهم: الغرامين، والعُران، واللواحِين، والقَمازين، وآل حُسَيْن، والعُرَانَاتُ. حمد الجاسر، **قبائل المملكة**، ص ٢٦٧؛ محمد الطيب، **موسوعة القبائل**، ٧/ ١٠١٨.

(٥) **القُرُوفُ**: مِن وازع، مِن قبيلة البُقُوم، واحدهم قِرْفي. وبلادهم في تُربَة ونواحي حَضَن. حمد الجاسر، **قبائل المملكة**، ص ٦٥٢-٦٥٣؛ محمد الطيب، **موسوعة القبائل**، ٧/ ١٠١٨.

(٦) **الكُرْزَانُ**: مِن المحاميد، مِن قبيلة البُقُوم، واحدهم كُرَيْزِي. ومِنْهم: الفواضل، والمتاعبة، والشلايحة، والجرادبة. حمد الجاسر، **قبائل المملكة**، ص ٦٧٧؛ محمد الطيب، **موسوعة القبائل**، ٧/ ١٠١٦.

(٧) **الكُلَبَةُ**: مِن وازع، مِن قبيلة البُقُوم، واحدهم كُلَيْبي. وبلادهم في ضواحي تُربَة. حمد الجاسر، **قبائل المملكة**، ص ٦٨١-٦٨٢؛ محمد الطيب، **موسوعة القبائل**، ٧/ ١٠١٧-١٠١٨.

(٨) **بنو يَكْلُب**: واحدهم أَكْلُبِيُّ (يَكْلُبِيُّ). يسكنون أسْفل وادي بِيْشَة ووادي تَبَالَة. حمد الجاسر، **قبائل المملكة**، ص ٢٧.

امتثالاً لـمَا يَـرُوم ويطلـب. ثـم لفا عليه الـمَكَـاحِـلَـة(١)، والـرُّوبـة(٢)، والـمَجَامِعَة(٣)، وانقادت طايعة(٤). ثـم لفا عليه الـسَّـوَدَة(٥)، وبنو عَـامِـر(٦)، والزُّكُوْر(٧)،..

---

(١) **المَكَاحِلَةُ**: مِن آل عُمَيْر، مِن فروع قبيلة سُبَيْع، واحدهم مكيحلي، ينقسمون إلى قسمين: المقابلة، وآل فاض. ويسكنون رَنْيَة في: الأملح، والناقة، والكوير، وفي جزء من وادي المياه، وبيشة. حمد الجاسر، **قبائل المملكة**، ص ٨٠٠؛ محمد سليمان الطيب، **موسوعة القبائل**، ٦/ ١٦٤.

(٢) **الرُّوبة**: وهم مِن الزُّكُوْر، مِن فروع قبيلة سُبَيْع، واحدهم رُويبي. وينقسمون إلى: الخشمان، والفياحين، والبِدَان. يسكنون الجرثمية، والنغر، والصدر برَنْيَة. محمد سليمان الطيب، **موسوعة القبائل**، ٦/ ١٧١.

(٣) **المَجَامِعَة**: وهم مِن الزُّكُوْر، مِن فروع قبيلة سُبَيْع. واحدهم مُجَمعي. وينقسمون إلى: المنيفات، والوثالين، والوركان، والطوارشة، والمخاضر، والشيابين. ومِن قراهم: السلم، والقاعية، والشريانية، ومُلَهِّي، وكويكب، وسُوَيد، والحنق، والفرعة، وكُلّها مِن قُرَى رَنْيَة. حمد الجاسر، **معجم قبائل المملكة**، ص ٧٠٩؛ محمد سليمان الطيب، **موسوعة القبائل**، ٦/ ١٧٢-١٧٣.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: طائعة.

(٥) **السَّوَدَة**: وهم مِن الزكور، مِن فروع قبيلة سُبَيْع. واحدهم سُوَيْدي. ويسكنون الفَرْعة، والعماير، والقُبَيبي، مِن قُرَى رَنْيَة. وينقسمون إلى: المشاهيب، وآل عاتب، والفصلان، والشموس، والمحاورة. حمد الجاسر، **معجم قبائل المملكة**، ص ٣٧٠؛ محمد سليمان الطيب، **موسوعة القبائل**، ٦/ ١٧٢.

(٦) **بنو عَامِر**: مِن فروع قبيلة سُبَيْع، وهم سبعة فروع، انتقلت من وادي المياه والقُنْصُليَّة، ورَنْيَة وما حولها، وهم: الضعفة، العيادين، عجمان الرخم، القواودة (القوالدة)، الصيافا، بنو حميد، القدعا (القدعة). حمد الجاسر، **معجم قبائل المملكة**، ص ٤٨٩-٤٩٠؛ محمد سليمان الطيب، **موسوعة القبائل**، ٦/ ١٥٩-١٦٢.

(٧) **الزُّكُوْرُ**: مِن فروع قبيلة سُبَيْع، وهم أكثرها عددًا، كانوا يعيشون في منطقة رَنْيَة وما حولها مع سائر سُبَيْع، وهم ينقسمون إلى: بنو ثور، والقريشات، والروبة، والسُّوَدَة، والمراغين، والمجامعة، وآل محمد، والفراعنة، والملوح، والوزران، والشِّماسَات، والجهوم. حمد الجاسر، **قبائل المملكة**، ص ٣١٠-٣١١؛ محمد سليمان الطيب، **موسوعة القبائل**، ٦/ ١٦٥-١٧٥.

وبنو عُمَر[1]، والجميع سُبَيْع[2] البدو والحضر.

ثم عرضت عليه قبايل[3] اليمن قَحْطَان[4] لم يتخلَّف مِنْهم إلا القليل مُتابعين لعصابة الشيطان، فعرض آل مُرَّة، وآل روق، والجَحَادِر[5]، وعرض آل عَاصِم[6]، والمسَارِدَة[7]، وبنو هَاجِر[8]، ثم عرضت عليه جميع القبائل

---

(١) **بنو عُمَر**: مِن فروع قبيلة سُبَيْع، كانوا يعيشون في الوديان، ثم نزحوا إلى العارض، ولا يزال لهم بقية في الغريف، والخرمة، وينقسمون إلى قسمين: أولاً- الخضران: وهم: الجبور، والصملة، والعُرَينات، والنُّبَطَة. ثانيًا- الصعبة: وهم: الجمالين، والعزة (الأَعِزَّة)، وآل علي، والمدارية. حمد الجاسر، **معجم قبائل المملكة**، ص ٥٥٨؛ محمد سليمان الطيب، **موسوعة القبائل**، ٦/ ١٤٧-١٥٨.

(٢) **قبيلة سُبَيْع**: تعيش هذه القبيلة في وادي سبيع جنوب غرب نجد، وتنقسم إلى قسمين: سبيع الشرقية تقيم في إِقْلِيم العارض، وسبيع الغربية تقيم في رَنْيَة. ماكس أوبنهايم وآخرون، **البدو**، ١/ ١٥٢-١٥٤؛ محمد سليمان الطيب، **موسوعة القبائل**، ٦/ ٩٨ وما بعدها.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: قبائل.

(٤) **قبيلة قحطان**: مِن أشهر قبائل وسط الجزيرة العربية، إلى جانب عتيبة ومُطَيْر، وموطنها جنوب وشرق عَسِير، وقد هاجرت إلى وادي بيشة وتثليث حتى طريق الحج مكة - الرياض. ويقيم قسم متحضر في هجر وقسم آخر في بلاد عسير، وينقسمون إلى: وداعة، وسنحان، بنو شهر، شريف، عيدة، رفيدة، جارمة، الجحادر. صلاح هريدي، **عسير**، ص ١٠٠؛ ماكس أوبنهايم وآخرون، **البدو**، ١/ ١٥٩-١٦٥.

(٥) **الجَحَادِرُ**: مِن سَنْحَان، مِن قبيلة قَحْطَان، واحدهم جَحْدَرِيٌّ. ومِنْهم: آل محمد، وآل الجمل. وبلادهم يحدها شرقًا بلاد يام، وغربًا بلاد ولد عمر مِن سَنْحَان، وجنوبًا الحمرة، وشمالاً بلاد الحباب. حمد الجاسر، **معجم قبائل المملكة**، ص ٨٧.

(٦) **آل عَاصِم**: مِن آل سليمان مِن الجَحَادِر مِن قبيلة قَحْطَان، واحدهم عَاصِمي. ومِنْهم: آل طُرَيْف، وآل رَوْق، وآل خضر. حمد الجاسر، **معجم قبائل المملكة**، ص ٤٨٨.

(٧) **المسَارِدَة**: مِن جنب، مِن عَبيدة، مِن قبيلة قَحْطَان، بلادهم وادي جاش؛ ومِن قراه: الفرعة، والروضة، والجرفين، والعماير، والرفائع، وسفح الجرم. حمد الجاسر، **معجم قبائل المملكة**، ص ٧٥٤.

(٨) **بنو هَاجِر**: من جنب، مِن قبيلة قَحْطَان، واحدهم هَاجِرِي. كانت منازلهم بالقرب مِن سراة عبيدة في عَسِيْر، ثم نزلوا إلى سافلة نجد مطلع القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي. حمد الجاسر، **معجم قبائل المملكة**، ص ٨٦٩-٨٧٢.

الدَّوَاسِر[١]، وأقبلت كالأُسُود الكواسر.

ثم أقبلت عليه قبايل[٢] مُطَيْر[٣]، وأسرعت إليه كما يُسرع الطير، فَمِنْهم: بنو ضبيعة، /ق١٧٩/ والصُّهَبَة[٤]، والجِبْلَان[٥]، وَمِنْهم: عِلْوَى[٦]، وبُرَيْه[٧]، والدُّوْشَان[٨]،..

(١) قبيلة الدَّواسِر: مِن القبائل المهمة في وسط الجزيرة العربية، وأصلها مِن اليمن، وقد هاجرت إِلى الوادي الذي عُرِفَ باسمهم في نجد. ماكس أوبنهايم وآخرون، **البدو**، ١/ ١٧٧-١٨١.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: قبائل.

(٣) **قبيلة مُطَيْر**: تنتشر فيما بين السر وحتى الكويت، ويقع موطنهم على الطريق الشرقي بين المدينة ومكة. ماكس أوبنهايم وآخرون، **البدو**، ٣/ ١١٣-١١٩؛ محمد الطيب، **موسوعة القبائل**، ٦/ ٧-٨. وفي عام ١٢٠٥هـ/ ١٧٩١م، قام الأمير سعود بن عبد العزيز بغزو أعراب مُطَيْر، فهزمهم وقتل منهم أكثر من خمسين رجلاً، وغنم مِنْهم كثيرًا مِن الأموال والأمتعة والأثاث والغنم والإبل. ولعلّ في ذلك ما يفسر انضمام هذه القبيلة الكبيرة إلى الشريف في حملته الأولى على نجد. انظر: حسين بن غنام، **تاريخ نجد**، ص ١٧٥.

(٤) **الصُّهَبَة**: بطن مِن ذوي عون، مِن عِلْوَى، مِن فروع قبيلة مُطَيْر. من قراهم: صقرية السفلى. حمد الجاسر، **معجم قبائل المملكة**، ص ٤٥١؛ محمد سليمان الطيب، **موسوعة القبائل**، ٦/ ٦٩، ٧١.

(٥) **الجِبْلَان**: بطن مِن عِلْوَى، مِن فروع قبيلة مُطَيْر. واحدهم: جَبَليٌّ. ومِنْهم: العقيمات، المقالدة، والأعِنَّة، والعراقبة. ومساكنهم في الدبدبة، والصمَّان وهي اللصافة وخبيرا، والحيراء، وأم سديرة، ومناخ. حمد الجاسر، **معجم قبائل المملكة**، ص ٨٥؛ محمد سليمان الطيب، **موسوعة القبائل**، ٦/ ٧١.

(٦) **عِلْوَى**: مِن فروع قبيلة مُطَيْر، ومِن أشهرها على الإطلاق؛ لأنَّ الدُّوْشَان شيوخ مُطَيْر مِن تلك البطن. وينقسمون إلى: المُوَهَة، الجبلان، ذوي عون، الجبلان، الرُّخمان، الملاعَبَةُ، الصُّهَبَةُ، والبَرَاعِصَةُ. حمد الجاسر، **معجم قبائل المملكة**، ص ٥٤٨؛ محمد سليمان الطيب، **موسوعة القبائل**، ٦/ ٦٩-٧٣.

(٧) **بُرَيْه**: مِن فروع قبيلة مُطَيْر. واحدهم بُرَيْهي، وينقسمون إلى: واصل، وأولاد علي. حمد الجاسر، **معجم قبائل المملكة**، ص ٤٢؛ محمد سليمان الطيب، **موسوعة القبائل**، ٦/ ٧٤-٧٩.

(٨) **الدُّوْشَان**: مِن فروع قبيلة مُطَيْر، وهم أهل الرئاسة في قبيلة مُطَيْر، وذلك لشجاعتهم، وحسن تدبيرهم، وأوَّل من تولّى المشيخة فيهم على القبيلة كلها كان الشيخ وطبان ابن محمد الدويش في أوائل القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي. محمد سليمان الطيب، **موسوعة القبائل**، ٦/ ٨٠ وما بعدها.

والعُبَيَّات[١]، والمُرَيْخَات[٢]، والبِرْزَان[٣].

وما زالت قبايل[٤] العرب تنشال عليه مِن كُلّ حدب والجموع كُلّ يوم تجتمع وتزداد على غاية المطلوب ووفق المراد، ثم أقبل عليه قبايل[٥] عُتَيْبَة لصم ذو الأُنُوف الشم، فعرض مِنْهم بنو زِيَاد[٦]، وجالوا بين يديه بخيلهم الجياد، ثم عرض عليه ابن جِحْنَة بقومه مُتذلِّلاً بعد رَوْمه، ثم عرض عليه المطعان حمود بن رُبيعان[٧]، وهذا الرجل صادق اللَّهجة محافظ العهود مُلازم لصاحب الترجمة، مُزاهِفٌ[٨] على ابن سعود، ثم عرضت في ذلك المكان الدُّعَاجِيون[٩]،

---

(١) **العُبَيَّاتُ**: بطن مِن واصل مِن بُرَيْه، مِن فروع قبيلة مُطَيْر، واحدهم عُبَيْوِي، ومِن بلادهم الحمودية في القصيم. حمد الجاسر، **قبائل المملكة**، ص ٥٠٥؛ محمد الطيب، **موسوعة القبائل**، ٦/ ٧٥-٧٦.

(٢) **المُرَيْخَاتُ**: بطن مِن واصل مِن بُرَيْه، مِن فروع قبيلة مُطَيْر، واحدهم مُرَيْخِي. وينقسمون إلى: الحسن، والفراوية. حمد الجاسر، **قبائل المملكة**، ص ٧٤٦؛ محمد الطيب، **موسوعة القبائل**، ٦/ ٧٧.

(٣) **البِرْزَانُ**: بطن مِن واصل مِن بُرَيْه، مِن فروع قبيلة مُطَيْر، واحدهم بَرَازي. حمد الجاسر، **قبائل المملكة**، ص ٣٩؛ محمد الطيب، **موسوعة القبائل**، ٦/ ٧٧.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: قبائل.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: قبائل.

(٦) **بنو زِيَاد**: مِن قبيلة هُذَيْل، منازلهم في وادي نَعْمَان، ووادي ضِيْم. حمد الجاسر، **قبائل المملكة**، ص ٣١٨.

(٧) **حمود بن رُبيعان**: شيخ قبيلة عُتَيْبَة، وقد كان مِمَّن يدينون بالولاء للشريف غالب، ولكن على أثر الهزائم المتوالية التي مني بها الشريف، وتعرض عُتَيْبَة لضغوط الوهابيَّة؛ قام حمود بمراسلة الإمام عبد العزيز في الدرعية وأعلن مبايعته وانضمامه إليه، وقد توفي عام ١٢١٦هـ/ ١٨٠١م. عثمان بن بشر، **عنوان المجد**، ١/ ٢٣٩، ٢٥٩؛ فيليكس مانجان، **الدولة السعودية الأولى وحملات محمد على باشا على الجزيرة العربية**، ترجمة: محمد خير البقاعي، دارة الملك عبد العزيز، الرياض، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٦م، ص ٢٩٦.

(٨) أي مُعارض للدعوة السلفية الوهابيَّة.

(٩) **الدُّعَاجِيون**: فخذ مِن بَرْقة مِن فروع قبيلة عُتَيْبَة، تمتد منازلهم في الشرق حتى الوشم والقصيم، ومِن أشهر هجرهم في نجد الحفيرة، ومَاسَل، وأمَّا في الحجاز فهم يسكنون =

والمُقَطَة[١]، والرُّوسَان[٢]، وعرض عليه ابن مُحَيور[٣] بالرُّوقَة، وصَمَّم القبايل[٤] المنطبقة، وهي في كُلّ يوم مُتزايدة مُتواصلة، والأيام لمُساعدة الأمُور الحاصلة، ثم عرضت عليه الدَّغَافِلَة[٥] والدَّغَالِبَة[٦] وهي لأخذ الثار مِن الشقي طالبة.

ولمَّا تكاملت قبايل[٧] أهل الشرق عدًّا، وخلنا قد فتح ليأجوج ومأجوج سَدًّا، أقبلت عليه قبايل[٨] شَمَّر[٩] أصنافًا وأنواعًا، يمدون بين يدي معاليه

= ووادي لقيم، ووادي جلي، وركبة. عمر رضا كحالة، **قبائل الحجاز**، ١/ ٣٨٠؛ تركي القداح، **دراسات حول عُتَيْبَة**، ص ٢٠.

(١) سبق تعريفها.

(٢) **الرُّوسَان**: فخذ مِن عيال منصور مِن بَرْقة، مِن قبيلة عُتَيْبَة، ومِن هجرهم: مصدة، قرية المحمدية في منطقة السِّر، وينقسمون إلى: المقاحصة، والشبهة، والمرابضة، والعونة، والسراحين، وذوي منصور، وذوي مجري. عمر رضا كحالة، **قبائل العرب**، ٢/ ٤٥٤؛ تركي القداح، **دراسات حول عُتَيْبَة**، ص ٢٠.

(٣) **ابن مُحَيْور**: شيخ الرُّوقَة مِن عُتَيْبَة، وكان يدين بالطاعة للشريف غالب، وانضم إليه في كثير مِن المعارك ضد الوهابيين، وتعرض هو وقومه لغزوهم، وظلَّ على ولائه للشريف، حتى قتل في موقعة ماء الجَمَّانيَّة بين الأشراف والوهابيين عام ١٢١٠هـ/ ١٧٩٦م. عثمان بن بشر، **عنوان المجد**، ١/ ٢١٣؛ فيلكس مانجان، **الدولة السعودية الأولى**، ص ٢٩٢.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: القبائل.

(٥) **الدَّغَافِلَة**: مِن وَازِع، مِن قبيلة البُقُوم. واحدهم دَغَفْليٌّ. وينقسمون إلى: العليان، الشوامي، والمساعيد، والحناتيش، والخرازيم، والهجارسة، والهضيبات، واللوامين، والخلع، والدحالات. حمد الجاسر، **قبائل المملكة**، ص ٢٣٠-٢٣١.

(٦) **الدَّغَالِبَة**: فخذ مِن عيال منصور مِن بَرْقة، مِن قبيلة عُتَيْبَة، وهم في شرق الطائف، ولهم في نجد لبخة، وحويته في الوشم. وهم ينقسمون إلى: النعرة، وذوي غُلُوب، والقُبَعَة، والعُوَيْدَات. رضا كحالة، **قبائل العرب**، ١/ ٣٨٢؛ حمد الجاسر، **قبائل المملكة**، ص ٢٣١؛ تركي القداح، **دراسات حول عُتَيْبَة**، ص ٢٠.

(٧) كذا في الأصل، والصواب: قبائل.

(٨) كذا في الأصل، والصواب: قبائل.

(٩) **شمَّر**: قبائل شَمَّر، مِن عشائرها: عَبْدَةُ، سِنْجَارة، الأَسْلَمُ، التُّوْمَان، فَدَاغة، آل ثابت. ومنازلهم حول جبل أجا وسلمى، وشرقهما وشمالهما، وقاعدتهم مدينة حائل. حمد الجاسر، **قبائل المملكة**، ص ٤٠٦.

يدًا وباعًا، ثم عرض عليه مِن قبايل[١] حرب بنو عِلَيّ، والبِيْضَان[٢] بالتمام، وانقطع بذكرهم وختم الكلام.

فلمَّا تكاملت هذه القبايل[٣] وانتشرت، وتَفَرَّقُوا فإذا الوحوش حشرت، ارتحل بهذا الجيش العَرَمْرَم وفود معاندة بنار الحرب يتَضَرَّم، فنزل بالغَرِيف[٤] وهو في حفظ عيش وريف، ومعه هذه الجيوش التي كالجراد المُنتشر، ولم يطلب أحد مِنْهم زادًا ولا غيره بل ولا ينتظر، ومواشيهم تساق بين أيديهم ومِن خلفهم يأكلون مِنْها ويشربون على جري عادتهم وإلفهم، ثم ارتحل ونزل بالخُرْمَة[٥] والْوُطَاة[٦]، فاشتدّت هيبته في القلوب وسطاه[٧]، ثم ارتحل ونزل بموضع يقال له: الحِنْوُ[٨]، وهم في غاية الانقياد فما كلّوا ولا ونوا، ثم ارتحل بكل هُمَام منتعر، ونزل بحزم[٩]

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: قبائل.

(٢) **البِيْضَانُ**: مِن بني عمرو، مِن مسروح مِن قبيلة حَرْب. واحدهم بَيْضَانِيٌّ. ومنازلهم في أطراف الفُرْع إلى قرب رابغ، ومنهم في الطرفية وثادق في القصيم، وفي الحناكية. حمد الجاسر، **قبائل المملكة**، ص ٥٦.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: القبائل.

(٤) **الغَرِيف**: قرية تقع في شمال الطائف وجنوب الخُرْمَة. عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ص ١٢٥٧.

(٥) **الخُرْمَة**: قرية تقع في وادي تُربَة، تبعد عن الطائف بحوالي مائة وثمانين كيلًا، ويُسَمَّى وادي تُربَة هناك وادي الخُرْمَة، وسُكّانها مِن قبيلة سُبَيع يخالطهم بعض الأشراف الحسنيين، وتشتهر بزراعة النخيل وإنتاج التمور. محمد بن بليهد، **مَا تقارب سماعه وتباينت أمكنته وبقاعه**، تَحْقِيق: محمّد بن سعد بن حسين، د.ن، ط٣، د.ت، ص ١٢٤؛ عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ص ٥٤٣.

(٦) **الْوُطَاة**: قرية تقع شمال الخُرْمَة، تبعد عن الطائف بحوالي مائتين وثلاثين كيلًا.

(٧) كذا في الأصل، والصواب: وسطوته.

(٨) **الحِنْوُ**: قرية تقع في أعلى وادي الرين شمال شرقي بلدة الخُرمَة، وجنوب غربي القويعية على بعد خمسين كيلاً. سعد بن عبد اللَّه جُنَيدل، **المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية: عالية نجد**، دار اليمامة، الرياض، د.ط، د.ت، ص ٤٢٦؛ حمد الجاسر، **المعجم الجغرافي**، ص ٤٨٨.

(٩) **حزم سُبَيْع**: قرية تقع قرب الضُبَيْعة، يسكنها بنو حميد مِن قبيلة سُبَيْع. سعد بن جُنَيدل، **عالية نجد**، ص ٩٣٦-٩٣٧.

سُبَيْع، ثم بالمنتجر.

وما زالت جمرة عزمه تتقد وتستعر، وهو يطأ كُلّ مكان في الشرق سهل ووعر، ثم ارتحل بهذه / ق١٨٠/ الجنود التي كالدود على العود، لحضور اليوم الموعود بين شاهد ومشهود، فأناخ بسفوه ثم ارتحل، وبموضع يقال له: الدَّعَيْكَة[١] حلّ، ثم ارتحل بذلك السيل المُنهمر، وصفا له المشرب في موضع يقال له: الكدر، وما زالت عزايم[٢] هِمَّته إلى أوج المعالي مرتقية، فوصل إلى مُثَلاَّثَة[٣]، ثم أناخ بِعَفِيْف[٤]، ثم أقام بأَبْرَقِيَّة[٥]، ثم ارتحل إلى عُرَيق الدَّسْم[٦] بِهِمّته العليَّة، ثم شرع يَملك في قُرَى نجد، ومِنْها ضِرِية[٧]؛ وهذه القرية مِن أَوَّل قُرَى نَجْد، فأرسل عليها غزية أَمَّرَ عليها السيد فهد[٨]، فذبح مِنْها أَحَدَ عَشَرَ، وهرب جانب مِنْهم وأسر، فارتحل مِنْها إلى قرية يقال

---

(١) **الدَّعَيْكَة**: وادٍ في برق وأرض دكاك، غرب بلدة عَفِيف، يسكنه الغَنَانِيم والرُّوَسان مِن عُتَيْبَة. سعد جُنَيدل، **المعجم: عالية نجد**، ص ٥١٩-٥٢٠.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: عزائم.

(٣) **مُثَلاَّثَة**: هضبة سوداء، واقعة على ضفة وادي الشَّبرم اليمني غربي بلدة عَفِيْف، سكانها الرُّوقة مِن عُتَيْبَة. سعد جُنَيدل، **المعجم : عالية نجد**، ص ١١٤٣.

(٤) **عَفِيْف**: قرية تقع في عالية نجد غرب جبل النير، وشرق جبل سجا، وشمال المردمة، يسكنها الروقة مِن عُتَيْبَة. سعد بن جُنَيدل، **المعجم: عالية نجد**، ، ص ٩٦٦-٩٦٨.

(٥) **أَبْرَقِيَّة**: ماء قديم، يقع في وادي المياه، بين عُرَيق الدَّسْم شرقًا، وجبل قرنين غربًا. ويسكنه الرُّوقة مِن قبيلة عُتَيْبَة. سعد بن جُنَيدل، **المعجم: عالية نجد**، ص ٦٢-٦٣؛ حمد الجاسر، **المعجم الجغرافي**، ص ١٥٠.

(٦) **عُرَيق الدَّسْم**: عُرَيق: تصغير عرق، والعرق في لغتهم جبل الرمل المستطيل. وهي منطقة رملية تقع في عالية نجد، وكانت تعرف قديمًا باسم اللوى أو رُميلة اللوى، وكان بها أحد منازل طريق البصرة إلى مكة بعد ضِرِيَّة نحو مكة. محمد بن ناصر العبودي، **معجم بلاد القصيم**، د.ن، د.م، ط٢، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، ص ١٥٨١-١٥٨٩.

(٧) ضِرِية: قرية تقع في عالية نجد، كانت مركزًا للحمى الذي حماه عمر بن الخطاب رضي الله عنه لإبل الصدقة، وأصبح يعرف باسمها فيقال: حمى ضِرِيَّة، وكانت مِن أهم محطات طريق الحاج البصري إلى مكة، وتشتهر بآبار الماء العذب. محمد العبودي، **معجم بلاد القصيم**، ص ١٤٠٦-١٤١٥.

(٨) كذا في الأصل، والصواب: فهدًا.

لها: مِسْكَة[١]، ولمَّا هرب أهلها صيرها ملكه، ثم لمَّا ارتحل مِن مِسْكَة وأناخ بقرية سُوَاج[٢]؛ هرب أهلها قبل أنْ يثير عليهم العُجاج، وفعلت مثل هذه الفعلة أهل قريةٍ يقال لها: أَثْلَة[٣]، فارتحل مِنْها وما أناخ إلا على قرية وُضَاخ[٤]، وصال على قُرَى نجد وشاخ، وخسي[٥] كُلّ معاند وصاخ.

فلمَّا سمع أهل الزمن وشاهدوا عزمه عيانًا بيان[٦]، أرسلوا رسلهم تترى يطلبون مِنْه الأمان، وأمَّا أهل قرية الكِبْرِيتيَّة[٧] فإنَّهم أرسلوا للسيد عبد العزيز بأنَّ لك علينا كذا وكذا مِن الأموال، فجنبنا ملاقاة الرجال وأرحنا مِن القتال، فأحسبه قد فعل وأوفى بالشرط وما اختل. وأهل قرية الخَبْرا[٨] أرسلوا للسيد عبد العزيز أنْ يحل بناديهم وينيخ ركابه

---

(١) مِسْكَة: قرية تقع إلى الشرق مِن قرية ضِرِيَّة - سالفة الذكر - في عالية نجد، وتحف بها جبال: لجأ (اللجاة حاليًا)، والإيم (ليم حاليًا)، وظخفة. وأهلها خليط من العرب ويعيش بجوارها بعض مِن قبائل عُتَيْبَة ومُطَيْر. محمد العبودي، **معجم بلاد القصيم**، ص ٢٢٦٢-٢٢٦٦.

(٢) **سُوَاج**: قرية تقع إلى الشرق مِن قرية مِسْكَة - سالفة الذكر - وقربها بذات الاسم جبل أَسْود مستطيل. محمد العبودي، **معجم بلاد القصيم**، ص ١١٧٣.

(٣) **أَثْلَة**: قرية قديمة في عالية نجد، واقعة بين دخنة وأُضاخ في أقصى جنوب الغربي القصيم، سُميت بذلك الاسم لأنَّه كان فيها شجر الأثل قديمًا قبل أنْ تُعمر. محمد العبودي، **معجم بلاد القصيم**، ص ٢٩٧ ٣٠١؛ سعد بن جُنَيدل، **المعجم الجغرافي: عالية نجد**، ص ٩٤.

(٤) **وُضَاخ**: وتكتب أيضًا أُضَاخ، وتعرف باسم مَعْدِن البُرَم. وهي قرية تقع إلى الجنوب الشرقي لقرية أَثْلَة - سالفة الذكر - وهي واقعة في سهل مستو من الأرض يحف بها وادي منحدر مِن الغرب إلى الشرق، وفيها آبار زراعية ماؤها وفير. محمد العبودي، **معجم بلاد القصيم**، ص ٣٥٣-٣٥٤؛ سعد بن جُنَيدل، **المعجم الجغرافي: عالية نجد**، ص ٩٤.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: خسيء.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: بيانًا.

(٧) كذا في الأصل، والصواب: الجِبْرِينيَّة، وهو ماء يقع في وسط صحراء الحدباء، شرق بلدة القويعية، وسمِّي بهذا الاسم نسبة إلى أهله أسرة آل جبرين مِن بني زيد مِن أهل القويعية. سعد بن جنيدل، **عالية نجد**، ص ٢٨٠.

(٨) **الخَبْرَا**: ماء يقع في نفوذ الخَبْرَا، شرقي بلدة القويعية على بعد ٤٠ كيلًا. سعد ابن جنيدل، **عالية نجد**، ص ٤٤٧-٤٤٨.

بواديهم، فمنعه عبد اللَّه المضايفي عن الذهاب، ولم أعْلَم لذلك سببًا مِن الأسباب، ثم ارتحل ونزل على البريدة قرية بَسَّام[١]، فعبس حصنها الحصين في وجه كُلّ هُمَام، وما أمكن أخذها بعد محاصرتها أيام[٢]، فانتقل عنها وتركها بِكْرًا لم يُفض لها ختام، ونزل بِمَن معه مِن الجموع على السِّر، فحصل بينه وبين الأشراف اختلاف مُضر، يزعمون قصور الزاد وطول الإقامة، فانحازوا عنه راجعين، ولتسمعن نبأه بعد حين.

ثم اعْلَمْ أنَّ في هذا اليوم الذي أراد الأشراف فيه الرجوع، صَاح المُصِيح /ق١٨١/ في العُرضي وتسابقت إليه الفزوع، فاتضح الخبر وانكشف الأمر، أنَّ سعودًا غزا على مطير، وكانوا مُنحازين على البوادي جانبًا، ففزع السيد عبد العزيز لصوت مُناديه طالبًا، ومعه الأشراف وأكثر أهل العُرضي كالنجوم ثواقبًا ووجدوه قد فَرَّ مكسورًا، ورده اللَّه تعالى خايبا[٣]، ثم عاد السيد

---

(١) **قرية بسَّام**: تقع في أرض السّرّ في عالية نجد، تنسب إلى بسَّام جد أسرة آل ناهض سكان هذه البلدة، وتعرف أيضًا باسم قرية البُرْود. سعد بن جُنَيدل، **المعجم الجغرافي: عالية نجد**، ص ٢٢٣-٢٢٥.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: أيامًا. وقد قامت الحملة بمحاصرة هذه القرية مدة عشرة أيام، واستخدموا السلالم لتسوّر أسوارها، ثم ضربوها بالمدافع، ولمَّا رأى أهل القرية مدىً التخبط الذي تعانيه قوات الحملة، تشجعوا وقاموا بضربهم بالبنادق، فأوقعوا فيهم القتلى، ولمَّا يئس السيد عبد العزيز رفع الحصار عنها، وأقام بالحملة في أرض السر أربعة أشهر ينتظر مِن أخيه المدد، وقد اختلفت المصادر في عدد المتواجدين في القرية، فقد قيل: عشرون، وقيل: خمسة وعشرون، وقيل: ثلاثون. وقد دلل انسحاب الحملة مِن أمام القرية - رغم محدودية عدد المقاتلين فيها - على ضعف قوة الأشراف، وعدم مقدرتهم على الاستيلاء على مثل هذه القرية الصغيرة. وبعد الانسحاب أقام السيد عبد العزيز في أرض السِّر، عاد إلى محاصرة القرية مرة أخرى ففشل أيضًا؛ ولا ريب أنَّ ذلك قد شجع الوهابيين على تحوُّلهم مِن طور الدفاع إلى طور الهجوم، وصدرت الأوامر لهم في الانقضاض على أماكن القبائل المُنضمَّة إليه حتى يفرقوهم ليعودوا إلى أراضيهم. حسين بن غنام، **تاريخ نجد**، ص ١٧٦؛ عثمان بن بشر، **عنوان المجد**، ١/ ١٧٤؛ مؤلف مجهول، **لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب**، تحقيق: أحمد مصطفى أبو حاكمة، مطابع بيبلوس الحديثة، بيروت، ١٩٦٧م، ص ٩٧-٩٨.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: خائبًا.

عبدالعزيز إلى السِّرّ ومعه السادة الأشراف بلا مرا[1]، فأقام به وتَوَجَّه السادة الأشراف قاصدين أم القرى.

[غزية الشريف غالب على قرية الشعراء]

ولمَّا طالت غيبة السيد عبد العزيز على أخيه صاحب الترجمة، زاده اللَّه تعالى أفضالاً وإنعام[2]، ومضى له غايبا[3] في هذا الشرق نصف عام، وذو الهمة العليَّة الصايب[4] في حدسه لا يرضى مباشرة أموره إلا بنفسه، وما طالت رقاب الأُسْدِ إلا بأنفسها تقضي ما عناها؛ فشَمَّر عن ساعد الجد، وطلب المَدَد مِن اللَّه تعالى فهو المُمِد، وركب بنفسه في جنود وافرة كأُسُود نافِرَة، واستعد للقتال أُسُودًا وأبطال[5]، وصحب كثيرًا مِن المَهَمَّات والعدد، وآلات الحرب التي عليها المعتمد، ومعه مِن جميع بدود بني عمّه السادة الحيادرة، الممتطين هامات المُلوك الأكاسرة، وصَبَّ جملة مِن أرباب الصنايع[6] قنبرة وستة مدافع، بعُرضي جرار يجري كالفلك السَّيَار، وأبقى بدار ملكه أمينًا نعم ذاك الأمين، القابض راية المجد بالشمال واليمين، الهُمَام الأمجد وحايز الفضايل[7] التي لا تجحد.

إِنْ عُـدّ حَـاتِـم فِـي نَـحْـر الـعـشَـار فَـمَـا
يـحـكـي نـوال هُـمَـام جَـاد بِـالْـمَـال

فَـلَـو وَزَنَّـا ذوِي الأَفْـضَـال قَـاطِـبَـة
لَـزَاد فِـي فَـضْـلـه عَـنْـهـم بِـمِـثْـقَـال

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: مراء.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: وإنعامًا.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: غائبًا.
(٤) كذا في الأصل، والصواب: الصائب.
(٥) كذا في الأصل، والصواب: أبطالًا.
(٦) كذا في الأصل، والصواب: الصنائع.
(٧) كذا في الأصل، والصواب: حائز الفضائل.

حاكمه القايد[1] أحمد بن مثقال، زاده اللَّه تعالى فضلًا وإجلال[2]، فسار في الناس سيرة حسنة، ورَضيت مِنْه الرعيَّة في سلوك طريقته المستحسنة، فحفظ الأمانة لِمَن أبقاه، وأطنبت في سيرته جميع رعاياه.

فتَوَجَّه صاحب الترجمة مِن مكة في ليلة الثالث والعشرين مِن شهر شعبان سنة ١٢٠٥ [3] وأصبح الزَّيْمَا وأقام بها ثلاثة أيام، ثم ارتحل إلى السيل وبالمبعوث ضربت له الخيام، /ق١٨٢/ فعرضت عليه القبايل[4] مُتوشحين ببيض الهند وسمر الذوابل، فعدّها ورتب لها المقررات والمعاليم وأخرج الدراهم، ووجب التسليم وتَوَجَّه في غُرَّة شهر الصيام، والسعد له إمام، ولم يزل ذلك الهُمَام الماجد يطوي بجنوده الفيافي، حتى أناخ بالقرية المُسَمَّاة بالشعرا[5]، فطابت له المقامة، وطنبت بها خيامه، وهي قرية مُحَصَّنَة، وأهلها أهل فُجور ومَلعنة، فأحاط بجوانبها الأربع، وعاملها بالقنبرة والمدفع، والحرب يزداد كُلّ يوم تشديد[6]، وما زالت جمرته في توقيد، فطالت المدة ولم يستول عليها، والنفس شيقت إليها، ولو ساعد القضاء والقدر لنفذ سهم اللَّه تعالى فيها وأعانه عليها كي يليها.

فشرع في حفيرة تحت الأرض ليتصل مِنْها إلى السور، ويلغم تحتهم البارود ويحرقهم حين يثور، فلم يَتَمَكَّن مِن هذه الفعلة لكون الأرض رملة،

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: القائد.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: إجلالًا.
(٣) ٢٣ شعبان ١٢٠٥هـ/ ٢٦ إبريل ١٧٩١م.
(٤) كذا في الأصل، والصواب: القبائل.
(٥) **الشَّعْرَاءُ**: بلدة معروفة واقعة في عالية نجد الوسطى، وهي تابعة للأرض التي تسمى أرض الشريف. انظر: محمد بن بليهد، **ما تقارب سماعه**، ص ٨٤. وقد أشارت بعض المراجع الحديثة إلى أنَّ الحصار مِن قبل الشريف غالب كان على الشقراء، ولكن المصادر المعاصرة للأحداث أثبتت أنَّ الحصار كان على الشعراء في عالية نجد. أمين سعيد، **تاريخ الدولة السعودية**، دار الكاتب العربي، بيروت، ط١، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٤م، ص ٦٧؛ حسين بن غنام، **تاريخ نجد**، ص ١٧٧.
(٦) كذا في الأصل، والصواب: تشديدًا.

فترك اللغم وصنع زحفات مِن الخشب، مُصَفَّحَة بالحديد، ليقفون[1] الرماة خلفها ويجرها العجل أينما يريد، فإذا ألصقت بسور البلد تم لهم المقصد؛ فلمَّا رآها أهل الشعرا[2] جزموا بالهلاك وأيقنوا أنَّ لا منجاة مِنْها ولو جاوزوا الأفلاك، فلجوا مِن كُلّ مكان، وأعلنوا بطلب الأمان؛ فانْهَمَّ وسمح، ومال إلى العفو عنهم وجنح.

وكان السبب الداعي لذلك ضيق الزمان، وخوف فوت وقت الحج الذي آنَ، وعلم أنَّه إنْ تَوَجَّه إلى الدرعيَّة لقتال ابن سعود، فاته الحج والوقوف باليوم المعهود، وفاته ملاقاة أمرا[3] الحجوج المصريَّة والشاميَّة، وتفوته الفرامين وما فيها مِن أغراضٍ وخطاباتٍ للدولة العليَّة، فاختار الأفول إلى مكة بِمَن لديه مِن الجنود، وقد صَمَّم أنَّه بعد ذلك سيعود، ولسان حاله يقول في مجاله:

وَلاَ بُــدّ إِنْ طَـالَ الـزَّمَـان أَزُورُكـم
وَأَقْضِـي الَّـذِي قَـد فَـاتَـنِي أوّل الأَمْـر
أُجـيـش جـيـوشـي مُـسْـرِعًـا نَـحْـو أَرْضـكـم
وَأَشْـفِـي غَـلِـيْـل الـقَـلْـب بِـالْـبِـيض والـسُّـمـر

فوصل إلى مكة في واحد وعشرين القعدة سنة ١٢٠٥ [4]، بعزّ مجده وإيابه، وقابل أمراء الحجوج، ولبس الخلع السلطانيَّة على عادة آبائه.

/ ق١٨٣/

ثم اعلم أنَّه قد تَقَدَّم لك آنفًا أنَّ السيد عبدالعزيز بن مساعد، لا زال بالزمان مُسَاعد[5]، مُقِيمًا بالسّر بِمَن معه مِن الجنود والعُربان، حتى

(١) كذا في الأصل، والصواب: ليقفوا.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: الشعراء.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: أمراء.
(٤) ٢١ ذو القعدة ١٢٠٥هـ/ ٢١ يوليو ١٧٩١م.
(٥) كذا في الأصل، والصواب: مُسَاعدًا.

أقْبَل على الشعرا[1] صاحب الترجمة لا زال قدره مُصَان[2]، فتَوَجَّهت السادة الأشراف سلالة آل عبد مناف، وتركوا السيد عبد العزيز قاصدين مكة المحميَّة، والتقوا بصاحب الترجمة في موضع يقال له: الوُرَيْكِيَّة[3]، فبخششهم وأكرمهم وعادوا معه، وأرسل لأخيه يلفي عليهم هو والجند الذي جمعه، فحضر مع أخيه واقعة الشعرا[4]، وعاد معه إلى أم القرى.

[هذه غزية بيشة أميرها السيد عبد العزيز بن مساعد][5]

وفي شهر ربيع الثاني سنة ١٢٠٦[6]، اقتضى نظره العالي لا زال عقد الجِيد الليالي، أنَّه يجهز ركبة مِن جِياد الخيل، ليذيق أعداءه كاس[7] الويل، ومعهم الجَمّ الغفير المُتكاثر مِن المراجل والعساكر، وأمَّر عليهم السيد عبد العزيز بن الشريف مساعد، وتَوَجَّه في أمان اللَّه تعالى مساعد، وتَوَجَّه صاحب الترجمة للخبت متنزهًا بالصيد والقنص واغتنام أيام الفرص، فأقام بها أيام[8] ثم عاد إلى جدة ثم إلى البيت الحرام.

وأمَّا أخوه السيد عبد العزيز المذكور، فإنَّه أصبح بالجنود إلى الزَّيْمَا في سرورٍ وحبور، ثم وشى بينهم الواشي، ومشى بينه وبين أخيه الماشي، وسعت أصحاب النَّمِيمَة بالخصلة الذَّمِيمَة، فكثرت الرمايا وزادت الإذاية، ثم تَوَجَّه إلى تُربَة بتلك الجنود المُنتخبة، فعرضت عليه جميع القبائل السابقة، إلا مطير[9] كانوا نازحين فأتته لاحقة.

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: الشعراء.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: مُصَانًا.

(٣) الوُرَيْكِيَّة: هضيبة صغيرة، تقع في أعلى وادي المياه شمال شرقي بلدة عفيف، في بلاد الروقة مِن عُتَيْبَة. سعد بن جُنَيدل، **المعجم الجغرافي: عالية نجد**، ص ١٣٠٤.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: الشعراء.

(٥) كتب على هامش الأصل، ورقة ١٨٤؛ والنسخة (ب)، ورقة ١٤٠.

(٦) شهر ربيع الآخر ١٢٠٦هـ/ ٢٧ نوفمبر - ٢٥ ديسمبر ١٧٩١م.

(٧) كذا في الأصل، والصواب: كأس.

(٨) كذا في الأصل، والصواب: أيامًا.

(٩) كذا في الأصل، والصواب: مطيرًا.

ثم إنَّ صاحب الترجمة أرسل خزانة مع ابن تُركي، وطلب جميع المراجل، فعاد غالبهم بين راكب وراجل، إلا السيد عبد العزيز وبعض بني عمّه السادة الأشراف، فإنَّهم امتنعوا عن العَود إلى هذه الأطراف، فتَوَجَّه بِمَن بقي مِن الأشراف والقبايل[1]، ولم يسمع قَول قَائل، وتَوَجَّه إلى الشرق ومعه الكُلَبَة، والمُوْرِكِة، وسُبَيْع الحضر، ثم أناخ بِرَنْيَة في وقت السحر، ولفت عليه جميع قبائل اليمن، ومشوا تحت رايته على أحسن سنن، فأرسل له صاحب الترجمة كتابًا يستلحقه، ومعه بعض مِن المال على مَن معه ينفقه، / ق١٨٤/ فصرف المال على مَن معه مِن العُربان ليكون لهم فيه معيشة، وتَوَجَّه بِمَن لديه إلى بيشة، فلفت عليه قبائلها وقال بقوله قائلها، ولفت عليه أَكْلُب، والرّمْثَيون[2]، وشَهْرَان، وغيرهم مِن العُربان، فأقام مُدَّة ثم عاد إلى وطنه ومَقَرّ أنسه وسكنه.

[هذه غزية عُقَيلان أميرها عثمان المضايفي][3]

وفي سادس عشري الحجة سنة ١٢٠٨[4]، أرسل صاحب الترجمة لا زال قايما[5] بالحجة غزية جمع فيها كثيرًا مِن الأعراب، ومِن البُقُوم وعُتَيْبَة كأمثال التراب، وأمَّر على هذه الغزية عثمان بن عبد الرحمن المضايفي، ظَنًّا أنَّه يقوم بالمقصود ويفي، فَصَبَّح جماعة ابن قيحان[6] بموضع يقال له:

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: القبائل.

(٢) **الرِّمْثَيون**: من قبيلة شَهْرَانَ، ومنهم: بنو عمر، وبنو سهم، والشَّارية، وبنو نِشْعَة، والسُّرَعَاء، والبودانة. وبلادهم في أسفل وادي بيشة. حمد الجاسر، **معجم قبائل المملكة**، ص ٣٨٣.

(٣) كتب على هامش الأصل، ورقة ١٨٥؛ والنسخة (ب)، ورقة ١٤٢.

(٤) ٢٦ ذو الحجة ١٢٠٨هـ/ ٢٤ يوليو ١٧٩٤م. وقد ذكر ابن غنام وابن بشر أنَّ هذه الغزية كانت في عام ١٢١٢هـ/ ١٢٩٧م. حسين بن غنام، **تاريخ نجد**، ص ١٩٨-١٩٩؛ عثمان بن بشر، **عنوان المجد**، ١/ ٢٣٨.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: قائمًا.

(٦) **ابن قيحان**: مسفر بن قيحان رئيس آل روق مِن قبيلة قحطان، وكان من الذين انضموا إلى الدعوة الوهابية، وأعلن ولائه لها، وكان يقيم هو وقومه في جنوب وادي بيشه في منطقة عُقَيلان. حسين بن غنام، **تاريخ نجد**، ص ١٩٨-١٩٩.

عُقَيلان(١)، وصارت بينهم ملحمة عظيمة، وحصل على الشقي هضيمة وأيّ هضيمة، وأخذ عثمان جميع أباعر بني قيحان، عندما طلع الفجر وحان، ثم صال ابن قيحان على عثمان وحاز شأنًا بعد ما شان، فعاد عثمان إلى الخُرْمَة على منع، ومعه تلك الأباعر التي جمع، فأقام بها أيامًا كثيرة، وهو يرعى مواشيه في هذه الديرة، ثم تَوَجَّه بعد ذلك إلى ساحة مرسله بعد بلوغ مأمله.

[هذه غزية شَعْبًا أميرها الشريف عبد المعين](٢)

ولمَّا طال زمن الجهاد واستمر الفتك والجلاد، جهَّز ركبة مِن سلالة الأمجاد بالرُّدَيْنِيَّات والخيول الجياد، وافرة العساكر والجنود إنْ قدمت على الأُسُود تسود، كثيرة الاستعداد، متتابعة الإمداد، وأمَّر عليها أخاه الشريف عبد المعين، وحلَّى جِيده بعقد الفخر الثمين، فتَوَجَّه في شهر ربيع الآخر سنة ١٢٠٩(٣) مِن الطايف(٤) بِمَن لديه مِن العساكر والخيول المضمرات والسيوف البواتر، فأقبلت عليه في بُرَيْم(٥) القبايل(٦) كالهضاب والجنادل، فأوَّل مَن وفد عليه كافة عُتَيْبَة بين شاب وشيبة، ثم أقبلت عليه سُبَيْع كسحاب مركوم، ثم عرضت عليه جميع البُقُوم؛ فتَوَجَّه بتلك الجنود ورماح النصر تخفق براياته، وصَحِيح السِّيَر ناطقة برواياته، وقصد موضعًا يقال له: رُغْوَة(٧)، فيه هَادِي ابن قَرْمَلَة(٨) راجيًا أنْ يبلغ مِن هذا العدو مأمله، فلمَّا التمسه وجده قد أُنْذِرَ وَفَرَّ

---

(١) **عُقَيلان**: قرية تقع في أسفل وادي بيشة. حمد الجاسر، **المعجم الجغرافي**، ص ٩٩٣.

(٢) كتب على هامش الأصل، ورقة ١٨٥؛ والنسخة (ب)، ورقة ١٤٢.

(٣) شهر ربيع الآخر ١٢٠٩هـ/ ٢٥ أكتوبر - ٢٢ نوفمبر ١٧٩٤م.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.

(٥) **بُرَيْمُ**: قرية لبني بِجاد مِن شهران، في منطقة بيشة. حمد الجاسر، **المعجم الجغرافي**، ص ٩٩٣.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: القبائل.

(٧) **رُغْوَة**: تقع في جنوب هضبة الدوسر، في بلاد سبيع شرق رَنْيَة. سعد بن جنيدل، **عالية نجد**، ص ٦١٢؛ حمد الجاسر، **المعجم الجغرافي**، ص ٦٤٠.

(٨) **هَادِي ابن قَرْمَلَة**: عرف بابن قَرْمَلَة نسبة إلى أمه التي قامت بتربيته بعد وفاة والده. أصله مِن قبيلة الدواسر، وحينما سمع بالدعوة الوهابيَّة قدم إلى الدرعيَّة، وبايع الإمام =

عن تلك البطاح، وخلى مِنْه المنزل والمراح.

فقصد رَنْيَة بِمَن معه مِن العُربان، ولم يُوَهَّب فيها غير / ق١٨٥/ ابن قُطْنَان(١)، فحصره في قصره أربعة أيام، ولمَّا طال الحصار واشتدّ، ونصره اللَّه تعالى عليه قبضه باليد، ثم أرسله لصاحب الترجمة ويده بالشر ترجمه، فلمَّا وصل إليه ومثل بين يديه طلب مِنْه العفو والسماح، وأنَّه يدمل ما فتحه مِن جراح، فسمح عمَّا جناه مِن الإجرام، وعفا عنه والعفو مِن شيم الكرام، وعاهده متى أطلقه يكون عبدًا له مِن جملة خدمه الموفين بعهوده وذِمَمِه، فأطلقه وأنعم عليه على أنَّه يرجع عن دينه، وتَوَجَّه والغدر يلمع في جبينه، ولمَّا وصل إلى بلده واجتمع بأهله وولده، صعد حصنه واستعد، وشرع يُقاتل أهل البلد، فعلموا أنَّهم إنْ قاتلوه قد يطول بينهم القتال ولا يظفرون مِنْه بمنال، فخدعوه ودَسُّوا له دسيسة عليه(٢)، وأظهروا له أنَّهم وَافَقُوه على دينه، وارتكنوا إليه فَصَدّقهم لغباوته، ولموته على شقاوته، فطلعوا عنده بعد ذلك

= عبد العزيز بن سعود، وقد تعيَّن لذلك على قبائل قحطان في وادي الدواسر، وقد أدي دورًا مهمًّا للدعوة الوهابية؛ حيث قام بإخضاع كثير من القبائل المحيطة بالحجاز، وشارك في قتال القوات العثمانية التي أرسلها محمد علي باشا لاسترداد الحجاز، وقُتِل في موقعة وادي الصفراء عام ١٢٢٦هـ/ ١٨١٢م، والتي انتهت بانتصار القوات العثمانية وتقدمها إلى المدينة المنوَّرة واستيلائهم عليها، وطرد أتباع الوهابيين. حسين بن غنام، **تاريخ نجد**، ص ١٦٦؛ عثمان بن بشر، **عنوان المجد**، ١/ ١٦٠.

(١) **ابن قُطْنَان**: سعد بن قُطْنَان ، وكان من الذين انضموا إلى الدعوة الوهابية، وأعلن ولائه لها، وبني قصرًا محكمًا في رَنْيَة، ومضي ينشر الدعوة بين قومه، ثم نجح الشريف غالب في القبض عليه، ثم أطلق سراحه، بعد أنْ تعهد له بالتخلي عن الوهابيين، ولكنَّه لم يفِ بعهده؛ ولذلك دبرت له مؤامرة، فقتل عام ١٢٠٩هـ/ ١٧٩٤م. حسين بن غنام، **تاريخ نجد**، ص ١٨٧-١٨٨.

(٢) تمثَّلت هذه المؤامرة في قيام الشريف عبد المعين بإرسال اثني عشر رجلًا إلى سعد بن قُطْنَان، مُتظاهرين باعتناقهم الدعوة الوهابيَّة، ولمَّا حانَ وقت الصلاة خرج هؤلاء إلى أسوار الحصن، وأسدلوا الحبال لأتباعهم الذينَ فِي الخارج، فتسلقوها وقاموا بقتل ابن قُطْنَان، وقبضوا على أكبر أبنائه وأرسلوه إلى الشريف غالب في مكة؛ فسجنه، بينما ارتحل بقية أبنائه إلى الدرعيَّة، فأكرمهم الإمام عبد العزيز. حسين بن غنام، **تاريخ نجد**، ص ١٨٨؛ فيلكس مانجان، **الدولة السعودية**، ص ٢٩٠.

الحصر في القصر، وقتلوه هو وجميع مَن معه غدر.

ثم إنَّ الشريف عبد المعين تَوَجَّه إلى بُرَيْم جنح ليل، وقصد شَعْبًا وغزا على موضع يقال له: سياج خيل، وهو منزل ذو خير ومير، ينزلونه[١] هُتمان ومُطَيْر، فأمَّا مُطَيْر فقد جاهم[٢] نذير فما كذبوه وارتحلوا، وغرب نجمهم عن سياج الخيل وأفلوا، وصك الهُتمان صكَّة عجيبة، وحَلَّت بهم كُلّ بلية ومُصِيبة، وقَتَل مِنْهم كثير[٣]، وأَخَذَ مِنْهم الجَمّ الغفير بين شاة وبعير، ثم عاد إلى حمى البيت المحرم في الثامن عشر مِن شهر رجب[٤] الأصم، فأقام بمكة يجتني زهور الإكرام، ويرتع في حمى البيت الحرام.

[هذه غزية عروا والثماميَّة أميرها السيد ناصر بن سليمان][٥]

ثم أرسل صاحب الترجمة في شهر صفر سنة ١٢١٠ [٦] غزية مِن جنوده، والسعد يخفق براياته وبنوده، وأمَّر عليها السيد ناصر بن سليمان[٧]، فلمَّا تَوَجَّه ووصل إلى بُرَيْم اجتمعت عليه العُربان كأنواء المغيم، ثم ورد مُوَيْه[٨]

(١) كذا في الأصل، والصواب: ينزله.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: جاءهم.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: كثيرًا.
(٤) ١٨ رجب ١٢٠٩هـ/ ٧ فبراير ١٧٩٥م.
(٥) كتب على هامش الأصل، ورقة ١٨٦؛ والنسخة (ب)، ورقة ١٤٣.
(٦) شهر صفر ١٢١٠هـ/ ١٦ أغسطس - ١٣ سبتمبر ١٧٩٥م.
(٧) **ناصر بن سليمان**: ناصر بن سليمان بن يحيى بن سعد بن زيد النموي الحسني. أحد القادة العسكريين في عهد الشريف غالب، وقد تولّى عدة حملات ضد الوهابيين. ففي عام ١٢١٠هـ/ ١٧٩٥م، قاد حملتين إلى عالية نجد، وانتصر عليهم وعاد بالغنائم، وفي عام ١٢١٧هـ/ ١٨٠٢م قاد حملة على الوهابيين في مدينة حلي، وفي عام ١٢١٩هـ/ ١٨٠٤م قاد حملة لحصارهم في مدينة الطائف، ثم اضطر إلى الانسحاب إلى مكة، على أثر وصول جحافل الوهابيين، لمساعدة إخوانهم في الطائف. أحمد زيني دحلان، **خلاصة الكلام**، ص ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٩، أحمد ضياء العنقاوي، **موسوعة أعلام الأشراف**، ٣/ ٢٢٤-٢٢٥.
(٨) **مُوَيْه**: ماء يقع في حرَّة كُشُب، شمالي الطائف، كان يمر به طريق حجاج نجد القديم. سعد بن جنيدل، **عالية نجد**، ص ١٢٤٤..

بالعُربان الذي لديه، ثم انتقل وورد الخُضَارة[١] وعجعج نقعه وأثاره، ثم ورد على الثُّعْل[٢] وأوقد شهاب عزمه واشتعل، ثم ورد عَفِيف وأقام بمحفل رُبَاهَا الوريف، ثم انتقل إلى الجَمَّانيَّة[٣] بالمواضي مِن / ق١٨٦/ البيض المشرقيَّة، ثم ورد بالجند الذي معه على جَفَنَا[٤]، ثم على دَلْعَةُ[٥]، ثم ورد الشبكة[٦] المسمية، وعدا مِنْها على آل روَق بالثُّمَامِيَّة[٧]، وأخذ عليهم ماتي[٨] قطيع مِن الإبل وقتلهم قتلة شنيعة، وعاد بالغنايم[٩] يغني حاديه عليها، وسراة خيله تمشي بالأسِنَّة حواليها، حتى وصل إلى الطايف[١٠] واجتمع بصاحب الترجمة، فأنعم عليه وشَكَر صُنْعه وأكْرَمه.

---

(١) **الخُضَارَةُ**: قرية في عالية نجد، غربي عفيف بحوالي ٧٠ كيلًا، يسكنها المراشدة مِن الرُّوَقَة. سعد جُنيدل، **عالية نجد**، ص ٤٥٧؛ حمد الجاسر، **المعجم الجغرافي**، ص ٥٢٩.

(٢) **الثُّعْلُ**: ماء قديم، يقع أعلا الجرير، غربي بلدة عَفِيف بحوالي ٥٥ كيلًا، في وادي الثُّعْل، ويسكنه الحُفَاة. سعد جُنيدل، **عالية نجد**، ص ٢٦٤-٢٦٥؛ حمد الجاسر، **المعجم الجغرافي**، ص ٣٣٤.

(٣) **الجَمَّانِيَّةُ**: قرية تبعد في جبل النِّير، في منطقة عَفِيف، يسكنها الغِضْيان مِن الرُّوَقَة. سعد جُنيدل، **عالية نجد**، ص ٣٢٦؛ حمد الجاسر، **المعجم الجغرافي**، ص ٣٨١.

(٤) **جَفَنَا**: هجره تقع في جبل النِّير داخلة في الجبل، على الطريق بين البجادية وعَفِيف، يسكنها الغِضْيان مِن الرُّوقَة. سعد جُنيدل، **عالية نجد**، ص ٣١٦؛ حمد الجاسر، **المعجم الجغرافي**، ص ٣٧٥.

(٥) **دَلْعَةُ**: ماء يقع جنوب شرقي جبل ثهلان، ويسكنه ذوو خُيُوط مِن الدَّعَاجين. سعد بن جُنيدل، **عالية نجد**، ص ٥٢٦-٥٢٨؛ حمد الجاسر، **المعجم الجغرافي**، ص ٣٣٤.

(٦) **الشَّبَكَة**: ماء يقع جنوب شرقي جبل ثهلان، جنوب بلدة الشعراء، ويسكنه العُصة مِن عُتَيْبَة. سعد بن جُنيدل، **عالية نجد**، ص ٧٢٩-٧٣٠؛ حمد الجاسر، **المعجم الجغرافي**، ص ٧٦٦.

(٧) **الثُّمَامِيَّة**: ماء مِن موارد المراشدة مِن الرُّوَقَة، تبعد عن عَفِيف بحوالي ٢٥ كيلًا. سعد جُنيدل، **عالية نجد**، ص ٢٦٦-٢٦٧؛ حمد الجاسر، **المعجم الجغرافي**، ص ٣٣٤.

(٨) كذا في الأصل، والصواب: مائتي.

(٩) كذا في الأصل، والصواب: الغنائم.

(١٠) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.

[هذه غزية مَاسَل أميرها السيد فهيد][1]

وفي الثالث مِن ربيع سنة ١٢١٠ اعلم أنَّ صاحب الترجمة زاده اللَّه تعالى هداية وتوفيق[2]، وأرشده إلى سواء الطريق، جَهَزَّ ركبة متمَّمة مِن وجوه قومه، تقعد العدو من نومه، وافرة الأهبة سلالة مِن الأماجد نخبة لا يفزعهم وقع الحسام يوم الصدام، ويرون نقع سنابك الخيل شفاء الآرام لدى مناهل الحمام.

هم البيض إنْ غاروا اليوم كريهة
وَإِنْ أَقْبَلوا مِثْل الأُسُود الضَّوَارِيَا
يَرَون حياض المَوْت أَعْذب منهلٍ
وَيسقون سُمًّا نَاقعًا للأَعَادِيَا

أَمَّرَ على هذه الغزية مولانا السيد فهيد، فسمته الأعراب فُويد، فتَوَجَّه مِن حمى الحرم ذو الهمة والشيم، وأصبح الزَّيْمَا فأقام إلى عتمة الليل وَجَدّ مسراه فأصبح السيل، وتَوَجَّه مِن يومه ولم يلبث بموضع ولا يلوث حتى أناخ بالمبعوث، وتَوَجَّه بجنود تجلي النوايب[3] والضيم وأناخ مطاياه على بُرَيْم، ثم تَوَجَّه بهؤلاء السراة الحماة، الذين شرعوا على العدو القناة، وأصبح بهم على موضع يقال له: الحِنْوُ، وتعرفوا بالقبائل وتفطنوا، فعرضت عليهم كافة عُتَيْبَة وأناخوا بحلاهم صوبه، وعرضت عليه البُقُوم بالمضمرات مِن دهمة وخضرا تجول بين يديه وشيخهم دياب الصفرا، فتَوَجَّه بهم ذو الهِمَّة العليَّة وأرخى أعنّة خيله على القُنْصلِيَّة[4]، ثم أناخ دون رَنْيَة وخَيَّم بواديها، فعرضت عليه بَوَادِيْهَا ومِمَّن عرض عليه بنو هَاجِر علي ريِّس شُبْنَان، وهو

---

(١) كتب على هامش الأصل، ورقة ١٨٧؛ والنسخة (ب)، ورقة ١٤٤.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: توفيقًا.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: النوائب.

(٤) **القُنْصلِيَّة**: ماء يقع في أسفل وادي الخُرمَة، شمال شرقي بلدة الخُرمَة، ويسكنه قبيلة سبيع. سعد بن جُنَيدل، **المعجم الجغرافي: عالية نجد**، ص ١٠٨٨.

يومئذ ثابت القلب والجنان، ولم يستول على قلبه الران بمُتابعة أحزاب الشيطان / ق١٨٧/ .

فأقام بها السيد فهيد لمَا يَسْنح له مِن صيد، فوقع بثلاث عيون أرسلهم هَادِي ابن قَرْمَلَةَ جواسيس ليخبرونه بِمَا شاهدونه[1] فيقيس، فعمد إلى اثنين وقطع روسهم[2] ورماها لكلاب البر وذيابه[3]، فأخبره الثالث بموضع القوم مخافة أنْ يوقع به كما وقع بأصحابه، فعند ذلك تَوَجَّه السيد فهيد ظهر يومه ولم يهنه المَقَرّ، وأجَدّ السير مخافة أنْ يبلغهم الخبر، فوقع بهادي ابن قَرْمَلَة على مَاسَل[4] ضحى اليوم الثاني، وفعل بهم ما يفعل في الشواني، فادار عليهم الرحا وأخذهم أخذة الضحى، وقتل مِنْهم ما يقارب المائة، وانهزم مَن بقي مِن تلك الفئة، وبات السيد فهيد بتلك الجنود على مَاسَل محتمين بِرُدَيْنِيَّات الأَسَل[5]، وتَوَجَّه صبيحة اليوم الثاني على رغم الشواني، وأخذ بهم على طريق الفَرْشَة[6] فاتفق أنَّهم صادفوا جماعة مِن قحطان تحت إمارة ابن قيحان، ومعهم مِن الإبل جهام تسير كالغَمَام، فأخذوا جميع تلك الأباعر، وقتلوا جميع مَن كان معها إلا مَن كان على الفرار قادر[7]، ومِن عجايب[8] الاتفاق والصدف التي تحصل مِن غير مشاق؛ أنَّهم صادفوا بني شذي مِن شيوخ قحطان، غازيًا بعض العربان، فقتلوا مِن جماعته نحو خمسة وأربعين

(١) كذا في الأصل، والصواب: ليخبروه بما شاهدوه.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: رءوسهم.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: ذئابه.

(٤) مَاسَل: ماء يقع في عالية نَجْد جنوب شرقي هضبة الدواسر. سعد جُنيدل، **عالية نجد**، ص ١١٣٥.

(٥) **الأَسَلُ**: الرماح. **المعجم الوسيط**، ص ١٨.

(٦) **الفَرْشَة**: ماء يقع في أسفل وادي بيشة. حمد الجاسر، **المعجم الجغرافي**، ص ١٠٨٢.

(٧) كذا في الأصل، والصواب: قادرًا.

(٨) كذا في الأصل، والصواب: عجائب.

قتل[١]، وأخذوا بني شذي أخذًا وبيل[٢]، واقتلع مِن خيلهم خمس قلايع[٣] مِن المضمرات الطلايع[٤]، وأخذ عشرين ذلولًا مِن جِيد الركاب، وأجاد فيما فعل وأصاب، وربط سبعة بالعدو وأحصاهم، وأوصلهم إلى رَنْيَة وأمر بقطع خصاهم[٥].

ثم إنَّ السيد فهيد بات ليلته على الفَرْشَة، وأخذ مِن غنايم[٦] العُربان خمسها، بعد أنْ أسكن الأعادي رمسها، ثم تَوَجَّه وأصبح تُربَة، وطوى شقة البين وقربه، ثم أصبح بالخُرْمَة، ثم بُرَيْم، ثم على المبعوث ووصل الطايف[٧] صبيحة يوم الثلوث[٨]، فوجد به صاحب الترجمة لا زالت السعودات له خادمة، واجتمع بابن عمّه يرتع في أهنى الرياض، ويمرح في ذيل مِن العِزّ فضفاض، على ما صنع بعد ما وقف على خبره / ق١٨٨/ واطلع، وأكرمه غاية الإكرام، وهذا شيم الكرام.

[هذه غزية بُرَيْم أميرها الشريف عبد المعين][٩]

وفي حادي عشر شوال سنة ١٢١٠ [١٠] لوي عنان عزمه ثانيًا، وجَهَّزَ أخاه إلى الشرق ثانيًا، وجهز معه مِن الجنود والجرود والكُمَاة الأُسُود.

رِجَالاً لاَ يَهَابُون المَنَايَا
وَلاَ يَخْشَون فِي يَوْم النِّزَالِي

(١) كذا في الأصل، والصواب: قتيلًا.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: وبيلًا.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: قلائع.
(٤) كذا في الأصل، والصواب: الطلائع.
(٥) كذا في الأصل، والصواب: خصيانهم.
(٦) كذا في الأصل، والصواب: غنائم.
(٧) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.
(٨) أي الثلاثاء.
(٩) كتب على هامش الأصل، ورقة ١٨٩؛ والنسخة (ب)، ورقة ١٤٥.
(١٠) ١١ شوَّال ١٢١٠هـ/ ١٨إبريل ١٧٩٦م.

بِـهُـمَّـةٍ هَـاشِـمـي مِـن قُـرَيْـش
لَـهُـم وقـع الـمُـهـنـد وَالْـعَـوالِـي

قطع تلك المهامه والهضاب، بِمَن لديه مِن [أُسُود][1] الغاب، في فيلق مِن حديد لو ضرب به صرف الزمان لمَا دارت دوايره[2]، فأناخ على بُرَيْم وصادف أنواء الغَيم، وأقام بها بعض أيام كأنَّها أضغاث أحلام، ولفت عليه قبايل[3] العرب رغبة وطرب[4]، ولم تزل تتكاثر عليه القبايل[5]، ليرد بهم حياض المنايا صافية المناهل، حتى تكاملت العُربان التي كانت بالعام معه، وجمع القدر الذي جمعه، وزاد عليه مِن العُربان الكُرْزَان، وصفا له الوقت وآنَ، فأقام على بُرَيْم إلى نصف القعدة[6] وهو في قوّة وشدّة، وفي كُلّ يوم يرسل الجواسيس ليرجم بشهاب عزمه عصابة إبليس، فطافوا المشرق أطرافًا وأكناف[7]، وما وجدوا واحدًا مِن تلك الأجلاف، لأنَّهم ترفعوا إلى أقصى نجد مخافة الهجد[8].

ولمَّا طالت في الشرق إقامته، واشتاقت إليه تهامته، أرسل وأخبر صاحب الترجمة لا زال سامي الذّرى، ولوي أعناق المطي تجاه أم القرى، فلمَّا بلغه قدومه وتزاهرت في أُفق المعالي نجومه، ركب صاحب الترجمة إلى الأُخَيضر بنفسه، والتقى بأخيه يوم السبت قبل غروب شمسه، وأقام

(١) وردت في الأصل (أصول)، والتصويب من النسخة (ب)، ورقة ١٤٥.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: دوائره.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: قبائل.
(٤) كذا في الأصل، والصواب: وطربًا.
(٥) كذا في الأصل، والصواب: القبائل.
(٦) ١٥ ذو القعدة ١٢١٠هـ/ ٢١ مايو ١٧٩٦م.
(٧) كذا في الأصل، والصواب: أكنافًا.
(٨) **الهجد**: مِن الهَجَاد، وهو لفظ متداول في وسط وشمال شبه الجزيرة العربية في العصر الحديث، والهجاد نوع مِن القتال يبدأ بعد غروب الشمس ويستمر حتى مطلع الفجر، وهو مِن أشدّ أنواع القتال خطرًا؛ لأنَّه كثيرًا ما يختلط فيه الحابل بالنابل، فلا يميز بين العدو والصديق. مصطفى الخطيب، **معجم المصطلحات**، ص ٤٣١-٤٣٢.

مع أخيه في الأُخَيضر نحو خمسة أيام، ثم تَوَجَّها معًا لحمى البيت الحرام، وأبقى رتبة تخافض تُربَة، وتقضي مِن العدو إربه، وأمَّرَ عليها السيد سعد بن عرمطة[1] وما اختلّ عن شرطه، ووصل صاحب الترجمة مع أخيه في رابع الحجة الحرام[2] بجزيل الفضل والإنعام سنة ١٢١٠.

[هذه غزية الجَمَّانِيَّة أميرها السيد ناصر بن سليمان][3]

وفي اليوم الرابع والعشرين مِن ذي الحجة[4]، أرسل صاحب الترجمة دام سعوده وسطا مهنده وعوده، غزية مِن العساكر والأجناد، يردون حياض المنايا بالخيول الجياد، وكان الداعي لإرسال هذه الغزية وإظهار المزيَّة، تثبيت العُربان لترعى مواشيها وتأمن رايِّس الفتنة ومنشيها[5]، فأمَّر على هذه /ق١٨٩/ السيد ناصر بن سليمان لا زال قدره مُصَان[6]، فتَوَجَّه بالجنود إلى الجهة الشرقيَّة، وبأيدي سراته مُثقفات رُدَيْنِيَّة، فاجتمع عليه البوادي وأقبلت مِن كُلِّ وادي، وأقام يرعي بمران ويحمي العُربان بالْمُرَّان، ثم انتقل بالعُربان يرعى بِمُوَيْه وهم نازلون لديه، فأقام العُربان أيامًا يرتعون في عُشب فلاها، ويعضدون شجرها ويختلون خلاها، وهو مُقِيم بأبي طريف[7] وَوَادِ المِيَاه[8]،

(١) **سعد بن عرمطة**: سعد بن سعيد بن عرمطة بن إبراهيم بن شاكر البركاتي التموي. أحد القادة العسكريين في عهد الشريف غالب، وخرج في قيادة بعض الحملات لقتال الوهابيين في عامي ١٢١٠هـ/ ١٧٩٦م، و١٢١٢هـ/ ١٧٩٨م. لم أقف على تاريخ وفاته. وقد أعقب ستة أبناء، وهم: محمد، وأحمد، وعلي، وحامد، ودرع، ومشيط. أحمد ضيا العنقاوي، **موسوعة أعلام الأشراف**، ٢/ ١٧.

(٢) ٤ ذو الحجة ١٢١٠هـ/ ٩ يونيو ١٧٩٦م.

(٣) كتب على هامش الأصل، ورقة ١٨٩؛ والنسخة (ب)، ورقة ١٤٦.

(٤) ٢٤ ذو الحجة ١٢١٠هـ/ ٢٩ يونيو ١٧٩٦م.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: منشئها.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: مُصَانًا.

(٧) **أبو طُرَيْف**: ماء يقع غربي هضاب أجلة، غرب بلدة عفيف بحوالي ٦٦ كيلًا، يسكنه المهادلة والمرشادة مِن الرُّوَقَةِ مِن عُتَيْبَة. سعد بن جُنيدل، **عالية نجد**، ص ٨٢؛ حمد الجاسر، **المعجم الجغرافي**، ص ١٦٣.

(٨) **وَادِي المِيَاه**: يقع في عالية نجد، وقد سُمِّي بهذا الاسم لكثرة مياهه. ويبدأ مِن المواضع =

ثم انتقل بهم وأقام على موضع يقال له: عَفِيْف، لِمَا فيه مِن عُشب نابت وريف، ثم ارتحل بموضع يقال له: الشِّمَاس[١]، فتزايدت العُربان مِن كُلّ مكان حتى بلغوا ستة وثلاثين سلف[٢]، وهم في أمن مِن الحوادث والخيف، فما فطنوا إلا وقد دهمهم الوهابيون، وهتكوا ستر عزمهم المصون، في جيش عَرَمْرَم يضيق به الواد، ومعهم نحو الألفين مِن المضمرات الجياد، ومعهم كثير مِن الأمرا[٣] دخلوا دين البهتان والافترا[٤]، مِنْهم ربيع وحمود بن رُبيعان، وهادي ابن قَرْمَلَة، والدُّوْشَان، فصارت بينهم ملحمة وأيّ ملحمة، غدت في غداتها الأعمار بأسنّة المنايا مُنتظمة، وما زال طير المَنِيَّة بها حايم[٥]، وكم جَمّ يوم الجَمَّانِيَّة مِن جماجم، فوقع أكثر القتلى بين الباديتين، ودُفِنَ خلق كثير مِن الطرفين، وقتل ثلاثة وأربعون مِن مراجل صاحب الترجمة في هذه الملحمة، وأخذ الوهابيون مِن مواشي جميع البوادي[٦]، وتَفَرَّقُوا منهزمين في كُلّ وادي، ثم إنَّ الوكيل عاد بالرتبة إلى حمى البيت المحرم، وفاز بإكْسير السعادة مِن الحجر المكرم.

= الواقعة شمال شرقي عَفِيف، ويمر شمالها، ثم يلتقي بوادي الشبرم، ثم يستمر حتى يلتقي بوادي الجرير الذي يدفع في بطن الرمة. سعد بن جُنيدل، **عالية نجد**، ص ١٢٩١-١٢٩٢.

(١) **الشِّمَاس**: ماء يقع جنوب شرقي بلدة رَنْيَة بحوالي ١٠٥ كيلًا، يسكنه الفراعنة مِن قبيلة سُبَيْع. سعد بن جُنيدل، **عالية نجد**، ص ٨٢٠-٨٢١.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: سلفًا.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: الأمراء.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: الافتراء.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: حائمًا.

(٦) لمَّا خرجت حملة الأشراف، وصلت أخبارها إلى الإمام عبد العزيز في الدرعيَّة؛ فأمر أتباعه بالتوجه إلى عالية نجد لمحاربة قوات الأشراف؛ فتوجه علي بن ربيعان ومَن تبعه مِن عربان عُتَيْبَة، وفيصل الدويش ومَن تبعه مِن مُطَيْر، وربيع بن زيد الدُّوسْري وقواته، فتوجه كل أولئك ونزلوا على هادي ابن قرملة زعيم قحطان عند ماء الجَمَانِيَّة في عالية نجد، وهناك التقوا بجنود الشريف، فكانت معركة حامية الوطيس، قتل فيها مِن كُلّ جانب نحو مائة رجل، فانهزمت قوات الشريف، فتتبعهم الوهابيون وقتلوا منهم نحو ثلاثمائة، وغنموا منهم إبلاً كثيرة، وأخذوا خيمة الشريف ومدفعه. حسين بن غنام، **تاريخ نجد**، ص ١٨٩-١٩٠؛ عثمان بن بشر، **عنوان المجد**، ١/ ٢١٣-٢١٤.

[هذه غزية رَغْبَا أميرها السيد فهيد][(١)]

وفي ثلاثة مِن شهر ربيع الآخر سنة ١٢١١[(٢)]، جَهَّز ركبة وافرة الاستعداد، كثيرة المراجل والخيول الجياد، ومعها جَمّ غفير مِن الأشراف ومِن العساكر أضاف رجالاً لا يهابون الأعادي، وفرسان الوغى يوم الجلاد، وإذا عاينتهم في يوم حرب كآساد على خيل جياد، وجعل أمير هذه الغزية، ومُقَدَّم السراة والسَّرية، سلالة السادة الأمجاد أهل الشيم والأنجاد، ذو الرأي الصايب[(٣)]، والفكر الثاقب، مُدَبِّر الجمهور برأيه السديد، وطاعن الخيل في اللبّات والوريد، السيد فهيد ابن الشريف عبد اللَّه بن سعيد، فتَوَجَّه مِن الطايف[(٤)] على طريق الأخيضر، ثم قدم إلى رُكْبَة[(٥)] ووثب تلك الوثبة، ونزل بِمِن لديه مِن آساد العرين، بموضع / ق١٩٠/ يقال له: أم الصعانين، فانشالت عليه قبائل عُتَيْبَة، ولم تطل في سرعتها الغيبة، فقابلهم بجيوشه وجأشه وأنعم عليهم بريشه ورياشه، واختار جماعة مِن سراة قومه الأطايب، أمَّر عليهم السيد حسن بن غالب[(٦)]، وأمره يغزو أهل الخُرْمَة لكونهم خرجوا عن اتِّباع شرايع[(٧)] المسلمين، ودخلوا في دين الوهابيين، فأخذهم وارتحل، وقتل مَن

---

(١) كتب على هامش الأصل، ورقة ١٩٠؛ والنسخة (ب)، ورقة ١٤٧.

(٢) ٣ ربيع الآخر ١٢١١هـ/ ٥ أكتوبر ١٧٩٦م.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: الصائب.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.

(٥) رُكْبَة: صحراء واسعة تقع شمال شرقي الطائف، سُكَّانهَا مِن عُتَيْبَة؛ شمالها للروقة، وجنوبها لبَرْقة. عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ص ٧٠٥-٧٠٧.

(٦) **حسن بن غالب**: حسن بن زين العابدين بن يحيى بن حسن بن غالب النموي الحسني، كان أحد قادة الشريف غالب بن مساعد، اشترك في محاربة الوهابيين، حيث قاد حملة على قرية الخُرمة عام ١٢١١هـ/ ١٧٩٦م، والمعركة الأخرى على مرفأ اللِّيْث في عام ١٢١٩هـ/ ١٨٠٤م، وقد لقى مصرعه في هذه المعركة، ومات دون أن يعقب. أحمد زيني دحلان، **خلاصة الكلام**، ص ٢٦٥، ٢٨٢-٢٨٣. أحمد ضياء العنقاوي، **أعلام الأشراف**، ١/ ٢٥٣.

(٧) كذا في الأصل، والصواب: شرائع.

دنا مِنْه الأجل، وعاد إلى السيد فهيد بِمَا ناله مِن فوايد[١]، ثم تَوَجَّه بتلك الفوارس والرماة وأقام بموضع يقال له: القرانات، فأقبل عليه الماجد السري شُبْنَان وابن شري[٢]؛ وهُمَا أسماء بيت في قبايل[٣] قحطان يجيدون المهند والْمُرَّان، فأكرمهما ليث العرين يوم نزاله إكرام أمثالهما لأمثاله، وعرضت عليه قبايلهم[٤] رجالًا وركبان[٥]، وكهولًا وشيبان[٦] وقابلهم ذلك الوجه البشوش بِمَا لديه مِن الجيوش، ثم أقبلت عليه كافة البُقُوم امتثالاً لِمَا يروم، فتَوَجَّه بهم إلى موضع يقال له: كُشُب[٧]، فعرض عليه ابن مِحْيور وجماعته، وظهرت قوَّته وشجاعته، فجمعهم السيد فهيد واستشارهم في غزية يغزيها ويصلك أهلها ويرزيها، فاتفق الرأي أنْ يبقوا الثقيل في حرَّة كُشُب، ويتَوَجَّه بجمرة مِن قومه تلهب وتشب.

ولمَّا تَوَجَّهوا صدفوا مِن قبايل[٨] حَرْب حَيًّا مرتحل[٩] نحو خمسين مِن الإبل، فأخذوها ونجعوا وإلى مُخَيَّمهم رجعوا، ثم ارتحل هذا الهُمَام إلى موضع يقال له: روغ النعام، [فجبنت عنه][١٠] العُربان، وأناخت بموضع نازحٍ وموضع عن الجنود بارح، فختلهم الحجيلاني[١١] أمير الخرج

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: فوائد.

(٢) **ابن شري**: ناصر بن شري، رئيس بني هاجر مِن قحطان، كان من أتباع الشريف غالب، وقد قتل في إحدى المعارك ضد الوهابيين في عالية نَجْد. حسين بن غنام، **تاريخ نجد**، ص ١٩٨؛ عثمان بن بشر، **عنوان المجد**، ١/ ٢٠٧-٢٠٨.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: قبائل.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: قبائلهم.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: ركبانًا.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: شيبانًا.

(٧) **كُشُب**: حرَّة عظيمة من حرار الحجاز الشرقية، تمتد مِن سهول ركبة جنوبًا إلى جنوب المهد عند الهضب ومشيرفة. وسُكَّانها في الجنوب الروقة مِن عُتَيْبَة وفي الشمال بنو عبد اللَّه مِن مُطَيْر. عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ص ١٤٤٣.

(٨) كذا في الأصل، والصواب: قبائل.

(٩) كذا في الأصل، والصواب: مرتحلًا.

(١٠) وردت في الأصل فجبت عليه، والتصويب من النسخة (ب)، ورقة ١٤٧.

(١١) **الحجيلاني**: الأمير حجيلان بن حمد، مِن العناقرة مِن بني تميم، مِن أشهر القادة=

أيّ ختلة وأتاهم على حين غفلة، ومعه الجَمّ الغفير مِن أشقياء العرب، والفجرة الكفرة عصاة الرحمن، وكافة مطير والسهول وكل فاجر جهول؛ فوقعت بينهم ملحمة عظيمة وقاتلوهم قتالاً هانت فيه النفوس الكريمة، فأسفر الأمر عن قتل كثير مِن الطرفين، وأخذ مواشي قحطان كطرفة عين، وقتل ابن شري وابن مايق في تلك المعركة، ومِن حين قتلهم؛ أمور العُربان صارت مرتبكة، وبدا الخلل في كثير مِن القبايل[١]، وانحاز أغلبهم إلى الشق المايل[٢]، ولم يعلم السيد فهيد بِمَا وقع مِن تبديد حتى جاءه أول الشريد، فتأهب خلفه بالفزع فوجده قد نزع، فأقام أيامًا بتلك الأطلال، ثم تَوَجَّه إلى جهة /ق١٩١/ الشمال، ومعه جميع العُربان التي تقَدَّم ذكرها وهو أميرها وصدرها إلى أنْ وصل إلى قريب الحَنَاكِيَّة[٣]، وهي قريبة مِن مدينة سيِّد البرية، فعرضت عليه قبايل[٤] حَرْب، وأحلوا عنده بمنزلة الدراع والقلب، ثم وفد عنده جميع بني حسين أهل السُّوَيْرِقِيَّة[٥]، ولم يتخلّف أحد مِن سلالتهم الهاشميَّة، فانتقل إلى موضع يقال له: صُلبة، وعزم أنْ يغزو

= العسكريين الوهابيين، صار أميرًا على بريدة بعد مقتل حاكمها عبد اللَّه ابن حسن في أرض الخرج عام ١١٩٠هـ/ ١٧٧٦م. وقد كان مِن المتحمسين للدعوة الوهابيَّة، فخاض كثيرًا مِن الحروب لمصلحتها، وأصبحت له اليد الطولى في منطقة القصيم، وظل أميرًا على هذه الناحية حتى مجئ الحملة المصرية العثمانيَّة وسقوط الدرَعيَّة على يد إبراهيم باشا بن محمد علي عام ١٢٣٣هـ/ ١٨١٨م، فقبض عليه ونقله إلى المَدينة المنوَّرة، فتوَفي هناك بعد وصوله إليها بقليل. عبد اللَّه الصالح العثيمين، **نشأة إمارة آل رشيد**، عمادة شئون المكتبات، جامعة الرياض، ط١، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ص ٦.

(١) كذا في الأصل، والصواب: القبائل.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: المائل.

(٣) **الحَنَاكِيَّة**: بلدة تقع على طريق القصيم، وتبعد شرقًا عن المدينة حوالي ١٠٠ كيل، وهي الحدود الفاصلة بين نجد والحجاز، وأرضها تكثر فيها الزراعة، وسُكّانها قبيلة حرب. أيوب صبري، **مرآة الحرمين**، ٥/ ١٥٥؛ عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ص ٥٠٧-٥٠٨.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: قبائل.

(٥) **السُّوَيْرِقِيَّة**: أرض زراعية تقع غربي المدينة المنوَّرة، كثيرة السكان في ديار مُطَيْر، وفيها قرى مِنْها: الجَصَّة يسكنها العزايزة مِن بني عبد اللَّه مِن مُطَيْر، والبغولية مِن حَرْب. عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ص ٨٤٧.

أهل تلك الوجوه المتقلبة، وأبقى في صُلبة وقيل في عرامة الثقيل مِن الأحمال، وأخذ كُلّ خفيف لم يمنعه يوم النزال، وغزا بِمَن لديه مِن الجموع على هادي ابن قَرْمَلَة، راجيًا من اللَّه تعالى أنْ يبلغه فيه مأمله، وقَدَّم عيونًا ترقبه وتأتيه بالخبر وتخبره أين مِنْه المُسْتَقَرّ، فعادت العيون لمرسلهم بعد بلوغ مأملهم، وأخبروا السيد فهيد[1] بحصول المراد، وطلبوا مبادرة القوم بالخيول الجياد، فجَدَّ السير على العدى، وأسرع كما يسرع السُّلَيْك إنْ عدى، حتى ورد موضعًا يقال له: البَقَرَةُ[2]، وأرسل رسله ونذره فطرحته العيون على سُبَيْع وجانبًا مِن قَحْطَان كان فيهم هادي ابن قَرْمَلَة فبان؛ فصكّهم صكّة أيّ صكّة، وصير معيشتهم بعدها ضنكة، وقتل مِنْهم قتلة شنيعة وأذاقهم الهضيمة والوجيعة، وغنم ما لديهم مِن غنم، وما يملكون مِن حمر النعم، وأخذوا فرس هادي ابن قَرْمَلَة وأباعره، ولو وجدوه لأسكنوه الحافرة، ثم بعد أنْ فعل فيهم ما فعل، وأشرق بدره ومعانده أفل، عاد إلى صُلبة بعد أنْ طال مطلبه، ثم تأخر إلى موضع يقال له: الخَرَايِق[3]، لمَا يسنح مِن صيد طارق، فأقام به برهة في سرور ونزهة، فعنّ له أنْ يغزو بعض الفرقان ويقصدهم في أيّ مكان نازح أو دان، فامتنع العسكر أشَدّ الامتناع، وتنازعوا أمرهم بينهم وطال النزاع، فعصوا عليه وتَوَجَّهوا إلى مكة المشرفة، فسكت عنهم ولم يفه ببنت شفة، ولمَّا وصلوا إلى الزَّيْمَا بلغ صاحب الترجمة الخبر، فغضب عليهم ولم يجعل لهم يومئذ المُستقر، وأرسل أغواتهم يعيدونهم حيث كانوا ويرجعهم إلى الموضع الذي مِنْه بانوا.

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: فهيدًا.

(٢) **البَقَرَةُ**: تقع في منطقة عفيف، يسكنها المقطة، والنفعة مِن قبيلة عُتَيْبَة. حمد الجاسر، **المعجم الجغرافي**، ص ٢٨٦.

(٣) **الخَرَايِقُ**: آبار تقع غربي روضة الخِرْوعيَّة، جنوبي شرقي بلدة القويعية، ويسكنها قبيلة قحطان. سعد بن جنيدل، **المعجم الجغرافي: عالية نجد**، ص ٤٤٩.

[هذه غزية رَنْيَة أميرها السيد فهيد][١]

اعلم أنَّ السيد فهيد[٢] . لمَّا كان سيف عزمه قاطعًا رقاب الوهابيين، / ق١٩٢/ وشهب مجده رُجُومًا للشياطين، وكان أمره لا يخلو عن معرفة تدبير أمُور الجمهور، ولا يسلم مِن الحظ الذي عليه مدار الأمُور، كرَّر صاحب الترجمة عليه الإمارة، وأظهر نار عزمه بعد أنْ كان شرارة، فشَيَّع معه مِن الجنود والعساكر والسادة الأشراف الحيادر، فتَوَجَّه على أعداء الدين بكُلّ ليث عرين، فاجتمعت عليه الأعراب وفق المطلوب، كاجتماع النحل على اليعسوب، فغزا على رَنْيَة وأورث أهلها اصفرار سوء القنيَّة، فقام القتال بينه وبين أهلها على ساق، وحدا حادي جمرة الحرب عليهم وساق، فظفره اللَّه تعالى على قوم الشقاق والنفاق، وطفق مسحًا بالسوق والأعناق؛ فملكها وأخذ ما فيها مِن الغنايم[٣]، وأشرق في البلدة واستشرق للنعايم[٤]، وقد أحرق دورها وفرّ مِن أوكارها طيورها، رمت إلى عتابه الأرامل والنسا[٥]، مُتدرعين لباس الحزن والأسا[٦]، وأعلنّ بالنحيب والعويل، وعادة الكريم الشجاع يرحم الذليل، ترك لهم البلدة بعد أنْ ملكها وتَوَجَّه إلى طرق أخرى وسلكها، وقصد بيشة وفي المثل: ليس وراء بيشة عيشة، فنزل مِنْها موضعًا يقال له: الجنينة[٧]، أفاض باريه[٨] على وجه الأرض عينه، فاستقبله أهلها بالترحاب، ودخلوا لطاعته مِن كُلّ باب، فأمرهم بالغزو معه ليتحقّق مَن عصاه ومَن سمعه، فخرجوا مُطيعين لقوله، يمشون خلفه ومِن حوله إلى أنْ وصل

---

(١) كتب على هامش الأصل، ورقة ١٩٢؛ والنسخة (ب)، ورقة ١٤٩.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: فهيدًا.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: الغنائم.
(٤) كذا في الأصل، والصواب: للنعائم.
(٥) كذا في الأصل، والصواب: النساء.
(٦) كذا في الأصل، والصواب: والأسى.
(٧) **الجنينة**: قرية تقع في جنوب وادي بيشة، يسكنها بنو سعد. حمد الجاسر، **المعجم الجغرافي**، ص ٣٨٨.
(٨) كذا في الأصل، والصواب: بارئه.

بهم إلى الفَرْشَة، فحصل عليهم يومها ظمأ عظيم، وكادوا يهلكون جميعًا مِن العطش وباتوا على حالهم مِن عُطَاش، ولم ينالوا بها زاد ولا رشاش(٩).

ولمَّا تحقَّقُوا الهلاك، ولم يبقَ فيه شاك، وهو يناظر عيونًا أرسلها تسبر له القوم، وقد تخلَّفَت عن الوعد يومًا فيوم(١٠)، ولم يكن تتمه ميراد قريب يرونه، ويقف الركب التهامي دونه، فبينما هو مُتَحَيّر في أمره وأقلعه على الماء عدم صبره، إذ وفد عليه واحد مِن العيون، وأخبره بأنَّه لم يبقَ مِنْهم بهذا الموضع ملعون، وأنَّ العُربان منذ يسمعون بخروجك يَتَشَتَّتُوا(١١)، ولم يطيقوا نزولك فلم يَثْبُتُوا، فعاد مِن حينه إلى رَنْيَة، وقد أوهن العطش البنية، فوسقوا وَسَقوا وأجَدُّوا السير وانطلقوا، وأصبح بتلك الجنود على تُربَة، / ق١٩٣/ واختار عن الشرق مغربه، وأقبل بالعزّ والإنعام حتى وفد إلى حمى البيت الحرام، واتجه بابن عمّه دام مجده وعلاه، فأحسن إليه وأكرم مثواه، وما زال عنده رفيع المنزلة، نافذ الكلمة.

تَارِيخ صَاحِبنَا الْعَفِيْف مُأنق
فِيْه لأَرْبَاب النّهي سلْوَانُ
فَإِذَا أَرَدْتَ تَنَزُّهًا في رَوْضَه
فَاجْنَح لَهُ يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ

[هذه غزية العلم وعُرَيق الدَّسْم أميرها السيد فهيد](١٢)

وفي الخامس والعشرين من محرم سنة ١٢١٢(١٣)، اعلم أنَّ هذا الأسد الأسدّ، والليث ذا اللبد، والهُمام الأمجد الذي فاق جده كُلّ جد، حامي حمى البقعة، وشاه هذه الرقعة، غالب أعاديه، ومجيب مناديه ببيض أياديه، جمع

(٩) كذا في الأصل، والصواب: زادًا ولا رشاشًا.
(١٠) كذا في الأصل، والصواب: فيومًا.
(١١) كذا في الأصل، والصواب: يَتَشَتَّتُون.
(١٢) كتب على هامش الأصل، ورقة ١٩٤؛ والنسخة (ب)، ورقة ١٥٠.
(١٣) ٢٥ محرم ١٢١٢هـ/ ١٩ يوليو ١٧٩٧م.

الجموع وجَنَّد الجنود، وحمل على سوابق الخيل بالمهند والعود، وجمع العساكر والمراجل، واستدعى العشاير[١] بالمثقفات الذوابل، وحمل مِن أحمال الذخاير[٢] عددًا غيره غير قادر، وأمَّر على هذه السَّرية فخر السادات الهاشميَّة، فنال فخرًا ومزيَّة، مولانا السيد فهيد بن عبد اللَّه بن سعيد، وغزا غزوتين في هذه الغزوة، وأخذ بقوم ابن جرشان كنار على علم، وأخذ المُوهَّبين مِن حَرْب في عُرَيق الدَّسْم، ثم عاد لمرسله صاحب الشيم بهذا الناموس والشمم، ودخل في حمى الحرم وفاز بالبيت المعظّم، وحاديه يغني بالنغم للإبل والغنم، وفرَّقه على الغزاة، وجعل في العقبا جزاه[٣]، ولم يزل باب الشرق للغزو مفتوح[٤]، وهو مستيقظ وإنْ بات ساهي الطرف والشوق لقتالهم يلوح.

[هذه غزية العلم أميرها السيد مبارك بن محمد بن مساعد][٥]

وفي الخامس والعشرين من ربيع الثاني سنة ١٢١٢[٦]، اعلم أنَّ صاحب الترجمة لا زال نافذ الكلمة جَنَّد الجنود، وخفقت له الرايات والبنود، جَهَّز ركبة مِن سراة الأبطال ومعتقلين بالمهند والعسال، وأمَّرَ عليها السيد السند، والكهف المعتمد، سلالة السادة الهاشميَّة أهل الشيمة والحميَّة، مولانا السيد مبارك بن محمد بن مساعد؛ فقاتل في عصابة الضلال وجاهد، ولم يزل ينتقل كالبدر مِن منزلة إلى منزلة، والعُربان متتابعة لديه ومتصلة، حتى وصل إلى موضع يقال له: العلم، صادف جماعة مِن المُوهَّبين مِن بني حَرْب، فأفتك فيهم قتلاً وسلب[٧]، وصكهم حين أعمى اللَّه تعالى / ق١٩٤/ أبصارهم،

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: العشائر.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: الذخائر.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: العقبى جزاءه.
(٤) كذا في الأصل، والصواب: مفتوحًا.
(٥) كتب على هامش الأصل، ورقة ١٩٤؛ والنسخة (ب)، ورقة ١٥٠.
(٦) ٢٥ ربيع الثاني ١٢١٢هـ/ ١٦ أكتوبر ١٧٩٧م.
(٧) كذا في الأصل، والصواب: سلبًا.

وخذل شيعتهم وأنصارهم، وأخذ مواشيهم ومراحهم، وخَلّص الأرواح مِن أجسادهم، ثم تَوَجَّه مقبلاً فصدف خمسًا[1] وأربعين مِن الوهابيين، خارجين ببضاعة اشتروها مِن مدينة سيِّد المرسلين، فقبضهم ووضعهم في الحديد، وشنعهم أعظم تشنيع، وأخذ أخبارهم وقتل الجميع، ثم عاد مُقبلاً نحو أم القرى، وجَدَّ نحو حماها السرى.

فبلغ صاحب الترجمة عوده إلى الحمى، فمنعه عن الورود وحما، وأمَدَّه بجيش آخر فأناف على عدوه وفاخر، في جمادى الأولى سنة ١٢١٢[2]، وأمَّر عليها السيد سعد بن سعيد بن عرمطة، فحزم أمره وضبطه، فتَوَجَّه بالجنود يطوي الفيافد، ويلتمس آثار تلك المعاهد، على رغم كُلّ معاند، حتى اجتمع بالسيد مبارك بن محمد على صُلبة بتلك الجنود المُنتخبة، فارتحلوا بِمَن لديهم مِن العُربان وأقاموا على مران، فأزمع أمرهم أنْ يغزو عُربانًا مِن الوهابيين بعيدًا عنهم نازحين، فامتنع العساكر منعذرين بِخُلُوِّ الزاد، وعدم القدرة على الطراد، فعند ذلك رجعوا عن التِّسْيَار، وقبلوا مِنْهم الأعذار، وعَلِمُوا أنَّ عدم الطعام يفضي إلى الحمام، فتركوا المغزى، وأقاموا على مران بحد المُهند والسّنان، فبينما هم به مُقِيْمُون يرعون حماه، ويمنعون العدوّ شرب ماه[3]، إذ وفدت عليهم عيون الوراد، وأخبروهم أنَّ الوهابي قد جمع الجموع في ذلك الناد[4]، فرجعوا مُجِدّين لحمى البيت الأمين، فمنع صاحب الترجمة الوكيلين عن دخول مكة، وخلاهم مُتَشَتّتين في كُلّ ناحية وسكة، ولم يمنع العساكر عن الدخول، وفازوا بالمغاني والطلول.

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: خمسة.
(٢) جمادى الأولى ١٢١٢هـ/ ٢١ أكتوبر - ١٩ نوفمبر ١٧٩٧م.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: مائه.
(٤) كذا في الأصل، والصواب: النادي.

[غزية الشريف غالب على الخُرْمَة وهزيمته]

ثم إنَّ في حادي عشر شعبان سنة ١٢١٢[١] جمع صاحب الترجمة جمعًا عظيمًا مِن أبطال الرجال، وادَّخَر مِن الخزاين[٢] كأمثال الجبال، وفَرَّق القدر الكثير مِن المال، وجمع مِن جميع أرباب الصنايع[٣] والحرف، وبذل هُمَته العليَّة فيما يحتاجه مِن كلف، وجهز عُرضيًّا مُنتظمًا مِن كُلّ ما يحتاج، متمّمًا مِن جميع المَهَمَّات ما قد انتظم حاله وراج، وشَمَّر على اسم اللَّه وتَوَجَّه بِمَن لديه مِن الجنود بنفسه، وأشرق بأفق الشرف طالع شمسه.

وَمَا طَالَت رقَاب الأُسْدِ حتَّى
بأَنْفسهَا تُقَضِّي مَا عَنَاهَا[٤]

/ق١٩٥/

فتَوَجَّه مِن شعبان بجيش عَرَمْرَم أَمْكَنهُ لو أراد أنْ يخرب به الزمان، فتَوَجَّه بخير فريق، وأناخ مطاياه بوادي العقيق، فاجتمعت عليه القبائل مِن كُلّ مكان، وتَوَجَّه بها إلى مران، فوفد عليه السيد مبارك بن محمد والسيد سعد بن عرمطة واسْتَسْمَحَاهُ فسمح عن كُلّ مِنْهما، ولم يواخذه[٥] بالذنب الذي أفرطه، ثم ارتحل ونزل بموضع يقال له: المُوَيْهُ، والبقرة، فجمع مَن غاب مِن جنده ومَن حضره، وغزا على قحطان في المحدث كأنَّه عليهم شوم[٦]، حتى أكل مِن لحومهم الأغربة والبوم، وأخذ جميع

---

(١) ١١ شعبان ١٢١٢هـ/ ٢٨ يناير ١٧٩٨م.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: الخزائن.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: الصنائع.

(٤) البيت لا يعرف قائله، انظر: محمد بن أيدمر المستعصمي، الدر الفريد وبيت القصيد، ٩/ ١٥٠. وفيه:

وَمَا غَلُظَتْ رِقَابُ الأُسْدِ إِلَّا بِأَنْفُسِهَا تَولَّتْ مَا عَنَاهَا

(٥) كذا في الأصل، والصواب: يؤاخذه.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: شؤم.

مواشيهم التي يملكونها، وضَيَّق عليهم سبلهم الذي[1] يسلكونها، وكم أخذ عليهم مِن الخيل قليعة.

وتَوَجَّه إلى موضع يقال له: البُدَيِّعَةُ، ومِن البُدَيِّعَة عدا على هادي ابن قَرْمَلَة في القُنْصلِيَّة، وترك أفئدة قومه بنار الحزن صلية، وذبح فيهم ذبحة أسال دماءهم كالسيل المُنهمر، وأخذهم أخذ عزيز مقتدر، وفَرَّ ابن قَرْمَلَة شاردًا منهزم[2]، ونجا بعمره حذر القتل لو لزم، ثم تَوَجَّه بِمَا غنمه مِن تلك الكسوب مِن عشار ولقاح وحلوب، ثم عاد إلى رَنْيَة وحربها، وقطع نخلها وخربها، فانطرحوا[3] عليه أهلها وطلبوا مِنْه الصلح، فسمح عنهم بِمَا جنوه مِن القبح، ثم ارتحل إلى وادي بيشة، فأقر بها كُلّ مصلح وفَرَّ المفسدون الذين في قلوبهم الغشيشة، فكل مَن شرد مِن الوهابيين، أحرق داره وعلم أنَّه مِن المُفسدين، ثم تَوَجَّه مِن ذلك الوادي، وأبقى به رتبة لحمايته مِن الأعادي، ثم قصد قرية يقال لها: الخُرْمَة، فأبادها ولم يبقِ لها حُرمة، وما زال مُقِيْمًا بالجنود أهل المروة[4] والشيم حتى يتم القضاء المُبرم، وكان ذلك في الكتاب مسطورًا، وكان أمر اللَّه قدرًا مقدورًا.

ففي بعض الأيام ورد شريف مِن العبادلة[5] مِن ذوي عبد اللَّه اسمه

(١) كذا في الأصل، والصواب: التي.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: منهزمًا.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: فانطرح.
(٤) كذا في الأصل، والصواب: المروءة.
(٥) **الأشراف العبادلة**: ينتسبون إلى الشريف عبد اللَّه بن الحسن بن محمد بن أبي نمي الثاني، الذي تولى شرافة مكة (١٠٤٠-١٠٤١هـ/ ١٦٣٠-١٦٣١م)، ويُعَدّ العبادلة أحد أكبر فروع الأشراف الحَسَنيَّة بالحجاز، ومساكنهم في مكة وضواحيها، والطائف وأوديته، ورَنْيَة، وتُربَة، والخُرمة، والقُنْفُذَة. وقد توفي الشريف عبد اللَّه في ١٠ جمادى الأولى ١٠٤١هـ/ ٣ ديسمبر ١٦٣١م، و أعقب تسعة أبناء، بقي عقبه مِن ستة مِنْهم، وقد تفرَّعت أعقابهم إلى خمسة عشر فرعًا. صالح حسن الفضلة، **الجوهر العفيف في معرفة النسب النبوي الشريف**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠١٣م، ص ٩٩-١٠١.

لؤي[1]، وأخبره بقدوم الوهابيين كالسيل المُنهمر، وأعلمه أنَّهم كالجراد المُنتشر، فاتّهمه ولم يصدق خطابه، لكونه ظَنَّ أنَّه مُتابع لتلك العصابة، فما مضى يوم أو يومان حتى أقبل عليه أهل الفجور والطغيان في جنود كأمثال الرمال، مِن كُلّ فاجر زاغ عن الحقّ ومال، فوقعت / ق١٩٦/ بينهم المعركة المذكورة في الملاحم، المَرْمُوز لها في الأرصاد والطلاسم، فحصل الطراد مِن ضحوة النهار، وعقد قتام الخيل السماء الثامنة في ذلك المضمار، وما زالت سراة الخيل تجول، ويد المَنِيَّة بين الأرواح والأجساد تحول، وسمع وقع الحديد على راس[2] كُلّ صنديد له دوي ورعيد، ثم خفضت الأصوات، وسال نجيع القتلى مِن كُلّ الجهات، وهمت كُلّ فارس ولم يبقَ له نفسٌ، وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همسًا، وتخال الروس[3] راكعة مِن وقع السيوف، والخيول تجول مع الخيول، والصفوف تميل مع الصفوف، فقتل مِن الفريقين ما ينوف عن الألفين، وقتل مِن أغلب بدود الأشراف نيف وأربعون، وكان يومئذٍ الغلبة للوهابيين[4]، ثم عاد صاحب الترجمة بمعسكره إلى تُربَة، وفَرَّق عليهم

---

(١) **الشريف لؤي**: لؤي بن غالب بن زامل بن عبد اللَّه بن حسن بن محمد أبي نمي، كان أميرًا على الخرمة عام ١٢٠٦هـ/ ١٧٩١م، في عهد الشريف غالب، أعقب خمسة أبناء، وهم: محمد، وهزاع، وأحمد، وسعد، وفهران. أحمد ضياء العنقاوي، **موسوعة أعلام الأشراف**، ٢/ ٣٨١.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: رأس.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: الرءوس.

(٤) ذكرت المصادر الوهابية بعض الإضافات عن هذه الواقعة تُوضح الخسائر المادية والبشرية الكبرى التي وقعت على الشريف غالب فيها، فيقول ابن بشر: «وكانت وقعة عظيمة ومقتلة كبيرة، فكانت عدة القتلى على ما ذكره مَن أرَّخ هذه الوقعة وغيرها من أهل ناحيتهم ألف رجل ومايتان وعشرون رجلاً منهم: الشريف مسعود بن يحيى بن بركات وابن أخيه هزَّاع ... وعبد الملك بن بثنه، وسلطان بن حازم، وحسن إلياس، وغيرهم من الأكابر، وعدة القتلى مِن قُرَيْش أربعون رجلاً، ومع قُرَيْش مِن عُتَيْبَة، ومِن ثقيف ثمانون رجلاً، وقتل من العسكر ما ينوف على الأربعمائة، ومِن المصارية مائتين، ومِن المغاربة ثمانون، وفقد مِن العبيد قتلاً وسبيًا مائة وخمسون عبدًا، وأخذوا جميع الذخائر والخيام والمتاع ... =

الدقيق، ومنها تَوَجَّه لحماية البيت العتيق، فوصل مكة لثلاث خلون مِن شهر القعدة سنة ١٢١٢[(١)].

[انعقاد الصلح بين الشريف غالب والسلفيين]

وفي غاية جمادى الأولى ١٢١٣[(٢)]، انعقد الصلح[(٣)] بين حضرة مولانا

= وأمَّا النقد فمختلف فيه فَمِنْهم مَن يقول: إنَّ في خزاين غالب ثمانية عشر ألف مشخص، وكان قصده أنْ يفرقها صبيحة ذلك اليوم على العسكر، وغنموا جميع ما في المضرب مِن الأموال، وأخذوا سلاحًا كثيرًا، وأخذوا أيضًا ما كان مِن الأثاث والأمتعة ... وانصرف الشريف وشريد قومه مكسور، ولم تقم له بعد هذه الوقعة العظمى قائمة». عثمان بن بشر، **عنوان المجد**، ١/ ٢٤٣-٢٤٤. ولذلك فقد غيَّرت هذه الوقعة مجرى الأحداث بين الوهابيين والأشراف في الحجاز، وتحوَّل الأشراف مِن طور الهجوم إلى طور الدفاع - بعد هذه الواقعة - ثم اتجهوا إلى عقد الصلح مع الوهابيين. للمزيد انظر: حسين بن غنام، **تاريخ نجد**، ص ٢٠٣؛ لطف اللَّه جحاف، **درر نحور العين**، ص ٣٨٥-٣٨٦؛ فيلكس مانجان، **الدولة السعودية**، ص ٢٩٦-٢٩٨.

(١) ٣ ذو القعدة ١٢١٢هـ/ ١٨ إبريل ١٧٩٨م.

(٢) غاية جمادى الأولى ١٢١٣هـ/ ٨ نوفمبر ١٧٩٨م.

(٣) ترجع أسباب انعقاد الصلح بين الأشراف والوهابيين إلى عدة أسباب: ومِنْها **أولًا**- الهزائم العسكرية التي مني بها الشريف غالب، وبخاصة في الجَمَّانِيَّة، ثم الخُرمَة، والتي أَفْقَدته عددًا كبيرًا من قواته بالإضافة إلى طول فترة القتال المتواصل منذ عام ١٢٠٥هـ/ ١٧٩١م. **ثانيًا**- انتشار مبادئ الدعوة الوهابية بين قبائل الحجاز، وانضمام كبرى القبائل إليها إمَّا طوعًا أو كرهًا، والتي كانت تشكل قوة سياسيَّة وعسكريَّة واقتصاديَّة للشريف غالب، الأمر الذي قلَّص حدود سلطته، وموارده التي كانت تصله من هذه القبائل التي صارت تدفع الزكاة والضرائب إلى الدرعية. **ثالثًا**- فشل الحملات التي خرجت مِن العراق لتخفيف الضغط الوهابي على الحجز، ولجعلهم ينشغلون بالناحية الشرقية مِن دولتهم؛ حيث فشلت حملة ثويني بن عبد اللَّه عام ١٢١٢هـ/ ١٧٩٧م، ثم حملة الكخيا علي بك عام ١٢١٣هـ/ ١٧٩٨م، ثم انعقاد الصلح بين والي بغداد وإمام الدرعيَّة، فاقتنع الشريف أنَّ الضغط سيكون عليه بصورة كبيرة. **رابعًا**- قدوم الحملة الفرنسية على مصر ١٢١٣هـ/ ١٧٩٨م، وما ترتب عليه من نتائج على الشرق العربي، فقد خشيت الدولة العثمانية من مهاجمة الفرنسيين الحرمين الشريفين، فأرسلت إلى الشريف غالب بضرورة تأمين مدن الحجاز، خشية من هجوم الفرنسيين. **خامسًا**- عدم وصول أيَّة مساعدات من الباب العالي ليتمكن بها من محاربة الوهابيين، وقد قوبلت مراسلاته بالإهمال من الدولة العثمانية التي كانت منشغلة وقتئذ ببعض مشاكلها في أوروبا. **سادسًا**- انقطاع =

الشريف وبين عبد العزيز بن سعود، وارتبطت بينهم المواثيق والعهود على المُسَالمة دون الحتوف، وأنَّ الحرب بينهما موقوف، وأنْ يحج الوهابيون لبيت اللَّه تعالى الحرام، وأنَّه لم يتعرض لعُربان الشريف يمنًا وشام[1]، وأنشدت الوجوه بينهما على قواعد العرب، وليت شعري أصدق الرجل فيما قال أم كذب؟ وغالب الظن أنَّ عهوده خداع ونفاق، والخاين[2] لا يحفظه عهد ولا ميثاق، وقد انطوي على الغدر بجهله وقبح فعله، ولا يَحِيق المكر السيئ إلا بأهله، وكم سمعنا أنَّه عاهد قحطان وحلف أيمانًا باللَّه فمات، وكم نقض عهدًا للَّه بأدنى سبب، ومتى لقى الفرصة عاد وانقلب، فلا تلزم معهم الوجوه فيما يلومونه ويرجوه.

وسيبدو صدق مقالي، في تمزيق عرضه البالي؛ فعندما تم الصلح وانعقد، نادى لهم صاحب الترجمة بالأمن والأمان، ومنع الناس عن التعرض لهم باليد واللسان، فأقبلوا على مكة مِن كُلّ مكان، فسبحانه وتعالى كُلّ يوم هو في شأن.

وفي موسم هذا العام[3] حج حمد بن ناصر[4] ومعه شرذمة مِن الوهابيين

= المخصصات المالية التي كانت تصل من مصر إلى الحجاز بعد الغزو الفرنسي، الأمر الذي أثر على الأوضاع الاقتصادية، وتأثر الشريف غالب بكل ذلك الأمر الذي دفعه إلى عقد الصلح مع الوهابيين. للمزيد انظر: عبد الرحيم عبد الرحمن، **الدولة السعودية الأولى**، ص ١٤٨-١٤٩؛ محمد عبد العال، **الحجاز والدولة السعودية**، ص ٩٠-٩٣.

(١) كذا في الأصل، والصواب: شامًا.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: الخائن.

(٣) أيّ عام ١٢١٣هـ/ ١٤ يونيو ١٧٩٨ - ٢ يونيو ١٧٩٩م.

(٤) **حمد بن ناصر**: حمد بن ناصر بن عثمان بن معمر، ولد في العيينة عام ١١٦٠هـ/ ١٧٤٧م ونشأ وأخذ مبادئ العلم فيها، ثم رحل مع والده إلى الدرعية عام ١١٧٣هـ/ ١٧٦٠م، فدرس على أيدي عُلمائها، وصار مِن كبار العُلماء، ومِن كبار رجال الدعوة، وقد أرسله الإمام عبد العزيز إلى الشريف غالب لمناظرة عُلماء مكة عام ١٢١١هـ/ ١٧٩٦م، وألَّف رسالة حوت هذه المناظرة. وكان مندوبًا للإمام سعود أثناء عقد الصلح مع الشريف غالب عام ١٢٢٠هـ/ ١٨٠٦م، وقد عُيِّن على قضاء الدرعيَّة، ثم عُيِّن عام ١٢٢١هـ/ ١٨٠٧م رئيسًا لقضاة مكة المكرمة، وظلّ فيه حتى وفاته في ذي الحجة ١٢٢٥هـ/ يناير ١٨١١م، ودُفِنَ =

وقبَّلوا أعتاب بيت اللَّه تعالى الأمين، وما زال حمد بن ناصر المذكور/ ق١٩٧/ يجمع بجماعته، في ذمام صاحب الترجمة وخفارته.

[غزوة والي بغداد على السلفيين في الأحساء]

ولم يحج سعود في هذا العام، لمَا بلغنا مِن خبر الوزير الهُمَام، والأسد القمقام الوزير الأمجد، والأَسَد الأسدّ على الهمم، وصاحب النجدة والشيم، والي بغداد سليمان باشا[1]، بلغه اللَّه تعالى مِن الخيرات ما شا[2]، جَهَّز عُرضيًّا[3] ليس له حَدّ يُعرف ولا آخر يُوصَف، يضيق عنه السهل والجبل، قد

= في مقبرة البياضية بمكة المكرمة. عبد اللَّه بن عبد الرحمن بن صالح آل بسَّام، **عُلماء نجد خلال ثمانية قرون**، ج ٢، دار العاصمة، الرياض، ط ٢، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، ص ١٢١-١٢٨؛ حمد بن ناصر بن عثمانَ المعمري، **الفواكه العذاب فِي الرد على مَن لمْ يحكم بالسنة والكتاب**، مكتبة جامعة الملك سعود، قسم المخطوطات، مخطوط رقم ٣٩٨١/ ف/ ٨٧/ ١٧.

(١) **سليمان باشا** (١١٩٤-١٢١٧هـ/ ١٧٨٠-١٨٠٢م): ولد عام ١١٤٥هـ/ ١٧٣٠م. وحكم باشوية بغدادَ نحو ثلاثة وعشرين عامًا، وقد اشتهر بسليمان باشا الكبير. كان في بدء أمره مُتَسَلّم البصرة عام ١١٧٩هـ/ ١٧٦٥م، ثم نقل مِنْهَا ثلاث سنوات وعاد إليها عام ١١٨٥هـ/ ١٧٧١م، وقد أسره الفرس في هجومهم على البصرة عام ١١٩٠هـ/ ١٧٧٦م، وبقي أسيرًا في شيراز أربع سنوات، ولمَّا أطلق سراحه عاد إلى العراق، ونجح في استرداد البصرة مِن قبيلة المنتفق، وبمساعدة من بريطانيا تمَّ تعيينه في باشويَّة بغدادَ رسميًّا عام ١١٩٤هـ/ ١٧٨٠م، وكان عمره آنذاك فوق الستين عامًا، وقد قام تحت ضغط من الباب العالي بإرسال حملتين إلى الدرعيَّة: الأولى بقيادة ثويني بن عبد اللَّه شيخ المنتفق عام ١٢١٢هـ/ ١٧٩٧م والأخرى بقيادة الكخيا علي بيك عام ١٢١٣هـ/ ١٧٩٨م، وكان مصيرها الفشل، وقد رَدَّ الوهابيون نتيجة ذلك بهجمات على العراق نجحت في معظمها، وخلَّفت دمارًا شديدًا في المدن الجنوبيَّة. توفي في بغداد عام ١٢١٧هـ/ ١٨٠٢م. عَلي الوردي، **لمحات من تاريخ العراق**، ١/ ١٧٠-١٩٦؛ عمر عبد العزيز عمر، **المشرق العربي**، ص ١٩٨-١٩٩.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: شاء.

(٣) خرجت هذه الحملة مِن بغداد في ٢٢ ربيع الآخر ١٢١٣هـ/ ٢ أكتوبر ١٧٩٨م، بقيادة علي بيك، وصاحبها بعض القوات المتباينة من الأتراك، والأكراد، وعرب الخزاعل؛ واتجهت إلى البصرة فانضم إليها بعض عرب المنتفق، ثم اتجهت إلى الزبير، ومِن هناك انقسمت =

حَشر مِن كُلّ فارس بطل، وجَعل سر عسكره كَتْخُداه علي[1] القدر دام علاه، فسلك به المهامة والقفار، وسار في طلب المشرقي كَسَيْر الفلك السَّيَّار، بجنود أينما سَلكت مَلكت، وحيث ما حَلّت فَتكت، فوجدوا سعودًا قد خَيَّم بجنوده

= وسلكت طريقين: البر وفيه الفرسان، والبحر وفيه المشاة والمدفعية؛ فوصل الجميع إلى الأحساء وتعاون بعض الأهالي معهم، ولكن اتباع الوهابيين صمدوا أمامهم، وفشلت القوات في اقتحام حصن المبرّز التابع للوهابيين، وقد بدأت عوامل اليأس تتسرب إلى القوّات؛ حيث ظلّت حوالي تسعة أشهر منذ تحركها، واضطر علي بيك إلى الانسحاب مِن الأحساء، فتبعته بعض القوات الوهابية بقيادة سعود، ووقعت بينهما بعض المناوشات، ثم عُقِدَت المفاوضات، وانتهى الأمر بتوقيع الصلح بينهما. وعاد علي بيك إلى بغداد في صفر ١٢١٤هـ/ يونيو ١٧٩٩م. Harford Jones Brydges, An Account of the Transactions of His Majesty's Mission to the Curt of Persia in the years 1807-1810 to which is appended: A brief Histoy of the Wahhaby, London, 1834, P.P 17-27.؛ عثمان بن بشر، **عنوان المجد**، ١/ ٢٥١-٢٥٥؛ مؤلف مجهول، **لمع الشهاب**، ص ١٢٦-١٣٣؛ عبد الرحيم عبد الرحمن، **الدولة السعودية الأولى**، ٢٠٩- ٢١٥. وكان فشل الحملة سببًا في قيام الشريف غالب بتحريض الباب العالي على سليمان باشا، فقد اتهمه بالخيانة، وذكر أنَّه كان يستطيع تحطيم الدرعيَّة، ولكنَّه تقاعس بسبب أطماعه الخاصة. **دارة الملك عبد العزيز**، سجل ٢٣٩٦٣، ملف ١٠٤/ ١٦، وثيقة رقم ٣٢٦. والواقع أنَّ سليمان باشا لم يتقاعس عن الأمر بل بذل أقصى ما في وسعه لإنفاذ الحملة، ولعلَّ ذلك يتضح في تعليق الكركوكلي عليها: "إنَّ مَا جمعه الوالي سليمان باشا مِن الأموال وادخره مِن سنة أربعة وتسعين ومائة وألف [١١٩٤هـ/ ١٧٨٠م] إلى السنة الثالثة عشرة ومائتين وألف [١٢١٣هـ/ ١٧٩٨م] قد صُرِفَ كُلّه في سبيل هَذه الحملة، ومع كل هذا لمْ تأتِ بالثمرة المرجوَّة". رسول الكركوكلي، **دوحة الوزراء في تاريخ وقائع بغداد الزوراء**، نقله عن التركية: مُوسَى كاظم نورس، دار الكاتب العربي، بيروت، د.ط، د.ت، ص ٢١٠.

(١) **الكتخدا علي**: أحد القادة العسكريين لسليمان باشا الكبير وصهره، وقد أوصى له بالحكم مِن بعده، فتولي علي باشا الحكم عام ١٢١٧هـ/ ١٨٠٢م لمدة خمس سنوات، كانت مليئة بالقلاقل والاضطرابات، ويقال: إنَّه مَن دبَّر مؤامرة اغتيال الإمام عبد العزيز في الدرعيَّة. وقد تعرضت العراق في عهده إلى عدة هجمات قام بها الإمام سعود، وصدرت الأوامر مِن الباب العالي إليه بإعداد جيش قوي للتعاون مع والي الشام أحمد باشا الجزار لاسترداد مكة المكرمة مِن أيدي الوهابيين. مات علي بيك مقتولاً على يد بَعْض أعدائه من الكرج عام ١٢٢١هـ/ ١٨٠٧م. علي الوردي، **لمحات مِن تاريخ العراق**، ١/ ١٩٧-٢٠٧؛ **الأرشيف العثماني**، H.H 92/3784; H.H 3817; C.DAH 136

في بر أقفر، فلمَّا رأى هؤلاء الجنود علم أنَّ سعده خلى عن المنزلة وأصفر؛ فأحاط عليه بالأتراك والأكراد إحاطة الجَراد بالأَعْواد، وعندما حاصره أشَدَّ حصر، أمر جُنْده بحفيرة عليهم كالخندق تحفر، وهيهات هيهات إنْ تَمَكَّن مِن الفرار، ولو تَمَكَّن مِن الفرار لطار.

أَيْن الفرَار وَلاَ مَفَرَّ لِهَارِبِ
دَار الكُمَاة عَلَيْه كُلّ جهاته
يبغي النَّجَاة وَلاَ نَجَاة لِمِثْله
مِن ضيغم الهَيْجَاء فِي وثباته

وما زال في حفيرته أصير مِن ضب، وأحقر مِن كلب أجرب، فما وسعه بعد أنْ رأى الأمر عليه تَصَعَّب، إلا أنَّه أرشا محمد بيق[1] الشَّاوِي[2] لِيُفْسِد له العرب، ودفع له مالًا كثيرًا[3] بذل فيه الاجتهاد،

(١) كذا في الأصل، والصواب: بيك.

(٢) **محمد بيك الشَّاوِي**: محمد بن عبد اللَّه الشَّاوِي الحميري، من أمراء بادية العراق، ويتولى منصب باب العرب، وكان مِن الدهاة الفصحاء، وقد انتدبه سليمان باشا لمُصاحبة الحملة التي خرجت بقيادة الكتخدا علي بيك، لمحاربة الوهابيين عام ١٢١٣هـ/ ١٧٩٨م، والتي انتهت بصلح بين الباشا والوهابيين، ثم انتدبه الباشا في سفارة إلى الدرعيَّة، وبعد عودته اتّهم بالميل للوهابيين، وبأنَّهم: أغووه؛ وبعد وفاة سليمان باشا، تولى حكم بغداد الكتخدا علي باشا عام ١٢١٧هـ/ ١٨٠٢م أمر بخنق محمد الشَّاوِي وأخيه عبد العزيز، ودفنا قرب الموصل. عثمان ابن سند البصري، **سبائك العسجد في أخبار أحمد نجل رزق الأسعد**، تحقيق: حسن بن محمد آل ثاني، مركز حسن بن محمد للدراسات التاريخية، الدوحة، ٢٠٠٧م، ص ٧٤-٧٦، ٢٦٥-٢٦٨؛ خير الدين الزركلي، **الأعلام**، ٢/ ٢٤٢.

(٣) تذكر بعض المصادر أنَّ السبب الرئيس لفشل الحملة خيانة بعض القيادات المصاحبة لها، ومِنْها: شيخ المنتفق حمود بن ثامر، وإبراهيم بن ثاقب بن وطبان، ومحمد بيك الشاوي الذي كان مستشارًا للكتخدا علي بيك، وأنَّهم قد حصلوا على رشاوٍ مِن الأمير سعود. وقد ذكر ابن سند البصري أنَّ الشاوي بريء من هذه الخيانة، وأنَّ حمود بن ثامر هو أساسها، وأنَّه مَن خدع الكتخدا علي، فقال: «ومِمَّا يدل على أنَّه خدع؛ أنَّ حمود بن ثامر أبى المصالحة إلا أنْ يعطيه الكتخدا كتابًا بأنَّ الصلح كان على غير اختياره، وقد رُمي في ذلك محمد بن شاوي وهو بري». =

حتى أدار له في العُرضي الفساد، فلم يفطن علي بيك إلا وعُرضيه مفسود، فركب نجايب[١] السرى ولم يطب له القعود، ولمَّا كانت مُدَّة الشقي باقية كانت الرشوة له واقية.

[سعود في الحج]

وفي سنة ١٢١٤ [٢] حج سعود بن عبد العزيز، ومعه أقوامه مِن الخوارج كأمثال رمال عالج، حتى ملوا[٣] أرض مكة وجبالها وهضابها ورمالها، ثم بعد إتمام الحجة والوقوف، رموا الجمار على قرينهم وشيطانهم، وأحلوا أطمار أبدانهم، ونزل إلى مكة ليسعى ويطوف، فاجتمع بصاحب الترجمة في خيمة ضربت لهُمَا بالأبطح. وفي الثامن والعشرين من ذي الحجة الحرام[٤] وَلَّى دُبُره لرعيته، وتَوَجَّه أمامهم لِدرْعِيَّته، وحج أيضًا سعود في العام الثاني، وهو عام خمسة عشر سنة ١٢١٥ [٥]، وجمع الجند العظيم مِن عُصابة البغي والشر، فَقَدَّم حمد بن ناصر بِهَدِيَّةٍ لصاحب الترجمة، فقبلها وقابله بِمَا يليق بجنابه / ق١٩٨/ وأكرمه، وهي خمسة وثلاثون راسا[٦] مِن الخيل المضمرات، وعشرة[٧] مِن النوق العُمَانِيَّات.

وقد تقَدَّم لك آنفًا أنَّ حضرة الشريف قد شَيَّد مداخل مكة بالأبراج، وأرسل للقبايل[٨] يستدعيهم مِن جميع الفجاج، حذرًا مِن ذلك الملعون

= مؤلف مجهول، لمع الشهاب، ص ١٣٠-١٣٣؛

Louis Alexandre Olivier de CORANCEZ: Histoire des Wahabis, depuis leur origine jusqu'à la fin de 1809, de l'imprimerie de Crapelet. A Paris, 1810, p.26.

(١) كذا في الأصل، والصواب: نجائب.

(٢) سنة ١٢١٤هـ/ ٤ يونيو ١٧٩٩ - ٢٣ مايو ١٨٠٠م.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: ملأوا.

(٤) ٢٨ ذو الحجة ١٢١٤هـ/ ٢٢ مايو ١٨٠٠م.

(٥) سنة ١٢١٥هـ/ ٢٤ مايو ١٨٠٠ - ١٢ مايو ١٨٠١م.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: رأسًا.

(٧) كذا في الأصل، والصواب: وعَشْرٌ.

(٨) كذا في الأصل، والصواب: للقبائل.

والفاجر الخوان؛ فأرسل لقبايل[١] حَرْب وأهل الحرَّة بني عبد اللَّه، وسليم، ومعبد أهل الحرب والضرب، وأرسل لبني سليم، وعُمَرَيْن[٢]، وزَهْرَان، وكافة أهل اليمن، فوصلوا مع وزير القُنْفُدَة، ومعهم أهل الشَّاقَّة أشراف بني حسن، وأرسل لبني سعد، ونَاصِرَة[٣]، وبَجِيْلَة[٤]، وكُلّ مَن في جهاتهم قبيلة بعد قبيلة، وأرسل لثقيف، وهُذَيْل اليمن والشام، وأرسل للجَحَادِلَة، وعُقَيل، وشُعْبَة[٥]، وبني سُفْيَان[٦]، فلبت لدعوته كذلك خُزَاعَة[٧]، ولِحْيَان[٨].

وعلى كُلّ حال، فإنَّه لم يترك قبيلة إلا وطلبها واسْتَدْنَاهَا وقَرَّبها،

(١) كذا في الأصل، والصواب: قبائل.

(٢) **عُمَرَيْن**: مِن العشائر التي تسكن شرق الليث في أودية العرج، وحقال، وما حول إضم. ومِن فروعها: العصمان، والزهارنة، والمذارعة، والمعالية، والثُّوَرَة، والفُقَهَاء. حمد الجاسر، **قبائل المملكة**، ص ٥٦٤.

(٣) **نَاصِرَة**: مِن بلحارث (بني الحارث)، واحدهم نَاصِري. وينقسمون إلى: الحُسْكان، والشُّعَيْثُ، المُوسى. ومِن بلادهم وادي ميسان جنوب الطائف، يجاورن بني سَعْدٍ. حمد الجاسر، **قبائل المملكة**، ص ٨٣٦.

(٤) **بَجِيْلَةُ**: حي عظيم نسبوا إلى أُمهم بَجِيْلَة،وتفرع منهم عدة بطون منها: قسر، وعرينة، كان موطنهم سروات اليمن والحجاز؛ أي جنوب الطائف إلى تبالة ثم غربًا إلى حَلْية، وأسلم، وحقال. عاتق البلادي، **معجم قبائل الحجاز**، ص ٣٤-٣٥.

(٥) **شُعْبَة**: بطن من كنانة، تقع ديارها جنوب مكة على خمسين كيلاً ثم تمتد جنوبًا إلى الليث على جانبي الطريق، وتنقسم إلى: الجحادلة، وعضل، ورحمان، والزنابحة، والجُبَرَةَ، وبني شهاب، تجاورهم من الشرق قبيلتا هُذَيْل وفهم، وفي الشمال خزاعة البر و هُذَيْل أيضًا. عاتق البلادي، **معجم قبائل الحجاز**، ص ٢٤٧.

(٦) **بني سُفْيَان**: مِن قبيلة ثقيف، ديارهم في سراة الطائف، وتعرف بشفا بني سُفْيَان. وينقسمون إلى: آل حجة، آل ساعد، آل عائشة، بني عمر، آل حرجل. عمر رضا كحالة، **قبائل العرب**، ١/ ١٤٧-١٤٨.

(٧) **خُزَاعَة**: قبيلة عدنانية، ويقيمون في وادي فاطمة، والخبيث بالقرب مِن القُنْفُدَة، والزُّواك الواقعة إلى الشرق الجنوبي من بَحْرَة، والصِّيم. عمر رضا كحالة، **قبائل العرب**، ١/ ١٠٨؛ عاتق البلادي، **معجم قبائل الحجاز**، ص ١٣٥ وما بعدها.

(٨) **لِحْيَانُ**: مِن «بني» من المُسْوِدَة، من قبيلة هُذَيْل، ينقسمون إلى: محرز، ومرير. ومنازلهم بين مكة ومَرِّ الظهران وسَرِف؛ وتُسَمَّى اللحْيَانِيَّة. حمد الجاسر، **قبائل المملكة**، ص ٦٩٠.

لعلمه أنَّ ذلك الخاين[١] الجحود، لا يثبت على قول ولا تحفظه المواثيق والعهود، وما زالت القبايل[٢] تتواصل وتسرع لساحته حتى تتكامل، فعرضوا جميعًا عليه وتمثلوا بين يديه، فرتب لهم المصاريف، وأنعم عليهم بظل عيش وريف، وجمع الجنود والعساكر، وفَرَّق الأرزاق والذخاير[٣]، فعمد إلى الأبراج وتَرَّسَها ومداخل مكة فحفظها وحرسها، وكل ذلك تحسبًا لغدره وحذرًا لخديعته ومكره؛ لأنَّه يعلم أنَّه لا ينزل على بلدة إلا أفسدها ومحا رسمها وبدرها، حيث لا يلزمه عهد ولا ميثاق، ولو خرّ على راسه[٤] مِن السبع الطباق.

ولمَّا وصل الحج الشريف مِن الشام، وقبل الركن والمقام، حج به صاحب الترجمة لا زال حسن السمة، فوجد سعود[٥] قد أناخ بأرض عرفة ومعه الألوف المؤلفة، فَخَمَّن على عددهم مِن خوصهم، وعرف أنَّهم يزيدون على عشرين ألف، ثم بعد أنْ حج حجاج المسلمين ووقفوا، وغفر لهم الذنوب الذي أسرفوا، ونزلوا بالمشعر الحرام، وبالخَيْف[٦] ضُرِبَت لهم الخيام.

[وقوع فتنة في مكة بين عُربان الشريف والسلفيين]

وفي اليوم الثاني عشر[٧]، وقعت ملحمة بين عُربان الشريف وقوم سعود، واستمر بينهم رمي الرصاص والبارود، فما زال الشريف يمنع عنهم جميع العُربان، ويذب عن قتالهم بصارم وسنان، وما زال يقرع عن قتالهم بَوَادِيه،

(١) كذا في الأصل، والصواب: الخائن.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: القبائل.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: الذخائر.
(٤) كذا في الأصل، والصواب: رأسه.
(٥) كذا في الأصل، والصواب: سعودًا.
(٦) **الخَيْف**: خَيْف بني كِنَانة، وهو موضع في مِنَى، وبه مسجد الخَيْف. عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ص ٥٩٠-٥٩١.
(٧) ١٢ ذو الحجة ١٢١٥هـ/ ٢٥ إبريل ١٨٠١م.

لكونهم جاوا[1] في وجهه وأناخوا بِوَادِيه، ولو أرادوا قتالهم واستيصالهم[2]؛ لصال عليهم قتلاً / ق١٩٩/ وسلبًا، ولشَتَّتهم شرقًا وغربًا، لكن منعته الحمية الهاشميَّة والشيمة النبويَّة، فكف عنهم أَكُفَّ القتال، ومنع ما نزل بهم مِن خيبة ووبال، ووقع يومها الجري في الأسواق، وقبضوا على كثير مِن جماعته بالأطواق، حتى اتصل الجري إلى مكة ولكل ناحية وسكة، ونزلت الناس مِن مِنَى قبل الزوال، وقلدوا لأجل الفتنة والازدحام أضعف الأقوال. وفي اليوم السابع عشر[3] تَوَجَّه سعود إلى الشرق.

[السلفيون واليمن]

اعلم أنَّ أوَّل ظهور الفتن في إقليم اليمن[4]، انحدار هذا الدين مِن الحجاز حتى استقر في تهايمه[5]، وانحاز وابتدأ في هذا الإقليم إلى قرية يقال لها: الرِّيْش[6]، أهلها مِن همج العرب في غرور وطيش، وشيخ هذه القبيلة رجل أحمق، عليه مِن اللَّه تعالى ما يستحق، يسمى معدي بن شار[7]، وهو الذي أغراهم على الدين وأشار، فلمَّا دين دينه القبيلة بأسرها، وسيظهر عاقبة

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: جاءوا.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: استئصالهم.

(٣) ١٧ ذو الحجة ١٢١٥هـ/ ٣٠ إبريل ١٨٠١م.

(٤) لقد انفرد مؤرخنا ابن عبد الشكور، فيما يسوقه من أحداث تتعلق بانتشار الدعوة الوهابية في اليمن، وبخاصة في المنطقة المذكورة من تهامة، والتي كانت تعد وقتئذ جزءًا جغرافيًا من إقليم اليمن، ولكنها كانت تتبع سياسيًا سلطة شريف مكة، كما سيتضح من سياق الأحداث، ولذلك سوف يتولى الدفاع عنها، والوقوف ضد الدعاة الوهابيين الذين سيظهرون في هذه المنطقة، ولم أجد فيما بين يدي مِن مصادر مَن ذكر المعلومات التي أوردها ابن عبد الشكور، الأمر الذي يُعدّ انفرادًا له دون غيره.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: تهائمه.

(٦) **الرِّيْش**: تقع في تهامة، غرب بلاد بَالأَسْمَر، إلى الشمال الشرقي مِن مُحَايِل. يحدها شمالاً بارق وجنوباً آل مُوسى وبَنُو ثوعة، وشرقًا رجال الحَجْر، وغربًا آل مُوسى. رضا كحالة، **معجم بلاد العرب**، ٢/ ٤١٤؛ صلاح هريدي، **عسير تحت الحكم العثماني**، ص ١٠٦-١٠٧.

(٧) **معدي بن شار**: معدي بن شار آل مخالد، شيخ مُحَايِل، أحد أتباع الدعوة الوهابيَّة في هذه المنطقة.

مكرها، ومِنْهم ظهرت الفتنة، وامتحنت أهل اليمن بهذه المحنة.

[غزوة على السلفيين مِن قبيلة الرِّيْش]

فلم يسع ذو[1] الهُمة العليَّة، وطراز العصابة الهاشميَّة، وواسطة عقد السلسلة المصطفويَّة، التغاضي على الأمور الدينيَّة لمَّا بلغه ما بلغ، وأنَّ الكلب في هذا الإناء قد ولغ، أرسل كتابًا لوزيره في القُنْفُذَة، وهو أحد الشجعان المعدود يوم الطعان عنه وقع المهند والسنان المُكَرَّم أبو بكر ابن عثمان، وكان عنتر زمانه، أو عمرو بن معدي يكرب يوم نزاله وطعانه، وأمره أنْ يجمع مِن الميرة والذخاير[2]، ما يكفي لكلّ عدو جاير[3]، ويجمع مِن القبايل[4] كُلّ هُمام صايل[5]، ويجمع العسكر الذين هم في رتب درب اليمن ما قطن مِنْهم وظعن، ويتَوَجَّه لقتال معدي بن شار، ولا يترك في داره دَيَّار[6].

فامتثل هذا الهُمَام خطاب أميره، وسلك بحسن رأيه وتدبيره، وجمع مِن قبايل[7] اليمن كالغيث إذا هتن، ومِن الذخاير[8] ومَهَمَّات النضال كأمثال الجبال، ثم تَوَجَّه على معدي بن شار وجماعته الأشرار، حتى إذا وصل إلى أرضه وخَيَّم فيها بطوله وعرضه، وصَمَّم على استباحة ماله وعرضه وبرحيله ونقضه؛ فخرج لقتالهم معدي بِمَن لديه مِن البُغاة، والمردة الفجرة الذين / ق٢٠٠/ أباحوا ما حَرَّم اللَّه.

فحصل بينهم القتال، وصار الحرب لدى الأبطال سجال[9]، يكرون

(١) كذا في الأصل، والصواب: ذا.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: الذخائر.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: جائر.
(٤) كذا في الأصل، والصواب: القبائل.
(٥) كذا في الأصل، والصواب: صائل.
(٦) كذا في الأصل، والصواب: دَيَّارًا.
(٧) كذا في الأصل، والصواب: قبائل.
(٨) كذا في الأصل، والصواب: الذخائر.
(٩) كذا في الأصل، والصواب: سجالًا.

ويفرون، ويقدمون ويحجمون، واستمر بينهم النزال، وطارت مِن قسيها النبال، ورويت السيوف مِن الحتوف، ومالت الصفوف على الصفوف، فعند ذلك حمي الوطيس، ومال الخميس[1] الهاشمي على الخميس، فسكنت الزماجر بعدما علت، وتكلمت السيوف وكملت، ووزير الشريف يميس كالثمل، ويجرح الجراحات التي لا تندمل، فخاضت في أكُفّه السيوف وهي ذكور، وترك جيفهم طعامًا للعقبان والنسور.

ولمَّا هرم النهار وكادت الشمس أن تنهار، جاء نصر اللَّه والفتح، وزان في ظهورهم الطعن والقدح، فطحنوا العدو طحنًا، وأشبعوهم مِن وخز الرماح طعنًا، وحملت الفرسان بالصارم والسنان، حتى اعتنقت بعَصَايب[2] الشيطان، وفَرَّت أكابرها بمران، ونزع السيف ما في صدورهم مِن غلٍ إخوان[3]، وتعانقت الرقات المرهفات بالرقاب، وبلغت الروح الحناجر وتقطعت بهم الأسباب، فولوا على أعقابهم مُدبرين، وكان علينا نصر المؤمنين.

فملك الوزير ما في واديهم، ثم أضرم بنار السعير ناديهم، وركب مطيَّة الفرار مَن سلم مِن المهند البتَّار، وخلى مِنْهم المراح وتَشَتَّتُوا في المهامه والبطاح.

[غزوة على السلفيين مِن بني كِنَانَة]

ثم عاد وزير الشريف إلى القُنْفُذَة، بعد أنْ نظم عقد الفخار ونضده، فما أقام الوزير إلا برهة مِن الأيام في البلاد، حتى بلغه أنَّهم عادوا وتجمَّعوا للفساد والإفساد، وصاروا يرسلون لأهل تلك الأطراف مِن الطغاة والأجلاف، فدخل في دينهم كثير مِن أهل تلك الأراضي، وجفن الزمان عنهم مُتغاضي، ولا بُدّ للزمان مِن صحوة يسحتهم في ضحوة، فاجتمع كُلّ فاسق وسارق، مِن أهل

(١) **الخميس**: اسم من أسماء الجيش. **المعجم الوسيط**، ص ٢٥٦.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: بعَصَائب.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: إخوانًا.

الرِّيْش وبَارِق[١]، وصاروا يغزون بقية العُربان، ويهددون مَنْ لم يطعهم بمهند وسنان، فعند ذلك أرسل الوزير بكري بن عثمان، وعَرَّف صاحب الترجمة بهذا الشأن؛ فقام لها بقوة هاشميَّة وحمية همة مُعتصِميَّة، وجهز عليهم هذه القرية صاحب الترجمة دام علاه، سرية مِن بني عمّه السادة السراة.

[ثقال][٢] إِذَا غَاروا خفَافًا إِذَا عدوا
كَثِيْرًا إِذَا لاَقُوا قَلِيْلاً إِذَا عُدُّوا

سادة حيادر، وأسود كواسر، رجال لا يملون مِن / ق٢٠١/ قتال، لهم يوم الوغا وقع السنان، وأمدَّهم بالمراجل والعساكر، والذخاير والعشاير[٣].

وأمَّرَ على هذه الغزية ليث العرين يوم الصدام، والفارس البطل المقدام، المجلى لدى الهيجاء يوم النوائب، والباتر رقاب أعاديه بالبيض القواضب، المتنمر يوم الجلاد، المقتفي طريقة الآباء والأجداد، سلالة السادة الأطايب السيد منديل بن أبي طالب؛ فتَوَجَّه هذا الهُمام بِمَن لديه مِن الأقوام حتى وصل إلى القُنْفُدَة، واجتمع بوزيرها وشاهد دق زيرها، ثم تَوَجَّه يجد السير إلى قوز أبي العير[٤]؛ فأقبلت عليه قبائلها، وقال بقوله قائلها، متمثلين

---

(١) بَارِق: تقع هذه المنطقة في ساحل تهامة، على مسافة ١٥ ميلًا شمال مُحَايل، وطولها ٢٠ ميلاً مِن الشمال إلى الجنوب و٣٠ ميلاً من الشرق إلى الغرب، يحدها مِن الشرق قبائل نعص، وبقرة، وأثرب مِن تهامة بني شهر، ومِن الغرب مشرف والقوز والحبيل فالبحر الأحمر، ومِن الشمال قبيلتا مملح والمجاردة وبنو عمرو تهامة، ومِن الجنوب الغربي وادي حلي، ومِن الجنوب الشرقي وادي بقرة فالمشول مِن عسير. ويتألف أهل بارق مِن قسمين أساسيين: آل آعَلْي، وآل حُمَيْضَة. عمر رضا كحالة، **معجم قبائل العرب**، ١/ ٥٨؛ عمر غرامه العمروي، **المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية: بلاد بارق**، وزارة المعارف، د.م، ط٣، ١٤٠١-١٤٠٢هـ/ ٢٠٠١-٢٠٠٢م، ص ٤٥-٥٤.

(٢) ساقطة مِن الأصل، والإضافة مِن النسخة (ب)، ورقة ١٥٧.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: الذخائر والعشائر.

(٤) قوز أبي العير: تقع في تهامة، من الجنوب الشرقي لِلْقُنْفُدَة.

لمَا قال، مُطيعين له سلمًا وقتال[١]، فعرضت عليه بَنُو يعلى[٢] وبَنُو زَيْد[٣]، ثم عرض عليه رَحْمَان، وزُبَيْد[٤]، ثم أقبل عليه المشايخ والخيرة؛ فتفايل[٥] بحصول الخير لتحمد سيره، فغزا على كِنَانَة[٦] ونثل في أكبادهم كفانه، ونصره اللَّه تعالى عليهم وأعانه، حتى أروى مِن دمايهم[٧] مهنده وسنانه، ولمَّا قتل مِنْهم هذه القتلة الشنيعة، ورجعوا لقيله عن الدين سامعة مُطيعة، فتَوَجَّه بكل خير إلى قوز أَبي العير.

[غزوة على السلفيين مِن أهل حَلْي]

وفي هذه الأثنا[٨] وهبت أهل حَلْي[٩]، وتظاهروا على الناس تظاهرًا جلي[١٠]، وصاروا مِن جملة المُتمردين المُتعصبين لهذا الدين، ولمَّا بلغ

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: قتالًا.

(٢) بَنُو يعلى: مِن قبيلة كِنَانة. وديارهم بين وادي يبه والقوز. وينقسمون إلى: العوامر، والحسنة، والكدسة، والمواجدة، بني سحار، الزعالقة، المداوسة، العمشان، المحاميد، والمباريك، والمساعرة. حمد الجاسر، **قبائل المملكة**، ص ٣٢٠.

(٣) بَنُو زَيْد: مِن فروع قبيلة أَلْمَع، مِن عسير تهامة. ومنازلهم على ضفاف وادي حِسوة، في الجنوب الشرقي مِن بلدة الشُّعْبَيْنِ بنحو عشرة أكيال. حمد الجاسر، **قبائل المملكة**، ص ٣٢٠؛ عمر رضا كحالة، **قبائل العرب**، ٢/ ٢٨٩.

(٤) زُبَيْد: إحدى القبائل المنفصلة عن حرب، تقع ديارها إلى شمالي القُنْفُذَة، وينقسمون إلى: آل ضِيْر،و بنو زَبدة، وآل سَعيدَة، آل إملِحي، بنو عُتْمة، الصَّلاعبة، والدَّفْرة، والمُشْعَف، وآل جَميل، وجَدرامة، وعَحيلين. عمر رضا كحالة، **القبائل العربية**، ٢/ ٤٨١.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: فتفاءل.

(٦) كِنَانَة: من بني يوس (أوس)، مِن زَهْرَان، ومِن قراهم في سراة زَهْرَان: المَتْدَقُ، ومُسَيِّر، والنصباء. وفي تهامة: وادي شمران. حمد الجاسر، **قبائل المملكة**، ص ٦٨٤.

(٧) كذا في الأصل، والصواب: دمائهم.

(٨) كذا في الأصل، والصواب: الأثناء.

(٩) حَلْي: بلدة تقع إلى جنوب القُنْفُذَة، وتعرف بـ: حَلْي ابن يعقوب نسبة إلى أحد ملوك اليمن الذي سكنها، وبها ميناء جنوب ميناء القُنْفُذَة، بحوالي ٥٤ كم، وكانت من أهم محطات طريق الحج اليمني. سميرة بنت مبارك، **موانئ تهامة ومراسيها**، ص ٦٩-٧٢.

(١٠) كذا في الأصل، والصواب: جليًّا.

صاحب الترجمة زاده اللَّه تعالى تبجيل[١]، أرسل غزية أخرى تُعِيْن السيد منديل[٢]، وفيما يظهر أنَّه باب لا يمكن سدّه، وبحر مِن الفتن لا يعرف غايته وحده، كيف لا وقد ملئت جزيرة العرب، وعدت الناس بعضها بعضًا بهذا الجرب، وملئت مِن هذه الفتنة البطاح، وكُلَّمَا اندمل جرح سالت جراح، فعسى اللَّه تعالى يأْذن بالنجاح والفتح المُبين، وينصر عليهم كما نصر على القوم الكافرين.

قد تقَدَّم لك آنفًا شروع هذه الفتن في إقليم اليمن، وبيع النفوس بغير ثمن، وتطاير شررها في الوهاد والفتن، وبدت تمشي كالنار في خفراء الدّهن، وذلّ لها كُلّ عزيز وامتهن، وما هي إلا فتنة فتنة ومحنة وأيّ محنة، ونار لا يمكن طفيها[٣]، وشقة شر يتعذر فيها كُلَّمَا أريد طفيها[٤] زادت لهبًا، ولا يُمْكن إصلاحها ولو أنفقت ما في الأرض ذهبًا، لكن على ذي الهِمَّة السعي في التدبير، والأخذ في الأسباب / ق٢٠٢/ ولو لم تسعده المقادير، ومع هذا قد انعقد الصلح بين صاحب الترجمة وبين سعود، وارتبطت بينهم المواثيق والعهود، لكن هذا الشقي لا يثبت على ميثاق، ولا يتم معه لزوم ولا وفاق؛ فشرع يراسل أرباب الفساد في كُلّ ناد، ويسلك طريق البغي دون الرشاد، وأرسل لشيخ مُحَايِل معدي بن شار، وأغراه إلى ما أغراه ذلك الغدار، ثم أرسل لأحمد بن زاهر شيخ بَارِق فكان له مُسَاعد ومُوافق[٥]، فلمَّا دين بَارِق ودينت أهل حلي، زهد كُلّ فاجر في الدين الحنيف وسلى، وبدا ظلام هذا الدين في ذلك الإقليم، وتَجَرَّع كُلّ زنديق مِن كاسه[٦] الوخيم؛ حيث إنَّ هذا الشقي المارق استطالت يده على جميع الدُّوَل والعُربان، ولم يجد له منابذًا

(١) كذا في الأصل، والصواب: تبجيلًا.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: منديلًا.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: طفئها.
(٤) كذا في الأصل، والصواب: طفئها.
(٥) كذا في الأصل، والصواب: مُسَاعِدًا ومُوافقًا.
(٦) كذا في الأصل، والصواب: كأسه.

غير هذا الشريف سلالة ولد عدنان، حتى أذهب في قتاله رجاله، وأضاع خزائنه وأمواله، فعسى اللَّه الكريم أنْ يمده بنصره، وينصف ما بقي مِن عمره.

وأمَّا دولة آل عثمان فقد صارت عنده نسيًا منسيًّا، واتخذها خلفه ظهريًّا، فإنَّه شرع يملك في بلدانها، ويهلك أكابرها وأعيانها، ولم يعبأ بالدولة العليَّة، ولا يجعل لها مزيَّة، فقد نهب المشهد[1]، وقتل فيه ألوفًا مِن أهله بمحضر ومشهد، ثم استأصل الطايف[2] وقتل جميع مَن فيه، وقتل أغلب العُربان التي تليه، ثم لم يكفه حتى وصل إلى ما وصل، وفعل فعلته الذي[3] فعل بمكة والمدينة، وما أذاق ساكنيها مِن الأفعال المُهينة، مع أنَّهما عينا الدنيا، وخير مَمَالك الإسلام، ومهبط الوحي، وضريح سيد الأنام؛ فيهما سيِّد البشر والحطيم والحجر، وفضلهما لا يحصر، وهذا الشقي غير مكترث بدولة آل عثمان ويظنها كقبيلة مِن العُربان وستظهر سطوتها لهذا المغرور، حتى يرى عجايب[4] المقدور، والأشياء مرهونة بأوقاتها، فإذا جاء وقتها برزت عرايسها[5] مِن مُخَدَّرَاتها.

ثم إنَّ صاحب الترجمة جَهَّز سرية قوية، وسراة قساورة هاشميَّة، جمع

---

(١) نهب المشهد: يقصد به مشهد الحسين بن علي - رضي اللَّه عنهما - في كربلاء العراق، فقد تَوَجَّه الأمير سعود بحملة على العراق؛ وقامت بالهجوم على كربلاء في ١٨ ذي الحجة ١٢١٦هـ/ ٢٠ أبريل ١٨٠٢م، وهذا اليوم يوافق عند الشيعة «عيد الغدير»، ودخلت المدينة، وقتلت العديد من أهلها، وهدمت القبة الموضوعة على مشهد الحسين، وغنمت مغانم كثيرة، ثم تَوَجَّهت الحملة إلى بلدة النَّجف، ولكنَّها فشلت في دخولها، فانسحبت بقيادة الأمير سعود إلى الدرعيَّة، وقد أثارت هذه الحملة على العتبات المقدسة الشيعية ضجَّة كبرى في العالم الإسلامي، وتوعَّد الشاه الفارسي بحملة لإبادة الوهابيين في نجد. للمزيد انظر: عثمان بن بشر، **عنوان المجد**، ٢١٤-٢٢٨، ٢٥١-٢٥٥، ٢٥٧-٢٥٧؛ الشيخ رسول الكركوكلي، **دوحة الوزراء**، ص ٢٠٤-٢١٠، ٢١٦-٢١٧؛ علي الوردي، **لمحات تاريخ العراق**، ١/ ١٨٨-١٩٣؛ ديلك قايا، **كربلاء فِي الأرشيف العُثْمَانِي (١٨٤٠-١٨٧٦م): دراسة وثائقية**، نقله عَن التركية: حازم منتصر، مصطفى زهران، تقديم: زكريا قورشون، دار العربية للمَوْسُوعات، بيروت، ط ١، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٨م، ص ٣٥-٣٦.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: التي.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: عجائب.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: عرائسها.

فيها كثيرًا مِن الرجال، وأمَدَّها بضياغم أبطال، وأرسل لزُبَيْد قوم رومي بن عَسْم فنالوا بحظّه أوفر قسم، ووصلوا مكة على ظهور الركاب، وتَلَقَّاهم بالضيافة والترحاب، ونزلوا بالزاهر الزاهي وأقاموا / ق٢٠٣/ به ثلاثة أيام على إعزاز وإكرام، وأعطاهم جميع ما يحتاجونه مِن الذخاير(١)، وأمَّر عليهم السيد ناصر بن سليمان في كلاءة الرحمن، ونزل بهم السَّعْدِيَّة(٢) تحت ظلال المثقفة الرُّدَيْنِيَّة، وأقام بها بياض يومه ونزل على البيضا بقومه، ومِنْها للخضر حثها حثيث(٣)، ولم ينخ العِيْس(٤) إلا بواد اللِّيْث(٥).

ولم يزل ينتقل مِن منزل إلى منزل، ويفتل في رمل الفيافي ويغزل، حتى أناخ بقرية حلي، وعذب له المنهل وحلة، فوقع الصدام وارتفع القتام، ونادى على الأرواح داعي الحمام، فيا لها ملحمة عظيمة، ذهبت فيها نفوس كريمة، وكرت عليها الصافنات الجياد، وحالت في آجالهم طعنًا وجلاد(٦)، وما زالت الكُمَاة تفتك في البغاة وقعًا بالسلاح، حتى كرت في ظهورهم الرماح، وسال النَّجِيع القَانِي(٧) مِن الجراح، وزهقت مِن الأشقيا(٨) نفوس وأرواح، فأراح اللَّه تعالى مِنْهم المسلمين، ووَلُّوا على أعقابهم مُدبرين، وشهد بفضل السيد ناصر كُلّ بادٍ وحاضر، وأخذوا مِن البقر، والغنم، والرقيق، ما يزدحم بسيره الطريق،

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: الذخائر.

(٢) السَّعْدِيَّة: محطة للحاج أسفل وادي يَلَمْلَم، على مسافة ١٠٠ كيل جنوبي مكة المكرمة، وهي ميقات أهل اليمن لِمَن أتى على الطريق التهامي، سُكَّانها مِن الجَحَادِلَة مِن بني شُعْبَة. عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ص ٨١٢.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: حثيثًا.

(٤) **العِيْس**: الإبل التي يخالط بياضها شيء مِن الشقرة. **المعجم الوسيط**، ص ٦٢٣.

(٥) **وادي اللِّيْث**: وادٍ فحل كثير القرى، يأخذ ماءه مِن السراة الواقعة جنوب الطائف، ويصب في البحر الأحمر عند ميناء اللِّيْث، وله روافد كثيرة، ويسكنه قبائل كثيرة مِن حرب، وكِنَانَة، وبجالة، وبني زيد، وغيرهم. عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ص ١٤٨١؛ سميرة بنت مبارك، **موانئ تهامة ومراسيها**، ص ٥٨.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: جلادًا.

(٧) **القَانِي**: شَدِيدُ الحُمْرَةِ. **المعجم الوسيط**، ص ٧٦٠.

(٨) كذا في الأصل، والصواب: الأشقياء.

وأخذ بعض العسكر سبيًا مِن أولاد ذلك الفريق، وباعوهم بمكة بيع الرقيق، ثم بعد أنْ تم للسيد ناصر ما تم، وكان لمعانده حزن ومأتم، تَوَجَّه بجنوده وتَوَجَّه السيد منديل معه إلى مكة المشرفة، ودخلوا مكة سابع عشر رمضان سنة ١٢١٦[١] بالصحة والسلامة، ونالوا مِن مرسلهم عِزًّا وكرامةً، وقد رجع أهل حلي عن الدين، وجاوا[٢] مع القرآن لصاحب الترجمة مُطيعين.

اعلم أنَّ السيد ناصر[٣] والسيد منديل[٤] حين قدما على صاحب الترجمة، أنعم على كُلّ مِنْهما وأكرمه، ودخلوا بالغنايم[٥] مسبوقة، ورقاب الأعادي مدقوقة، وصحبوا مشايخ حلي مُطيعين، خرجوا مِن دين ذلك اللعين، فلمَّا مثلوا بين يديه، وانطرحوا بالأعتاب العالية لديه، استسمحوه فيما صنعوه مِن جناية، وزعموا أنَّها كانت مِن الشيطان غواية، قائلين: قد رجعنا عن الدين الرثيث، ورفضنا طاعة الخبيث، فأرسل معنا جيشًا نحن عسكره، يُقِيم بأرضنا نؤويه وننصره، وأمّر علينا مِن بني عمك ذا رأي / ق٢٠٤/ وشجاعة، ونحن أتباعه وأوَّل مَن أطاعه؛ فأمَّر الماجد الهُمام والأسد الضرغام، والفارس المقدام، وطاعن الخيل يوم الصدام، السيد السند الهُمام المعتمد عَزّ الذليل مولانا السيد منديل، وأنعم على مشايخ حلي بأفخر الملابس، وعطف عليهم إجلالاً وتقديس[٦]، وأرسل معهم السيد منديل مِن جملة الجيوش، وبيض أكفهم بالأحمر المنقوش، فتَوَجَّه بهمة هاشميَّة وعزمة قويَّة حتى أناخ بحلي، كجلمود صخر حطه السيل مِن علي.

[بناء سور حول مدينة حَلْي]

فلمَّا أقام به رأى بنظره العالي، أنَّ هذا البَنْدَر لا يحفظه إلا سور يستدير

(١) ١٧ رمضان ١٢١٦هـ/ ١٠ يناير ١٨٠٣م.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: جاءوا.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: ناصرًا.
(٤) كذا في الأصل، والصواب: منديلًا.
(٥) كذا في الأصل، والصواب: بالغنائم.
(٦) كذا في الأصل، والصواب: تقديسًا.

عليه، ويحفظه مِن العدو متى وصل إليه، فأرسل لصاحب الترجمة وعرَّفه بِمَا رآه، ففوض له الأمر ببناه[١] فبناه، وأمره أنْ يضع فيه الخزاين والذخاير[٢] لعدو يفاجيه[٣] غادر.

[السلفيون يستولون على مدينة حَلْي مِن الأشراف]

ولمَّا تم له ثمانية أشهر، بلغ السيد منديل[٤] أنَّ الوهابيين مقبلون للقتال، على راس[٥] فاجر ختّال، وقد أرسلوا لشيخ حلي واستمالوه فمال، وصاروا يتراسلون بالكتب يمينًا وشمال[٦]، فتم بينهم الكلام، وانعقد على أنَّهم متى خرجوا لقتالكم نمنعهم عن الدخول إلى البلد، فلمَّا أقبل الوهابيون في الكثرة كالنشر، وأميرهم يدعونه بـ: حَشر[٧]، فعند ذلك أخرج السيد منديل لقتالهم أغلب المراجل، وبقي بنفسه في البلد ومعه نحو خمسين مقاتل[٨]، فجالت الخيول في ذلك المضمار، وركض كُلّ فارس على العدو وأغار، فعجعج نقع الميدان، وزان ضرب العيدان.

وما زالت الأسنَّة ببعضها مشتبكة، ودم القتلى يسيل بتلك المعركة، حتى حمي الهجير، وقتل مِن الجانبين جَمّ غفير، ثم صالت جنود الشريف زادها اللَّه تعالى ثباتًا ووفاق[٩]، على الأعراب وهم أشد كفرًا ونفاق[١٠]، فانهزم الوهابيون عن خديعة وغرر قد جعلوا لهم كمينًا يقفو الأثر، ولمَّا

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: ببنائه.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: الخزائن والذخائر.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: يفاجئه.
(٤) كذا في الأصل، والصواب: متديلًا.
(٥) كذا في الأصل، والصواب: رأس.
(٦) كذا في الأصل، والصواب: شمالًا.
(٧) مِن مشايخ قبيلة قَحْطَان.
(٨) كذا في الأصل، والصواب: مُقاتلًا.
(٩) كذا في الأصل، والصواب: وفاقًا.
(١٠) كذا في الأصل، والصواب: ونفاقًا.

جَدُّوا خلفهم الطرد، وظهر الكمي وأبدى ثباتًا وجلد[1]، فتجدد القتال وروي المهند والعسال، وثبت كُلّ منازل والنهيل كغيث سايل[2]، فحجز بين الفريقين حرّ النهار، ومَلّ مِن القراع كُلّ صارم بتار، وانحاز كُلّ فريق إلى جانب ونحا، ونسخ آية القتال ومحا، يستريح مِن السئيم، ويندمل / ق٢٠٥/ الجرح مِن الألم، وقيل: إنَّ الكمي لمَّا ثبت وأبدى الجلد، كانت لهم الغلبة على المُعتمد.

ثم اعلم أنَّ أهل حلي أظهروا الخيانة، ولم يبقوا للسيد منديل مكانة، وأمروه بالخروج مِن البلد باللسان قبل اليد، وتَرَّسُوا جميع الأسوار، وأستداروا بالمتاريس كما يستدير بالمعصم السوار، فأمعن السيد منديل يفكر فيما يظهر له مِن الصواب، فرأى أنَّ العَود أحمد واختار الانقلاب، فعاد إلى مكة لمرسله بدون بلوغ مأمله.

[غزوة على قبيلة دمينة وقبيلة غَامِد الفرعا]

ثم اعلم أنَّ صاحب الترجمة، زاد أفضاله وعمّ نفعه ونواله، بلغه أنَّ عُربانًا بساحل اليمن تجاه الأَحْسَبَة[3] دخلوا هذا الدين طايعين[4] مُحتسبة، مِنْهم قبيلة شنية يقال لها: دمينة، وقبيلة يقال لها: غَامِد الفَرَعَا[5]، دخلوا الدين كأنَّهم صرعى، ومنازلهم سامية الذرى، بين القُنْفُدَة وأم القُرى، فأرسل غزية مِن السادة الأشراف الهواشم، والأُسُود الذي[6] ليس لجارهم

(١) كذا في الأصل، والصواب: وجلدًا.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: سائل.

(٣) **الأَحْسَبَة**: وادٍ يقع الوادي في تهامة، ينحدر مِن سراة زَهْرَان وسراة بَلْقَرن حتى يصب في البحر الأحمر، شمالي القُنْفُذَة، ويتجه مِن الشرق إلى الغرب، وعلى جوانبه مزارع كثيرة. علي الزهراني، **المعجم الجغرافي: غامد وزهران**، ص ٣٩-٤٠؛ حمد الجاسر، **المعجم الجغرافي**، ص ١٧٨-١٧٩.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: طائعين.

(٥) **غَامِد الفَرَعَا**: فرع مِن قبيلة غَامِد الشهيرة، يسكنون في بلاد غامد الزناد في تهامة المعروفة بالفَرَعَة، وإليها نسبتهم. علي الزهراني، **المعجم الجغرافي: غامد وزهران**، ص ١٩٠.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: الذين.

مِن حاشم، ومعهم مِن العساكر والبوادي، ومِن الصافنات الجياد العوادي.

وأمر على هذه الغزوة، ناظم در القلايد(١) لأجياد السطور، ومحلي بنظمه كُلّ منظوم ومنشور، سعد أهل زمانه، والسيد الشريف في أنّه ذو العقل الرصين، وسلالة علي البطين مولانا السيد سعد بن زيد القتادي مُبيد الأعادي، فارتحل بتلك الجنود يطوي [الغبرا](٢) إلى البَيْضَا(٣)، ثم السَّعْدِيَّة، ثم الخَضْرَا(٤)، ثم نزل بعد اللَّيْث بالشَّاقَّة، بعد طي مهامه شاقّة، ثم ارتحل إلى دَوْقَةُ(٥) وأقام بها أربعة أيام، ثم أزال عن وجه الحرب نقابًا ولثام(٦)، فارتحل إلى موضع يقال له: أمُّ الخَشَب(٧) ليقضي مِن غريم السوء ما وجب، ويدركه بسهام العطب، وغزا على آل دمينة وغامد الفرعا، وصار يقتل فيهم قتلاً شنيعًا، لا يشفق عليهم ولا يرعى.

وما زال القتال بينهم حتى مالت الشمس، وكاد يلتحق اليوم بالأمس؛ فَوَلُّوا على الأعقاب بعد مسح الرقاب، وأخذوا مواشيهم كملاً، وربطوا مِنْهم تسعة عشر رجلاً، وعاد السيد سعد إلى أمّ الخَشَب، وقد فاز بكُلّ إرب وطاب

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: القلائد.

(٢) وردت في الأصل العنبرا، والتصويب مِن النسخة (ب)، ورقة ١٦١. والغَبْراءُ هي الأرض. **المعجم الوسيط**، ص ٦٤٣.

(٣) **البَيْضَا**: وتكتب البَيْضَاء. قرية في أعلى وادي البيضاء - الذي يمر جنوبي مكة على بعد ٥١ كيلاً - ويمر بها طريق اليمن، وكانت محطة للجمال، وبها سمِّي الوادي، ويسكنها الحمودية مِن الأشراف العبادلة. عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ص ٢٤٥-٢٤٦.

(٤) **الخضرا**: وتكتب الخضراء. وهي قرية في وادي مركوب، جنوبي السَّعْدِيَّة، كانت إحدى محطات طريق الحج العامرة، وأهلها بنو شعبة من كنانة. وتبعد عن مكة بحوالي ١٣٨ كيلاً. عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ص ٥٥٣-٥٥٤.

(٥) **دَوْقَةُ**: قرية تقع في وادي دَوْقَة شمالي القُنْفُذَة بحوالي ٧٣ كم. علي الزهراني، **المعجم الجغرافي: غامد وزهران**، ص ١٠١ ١٠٢؛ حمد الجاسر، **المعجم الجغرافي**، ص ٥٨٨.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: لثامًا.

(٧) **أمُّ الخَشَب**: مِن قُرَى المُظَيْلِف شمالي القُنْفُذَة بحوالي ٤٥ كم. حمد الجاسر، **المعجم الجغرافي**، ص ٢٠٦.

له المُنقلب، فتَوَجَّه بجيشه إلى مُرسله لا زال بالعزِّ نايف[١]، ولمَّا وصل إلى مكة لم يجده فصعد بالمراجل / ق٢٠٦/ إلى الطايف[٢]، فأقام بالطايف[٣] معه، بالجند الذي تبعه.

[مؤامرة السلفيين للإيقاع بوزير الشريف بالقُنْفُذَة]

ولـمَّا كان الوزير أبو بكر بن عثمان في اليمن، قذاء لعين عصابة الشيطان، وقد أهلك مِنْهم جمًّا غفيرًا، عملوا له الحيلة في التدبير، فأطاعه ثلاث قبايل[٤] عن خدعة، وأرادوا به الشنعة، وهم: بالقرن[٥]، وبنو سهيم، وبالمنتشر، وتجمّعوا في مواضعهم كالجراد المُنتشر، وأرسلوا للوزير أبي بكر أنْ يقبل عليهم لقتال الوهابيين وأنْ يدهموا محاد دينهم المحادين، وقد أضْمَرُوا بأنَّه متى وصل بين أيدينا وأقام بنادينا، رمينا عليه نفوسنا رمي الفَرَاش على السِّرَاج، وقبضناه باليد فلم يجد له مِنْهاج[٦].

فلمَّا أقبل عليهم بجنوده وحيّاهم بتحيته، وهم على نيتهم وهو على نيته، بادروه بالقتال واستضعفوا ما معه مِن الرجال، فجال ذلك الأسد لحماية نفسه؛ فأظهره اللَّه تعالى عليهم، وقتل فيهم قتلة عظيمة، وأخذ جميع مواشيهم ورجع يغني بالغنيمة، وخَيَّم بموضع قريب القُنْفُذَة، يقال له: العُيَيْنَة[٧]، بعد أنْ نال مطلبه وقضى مِن العدو دينه، فأقبل عليه بَنُو زَيْد، وعرضت عليه زُبَيْد،

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: نائفًا.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: قبائل.

(٥) **بَالْقَرن**: مِن قبائل عسير، تقع بلادهم في السراة، يحدهم شمالًا بلاد شمران وعليان، وجنوبًا بلاد بني عمرو، وشرقًا بادية بلحارث، وبيشة النخل، وغربًا تهامة بَلْقَرن؛ حيث يحل قسم مِنْها. وقاعدتهم بلدة العلاية. وينقسمون إلى: دُحيم، بني رزق، آل سليمان، آل مشيب. صلاح هريدي، **عسير تحت الحكم العثماني**، ص ٧٦-٧٧.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: منهاجًا.

(٧) **العُيَيْنَةُ**: قرية تقع شرقي بلدة العفوص، في سراة زَهْرَان. علي الزهراني، **غَامِد وزَهْرَان**، ص ١٧٦

فبينما هو مُقِيْمٌ بذلك النادي، إذ بلغه الخبر بأنَّ أشقياء العُربان، قد أقبلوا مِن كُلّ مكان، مجتمعين على ثلاثة أمرا[١]، ومُتفرقين فرقتين بلا مرا[٢]، أحد الأمراء أحمد بن زاهر، والآخر صبيح، والثالث الحسيل، ومعهم مِن الْمُدَيِّنِين جمع جزيل.

فانتقل الوزير مِن العُيَيْنَة إلى أم الخَشَب، واجتمع بالسيد سعد ابن زيد وانتسب، وقد صَمَّموا على القتال والنزال، ولو كانوا كأمثال الرمال، وتَوَجَّهوا مِن أم الخَشَب إلى موضع يقال له: البَحْرَةُ[٣]، فبلغ الوزير والسيد سعد[٤] مِن العين، أنَّ القوم افترقوا فرقتين: فرقة قصدها تعقب الوزير على القُنْفُذَة، وفرقة لقتاله مترصدة، فلمَّا تحقّق الوزير هذا الخبر، ترك السيد سعد[٥] وتَوَجَّه في الأثر.

فأقبلت فرقة على السيد سعد وهو بالبَحْرَة، ولمَّا أشرفوا عليه مِن مكان مرتفع عجزوا عن قتاله وعرفوا قدره، فرجعوا بدون / ق٢٠٧/ نزال، وكفى اللَّه المؤمنين القتال، وأمَّا الفرقة التي تَوَجَّهت على القُنْفُذَة، أدركهم الوزير بموضع يقال له: دُكَّان[٦]، وجال معهم هذا البطل في حومة هذا الميدان، فظفره اللَّه تعالى عليهم وقتلهم قتلة لم تعهد بإقليم اليمن، ويخلد ذكرها في التاريخ لآخر الزمن، ونهب مواشيهم وأثقالهم، وأخذوا أموالهم وشتَّت أحوالهم، ولم يسلم مِن هذه الغزوة إلا طوال الآجال، والذين فرُّوا على الجبال، ثم رجع الوزير إلى القُنْفُذَة، بنصر اللَّه تعالى الذي عوّده.

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: أمراء.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: مراء.

(٣) **البَحْرَةُ**: قرية تقع شرقي بلدة المُظَيلف، الواقعة شمالي القُنْفُذَة. حمد الجاسر، **المعجم الجغرافي**، ص ٢٥٨.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: سعدًا.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: سعدًا.

(٦) **دُكَّان**: قرية من قُرَى بني محمد من قُرَيْش، في سراة زَهْرَان، غربي الأطاولة بحوالي ١١ كيلاً. حمد الجاسر، **المعجم الجغرافي**، ص ٥٨١.

ثم اعلم أنَّ الوزير أبا بكر بن عثمان، ما زال يذبّ عن حوزة اليمن بصارمٍ وسنان، ومتى أمكنه فرصة يغتنمها، ولا يعبأ بالوهابيين ولا يحترمها؛ ففي هذا العام سنة [1]١٢١٧ دهمه معدي بن شار بنحو اثني عشر ألف مقاتل، مِن كِنَانَة، وأهل المَخْوَا، وغامد الفرعا، ومُحَايِل، وجاؤا[2] مُقبلين على القُنْفُذَة بجميع مواشيهم، وأطفالهم ونسايهم[3] الذين بناديهم، وعزموا على أَنَّهم يمتلكون القُنْفُذَة ويجعلوها[4] وطنًا، ويتخذونها مقرًّا وسكنًا، وكان مجيئهم على حين غفلة من وزيرها، ولم يطلع على شورتها وتدبيرها.

ولمَّا وصلوا قريبًا مِن القُنْفُذَة، بتلك الأقوام المرقدة، بلغ الوزير ما راموه مِن المحال، وما توَهَّمُوه من خيال، فلم يمكنه جمع كثير مِن العُربان، لضيق الوقت والزمان، وعلم إنْ تأَخَّر عن القتال ذلٌّ عليه ووبال، فكرب في نحو سبعمائة رام وثلاثة عشر فرس[5]، وخرج خفية مِن العيون والحرس، وما زال يجدّ السير، وينبري كما ينبري الطير، إلى أنْ بلغ مسافة القصر، فدهمهم قبيل الفجر، وصاح على أولئك البُهم، كما يصيح الديب[6] على الغنم، وأوقعت الرماة فيهم بالبنادق، وانسدّت عليهم المسالك والطرايق[7]، فقتل مِنْهم قتلة تجلّ عن العدد، ومَن سلم مِن السيف على الشردة اعتمد، والذي يظهر لي أنَّهم لم يقتل فيهم أكثر مِن هذه القتلة، وهذه هي داهية الغفلة.

أخبرني شخص أنَّ أربعمائة قتيل مرتمين[8] في صعيدٍ واحدٍ، وبقية القوم صاروا يقتلون في شارد، ورأى قدر ماتين[9] جريح كُلّ في موضعه طريح،

---

(١) سنة ١٢١٧هـ/ ٣ مايو ١٨٠٢ - ٢١ إبريل ١٨٠٣م.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: جاءوا.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: نسائهم.
(٤) كذا في الأصل، والصواب: ويجعلونها.
(٥) كذا في الأصل، والصواب: فرسًا.
(٦) كذا في الأصل، والصواب: الذئب.
(٧) كذا في الأصل، والصواب: الطرائق.
(٨) كذا في الأصل، والصواب: مرتمون.
(٩) كذا في الأصل، والصواب: مِائَتَي.

أمَّا الشاردون الذين قتلوا جوعًا وضيمًا فقد ملؤا لحما، وأخذ سلاحهم / ق٢٠٨/ وجميع مواشيهم وأثقالهم، وأخذوا زادهم وما ترك لهم شي[١] ولا أبقى لهم، وربط مِنْهم نحو الماتين[٢]، ورجع يرتجز وبحمد اللَّه تعالى على ما أنعم عليه مِن الحسنيين.

هذا جميع ما ذكرته لك في المجال، وما وقع من الفريقين مِن قتال، كان في زمن الصلح مع الخارجي اللعين، الذي لم يثبتْ على عهد ولا يتَدَيَّن بدين، فليت شعري لو نظرت لهؤلاء البغاة وأفعالهم في زمن الصلح، فما بالك في زمن المُعاداة، والذي يظهر لي مِن عنوان هذه الفتن فساد إقليم اليمن، وسيستولي عليه هذا اللعين بكماله وأسره، ويدخله تحت حصره وأسره، فإنَّ هذه الفتنة كما أخبر بها الصادق: «**سيكون في آخر الزمان فتنة لا تدع بيتًا مِن بيوت العرب إلا دهمته**».

[سَالِمُ بن شُقْبَان يضم عسيرًا إلى السلفيين]

ثم لمَّا تخلل الفساد في أغلب القبايل[٣]، ورفضوا دين الحق وتبعوا الدين الباطل، وعلم سعود أنَّ إقليم اليمن يصير تحت يده، سلّط سَالِم ابن شُقْبَان[٤] على زَهْـرَان، وشرع يسعى بالفساد والقبح، ويسلط عُربانه على

(١) كذا في الأصل، والصواب: شيئًا.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: المائتين.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: القبائل.

(٤) سَالِم بن شُقْبَان: سَالِم بن مُحَمَّد بن شُكْبَان مِن قبيلة شهران، مِن أهل بيشةَ مِن قرية الدحو. أهل الصدق والإخلاص للدعوة الوهابيَّة، وقد أدى دورًا مهمًّا فِي نشر مبادئها فِي الحجاز، وخاض فِي سبيل ذلك حروبًا كثيرة، وقد ولاه الإمام عبد العزيز على إمارة بيشةَ عام ١٢١٣هـ/ ١٧٩٨م، وقد خاض سالم حروبًا عدة ضد الشريف غالب في الحجاز، وكان من ضمن القوات المحاصرة لمكة في عام ١٢٢٠هـ/ ١٨٠٥م، والتي سقطت بعدها في أيدي الوهابيين، وأعلن الشريف تبعيته للإمام سعود بن عبد العزيز. توفي ابن شكبان بالجُدَرِيّ في بيشة بعد عودته من موسم الحج في ذي الحجة ١٢٢٠هـ/ مارس ١٨٠٥م، وعيَّن الإمام سعودٌ مِن بعدِهِ ابنه في الإمارة. وعلّق جحاف عليه بعد وفاته بقوله: «كان شديدًا في هذا الأمر [يقصد الدعوة]، خالص المودَّة، ناصح لسعود ووالده». عثمان ابن =

عُربان الشريف الذي[1] انعقد عليهم الصلح، ولم يُبَالِ بعهدٍ ولا ميثاق وجب، ولا تلزمه الوجوه الذي[2] عليها المُعَوّل عند العرب، وما زال يسلط العُربان على العُربان، ويُؤَمِّر أرذلهم سَالِم بن شُقْبَان.

[انفضاض الصلح بين الشريف والسلفيين]

فعند ذلك أرسل صاحب الترجمة كتابًا لسعود ولعبد العزيز بن [محمد بن] سعود، يطلب مِنْهما الوفاء بالعهود، فأرسل كُلّ مِنْهما كتابًا أبرد مِن لحيته، وأنجس مِن أهل حلته، وزعم أنَّها أكاذيب مِن العرب يرمون بها بعضهم بعضًا، ويجتهدون في حبل الصلح فسادًا ونقضًا، قالوا له: أرسل مِن طرفك أمينًا ينظر بينهم ولا يُجامل، ويميز الحقّ مِن الباطل، فأرسل إليه فاخر ابن سلطان، وأمره ينزل عند زَهْرَان ويعرفه بِمَا شان وزان، فأقام عندهم أيام[3] كأنَّها أعوام، ظهر له فيها حقيقة الخبر، وما أسره في خديعة ومكر.

[عثمان المضايفي ينضم إلى السلفيين]

فعند ذلك أرسل نجَّابًا لعبد العزيز وعرَّفه ما صدر مِن عُربانه مِن القبيح، وأنَّ هذا الأمر موجب لنقض الصلح، وذلك غير النَّجّاب الأوَّل وجعل عليه المُعَوّل، وهو خادمه ورحيمه، وشفيقه ورحيمه، واعتمد عليه صاحب الترجمة لكونه مِن المقرَّبين، ومِن كبار أهل المناصب والخدمة عثمان بن عبد الرحمن المضايفي، / ق٢٠٩/ ظنًا بأنَّ هذه النار به تنطفئ، وأرسل معه مِن كبار السادة الأشراف المعتمدين، وخير سلالة سيد المرسلين السيد

= بشر، **عنوان المجد**، ١/ ٢٨٦-٢٨٧؛ لطف الله جحاف، **درر نحور العين**، ص ٦٣٠.

(١) كذا في الأصل، والصواب: الذين.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: التي.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: أيامًا.

عبد المحسن الحارث[١]، لا زال للمكارم وارث[٢]، ومعهما ابن حميد شيخ المُقَطَة، فرتب الأمر معهم وضبطه، فتَوَجَّهوا مِن أبوابه العالية، وكان بالطايف مُقِيم[٣]، واعتمد على رحيمه وخادمه القديم، وكان يوم شر منحوس[٤] يدل على الخذلان والعكوس.

وما زالوا يحثون النجايب[٥] المهريَّة، حتى وصلوا إلى الدرعيَّة، فالتقوا بسعود وقدموا له المكاتيب، وقابلهم بالبشاشة والترحيب، فأَوَّل ما نَطَق عثمان، قال: يا عبد العزيز بشرني بالإمارة وأبشرك بمكة تستليها، وأطلب مِنك أنْ تخلي لي المجلس لأمور سأبديها[٦]، فدخلا في بيت المخلا، وحَدَّثه بكلامٍ طاب له

(١) **عبد المحسن الحارث**: عبد المحسن بن محمد بن أحمد بن محمد الحارث ابن الحسن ابن محمد أبي نمي، كان والده حاكمًا على عالية نجد، وقد نال عبد المحسن مكانة كبرى في عهد الشريف غالب، وكان يرسله في عديد من المهَمَّات. أحمد زيني دحلان، **خلاصة الكلام**، ص ٢٧١؛ أحمد ضياء العنقاوي، **أعلام الأشراف**، ٢/ ١٩٦-١٩٧.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: وارثًا.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: بالطائف مُقيمًا.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: منحوسًا.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: النجائب.

(٦) ليس مِن البدهي أن يقوم المضايفي بعرض الأمر بهذه الصورة على الإمام عبد العزيز ويطلب الإمارة، لأنَّ ذلك سوف يثير الشكوك لدى الإمام، والواقع أنَّ هناك صلات كانت بين المضايفي والوهابيين قبل هذه حادثة سفره إلى الدرعيَّة، وقد ورد في بعض المصادر أنَّ المضايفي كان يلتقي بالأمير سعودًا سرًّا أثناء تواجده في موسم الحج عامي ١٢١٣هـ/ ١٧٩٩م، ١٢١٤هـ/ ١٨٠٠م، وطلب منه الانضمام إليهم، ولكن سعودًا أخبره بأنَّ ذلك غير ممكن في الظروف الحالية، وأنَّه عليه أنْ ينتظر فرصة أفضل من ذلك. فيلكس مانجان، **الدولة السعودية**، ص ٣٠٣، ٣٠٨. وعلى ذلك فإنَّ ذلك الرأي يرى أنَّ المضايفي كان مقتنعًا بالدعوة الوهابية، وهذا ما تؤيده بعض المصادر الأخرى عبد الرحمن بن حسن، **المقامات**، ص ١٠٥-١٠٦؛ عبد الرحمن بن أحمد البهلكي، **نفح العود فِي سيرة دولة الشريف حمود**، دراسة وتحقيق وتعليق: محمد بن أحمد العقيلي، مطبوعات دارة الملك عبد العَزيز، الرياض، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ص ٢٠١. وهناك فريق آخر يرى أنَّ انضمام المضايفي إلى الوهابيين يرجع إلى انفضاض الصلح بين الوهابيين والشريف غالب، وسوء العلاقة بينه وبين الشريف. عثمان ابن بشر، **عنوان المجد**، ١/ ٢٥٩؛ عبد الرحمن الجبرتي، **عجائب الآثار**، ٣/ ٣٧٣. وعلى ما =

ذوقه وحلا، وانعقد بينهم الفساد على الإلحاد، وأمَّره على الطايف[1] وما حوله مِن مهامه ووهاد، ولم يجتمعوا بالسيد عبد المحسن وابن حميد في مجلس آخر إلا يوم السفر، فإنَّهم أخرجوهم ومعهم عثمان يميس في أثواب الخسران، وقد عاهد عبدالعزيز مِن حينه، وكره دين اللَّه تعالى ورسوله، ورغب في دينه وبايعه على دخول هذا الدين وتكفير عامة المسلمين، ففاز مِنْه بالمُنقلب، حين أمره على الطايف[2] وما حوله مِن العرب، وكاد أنْ يطير مِن الفرح لمَا سنح في خاطره ما سنح، فباع هذا الشقي دينه بدنياه، ونوى على ما نوى عليه، ولِكُلّ امرئ ما نواه، فَصَمَّم على الفجور والخيانة، وعدم الصدق والأمانة، وكان الظن أنَ لا يخون ولا يفعل، ولكن الشقي شقي الأزل، وستسمع ما يصدر من هذا الخاين[3] والفاجر المَاين، فقد فاق أهلُ الضلال وفِرَقِه، ونَزَع رِبْقَة الإِسْلاَمِ مِنْ عُنُقِهِ.

[المضايفي يتحصَّن في العُبَيْلاة]

ولمَّا تَوَجَّه مِن الدرعيَّة مع رفقائه، اعتزل نفسه في السفر لمكره ودهائه، وأخذ يمدح لهم دين سعود، ويُفَضّل دينه على دين النصارى واليهود، وما زال

= تقدَّم فيبدو أنَّ المضايفي كان مقتنعًا بالدعوة الوهابيَّة، ولذلك انضمَّ إليها، وأعلن ولائه لها، وإنْ لم يخلو ذلك مِن رغبته في الإمارة وتولي الحكم، وهذا ما سوف يبدو بصورة واضحة بعد انضمامه للوهابيين، وحتى بعد خضوع الشريف غالب لهم، فإنَّ المضايفي سوف يسعى إلى تشويه صورته لدى الوهابيين حتى يلي مكانته. وللمزيد عن عُثمان المضايفي انظر: إبراهيم بن محمد الزيد، **عُثمان بن عبد الرحمن المضايِفي أمير الطائف والحجاز في الدولة السعودية الأولى**، مجلة جامعة الملك عبد العَزِيز، الآداب والعلوم الإنسانية، م٧، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، ص٩٦ وما بعدها؛ لطيفةُ بنتُ مطلق العدواني، **عُثمان بن عبد الرحمن المضايفي ودوره في الدولة السعودية الأولى**، رسَالة ماجستير، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٢٧هـ، ص ٨٣ وما بعدها.

(١) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: الخائن.

يجدّ السير شوقًا لِمَا يحصل له مِن تدمير، إلى أنْ وصل إلى حصنه بالعُبَيْلاة[1]، وطاب له استقراره في ذراه، وهو حصن نايف على راس[2] جبل منيع لِمَن حَلّ فيه ودخل، فنصب بَيْرَق[3] الشر بإمارته، وعزم على شن إغارته، ولم يكن معه غير ثمانية /ق٢١٠/ روس[4] مِن الخيل، جمعها مِن الطريق ولفقها تَلفِيق[5].

[هجمات المضايفي على الطائف والقُرَى المحيطة]

وقد نزل مولانا الشريف مِن الطايف[6] إلى حمى البيت الأمين، وأبقى بالطايف[7] أخاه عبدالمعين، فأرسل عثمان كتابًا للشريف عبد المعين، وطلب مِنْه الدخول في هذا الدين، ثم أرسل للعُربان الذي[8] حوله فأطاعوه، واتبعوا قوله؛ فأوّل مَن أطاعه الطفحة، وكُلّ فاجر همزه الشيطان ونفخه، ثم أطاعه مِن القبايل[9] كُلّ عاتٍ باقل، وطاغ وجاهل مِنْهم: النّفعة[10] والعُصَمَة[11]، ومِن القبان

---

(١) **العُبَيْلاة**: قرية تقع في أسفل وادي ليَّة، شمال شرقي الطائف، بحوالي ٣٠ كيلًا، يشرف عليها مِن الشرق جبل مَرْوان. يسكنها قبيلة عدوان. وكانت حصينة وذات أهمية كبيرة، وسوف يتخذها عثمان المضايفي قاعدة له في حروبه ضد الشريف غالب في الحجاز، كما سيأتي ذكره. عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ص ١١٠٩.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: رأس.

(٣) **بَيْرَق**: علم أو راية. **المعجم الوسيط**، ص ٥١.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: رءوس.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: تَلْفِيقًا.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.

(٧) كذا في الأصل، والصواب: بالطائف.

(٨) كذا في الأصل، والصواب: الذين.

(٩) كذا في الأصل، والصواب: القبائل.

(١٠) **النفَعة**: مِن بَرْقة، مِن قبيلة عُتَيْبَة، ولهم في نجد خنوقة، والحفيرة، والحفاير، وحلوان، والحار، وجهيمة، أمَّا في الحجاز فلهم أوقح، وكلاخ، والخرايق، وينقسمون إلى أفخاذ أهمها: ذو مُفرِّج، ذوو زياد، ذوو الحيا، الفلتة. عمر رضا كحالة، **قبائل العرب**، ٣/ ١١٨٩؛ تركي القداح، **دراسات حول عُتَيْبَة**، ص ٢٢.

(١١) **العُصَمَة**: فخذ مِن عيال منصور مِن بَرْقة، مِن قبيلة عُتَيْبَة، وهم منتشرون في نجد والحجاز، ولهم في نجد: سنام، والبدايع، وأم سريحة وغيرها، وأمَّا في الحجاز فهم يسكنون لقيم، والأخيضر، وجليل، وبسل، وقملة، وشرب. عمر رضا كحالة، **قبائل العرب**، ٢/ ٧٨٥؛ تركي القداح، **دراسات حول عُتَيْبَة**، ص ٢١.

القُثَمَة[1]، فغزوا على الزوران حين غشي على قلبه الران، فأطاعوه بعد قتالهم فزعًا وخوف[2]، وغزى بهم أسفل وادي لِيَّة على عوف، فطال بينهم القتال وحملت الرجال على الرجال، ولمَّا زال الزوال كسروه، وردَّه اللَّه تعالى مُخَيِّب الآمال؛ عاد بِمَن معه إلى حصنه، يكاد يتميز مِن الغيظ لقهره وحزنه.

ثم خرج بهم إلى قرية مِن قُرَى الطايف[3] يقال لها: العَرْج، كثيرة المياه والمرج مُرتفعة عن مسيل وادي وَجّ[4]، فأحرق دُورَها ونهب مواشيها، وأخرب فيها وقطع نواشيها[5]، وعاد إلى حصنه بعد هذه الإغارة، وصار جَمرَة بعد أنْ كان شرارة.

فأرسل صاحب الترجمة واستدعى البوادي، وصار يجمعهم مِن كُلّ نادي، حتى حشر الطايف[6] بالقبايل[7]، وأنافوا على ثلاثة آلاف مقاتلٍ، فخرج مِن حصنه في رمضان، بِمَن لديه مِن العُربان قاصدًا قتال الطايف[8]، والفتك بكل مُصَلٍّ وعاكفٍ، فانتصب لقتاله الهُمَام الأمجد والنايف[9] على السِّمَاكين، والفرقد الضيغم الضاري، وشمس الفلك الساري، ليث العرين، ونتيجة الدهر

---

(١) **القثمة**: فخذ مِن عيال منصور مِن بَرْقة، مِن قبيلة عُتَيْبَة، ولهم في نجد الدهاسية، وينزلون بالقرب من القاعية، والبجادية، وذريع، والخوار، وأمَّا في الحجاز فهم يقطنون في السيل الصغير، والحوية، وعشيرة، والبعوث. حمد الجاسر، **قبائل المملكة**، ص ٦٤١-٦٤٤؛ تركي القداح، **دراسات حول عُتَيْبَة**، ص ٢١.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: خوفًا.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.

(٤) **وادي وَجّ**: هو وادي الطائف، وادٍ كبير يمر في طرف مدينة الطائف من الجنوب الغربي ثم الجنوب ثم الشرق، يسمى أعلاه المخاضة، ووسطه المثناة، وأسفله العرج، وفيه قرى مشهورة، مثل: الوَهَط، وشُواحِط، والأخَيْضر، سكانه في أعلاه الطلحات مِن هُذَيْل، ووسطه ثقيف، وأسفله عُتَيْبَة وعدوان. عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ص ١٧٩٢-١٧٩٣.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: نواشئها.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.

(٧) كذا في الأصل، والصواب: القبائل.

(٨) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.

(٩) كذا في الأصل، والصواب: النائف.

ونادرة السنين، مولانا الشريف عبد المعين، وما زال بالله تعالى يستعين، وأخرج لقتاله أُسُود الجلاد والأبطال، الذي[١] نفحت لهم ريح الجلاد، وأخرج مِن العساكر والمراجل ما يتَحَلَّى بذكرهم جِيد الزمان العاطل، لكون أخيه الأسد الضرغام مُسْتَقِرًّا بحمى البيت الحرام، زاده الله تعالى إجلالاً وإكرام[٢]، وفوزًا وإنعام[٣]، وأبقى بالطايف[٤] المذكور دام له السرور، وجعل معوله في جميع الأمُور، مِمَّا عليه رحا الحرب / ق٢١١/ تدور، كالجبخانة، والدراهم، والذخاير[٥]، وكُلّ ما يحتاج إليه المراجل والعساكر بنظر حاكمه المعتمد الهُمَام الأمجد المسدد في جميع أموره الحازم في وروده وصدوره، الماجد الكامل، المدبر العاقل الذي حمدت الناس سيرته، وعرفت صدق سريرته، حاكم الطايف[٦] المُكرم سليمان على جميع العساكر والعُربان وأعطاهم الزاد وأمرهم أنْ يخرجوا لقتال أشقى مِن ثمود وعاد؛ فخرجوا ومعهم كثير مِن أهل الطايف[٧] خرجوا حسبة وجلادة، وطلبًا للموت على الشهادة، قاصدين في سبيل الله تعالى الجهاد، وثوابًا في يوم يقوم الأشهاد، فالتقوا بالأشقيا[٨] على وادي العرج ووقعت بينهم الملحمة والهرج، وما زال القتال من أوَّل النهار إلى وقت الغروب، حتى كادت كُلّ نفسٍ مِن حرِّها تذوب، فظفر الله تعالى جيش المسلمين على ذلك اللعين وقتلوا مِنْهم من الخمسين إلى الستين وأُصِيب في هذا النهار أكثر مِن هذا المقدار، ولو لم ينهزموا ويَتَحَصَّنُون[٩] بجبل منيع، لمَا سلم مِنْهم أحد مِن القتل الفظيع، وأخذ جميع إبلهم ما قلّ مِنْها وجلّ، عندما

(١) كذا في الأصل، والصواب: الذين.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: إكرامًا.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: إنعامًا.
(٤) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.
(٥) كذا في الأصل، والصواب: الذخائر.
(٦) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.
(٧) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.
(٨) كذا في الأصل، والصواب: الأشقياء.
(٩) كذا في الأصل، والصواب: يتحصَّنوا.

تركوها وصعدوا إلى الجبل، وبعض الإبل صعدت معهم الجبل، فما أمْكن نزولها فعقروها، والبعض بأسلحتهم ودروعهم وقروها.

فلمَّا حازوا هذه الغنيمة وفعلوا الفعلة الكريمة دخلوا إلى الطايف[(١)] يرتجزون بالغنايم وطاير[(٢)] اليُمن عليهم بالمسرّة حايم[(٣)]، ففرَّق عليهم البخاشيش الجزيلة، وكساهم الكسوة الجميلة، واستشهد يومها المرحوم السيد إبراهيم بن سعيد بن علي، وخمسة مِن أهل الطايف[(٤)] طاب لهم منهل الفردوس وحلى، ومِن ثقيف ثلاثة، وأربعة مِن هُذَيْل.

وأمَّا الشقي عثمان فقد صعد حصنه الحصين بِمَنْ لديه مِن الطاغين، وما زال يراسل القبايل[(٥)] ويطيعه كُلّ غُمْر جاهل، حتى ظهر له هذا الشأن، وكان مِن أمره ما كان.

[انتقال الشريف غالب إلى الطائف]

فعنّ لصاحب الترجمة لا زالت أسنته لأعاديه مُحكمة أنْ يركب بنفسه على هذا الزنديق، ويسقيه مِن كاس[(٦)] المنايا / ق٢١٢/ رحيق[(٧)]، فجمع مِن إصابته خير فريق مِن عصابته، فوارس لا يملّون المنايا إذا دارت رحى الحرب المنون، ومِن عبيده وأتباعه وعشيرته وأشياعه.

مِـــنْ كُـــلِّ مُـنـتـخـب لِــلأَمْــر مُـحـتـكـم
كَـالـشَّـمْـس رأْيًــا وكَـالْـضِـرْغَـام إِقْــدَامًــا[(٨)]

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: بالغنائم وطائر.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: حائم.
(٤) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.
(٥) كذا في الأصل، والصواب: القبائل.
(٦) كذا في الأصل، والصواب: كأس.
(٧) كذا في الأصل، والصواب: رحيقًا.
(٨) البيت لا يعرف قائله، انظر: محمد أحمد بن محمد، المعروف بابن عربشاه، **عجائب المقدور في أخبار تيمور**، ج١، كلكتا - الهند، د.ط، ١٢٣٢هـ/ ١٨١٧م، ص ٣٦١. وفيه: =

ومعه مِن أنجاب العساكر كُلّ هُمَام للهَام باتر، ومعه من العدد والاستعداد ومهمات الجهاد ما يقوم بالمقصود لجميع العساكر والجنود، وخرج ليلة ثامن عشر رمضان[1]، واعتمد على اللَّه تعالى واستعان فأصبح الزيما وأقام أيامًا يستجلب البوادي ويستنزلهم مِن كُلّ نادي، فاجتمع عليه العُربان مِن كُلّ البدود، وأنفق عليهم مِن خزاينه[2] النقود، وفعل ما تفعله أهل المروات[3] والشيم، واستعمل حزم ذوي الهمم، وهذا القدر الذي وسعه أبذل فيه جهده، وعمل بمقتضاه وسعى لِمَا فيه نفعه، وما النصر إلا مِن عند اللَّه.

عَلَى الْمَـرْءِ أَنْ يَسْعَى لِمَا فِيْهِ نَفعُه
وَلَيْسَ عَلَيْهِ أَنْ يُسَاعِدَهُ الدَّهْرُ[4]

ففعل الأمر الذي يليق بهِمَّته ويذكر به بين الملوك، وينتظم ذكره في التواريخ كما تنتظم جواهر السلوك، كيف لا وقد استولى المشرقي على جزيرة العرب ما شطّ مِنْها واقترب، ولم يبق والٍ إلا واستولى على مكانته، أو سالمه ودخل تحت إطاعته، ما عدا صاحب الشرافة المترجَم، الذي فاض نواله وعَمَّم؛ فإنَّه صار قذاء لعينيه، حتى كاد أنْ يموت أسفًا عليه، وهل أحد سواه جاهدهم خمسة عشر عام[5]، حتى ترك دماءهم تسيل في كُلّ شهر وعام، إلى أنْ أشرقه بِرِيْقِه وأوقفه دون طريقه وحَمَى حِمَى البيت الأمين، وذبّ عن أعراض المسلمين، ولو لم يكشف الغَمّ عن مكة حضرة المشار إليه هذا لصَيَّر أهلها جذاذًا.

= من كل منتجب للأمر منتخب ... كالشمس رأياً وكالضرغام إقداما

(١) ١٨ رمضان ١٢١٧هـ/ ١١ يناير ١٨٠٣م.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: خزائنه.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: المروءات.

(٤) البيت لابن شمس الخلافة، انظر: محمد بن أيدمر المستعصمي، **الدر الفريد وبيت القصيد**، ٧/ ٢٣٣.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: عامًا.

وَلا يَكْشِفُ الْغَمَّاءَ غَيْرُ ابْنِ حُرَّةٍ
يَرَى غَمَرَاتِ الْمَوْتِ ثُمّ يَخُوضُهَا[١]

قيل: إنَّ هذا أشجع بيت قالته العرب، وسيكشف اللَّه الكريم به الغَمّ عن إقليم الحجاز، ويهلك بسببه الشقي الذي مرق عن الدين وانحاز، ونرجو أنْ تكون له العاقبة ويحتويها، ولا عبرة بأوائل الأمُور ومباديها[٢]، فإنَّه ليس مثله مِن أهل / ق٢١٣/ هذا الزمان في علو الهمم والمروة[٣] والشيم وشَتَّان بينه وبين جماعته وبني عَمّه في المروة[٤] والنجابة والفتوة، كما قيل:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ السَّيْفَ يُنْقِصُ قَدْرَهُ
إِذَا قِيلَ: هَذَا السَّيْفُ خَيْرٌ مِنَ العَصَا[٥]

وهل ثَمّ في العصر غيره موصوف بهذه الصفة واقف للمشرقي[٦] في هذه الوقفة.

شعر للمؤلف:

كَذَّبُونِي بِوَاحِدٍ غَيْرُهُ عَالِيَ الشِّيَمْ
نَابَذُ الشَّرْقِ عُمْرَهُ وَهُوَ يَسْعَى عَلَى قَدَمْ
فَالبَرَايَا مَعَادِنٌ إِنَّمَا الفَضْلُ فِي القِيَمْ

اللَّهم إلا حاسد أو باغض يتكلم بغير الإنصاف، أو جاهل يرى الأمُور بالخلاف، فلا عبرة بِمَنْ لم يحسب العواقب، ولم يكن له فكرٌ ثاقبٌ.

---

(١) البيت لجعفر بن علبة الحارثي، انظر: أحمد بن عبد السلام الجراوي، الحماسة المغربية، ١/ ٦٦٧.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: مبادئها.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: المروءة.
(٤) كذا في الأصل، والصواب: المروءة.
(٥) البيت للكُميت بن زيدٍ، انظر: محمد بن أيدمر المستعصمي، الدر الفريد وبيت القصيد، ٤/ ١٥٧.
(٦) أي الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه اللَّه.

إِذَا رَضِيَتْ عَنِّيْ كِرَامُ عَشِيْرَتِي
فَلاَ زَالَ غَضْبَانًا عَلَيّ لِئَامُهَا[١]

فسار بالجنود مِن واد الزَّيْمَا، وعين العناية تُكَلِّله وتحماه، وركب في موكب يزدهي به بين أنصاره وحماته محفوظًا باللَّه تعالى مِن ست جهاته، فهو البدر وهم الهالة، وهو الفعال وهم الآلة، وهو الروح وهم الجسد، وهو الراس[٢] وهم اليد، فغدا مستعينًا بالواحد الأحد، لا يركن على منجم ولا رصد.

يُشَاهِدُ أَعْقَابَ الأُمُورِ بِعَقْلِهِ
كَمْ شَاهَدَ الْمَحْسُوسَ بِالْعَيِنِ نَاظِرُ[٣]

والتقى بأخيه عبد المعين دام عُلاه، قبل وصوله إلى العُبَيْلاة؛ والعُبَيْلاة هذه حصن على جبل شاهق لم يطرقها بالأخذ طارق، فأحاطوا بأشقا الثقلان[٤] مِن جوانبها الأربع، ورموا عليه بالقنبرة والمدفع، حتى كادت بكاراتها تفتض وجدرانها تنقض، ويهدمون أسوارها ويقتلون كفارها، فأبى اللَّه جلّ جَلاله أنْ يكون فتحها الآن، وكل يوم هو في شأن.

مَا كُلّ مَا يَتَمَنَّى الْمَرْءُ يُدْرِكُهُ
تَأْتِي الرِّيَاحُ بِمَا لَا تَشْتَهِي السُّفُنُ[٥]

ولو فرض استيلاءه على هذا اللعين ومَن معه مِن الملاعين / ق٢١٤/ ، فعلى يد مَن يحصل هذا الفساد، وأبادت الوفاد الحاضر والباد، والأشياء مرهونة بأوقاتها، وأرصاد الأفلاك تجري بإذنه لا بحركاتها.

---

(١) البيت منسوب لأبي العيناء المتوكل، انظر: الحسين بن علي الأصفهاني، **محاضرات الأدباء**، ١/ ٤٧١؛ محمد بن أيدمر المستعصمي، **الدر الفريد وبيت القصيد**، ١٠/ ٣٧٦.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: الرأس.

(٣) البيت لا يعرف قائله، انظر: محمد أحمد ابن عربشاه، **عجائب المقدور**، ١/ ٤٣٩.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: أشقى الثقلين.

(٥) البيت للمتنبي، انظر: الصاحب بن عباد، **الأمثال السائرة من شعر المتنبي**، ص ٦٣.

وفي هذه الأثناء خرج علي بن حزمي مِن حصنه المسمى بالباردة، وقد اشتاقت روحه إلى النار الحامية وهي وارده، وأقبل في جريدة مِن الخيل له الخزي والويل، فبرز في وجهه بعض الفرسان وجند له بحد السنان، وذهبت روحه إلى النيران بالوبال والخسران، وقُتِلَ مِن جماعته مَن دنا أجله إلى سقر، وسلم مَن ركب مطيّة الهزيمة وفَرّ.

ثم إنَّ مولانا صاحب الترجمة عَيَّدَ شوال(١) في العُبَيْلاة، ودخل الطايف(٢) دام عُلاه، وأقام بها أيام(٣)، ثم عاد إلى العُبَيْلاة مرة ثانية وحاصرها، وأقام حواليها ورماها بالمدافع والقنابر، ولم يُرِد اللَّه تعالى أنْ يستولي عليها، فعاد إلى الطايف(٤) كريم السجايا، ونزل بداره التي شَيَّدها بِحَوَايَا.

فلمَّا كان في اليوم الخامس والعشرين مِن شهر شوال(٥)، أقبل على الطايف(٦) الشقي عثمان وسَالِم بن شُقْبَان، بجنودٍ كأمثال الرمال مِن كُلّ حدب ينسلون مِن كُلّ ملعون وابن ملعون، جنود في العُقُول كالبقر، وفي العَدَد كالذباب والذر، ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ (٣١)﴾(٧)، لا يعرفون دينًا ولا إيمان(٨) كلهم سبقة الشيطان، فهم كالبهايم السوارح، وطلاق زوجاتهم أنت طامح ورامح، وسالم بن شقبان المذكور غمر مغرور كفرعون وهامان في الاستكبار، وحَسْبه جهنم وبئس القرار، وهو في الشوم(٩) كالبوم، وكالحميم ونار السموم، ختل وختر، وتولى وكفر، سَفَّاك كثير السُّطا، يميل عن الصواب

---

(١) أي عيد الفطر، شوَّال ١٢١٧هـ/ يناير ١٨٠٣م.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: أيامًا.
(٤) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.
(٥) ٢٥ شوَّال ١٢١٧هـ/ ١٧ فبراير ١٨٠٣م.
(٦) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.
(٧) القرآن الكريم، سورة المدثر، آية رقم ٣١.
(٨) كذا في الأصل، والصواب: إيمانًا.
(٩) كذا في الأصل، والصواب: الشؤم.

إلى الخطأ، أحاط بجنوده على الطايف[١] فإذا الوحوش حشرت، ونثر الفئة الباغية فإذا الكواكب انتثرت، حتى قاربوا البلد وكادوا يبلغون النجوم في العَدَد، فأقبلوا كالجراد المُنتشر والسيل المُنهمر، يرومون أنْ ينتقزوا السور، غَرَّهم دينهم وغَرَّهم باللَّه تعالى الغَرُور، وجانب يزعم رَيِّسهم أنَّه ابن جَلاَ وطَلاَّع الثنايا[٢]، قاصدًا لقتال الشريف بداره التي في حَوَايَا.

وما زالت جمرة القتال بينهم طول النهار تشتعل كالنار، حتى مالت الشمس للغروب وكُلّ نفس مسّها تعب و لغوب، / ق٢١٥/ حتى ركب الليل أدهمه وعسعس، وغطا كفله بفلكه الأطلس، عاد الشقي بأقوامه عن السور، ورجع خايبًا[٣] بحمد اللَّه تعالى مكسور[٤]، لكن بعد ما أهلكتهم المدافع والقلل، وفعلت فيهم فعل كُلّ هُمَام بطل، حتى شويت أجسامهم بناره، وجرهم البارود في تيّاره، ورجعوا إلى خيامهم بتنكيس أعلامهم.

ولمَّا نشرت راية الصباح، وقلّد الأُفق مِن أديمه حجولاً ووشاح[٥]، أقبلت على الطايف[٦] طوايف[٧] الأحزاب، وتَعَاوت عليه كما تتعاوى على الذياب[٨] الكلاب، واحتاطوا به مِن جميع الجهات، وهيهات أنْ يسلم مِنْهم هيهات، فأغاروا على البلاد كثمود وعاد، وطال بينهم الجلاد في تلك الوهاد،

(١) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.
(٢) ابن جَلَا وطلاَّع الثنايا، يقصد به سُحيم بن وَثيل الرياحيّ التميمي، أحد الشعراء المخضرمين، عاصر الجاهليَّة والإِسلام، ولد في الكوفة، وعاش حوالي مائة عام؛ أربعين في الجاهلية وستين في الإسلام، ومِنْ أشهر شعره أبيات مطلعها: أَنَا ابنُ جَلاَ وطَلاَّعُ الثَّنَايَا .... متَى أضَعِ العِمامَةَ تَعرِفُوني، وتوفي حوالي عام ٦٠هـ/ ٦٧٩م. محمد بن سلاَّم الجُمَحِي، **فحول الشعراء**، ٢/ ٥٧٥-٥٨٠؛ خير الدين الزركلي، **الأعلام**، ٣/ ٧٩.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: خائبًا.
(٤) كذا في الأصل، والصواب: مكسورًا.
(٥) كذا في الأصل، والصواب: ووشاحًا.
(٦) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.
(٧) كذا في الأصل، والصواب: طوائف.
(٨) كذا في الأصل، والصواب: الذئاب.

وما زالت جمرة الحرب بينهم تتقد، وأجسام الأشقيا[1] تصدر مِن حياض المنايا وترد، حتى أزهرت نجوم الظلام، وأقبل مِن المشرق جيش حام، فكثرت أسوارها في وجوه كلابها، وأرخت عصمتها على حين تمنع نقابها، ولم يجد تلك الطوايف[2] محاصرتهم للطايف[3] فكورت شمس مواكبهم وانتثرت كنس كواكبهم وأجال أشقاهم فرخ فكره وتدبر عاقبة أمره وعلم أنَ لا سبيل إلى ما رام ولو ذاقت نفسه الحمام، فعاد بجيوشه إلى خيامهم بعد حلّ عقد نظامهم، وقد تركهم المدفع تلفًا، وشقّقت أجسامهم شقًّا لا يريفا، فقتل مِنْهم شيء كثير يجل عن الحصر، وأُصِيْب مِنْهم بالجراحات ما لم يمر مثله ولا مرَّ، حتى ملوا[4] بقتلاهم الآبار والحفر، وجرّ بعضهم بعضًا بالأحبال جرّ البقر.

[تفرّق العُربان وبعض الأشراف عن الشريف غالب]

وفي هذه الليلة المذكورة وقع أمر غريب، حار فيه العاقل اللبيب، وهو عجيب وأيّ عجيب، يكاد مِنْه الطفل العظيم يشيب، لم أعلم هل هذه فعلة كهانة وسحرة، أم أمُور مِن اللَّه تعالى مُقَدَّرة؟ وهو أنَّ جميع عُربان الشريف تَفَرَّقُوا شذر مذر، وعَالجَهم على الجلوس بمهما يطلبون مِن المال، فما قَدر، وتَشَتَّتُوا ظاهرًا واختلاسًا، وظَنُّوا ظُنُونًا فاسدة وقياسًا، وظهر الخلل في الأبراج والأسوار، وسفه فكر الحليم واحتار وطاشت عقول العقلاء، ولم يمكنها الاصطبار، والفعل للَّه الواحد القهار، وكُلّ شيء / ق٢١٦/ عنده بمقدار، فحصل لمولانا الشريف انزعاج وقلق عظيم على تَفَرّق عُربانه، وتركهم الحصون والأسوار قبل إبّانه، وأيضًا مِن جملة الأسباب الداعية لحصول هذه الداهية، أنَّ السيد عبد اللَّه بن الشريف سرور فعل فعلة يَتَخَلّد

(١) كذا في الأصل، والصواب: الأشقياء.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: الطوائف.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: للطائف.
(٤) كذا في الأصل، والصواب: ملأوا.

ذِكْرهَا مدى الدُّهُور، جمع في هذه الليلة جميع الأشراف، وأرضعهم مِن لبان الخلاف، واتفق معهم أنْ يترك عَمّه في هذه الضنكة، ويَتَوَجَّه بهم إلى مكة؛ فوافقوه لِمَا طلب، وكان هذا مِن أعظم السبب.

ولـمَّا صبح اللَّه تعالى بالصباح، وحَيْعَل بالقتال داعي السلاح، برز الفوارس الشجعان حومة الميدان، وانتضى كُلّ شاكي السلاح مهندًا وسنان(٥)، وتَفَقَّد مولانا صاحب الترجمة أبطال الملحمة، وسأل عن الكُمَاة وأهل النضال والرماة، فقيل له: إنَّ عبد اللَّه المذكور ابن الشريف سرور، قد اختزل ثلث المراجل بين فارسٍ وراجل، ومَالت إليه الأشراف كُلّ المَيل، وسرى بهم جنح ليل، فكدر عليه هذا الخبر وشقّ، وحصل عنده قلق وأيّ قلق، فأخذ يُقَدِّم رجلاً ويؤخر أخرى، ويفكر في سورة القتال وفي الإسراء، وما فطن إلا والعيون أقبلت عليه، وأخبرته بأنَّ الوهابيين مُتَوَجِّهُون إلى مكة(٦)، وليس لهم مِنْ رواحها مفَكَّة.

[انسحاب الشريف إلى مكة]

ولـمَّا نظر إليهم رآهم نازلين مِنْ ريع التمارة، فتحقَّق عنده القول بهذه الأمارة، واستشار مَنْ لديه بالآراء المضبوطة، وكان نتيجة الرأي أنَّ هذه عملت بينهم وأمُور مربوطة، فما وسعته الإقامة على موقف الندامة، وفي المثل القديم: المَلِكُ عَقِيمٌ(٧)؛ فعزم على أنْ يُجِدّ السير خلفهم مِنْ الطريق الثاني، محفوظًا بآيات المثاني، ويأخذ الطريق الأقرب ويستدرك المكانة، خوفًا مِنْ أنْ تطرقها يد الخِيانة.

---

(٥) كذا في الأصل، والصواب: سنانًا.

(٦) يذكر أحد المؤرخين المعاصرين للأحداث، أنَّ تقدم الوهابيين نحو مكة المكرمة، كان خَدِيعة مِنْ عثمان المضايفي حتى يشغل الشريف غالبًا بأمر مكة المكرمة، ويصرفه عن الطائف، فيتمَكَّن مِن الاستيلاء عليها، وقد كان. لطف اللَّه جحاف، **درر نحور العين**، ص ٥١٧-٥١٨.

(٧) والمقصود أنَّ المَلِكَ لو نازعه وَلَدُهُ مُلكَهُ لم يلبث أنْ يُهْلِكَهُ فيصير كأنَّه عقيمٌ لم يولد له ولد. انظر: الحسن بن علي العسكري، **جمهرة الأمثال**، ٢/ ٢٤٧.

وَإِذَا الْـعَـرِيْـنُ تَـصَـارعَـتْ آسَـادُهُ
عَـوتِ الـثَّـعَـالِـبُ فِيْـهِ آمِـنَـةَ الـرَّدَى[1]

لكنَّه ألـمَّ بالطايف[2] قبل مسيره، وحرضهم على قتال العدو بحسن تدبيره، وأعطى للعسكر ومَنْ بقي مِنْ البوادي على عشرة مشاخصة، فما أطاعوه لعدم عقولهم الناقصة، فتَوَجَّه إلى مكة على طريق المثناة، وقد اغرورقت بالدموع عيناه. / ق٢١٧/

[سقوط الطائف في أيدي السلفيين]

ولمَّا انفصل الشريف عن البلد، وغاب روحها عن الجسد، انفشل أهلها وذهب عقلها، وظلَّ الناس حَيَارى سُكَارى وما هُم بِسُكَارى، وأمَّا العسكر والأعراب بعضهم نقزوا السور، وبعضهم قَتَل البَوَّاب وكسروا الباب، وحينئذ لـمْ يقرّ لساكنيها قرار، وتركوا الحصون والأسوار، وركبوا مَطِيَّة الفرار، وخرجوا هاربين مِنْ كُلّ دارٍ، وفَرَّ النساء والرجال، ومَن لم يبلغ الحُلُمَ مِن الأطفال، وقنعوا بسلامة الأرواح دُون الأموال، فعَطِبوا وما تمَّت لهم الآمال. فلمَّا كان مِنْ أمرهم ما كان، وظهر الأمر وبَان، وقد جَرَى في علم الواحِد الأحد، أنْ تُصَفَّى رسُوم هذه البلدة، وأنْ يملكوها ويَنْتَهِكُوها، ويَصُولوا على أهلها ويهلكوها؛ ﴿وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ﴾[3].

وعندما أراد اللَّه سبحانه بنزول هذا العذاب، كان مِن جملة الدواعي والأسباب، خرج شخصٌ مِنْ أشقيا[4] أهل الطايف[5]، كان مِنْ قَبْل على خزي

---

(١) البيت لا يعرف قائله، انظر: أحمد بن محمد ابن عربشاه، **عجائب المقدور**، ١/ ١٧١.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: بالطائف.
(٣) القرآن الكريم، **سورة الرعد**، الآية ١١.
(٤) كذا في الأصل، والصواب: أشقياء.
(٥) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.

الوهابيين عاكف[١]، يُسَمَّى دخيل اللَّه بن حريب، لا شك في شقاوته ولا ريب، فأسرع مُجِدًّا في طلب الوهابيين، واسترجاعهم بعد أنْ وَلُّوا مُدبرين، وأخبرهم أنَّهم قد انفشلوا بغير أشاتها ومنقوشها، وتركوها خاوية على عروشها، فرجعوا مُقْبِلِين على البلد بصولة الأُسُود والثعابين السُّود، وقَدَّمُوا مِنْ أشقيائهم شقيًّا يقال له: عبداللَّه البويخيت، يُمَهِّد لهم الأُمُور، ويَعْرِف لهم مَنْ بقي في السور، فدخلها مع دخيل اللَّه بن حريب، راس[٢] المُنافقين، وزاملة العيب.

فأوَّل بيت دخله ذو الشنعة بيت الزّرْعَة[٣]، وهم مِنْ أعَزِّ البلد وأغناها،

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: عاكفًا.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: رأس.

(٣) **بيت الزّرْعَة**: أحد البيوتات العلميَّة في مكة المكرمة، وهو بيت قديم مِن أهل العلم والثروة وعلو الشأن، أصلهم مِن الهند، وكانوا مِن الذين حازوا الكتب الكثيرة، المعتبرة القديمة، وبخاصَّة تآليف أهل مكة؛ كتآليف الشيخ محمد جار اللَّه بن ظهيرة وابنه المفتى الشيخ علي، والشيخ عبد الرحمن المرشدي وابنه الشيخ القطبي، وبيت علاَّن، وبيت الطبري، وبيت الحطاب، وبيت القلعي، وبيت سنبل، ولكن دُثِرَتْ ولم يبقَ مِنْها إلا نَزْر مِن جمّ؛ وذلك بسبب بخلهم بعدم إعارتها لأهلها، لأجل القراءة فيها ونسخها، حتى يصير مِنْها نسخ متعددة. وأوَّل مِن جاء التاريخ بخبره مِنْهم الشيخ محمد بن أحمد الزرْعة، الذى دخل على الشريف بركات بن محمد حين ولي مكة أواخر القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي، وتمثل بين يديه بآية: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾﴾ [سورة النساء: ٥٤] فاستبشر يومئذ بذلك. ثم كان من قتله. وكان مِنْهم تجار أهل ثروة بالطائف وقت قدوم الوهابيين إليها؛ وقد افتدى الشيخ إبراهيم الزرْعة - المذكور أعلاه - مِنْم يومئذ كثيرًا مِن أهل الطائف بماله. ولهم بالطائف عقار معروف لكنَّه انتقل إلى غيرهم. ومِنْهم الشيخ أبو بكر الزرعة، شاعرٌ شهيرٌ في القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي، وولداه الشيخ محمد، والشيخ محمد علي مِن أئمة مقام الحنفي، وكان الشيخ محمد رئيس الخطباء. ومِنْهم الشيخ تقي الدين الزرعة، كان إمامًا أيضًا، وكان مِن أماثل المُطَوِّفين ساكنًا بحارة القشاشية، وقد مات وله ذرية اشتهروا ببيت تقى، ولم يبقَ لهم مِن عقار أسلافهم سوى دار بمكة بخط المدَّعى، عند رأس الزقاق المشهور بزقاق غراب. ومِن عقاراتهم داران بحارة الشاميَّة: إحداهما بزقاق رضوان بيك كان ساكنًا بها السيد علي بن محمد بن عبد اللَّه المرغني، والآخر بخط سويقة فى ما بين باب الزيادة وباب القطبي. عبد اللَّه الغازي المكي، **سُكَّان مكة بعد انتشار الإسلام: عوائل مكة** =

وأرفعها مقدارًا وأعلاها، فاتفق على نَقْدٍ معلومٍ، مع المرحوم إبراهيم الزّرْعَة، على سلامة أهل هذه البقعة، وما أظُنَّه يصدق فيما قال، وإنَّمَا هي خديعة لِيَكُفُّوا أيديهم عن القتال، وأخذ مِنْه يغمرلكًا كان لابسه في الحال، وأخذ سيفه المحلى بالذهب العال، وخرج على أنْ يأتيهم بالأمان مِنْ سالم بن شقبان وأشقى البرية عثمان، فرماه برصاصة بعض الشهداء(١) مِنْ أهل الطايف(٢)، حتى ترك نتن روحه جايف(٣)، فأكب على وجهه باليغمرلك الأحمر، واشتاقت روحه الخبيثة إلى سَقَر.

وحينئذ حملت الوهابيون على السور حملةً واحدةً، / ق٢١٨/ وما رأت أهل البلد غير الاستسلام للقتل فايدة(٤)، وأمَّا الذين فرُّوا بأرواحهم وخرجوا، وظنُّوا أنَّهم لبحر السلامة وَلَجُوا، فقد أدركتهم خيل الوهابيين وأبادوهم أجمعين، وما سلم مِنْهم إلا نزرٌ قليلٌ، بسبب العمر الطويل.

ولمَّا دخل الوهابيون البلد، وجدوا تلك الحصون لا تمنع ولا تصون، وعن وجوه أسوارها قد رفع النقاب، وليس لِمُخَدَّرَاتها باب ولا حجاب، فقتلوهم قتلاً عام(٥)، ولم يبقَ أحدٌ إلاَّ في الدماء عام(٦)، وضحُّوا بدماء هؤلاء الموحّدين، وصعدت أرواحهم إلى أعلى عِلِّيِّينَ للحور العين، واستوعبوا الكبير والصغير، والمأمور والأمير، والشريف والوضيع، وعلى صدر أمه

= عبر العصُور، تحقيق: محمد الحبيب الهيلة، القاهرة، دار القاهرة، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٦م، ص ٣٥-٣٦.

(١) يذكر جحاف أنَّ الذي قام بهذا العمل بعض اللواتية الباطنية - وهم مِن الشيعة - الذين كانوا يعيشون في الطائف، وكانوا في قصر مقابل لباب الطائف، ويرجع فعلتهم إلى أنَّ الوهابيين إذا علموا بهم سوف يتخلصون مِنْهم، فكان ذلك سببًا في استباحة الوهابيين للطائف. درر نحور العين، ص ٥١٨. وهذه الرواية انفرد بها المؤرخ المذكور، ولم أجد لها مماثلاً في المصادر التي بين يدي.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: جَائِفًا.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: فائدة.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: عامًا.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: عائمًا.

الطفل الرضيع، حتى سال وجه البسيطة بالدماء، ومِنْ عُيون الجراحات فاض قطر النَّجِيع وهَمَا.

ثم صعدوا إلى البيوت ليخرجوا مَنْ توارى، ويتتبعون الدور دارًا فدارًا، فيجدون كُلّ جماعة يَتَدَارَسُونَ كلام رب العزّة في تلك المواقف، فيقتلونهم وفي أيديهم المصاحف، ورُبَّمَا سال بعض النَّجِيع القَانِي على آيات المَثاني، حتى أبادوا مَنْ في البيوت جميعًا، وقتلوهم قتلاً ذريعًا، ثم خرجوا إلى الحوانيت والمساجد، فجعلوا يقتلون كُلّ مَنْ يَجِدُون، ويقتلون الرجل وهو راكع أو ساجد، حتى أفنوا تلك المخلوقات، فويل لهم ثم ويل لهم مِن جبَّار السموات.

ولمْ يبقَ مِنْ أهل الطايف[1] إلاَّ شرذمة قدر نيف وعشرين، انحازوا لبيت الفتني[2] وتَرَّسُوه، ومنعوهم بالرصاص أنْ لا يصلوه، وجماعة في بيت الفِعْر مُنْحَازين، عدتهم مائتان وسبعون، قاتلوهم يومهم بِمَا طال، وشاغلوهم بكثرة النضال، ثم قاتلوهم في اليوم الثاني، ومنعوهم مِنْ كُلّ موضع قاصٍ ودانٍ، ثم قاتلوهم في اليوم الثالث لآخر النهار، ولمْ يتركوا لهم طريقًا يمرّ به المار.

فعلم ابن شقبان أنْ لا سبيل على هؤلاء إلاَّ بالخديعة والخيانة ويأخذهم بالغدر، وهو مُتَبَطن بسوء البِطَانة، فراسلهم بالأمان، وأنَّكم في وجه ابن شقبان وعثمان، وعاهدهم بالعهود والمواثيق، ووثقوهم مِنْ وجوههم غاية التوثيق، فعند ذلك كفوا أيديهم عن القتال / ق٢١٩/ كافة، وقالوا: ﴿ يَتَأَيُّهَا

(١) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.

(٢) **بيت الفتني**: ينسب هذا البيت إلى أحد الأسر العلميَّة التي لمع نجمها في الحجاز منذ بدايات القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي، ويرجع هذا البيت إلى الشيخ عبد الوهاب بن عبد الغني الفتني الحنفي الهندي، الذي قدم مِن الهند وأقام في مكة المكرمة، وعمل في التجارة، ثم أقام في المدينة وينبع، وأخذ عن مشايخ كثيرين في الحجاز، وتوفي في مكة عام ١١١٧هـ/ ١٧٠٥م. وظهر مِن نسله الشيوخ عبد الرحمن الفتني (ت ١١٦٢هـ/ ١٧٤٩م)، وعبد اللَّه الفتني (ت ١٢٦٣هـ/ ١٨٤٧م)، وعبد القادر الفتني (ت ١٣٢٥هـ/ ١٩٠٧م)، وعبد الملك الفتني (ت ١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م). عبد اللَّه المعلّمي، **أعلام المكيين**، ص ٧١٦-٧١٩.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةً﴾[1].

فأدخلوا معهم جماعة في هذه الدار، واستقرُّوا بها غاية الاستقرار، فأوَّل خيانة ظهرت مِنْهم أخذوا مِنْ أيديهم السلاح، وقالوا حَمْله للمشركين غير مُباح، ثم أمرهم بالخروج لمواجهة الأمير، لينظر ما يصنعه معهم مِنْ تدبير، فخرجوا على هذا العهد والميثاق، فلمَّا مثلوا بين يديه نادى مسحًا بالسوق والأعناق، ففازوا جميعًا بالشهادة، ولَمْ يبق واحد مِنْهم إلا أباده، وكان مشهدهم بذروة قوز، في موضع يقال له: دقاق اللوز، فهنيئًا لهؤلاء المُجاهدين بأعلى عِلِّيِّينَ.

وأمَّا الجماعة الآخرين النايفين[2] عن العشرين، وجماعة كانوا مُشَتَّتِين نحو الخمسين، في بيوت ذوي عيسى مترسينها تتريسًا، فأخرجوهم بالعهد، وأدخلوهم بالوعد، لكن على الرقاب دون بقية الأسباب، فسلُّوهم كما تسلّ الشعرة مِن العجين، وكان عدتهم الجميع بين الستين والسبعين، ثم أخرجوهم مِنْ دُورِهم إلى مسيل وادي وَجّ، وتركوهم في البرد والثلج، ولَمْ يسلم غير القدر المذكور مِن الذكور، وما عداهم فاز بالشهادة، ونال الحُسْنى وزيادة، إلاَّ مَنْ ركب مَطية الفرار وتحوَّل، وشرد في النهار الأوَّل، وهذا ما بقي مِنْ جميع البلدة، والبقاء للَّه وحده.

فسبحان مِن أباد هذه الأمم، وهو الذي أوجدهم للوجود مِن العدم، وما زالوا مكشوفين[3] السوأتين، عادمين[4] الحالتين، حتى رموا عليهم أطمارًا بالية مِن الكسا[5]، وجمعوا بين الرجال والنسا[6]، وما زالوا تحت الأسر واستيلائهم بالغلبة والقهر، قد أهلكهم ثلج البرد وحرّ الشمس، وودوا

---

(١) القرآن الكريم، سورة البقرة، آية ٢٠٨.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: النائفين.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: مكشوفي.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: عادمي.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: الكساء.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: النساء.

لو أَنَّهم مِنْ سكان الرمس، وصارت تلك المُخَدَّرَات في أسوء الحالات، قد ساموهم سوء العذاب، وبدا لهم ما لَمْ يكن في حساب، مِن التفريق بين الوالدة وولدها، والروح وجسدها، وذهلت كُلّ مرضعة عَمَّا أرضعت، ورضيت بالموت وقنعت، وفرَّ كُلّ امرئ مِنْ أمه وأبيه، وصار له شأنٌ يُغنيه، حتى تمَّ لهم ثلاثة عشر يومًا، وهم يعاملونهم بهذه الصلافة، وقد هلكوا مِنْ البرد والجوع والمخافة، ثم عاهدوهم على دخول هذا الدين، وأنْ يسألوا قُوْتَهم مِن / ق٢٢٠/ إخوانهم المسلمين، فصاروا يكتفونهم بذل السؤال، فيعطونهم ملأ الكفّ مِنْ الذرة وسربال بال، فإذا جمع الشخص مِنْ الذرة شياء[1]، حفنة بعد حفنة يقضمه، لكونه لا يملك قِدْرًا ولا جَفْنَةً.

وفي كُلّ يوم يدخلون[2] إلى البلاد هؤلاء الخوارج، وينقلون أموالها إلى الخارج، ويتهافتون عليها تهافت الفَرَاش، وينهبون النقود والعروض والأثاث والفِراش حتى أنجحوها، وبدَّلوا رسومها ومحوها، وجمعوا إلى مُخَيَّمهم جميع هذه الأموال، حتى صارت كأمثال الجبال، إلا جنس الكتب فإنَّهم نشروها في تلك البطاح، ونشروها في الأزقة والأسواق، تعصف بها الرِّياح، ورُبَّمَا مِنْ المصاحف والرّبَاع[3] آلاف مؤلَّفَة، ومِنْ نسخ البخاري ومسلم والكتب الستة، وغيرها مِنْ كتب في علم الحديث مؤلفة، ومِنْ جميع كتب الفقه على الأربعة مذاهب، ومِنْ كتب النحو والصرف، وغيرها مِن بقية العلوم، ما هو عند أهل الكمال معلوم.

وما زالت أنامل النسيم تميس بتلك الأوراق، وأطيار الأحزان تنوح بِمَا فيها مِنْ تلك المعاني الرقاق، والأعاصير تغرب بها وتشرق، وأكفّ أعداء اللَّه تعالى تحرق فيها وتمزق، حتى مضى لها على هذا المنوال أشهر وأيامٌ، وحزن

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: شيئًا.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: يدخل.

(٣) الرّبَاع: جمع رَبْعَة؛ حيث يقسم المصحف إلى أربعة أرباع، كل ربع على حدة. المعجم الوسيط، ص ٣٢٥.

على تشتيتها الجهال والأيامَى، وهُم يطأونها بأرجلهم في الأزِقَّة والأسواق، فلا يقدر واحد على لَقْط ورقة مِن تلك الأوراق. ونرجو مِن اللَّه الكريم أنْ يرينا فيهم قوّته في الدنيا قبل الآخرة، بِمَا فعلوا مِنْ قتل الموحّدين، وضياع هذه الكتب الفاخرة.

وفي يوم مِنْ بعض هذه الأيام، وسوس لهم شيطانهم الرجيم، وأخبرهم كاهنهم القديم، أنَّ عزيز الأموال تحت تخوم الأرض مدفونة، وقد دسُّوا نفائسه وعيونه، فحفروا حفيرة في بعض المحال، ووجدوا فيها مخبوء غزير الأموال، فظنُّوا أنَّ جميع الدور فيها مثل ما في هذه، التي صادفت بها القدرة، فأخطأت استهم الحفرة، فحفروا جميع بيوت البلد قاصيها ودانيها، وأخْرَبُوهَا مِنْ أسافلها إلى أعاليها، فحفروا المَطاهر والبَالُّوعَات، وما تركوا السبق إلاَّ وقد حازوا له قصبات، حتى أخربوا تلك الربوع العامرة /ق٢٢١/ بالأنس والمسامرة، وشَوَّهُوا جميع أماكنها وسلبوها أثواب محاسنها، فتنكرت ضعاتها، وظهرت عفاتها[1]، وتلا

(١) هناك إجماع بين المصادر المعاصرة للأحداث على التخريب، والقتل، والتدمير، والفظائع التي اقترفها الوهابيون عند دخولهم الطائف، وقد قدرت المصادر المعادية للوهابيين أعداد القتلى بالآلاف، وقد حاولت إحدى الباحثات إبدال تلك الحقائق، التي لا غبار عليها، بصورة مغايرة للواقع. لطيفة بنت مطلق العدواني، **عثمان المضايفي**، ص ١٤٦-١٤٧. ولا غبار بأنَّها قد تجاهلت ما سجَّلته المصادر الوهابيَّة نفسها، حيث ذكر ابن بشر في تاريخه واقعة دخول الطائف بقوله: «وقتلوا مِنْ أهله في الأسواق، فقتل مِنْهم عدة مائتين، وأخذوا مِنْ البلد مِنْ الأموال الأثمان والأمتاع والسلاح والقماش والجواهر والسلع الثمينة، ما لا يحيطه الحصر ولا يدركه العدّ». عثمان بن بشر، **عنوان المجد**، ١/ ٢٦٠. ولعلّ في ذلك ما يقرُّ بوقوع هذه الفعلة في الطائف. وما بين مصادر مناهضة للوهابيين تقدّر أعداد القتلى بعدة آلاف، ومصادر مؤيدة لهم تقدر أعداد القتلى بمائتين، فلا شك أنَّ الحقيقة تقع بين هذين العددين، ولا ريب أنَّ هناك مذابح اقترفت فعليًّا في الطائف، لا يمكن إنكارها أو تجاهلها، ولا بُدّ مِنْ ذكر أنَّ بعض القوات الوهابيَّة، التي شاركت في اقتحام الطائف كانت مِن عُربان عسير، وما تزال حديثة الانضمام إلى الدعوة، ويبدو أنَّ تحمسهم قد دفعهم لارتكاب هذه الأعمال الوحشية، ظنًّا مِنْهم أنهم يمكنون لها، ولا يدركون أنَّ ذلك سيكون ضدها. أحمد بن محمد بن أحمد الحضراوي، **اللطائف في تاريخ الطائف**، مخطوط في مكتبة مكة المكرمة، تحت رقم ١٩ تاريخ، الورقات ٢٩-=

المتمسك بالسنة والفرض: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ﴾[١].

أَمَّا الخِيَامُ فَإِنَّهَا كَخِيَامِهِمْ
وَأَرَى نِسَاءَ الْحَيِّ غَيْرَ نِسَائِهِمْ[٢]

كيف لا والطايف[٣] جنة الدنيا وغايتها القصيا[٤]، هواؤه لطيف، وصحة الأبدان شتاء ومصيف[٥]، رياض سندسه الأخضر يسقى بماء الكوثر، وهو للأبصار بهجة ونزهة، وكأنَّما له بالجنان شبه، أرق لطافة مِنْ النسيم، وألذ مِنْ العافية على الجسم السقيم، فهو أندلس جزيرة العرب ما شط مِنْها واقترب، إلى غير ذلك مِمَّا لا ينتهي لصفاتها المداح، ولا تسعه المتون والشراح، فأحالوا صفتها، وبدلوا معرفتها، فصارت خرابات وحفر[٦]، وعجر وبجر[٧]، مُشَوَّه مرآها، فلا تَسُرُّ مَنْ رآها، تبلو بها لسان الواعظ والاعتبار؛ ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ ﴾[٨].

فسبحان مَنْ بيده ملكوت كُلّ شيء: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَيِّ﴾[٩]، وما هذه الدنيا إلا موعظة واستبصار لأُولي الاعتبار، ليعلم أهل الدنيا أنَّ نَعِيمَهَا زوال، وزُخْرُفَهَا مُحَال وأيّ مُحَال، وأنَّ القاطن فيها

= ٣٥؛ عبد الرحمن الجبرتي، **عجائب الآثار**، ٣/ ٣٧٣؛ لطف الله جحاف، **درر نحور العين**، ص ٥١٨؛ أحمد جودت، **جودت تاريخي**، ٧/ ٢١٠-٢١١؛ أحمد زيني دحلان، **خلاصة الكلام**، ٢٧٤-٢٧٥؛ أيوب صبري، **تاريخ وهابيان**، ص ٢٧-٣١؛ عبد الله بن محمد آل بسام، **تحفة المشتاق فِي أخبار نَجْدَ والحِجَاز والعراق**، مخطوط في دارة الملك عبد العزيز، رقم ٢٠٨، الرياض، ص ٢٠٠-٢٠١.

(١) القرآن الكريم، **سورة إبراهيم**، آية رقم ٤٨.

(٢) البيت لأبي الفضل بن عبد الصمد، انظر: **محمد بن أيدمر المستعصمي**، ٤/ ٢٤٦. .

(٣) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: القصوى.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: ومصيفًا.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: وحُفَرًا.

(٧) كذا في الأصل، والصواب: وعجرًا وبجرًا. ومعناه: الهموم والأحزان.

(٨) القرآن الكريم، **سورة إبراهيم**، آية رقم ٤٨.

(٩) القرآن الكريم، **سورة الأنعام**، آية رقم ٩٥.

على جَناح سفر، فليتخذها جسرًا ومـمر[١]، ومَنْ أراد الاعتبار فليعتبر بهذه القصة، فغُصَّة الطايف[٢] على جميع المسلمين أعظم غُصَّة. وكان حُصول هذا الشر عام ألف وماتين[٣] وسبعة عشر[٤].

ثم إنَّهم لمَّا نقلوا تلك الأموال إلى الخارج، وكانت كالجبال ورمال عالج، قسَّمُوها بينهم قسمة ضبط وتحرير، بعد إخراج خمسها للأمير، وقسَّمُوا الباقي، كما تُقَسَّم الغنايم[٥]، على هؤلاء البهايم، وتَوَجَّه البيشي[٦] الشقي وارتحل عن البلاد، بعد أنْ أضرم نار السعير في صميم الفؤاد، وأهلك العِبَاد والعُبَّاد، وبقي عثمان المضايفي أميرًا على الطايف[٧]، بئس هذا الأمير الجاير الحايف[٨].

وقد أرسلوا كُتُبًا وعَرَّفوا ابن سعود، بِمَا صار على الطايف[٩] مِنْ القضاء الموعُود، وكان مبرزًا بالدهنا[١٠]، راكِبًا على العراق بغزية له سبعة أيامٍ عن الدرعيَّة، / ق٢٢٢/ فأسَرَّه ما وقع، وأقبل مُجِدًّا وأسرع، فالتقى بابنِ شقبان ومَن معه مِن مَرَدَة العُربان، ووصلوا جميعًا إلى قرية يقال لها:

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: مَمَرًّا.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: مائتين.

(٤) استولى الوهابيون على الطائف في أوائل ذي القعدة ١٢١٧هـ/ مارس ١٨٠٣م.Harford Jones Brydges, op. cit, p.31؛ فيلكس مانجان، **الدولة السعودية**، ص ٣٠٨-٣٠٩؛ عبد اللَّه آل بسَّام، **نزهة المشتاق**، ص ٢٠١.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: الغنائم.

(٦) ورد على هامشي الأصل و النسخة (ب) ما نصّه: «قوله البيشي هو سَالِم بن شُكْبَان، وله الآن ولد يُسَمَّى عبد الرحمن، أحد الشجعان، وفارس الميدان، وعقيدته سليمة مِن الاعتقادات الذميمة، عرفناه ومِنْ مُدَّة صاحبناه، فما رأينا عليه شي أنكرناه» زين العابدين (زين العابدين عليّ في النسخة ب)». ورقة ١٧٥.

(٧) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.

(٨) كذا في الأصل، والصواب: الجائر الحائف.

(٩) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.

(١٠) كذا في الأصل، والصواب: الدهناء.

العيينة، وأهلها مِنْ جُملة مُتابعيه والعتاة، وهي إلى مكة على ثلاثة[١] مراحل للراكب والراجل، وأناخ بجنوده على تلك القرية، ويجمع مِنْ عَصَايب[٢] التزوير والفرية، حتى صاروا كالدُّود على العود، وملوا[٣] الآفاق والوجود، فبلغ الخبر لجيران بيت اللَّه الحرام، وما مقصدهم بالحج إلاَّ عدم الاحترام، فحصل اضطراب لحجاج المسلمين، بقدوم هذا اللعين.

[مِن أخبار قوافل الحج]

وقد أهال الناس ما فعل بالطايف[٤] وما صنع، وما أهلك في أهاليه وما شنع، وكثير مِن أهل مكة ترك الحج ونأى، خصوصًا وقد سمع ما سمع، ورأى ما رأى، ثم وردت الحجاج مِن كُلّ فجٍّ عميق، لزيارة البيت العتيق، ومِن جملة الوفاد محمد شريف باشا[٥] والي جدة، أدام اللَّه تعالى مجده

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: ثلاث.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: عَصَائب.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: وملؤوه.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.

(٥) **محمد شريف باشا**: تولى منصب دفتردار مصر فِي ٢٦ ربيع الآخر ١٢١٦هـ/ ٥ سبتمبر ١٨٠١م، وقد أدخل العديد مِن الإصلاحات أثناء توليه الدفتردارية، ولذلك لمَّا عزل في ٩ رجب ١٢١٧هـ/ ٥ نوفمبر ١٨٠٢م، حزن الناس عليه لأنَّهم لمْ يروا راحة مِنْ فترة طويلة إلاَّ في العام الذي تولاه، فكان يصرف الجماكية وغلال الأنبار عينًا، وكان كثير الصدقات، مهذبًا، بشوشًا، متواضعًا، وقد وصل نبأ تعيينه على ولاية جدة في ١٧ رجب ١٢١٧هـ/ ٣١ نوفمبر ١٨٠٢م، فسافر إليها في ذي القعدة ١٢١٧هـ/ مارس ١٨٠٣م. عبد الرحمن الجبرتي، **عجائب الآثار**، ٣/ ٣١٣، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٧-٣٣٩، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٧٠. وقد جاء في كتاب صدر إلى محمد شريف باشا بضرورة الاهتمام بالمهمة المنوطة إليه، لأنَّ هذا الأمر «لا يقارن بغيره مِن الأمُور، ولا بُدّ مِن اتخاذ كافة السبل لدفع تسلط ومفسدة الخارجي المذكور مِن أشرف بلاد الأرض وقبلة الموحدين مكة المكرمة، والبلدة المنيفة لجناب سيد المرسلين ومحطّ نظر رب العالمين المدينة المنوَّرة...». **الأرشيف العثماني**، H.H ٢٦٨٦. وقد مات قبل صعود الحجاج إلى جبل عرفة عام ١٢١٩هـ/ ١٨٠٤م وقيل إنَّه مات مسمومًا على يد الشريف غالب، بينما يذكر الشَّرِيف غالب في إحدى رسائله للباب العالي أنَّ محمد شريف باشا قد أُصِيْب بالقرحة، فمات على إثرها. لطف اللَّه جحاف، **درر نحور العين**، ص ٥٤١؛ جوهان لودوفيج بوركهارت، **مواد لتاريخ الوهابيين**، ترجمة عبد اللَّه الصالح العثيمين، جامعة الملك سعود، ط١، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ص =

وأعلا سعده، وعبد اللَّه باشا بن العظم، أمير الحاج الشامي، لا زال قدره سامي[1] ونوال كفّه هامي[2]، وأمير الحاج المصري عثمان بيه[3] قرجي[4]، لا يلف مِنْ مكارم الأخلاق شيء لديه.

وحجّ في هذا العام مِنْ أرض المغرب نحو خمسة عشر ألف كُلّ مِنْهم زار البيت ووقف، ووصل عامها لزيارة البيت السعيد، إمام مسكت[5] سلطان بن سعيد[6]،

= ٩٦؛ **دارة الملك عبد العزيز**، سجل رقم ٢٣٧٥٣، ملف رقم ١٠٤/ ١٦، وثيقة رقم ٣٣٥. وانظر: **ملحق الوثائق**، وثيقة رقم (٩).

(١) كذا في الأصل، والصواب: ساميًا.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: هاميًا.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: بيك.

(٤) **عثمان بيك قرجي**: خرج بقافلة الحج مِن القاهرة في ١٢١٧هـ/ ١٨٠٣م، وعاد إليها في ٢٩ صفر ١٢١٨هـ/ يونيو ١٨٠٣م. وقد عانى الحجاج كثيرًا في طريق عودتهم مِن الحجاز؛ حيث وقعت لهم العديد مِن المصاعب. ويذكر الجبرتي أنَّه قَدِم جاويش الحجاج بمكاتيب مِن مدينة العقبة، «وأخبروا بموت الكثير مِن الناس بالحمى والإسهال، وحصل لهم تعب شديد من الغلاء أيضًا ذهابًا وإيابًا»، وبعد تجاوزهم العقبة، وقعت لهم كثير مِن المشكلات، وبعد دخولهم إلى القاهرة مات كثير مِنْهم، والبقية كانوا في حالة إعياء شديدة. عبد الرحمن الجبرتي، **عجائب الآثار**، ٣/ ٣٩٩، ٤٠٠؛ أحمد الحضراوي، **مختصر حُسن الصفا والابتهاج**، ص ٢٩٣-٢٩٤.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: مسقط.

(٦) **سلطان بن سعيد** (١٢٠٦-١٢١٩هـ/ ١٧٩٢-١٨٠٤م): سلطان بن أحمد ابن سعيد، إمام عُمَان، وهو ابن الإمام أحمد مؤسس دولة آل بوسعيد فِي عُمَان، وُلِدَ في مدينة الرستاق حوالي عام ١١٦٨هـ/ ١٧٥٥م، وتولى الحكم عام ١٢٠٦هـ/ ١٧٩٢م، واتخذ مدينة مسقط مقرًّا لحكمه، وفي عام ١٢١٦هـ/ ١٨٠١م استولى على البحرين، ففرَّ آل خليفة إلى الدرعيَّة، وطلبوا المساعدة مِن الإمام عبد العزيز، فأرسل معهم قوة مكنتهم مِن استعادة ملكهم، وفي عهده بدأ الوهابيون الزحف إلى عُمان، وقد مات مقتولاً في عام ١٢١٩هـ/ ١٨٠٤م؛ على أيدي رجال مِن القواسم، أهل رأس الخيمة، صادفوه في مياه الخليج فقتلوه، ودُفِنَ في مدينة لنجة على ساحل إيران. محمد مرسي عبد اللَّه، **إمارات الساحل وعمان والدولة السعودية الأولى (١٧٩٣-١٨١٨م)**، المكتب المصري الحديث، القاهرة، ١٩٧٨م، ص ٧٩-٨١، ١٨٧-١٩٨؛ مِيخِين فيكتُور ليُونُوفِيتش، **حلف القواسم وسياسة بريطانيا في الخليج العربي في القرن الثامن** =

وحج نقيب الْمُكَلاَّ(١) في هذا العام، وكثرت الناس بمكة واشْتَدّ الازدحام، ولمْ يُعْلَم حجّ قبل هذا مِنْ كثرة المخلوقات، وتراكم الناس بعضها ببعض مِنْ كُلّ الجهات، حتى مُلِئَت بيوت مكة ونواحيها، وجهاتها وضواحيها، وما أرى الحِكمة في كثرة هذه الخلايق(٢)، إلاَّ لصدّ هؤلاء الزنادقة عن حج بيت الخالق، ولمْ يقدر أحد بسوء يصل إليها، إنْ بقيت هذه المخلوقات حواليها.

فلمَّا كان يَوْم التَّرْوِيَة(٣)، ورد الخبر أنَّ سُعود(٤) خَيَّم بعرفة مع أقوامه، وإنْ صَحّ هذا يكون سبب انتقامه، فلمَّا صعد للوقوف حجاج المسلمين، وأفاضوا العبرات بموقف الرحمة خاضعين، لم يجدوا بها أحدًا مِن تلك الطايفة(٥)، التى على الخزي عاكفة، ثم نزل حجاج المسلمين إلى مِنَى ورموا الجمرات، وبلغوا المُنَى، ونال مِن اللَّه تعالى كُلّ وافد، ما يرجوه مِن نيل المقاصد، ولمَّا أتمَّ مناسكه كُلّ حاج، وفاز بالمغفرة والابتهاج، قدم الوفد والأمر إلى أم القرى، وقد نالوا مِن الكريم خير قِرَى.

[سعود يحاصر مكة]

[وقد] كثر القِيل والقال، وثبت أنَّ المُدْبِر الشقي لا بُدّ له مِنْ إِقْبَالٍ، وإنَّمَا أَخَّره عن الوقوف / ق٢٢٣/ في هذا العام، كثرة الخلايق(٦) وحِدّة حَدّ الحسام، مع أنَّها كانت حجَّة الجمعة، فكيف يتأَخَّر لو لَمْ يخشَ مِنْ حدّ هذا

= عشر والنصف الأوَّل مِن القرن التاسع عشر، ترجمة: سمير نجم الدين سطاس، مركز جمعة الماجد للتراث والثقافة، دبي، ط١، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٩م، ص ٢٥٥ وما بعدها.

(١) الْمُكَلاَّ: أحد ثغور اليمن، يقع على ساحل بحر العرب، وهي عاصمة إقليم حضرموت. أيوب صبري، **مرآة الحرمين**، ٥/ ٢٢٩-٢٣٠؛ إبراهيم المقحفي، **معجم البلدان والقبائل اليمانية**، ٢/ ١٦٢٥-١٦٢٨.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: الخلائق.

(٣) ٨ ذو الحجة ١٢١٧هـ/ ٣١ مارس ١٨٠٣م.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: سُعُودًا.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: الطائفة.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: الخلائق.

الأبتر، فنادى صاحب الترجمة على جميع الوفاد، أنْ يخرجوا للجهاد، وأنْ يبرزوا خارج البلد بكثرة المَهَمَّات والعدد، فأوَّل مَنْ خرج للجهاد شريف باشا، وانتعشت به جيوش المسلمين انتعاشًا، فلمَّا بلغ سُعُود(١) هذا الخبر، تقهقر يومين عن موضعه وتأخَّر(٢).

[المراسلات بين أمراء الحج وسعود]

فعند ذلك جمع صاحب الترجمة - عظَّم اللَّه تعالى شانه - أمراء الحُجوج وأعيانه، وأشار عليهم بالركوب على هذا الغادر، ومكافحته بالأسنة والبواتر، فما وافقه أحد على الخروج والركوب على هذه العُلُوج، وتَعَلَّلوا عليه بعدم الذخاير(٣)، وفوات الوقت للمسافر، فتضمن(٤) لهمْ بجميع ما يحتاجونه مِنْ ماله بغير ثمن، ويَمُن به على الغزاة بلا مَنّ، وعَالجهم على ذلك أشَدَّ العلاج، فما قُبِلَ قوله عندهم ولا راج، إلاَّ أنَّهم قالوا: يراسله كُلّ واحد مِنَّا بكتاب، ويرشده عن غَيّه إلى طريق الصواب، فإنْ نادى فهو المطلوب، وإلاَّ فحقٌّ عليه الركوب؛ فأرسل كُلّ أمير مِنْ طرفه رسولاً يحذّره عن القدوم، ويمنعه عمَّا يروم، ويُعْلِمَه أنَّ عاقبة الأمر عليه شوم(٥)، وأنَّه متى تَجَرَّأ ودخل ووصل إلى ما وصل، غرب نجمه وأفل،

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: سُعُودًا.

(٢) إنَّ الوهابيين آثَرُوا الانتظار حتى لا يُعرِّضُوا أرواح الحجاج الأبرياء لأي خطر قد ينتج مِنْ جرَّاء دخولهم مكة، وألاَّ يعطوا لأمراء قوافل الحج ذريعة ليقفوا مع الشريف غالبٍ ضدهم، ويمكن أنْ نضيف إلى ذلك أنَّ الدعاية المضادةَ التي يبثها الشريف بين الحجاج كان مِنْ الممكن أنْ تؤتي أكلها إذا قام الوهابيون بمهاجمة مكة إبَّان الحجّ، الأمر الذي سينتجُ عنه ثبوت صحة ما روَّج له الشريف عن الوهابيين، الأمر الذي رُبَّمَا يدفعُ الحجاج إلى الانضمام للشريف، للدفاع عن بيت اللَّه الحرام، وقد كان عدد الحجاج في هذا العام كبيرًا جدًّا، وعلى ذلك فيبدو أنَّ الأمير سُعودًا قَد تجنَّب الأمر، تحسبًا لوقوع بعض الحوادث التي لا يحمد عقباها، ورُبَّمَا تأتي بنتائج عكسية. عبد الرحمن الجبرتي، **عجائب الآثار**، ٣/ ٣٦٩؛ عبد اللَّه العثيمين، **تاريخ السعودية**، ١/ ١٣٣.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: الذخائر.

(٤) أي التزم وضَمِن.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: شؤمٌ.

وسَطَا عليه سيف الدولة العليَّة الذي لا يفتريه فَلّ.

فلمَّا وصلت إليه المكاتيب وقراها[١] تحقَّق أنَّ عصبة عزمهم وهنت، وضَعُفَ عراها، وقال بلسان علم: لو أنَّهم كانوا مِنْ ذوي الشِّيم، لعَلِمُوا أنَّ آية السيف أصدق مِنْ آية القلم، فعند ذلك أعاد الجَوابات ومعها بعض مراسِيله، وشحنها مِنْ تزاويره وأباطيله، وأظهر قوته في المُكاتبة غاية الاستظهار، وما ازداد إلاَّ عتوًّا واستكبار[٢]، وبعدًا ونِفَار[٣].

[عودة أمراء الحج عن مكة]

فلمَّا وصلت المَكاتيب للأمراء، وأخذ كُلٌّ مكتوبه وقرأ، عَلِمُوا أنْ لا سبيل ولا مَطْمَع، في كَوْنه يرجع، فارتبشت[٤] آراء الأتراك، وحصل لهم أعظم ارتباك، فجمعهم صاحب الترجمة - زاده اللَّه تعالى عزًّا وفخرًا - وأشار عليهم بالركوب مرة أخرى، وقال لهم: في ركوبنا عليه ناموس للدولة، وعلوٌّ ومقدارٌ، يكسينا عزًّا وقدرًا وفخارًا، وتكفَّل لهم بجميع ما يحتاجون إليه حتى مِنْ النقود ومِنْ آلات / ق٢٢٤/ القتال كالرصاص والبارود، وقالوا: لا بُدَّ مِنْ إعادة المراسيل، واجتهدوا في أمر مستحيل فأرْسَلُوها، وما قروا[٥] عَواقِب الأمُور ولا تدبَّرُوها، فأعاد جواب كُلّ بخلاف ما أمله، وأخافهم حتى عالت المسألة، وتهدَّد على كُلّ واحد في كتابه، وأغلظ عليه في جوابه، ومِنْ جُملة دَكياته[٦] ودَهَائهُ في حركاته، بأنْ قال لهم: مَنْ أقام بمكة غير ثلاثة أيامٍ، أقتله قتل عام[٧]، وأجعله عبرةً للأنام، ومَنْ ارتحل قبل إبَّانِه[٨]، فاز مني بأمانه،

(١) كذا في الأصل، والصواب: وقرأها.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: استكبارًا.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: نِفَارًا.
(٤) أي اضطربت.
(٥) كذا في الأصل، والصواب: قرأوا.
(٦) أي ذكائه.
(٧) كذا في الأصل، والصواب: قتلًا عامًّا.
(٨) أيّ رحل قبل الوقت المُحَدَّد.

ففزعوا وأدركهم[١] الخوف ونزعوا، وهَمُّوا بالفرار، ولمْ يهنهم في عراصها[٢] قرار، فعالجهم شريف مكة أشَدَّ العلاج، وما حصل لقومه إنتاج.

فعند ذلك اجتمعت أكابر أهل مكة وأعيانها، وأفاضلها وخير سُكَّانها، وتَرَجُّوا مِنْ عبد اللَّه باشا بن العظم أنْ يُقِيمَ بمكة عشْرة أيام فأبى، وما زَادَه ذلك إلاَّ رَهَبًا، وسافر في خامس محرم[٣]، وترك كُلّ فؤادٍ يتَضَرَّم، وفي سادسه[٤] تَوَجَّه أمير الحج المصري إلى بلده، لا أخذ اللَّه تعالى بيده.

[انسحاب الشريف غالب وشريف باشا إلى جدة]

وتَوَجَّه في اللَّيلة السادسة شريف مكة إلى جدة[٥]، لمَّا تَوَجَّهوا هاربين وتَركُوه وحده، وفي صبيحتها تَوَجَّه شريف باشا المذكور[٦]، إلى بَنْدَر جدة المعمور، وبقيت الرعايا بمكة لا يقرّ لها مِنْ الخَوْف قرار ونُودِي: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ١٦﴾[٧].

---

(١) وردت في الأصل وأدكهم، والتصويب مِن النسخة (ب)، ورقة ١٧٨.

(٢) عِرَاصهَا: جَمْع عَرْصَة. وهي الْبُقْعَةُ الوَاسِعَةُ بَيْنَ الدُّورِ لَا بِنَاءَ فِيهَا. **المعجم الوسيط**، ص ٥٩٣.

(٣) ٥ محرم ١٢١٨هـ/ ٢٧ أبريل ١٨٠٣م.

(٤) ٦ محرم ١٢١٨هـ/ ٢٨ أبريل ١٨٠٣م.

(٥) تذكر بعض المصادر، أنَّ الشريف غالبًا قام قبل رحيله بنقل أمتعته وأثاث قصره إلى جدة، ثم أضرم النيران بقصره الموجود في أجياد، وظلّت النيران على ذلك ثلاثة وعشرين يومًا. عبد الرحمن الجبرتي، **عجائب الآثار**، ٣/ ٣٨٨، ٣٩٧؛ لطف اللَّه جحاف، **درر نحور العين**، ص٥٢٨-٥٢٩؛ Harford Jones Brydges, op. cit., p 32

(٦) يذكر الفرنسي جان ريمون أنَّ الشريف غالبًا ومحمد شريف باشا، قد هربا بصحبة عبد اللَّه باشا العظم، حيث وصل الاثنان سالمين إلى المدينة المنوَّرة، وبعد بضعة أيام اتجها معًا إلى جدة. Jean Raymond, op. cit., p.23. وهذا الرأي لم أجده في أيّ مصدر معاصر آخر، ورُبَّمَا جانبه الصواب، لأنَّ الخلاف كان على أشدّه بين الشريف غالب وعبد اللَّه باشا العظم، بالإضافة إلى أنَّ جدة أقرب إلى مكة، وليس من الحكمة أنْ يجتاز الاثنان هذه المسافة الكبيرة، ثمّ يرجعان إلى جدة، فضلاً عن أنَّ جدة كانت تتمتع بحصانة شديدة وقتئذ، وكونها ميناءً ساحليًّا يمكن وصول المُساعدات إليها عن طريق البحر إذا قام الوهابيون بمحاصرة الشريف فيها.

(٧) القرآن الكريم، **سورة غافر**، آية رقم ١٦.

وبقيت البلاد بلا حاكم ولا وزير، ولا أمير ولا مُشير، وقد استسلم أهلها للشهادة وطلبوا الحُسنى مِن اللَّه الكريم وزيادة[1]، لِعِلْمِهم أنَّ هذا الرجل لا يدخل أرضًا إلاَّ أفسدها، وأهلك أُنَاسَها وبدَّدها، ولو لَمْ يكنْ إلاَّ قصة الطايف[2]، وما صنع بأهله فيه لكان كفاية، ولِمَن أراد الاعتبار يكفيه.

[الشريف عبد المعين يطلب مِن سعود الأمان لأهل مكة]

فعند ذلك قام مولانا الشريف عبد المعين بن مساعد[3]، أعانه اللَّه

---

(١) لقد كان جميع أهل مكة ينتظرون أنْ يؤول بهم المآل مثلما حدث للطائف، ولعل ذلك قد تجلى في بعض الروايات التي يظهر عليها الطابع الشعبي، فتذكر إحدى الروايات أنَّ الأمير سعودًا عند حصاره مكة، رأى الرسولَ ﷺ في منامِهِ، فحذَّرَهُ بأنَّهُ لنْ يعيش ثلاثة أيامٍ لو أخذ حبةَ قمحٍ بالقوّة مِن مكة، وأنَّ سعودًا أخبر بعض العُلماء بهذه الرؤيا. ولا ريب أنَّ هذه الرواية قد روَّج لها أهل مكة لإضفاء نوع مِن الكرامات للمدينة المقدّسة، مبررين في ذلك الحيطة والحذر التي اتبعها الأمير سعود عند دخوله مكة المكرمة، وعدم تكرار مأساة الطائف. ويُعَلِّق الرحالة بوركهات - الذي كان موجودًا في الحجاز وقتئذٍ - بقوله: «إنَّ أهل مكة ما زالوا يذكرون الانضباط الذي راعاهُ الوهابيون عند دخولهم مكة، حيث لم يقترف أحدهم أيَّة قسوةٍ ضدهم». Andrew Crichton, The history of Arabia Ancient and modern, vol.II, published by Harper & Brothers, New-York, 1837, p. 262؛ جان لويس بوركهارت، **مواد لتاريخ الوَهَّابِيين**، ص ٩١.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.

(٣) هناك خلاف حول الوضع الذي كان عليه الشريف عبد المعين في مكة، ويتضح مِن سياق حديث مؤرخنا عبد الشكور أنَّ الشريف غالبًا قد رحل عن مكة، دون أن يترك نائبًا عنه. ولكن بعض المؤرخين يرون أنَّ الشريف غالبًا قد ترك أخاه الشريف عبد المعين نائبًا عنه، حتى يقوم بتسليم المدينة بصورة سلمية للوهابيين. أيوب صبري، **تاريخ الوهابيين**، ترجمه وعلَّق عليه: مسعد بن سويلم الشامان، د.ن، د.م، د.ت، د.ط، ص ٣٢؛ سنورك هورخونيه، **تاريخ مكة**، ١/ ٢٦٥. وعلى أيَّة حال، فقد كان وجود الشريف عبد المعين في مكة في غاية الأهمية، فقد ذهب إليه أكابر مكة، وقالوا له: «ألا تكفينا شرًّا نترقَّبُهُ، فإنَّ كُلَّنَا خائفٌ نترقبُ فتنةً كفتنةِ الطائفِ، وإنَّكَ في سلامةٍ مِن مُحاربةَ سعودٍ، فقال عبد المعين: اكتبوا لي كتابًا أبعثه إليه وأسأله لكم الإقالة». لطف اللَّه جحاف، **درر نحور العين**، ص ٥٢٩. ويبدو أنَّ الشريف غالبًا وجد من الحكمة أنْ يترك أخاه، الذي كان يثق به كثيرًا، عسى أنْ يظهر الوهابيون ليونة في موقفهم وتحلّ الأزمة عن طريق التفاوض. عبد اللَّه بن محمد المطوع، «**إدارة مكة المكرمة في عهد الدولة السُّعُودية الأولى**»، مجلة الدارة، العدد الأول محرم ١٤٢٩هـ، السنة الرابعة والثلاثون، الرياض، ص ٣٦-٣٧. وقد =

تعالى وساعد، وأرسل كتابًا لسعود، لا بلغه تعالى مقصود[١]، ومعه فرسٌ مِنْ أعَزّ الخيول الجِياد، مشهورة بالسبق والطراد، مع الجناب المُكَرَّم، والهُمَام المُحترم، الشاب النجيب، والماجد الأريب، القايد[٢] حامد بن سليم أغاه، بلغه اللَّه تعالى مُناه، وطلب مِنْه أمانًا لجِيران بيت اللَّه تعالى الحرام، وأنْ لا يخفر لسُكَّانها / ق٢٢٥/ ذمام[٣]، وأنْ يكون عامله فيها بإمارته، وأنَّ أهل مكة تحت إطاعته.

[الوفد المكي المرسل لمقابلة سعود]

وأرسل أهل مكة رُسُلاً مِنْ أفاضل العُلماء وكل مَاجد صعد أوْج المعارف وسما، فمنهم فخر العُلماء الأعلام، وقُدوة المدرسين ببلد اللَّه تعالى الحرام، الفاضل الكامل، شمس المعارف، ومطالع الأنوار، وزواهر الجواهر المنتقاة مِنْ الدُّر المختار، علاَّمة الأعلام، سَلِيل الكِرام، خَليفة النُّعْمَان، أفضل فضلاء الزمان، مولانا الشيخ محمد طاهر سُنْبل، ومِنْهم العالم الفاضل، والهُمَام الكامل، فخر المُدرِّسين ببلد اللَّه تعالى الأمين، الشيخ عبد الحفيظ بن الشيخ درويش العجيمي[٤]،

= ذكرت بعض المصادر الفرنسية المعاصرة للأحداث أنَّ الشريف عبد المعين كان موجودًا في مكة لأنَّه استنجد بالوهابيين ضد أخيه الشريف غالب.,Jean Raymond, op. cit p.22; Louis de CORANCEZ, op. cit., p.p.31-32.ويبدو أنَّ أصحاب هذا الرأي قد كتبوا هذا الرأي بناءً على أنَّ الشريف عبد المعين قد تولى الشرافة عدة أيام بعد وفاة أخيه الشريف سرور - كما ذكر آنفًا - ثم تنازل عنها إلى الشريف غالب بصورة سلمية، ويبدو أنَّ الأمر قد اختلط عليهم، وظنُّوا أنَّ الشريف غالبًا قد استولى على الحكم بالقوة من أخيه الشريف عبد المعين، ولذلك استعان بالوهابيين لاسترداد حكمه. للمزيد انظر: محمد عبد العال محمد، **الحجاز والدولة السعودية الأولى**، ص ١٣٩-١٤٠.

(١) كذا في الأصل، والصواب: مقصودًا.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: القائد.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: ذمامًا.

(٤) **عبد الحفيظ بن درويش العجيمي**: عبد الحفيظ بن درويش بن محمد ابن أبي البقاء حسن عجيمي الحنفي المكي، ولد في مكة المكرمة، وأخذ عن عُلمائها مِنْهم: عبد الملك القلعي، وطاهر سُنْبل، وكان عالمًا محققًا، فقيهًا بارعًا، لُقب بأبي حنيفة الصغير لشدة تفقّهه، وقد تقلَّد نيابة القضاء في مكة المكرمة عام ١٢٢١هـ/ ١٨٠٦م، بعد أنْ سيطر الوهابيون عليها، ثم تقلَّد الإفتاء، فقام بهما قيامًا حسنًا، ومِن مؤلفاته: فتاوي كبيرة في =

ومعهم السيدين الجليلين[1]، وقُرة عَيْن الحَسن والحُسين، فَرْعَا الشجرة الزكية الطاهرة، وطراز العُصابة النبويَّة الباهرة، سلالة آل الرسول، وواسطة عقد آل الزهراء البتول، مولانا مَن لست عنه غني[2]، السيد محمد أبو بكر ميرغني، وسُلالة السادة الأكياس مولانا السيد محمد بن السيد محسن العطاس[3]، صيانة لسكان هذا البلد الأمين، وشفقة بالفُقراء والمساكين، فتَوَجَّه الجميع لمُقابلة هذا الضفيع، وفدوا بنفوسهم مُهَج المسلمين، مع عِلْمهم بِجَوْر هذا الشقي اللعين، فما خيَّب اللَّه تعالى قصدهم، ولا أضاع مسعاهم.

وما زالت عَيْن العِناية تكْلؤهم وترعاهم، حتى اجتمعوا في السَّيْل بأشقى الورى، وهو وادٍ على مرحلتين مِنْ أم القُرى، فسلَّمُوا عليه، وتكلَّمُوا معه بأفصح كلام، وطلبوا مِنْه الأمان لجِيران البيت الحرام، وأخبروه بأنَّ أهلها قوم فقرا[4] لا شك فيه ولا مرا[5]، تَرِد إليهم الحسنات مِنْ كُلّ الجهات، وأنَّ أرضهم كما عَلِمْتَ، قد وضعها اللَّه تعالى بوادٍ غير ذي زرعٍ، لا ينبت به

= مجلد ضخم، و«رسالة في جواز فعل الإنسان الاستخارة لغيره»، توفي في مكة المكرمة ٢ ربيع الأوَّل ١٢٤٦هـ/ ١٩ سبتمبر ١٨٣٠م، ودُفِنَ بمقبرة المَعْلَاة. أحمد الحضراوي، **نزهة الفكر**، ٢/ ٢٠٧؛ عبد اللَّه الغازي، **نظم الدرر**، ص ٣٦٢-٣٦٣.

(١) كذا في الأصل، والصواب: السيدان الجليلان.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: غنيًّا.

(٣) **محمد بن محسن العطاس**: محمد بن محسن بن صالح بن حسن العطاس العلوي المكي، شيخ السادة العلويين بمكة المكرمة. كان أحد أعضاء الوفد الذي أرسله الشريف عبد المعين إلى الأمير سعود عند محاصرته مكة عام ١٢١٨هـ/ ١٨٠٣م، وفي أثناء مفاوضات عقد الصلح بين الشريف غالب والإمام سعود عام ١٢٢١هـ/ ١٨٠٦م، أرسله إلى الدرعية لإتمام الصلح بين الجانبين. وعندما وقع النزاع بين الشريف عبد المطلب والشريف محمد ابن عون عام ١٢٤٣هـ/ ١٨٢٨م، كان مُقِيمًا في الطائف جانب الأوَّل، فلمَّا انتهى الأمر لصالح الشريف محمد بن عون، قبض عليه وأرسله إلى محمد علي باشا في القاهرة، فظلّ مدة حتى أذن له الباشا بالعودة إلى مكة عام ١٢٥٢هـ/ ١٨٣٧م. توفي في مكة المكرمة عام ١٢٨١هـ/ ١٨٦٤م ودُفِنَ فيها. عبد الرحمن بن محمد المشهور، **شمس الظهيرة في نسب أهل البيت من بني علوي**، ج ١، حقَّقه وعلَّق عليه: محمد ضياء شهاب، عالم المعرفة، جدة، ط ١، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، ص ٢٦٣؛ عبد اللَّه المعلمي، **أعلام المكيين**، ص ٦٨٧.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: فقراء.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: مراء.

مرعى، ولا يدَرّ به ضَرْع، وقد جِئْناك مِنْ عندهم، نطلب لهم السلامة على الأرواح، وأنْ يدخلوا تحت طاعَتك، وهُم مكسُورون[1] الجناح، إلى غير ذلك مِنْ الخِطاب الذي يُذِيب الجلمود[2]، وتَقْشَعِر له الجُلود.

[كتاب الأمان مِن سعود لأهل مكة]

فما زَادَ أنْ قال لهم: إنَّما جِئْتكم لتعبُدوا اللَّه وحده، وأنْ تهدموا الأصنام والطواغيت، وأنْ لا تُشْركوا باللَّه الذي يُحيي ويُميت، فأجابه مولانا الشيخ طاهر بلفظٍ كالجواهر: واللَّه ما عبدنا غير اللَّه، فعند / ق٢٢٦/ ذلك مدَّ لهُم يده المَشْلولة، لا زالت إلى عُنقه مَغْلولة، وقال لهم: عاهدتكم على دين اللَّه ورسوله، تُوَالُونَ مَنْ وَالاَه، وتُعَادُونَ مَنْ عَادَاه، والسمع والطاعة، فعاهَدُوه على هذا المقال، ولمْ يحصلْ بِيْنهم بحث ولا جِدال، فعند ذلك كاد يَطِير مِنْ السرور والفرح، واطمئن خاطره بخروج الشريف وانشرح، وقال له اسجد لله شكرًا فَقْد أوْلاَنا أرضه، فعزًّا لنا وفخرًا، وأمر كاتبه أنْ يكتُب كتاب الأمان، ليحصل به لجيران البيت اطمئنان، في كاغد[3] لم تزد عن الخمس الأصابع، وهذا ما هو مذكُور فيها، كما هو الواقع:

«بسم اللَّه الرحمن الرحيم مِن سعود بن عبد العزيز إلى كافة أهل مكة والأغوات والعُلماء وقاضي السُّلطان: السَّلام على من اتَّبع الهُدى، أمَّا بعد: فأنتم جيران اللَّه وسُكَّان حرمه آمنون بأمنه إنَّما ندعوكم لدين اللَّه ورسوله: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: مكسورو.

(٢) **الجلمود**: الصخر، والحَجَر. **المعجم الوسيط**، ص ١٣٢.

(٣) **كَاغَد**: جمعه كواغد، فارسي مُعَرَّب، يعني القرطاس؛ أي الورق الصالح للكتابة أو اللَّف. رينهارت دوزي، **تكملة المعاجم العربية**، ج٩، نقله إلى العربية وعلّق عليه: جمال الخياط، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، ط١، ١٩٧٩-٢٠٠٠م، ص ١٠٦

﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾(١) فأنتم في وجه الله، ووجه أمير المسلمين سعود بن عبد العزيز، وأميركم عبد المعين بن مساعد، فاسمعوا له وأطيعُوا ما أطاع الله، والسَّلامُ(٢)».

---

(١) القرآن الكريم، سورة آل عمران، آية رقم ٦٤.

(٢) في صياغة الأمان المذكور أعلاه ما يجعله عرضة للنظر إليه بسهام الشك والريب، وذلك لأنَّه ورد فيه أنَّ سعودًا «أمير المسلمين»، وقد كان دخول الوهابيين الأوَّل إلى مكة ١٢١٨هـ/ ١٨٠٣م، أي في عهد الإمام عبد العزيز ابن محمد، وكان الأمير سعودًا ما يزال وليًا للعهد، فكيف ينعت نفسه بأمير المؤمنين ووالده على قيد الحياة؟! وهناك صورة من خطاب الأمان أوردها المؤرخ اليمني لطف اللَّه جحاف، وجاء نصّه كالآتي: «مِنْ سُعُودِ بنِ عبدِ العزيزِ إلَى كافَّةِ أهلِ مَكَّةَ، السَّلامُ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الهُدَى، وأَخُصُّ مِنْ أُولَئِكَ عبدَ المعينِ ومَنْ يلوذُ بِهِ، وقاضِيَ السُّلْطَانِ ومَنْ بحضْرَتِهِ، وسائِرَ العلماءِ والمفاتيةَ، أمَّا بَعْدُ: فلا زِلْتُمْ آمنينَ بِأمانِ اللَّهِ تعالَى مطْمَئِنِّينَ مَا أقمْتُمْ الحقَّ، والمَطْلوبُ مِنْكُمْ الرُّجُوعُ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى وسنَّةِ رسُولِهِ، والويْلُ لمَنْ خالفَ ذَلِكَ، والسَّلامُ». لطف اللَّه جحاف، **درر نحور العين**، ص ٥٢٩. ولعلَّ نص هذا الأمان - الذي ذكره جحاف - أقرب إلى ما كتبه الأمير سعود، حيث إنَّه لم يُلقب نفسه بلقب «أمير المسلمين»، كما أنَّه لم يشر فيه إلى الآية القرآنية المذكورة في الأمان المذكور في المتن، والتي اتخذها ابن عبد الشكور ذريعة ليعلق على نصِّ الأمان، بقوله: «جعل أهل مكة فيه مثل اليهود»، فهذه الآية نزلت في اليهود، ولم يكن الأمير سعود ليخاطب أهل مكة بها. وتجدر الإشارة هنا أنَّه بمطالعة المصادر المعاصرة للأحداث والمتأخرة زمنيًا عنها والمراجع الحديثة، نلحظ أنَّها نقلت نص الأمان الذي ذكره ابن عبد الشكور، ومعظمها قد أوردته دون نقدٍ أو فحصٍ أو تمحيص، حتى إنَّ الذين وجَّهوا إليه النقد كان ينطوي على أنَّ تلقب سعودٍ بلقب «أمير المسلمين»، معناه: أنَّه كان يرى في نفسه أميرًا على كافة المسلمين، وأنَّه ينكر بذلك حق السلطان العثماني في تولي الخلافة. عبد العزيز نوَّار، **النهضة العربية الحديثة**، عين للدراسات والبحوث الإنسانية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٢م، ص ٢١٤. ويا ليت هؤلاء قد اطلعوا على المصادر الوهابية ليجدوا أنَّها كانت تلقب حكامها بألقابٍ مِنْها: أمير المسلمين، وأمير الموحدين، ولم يكن يعني ذلك، بأي حالٍ من الأحوال، مطالبتهم بالخلافة، بل إن فكرة الخلافة الإسلامية لم تظهر في أيّ مِنْ مصادرهم قط وقتئذ. ونلحظ في كتاب الأمان أنَّ سعودًا لم يغير الوضع السياسي في مكة، فقد أقرَّ النظام المعمول به، بتعيينه أحد الأشراف على مكة، وكذلك أبقى قاضي السلطان العثماني. انظر المصادر والمراجع التي نقلت الأمان عن ابن عبد الشكور، مثل: أحمد جودت، **جودت تاريخي**، ٧/ ٤٨٩، ٤٩٠؛ أحمد زيني دحلان، **خلاصة الكلام**، ص ٢٧٧؛ عبد اللَّه الغازي المكي، **إفادة الأنام بذكر أخبار بلد اللَّه الحرام**، ج ٤، دراسة وتحقيق: عبد الملك بن عبد اللَّه =

وكان وصُول هذا الكتاب - الذي جَعَل فيه أهل مكة مِنْ يهود أهل الكتاب - يوم الجمعة سابع شهر محرم[1] الحرام، عام ثمانية عشر بعد الألف والماتين[2] مِنْ هجرته عليه الصلاة والسلام، فصعد به المنبر السيد حسين مُفتي المالكية، بعد صلاة الجمعة، والخلايق[3] مُجْتمعة، بمحضر أهل مكة السادة الأمجاد، وقري[4] هذا الكتاب على روس[5] الأشهاد، فقالوا: حبًّا وكرامةً، وحمدوا اللَّه الكريم على حصول السلامة.

[دخول سعود وقومه إلى مكة]

وفي ثامن محرم[6] يوم السبت، وصل مكة سعود بمَنْ لديه مِنْ الجنود، ودخلها مُحْرِمًا لكن مِنْ الثواب مطرود، فطاف بالبيت الحرام، ونحر مِنْ الإبل نحْو الماية تجاه باب السلام[7]، ثم خرج وسعى، ووقف ودعا، وصَعَدَ بُسْتان

= الدهيش، مكتبة الأسدي، ط١، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م، ص ١٥-١٦؛ منير العجلاني، **العربية السعودية**، ٢/ ١٧٨؛ أحمد السباعي، **تاريخ مكة**، ٢/ ٥٦٢؛ عبد الفتاح أبو علية، **الدولة السعودية الأولى**، ص ٦٠؛ عبد اللَّه المطوع، **إدارة مكة**، ص ٣٦.

(١) ٧ محرم ١٢١٨هـ/ ٢٩ أبريل ١٨٠٣م.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: المائتين.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: الخلائق.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: قُرِئ.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: رءوس.

(٦) ٨ محرم ١٢١٨هـ/ ٣٠ أبريل ١٨٠٣م. وهذا التاريخ يتفق مع ما ذكره الشيخ عبد اللَّه بن محمد بن عبد الوهاب، **رسالة في حكاية المباحثة مع علماء مكةَ في حقيقة دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهابِ**، دراسة وتحقيق: صالح ابن عبدالعزيز سندي، دار اللؤلؤة، بيروت، ط١، ١٤٣١هـ، ص ٤٥-٤٦. بينما يذكر الجبرتي أنَّه كان في يوم عاشوراء ١٠ محرم/ أوَّل مايو من العام المذكور. **عجائب الآثار**، ٣/ ٣٩٧. بينما ذكر ابن بشر أنَّ سعودًا دخل مكة في أواخر عام ١٢١٧هـ/ ١٨٠٣م. **عنوان المجد**، ١/ ٢٦٣.

(٧) **باب السلام**: أحد أبواب الجدار الشرقي للمسجد الحرام، ويعرف أيضًا بباب بني شيبة، وقد شيد هذا الباب في عهد الخليفة العباسي محمد المهدي، ثم أعيد بناؤه في عهد السلطان العثماني سليمان القانوني عام ٩٣١هـ/ ١٥٢٥م، حيث شيّد بالحجر الشميسي الأملس، وأصبح له ثلاث فتحات، وباتساع عشرة أمتار ونصف المتر، كما عملت في خارج الباب بسطة مفروشة بالبلاط تمنع الركاب من الوصول إلى الباب بدوابهم، وقد فرشت بعض أماكن باب السلام بالحجارة عام ١١٣٤هـ/ ١٧٢١م، كما فرش خارجه على =

الشريف الذي بالْمُحَصَّب، وأناخ به الخيام وطنب[1].

[أعمال سعود في مكة]

وفي اليوم الثاني[2] نادي مُنَاديه نهارًا جهارًا، بأنْ جميع سُكَّان الحرم، يجتمعون في المسجد غدًا ضَحْوة النهار، فأجمعت / ق٢٢٧/ الناس على طبقاتها، وانحشرت برواقاتها، وحضر الشريف عبد المعين، وجميع مَنْ بمكة مِنْ السادة الأشراف، والعُلماء، والمفاتي، والقاضي، ومولانا عبد الملك مُفتي الأحناف.

وما زالت الناس في مزيد اجتماع وايتلاف[3]، وسعود المذكور في المطاف، حتى أقبل بوجهه كالقفا، وتَخَطّى رِقَاب الجمع، وصَعَد بأعلا درج باب الصفا[4]، والناس أفواجٌ حوله ينظرون لهذا المصدغ[5]، ويسمعون قوله،

= سعة المنافذ الثلاث بالرخام عام ١٢٦٦هـ/ ١٨٤٩م في عهد السلطان عبد المجيد، وقد استمر الباب باقيًا بعمارته العثمانية حتى التوسعة السعودية للمسجد الحرام في الربع الأخير من القرن العشرين، وما تزال عقوده الثلاث قائمة في الرواق الشرقي العثماني للمسجد الحرام. إبراهيم رفعت، **مرآة الحرمين**، ١/ ٢٣٠؛ طه عمارة، **أبواب المسجد الحرام**، ص ٧٦-٨١، ١٥٦-١٥٧.

(١) طنب: أقام، يقال طنب بالمكان؛ أيّ أقام به. **المعجم الوسيط**، ص ٥٦٧.

(٢) ٩ محرم ١٢١٨هـ/ أوَّل مايو ١٨٠٣م.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: ائتلاف.

(٤) **درج باب الصفا**: سلم يتكوَّن من أربع عشرة درجة، كان يصعد منه إلى جبل الصفا لأداء نسك السعي. وباب الصفا أحد أبواب الجدار الجنوبي للمسجد الحرام، عُرف بباب الصفا لأن الخارج من هذا الباب يستقبل جبل الصفا، وقد شيّد في عمارة الخليفة العباسي محمد المهدي، وكان أكبر الأبواب كلها، وأكثرها اتساعًا، حيث شيّد له خمس فتحات بلغ اتساعها سبعة عشر مترًا، وقد أعيد بناؤه في العصر العثماني عام ٩٨٤هـ/ ١٥٧٦م، وحتى وقتٍ قريبٍ كانت عقود هذا الباب باقية في الرواق القديم الجنوبي مِن المسجد الحرام. محمّد بن أحمد بن سالم المعرف بالصبَّاغ، **تحصيل المرام في أخبار البيت الحرام والمشاعر العظام ومكة والحرم وولاتها الفخام**، ج١، دراسة وتحقيق: عبد الملك بن عبد اللّه بن دهيش، مكتبة الأسدي، مكة المكرمة، ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م، ص ٤٢٩-٤٣١؛ إبراهيم رفعت، **مرآة الحرمين**، ١/ ٢٣١؛ طه عمارة، **أبواب المسجد الحرام**، ص ٩٩-١٠٢.

(٥) **المصدغ**: المائل، المنحرف. **المعجم الوسيط**، ص ٥١٠.

فأخذ مُفتي الأحناف عن يمينه، والقاضي عن يساره، ورَقي مَرْقًى صعبًا غير عارف بمقداره، فحمد اللَّه تعالى وأثنى عليه، وقال: اللَّه أكبر، اللَّه أكبر، اللَّه أكبر، لا إله إلاَّ اللَّه وحده، وصدق وعده، ونصر عبده، وأنجز وعده، وأعزَّ جُنده، لا إله إلاَّ اللَّه ولا نعبد إلاَّ إيَّاه، مُخْلصين له الدين ولو كره المُشركون، الحمد للَّه الذي صَدَقنا وعده. ثم ضمته بهتة، وجاته[1] السكتة.

ثم قال: يا أهل مكة أنتم جِيران بيته، آمنون بأمْنه، وسُكَّان حرمه، وإنَّكم في خير بقعة، اعلموا أنَّ مكة حَرام ما فيها، لا يُخْتَلى خَلاهَا، ولا يُنَفَّرُ صَيْدُهَا، ولا يُعْضَدُ شَجَرُهَا، وإنَّما أُحِلَّتْ لهُ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، وإنَّا كُنَّا مِنْ أضعف العرب، ولمَّا أراد اللَّه تعالى بظهور هذا الدين، دَعَوْنَا الناس إليه، وكلٌّ يَهْزء بِنَا ويُقَاتِلُنَا عليه، ويَنْهبوا[2] مواشينا ونشتريها مِنْهم، ولمْ نزلْ نَدْعُو الناس للإسلام، وجميع مَنْ تراه عُيُونكم، ومَنْ تسْمعون به مِن القبائل، إنَّما أسْلَمُوا بهذا السيف، ورَفَعَ سيفه تجاه البيت الحرام[3]، حتى رآه الخاص والعام.

وقد كُنت في هذا العام[4] غازيًا نحْو العراق، فلمَّا سمعت ما وقع مِنْ المسلمين بغزوة الطايف[5]، وأقبلوا عليكم يغزونكم، خِفْت عليكم مِنْ العُربان والبادية؛ فاحمدوا اللَّه الذي هداكم للإسلام، وأنقذكُم مِنْ الشِّرك، وأنا ادعوكُم أنْ تعبدوا اللَّه وحده، ولا تُشْرِكوا به شياء[6]، وتقْلعوا عن الشِّرك الذي كُنتم عليه، وأطلب مِنْكم أنْ تُبَايعُوني على دين اللَّه ورسوله، تُوَالُونَ مَنْ وَالاَه، وتُعَادُون مَنْ عَادَاه في السرَّاء والضرَّاء، والسمع والطاعة.

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: جاءته.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: ينهبون.

(٣) يضيف المؤرخ اليمني جحاف أنَّ الأمير سعودًا كان يخطب وقال بأعلى صوته وسيفه بيده في جَفْنة المجوَّخ: يا أهل مكةَ، وربّ البيت لا بُدَّ أنْ يُعلّق هذا المجوَّخُ على كرسي السُّلَيْطِين - هكذا بصيغة التصغير - اسمعوا وأطيعوا. لطف اللَّه جحاف، **درر نحور العين**، ص ٥٢٨.

(٤) المقصود عام ١٢١٧هـ/ ١٨٠٢م.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: شيئًا.

ثم جلس ومَدَّ يده فأوَّل مَنْ تقدَّم لِمُبَايَعَتِهِ الشريف عبد المعين، ثم مولانا المُفتي، ثم القاضي، ثم بقية الناس على طبقاتهم، كما كان / ق٢٢٨/ هذا مِنْ عاداتهم. فلمَّا تمَّت المُبايعة، ركب فرسه وصعد إلى الْمُحَصَّب، وأوقد نارًا في القُلوب وأوصب، وقال: يا أهل مكة اجتمعوا بعد صلاة العصر بالمسجد الحرام، وانتظروني بين الرُّكن والمقام، لأُبيِّن لكم الدين، وشرايط[1] الإسلام.

فلمَّا اجتمعوا صعد على المقام الذي على ظهر زمزم، والمفاتي معه، وهَمْهَمَ[2] وبَلْضَمَ[3]، وتمشدق وتكلَّم، والناس تحته مِلَأ الحرم، وصار يُعَلِّمَهم دين رُعاة الغنم، وأجهل أهل مكة مِن أكبرهم أعلم، ثم وقف يُخَاطب المفتي عبد الملك ويُعَلِّمه الدين، لا يتوقَّف في قوله ولا يرتبك، وكُلَّما عَلَّمَه مسئلة[4]، يقول عَلِّمها للناس، حتى يعرفها الجَهلة، فكان أوَّل ما عَلَّمَه مِنْ كلامه، ورشقهم بلسان سهامه، اعلموا أيُّها الناس أنَّ الأمير سُعود[5] يقول لكم: إِنَّ الخمر حرام، والزنا حرام، وإنَّكم في غدٍ اطلعوا للقبب واهدموها، واطرحوا الأصنام وارموها، حتى لا يكون غدًا معبود غير اللَّه، فقالوا: سمعًا وطاعةً، وتقوضت صفوفهم في تلك الساعة، وقد زَكِنَ[6] على هدم القبب على جميع بَوَادِيه، والذي لا يوجد الشرك إلاَّ بِوَادِيه.

فما أصبح الصبح إلاَّ وهم سارِحُون بالمَسَاحِي لهدم القبب، وأوغل الملعون في هذا الطلب، فبادر الوهابيون ومعهم جميع الخالعين[7]، لهدم

(١) كذا في الأصل، والصواب: شرائط.

(٢) هَمْهَمَ: هَمْهَمَ الرَّجلُ، تكلَّمَ كلامًا خفيًّا يُسمَعُ ولا يُفهَمُ مَحْصُولُه. **المعجم الوسيط**، ص ٩٩٦.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: بَلْطَمَ. يقال بَلْطَمَ الرَّجلُ: سكَت.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: مسألة.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: سعودًا.

(٦) زَكِنَ: يقال زكنت الشيء إذا علمتُهُ، ولكن المراد هنا أمر وأوصى بشدة وأكّد. **المعجم الوسيط**، ص ٣٩٦.

(٧) كتب على هامش الأصل، والنسخة (ب)، ورقة ١٨٢، ما نصه: «وقوله الخالعين، هم جماعة السيد عُقيل». والسيد عقيل المذكور هو عقيل بن يحيى العلوي، وقد ذَكَرَ الجبرتي أنَّه =

المساجد ومآثر الصالحين، واجتهدوا في هدمها، وفرطوا في تفريط نظمها، فهدموا مولد النبي المطهر، وهدموا مولد سيدنا أبي بكر وسيدنا عمر، ومولد ليث بني غالب سيدنا علي بن أبي طالب، وهدموا كثيرًا مِن قبور الصحابة، ومواضع الدعاء والإنابة، وهدموا مولد(١) السيدة خديجة الكبرى، ومولد بنتها السيدة فاطمة الزهراء، ثم شَنُّوا الإغارة على قبور الأوليا(٢) الصالحين، وعلى قبور العُلماء العاملين، وما زالوا يرتجزون عندما يهدمون، ويضربون الطبل ويُغَنُّون، وبالغوا في شتم القبور الذي(٣) هدموها، وقالوا: إنْ هي إلاَّ أسماء سميتموها.

قيل: إنَّ بعض الخلاع بال على قبر السيد المحجوب، ورآه مِن أعظم القُرب، ولم يعلم قوله تعالى: «**مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ**»(٤).

وأمَّا أهل مكة لمَّا حَرَّضهم على هدمها، ومحْو آثارها ورسمها، وليس لهم اقتدار على عدم إطاعته، /ق٢٢٩/ والانخراط في سلك جماعته؛ ارتكبوا أخَفَّ الضررين، وركبوا أهون الخطرين، فبعضهم جعل يلتقط الأحجار التي هدموها فيرفعها، والبعض يمشي خلف أولئك الفجرة ويتبعها، فما مَضَى لهم ثلاثة أيامٍ أوَّلها يوم الاثنين، إلا محو آثارها وصارت أثرًا بعد عين، وما أشك

= عُيِّن قاضيًا على مكة مِن قِبَل الوهابيين. **عجائب الآثار**، ٣/ ٣٩٩.

(١) في نسخة (ب)، دار السيدة خديجة الكبرى. ورقة ١٨٢.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: الأولياء.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: التي.

(٤) حديث قدسي، أخرجه البخاريُّ في «صحيحه» في كتاب الرقاق، باب التواضع، قال: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بنُ عُثْمَانَ بنِ كَرَامَةَ، قال: حَدَّثَنَا خَالِدُ بنُ مَخْلَدٍ، قال: حَدَّثنا سُلَيْمَانُ بنُ بِلالٍ، قالَ: حَدَّثَنِي شَرِيكُ بنُ عَبْدِاللَّهِ بنِ أبِي نَمِرٍ، عَن عَطَاءٍ، عَن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا، فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَلَئِن سَأَلَنِي لأعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لأعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ، وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ**». البخاري، **الصحيح**، ٨/ ١٠٥. حديث رقم (٦٥٠٢).

إلاَّ أنَّ إخوانهم الشياطين، أعانتهم على هدم مآثر الصالحين.

وكان سعود ديدنه أيام إقامته، ينزل إلى المسجد الحرام مِن الْمُحَصَّب في أوان السلام، فَيُصَلِّي الفجر بِغَلَس[1]، ومعه مِن جماعته حرس، إلى أنْ يُصَلِّي ركعتي الإشراق في مُصَلاَّه، ثم يركب إلى المعلاة، وينزل مِن مُخَيَّمه قُبْيل العصر، ويُصَلِّيه في أفضل المساجد، ويُصَلِّي المغرب والعشاء جمعًا في آنٍ واحدٍ، يُقَدِّم له إمامًا يحْمِل أسفارًا، وإذا قَرَأ تحْسَبه حِمَارًا.

وفي اليوم السادس نادى مُناديه بإبطال تكرار صلاة الجماعة[2] في المسجد

---

(١) **غَلَس**: ظلمة آخر الليل إذا اختلط بنور الصباح. **المعجم الوسيط**، ص ٦٥٨.

(٢) **تكرار صلاة الجماعة**: مِن البدع التي كانت موجودة في المسجد الحرام، وكان تكرارها يتم وفقًا للمذاهب الفقهيَّة الأربعة: الحنفي، الشافعي، المالكي، الحنبلي، ويذكر الرَّحالة الهندي رفيع الدين المراد آبادي - الذي قام بالحج إلى مكة المكرمة عام ١٢٠١هـ/ ١٧٨٧م، أي قبيل ضمِّ الوهابيين الحجاز لدولتهم - أنَّ هذا الأمر يقوم على إقامة ما لا يقل عن ثلاث جماعات للصلاة الواحدة، وِفق الترتيب الآتي: صلاة الفجر؛ يبدؤها إمامُ الشافعية، يليه إمامُ المالكية، يليه إمامُ الأحناف، أمَّا صلوات الظهر والعصر والعشاء فيبدؤها إمام المالكية، يليه إمامُ الشافعية، يليه إمام الأحناف، وأمَّا صلاة المغرب، فيبدؤها إمام الأحناف، يليه إمام الشافعية، وأمَّا الحنابلة فلمْ يكنْ لهم صلاة جماعة سوى الفجر، وفي الصلوات الأخرى يصلون خلف أئمة المذاهب الأخرى، مع جواز الاقتداء حتى ولو كان على مذهبٍ آخر. رفيع الدين المراد آبادي، **الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية (١٢٠١هـ/ ١٧٨٩م)**، ترجمة: سمير عبد الحميد إبراهيم، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة (٤٨٧)، القاهرة، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، ص ٦٦-٦٨. وأقدم إشارة حول هذا النظام ما ذكره الرَّحالة الأندلسي ابن جُبير فِي رحلتهِ إلى مكة المكرمة عام ٥٧٩-٥٨٠هـ/ ١١٨٣-١١٨٤م، فقد ذكر أنَّه تُقام في المسجد الحرام فِي كل وقتٍ أربع صلواتٍ: فيصلِّي إمام الشافعيَّة، ويتلوه إماما المالكية والحنابلة حيث يُصلِّيان في وقت واحد، ثم إمام الأحناف، وهو آخر مَنْ يصلِّي. أمَّا صلاة المغرب فيصلونها فِي وقت واحد نظرًا لضيق وقتها: يبدأ مؤذن الشافعيَّة بالإقامة، ثم يقيم مؤذنو سائر الأئمة، مما يؤدي إلى التداخل بين الأئمة، «ورُبَّمَا دخل فِي هذه الصلاة على المصلين سهو وغفلة لِاجتماع التكبير فيها من كلّ جهة، فرُبَّمَا ركع المالكي بركوع الشَّافعي أو الحنفي أو سلَّم أحدهم بغير سلام إمامه»، فترى كل أُذُنٍ مُصغية لصوت إمامها أو صوت مؤذنها مخافة السهو، ومع هذا فيحدث السهو على كثير مِنْ الناس. ابن جُبير الأندلسي، **رحلة ابن جبير**، ص ٧٨-٧٩. وكذلك أشار الرَّحالة المغربي عبد اللّه العيَّاشي في خلال رحلته إلى مكة المكرمة ١٠٧٣هـ/ ١٦٦٣م إلى أنَّ الأئمة في المسجد الحرام متعددون، ولكلّ مذهب =

الحرام، وأنْ لا تجتمع الجماعة إلاَّ خلف إمام، فكان يُصَلِّي بالناس الفجر إمام الشوافع، وخلفه إمام الموالك الظهر، والعشا[1] يُصَلِّيه كُلّ ساجد وراكع[2]،

= مقام يصلي فيه إمامهم، ولا يُصلُّون جميعًا في سائر الأوقات إلاَّ فِي المواسم وما قرب مِنْها، وقد شغلت هذه القضية فكر العياشي حتى إنَّه ألَّف فيها رسالة إبَّان رحلته. عبد اللَّه بن محمد العيَّاشي، **الرحلة العيَّاشية** (١٦٦١-١٦٦٣م)، ج٢، حقَّقها وقدَّم لها: سعيد الفاضلي و سليمان القرشي، دار السويدي، أبوظبي، ط١، ٢٠٠٦، ص ٣٥٥-٣٧٦. وقد وصف الرَّحالة الإنجليزي جوزيف بيتس فِي موسم حجِّ عام ١٠٩١هـ/ ١٦٨٠م، المقامات الأربعة حول الحرم وذكر أنَّه في مواجهة كل جانبٍ مِنْ جوانب الكعبة الأربعة، بُنيت غرفة صغيرة، فوقها غرفة أصغر فِي كل جانب مِنْ جوانبها نافذة، وفي هذه الغرفة العُلوِيَّة يؤذن المؤذنون ويُصَلِّي الأئمة بالناس الذين يكونون في مستوى أدنى مِنْهم؛ فالإمام فوق، في الغرفة، والمُصَلُّون فِي المطاف والأروقة على مستوى الأرض، وسبب بناء هذه الأبنية الأربعة حول الكعبة أنَّ المسلمين ينقسمون إلى أربعة مذاهب، وهَذِهِ المذاهب جميعها متفقة فِي الأسس ولا يوجد بينها إلاَّ اختلافات بسيطة فِي الشكليات». جوزيف بيتس، **رحلة جوزيف بيتس إلى مصر ومكة المكرمة والمدينة المنوَّرة**، ترجمة: عبد الرحمن عبد اللَّه الشيخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٥، ص ٥٥. وأمَّا صفة هذه المقامات ومحلّها: فالشافعي يُصَلِّي خلف مقام إبراهيم، والحنفي يُصَلِّي في الجهة الشماليَّة خلف الحِجْر، والمالكي يُصَلِّي في مقامه في الجهة الغربيَّة، والحنبلي يُصَلِّي مُقابل الحجر الأسود. محمد بن سالم الصبَّاغ، **تحصيل المرام**، ١/ ٣٩٧-٤٠٤. وقد تمَّ هدم هذه المقامات في عامي ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٨م، ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٤م. وذلك في أعمال التوسعة في الحرم؛ حيث إنَّها كانت تشغل حيِّزًا كبيرًا مِن ساحة المَطاف. محمد الكردي المكي، **التاريخ القويم**، ٥/ ٩١-٩٨.

(١) كذا في الأصل، والصواب: العشاء.

(٢) إنَّ عبارة «العشاء يُصَلِّيه كل راكع وساجد»، غير واضحة، ويشوبها نوع من الغموض، فهل سَيُصَلِّيه جميع أئمة المذاهب الأربعة بالترتيب لطول وقت العشاء؟ أم إنَّ صلاة العشاء سيؤمها كل يوم أحد الأئمة الأربعة؟ وقد أزال ذلك الغموض الرَّحالة علي باي العباسي، حيث قدَّم صورة أكثر وضوحًا عن تنظيم الصلاة، وذلك خلال رحلته في موسم الحج ١٢٢١هـ/ ١٨٠٧، فذكر أنَّ إمام الحنابلة يؤم الناس في صلاة الفجر، ويؤمهم إمام الحنفية في صلاتي الظهر والمغرب، ويؤمهم أمام الشافعية في صلاة المغرب، ويؤمهم إمام المالكية في صلاة العشاء. ولعلَّ في ذلك ما يثبت أنَّ الكِفَّة الراجحة كانت لأئمة الأحناف، وأنَّ الوهابيين لم يَتَعَصَّبوا لمذهب بعينه، مخالف لمَا كان عليه الوضع في الحجاز.

Ali Bey, Travels of Ali Bey in Morocco, Tripoli, Cyprus, Egypt, Arabia, Syria, and Turkey, Between the Years 1803- 1807, Philadelphia, vol. II, p.p.71 -72 .

وتقف الناس في صلاة العصر خلف إمام الحنبلي صَواف[(١)]، وأمَّا صلاة المغرب فَيُصَلِّيه إمام الأحناف.

وفي يوم الجمعة[(٢)] أمر أنْ يُصَلِّي بالناس أعلم العُلماء الأعلام، وخاتمة المُحَقّقين، ومُفتي الإسلام بهذا البلد الأمين، القاضي عبد القادر القِلْعي، لا زال بعون اللَّه تعالى مرعي[(٣)]، فصعد المنبر وخطب بالناس، واجتمعت الأكياس والأنجاس، وَصَلَّى بالمؤمنين والمنافقين، وَصَلَّى خلفه سعود اللَّعين وجماعته الوهابيين[(٤)].

وفي اليوم الثامن نادى مُنَاديه أنْ يأتونه[(٥)] أهل مكة بالشيش وآلات

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: صوافًا. أي صَفًّا واحدًا جميعًا خلف إمام واحدٍ.

(٢) لم يذكر مؤرخنا لِمَن وجه الخطيب الدعاء في خطبة الجمعة، هل كانت للسلطان العثماني كعادته؟ أم كانت لإمام الوهابيين عبد العزيز؟ وقد أشار جحاف إلى هذه القضية المُهمة بأنَّه حينما جاءت صلاة الجمعة، ألزم سعود الخطيب أنْ يخطب خطبة شرعية لا يذكر فيها أحدًا، فراجعه الخطيب وسأله عن السلطان، فأجاب: إذا وصلت إلى ذكره، فقل: وأيّد اللَّهم السلطان، وأعمر مقامه بالعدل والصلاح، ولا تزد على هذا. لطف اللَّه جحاف، **درر نحور العين**، ص ٥٢٩. ويؤكد بوركهارت أنَّ الدعاء للسطان العثماني قد ألغي من الخطبة. جان بوركهارت، **مواد لتاريخ الوهابيين**، ص ٩٢. ويتضح مِن ذلك أنَّ الخطبة قد قطعت طوال التواجد الوهابي الأوَّل في مكة المكرمة، لأنَّهم كانوا يعدون ذلك دربًا مِن دروب البدع المستحدثة. حسين بن غنام، **تاريخ نجد**، ص ١٣٢. ولم يكتف سعود بقطع الخطبة، بل أرسل إلى السلطان سليم الثالث خطابًا نصّه: «مِنْ سُعُودٍ إِلَى سليم. لقدْ دخلتُ مَكَّةَ فِي اليوم الرابع مِنْ مُحرَّم، مِنْ السنةِ الثامنةِ عَشَرَةَ ومائتَيْنِ بَعْدَ الألفِ للهجرةِ، ومنحتُ الأمانَ للأهَالِي، ودمَّرْتُ جميعَ المقابِرِ الَّتِي كَانَتْ تُعْبدُ، وألْغَيْتُ جَمِيعَ الضَّرائِبِ الَّتِي هِيَ فوقَ رُبْعِ العُشْرِ، وأبْقَيْتُ القاضِيَ الَّذِي عينتَهُ ليحْكُمَ فِي المَدِينَةِ طِبْقًا لأوامِرِ مُحَمَّدٍ ﷺ وأرْغَبُ فِي السَّنواتِ القادِمةِ أنْ تُصْدِرَ أوامِرَ إِلَى بَاشَواتِ الشَّام ومِصْرَ ألاَّ يَأْتُوا إِلَى مَكَّةَ ومعهُمْ المحْمَلُ والأبْواقُ والطُّبولُ؛ لأنَّ الدِّينَ لا يُقِرُّ هَذِهِ الأُمُورَ. والسَّلامُ علَيكُمْ ورحْمةُ اللَّهِ». Andrew Crichton, op. cit., p.263؛ أمين الريحاني، **تاريخ نجد الحديث وملحقاته**، المطبعة العلمية ليوسف صادر، بيروت، ط ١، ١٩٥٤م، ص ٥٨.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: مرعيًّا.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: الوهابيون.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: يأتيه.

اللَّهو ذوات الأوتار[١]، وأمَّرَ عليها مِن جماعته أميرًا يحرقها بالنار، فَزُفَّت إليه الشيش مِن جميع الدور، وما تَخَلَّف مِنْهم مأمور، فصار أميره يكتب أسماء أصحابها، ليعرف مَن عَصَاه ومَن دخل تحت الطاعة مِن بابها، وكان مِقْدار ما أحرقه مِن الشيش على الناس وأتلف، ما ينوف قيمته على مائة ألف، والذي أغراه على هذا الإتلاف والضياع، حَسْبما سمع مِن الناس وشاع طايفة[٢] الخلاع، لا شك في هذا ولا نزاع، بأنَّ ما أغراه إلاَّ طايفة[٣] الخلاع؛ لكونهم يُحَرِّمُون شرب التنباك، وينتهكون عرض شاربه أعظم انتهاك، فجزاهم اللَّه، ولا حَوْل ولا قوَّة إلا باللَّه. / ق ٢٣٠/

ثم إنَّ سعود[٤] نزل ليلة إلى المسجد الحرام، على حسب عادته وقت السلام، فسمع المُؤذنين يُؤَذِّنُون بالأذان الأوَّل، ويُصَلُّون على النبي المُفَضّل، ثم لمَّا صاح المؤذنون: يا أرحم الراحمين، وسمعهم يَتَرَضّون عن الصحابة أجمعين؛ أغاظه ذلك وتَضَرَّم، وقال: هذا الشرك كما زعم وبدد سلك هذا العقد المُنَظّم، ثم أيضًا أمر عُلماء مكة أنْ يدرسوا بعقيدته التي وضع فيها بعض الكُفْرِيات، وسَمَّاها: «كَشْف الشُّبُهَات»، فحضر جميع أهل مكة على هذا التدريس بل التدليس، ورأوا ما فيها مِن التلبيس ووساوس إبليس، وسأسردها بعينها، وتشاهد حقيقة مينها، فإذا سردتها عليك، فالأمر في نقدها إليك.

ولمَّا استولى سعود على مكة وما فيها، وجعل أسفلها أعاليها، تَصَرَّف فيه تَصرّف الملاك، حيث لم يكن له فيها اشتراك، فأطاعته بواديها وهتف باسمه ناديها، وجمع مِن البوادي كثيرًا مِن المال، يُسَمِّيه على مقتضى دينه

---

(١) كانت آلاتهم الموسيقية مثل: الربابة، والناي، والطمبور، وكانت الأفراح تحييها سيدات محترفات، يغنين ويرقصن، والمغنيات كُنّ يغنين كل مساء، وقد كان أهل مكة يحبون الطرب وسماع الموسيقى. إبراهيم رفعت، **مرآة الحرمين**، ١/ ٣٨؛ سامية أسعد بشاوري، **الشريف غالب**، ص ١٠٠-١٠١.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: طائفة.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: طائفة.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: سُعُودًا.

نكال[١]؛ فأخذ مائة ألف غرش مِن الجَحَادِلَة[٢]، وعشرها مِن قُرَيْش[٣]، وقالوا تلك عشرة كاملة، وأخذ على هُذَيْل وبقية العرب كُلّ ما رامه وطلب، فعجيب مِن هذا الرجل وأفعاله، وكيفية سلوكه في ضلاله، يزعم تكفير المسلمين مِن جملة الاعتقاد، وأنَّه الهادي إلى طريق الرشاد، ويطلب مِنْهم الدخول في هذا الدين، وأنْ يكونوا مِن المُهتَدِين، فإذا وافقوه على الدخول، وتلبسوا بأفعاله في كُلّ ما يقول؛ يطلب مِنْهم قدرًا مِن المال، جزاءً لهم ونكال[٤]، لدخول دينه الضلال.

وَمَا الْقَصْد مِن دَعواته الدِّيْن حَاجَة
سوى جَمْعه الأَمْوال مِن خَالص النَّقْد

سَيَكُون بِهَا الْمَلْعُون فِي النَّار غدوة
وَيصلى كَمَا يصلى أَبُوه مِن الْوقد

فليت شعري مِن أين لهذا المُلحد في الحقيقة، لا يصح الدخول في الدين إلا بهذه الطريقة، مع هذا يزعم أنَّمَا يقاتل الناس لإعلاء كلمة الواحد المعبود، وفي الحقيقة قتاله حرصًا على أخذ النقود.

[الحامية السلفيّة في مكة]

ثم إنَّه مِن جملة ما صنع وفعل بمكة مِن البدع، أبقى في القلعة[٥] التي

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: نكالاً.

(٢) **الجَحَادِلَةُ**: من بني شُعْبَة مِن كنانة، واحدهم جَحْدَلي. ومِنْهم: آل راشد، والجملة، والسُّلَّم، وبلادهم في جنوب مكة، في وادي إدام وأسافل يَلَمْلَم إلى الساحل. حمد الجاسر، **معجم قبائل المملكة**، ص ٨٧-٨٨.

(٣) **قُرَيْش**: قبيلة مشهورة تسكن الطائف، وينقسمون إلى: الحضر، وهم: آل زيد، والمِطَرة، والزَّنَاد، والذَّرَاوى، والحِصَنان، وبنو صَخْر، والقِصْران، الغَشَامرة، الحِرَتَه. والبدو، هم: آل علي، والهواملة، والهيافين، والعلاوين. محمد بن منصور آل عبد اللّه بن سرور، **قبائل الطائف**، ص ٦٩-٧١.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: نكالًا.

(٥) أيّ القلعة التي فوق جبل أجياد.

على الجبل ماتين[1] مِن بيشة، وترك لهم جميع ما يحتاجونه مِن المعيشة، وكانوا مِن أراذل العُربان، / ق٢٣١/ وأَمَّر عليهم فهيد[2] أخا سَالِم بن شُقْبَان، عليه غضب مِن الرحمن.

وفي يوم مِن ذات الأيام أمر جميع العرب مِن شط مِنْهم واقترب، أنْ ينزلوا مِن المَعَابِدَة على شوارع الأسواق، ويرتجزون[3] بغناء كنهيق الحمير في كُلّ زُقَاق، فنزلوا مِن أعلا مكة يرتجزون وينقزون في النزلة والطلعة، حتى طلعوا على الجبل الذي عليه القلعة، فلمَّا نزلوا مِن القلعة المذكورة، رتبوا عليها حيلة ظاهرة غير مَسْتُورة، فقالوا: إنَّ هؤلاء إخوانكم المسلمين، وصلوا مِن أرضهم في هذا النهار، وطلعوا القلعة يسلمون على إخوانهم المُهاجرين والأنصار.

قُلت: قد ادَّعَى النبوة ضمنًا هذا الخاسر، وقَلَّد جَدّه مُسَيلمة الكافر، وتابع أباه اللَّعين في دعواه عليه لعنة اللَّه.

تَعَامَيْتُ حَتَّى قِيْلَ هَذَا أُخُو عَمَّى
وَلاَ غَرْوَ أَنْ يَحذو الفَتَى حَذوَ وَالِدهْ[4]

[مراسلات بين أهل جدة وسعود]

وفي أثناء هذه الأيام أرسل إلى جدة علي بن عبد الرحمن، شقيق الشقي عثمان، بكتاب لأهل جدة[5] يطلب مِنْهم الدخول في طاعته، وانخراطهم في

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: مائتين.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: فهيدًا.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: ويرتجزوا.
(٤) البيت للحريري، انظر: **مقامات الحريري**، ص ٧٥.
(٥) جاءت رواية مؤرخنا مُقتضبة ويشوبها نوع مِن الغموض؛ فكيف يرسل الأمير سعود رسوله علي المضايفي إلى أهل جدة ويتواصل معهم بكل سهولة دون أنْ يظهر أيّ دور للشريف غالب، فهل تمّت تلك المُراسلات وهو على غفلة منها؟ أم كان على معرفة بها وشجع الأهالي عليها؟ يجيبنا على ذلك بعض المصادر المعاصرة للأحداث حيث تشير إلى أنّ الشريف عندما رحل إلى جدة، أرسل إلى الأمير سعود يطلب مِنْه الصلح، مقابل ستة =

سلك جماعته، فأجابوه استهزاءً بعقله وسخروا مِن حماقته وغفله؛ بأنَّنا رعية مولانا الشريف، ولا نتفيَّأ إلاَّ بظلّ حماه الوريف، فطاعتنا مِن طاعته ولا نكون إلاَّ مِن جماعته، وعلى كُلّ حال هَب الفرض والتقدير، لو فُرِضَ أنَّنا نطيعك ونعصيه، ونقربك ونقصيه، وندخل معك في هذا الدين، ونُقِرُّ لك على زعمك أنَّنَا مِن المُشركين، هل تطلب مِنَّا شيا[1] مِن الدراهم تصرّح لنا بتعينها، أمْ يصح الدخول في دينك بدونها؟

فلمَّا قرأ الكتاب فَرِحَ بِمَا فيه مِن الجواب، وظَنَّ مِن قلّة عقله هذا الأحمق، أنَّ هذا الكلام حقّ، وهم يَسْخرون مِن حَمَاقته ويَعْجبون مِن رَقَاعَته[2]، فأرسل بطلب ماتي[3] ألف ريال أبيض، وستين ألف مشخص أصفر عتيق، وستة آلاف ديال مِن القماش الرقيق، فتَوَجَّه لقبض الأموال في الحال، وركب متن الطريق بكل فاجر زنديق، فهز ذيله تجبرًا وشدّة، وعزم على التَّوَجُّه إلى جدة، وكان يوم الجمعة الثاني والعشرين مِن محرم الحرام[4]، عام ثمانية عشر وماتين[5] وألف سنة ١٢١٨ مِن هجرته عليه الصلاة والسلام، فخرج قبل صلاة الجمعة / ق٢٣٢/ ومعه المُنافقون

= لكوك (قروشًا فرانسة) يدفعها تجار جدة، ولكن الشريف لم يك صادقًا في طلب الصلح، وإنَّما أراد المماطلة، وتطويل مدة المفاوضات حتى يقوم بتحصين جدة، وتخزين الماء مِن الآبار الخارجية، فلمَّا تمّ له الأمر، نصب المدافع على السور، وملأ الصهاريج بالماء؛ ويبدو أنَّ في أثناء ذلك وصل علي المضايفي إلى جدة فدفع الشريف غالب الأهالي للتفاوض معه وعرض المال عليه - وهو ما نصت عليه المصادر الأخرى - لإطالة مدة المفاوضات، وخلال ذلك فرغ الشريف مِمَّا دبر له؛ فاتضحت الحقيقة لدى الأمير سعود، وتجهَّز بجيشه وخرج مِن مكة المكرمة في ٢٢ محرم ١٢١٨هـ/ ١٣ مايو ١٨٠٣م، واتجه إلى جدة، وضرب عليها الحصار. لطف اللَّه جحاف، **درر نحور العين**، ص ٥٢٩؛ عثمان بن بشر، **تاريخ نجد**، ١/ ٢٦٣.

(١) كذا في الأصل، والصواب: شيئًا.

(٢) رَقَاعَته: مِن الرَّقَاعَةُ؛ أيّ الحَمَاقة وضعفُ العقل والسَّمَاجة. **المعجم الوسيط**، ص ٣٦٥.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: مائتي.

(٤) ٢٢ محرم ١٢١٨هـ/ ١٣ مايو ١٨٠٣م.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: مائتين.

والكافرون، ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾[١]، وكانت مُدَّة إقامته بمكة أربعة عشر يومًا كأنَّهَا أعوام، وقد لاحت بوارق بغيه يمنًا وشام[٢].

[فشل سعود في حصار جدة]

ولمَّا أناخ بساحل جدة، وقد اسْتَعَدّ له صاحب الترجمة بالسلاح والعدّة، فتبسَّم لهم فم المدفع بالقلل، وصار يُشَتّتهم مِن محلّ إلى محلّ؛ فحملوا حملة رجل واحد على السور، وراموا ينتقزون تلك الحصون والقصور، فيهنيهم ضرب المدافع، حتى ينهزموا لموضع شاسع، فيعودون إلى مُخَيَّمهم، وفي اليوم الثاني يقدمون على السور، فيجدون ما وجدوه بالأمس، فيرجع جيدهم مِنْه مكسور[٣]، فإذا أصبح اللَّه تعالى بالصباح، وحَيْعَل بالقتال فرسانه غدوًا ورواح[٤]، أقبلوا على السور يرتجزون بالغناء، ويجنون مِن ثمار المدافع والبنادق أخضر الرصاص حلو الجَنَا، فيعودون إلى الخيام، وقد شربوا مِن كاس[٥] المَنِيَّة جامًا فجام[٦]، ورِيِّسهم سعود يزين لهم الأماني والوعود، ويزيف لهم أحوال الشريف، ويقول لهم: جيشنا سيكون منصورًا ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾﴾[٧].

وما زالوا كُلّ يوم على هذا المشوار، مِن وقت الفجر إلى آخر النهار، وهو يرتب أمورهم على هذا الترتيب، ويُسهل الأمر وهو صَعِيْب[٨]، وما زال المدفع يفرّق الجمع، ويحصل به كمال النفع، وتسمع صوته مثل الرعود، ولحوم الأشقياء يشويها البارود، فلا يصلون إلى المُخَيَّم إلاَّ وقد شاهدوا

(١) القرآن الكريم، سورة الشعراء، جزء مِن آية ٢٢٧.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: شامًا.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: مكسورًا.
(٤) كذا في الأصل، والصواب: ورواحًا.
(٥) كذا في الأصل، والصواب: كأس.
(٦) كذا في الأصل، والصواب: فجامًا.
(٧) القرآن الكريم، سورة النساء، آية رقم ١٢٠.
(٨) أي صعب.

حرّ جهنّم، فإذا أصبح اللَّه تعالى بالصباح تعود تلك الفجرة، بوجوه عليها غبرة ترهقها قترة، وهم يَسْتَدِيْرُون على الأبراج والأسوار إلى أنْ يهزم النهار، فيهلك مِنْهم كُلّ فاجر جبار، ويهوي بروحه إلى النار.

وما زال هذا الشقي يقاتل تجبرًا وعناد(١)، ويروم أمرًا دونه خرط القتاد(٢)، وصاحب الترجمة يناديه لسان سعده وطالع عزّه ومجده سيكون لك القلب وترى لِمَن يكون المنقلب، وما برح على هذا المنوال ينسج يريد الدخول، والمقادير تقول له: اخرج، حتى مضى له ثمانية أيام، اِرتحل عنها بالخزي وقام، فارتحل بعلته ودائه السقيم، بعد أنْ حصده المدفع حصد الهشيم، ونهش لحوم البارود كما تنهش الحَيَّات السُّود، وكان سعده بالنحوس مقلوب(٣)، وجاء تاريخه: سعود مغلوب(٤) / ق٢٣٣/ .

فارتحل(٥) هذا المعكوس وكُلٌّ علم أنَّه منكوس، ورأى مِن الأسد

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: عنادًا.

(٢) مثل مشهور: دون ذلك خرط القتاد، الخرط هو قشر الورق عن الشجرة اجتذابًا بالكف، والقتاد شجر له شوك أمثال الإبر، ويضرب المثل للأمر دونه مانع، انظر: أبو الفضل أحمد الميداني النيسابوري، **مجمع الأمثال**، ج١، تحقيق: محمد محيي الدين، دار المعرفة، بيروت، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م، ص ٢٦٥.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: مقلوبًا.

(٤) **جاءت بحساب الجُمَّل كالآتي**: سعود: س ٦٠ + ع ٧٠ + و ٦ + د ٤ = ١٤٠. مغلوب: م ٤٠ + غ ١٠٠٠ + ل ٣٠ + و ٦ + ب ٢ = ١٠٧٨. الأجمالي ١٤٠ + ١٠٧٨ = ١٢١٨.

(٥) لم يصمد الأمير سعود بقواته طويلًا في حصاره جدة، حيث استمرّ ثمانية أيام فقط. وقد تعددت وتضاربت الآراء في أسباب رفع الحصار، مِنْها: **أولاً**- أنَّ الشريف غالبًا قدَّم المال إلى الأمير سعود مقابل رفع الحصار. جان بوركهارت، **مواد لتاريخ الوهابيين**، ص ٩٢؛ Andrew Crichton, op. cit, p.265 وهذا الرأي مِن الصعب أن يكون صحيحًا لأنَّ الأمير سعودًا كان على دراية كاملة بخطورة تواجد الشريف في مدينة جدة الساحلية، التي يمكن من خلالها وصول المساعدات عن طريق البحر، ويأخذها رأس حربة لاسترداد مكة. **ثانيًا**- ذكر الجبرتي أنَّ وراء رفع الحصار وصول الأخبار للأمير سعود أنَّ العجم هاجموا أراضيهم في نجد. عبد الرحمن الجبرتي، **عجائب الآثار**، ٣/ ٤٠٩. ولم أعثر فيما توفر مِن مصادر على ما يؤيد هذا الرأي الذي يثبت وجود هجوم مِن العجم على الدرعيَّة وقتئذ. **ثالثًا**- أنَّ الطاعون قد انتشر بين جنود الوهابيين، الأمر الذي أدى إلى رفع الحصار. ويقدر عدد القتلى بحوالي خمسة آلاف. جحاف، **درر نحور العين**، ص ٥٢٩؛ Louis de CORANCEZ, op. cit, =

الغضبان حرب البسوس، فتَوَجَّه الشقي مِن أشرف مكان، إلى حيث يطلع قرن الشيطان، ثم التفت على عثمان يلعنه ويشتمه(١) ويمتهنه، لكونه هو الذي أغراه على هذا النزول، والحازم في أموره لا يأخذ برأي الجهول، فوصل إلى الوادي بكُلِّ معتدٍ عادٍ، فلم يدخل مكة وتَوَجَّه إلى الزَّيْمَا بحال رث؛ لكونها كالكير تنفي الخبث، وقد أمَّر إبراهيم بن سليمان البركاتي(٢) على وادي مَرّ، واجتمع عليه كُلّ وَغْد(٣) ما سمع فجوره ولا مَرّ، فركب عليهم صاحب الترجمة مِن جدة بنفسه، وأذاقهم مِن نقيع المَنِيَّة كاس(٤) بأسه، فقتل كثيرًا وأسر، وفَرّ أميرهم أمير الشوم(٥) ونفر، ثم عاد مِن الوادي إلى جدة، وقد كسي ثوب العزّ وأكبت ضده، فطاب الوقت بعد هذه الغزوة واعتدل الزمان، وأطاعه كثير من العُربان، حتى صاروا ينزلون له إلى جدة ويطلبون مِنْه السماح، بعد ما أروى البيض المواضي والسمر الرماح، وكُلَّمَا عاملته قبيلة مِن قبائل العرب، فازت مِنْه بحسن المُنقلب.

= p.38 . **رابعًا**- ترجع المصادر الوهابيَّة والمكيَّة السبب إلى حصانة مدينة جدة، ومتانة أسوارها ووجود المدافع فوقها التي نالت مِن الوهابيين، ووجود خندق مائي حول أسوارها. عثمان بن بشر، **تاريخ نجد**، ١/ ٢٦٣؛ أحمد زيني دحلان، **خلاصة الكلام**، ص ٢٧٩. ولا ريب أنَّ حصانة مدينة جدة كانت السبب الرئيس لرفع الحصار، فكما ذُكِرَ آنفًا كان الشريف قد حصَّن المدينة وأمدَّها بالمدافع، وجدّد أبراجها لاحتمال وقوع هجوم من الفرنسيين إبَّان تواجدهم في مصر، بجانب أنَّه مِن المحتمل انتشار مرض بين القوات الوهابيَّة أدى إلى هلاك كثير منهم، حيث إنَّ عدد القتلى قُدِّر بحوالي خمسة الآف - كما تمت الإشارة - ومن الصعب القول إنَّ هذا العدد قد قتل مِن المدفعية التي كانت تلقي من فوق أسوار جدة على الوهابيين، لأنَّه كان يمكنهم الاحتماء مِنْها.

(١) يقصد الأمير سعود، قام بلعن عثمان المضايفي لأنَّه مَن شجَّعه على الذهاب إلى جدة والاستيلاء عليها.

(٢) **إبراهيم بن سليمان البركاتي**: إبراهيم بن سليمان بن حسين بن يحيى بن بركات النموي الحسني، أعقب ابنين، هما: حسن، ومحمد. أحمد ضياء العنقاوي، **أعلام الأشراف**، ١/ ٢٤.

(٣) **وَغْد**: الوَغْد الضعيف من الرجال، وقيل: الخفيف العقل. **المعجم الوسيط**، ص ١٠٤٥.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: كأس.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: الشؤم.

وفي أيام إمارة الشريف عبد المعين، كانت العُربان تقطع طُرقات المسلمين، وكانوا ينهبون في طُرقات مكة وفي كُلّ ناحية وسكة، فنهبوا مِن الحُسَيْنِيَّة ومِن العَابِدِيَّة حتى صاروا ينهبون في الزاهر خافيًا وظاهر[1]، وينهبون في عمرانها ويروعون جميع سكانها، والشريف عبد المعين لم يقدر يُشَمّر الذيل على هُذَيْل، ويذيقهم كاس[2] الويل جنح ليل، لعدم عساكره وقِلّة ناصره.

[عبد الوهاب أبو نقطة يحاول محاصرة جدة]

وفي أيام إمارته ورد عبد الوهاب أبو نقطة[3] المرقد اللقطة، وهو يومئذٍ أمير على حجاز اليمن، وهو الذي أفسد قطره وقبح وجهه الحسن، وظنّ أنَّه يجد سعودًا عندما يصل ويقاتل معه بالجيوش ثم يرحل، فَمَا وجده إلاَّ وقد اِنخذل واِرتحل ونزل به البلا[4] وحل، فلمْ يدخل مكة المحميَّة، ونزل بجيوشه على عين الحُسَيْنِيَّة، وخطر ببال هذا الأبتر أنَّه يُقاتل البندر، فأقام بالحُسَيْنِيَّة بياض يومه بقومه، وأرسل لمولانا الشريف عبدالمعين كتابًا

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: ظاهرًا.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: كأس.

(٣) **عبد الوهاب أبو نقطة**: عبد الوهاب بن عامر أَبُو نُقْطَةَ المُتْحَمِيُّ الرَّفيديُّ، مِن أشهر القادة العسكريين الوهابيين، تولَّى حكم عسير عام ١٢١٧م/ ١٨٠٢م، وقام بدورٍ مهمٍ في إخضاع مناطق عسير، والمخلاف السليماني، فاستطاع دخول مدينة صَبْيَا، وفتح ضَمَدَ بعد حرب بينه وبين الشريف حمود أبي مِسْمَار عام ١٢١٧٧هـ/ ١٨٠٣م، وأدى دورًا مهمًا في الحروب التي شنتها القوات الوهابيَّة ضد الشريف غالب في الحجاز حتى دخولهم مكة المكرمة ١٢٢٠هـ/ ١٨٠٦م، وَقَدْ وقع بينه وبين الشريف حمود تنافسٌ على السلطة في المخلاف السليماني، انتهى بموقعة بيش، التي هزم فيها الشريف حمود، وقُتِلَ عبد الوَهَّاب أبو نقطة عام ١٢٢٤هـ/ ١٨٠٩م. محمد أحمد العُقَيلي، **مِن تاريخ المخلاف السليماني**، القسم الثاني مِن الجزء الأول، مطابع الرياض، الرياض، ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٨م، ص ٥١٤-٥١٥؛ فؤاد حسين سيد، **موسوعة أعلام القرن التاسع عشر والعشرين في العالمين العربي والإسلامي**، مكتبة حسن العصريَّة، بيروت، ط١، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م، ص ٥٠٩-٥١٠.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: البلاء.

معه خمسة عشر ريال[1]، وكتب إليه فاسد العقل، وقال: بسم اللَّه الرحمن الرحيم، مِن عبد الوهاب / ق٢٣٤/ أبو نقطة إلى عبد المعين بن مساعد، السلام عليك ورحمة اللَّه وبركاته، اعلم أنَّ قصدي أخذ جدة، واستعديت لها بالسلاح والعدة، ومُنذ حللت بهذا النادي نجح زادي، فخذ لي بخمسة ريال دقيق، وبخمسة ريال سمن، وبخمسة ريال عليق[2]، فلرُبَّمَا يطول علينا زمن الحصار، ويلحقنا مِن عدم الزاد مضار، وأرسل لنا قدر مائة سُلّم ننقذ عليها السور، ونهجم على البَنْدَر المذكور.

فقرأ الشريف عبدالمعين كتابه بمحضر مِن أهل مكة، وأناس مِن جماعته، فأخذهم العجب مِن غباوة عقله وحماقته، فأرسل له مع رسوله كُلَّما طلب، وقضيت دهري مِن هذا السخيف عجب[3]. فتَوَجَّه من الحُسَيْنِيَّة ووصل إلى نصف طريق جدة، وحرَّض على القتال جنده، ولم يتجاوز الرِّكَانِي[4] بجنوده، حتى خفق ريح الدبور ببنوده فناء عن الكفاح، وتأخَّر وامتنع عن الرواح، وتقهقر وعاد مكة ناكسًا على عقبِهِ، ولو صنع لكان أليق به، ونزل بالْمُحَصَّب بفواد[5] موصب[6]، ثم في اليوم الثاني أصبح بأقوامه على مكة، وقد ملأوا كُلّ ناحية وسكة، فما علمنا سببًا لرجوع هذا السخيف عن مرامه، إلا أنَّ اللَّه جلَّ جلاله قد أخّر له مُدَّة هلاكه وانتقامه، فسألوه: لِمَ رجعت عن القتال أيُّها الأمير، وأنت مِن رجال الحروب، وأهل التدبير؟ فقال: قد أسلم على يدي كُلّ مَن كان بجدة وأطاع، ولم يبقَ بيننا قتال ولا نزاع.

فانظر لهذا الكذوب الأصقع، مع أنَّه ما وصل إلا نصف الطريق ورجع؛

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: ريالًا.
(٢) نوع من التمر.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: عجبًا.
(٤) **الرِّكَانِي**: عين ماء كانت بأسفل وادي مرَّ، يمين الطريق مِن مكة إلى جدة، بعد الحُدَيْبِيَّة. عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ص ٧٠٤.
(٥) كذا في الأصل، والصواب: بفؤاد.
(٦) موصب: من الوصب وهو المرض. **المعجم الوسيط**، ١٠٣٦.

فضحك الناس على جهله وغباوة عقله، فكيف يَرُوم بهذه الأوغاد أمرًا دونه خرط القتاد؟ كيف وهو يعلم أنَّ سعود[١] ما قام عنها ورجع إلا بعدما انْصَفَع؟ فما بالك بهذا الأحمق الأبتر كيف يظفر بها ويظهر؟! ولله در القايل[٢]:

ذُو الْجَهْلِ يَفْعَلُ مَا ذُو الرَّأْيِ يَفْعَلُه

فِي النَّائِبَاتِ وَلَكِنْ بَعْدَ مَا افْتَضَحَا[٣]

وإذا كان سعود، وهو أحد الجبابرة الكبار، لم يرقَ هذا المرقى الصعب، فكيف بهذا المرقد[٤] الكلب!

لَقَدْ هَزَلَتْ حَتَّى بَدَا مِنْ هُزَالِهَا كُلَاهَا

وَحَتَّى سَامَهَا كُلُّ مُفْلِسِ[٥]

/ ق ٢٣٥/

فعند ذلك طلع الشريف عبد المعين لمواجهته بالأبطح، ومعه نحو خمسمائة مِن أهل مكة تقلَّد كُلّ مِنْهم بالسلاح وتوشّح، فسلم عليه وآنسه

(١) كذا في الأصل، والصواب: سُعُودًا.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: القائل.

(٣) البيت لأحمد بن أبي فَنَنٍ، انظر: محمد بن أيدمر المستعصمي، **الدر الفريد وبيت القصيد**، ٦/ ٢٥٨.

(٤) كتب على هامشي الأصل، والنسخة (ب)، ورقة ١٨٧، ما نصّه: «قوله: المرقد كانوا يتهمون عسير بهذا الفعل قبل حدوث ابن سعود، والآن زال عنهم هذا الأمر بالكُليَّة، وما بقى له عندهم بقية. وهذا عبد الوهاب أبو نقطة قتله الشريف حمود الخير أيّ حمل عليه في وسط مُخَيَّمه وقتله في وسط عرضيه، وخلف ولدًا اسمه دوسري مسكه حضرة الشريف محمد بن عون أيام إمارته على عسير سنة ١٢٣٦ وأرسله إلى مصر المحروسة، وكان استعلا منه مادة فساد في أهل تلك البلاد، ثم جاء مع الجردة الواصلة مِن مصر، بصدد عسير، لمَّا عصوا علي باشا المذكور، وبغوا واستكبروا، فرأيناه بمكة وصحبناه ورأيناه سالمًا مِن عقيدة الوهابيَّة مُثْبتًا لكرامات الأوليا في الممات وفي المحيا، ثم عاد إلى مصر، ولم يهن له بهذه الأقطار مقرّ، وهو بها إلى الآن. انتهى».

(٥) البيت لعلي بن أحمد بن علي بن سالك المعروف بالفالي، انظر: أبو الفداء إسماعيل ابن كثير القرشي الدمشقي، **البداية والنهاية**، ج١٥، تحقيق: عبد اللَّه ابن عبد المحسن التركي، دار عالم الكتب، بيروت، د.ط، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ص ٧٤٠.

وحَيًّا، وأظهر له مصافاته وفي القلب أشيا[١]، ثم إنَّه صنع له ضيافة وعَزَمَه فيها وعَزَم أطرافه، وأقام عنده إلى نصف الليل ثم نزل إلى داره بشيعته وأنصاره، وظلّ أبو نقطة بمكة مُقِيْمًا بِمَن معه، مِن جنود البغي والفساد، والزندقة والإلحاد، ثم تَوَجَّه إلى بلده موضع الضلال، والجور والاعتزال، وخَلف مِن جماعته أربعمائة كلهم ملاحدة، وأسكنهم في بُسْتان الشريف الذي بالمَعَابِدَة.

[عودة الشريف غالب إلى مكة]

وفي اثنين وعشرين مِن شهر ربيع الأوَّل[٢]، بزغت شمس الخلافة، وظهرت طوالع الأنوار في أُفق الشرافة، وزال ظلام الشك والأوهام، وسطع مِنْ برج المعارف بدر التمام، ولاح الفجر الصادق.

وَقَـدْ لاَحَ نُـور الـدِّيْـن وَالْـجَـهْـل مُظْلِـم
فَـأَذْهَـبَـه وَالـلَّـيْـل يـذهـب بالْـفَـجْـر[٣]

فغسل عن عِرَاصَهَا[٤] الـدَّرِن[٥]، وزال بحمد اللَّه الكريم عن ساكنها المِحَن، وطهَّر بلده مِن الرجس والخبائث، وخلَّصَها مِن يد كُلّ شقي عابث، بقدوم مِن حاز الشهامة والمَزِيَّة، وانقادت له صعاب الأمُور الأبيَّة، ذو الهِمَّة العالية، والأيادي التي بجزيل النوال متوالية، الهُمام الذي أورق في روض الإقبال عوده، وطلع في سماء المجد سعوده، وحسنة الدهر الذي استغفر بها عن سياته[٦]، وواحد العصر الذي محا به موبقاته، الماجد الذي شاد ركن الدين بعد ما طمس، وأعاد دروسه بعد ما درس، المولى الذي لا يسمح الزمان بمثله، ولا تقع العين على نظيره وشكله.

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: أشياء.
(٢) ٢٢ ربيع الأوَّل ١٢١٨هـ/ ١١ يوليو ١٨٠٣م.
(٣) لم أقف على قائله، فيما لدي من مصادر.
(٤) أي أراضي مكّة المكرمة.
(٥) **الدَّرِن**: الوَسَخ. يقال: دَرِن الثوبُ، تَلَطَّخَ بِالوَسَخ. **المعجم الوسيط**، ص ٢٨٢.
(٦) كذا في الأصل، والصواب: سيئاته.

حَلَفَ الزَّمَانُ لَيَأْتِيَنَّ بِمِثْلِهِ
حَنِثَتْ يَمِينُكَ يَا زَمَانُ فَكَفِّرِ[١]

نادرة الزمان، والفرد الكامل في نوع الإنسان، سلالة الأطايب مولانا الشريف غالب، وفَّقَه اللَّه تعالى لمَا فيه مراضيه، وحسم عامة أعاديه ببيض نواصيه، ومعه الوزير الأمجد صاحب الفضايل[٢] التي لا تجحد، منتخب دولة آل عثمان، ذو العزّ والمجد والشان[٣]، الوزيرُ المُعَظَّم، الدستورُ المُكَرَّم، عالي الهُمم، صاحبُ الشِّيم، مَعْدِنُ الكرَم، وافي العُهود والذمَم، حضرة محمد شريف باشا دام إقباله / ق٢٣٦/ ، وعمَّ فضله ونواله، ومعه مِنْ القبايل[٤] كُلّ ليث صايل[٥]، ومعه مِنْ المراجل والعساكر ما يسرّ به الناظر، ومعه مِن عساكر الأتراك أهل المعرفة والإدراك، ومعه ثلاثة مدافع حربية، عليها النَّامَة[٦] السلطانيَّة، ومعه مدفع كبير أهداه إليه إمام مسكت[٧]، يقف عنه ويسكت.

(١) البيت لعمارة اليمني، انظر: عمارة بن علي اليمني، النكت العصرية في الوزراء المصرية، اعتنى بتصحيحه: هرتويغ درتبرغ، مطبعة مَرْسَو، باريس، د.ط، ١٨٩٨م، ص ٨٢.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: الفضائل.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: الشأن.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: القبائل.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: صائل.

(٦) أي شعار الدولة العثمانية.

(٧) الإمام سلطان بن سعيد (سبقت ترجمته) كان قد وصل إلى مكة المكرمة في موسم الحج لعام ١٢١٧هـ/ ١٨٠٣م، ومعه الشيخ مهنا اليعربي وبعض الهدايا للشريف غالب، ويبدو أنَّه كان يرغب في عقد تحالف معه ضد الوهابيين؛ فكلٌ منهما قد تضرَّر مِن التوسعات الوهابية في الجزيرة العربية، وقد صادف تواجده في مكة، زحف القوات الوهابيَّة، بقيادة الأمير سعود، الأمر الذي دفع الشريف غالبًا إلى الانسحاب إلى جدة - كما ذكر آنفًا - ويتضح أنَّ الإمام سلطان لم تكن لديه القوة الكافية التي تُمَكِّنه مِن مساعدة الشريف وقتئذ للوقوف ضد الوهابيين، كما وصلت إليه أنباء انقلاب ابن أخيه عليه، للاستيلاء على الحكم، فقام بإهداء المدفع الكبير الذي ذكره مؤرخنا ابن عبد الشكور، وأبحر بأسطوله إلى عُمان. وقد وصلت أنباء هذا التعاون إلى الإمام عبد العزيز في الدرعيَّة، فأصدر أوامره لأتباعه بالزحف إلى عُمان برًّا وبحرًا، وترتب عليه أنْ تكبَّد الإمام سلطان كثيرًا مِن الخسائر، فاضطر إلى توقيع هدنة مع الوهابيين، ولكنَّها لم تدم طويلاً؛ فتقدَّم الوهابيون بقيادة سالم الحارق إلى مسقط، حيث التقوا بالقوات العُمانيَّة وانتصروا عليها =

[استسلام الحامية السلفيّة، وطردها من مكة]

فنزل بالزاهر، ومعه رياح النصر لها أشاير[1]، وبات به إلى أنْ ظهر الفجر ولاح، وغَرّد المُطَوَّق[2] على أغصان الأقاح[3]، ثم أرسل العساكر والعبيد والكُمَاة الصناديد، وأحاطوا بالقلعة التي على الجبل، مِن كُلّ محل، وترَّسوا البيوت التي تليها، وتمكّن مِن مراميها، ولزموا جوانبها، وقلعوا عيونها وحواجبها، وحاصروها الحصار الشديد، والحرب كُلّ يوم في تجْديد.

وأمَّا حضرة مولانا الشريف، وحضرة شريف باشا، فإنَّهما دخلا مكة بعد الإشراق، ورايات النصر تخفق لهما في الآفاق، وجميع أهل مكة هرعت إليه على الإطلاق، مِن شدّة المحبَّة والاشتياق، فنزل بداره التي بالمَعَابِدَة أنشأها، وطرز بدورها ووشاها، وأنزل شريف باشا زاده اللَّه تعالى فخرًا في

= بمنطقة السويق خريف عام ١٢١٨هـ/ ١٨٠٣م، وقاموا بمحاصرة منطقة صحار، وكادت أن تسقط في أيديهم، لولا اغتيال الإمام عبد العزيز في الدرعيَّة جمادى الآخرة ١٢١٨هـ/ أكتوبر ١٨٠٣م، فقام الوهابيون برفع الحصار عن صحار، وانسحبوا إلى البريمي. وعلى الجانب الآخر كان السلطان العُثماني سليم الثالث قد أصدر أوامره إلى والي بغداد ووالي دمشق لإعداد حملة ضخمة للقضاء على الوهابيين، ولمَّا وصلت هذه الأنباء إلى الإمام سلطان عام ١٢١٩هـ/ ١٨٠٤م، اتجه إلى البصرة على متن الفرقاطة جنجافة ويصحبها بعض قطع أسطوله، وعندما وصل إلى هناك وجد أنَّ القوات العُثمانيَّة محدودة، وليست على استعداد لخوض معركة حقيقية ضد الوهابيين، فأبحر مِن البصرة عائدًا إلى عُمان، وأثناء تواجده في مياه الخليج، اشتبك مع بعض قوات القواسم - أتباع الوهابيين - فلقي مصرعه في شعبان ١٢١٩هـ/ نوفمبر ١٨٠٤م، ودُفِنَ في مدينة لنجة على الساحل الفارسي. S.B.MILES, The Countries and Tribes of the Persian Gulf, London, 1920, VOL II, p.p. 296, 297, 302-303.؛ لطف اللَّه جحاف، **درر نحور العين**، ص ٦٢٨؛ تركية بنت حمد بن حمود الفارسية، **العلاقات العُمانيَّة العُثمانيَّة (١٧٤٤-١٨٥٦م)**، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة السلطان قابوس، سلطنة عُمان، ٢٠٠٦م؛ مِيخِين فيكتُور ليُونُوفِيتش، **حلف القواسم وسياسة بريطانيا**، ص ٢٥٨-٢٦١.

(١) أي إشارات للنصر.

(٢) **المُطَوَّق**: نوع مِن الطيور، وهو مَا كان لهُ طوقٌ في عُنُقِهِ، أَيّ دائرةٌ مِن الرِّيش تخَالف سَائر لونه. **المعجم الوسيط**، ص ٥٧١.

(٣) **الأَقَاح**: جمع الأَقْحُوَانُ؛ نبتٌ زهره أصفر أو أبيض، ذو رائحة عطرة، وورقه مسنَّن كأسنان المنشار، ومِنْه البابونج. **المعجم الوسيط**، ص ٢٢.

الدار الأخرى، ورَتَّب عساكره محيطة ببستانه، التي فيه جماعة أبو نقطة، وما زال الحرب يستعر، وناره تتقد وتَتَّعِر، والبُسْتان المذكور في غاية المتانة، صاينهم عن القتل أعظم صيانة، والمدفع الكبير يؤثر في جدار البُسْتان أعظم تأثير، وما أمكن أخذهم بالقوة الظاهرة؛ لكون الموضع الذين هم فيه لا تَتَمَكَّن مِنْهم المناظرة، فعند ذلك صنع لهم لغمًا تحت الأرض، ووضع فيه البارود، ولمَّا أثاره رفع البرج إلى الجو بِمَن معه مِن الجنود، وما تزحزح أحد مِنْهم عن القتال، ولا جال لطلب الصلح في مجال، فعند ذلك أرسل مولانا الشريف إلى جدة في طلب المدفع الكبير، الذي لا يمكن سيره بدون خمسين بعير[١]، فلمَّا وصل ورمى به على جدار البُسْتان، وفي كُلّ رمية يطرح جانبًا مِن البُنيان، حتى وقع مِنْه شيء كثير، وأثَّر فيه أعظم تأثير، فحملت العساكر وأرادوا الدخول، ودخل البعض مِنْهم ولم يتم المأْمُول، ثم صنع أبوابًا مُصَفَّحَة بالحديد، فلم تغن شياء[٢] ولا تفيد، ثم صنع مِن مهاريس[٣] الخشب قنبرة بالحديد مُصَفَّحَة، وبالمَسامير الكبار مُقَلَّدَة ومُوَشَّحَة، فلمَّا / ق٢٣٧/ أثارها انفجر المهراس وضاع فيه القياس، ثم صنع أُخرى وتفجَّرت، وثالثة وتكسَّرت، ولم يجد ما صنعه مِن اجتهاد، في أخذ هؤلاء الأوغاد.

وأمَّا الوهابيون الذين هم في قلعة الجبل، فما فتر العسكر عن قتلهم ولا اختلّ، وكان يخرج مِنْهم جانبٌ مِن القلعة حين يعتكر الظلام، ويحرقون العشش بلا إضرام، واستمرّوا على هذه الأفعال مُدَّة ليالٍ، ونزل جماعة مِنْهم ضحوة، والناس غافلة، ونهبوا أغنامًا لمكة قافلة[٤]، ووقع الجري يومها في الأزِقَّة والأسواق، وتفازعت عليهم العساكر مِن كُلّ زُقَاق، فطلعوا إلى القلعة في أعظم سرعة؛ فعند ذلك أمَرَ صاحب الترجمة حاكمه القايد[٥] أحمد بن مثقال،

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: بعيرًا.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: شيئًا.
(٣) أي مدقوق الخشب.
(٤) أيّ راجعة إلى مكة.
(٥) كذا في الأصل، والصواب: القائد.

زاده اللَّه تعالى عزًّا وأفضال[١]، أنْ يجلس بنفسه ويحاصرهم؛ ليقل مساعدهم وناصرهم، وينقطع واردهم ورايدهم[٢]، ويُعدم سَاعدهم ومُساعدهم، فجلس هذا الشهاب بنفسه جلسة النمر والليث المنهمر، فقلّ عنهم المنجد والمسعد، وأثار عليهم المُقيم المقعد، فما طاقوه غير ثلاث ليال أو أربع، حتى أزعجهم المضجع والمربع؛ فهربوا مِنْها جنح ليل بالخيبة والويل؛ ولمَّا علم جماعتهم الذين هم في البُسْتان، أرسلوا لصاحب الترجمة وطلبوا مِنْه الأمان، فخرجوا في وجهه عصر ذلك اليوم مذلولين بعد ذلك الرَّوْم، وكانت مُدَّة الحصار خمسة وعشرين نهار[٣]، وفرّج اللَّه تعالى كرب المسلمين، ولتسمعنّ نبأه بعد حين.

فخرجوا مِن بيت المَعَابِدَة في الحال، وبنظره استأجر لهم الجمال[٤]، وتَوَجَّهوا إلى الطايف[٥]، وحملوا معهم المصاويب[٦]، وصاروا يرمون في كُلّ حفرة وقليب، فعند ذلك أقبلت جميع هُذَيْل وغيرهم لمُبايعة الشريف، وراسلوه يطلبون المُبايعة لبني ثقيف؛ فلم يقبل المُبايعة مِن ثقيف، إلا إنْ باينوا بالعداوة، كعداوة الكلب لابن آوَى[٧]، فأظهروا صدق دعواهم في عداوته، لشقاوتهم وشقاوته.

ثم إنَّ صاحب الترجمة جهَّز رتبة تحافظ الزَّيْمَا بطريق اليمانيَّة، مِن أشقيا الطايفة[٨] الوهابيَّة، فأقامت أيامًا تحافظ الطريق، وتطرح العيون مِن الزَّيْمَا في السهل والمضيق، ثم زاد عليها مِن العساكر وقَوَّاهَا، وأمَّر

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: أفضالًا.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: رائدهم.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: نهارًا.

(٤) تصرف نبيل مِن قبل الشريف غالب، فكان في مقدرته أنْ يقتلهم ويستأصل شأفتهم، ولكنَّه آثر السلامة، واستأجر لهم الجمال تنقلهم إلى حيث شاءوا، ورغم ذلك فإنَّهم عادوا لمحاربته مرّة أخرى.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.

(٦) أي المصابين والجرحى.

(٧) **ابن آوَى**: الذئب، وقيل ولد الذئب، انظر: **المعجم الوسيط**، ص ٣٤.

(٨) كذا في الأصل، والصواب: أشقياء الطائفة.

عليها الشهم الذي حاز المكارم وحواها، وأرسلها مولانا الشريف معينة لبني ثقيف، فأحاطوا بالطايف[١] حواليه، ومنعوا كُلّ وارد عليه، فاستقرّ تحت الأسر ذلك الشقي خلف السور بالحصر / ق٢٣٨/ وضَيَّقُوا عليه أزيد مِن شهر، حتى ضَاقت روحه ومناسمه، وذهبت أيامه ومواسمه، ثم أمَدَّه بالجنود أميره سعود، وأرسل لإعانته مِن عصابة الشيطان أكبر جنود، وأمَّر عليها سعد ابن قَرْمَلَة، لا بلغه اللَّه تعالى مأمله.

ولمَّا رأى أمير الرتبة السيد ناصر، هذا الجند المُتَكاثر، ارتحل إلى وادي قرن وأقام بها أيام[٢]، ثم عاد إلى حمى البيت الحرام، ثم أرسل سرية أخرى وأقامت على قرن المنازل، فجاها[٣] الشقي محاربًا بالقرن المنازل[٤]، ثم عادت إلى مرسلها، ولم تبلغ مِن العدو مأملها.

[هذه غزوة رُكْبَة][٥]

فعند ذلك جَهَّز صاحب الترجمة سرية، أَكْرِمْ بها مِن سرية، معتقلين[٦] سمر الرماح السَّمْهَرِيَّة، جنود لهم وقع المهند والعسال، وأبطال كأَنَّهم في الحقيقة ليوث النزال، إنْ سطوا أهلكوا، ومتى تَوَجَّهُوا لأمر فتكوا، وأَمَّر على هذه الغزوة الفارس المطعان، والأسد المقدام ثابت الجنان، وزيره بالقُنْفُذَة أبو[٧] بكر بن عثمان؛ فتَوَجَّه بهذه الجنود، وهبوب الريح تخفق بالرايات والبنود، حتى وصل إلى رُكْبَة[٨] فوجد بها القوم فنازلهم ذلك اليوم، وترك النَّجِيع القَانِي على الثرى

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: أيامًا.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: فجاءها.
(٤) كذا في الأصل، والصواب: بقرن المنازل.
(٥) كتبت على هامش الأصل، ورقة ٢٣٩، والنسخة (ب)، ورقة ١٩٠.
(٦) كذا في الأصل، والصواب: معتقلي.
(٧) كذا في الأصل، والصواب: أبا.
(٨) رُكْبَة: صحراء واسعة تقع شمال شرقي الطائف، سُكَّانهَا مِن عُتَيْبَة؛ شمالها للرّوقة، وجنوبها لبَرْقة. عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ص ٧٠٥-٧٠٧.

عوم[1]، وسامهم سوء العذاب أيّما سوم، وأخذ حلتهم وما يملكوه مِن المواشي، ولم يترك لهم فصيلاً ولا حاشي[2]، ودخل مكة بجنوده والمواشي بين يديه تُساق، وحدا حادي العِيْس باسمه، وغرّدت له ذوات الأطواق.

[غزية على بني مَسْعُود]

وفي أوائل شهر رمضان[3] وصل بنفسه الشقي عثمان بجنود كثيرة جمعها مِن كُلّ ديرة وتلاه سبقة الشيطان سَالِم بن شُقْبَان، ومعه قوم مِن طامح أمثال البهايم[4] السوارح، فخَيَّمُوا بوادي الزَّيْمَا والمضيق، وملأوا كُلّ ناحية وطريق، فأخذوا هُذَيْل الشام وهشوهم هش البشام، والتفتوا على إهلاك أهل ذلك الوادي، ومَن أحل بذلك النادي؛ فسلبوا النساء، وأهلكوا الرجال، وقتلوا كثيرًا مِمَّن لم يبلغ الحلم مِن الأطفال، ثم أرسلوا رسولاً لبني مَسْعُود[5]، وهم مجتمعون بجبلهم[6] المعهود، وطلبوا مِنْهم الدخول معهم في هذا الطين، ليكونوا مِن جُملة المظلومين، فما قبلوا الدخول في هذا الدين الذي أسَّسُوه، واستعدّوا للقتال في الجبال وترّسوه، فأقبل عليهم جيوش الفئة الباغية، وأحاطوا بهم مِن كُلّ ناحية، وما زال القتال بينهم لا يكاد يكف، ويد المَنِيَّة تخبط في آجالهم وتكف، حتى صاروا يُدَرْدِبُونَ[7] / ق٢٣٩/ عليهم الصخار، ويرمون عليهم الأحجار الكبار، حتى أهلكوا مِنْهم جانبًا عظيم[8]، وسكنت

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: عومًا.

(٢) **حاشي**: اسم من أسماء الفصيل ولد الناقَة.

(٣) شهر رمضان ١٢١٨هـ/ ١٤ ديسمبر ١٨٠٣ - ١٢ يناير ١٨٠٤م.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: البهائم.

(٥) **بني مَسْعُود**: مِن قبيلة هُذَيْل، يسكنون في الجبال المطلة على وادي نخلة، وهناك جبل باسمهم، وفي وادي الزِّبارة. حمد الجاسر، **قبائل المملكة**، ص ٧٦٠.

(٦) يعرف بجبل بني مَسْعُود وجبل أبي سُلَيْمَان. وهو جبل عال بين نخلة الشامية وضرعاء، في ديار بني مَسْعود، يجاوره مِن الجنوب جبل أراك، ومِن الجنوب الغربي جبل الأغر. عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ص ٨٣٥.

(٧) أي يرمونهم.

(٨) كذا في الأصل، والصواب: عظيمًا.

أرواحهم في الجحيم.

قيل إنَّ: المقتولين نحو سبعمائة قتيل، ومع ما شنعوا فيهم هذه الشناعة، لم يمتنعوا عنهم والكثرة تغلب الشجاعة، وما تركوهم حتى صعدوا خلفهم ذروة سنام الجبل، واقتضوا بدل المغرق بالجمل، فعند ذلك ظهر الخلل في بني مَسْعُود، وصار كُلّ واحد إلى جهة مطرود(١)، وصالت الأقوام الذين لا يرحمون مُسْلِمًا إذا ملكوه، حتى يُزْهِقُوا روحه ويُهلِكُوه، فقتلوا مَن أدركوه مِن الرجال والأطفال، وسلبوا أطمار رَبَّات الحِجَال(٢)، حتى صار النساء أعرى مِن مغزل؛ مكشوفين(٣) السوأتين، يضرب بهم المثل.

ولمَّا تَفَرَّق جمعهم شذر مذر، رجع الشقي إلى مُخَيَّمه واستقرّ، ونادى لِمَن يصل مِن بني مَسْعُود بالأمان، وأنَّه في وجه سَالِم بن شُقْبَان، فصاروا يتناسلون إليه مِن كُلّ حدب، ويطلبونه بطلب وغير طلب، ثم بعد أنْ تملّك مِنْهم وَصَالَ، وقطع مِنْهم العرى والأوصال، وجال معهم فيما يجال مِن طلب النكال، فما أمكنهم الخلاف، وما جعلوا للوعد إخلاف(٤).

[غزوة السلفيين على الأشراف بني عمرو أهل اللفاع]

ثم ركب عثمان على الأشراف بني عمرو أهل اللفاع، وصار بينهم قتال عظيم أعجزهم عن الدفاع، فتكاثر عليهم بجنوده، وبالغ في إهلاكهم غاية مجهوده، وهم وإنْ كانوا فئة قليلة لكنّهم أهل قوة وبأس، ولهم ممارسة في الحروب وإحساس؛ فطال عليهم بالعتبان وثقيف وبكُلّ وغد سخيف، وقتل مِنْهم ستة وعشرين شريف(٥)، ونهب حلتهم ولم يبق شيا سالم(٦)، وجَرَّد

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: مطرودًا.
(٢) **ربَّاتُ الحِجَال**: النساء. **المعجم الوسيط**، ص ١٥٨.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: مكشوفي.
(٤) كذا في الأصل، والصواب: إخلافًا.
(٥) كذا في الأصل، والصواب: شريفًا.
(٦) كذا في الأصل، والصواب: شيئًا سالمًا.

النساء عن الناصب والجازم، حتى صِرن بسوءة مكشوفة، فأطاعوه ودخلوا في دينه كما هي عادتهم المألوفة.

ثم عاد إلى المضيق، واجتمع بصاحبه الزنديق، فأقاموا به أيامًا ينتظرون وصول أبي نقطة مِن أيِّ ناحية وسكة، لكونهم تواعدوا على حصار مكة، فلمَّا تأخَّروا عن الوصول، ولم يبلغوا بسبب غيبته مأمول[١]، تَوَجَّهوا في غضب اللَّه تعالى وعقابه، وخزيه وعذابه، فلمَّا وصلوا إلى المسيل، جمعوا ما نهبوه مِن ذوات الأظلاف والمناسم، وقسّموه كما تقسّم الغنايم[٢]، وتفرّق كُلّ شقي إلى طيته ظهر مطيّته.

[استيلاء أبي نقطة على ميناء اللِّيْث، وقتاله الجَحَادِلَة]

ثم عقبهم، ووصل اللِّيْث أبو نقطة، وقد فات أوان الربطة، وحقّت عليه الورطة، فأخذ ينكل أهل اللِّيْث / ق٢٤٠/ وغيرهم مِن العُربان، ويصول عليهم بِمَا لديه مِن جنود الشيطان، حتى اجتمع له مِن الأموال شي[٣] جَمًّا، وصار لا يعلم بمقداره كمًّا[٤]، فضربه الطمع على قلبه وأَلَبَّ بِلُبّ أصحابه

(١) كذا في الأصل، والصواب: مأمولًا.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: الغنائم.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: شيئًا.

(٤) استولى أبو نقطة على اللِّيْث في ذلك الوقت، ويُعَدّ ذلك تطورًا في الاستراتجية العسكرية لدى الوهابيين؛ حيث أولوا وجوههم للاستيلاء على المدن البحريَّة على ساحل تهامة، واتضح ذلك جليًّا في المحاصرة المتكررة لمدينة جدة، وينبع، ورابغ، ثم اللِّيْث حيث تمَكَّنوا من امتلاك بعض السفن، وساروا يعدون على السفن اليمنية التي تحمل المتاجر والحجاج، وفي ذلك يقول المؤرخ اليمني جحاف، ضمن أحداث عام ١٢١٨هـ/ ١٨٠٤م: «وفيها تخطفت موهَّبة عسير بالحبر، وانقطع حاج اليمن وتجارته، فلاقوهم بمرسَى اللِّيْث وللموهبة عشرون داوًا فيها نحو أربعة وعشرين مائة مقاتل مِن عسير وغيرها، وسار أهل اليمن في ثمانية وثلاثين داوًا ... فبدرتهم الموهَّبة برمي الرصاص، فقام الحرب هنالك، واشتد قتل أهل اليمن فرموا رميًا صادقًا، فقتلوا نحو العشرين مِن أولئك، وذهب من التجار والحجاج نحو العشرة..». لطف اللَّه جحاف، **درر نحور العين**، ص ٥٥٦. وسوف يرسل الشريف غالب حملتين لاسترداد ميناء اللِّيْث مِن أيدي الوهابيين - كما سيأتي ذكره - في أحداث عام ١٢١٩هـ/ ١٨٠٤م.

ولُبّه، وزينت له نفسه أنْ يطلع على الجَحَادِلَة وهم في الجبال، لكونهم لم يصلوا إليه كغيرهم بشي[1] مِن المال، فلمَّا تَمَكَّنُوا مِن نصف جبلهم الشاهق؛ صاروا يتصيدونهم بالبنادق، ومع هذا فما تأخَّرُوا وما تقهقروا، وما حسبوا عواقب الأمُور ولا فَكَّرُوا؛ فظفّر اللَّه الكريم الجَحَادِلَة على أولئك الفُجَّار، حتى صاروا يقتلونهم بالحرب والأحجار، وكانت عدة مَن قاتل الوهابيين وتركهم رمم[2]، مائة وستين مِن الجَحَادِلَة وبني قهم؛ قتلوا مِن الوهابيين قتلة ذريعة، وكسروهم كسرة شنيعة.

[أخبار قوافل الحج]

وفي موسم سنة ١٢١٨[3] وصل أمير الحج الشامي سليمان باشا[4] مملوك أحمد الجزار، أرسله سيّده وتأخَّر بالشام يقتل عباد اللَّه تعالى الأخيار، ولمَّا حج الوفد ونزل وبلغ مِن اللَّه الكريم الأمل، طلب مِنْه شريف مكة جانبًا مِن العسكر، تبقى تحت يده ويرتب لهم العلايف والمقرّر، صيانة لحماية هذا البيت الأمين، وإعانة على قتال الوهابيين، فأبى وصَمَّم على الامتناع،

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: بشيء.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: رممًا.

(٣) موسم الحج في ذي الحجة ١٢١٨هـ/ مارس ١٨٠٤م.

(٤) **سليمان باشا**: أحد أتباع أحمد باشا الجزار، تولى إمارة الحج موسم ١٢١٨هـ/ ١٨٠٤م، ونجح في تأديته دون الاصطدام بالوهابيين، تولي ولاية صيدا، وقد تولى ولاية الشَّام بعد عزل واليها يوسف كِنْج (١٢٢٢-١٢٢٥هـ/ ١٨٠٧-١٨١٠م)، في الفترة ١٢٢٥-١٢٢٧هـ/ ١٨١٠-١٨١٢م وَقَدْ دَخَل في خصومة مَعَ مُحَمَّد عَلِي بَاشَا، لأنَّ الأخير كان يطمح في ضمٍّ ولاية الشَّام إليه، توفي في عام ١٢٣٤هـ/ ١٨١٨م بمدينة عكا، ودُفِنَ في ساحة جامع الجزار بجوار سيده أحمد باشا الجزار. إبراهيم العورة، **تاريخ ولاية سليمان باشا العادل**، نشره وعلّق عَليه: الخوري قسطنطين الباشا المخلصي، مطبعة دير المخلص، صيدا، لبنان، ١٩٣٦م، ص ٩ وما بعدها؛ أسامة مُحَمَّد أبو نحل: «**التهديد الوهابي عَلَى بلاد الشام وأثره فِي تولي سليمان بَاشَا ولاية دمشق**»، مجلة جامعة الأزهر- غزة، سلسلة العلوم الإنسانية، العدد الأول، المجلد التاسع، ٢٠٠٧م، ص ٣١٩؛
George John Koury, The Province of Damascus (١٨٣٢-١٧٨٣), PhD Dissertation, the University of Michigan, ١٩٧٠, p. ١٣٦-١٣٤.

وعزم على عدم الإعطاء ولو استطاع، فلم يقبل الشريف إلا بأخذ شي[1] مِن ذلك، ولو باقتحام المهالك، فدخل بينهم عثمان بيك أمين الصّر[2]، بمئة وخمسين خيَّالاً مِن نظيف العسكر، ومائة وخمسين موسوقة مِن الجمال مِن المَهَمَّات وآلات القتال[3]، فأرسلها على مُقتضى الشرط مِن ثلاثة أصناف؛ مِن الهوَّارة[4]، والدّلَاتِيَّة[5]، واللّزق فقط.

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: شيئًا.

(٢) **أمين الصّر**: اصطلاح إداري يُطلق على الموظف الذي تُسند إليه عُهدة توصيل الصرة الهمايونية إلى الحرمين الشريفين كل عام، وكان يُعَيَّن فيها إحدى الشخصيات العلمية أو المدنية أو العسكرية التي تتصف بالتدين والاستقامة، ومع أنَّ هذه المهمة كانت شرفية فإنَّ أمين الصرة كان مضطرًا في كثير مِن الأحيان الصرف مِن ممتلكاته الخاصة مبالغ كبيرة وذلك لقلة المخصصات، ولذلك كانت تسند هذه المهمة إلى بعض الأغنياء، وكان كثير مِن الأشخاص لا يتوانون عن صرف المبالغ الضخمة في هذا الصدد، ولكن في أواخر القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشرالميلادي، ونتيجة لسوء الأوضاع المالية للدولة، بدأ كثير مِنْهم يرفضون القيام بهذه المهمة ويطلبون إعفاءهم منها، وقد أدرك ذلك السلطان سليم الثالث، حيث قرّر في عام ١٢٠٧هـ/ ١٧٩٢م، صرف علاوة مبلغ ١٥٠ ألف قرشٍ ذهبيٍّ على مخصصات هذه الوظيفة؛ الأمر الذي أعاد لها رونقها، وأصبحت مطلبًا لكثير من رجال الدولة. أوليا جلبي، **الرحلة الحجازية**، ص ٤٦.

(٣) يذكر جحاف في ذلك أنَّ الشريف أراد إبقاء سليمان باشا وقواته حتى يستعين بهم لتأمين البلاد، فقال: لَمْ أخرج لشيء غير الحج، فقال: ولِمَن تدعني بهذا البلد؟ قال: لنفسك، وأعانه بأربعمائة مِن الترك لهم بأس وشدّة. لطف اللّٰه جحاف، **درر نحور العين**، ص ٥٥٦. وتجدر الإشارة إلى أنَّ ابن عبد الشكور قد توقف عن توجيه لومه المتكرر لأمير الحج المصري، ويبدو أنَّه أدرك ما تعانيه مصر مِن مشكلات وقتئذ، حتى إنَّ محمل الحج المصري - بسبب قلة القوات المصاحبة له، وعدم قدرته على اتخاذ الطريق البري - قد خرج عن طريق البحر، متجهًا إلى جدة، ويذكر الجبرتي - وعنه ينقل الحضراوي - قوله: «أنزلوا محمل الحاج مِن القلعة مطويًا مِن غير هيئة... واتفق الرأي على سفره عن طريق بحر القلزم، صحبة محمود جاويش مستحفظان ومعه الكسوة، والصرة»، وقد تصادف في الحج وفاة أمير الحج محمود جاويش، وكذلك الحاج يوسف صيرفي الصُّرة. عبد الرحمن الجبرتي، **عجائب الآثار**، ٣/ ٤٣٦-٤٣٧، ٤٧١؛ أحمد الحضراوي، **مختصر حسن الصفا**، ٢٩٤-٢٩٧؛ لطف اللّٰه جحاف، **درر نحور العين**، ص ٥٤١.

(٤) **الهوَّارة**: صنف مِن العسكر العثماني، عملهم شبيه بعمل جنود الاستطلاع، كانوا يُكَلَّفُون بالمسير أمام وحدات الجيش في جبهات القتال كأدلاء، وكانوا شديدي البأس والقوّة. مصطفى الخطيب، **معجم المصطلحات**، ص ٤٣٤.

(٥) **الدّلَاتِيَّة**: أصلها مِن التركية دليلر Deliler جمع دلي؛ أيّ المجنون. وهي تحريف مِن=

[حوادث عام ١٢١٩هـ]

[غزو السلفيين مدينة جدة]

وفي شهر محرم[١] مِن هذا العام، سنة ١٢١٩، أقبلوا لقتال جدة أعداء أهل الإسلام، فأحاطوا بجدة وأطرافها، أراذل الأعراب وأجلافها؛ فنادى شريف مكة على سُكَّان البلد الحرام بحمل السلاح، والخروج إلى الزاهر نفيرًا عام[٢]، فخرج الناس على طبقاتها إلى جوخي الزاهر حاملين السلاح، يبيتون مِن وقت المسا[٣] إلى الصباح، حتى مضى لهم سبع ليالٍ على هذا المنوال، وتحقّق انكسارة فرقة الضلال، ورجوعهم بالويل والوبال، بوصول السيد عبد اللَّه بن شمبر مُبشِّرًا بتحقيق الخبر، على أنَّ اثني عشر ألف مقاتل أناخت بذلك الساحل، وأحاطوا بالسور إحاطة الهالة بالبدور، وفي كُلّ يوم / ق٢٤١/ يحملون على البلد حملة واحدة، ولم يَجِدوا مِن اللَّه تعالى مُساعدة، فيعودون إلى الخيام كحمر مُسْتنفرة فرَّت مِن قسورة، فإذا قُتِل مِنْهم خلق كثير، ينفرون كنفرات العير، ويقع عليهم في اليوم الثاني كما في اليوم الأوَّل وقع،

= كلمة دليللر أيّ الدليل. وهم طائفة مِن الخيَّالة الخفيفة كانت تعمل في مقدمة الجيش العثماني، ونظرًا لمَا كانوا يتمتعون به من القوة والجسارة، حيث يحملون أنفسهم على الأعداء ولا يبالون الموت، ولذلك فقد حُرِّف اسمهم دليللر (الأدِلأّء) ليصبح دليلر (المجانين)، وكان سلاحهم الرئيس السيوف القصيرة، وملابسهم وكنابيش خيولهم مِن جلد الأُسُود والنُّمُور والثَّعَالب، ويضعون فوق رءوسهم قلابق (طراطير) مِن صوف الغنم الأسود. أحمد السعيد، **تأصيل الدخيل**، ص ١٠٤-١٠٦؛ مصطفى الخطيب، **معجم المصطلحات**، ص ١٧٤.

(١) شهر محرم ١٢١٩هـ/ ١١ إبريل - ١٠ مايو ١٨٠٤م.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: عامًّا.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: المساء.

مِن زيادة أعمال القنبرة والمدفع، حتى أفنى جُمَلاً مِن مردة الشياطين، وهوى بأرواحهم في سِجِّين، ولم يبرحوا عن هذه الحالة، ونار الحرب تحرقهم كما تحرق النار الذّبَالَة، حتى مضى لهم ثلاثة أيام، ولم يظفروا بمرام، فترحلوا يجرجرون الذيل، ولم ينالوا غير الخيبة والويل، وقُتِلَ الجَمّ الغفير مِن أرباب الخيل والرماة، وامتلئت[1] مِن جيفهم الحفر والقنوات، حتى صاروا يجدو[2] نحو العشرة والعشرين في موضع واحد مدفونين. وأظنَّ الذي وقع بهم مِن كثرة الشدة، يمنعهم مِن العود ثانيًا إلى جدة.

فتَوَجَّه ابن شقبان على طريق الوادي وأصبح بالمضيق، وأخذ عثمان مِن طريق خلاف هذا الطريق، ومعه مِن عدوين[3] اللَّه تعالى جماعة، وجماعة مِن ثقيف، فوجدوا عُربانًا قتلوهم، وأخذوا ما صادفوه مِن إبل الشريف، فلمَّا بلغه أرسل خلفهم نحو ماتين[4] خيَّال، مِن أهل البصيرة والمعرفة، وأمرهم أنْ يقاتلوا عثمان على طريق عرفة، فلم يصادفوه مع القضاء المقدور، وسار بِمَا لديه مِن الإبل وهو مسرور.

[غزو قوات الشريف على مدينة اللِّيْث]

فعند ذلك قام صاحب الترجمة بهمة مُعتصمية متمّمة، وجهز غزية على اللِّيْث، بل هي في الحقيقة غزيتين[5]، بيَّض بها وجوه المعالي وأقرّ للمجد كُلّ عين؛ فجهّز مِن الدَّاوَات الكبار عشرة، وشحنها بعساكر مثل الأُسُود المتنمّرة، ومعها كثيرٌ مِن المدافع الكبار، الذي لا يقرّ للعدو مِنْه قرار، ومِن الجبخانات وآلات القتال والذخاير[6] ما يضرب به المثل الساير[7].

(١) كذا في الأصل، والصواب: امتلأت.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: يجدون.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: عدو.
(٤) كذا في الأصل، والصواب: مائتي.
(٥) كذا في الأصل، والصواب: غزيتان.
(٦) كذا في الأصل، والصواب: الذخائر.
(٧) كذا في الأصل، والصواب: السائر.

أعَدَّ لهذا الحرب كُلّ مَهَمَّة، وجَهَّز جيشًا للقتال مُتَمَّمًا، وجَعَلَ أمير الجيش على هذه الدَّاوَات، الماجد الذي حاز الكمالات، الجَواد الذي لا يَكْبُو، والحُسَام الذي لا يكلّ ولا يَنْبُو، الماجد الذي سبق في ميدان الكمال أقرانه، وأضاء مِن بدر سعده مجده وقرانه، ذو الهمة الذي سار في الناس السيرة المُثلى، وناداه لسان التقدم: إنَّك أنت الأولى، القايد[1] مفرح أغا عتيق الوزير ريحان، كان اللَّه معه حيث كان، فتَوَجَّه بهذا / ق٢٤٢/ الجيش مِن البحر الفجاج، سَالكًا تلك الشعاب والأمواج.

وجَهَّز جيشًا آخر على طريق البرّ، وطلب مِن اللَّه الكريم المدد والنصر، وأرسل مع هذه الغزية وجوه القوم الذي عليها المُعتمد، ويؤمل فيها بلوغ كُلّ مقصد.

فَـوَارس كـالأُسُـود لِـيَـوم فـتك
يَـرَوْا أن اقْـتِـحَـام الْـمَـوت عِـيْدًا
لَـهُـم يَـوْم الْـنّـزَال أَشَـدّ وَقْـعًا
وَكَـمْ نَـحَـرُوا مِـنْ الأَعْـدَا وَرِيْـدًا[2]

ومع هذه السَّرية مِن خيل الأروام[3]، أهل النزال والصدام، قدر مائة

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: القائد.

(٢) لم أقف على قائلهما فيما لدي من مصادر.

(٣) سوف نلحظ مِن الآن فصاعدًا أنَّ الحروب التي سيخوضها الشريف غالب ضدّ الوهابيين سيعتمد بصورة أساسية على الجنود الأتراك، وهؤلاء مِن القوات التي استبقاها مِن أمير الحج سليمان باشا عام ١٢١٨هـ/ ١٨٠٣م - كما ذكر آنفًا - بالإضافة إلى أنَّه في موسم الحج المذكور، مات محمد شريف باشا والي جدة، فقام الشريف بضمّ عساكره إليه، ورتب لهم المرتبات. عبد الرحمن الجبرتي، **عجائب الآثار**، ٣/ ٤٧٦. وسيكون انضمامهم إلى الشريف ذات توابع إيجابيَّة وسلبيَّة؛ فقد صاروا قوَّة لا يُستهان بها للشريف، ويطيعون أوامره، وحقّقوا له انتصارات عدة على الوهابيين، وبخاصة في المدن الساحليَّة، مثل: ينبع، وجدة، واللِّيْث، ولكن الوضع سوف يختلف في حروبهم الصحراوية؛ حيث لم تكن لهم دراية كاملة بحروب الصحراء والجبال؛ ولذلك سيهلك كثير مِنْهم في بعض المعارك ضد الوهابيين، ولم يكن المناخ الحار في الحجاز مناسبًا لهم؛ وسوف يسبب =

خيَّال أهل نجدة وإغارة مِن الدّلاَتِيَّة، والسَّكْمَان[١]، والهوَّارة، وأمَّر على القوم الحسيب النسيب ذو[٢] الرأي الثاقب المُصيب، نادرة الزمان عقلًا ورصانةً، وفريد أوانه ديانة وأمانة، الشهم الهُمام، الماجد سليل الكرام، مولانا السيد حسن بن زين العابدين بن غالب، مِن ذوي فضل، قوم ورثوا المحامد وهم لها أهل، وجعل أميرًا على الأتراك، الجناب الأمجد، والهُمام الأنجد، أحد الأُسُود الكواسر، واللَّيْث الذي أينما تَوَجَّه لا يرجع إلا ظافر[٣] حسين أغا تفكجي باش[٤].

فتَوَجَّه السيد حسن بن غالب بجيشه المنصور بغير توانٍ ولا قصور، وما زال يطوي [بـفَـيْـلَـقـه][٥]..............................

= لهم العديد مِن الأمراض والمتاعب - كما سيأتي ذكره - بالإضافة إلى أنَّهم كانوا سببًا في بعض المشكلات التي وقعت للشريف غالب مع بعض الأشراف المناديل؛ وبخاصة بعد إعدامهم عددًا مِنْهم على الخازوق، وهذا العقاب لم ينفذ على الأشراف مِن قَبْل. فضلاً عن ما سوف يقترفونه مِن فظائع في بعض حروبهم؛ كالتمثيل بالقتلى، وقطع رءوسهم.

(١) **السَّكْمَان**: مصطلح فارسي مِن مقطعين: سك، ومعناه: الكلب، وبان، ومعناه: الحافظ أو الصاحب. ويعني المتولي أمر كلاب الصيد. وتكتب أيضًا سكبان، وسجمان. وترجع نشأتهم إلى بداية العصر العثماني، حيث كانوا يرافقون السلطان في الحرب والصيد، ثم تكوَّن مِنْهم تدريجيًّا في كل ولاية وحدة عسكريَّة على هيئة العناصر المأجورة مِن قِبَل الولاة المحليين، ثم أصبحوا يستخدمون كقوات مُسَاندة للإنكشاريَّة، وكانت وحداتهم موزَّعة على الولايات تحت اسم: أورطة، بمعدل أورطة لكل ولاية، يترأسها ضابط كبير لقبه سكبان باشي، وعدد عناصرها يتراوح ما بين ٥٠ إلى ١٠٠ فرد، ويتكونون مِن قسمين: قسمٌ مِن المشاة، وقسمٌ مِن الفرسان، وقد تمَّ إلغاء السَّكْمَان في عهد السلطان محمود الثاني، بعد قضائه على الإنكشاريَّة. أحمد السعيد، **تأصيل الدخيل**، ص ١٢٤-١٢٥؛ مصطفى الخطيب، **معجم المصطلحات**، ص ٢٥٢-٢٥٣.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: ذا.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: ظافرًا.

(٤) **تفكجي باش**: رئيس الجُند حملة البنادق. وتفكجي مِن التركية تفنك، ومعناه: البندقية التي تطلق الرصاص، ويطلق على الجُند حملة البنادق. وباش لفظ فارسي - تركي، ومعناه: رئيس، ويؤدي معنى الاحترام إذا اتصل بالاسم أو اللقب مثل: تفكجي باش. أحمد السعيد سليمان، **تأصيل الدخيل**، ص ٣٦، ٥٥، مصطفى الخطيب، **معجم المصطلحات**، ص ٥٤، ٦٧، ١٠٨.

(٥) وردت في الأصل بفليقه، والتصويب مِن النسخة (ب)، ورقة ١٩٣. والفَيْلَق الكتيبةُ العظيمةُ =

بِسَاط[١] البيدا[٢]، ليبيد بصارمه هامات الأعدا[٣]، حتى وصل إلى اللَّيْث، وما عاقته مشقّة ولا تلويث، فوجد القايد[٤] مفرح سبقهم بمراكبه، ودخل البَنْدَر بجيشه ومواكبه، وأطاعه أهل ليْث بغير قتال، وامتثلوا الأمر الذي قال، لكن وقعت نُكْتَة[٥] غريبة، وواقعة لم يسبق مثلها دهية عجيبة، بل مُصيبة لم تخل مِنْ هواء النفس والأغراض، وكُلّ عاقل لم يكن بها راض[٦]، وهي أنَّ بعض الأوْبَاش[٧]، أغرى حسين أغا تفكجي باش، أنْ يُخَوزق[٨] ثلاثة مِنْ الأشراف المناديل[٩]، ويفعل بهم هذه الفعلة التي تذكر جيلًا بعد جيل، فجعل لكل شريف خَازُوقًا وأجلسه عليه، وأدخله فيما بين رجليه، مع أنَّهم دخلوا في عقد الصلح مِن جملة أهل البلد، ولم يتابعوا ذاك الشقي إلاَّ قسرًا وكبد[١٠]، وقد كانوا مِنْ جملة خُدَّام الشريف وأتباعه، وبني عمّه

= مِن الجيش، ويتكوَّن مِن عدة فِرَق. **المعجم الوسيط**، ص ٧٠١.

(١) **بِسَاط**: الأرض الواسعة. **المعجم الوسيط**، ص ٥٦.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: البيداء.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: الأعداء.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: القائد.

(٥) **نُكْتَة**: مسألة وقضية تستدعي التفكير والتدبر. **المعجم الوسيط**، ص ٩٥٠.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: راضيًا.

(٧) **الأوْبَاش**: مجموعة غير متجانسة مِن الأفراد، وقد أُطلق على الجماعات المثيرة للشغب، والتي كانت تقوم بين الحين والآخر باعمال النهب والاعتداء على الآمنين، وقطع الطرق على التجار والوافدين. مصطفى الخطيب، **معجم المصطلحات**، ص ٥٢.

(٨) **يُخَوزق**: أحد عقوبات الإعدام الشائعة في العصر العثماني، حيث كان يتم إجلاس المحكوم عليه على الخازوق - وهو عمود مُدَبَّب طوله أكثر مِن ٧٠ سم - فيدخل من دبره ليموت موتًا بطيئًا أليمًا بنزيف الدم. والخازوق أصلها من التركية قازيق، ومعناه: الوتد. أحمد السعيد سليمان، **تأصيل الدخيل**، ص ٨١.

(٩) **الأشراف المَنَادِيل**: ينتسبون إلى الشريف منديل بن حيدر بن أحمد بن أبي نمي الثاني، وقد كانت للأشراف المناديل مكانة مميزة لدى أبناء عمومتهم مِمَّنْ ولي إمارة مكة، فقد كانوا مقربين مِنْهم كما الحال مع الشريف مساعد ابن سعيد عندما أرسل السيد محمد بن حيدر المنديلي إلى أمير أبي عريش الشريف محمد بن أحمد بن محمد بن خيرات في مهام له، ومعظم الأشراف المناديل وقتئذ قد نزح إلى القُنْفُدَة، ووادي يبا، واللَّيْث. صالح حسن الفضلة، **الجوهر العفيف**، ص ٧٨-٧٩.

(١٠) كذا في الأصل، والصواب: كبدًا.

وأشياعه، فَقُتِلوا ظُلمًا وفُجُورًا، وكان أمر اللَّه قدرًا مقدورًا، واللَّه تعالى يجازي كلًّا بِمَا صنع، يوم لا مالٌ ولا ولدٌ ينفع.

فما مضى لهم ثلاثة أيام أو أربع[1]، وكُلّ مِنْهم / ق٢٤٣/ يمرح في روض الأُنس ويرتع، حتى إذ هجم عليهم طايفة[2] الوهابيين، زهاء أربعة الآف مقاتل، مِن كُلّ وغد أبتر جاهل، وافترقوا فرقتين قبل الرَّوْد، وكان كُلّ فرقة كالطود؛ وعساكر الشريف غافلون عن هذه المكيدة، ولم يعتبوا للحرب بقواعده المشيدة، وعندما رأوا الأعراب مُقبلين على خيلهم العراب، حمل على فريق مِنْهم عسكر الأروام، كما تحمل على الشياه الذياب[3]، وحمل بقية مراجل الشريف على الفريق الثاني، وضلّ كُلّ فريق بِمَا عناه يُعاني.

فالتقت الصفوف بالصفوف، وجالت الأتراك بالرُّدَيْنِيَّات والسيوف، وما زال يعمل في رقابهم الصارم الذكر، ويجنون مِن ورق الحديد الأخضر يانع الثمر، فطال بينهم الطراد، وأجهد مضمراتهم الجِياد، وأثخنت الصوارم في أجسادهم الجروح، وفرّق الحسام بين الجسد والروح؛ فوَلّت الأعراب أدبارها، وتحقّق نحوساتها وإدبارها، ومزّقتهم أيدي سبأ في تلك الربا، وفَرُّوا كما تَفِرُّ الغربان مِن أدنى خَيَال، وتَشَتَّتُوا في تلك المهامه والرمال، وغدت المُشاة تعتصم، ولا عاصم اليوم مِن أمر اللَّه إلا مَن رحم، وما زالوا يطردون خلفهم في كُلّ محلّ، حتى ارتوت مِن ظهورهم السيوف والأَسَلُ[4]، ثم رجعت الأروام إلى الخيام بعد بلوغ المرام.

والفرقة الثانية مع مراجل الشريف تَجُول في ميدانها، ولم يظهر السبق لفارس رهانها؛ فنهضت الأتراك للعراك، واشتبكت الرماح أيّ اشتباك، ولم

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: أربعة.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: طائفة.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: الذئاب.
(٤) الأَسَلُ: الرماح. المعجم الوسيط، ص ١٨.

يكن إلا كلمحة عين، حتى وقعت روس[١] الأعداء بين الرجلين، وفَرّ بقية الأعراب طالبين للخلاص، كما تَفِرُّ الطيور مِن الأقفاص.

واستشهد يومها السيد حسن بن غالب، ونال مِن اللَّه الكريم أَسْنى المطالب، وقُتِلَ مِن الوهابيين شيء عظيم، واشتاقت أرواحهم إلى الجحيم.

وبعض الأتراك جمع روس[٢] بعض الوهابيين بعد المعركة، وحشاها بالتبن وأرسلها لصاحب مكة، وأمر بتعليقها خارج البلد، فهرعت الناس يتفرّجون ولم يبق أحد، ورأينا الروس[٣] المسلوخة كأَنَّها قردة ممسوخة، وما رأينا روسا[٤] مسلوخة بهذه البقاع، إلا عن تلك الجهات بالسماع[٥].

وبعد أيام عاد حسين أغا ومفرح أغا بالجيش المنصور، والتقيا بصاحب الترجمة وكل مِنْهما مسرور / ق٢٤٤/ ، وكان مجيء حسين أغا [على][٦] غير المراد، وادَّعى أَنَّ باعثه على الوصول نفود الزاد، مع أَنَّه بطل مقدام، يسرّ ناظره يوم الصدام، يقدم على الجيش العظيم بمفرده، ويفتك فيهم بساعده ويده، قد اختبر في الحروب مرار[٧]، ورأوه في الإقدام أسدًا كرَّار[٨]، وكان مقصد شريف مكة، بعد أنْ ملكوا اللِّيْث، وقتلوا فيه تلك الجبابرة، أنْ يعمروا بندره كما كان ويضع فيه عساكره.

[غزوة أخرى لقوات الشريف على اللِّيْث]

فجهز غزوة أخرى، عليها مِن الشيم فخرًا، وأرسل معها مِن العساكر

(١) كذا في الأصل، والصواب: رءوس.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: رءوس.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: الرءوس.
(٤) كذا في الأصل، والصواب: رءوسًا.
(٥) التمثيل بالقتلى محرّم حتى في حال الحرب، وهذا الأمر كان منتشرًا عند بعض الجنود الأتراك.
(٦) ساقطة في الأصل، والإضافة مِن النسخة (ب)، ورقة ١٩٤.
(٧) كذا في الأصل، والصواب: مرارًا.
(٨) كذا في الأصل، والصواب: كرَّارًا.

والعبيد، والأشراف والمواليد، وأمَدَّهم بالزاد الوافر، وجمع لهم ما يحتاجون مِن المَهَمَّات والذخاير[١]، وفرَّق البخاشيش على الرماة وأهل المراييش[٢]، ولمْ يرسل فيها مِن عساكر الأروام راكبًا ولا رام[٣]، وأمَّر على هذا الجيش الفريد السيد حسن بن علي بن سعيد، فتَوَجَّه بهذا الجيش العَرَمْرَم، وقد شيَّده مرسله كما شيَّد جيشه صاحب إِرَم [وساروا كسير السحاب المُسَخَّر، وملئو بجنودهم ....[٤] الأقفر، فوصل][٥]، إلى اللِّيْث بقومه، ولم يقم فيها غير بياض يومه، [فرأوا][٦] رسمه قد عفا، ووجدوه قاعًا صفصفًا، لم يجدوا فيه أنيس[٧]، ولا مِن اليَعَافِيْر والعِيْس[٨]، فعادوا مِن يومهم إلى صاحب الترجمة بهذه السمة، وضحك مِنْهم حتى استغرب، وقضى زمانه مِنْهم يتعجّب.

[غزوة الوادي]

ثم إنَّه جهز غزية أخرى، وهي بالنجدة أحرى، جهز رتبة قوية أهل نجدة وحمية، ومعها كثير مِن السادات الأشراف، حميد في السيرة والأوصاف، ومعها جَمّ غفير مِن العساكر، ومعها مِن الأتراك كُلّ ليث كاسر عن أنيابه كاشر، ومعها مِن اللزق والدّلاَتِيَّة أهل التقدم والأولويَّة،

(١) كذا في الأصل، والصواب: الذخائر.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: المرائيش.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: راميًا.
(٤) كلمة غير مقروءة.
(٥) ساقطة في الأصل، والإضافة من النسخة (ب)، ورقة ١٩٥.
(٦) وردت في الأصل فروا، والتصويب من النسخة (ب)، ورقة ١٩٥.
(٧) كذا في الأصل، والصواب: أنيسًا.
(٨) **اليَعَافِيْر والعِيْس**: أيّ لم يَجِدوا مؤانسًا فيها حتى مِن الحيوانات التي تعيش في الأماكن الموحشة. واليَعَافِيْر: جمع يَعْفُور، وهو ولد البقرة الوحشي. والعِيْس: هي الإبل التي يخالط بياضها شيء مِن الشقرة؛ يقال: وبَلْدة ليس بِهَا أَنِيْسُ إلاَّ اليَعَافِيْر وإلاَّ العِيْسُ. عبد اللّه بن يوسف الأنصاري، **أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك**، ج٢، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، د.ط، د.ت، ص ٢٦١-٢٦٢. وهو يدل على أنّ المدينة قد ساءت أوضاعها، وأصبحت خاوية على عروشها.

ومعها مِن السَّكْمَان والهوَّارة أهل النجدة والإغارة، نحو الماتين[١] والخمسين، كُلّ فارس تحسبه أسد العرين، ومعها كثير مِن الرماة، مِن كُلّ شهم إنْ وقف موقف[٢] حَماه، وأمَّر عليهم السيد السند، والشهم المعتمد، صاحب الرأي الأسد، والأسد ذا اللبد، الهُمام الماجد، والسامي بهمته أوج الفراقد، مولانا السيد شنبر بن مبارك بن شنبر[٣]، لا زال صارم مجده في عنق شانيه[٤] الأبتر.

وأمرهم أنْ يُقِيموا بقرية المَدْرة[٥]، إذ ليس للعدو عليهم مقدرة، فأقاموا بذلك الوادي، واطمأن بهم سُكَّان ذلك النادي، وسكنت حولهم البوادي، وأمنوا فتنة الطاغي العادي، إلا أنَّ الماء والهوى[٦] تغيّر على الأروام / ق٢٤٥/ واعترى مِنْهم توعك وسقام، وستقف على ما وقع في هذه الغزوة بالتمام، ويأتيك بعد ذلك ما ينتهي إليه الكلام.

[غزوة وادي المُغَمَّس]

ثم اعلم أنَّ في هذه الأثنا[٧] تحقّقت العيون، وأخبرت به المخبرون،

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: المائتين.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: موقفًا.
(٣) **شنبر بن مبارك شنبر**: شنبر بن مبارك بن شنبر بن سعيد بن عبد المعين المنعمي النموي الحسني. من القادة العسكريين في عهد الشريف غالب، وأرسله في حملات لقتال الوهابيين، وبعد قدوم محمد علي باشا إلى الحجاز عام ١٢٢٨هـ/ ١٨١٣م، ولاه شئون البادية، وأعطاه صلاحيات واسعة لعموم القبائل في الحجاز، وذلك في عهد الشريف يحيى بن سرور؛ فظهرت العداوة ضد السيد شنبر، وانتهى الأمر بقتله في الحرم المكي في ٢٢ شعبان ١٢٤٢هـ/ ٢٠ مارس ١٨٢٧م. وأعقب ابنين، وهما: مسعود، ومبارك. أحمد ضياء العنقاوي، **موسوعة أعلام الأشراف**، ٢/ ٦٧.
(٤) كذا في الأصل، والصواب: شانئه.
(٥) **المَدْرة**: قرية تقع عند عين ماء تعرف بذات الاسم، في وادي مَرَّ الظَّهْران، يشرف عليها مِن الشمال جبل سِدْر. عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ص ١٥٣٠.
(٦) كذا في الأصل، والصواب: الهواء.
(٧) كذا في الأصل، والصواب: الأثناء.

أنَّ عشرين مِن خيل الوهابيين، وصلوا إلى المُغَمَّس[١]، كُلّ وغد يراقب الفرصة ويلتمس، فإذا غفلوا عنهم بادية الحرم، نهبوا عليهم ما يجدونه مِن حُمر النعم، فلمَّا بلغ سلالة الآل مقصد هؤلاء الأنذال، بادر إلى تجهيز سرية مُعتقلات بالسَّمْهَرِيَّة، رُمَاة أهل نجدة وحمية، على ظهور العِيْس المهريَّة، فكانت عدتهم أربعة عشر فارسًا مِن الكُمَاة، ونحو العشرين مِن الرماة.

وأمَّر عليهم الفاتك الكرَّار، والهِزْبَر[٢] المغوار، بطل الأبطال وليث النزال، عنتري الهيجا[٣] ثابت الجنان، والحجا الذي في كُلّ موقف يذكر، السيد راجح بن عمرو[٤]، وهو أحد السادة الشنابرة، وأحد الأُسُود الكاسرة، فوصل إليهم إلى المُغَمَّس ولم يصب للملتمس، فأخذ يتمشى في تلك الناحية، ويَتَصَيَّد ما يطرق له مِن تلك الفئة الباغية، حتى قطعوا الزَّيْمَة وأقبلوا على سوله، فبدت لهم مواطئ أقدامهم ماشية حوله، فأقبلوا مجدّين على تلك الفئة، حتى شاهدهم عيانًا ينوفون عن الخمسمائة؛ فعند ذلك صاح السيد راجح بن عمرو صيحة ترعد الهِزَبْر، واستنجد بِمَن معه مِن حماته على قتال عداته، وقال لهم: إنْ تأخَّرنا عن الوقوف أهلكونا بالحتوف، وإنْ ثبتنا وقدمنا فالجنة تحت ظلال السيوف، فأجابوه: بأنَّا واقفون لا نختلّ إنْ كثر العدو أو

(١) **المُغَمَّس**: وادٍ يمتد مِن الشمال إلى الجنوب، يقع شرقي مكة بحوالي ٢٠ كيلًا. يشرف عليه مِن الشرق جبل كبكب، والطريق مِن مكة إلى الطائف المارة بنخلة اليمانيَّة، تمر بطرفه مِن الشمال، وعرفة في نهاية المُغَمَّس مِن الجنوب. ويسكنه عدة بطون مِن قُرَيْش. وهو المكان الذي أقام فيه أصحاب الفيل بقيادة أبرهة الحبشي عام ٥١٧م، فأرسل عليهم اللَّه طيرًا أبابيل فأهلكتهم. عاتق البلادي، **معجم معالم مكة**، ص ٢٨٠-٢٨٦.

(٢) **الهِزْبَر**: الأسد الكاسر. **المعجم الوسيط**، ص ٩٨٤.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: الهيجاء.

(٤) **راجح بن عمرو**: راجح بن عمرو بن أحمد بن زيد الشنبري الحَسَني، وكان مندوبًا من الشريف غالب أثناء عقد الصلح مع الوهابيين أثناء حصارهم لمكة في أواخر عام ١٢٢٠هـ/ ١٨٠٦م، مات مقتولاً في وادي عتود في عسير، حيث كان أحد أفراد الحملة العسكرية التي أرسلها والي مصر محمد علي باشا إلى هذه المنطقة عام ١٢٥٥هـ/ ١٨٣٩م. أحمد زيني دحلان، **خلاصة الكلام**، ص ٢٨٣، ٢٨٨، ٣٠٠؛ أحمد ضياء العنقاوي، **أعلام الأشراف**، ١/ ٣٣١.

قلّ؛ فَتَقَدَّم السيد راجح مُصَلِّيًا وتلاهُ الجيش مُجَلِّيًا.

فلمَّا التقى الجمعان، والتفّ السنان بالسنان، وجالت الفرسان في حومة الميدان، أخذتهم الشهامَة الهاشميَّة، والحمية الأريحية، في القتال الذي مِن غير قصد ولا دريه[١]، وثارت أهبة الحرب القويَّة، وأُدِير بين سُقاة الموت كاسات المَنِيَّة، اسْودَّ مِن غبار سنابكها بَياض النهار، وابْيَضّ مِن لمعات السيوف سَواد الغبار، وصار وقع صوت البنادق رعد سَحّاح[٢]، وغارت عُيون العدو في رؤسهم مِن وخز الرماح، والتهبت الصدور وتأجَّجت بِمَا فيها، فكأنَّها القدور على أشافيها، فدفعت عليهم خيل الشريف يركضون، يعلون أسلحتهم في حيضان بطونهم وينهلون. / ق٢٤٦/

فاشتدّ اشتباب نار الحرب، واستمرّ الطعن والضرب، وأكثروا في عدوهم الجراحات، وقلّدوهم مِن وقع الحسام عقودًا ووشاحات، وما برحت شهب الأسنة على شياطينهم تنتض، وأبنية أعمارهم تنهدم وتنقض، حتى أفنوا الكثير مِن هذا الجنس الردي، وغدا لروحهم في جهنم هوي ودوي، فعند ذلك وَلُّوا الأدبار وصار شاكي السلاح مِنْهم مثل ذات الخمار، فانكسروا للبراز أبصروا بحرًا تغرق فيه البحار وعذرهم إنْ هربوا واضح، هل يثبت الليل أمام النهار؟

وقُتِلَ يومها سعد ابن قَرْمَلَة، وقَاتِله السيد راجح بن عمرو، وأورد السنان في حشاه وأنهله، فأراح اللَّه تعالى مِنْه المسالك، وعجّل بروحه إلى جهنم عند مَالك، وقُتِل فيها كثير مِن قحطان، وهوت أرواحهم إلى النيران، وفازوا بالغنيمة مِن الإبِل الطلايع[٣]، ومِن الخيل الجِياد

(١) أي دراية.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: رعدًا سَحَّاحًا.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: الطلائع.

القلايع[1]، وعاد إلى مرسله بعد بلوغ مأمله، ودخلوا مكة بروسهم[2] محمولة على الرماح، وبِمَا غنموا مِن الإبل وقلايع[3] الخيل والسلاح وأُصيب يومها السيد راجح صوابًا[4] سهلًا خفيفًا، ومع هذا قتل فيهم قتلًا عنيفًا، وفرح المؤمنون بنصر اللَّه، و﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾[5].

[ينبع بين السلفيين والأشراف]

اعلم أنَّ في شهر صفر[6]، ورد علينا الخبر، أنَّ يمبع استولى عليها بالخديعة، بَدَّاي شيخ حرب وابن جُبَارة، وخدع وزيرها بعد قتال وحصار وإغارة، وكان وزيرها محمد الحَجزي مِن عسكر اليمن، لم يكن له دراية بالحرب ولا فطن؛ فحاصروه فيها ليالي وأيام[7]، ولم يتم لهم إرب ولا مرام، فَسَلَّطُوا عليه إبراهيم الرويثي يحلّ عقد الأمُور بعد نظامها، ويجول مع الوزير في نقض إبرامها، وما زال يدوي في عقله، ويحسن له قبح فعله، ويُصَعّب له الأمر ويُسَهِّله ويهدّده ويؤمله، حتى هوَّن عليه جزيل صعبه، وجرى القدر بتسوية قلبه، فأطاع إبراهيم في رأيه السقيم، ولم يُفَكِّر في عواقب الأمُور الذميمة أَنَّها وخيمة، فطلب بواسطته الأمان، وهو في غاية التمكن والإحصان.

فدخل الوهابيون مع أميرهم بَدَّاي الوغد، الذي لا عقل له ولا رأي، ومعه مِن قبائل حَرْب وجُهَيْنَة قوم ملاعين، استباحوا قتل المسلمين بلا عقل ولا دين، / ق٢٤٧/ وتَمَكّن مِن ذلك البَنْدَر وقَدَّم فيه وأَخَّر، وأقام عليه ابن عمّه أميرًا مِن طرفه، لشدة توغله في هذا الدين وجنفه، وقد كان ابن جُبَارة

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: القلائع.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: برءوسهم.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: قلائع.

(٤) أي إصابة.

(٥) القرآن الكريم، سورة البقرة، آية رقم ٢٤٩.

(٦) شهر صفر ١٢١٩هـ/ ١١ مايو - ٨ يونيو ١٨٠٤م.

(٧) كذا في الأصل، والصواب: أيامًا.

أخرب يمبع قبله مرات، وظنّ بأنَّه يكون أميرًا على هذا الحي، فأخطأت استه الحفرة، ولم يستفد شي[١]، وجَنَى وصلَها غيرُه وتحمَّل عارها، ومَكَّنه مِنْها بعد أنْ حلّ بيده إزارها، ثم ارتحل الشقي بَدَّاي إلى قُبَا[٢]، واتخذ سبيله في البحر سربا.

وبعد مُضِي أيام وصل وزير يمبع إلى جدة في الدَّاوَات، وقد أنشب أظفاره في منيِّته هادم اللّذات، وطلع مكة واجتمع بمخدومه، والحمام قدرٌ شقه بسهومه، ولمَّا مثل بين يديه بشرًا سويًّا، وخاطبه نجيًّا، ظهرت له الخيانة فيما يظهر، بشهادة بعض العسكر، فما أخذه عليه الحذر، وأجرى عليه حكم القضا[٣] والقدر، فعند ذلك رماه بمحرقات شهبه، وأمر بسلبه وصلبه.

وتَوَجَّه يومها إلى جدة طالبًا لأخذ الثأر، واستخلاصها مِن يد المردة الفُجَّار، فصدف أنْ رأى مركبين مِن مراكب الإنقليز، مُجَهَّزَة للقتال أعظم تجهيز، فتكلّم مع قبطانها أنْ يسير مع مراكبه للقتال، ولو بأخذ ما يطلبه مِن المال؛ فأطاعه ورضي بالسفر إلى يمبع، وماء الكذب في أَسِرَّةِ وجهه ينبع، وبينما هم في الأهبّة والعزم على مساير الصُّحبة، سافر الإنقليز بمراكبه وتحمل الخزي بمناكبه، فقام لها بمهمة قويَّة، وعزمة هاشميَّة، وجَهَّز عشرة دَاوَات مِن مراكبه الكبار، التي تساير الفلك السيار، وشحنها مِن العساكر وأمَدَّها بالميرة والذخاير[٤]، وجعل نصفها مِن عسكر الأروام، ونصفها مِن عساكره أهل الإقدام، وأمَّر على الترك رسول أغاة، وعلى العرب مفرح[٥] المُتَقَدّم ذكره أعلاه.

وفي أيام إقامته بجدة، وردت مِن يمبع زعيمة، وكانت غنيمة وأيّ غنيمة،

(١) كذا في الأصل، والصواب: شيئًا.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: قُبَاء. وهو حي يقع جنوبي المدينة المنورة، بحوالي ٨ أكيال، وبه مسجد قباء، ويسكنه قبيلة حَرْب. عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ص ١٣٤٧.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: القضاء.
(٤) كذا في الأصل، والصواب: الذخائر.
(٥) كذا في الأصل، والصواب: مفرحًا.

فلمَّا أرسى سُكَّانها، وخرج رُبَّانها وإذا فيها إبراهيم رشود الرويثي المُتَقَدِّم ذكره، المشهورة بيمبع حيلته ومكره، وهذه مِن عجايب[1] الاتفاق، ومِمَّا يُخَلَّد في بطون الأوراق؛ لأنَّها صدفة وأيّ صدفة، وتحفة وناهيك بها تحفة، فاتَّجَه بصاحب الترجمة في دار وزيره، لنفوذ قضاء اللَّه تعالى وتقديره، فسأله عن قصة يمبع وأسبابها، وكيف يكون / ق٢٤٨/ السبب في إيابها؛ فأبدى كلامًا كالعدم لا يخلو مِن التهم، فلاطفه ولم يبدِ في وجهه كآبة، حتى فهم ما تَضَمَّنه خطابه، وقيل: إنَّه وجد معه أوراقًا مِن بَدَّاي يفسد فيها بقية الرعيَّة، ويحثّهم على إطاعة الوهابيَّة، وليَّن لهم في الخطاب، ورغبهم في دخول دينه مِن أفسح باب، ومَنَّاهم برفع العشور، وأنَّه لا يجحف عليهم ولا يجور، فأمر صاحب الترجمة بصلبه بعد سلبه، وسطا عليه قاتله فجرحه بعضبه، فصلب ثلاثة أيام وهو مكشوف السوأتين، وهرعت الناس يتفرّجون عليه شنفتين، وما أطلقوه حتى تمزّق لحمه وذاب، ولم يدفنوه بل طرحوه للكلاب، واللَّه سبحانه وتعالى أعلم بالسراير[2] وما تمكنه الضماير[3]، ثم أمر برجمه؛ فرجمه جميع الناس صغارًا وكبار[4]، حتى اعتلت عليه الأحجار.

ونعود إلى ذكر الغزية البحريَّة بأهل العزم والحمية، ولمَّا تمَّم هذه الغزية تَوَجَّه إلى بلد اللَّه تعالى المحمية، فأقام بها أيامًا وهتف عليه بشير المسرّة، وأكسب العيون بهجة وقرّة، وأخبر بأنَّ الجيش قد وصل بالسلامة، وريح النصر تخفق خلفه وأمامه، وطرحوا بمرساة البلد وأحاطوا بها إحاطة السوار باليد، ثم رموا عليهم مِن كبار المدافع كُلّ قلة كالنسر الواقع، حتى مضى لهم ثلاثة أيام، وظهر لهم أنْ لا يجدي شيء مثل الإقدام، فطلَّقوا النوم ليلة واكتحلوا بالأرق، وحملوا عليهم بالسيوف والدّرق، وقتلوا مِنْهم القتل العنيف، حتى صاروا يرمون أنفسهم مِن كنيف إلى كنيف، وتشتَّت الباقون

(١) كذا في الأصل، والصواب: عجائب.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: بالسرائر.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: الضمائر.
(٤) كذا في الأصل، والصواب: كبارًا.

في المهامه والهضاب، ولم يبقَ في البَنْدَر كلب مِن الكلاب، فملكها عسكر الشريف وتَمَكَّنُوا، وأَقَرُّوا عيون الرعايا وأمنوا، وصفا لهم الوقت وزان، وأشرق في ناديهم النيران[١].

فعند ذلك أرسل الجناب الأمجد، والهُمَام الأوحد، فايق[٢] أقرانه، ونادرة زمانه إبراهيم أفندي كاتب السلطان، كان اللَّه تعالى له حيث كان، وأرسل معه الخلع الفاخرة، والنقود الوافرة، وأنعم على مفرح أغا بوزارة البَنْدَر المذكور، وأكرم رسول أغا بالفرو السَّمُّور، ورسم لها شيا[٣] معينًا مِن النقود، ورسم الباقي لكافة الجنود، فلمَّا وصل إليهم أكرموه كما أُكْرِمُوا، وجادوا / ق٢٤٩/ عليه وأنعموا، وبعد أيام عاد لمرسله بعد بلوغ مأمله.

هذا ما كان مِن قصة يمبع، ولنعد إلى الرتبة التي أرسلها إلى الوادي وحدا بذكرها الحادي.

[عودة لاستكمال غزية الوادي]

تقَدَّم لك آنفًا أنَّ الجيش الذي بالوادي، اعتراهم توعّك مِن تغيّر الماء

---

(١) كان الشريف غالب قد أرسل إلى الباب العالي يعلمه بسقوط ينبع في أيدي الوهابيين، ولذلك وصل رسول مِن قبل الدولة إلى القاهرة في ١٨ ربيع الآخر ١٢١٩هـ/ ٢٧ يوليو ١٨٠٤م، ومعه أوامر إلى الباشا بضرورة إخراج خمسمائة من العسكر إلى ينبع البحر يقيمون فيها ويحافظون عليها مِن الوهابيين، «وأنْ يُدفع لهم جامكية سنة كاملة، وذخيرتها، وما يحتاجون إليه مِن مؤنة وغلال»؛ فأحضر الباشا كبار العسكر وعرض عليهم الأمر، وقال لهم: إنَّه ورد لي إذن عام في تقليد مَن أقلده، فمَن أحبّ مِنكم قلَّدته ... فامتنعوا وقالوا: نحن لا نخرج من مصر، ولا نتقلّد منصبًا خارجًا عنها»، وقد انتهى الأمر بإخراج قوَّة مكوَّنة مِن مائة عسكري فقط، فتحرَّكت من القاهرة في ١٩ جمادى الأولى ١٢١٩هـ/ ٢٦ أغسطس ١٨٠٤م مُتجهة إلى ينبع للمُرابطة فيها. عبد الرحمن الجبرتي، **عجائب الآثار**، ٣/ ٤٨٢، ٤٨٤، ٤٨٧، وقام والي مصر خورشيد باشا بعدها برفع إشعار في ٢١ جمادى الأولى/ ٢٨ أغسطس مِن العام المذكور، إلى الباب العالي يعلمه بكافة التطورات، وإرساله المؤن والمساعدت للحرمين الشريفين، وقوة عسكرية لحماية ينبع وتأمينها. **الأرشيف العثماني**: H.H 3754

(٢) كذا في الأصل، والصواب: فائق.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: شيئًا.

والهوى[1]، أَمْرَضَ الأجسام وحلل القوى، وازداد عليهم الحال بعد إقامتهم ثلاثة أشهر بذلك الوادي، وهم حامون حوزته مِن كُلّ معتدٍ عادي، فاشتدّ عليهم السموم والحرّ، فلم يطب لهم بساحته مقرّ، وظهر في أجسامهم ضعف وانحلال، وحُمم جاوزت حد الاعتدال؛ فرجع أغلبهم إلى مكة، ولم يبقَ بالوادي إلا [النَّاقِهِيْن][2]، ما بين الأربعين إلى الخمسين.

فلمَّا بلغ عثمان ما وقع، أغراه على وصوله داء الطمع، فجمع نحو أربعة آلاف مقاتل بين راكب وراجل، وجاء بجيشه يختلس اختلاس العقور بجسم كالبغل وعقل كالعصفور وظنّ أنَّها فرصة تغتنم، ولم يدرِ أنَّ السم داخل الدسم، وهمّ على عساكر الأتراك بغتة، وهم لا يشعرون بجيش متراكم كالسحاب الجون، فلمَّا رأت العين وبقي الصدق وذهب المَيْن، بادرت الأتراك إلى لباتها واغتنموا معاقل صهواتها، والتقت الصفوف بالصفوف، وزحفت الزحوف وذهبت عنهم الروع والأمر المخوف، وحملت الأبطال وليوث النزال، واشتبك المهند والعسال، وصار الفارس مِن الأتراك يقتل العشرة والعشرين مِن أولئك الملاعين، فاشتدّ العراك وحمي الوطيس، وتكاثرت الأعراب المعاكيس، فنصر اللَّه تعالى المسلمين على أعدائه المُلحدين، وقد ابتلي المؤمنون ببلاءٍ شديدٍ، وكان في يوم نحرهم على المسلمين عيد، وقَتَلوا مِن تلك الأعراب أعظم قِتال مِن مقاتلة الكلاب، وسيذكره الأولون للآخرين، ويبقى خبره حتى حين.

فولَّت الأعراب أدبارها، وكفى اللَّه الكريم المسلمين أشرارها، وصاروا يطعنونهم في الظهور، بعد أنْ كان في اللبات والنحور، وما زالوا شاردين بالجوع والظما[3]، حتى وصلوا إلى الزَّيْمَا، وضلّ شاردهم لا يلتفت ولا

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: الهواء.

(٢) وردت في الأصل الناهقين، والتصويب من النسخة (ب)، ورقة ١٩٨. والناقهين، جمع ناقه، وهو الذي شُفِيَ مِن المرض، وما يزال به ضعف. **المعجم الوسيط**، ص ٩٤٩.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: الظمأ.

يقف، ويرمي بزاده ليخف، وما برحت قتلاهم مطروحين في تلك البرور، ومِن لحومهم تأكل السباع والطيور، ومع هذا لمَّا بلغ صاحب الترجمة طَرَدَ خلفهم ماتين راس[1] مِن الخيل، ولو أدركتهم لأذاقتهم / ق٢٥٠/ كاس[2] الويل، لكنهم تَشَتَّتُوا قبل وصول السرية، والاصطلاء بأعظم بلية.

وبلغني مِن شخص ثقة صادق المقرّ، أنَّ سعودًا حين بلغه هذا الخبر، استغرب غاية الاستغراب واعتبر، وقال: إِنَّها لإِحْدَى الكُبَرَ نَذِيرًا للبَشَر، وفي الحقيقة هذا أمر عجيب وأيّ عجيب، ودخلوا مكة بهذه البشارة، وأخبروا صاحب الترجمة بهذه دام علاه[3]، وفرح المؤمنون بنصر اللَّه، فأنعم عليهم المَلِك المُتَرجَم، وأفرغ عليهم حُلَل الملابس وأنعم.

[الشريف غالب يحاصر السلفيين في الطائف]

وفي شهر جمادى الأولى ١٢١٩[4]، شَمَّر عن ذيل عزمه النايف[5]، وركب بِمَا لديه مِن الأتراك والعساكر إلى الطايف[6]، وتَوَجَّه مِن طريق اليمانيَّة بأهل النجدة والحمية، وأرسل حاكمه القايد[7] أحمد بن مثقال، مِن طريق الجبل بجميع العُربان مِن كُلِّ محلٍّ، فجمع بهمته العليَّة ما أمكنه مِن جميع الأمكنة، فأناخوا على الطايف[8] وحاصروا عدو اللَّه، الذي لا يقف عند عهده ولا يفي عثمان بن عبد الرحمن المضايفي، فلم يقدر على ملاقاة الشريف المذكور، وظلّ الشقي محصورًا خلف السور، فأحاطت به العساكر مِن كُلّ الجهات، وحملت عليه بالبنود والرايات، حتى وصلت إلى جداره،

(١) كذا في الأصل، والصواب: مائتي رأس.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: كأس.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: علاؤه.
(٤) شهر جمادى الأولى ١٢١٩هـ/ ٧ أغسطس - ٥ سبتمبر ١٨٠٤م.
(٥) كذا في الأصل، والصواب: النائف.
(٦) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.
(٧) كذا في الأصل، والصواب: القائد.
(٨) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.

وصارت تنقب بالمَعَاول[١] في أحجاره[٢]، فلم يُرِد اللَّه جَلَّ جَلاله، بتطهير تلك البلدة مِن الدِّرن، وخمود نار البغي والفتن؛ فأقام عليها عَشَرَة أيام، ولم يتم المرام؛ فقفل راجعًا إلى أمّ القرى والبلدة المطهَّرة الغرّا[٣]، وأقام بها خير مقام، والسعد يقود له أزمّة المجد بزمام، ولسان الإقبال ينشد في الحال:

وَلاَ بُدّ لِي مِنْ عَوْدَة بَعْد هَذِه
وَأَقْضِي بِبِيْض الهِنْد جُلّ مَرَامِي[٤]

[غزية ماء السَّعْدِيَّة]

وفي آخر شهر رمضان[٥]، وصل الخبر مِن طريق اليمن، حتى تحقّق واشتهر، بأنَّ اللقطة ابن اللُّعْطَة عبد الوهاب أبو نقطة، أحلّ بأرض اليمن وملاها[٦] رجسًا ودَرِن[٧]، وكان قدومه على مكة شوم مردي[٨]، وقُرْبهُ جَرَبًا يعدي، ومتى أحلّت أقدامهم أرضًا؛ أحلّ بها الويل والدمار، كأنّها إعصارٌ فيه نار.

---

(١) **المَعَاوِلُ**: جمع المِعْوَلُ، آلة مِن الحديد يُنقَر بها الصخر، وأَدَاةٌ تُحْفرُ بها الأَرْضُ. **المعجم الوسيط**، ص ٦٣٨.

(٢) يذكر المؤرخ اليمني جحاف هذه الواقعة، موضحًا بعض التفاصيل التي وقعت عند حصار الطائف بقوله: «وفي شهر جمادى الأولى مِن هذا العام، سار غالب بن مساعد عن مكة بجماعة مِن العرب والأعجام [يقصد الأتراك] إلى الطائف، فحاصر الموهّبة به، ورماهم بالمدافع حتى خرجوا مِن داره وما حولها، وتحوَّلوا إلى الخانات والسماسر والبيوت الآخرة، فتحصَّنوا بها، ولمَّا أخرج مَنْ بداره تقدَّم إليها في أبطاله، فدخلها وأمر بحفر محلّ كان لهُ به كنز مدفون، فحمله وخرج فنزل مكة، فأجمع الرأي مِن عثمان المضايفي وسائر الموهَّبة على حفر خندق عليها يمنعُ الواصل إليها من الدخول إليها، فحفروا لها مقابر المسلمين وأخرجوا عظامهم». لطف اللَّه جحاف، **درر نحور العين**، ص ٥٦٤.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: الغرَّاء.

(٤) لم أقف على قائله فيما لدي من مصادر.

(٥) آخر رمضان ١٢١٩هـ/آخر ديسمبر ١٨٠٤م.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: ملأها.

(٧) كذا في الأصل، والصواب: دَرِنًا.

(٨) كذا في الأصل، والصواب: شؤما مرديًا.

وَمَا يَنْفَعُ الجَرْبَاءَ قُرْبُ صَحِيْحَةٍ
إِلَيْهَا وَلَكِنَّ الصَّحِيْحَةَ تُجْرَبُ[1]

وبعد أيام تحقّق وصول هذا الخبيث إلى وادي اللَّيْث، / ق٢٥١/ فأخذ صاحب الترجمة يؤهب لقتاله ويستعد لنزاله، فأقام لتمام عيد شوال[2]، وفي خامسه[3] خرج بالجنود والأبطال الذي تقلقل[4] الجبال، فأقام بالْحُسَيْنِيَّة، ثم بالشَّرَفِيَّة، ولمَّا ورد ما[5] السَّعْدِيَّة، وجد بها الطوايف[6] الوهابيَّة، ومعهم الجَمَّ الغفير مِن سهل وعسير، جُنود كالرمال في العَدّ[7]، مستوجبين الجلد والحد.

فالتقى الجمعان بعاشر شوَّال[8]، وتكافح الفريقان بالمهند والعسال، واستعرّت نار الحرب، وقوي الحرب والضرب، فصالت عليهم الأتراك أهل المعرفة والإدراك، فصارت تقطع في روسهم[9] كقطع الكباش، وتنهش سيوفهم في لحوم تلك الأوْبَاش، حتى فنيَ مِن عسير جَمّ كثير، فتراهم بين قتيل وجريح، وصريع وطريح، كأنَّهم أعجاز نخل مُنْقَعِر، مِنْهم مَن قضى نحبه، ومِنْهم مَن ينتظر، حتى كادوا يمحون نقطة دينهم بالجزم، ويرفعون ما انتصب مِن محفوظه بالعزم، ثم انقلب الدور على الأتراك، ووقعت تلك البازات في الشباك، لأُمُور اقتضتها حكمة الباري، وكان بها الفلك الدوار

---

(١) البيت ينسب لجحظة البرمكي، انظر: محمد بن أيدمر المستعصمي، الدر الفريد وبيت القصيد، ١١/ ٢٥٥.
(٢) عيد شوَّال ١٢١٩هـ/ ٢ يناير ١٨٠٥م.
(٣) ٥ شوَّال ١٢١٩هـ/ ٦ يناير ١٨٠٥م.
(٤) كذا في الأصل، والصواب: الذين يقلقلون.
(٥) كذا في الأصل، والصواب: ماء.
(٦) كذا في الأصل، والصواب: الطوائف.
(٧) كانت قوات الشريف حوالي عشرة آلاف، بينما الوهابيون نحو ستة آلاف مقاتل. انظر: عثمان بن بشر، عنوان المجد، ١/ ٢٨٣، ٢٨٤.
(٨) ١٠ شوَّال ١٢١٩هـ/ ١١ يناير ١٨٠٥م.
(٩) كذا في الأصل، والصواب: رءوسهم.

ساري(١)، فَقُتِلَ مِن الطرفين ما ينوف عن الألفين، لكن القتل في الوهابيين أكثر عن يقين، ورجع كُلّ مِن الطرفين على هذا المنوال، وقوم أبي نقطة في أقبح حال، ولم يثبت لوقفه كان الطردَ خلفه، حتى إنَّ هاربهم إذا رأى غير شيء؛ ظَنَّه رجلاً.

[حصار السلفيين مكة]

وفي خامس عشر شوال(٢)، وصل عثمان المضايفي إلى الزَّيْمَا، بالجنود الذي(٣) أضلّها وأعمى، وتلاه أشقى العُربان سالم بن شقبان، فطغوا في البلاد، وأكثروا فيها الفساد، ثم انتقلوا إلى عرفة جنح ليل، ومال إلى دينهم جانب مِن قُرَيْش وجانب مِن هُذَيْل، فقتلوا وأسروا، ثم تَوَلُّوا وكفروا، ثم فَجَّرُوا مِن فَجْرهم عين زُبَيْدة تهديمًا وتكسيرًا، عينًا يشرب بها عباد اللَّه يفجرونها تفجيرًا، وفعلوا مهما أرادوه مِن الطغيان، عندما خلت الأرض مِن السُّكَّان.

خَلاَ لَكِ الْجَوّ فَبِيْضِي وَاصْفِرِي
وَنَقِّرِي مَا شِئْتِ أَنْ تُنَقِّرِي(٤)

فقلّ الماء بمكة، وصار الضعيف في جهد وضنكة، وما زالت هذه الطغاة محيطة بمكة، إحاطة الهالة بالبدور، والأكمام بالزهور، ثم انتقلوا مِن عرفة في عاشر ذي القعدة(٥)، بعد الجور والشدّة، ولم يكن لهم مُسْتَقَرٌّ غير وادي مرّ، /ق٢٥٢/ وما زالوا مُجتمعين بذلك الوادي، ويزيد عليهم كُلّ معتدٍ عادي، ويجتمعون بذلك المارق الملعون، وتراهم مِن كُلّ حدبٍ ينسلون، فجعلوا ينهبون الوافدين إلى مكة مِن جميع الفجاج، ويقتلون وفد اللَّه وزوّار بيته مِن الحجاج، حتى غدا طريق جدة أيام إقامتهم أيام نَحْر وتَشْريق، وأحلّوا

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: ساريًا.
(٢) ١٥ شوَّال ١٢١٩هـ/ ١٦ يناير ١٨٠٥م.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: الذين.
(٤) البيت لطرفة بن العبد، انظر: عبد اللَّه بن قتيبة، **الشعر والشعراء**، ١/ ١٨٤.
(٥) ١٠ ذو القعدة ١٢١٩هـ/ ٩ فبراير ١٨٠٥م.

إراقة دماء المسلمين مِن كُلّ فريق.

وفي هذه الأثنا[١] ورد أمير الحاج إبراهيم باشا[٢] والي الشام، بحجاج المسلمين لزيارة بيت اللَّه الحرام، ففرح الناس بقدومه، وظَنُّوا أنَّه سيكون سببًا لدمار الخارجي وشومه[٣]، فخاب فيه الظنّ، وَوَافَقَه كَمَا وَافَقَ شَنْ، وَطَابَقَه مُطَابَقَةَ طَبَقَة شَنْ، ولم يدخل مكة إلا مِن طريق جدة، وقد أصابه مِن الخوارج أعظم شدّة، وقابله المحمل المصري[٤] في الطريق، ووصل المحملان إلى الزاهر، وخرج لهما صاحب الترجمة، لا زالت سيوفه في رقاب أعاديه محكمة، ولبس الخِلْعة السلطانيَّة وحاز الفخر والمزيَّة، وصعدت المحامل إلى عرفة، على حسب المعتاد ونالوا الثواب والرشاد، وشريف مكة لم يصعد عرفة إلا بعد أذان العصر في اليوم التاسع[٥]، وهو مُحْرِم بالحج خاشع.

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: الأثناء.

(٢) **إبراهيم باشا**: إبراهيم باشا قطر أغاسي، كان حاكمًا على ولاية حلب، ثم عينَّه الباب العالي على ولاية الشام، بعد وفاة أحمد باشا الجزار في شهر محرم ١٢١٩هـ/ مايو ١٨٠٤م، وقد خرج بقافلة الحج في موسم الحج في ذي الحجة ١٢١٩هـ/ مارس ١٨٠٥م، ولم يُقَدِّم للشريف غالب أيَّة مُساعدة إبَّان وجوده في مكة، وعندما عاد إلى دمشق صفر ١٢٢٠هـ/ مايو ١٨٠٥، قام الباب العالي بعزله، وتولية عبد اللَّه باشا العظم، والي الشام الأسبق. إبراهيم العورة، **تاريخ ولاية سليمان باشا**، ص ٢١-٢٢؛ عبد الرازق البيطار، **حلية البشر**، ٣/ ١٥٩٩-١٦٠٠؛ محمد راغب الحلبي، **إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء**، ج٣، صحَّحه وعلَّق عليه: محمد كمال، دار القلم العربي، حلب، ط٢، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، ص ٣٠١-٣٠٢؛ George John Koury, op.cit, p.113- 120.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: شؤمه.

(٤) كان أمير الحج المصري إبراهيم جاويش، وقد كان المحمل في غاية السوء، إذ خرج «على جمل صغير أعرج»، ورُبَّما يرجع ذلك إلى الفوضى السياسية التي كانت تحياها مصر وقتئذٍ، وفي ٢٩ شوَّال ١٢١٩هـ/ ٣١ يناير ١٨٠٥م، خرج أمير الحج بالمحمل مِن القاهرة إلى السويس، وسافر عن طريق البحر إلى جدة، وفي ذلك دلالة على أنَّ الأوضاع صارت غير آمنة في الطريق البري، وعدم وجود قوة عسكرية تصاحب المحمل المصري لتوفر له الحماية الكافية. عبد الرحمن الجبرتي، **عجائب الآثار**، ٣/ ٥٠٠، ٥٠١، أحمد الحضراوي، **مختصر حسن الصفا**، ص ٢٩٧-٢٩٨.

(٥) ٩ ذو الحجة ١٢١٩هـ/ ١١مارس ١٨٠٥م.

ولم يحج في هذا العام[1] أحد مِن أهل مكة، والمدينة، وجدة، ومصر، وغيرهم مِن جميع البلدان، بسبب هذه الفتنة التي ما سبق مثلها في زمن مِن الأزمان، وغدا المَوْقِف خاليًا مِن الناس، مِن شدّة ما وقع عليهم مِن الجور والباس[2]، قد أوقع في الناس بالقتل والردا[3]، وبدا الإسلام غريبًا وسيعود كما بدا[4]، ولم يوجد يوم عرفة مِن البياعين سوى أربعة دكاكين، وما أظنّ هذا [المارق][5] الجاني إلا القرمطي[6] الثاني، ثم لمَّا حج الناس وقُضِيت المناسك، وأقام بخيف مِنَى كُلّ زاهد وناسك، فخلتها خاوية المساكن، لم يجد بدورها مِن أهلها ساكن؛ فسكنها المشاة والفقرا[7]، وتَصَدَّرُوا بمجالسها زمرا، حتى قُضِيت أيام التَّشْرِيْق[8]، ونزلوا لطواف البيت العتيق.

---

(١) عام ١٢١٩هـ/ ١١ إبريل ١٨٠٤ - ٣٠ مارس ١٨٠٥م.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: البأس.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: الرَّدى.
(٤) كذا في الأصل، والصواب: بَدَأَ.
(٥) وردت في الأصل المازق، والتصويب مِن (ب)، ورقة ٢٠٣.
(٦) **القرمطي**: أبو طاهر سليمان بن حسن الجنابي، ثاني حكام دولة القرامطة في البحرين، ولد في البحرين، ونشأ فيها، ثم صار أحد القادة العسكريين لأخيه أبي سعيد الجنابي، ولكنَّه قام بقتله عام ٣١١هـ/ ٩٢٣م، وتولى الحكم، وقد اشتهر ذكره في التاريخ نتيجة غزوه مكة المكرمة؛ ففي موسم الحج عام ٣١٧هـ/ ٩٣٠م، دخل مكة واستباحها ستة أيام، وقتل الحجاج، وصعد على عتبة الكعبة، وأخذ يصيح: «أنا باللَّه وباللَّه أنا يخلق الخلق وأفنيهم أنا»، ثم اقتلع الحجر الأسود، ونقله معه إلى حَاضِرَته، وظلَّ لديهم اثنتين وعشرين سنة، حتى رَدُّوه عام ٣٣٩هـ/ ٩٥١م. وقد مات بالجُدَرِيّ في عام ٣٣٢هـ/ ٩٤٤م. شمس الدين الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ١٥/ ٣٢٠-٣٢٥؛ خير الدين الزركلي، **الأعلام**، ٣/ ١٢٣.
(٧) كذا في الأصل، والصواب: الفقراء.
(٨) **أيامُ التَّشْرِيْق**: وهي الأيام الثلاثة بعد يوم النحر: الحادي عشر، والثاني عشر، والثالث عشر مِن شهر ذي الحجة. وتعرف بأيام مِنَى، لأنَّ الحجاج يقيمون في مِنى، ثم ينزلون مِنْها إلى المسجد الحرام، ليطوفوا طواف الوداع. وقد ذكرت بأنَّها الأيام المَعْدُودَات، التي قال اللَّه فيها: ﴿وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ﴾ [سورة البقرة: مِن آية ٢٠٣]، وقال فيها النبي ﷺ: «**أيَّامُ مِنًى أيَّام أكلٍ وشُربٍ وذِكْرِ اللَّه عَزَّ وجَلَّ**». عبد الرحمن بن أحمد الحنبلي الدمشقي، **لطائف المعارف فيما للمواسم مِن وظائف**، حَقَّقَه: ياسين محمد السواس، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، ط ٥، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، ص ٦٣٤-٦٤٧.

فأَرْسل المحمل - والي الشام - مع كَتْخُداه وتَأَخَّر، ولم يعلم ما أسَرَّه في نفسه وأضمر، وأمر جميع الحجاج والعساكر، أنْ لا ينزلوا إلا بجوخي الزاهر، فنزلوا حيثما أمرهم إبراهيم، وترك ما كان عليه مِن المُعتاد القديم، ليتمّم حيلته التي أضْمَرها الخبيث بنيته وطَوِيَّته، واصطلاء المسلمين بنار بَلِيَّته، فامتنع كثيرٌ / ق٢٥٣/ مِن مُشَاهدة البيت الحرام وترك طوافه، لهذه المشَقَّة الحاصلة مِن بُعد المسافة، وما زال مُقيمًا بالحجاج في جوخي الزاهر.

ثم إنَّ مولانا الشريف - زاد اللَّه تعالى في إقباله وبلغه نيل آماله - تكلّم مع إبراهيم باشا أنْ يركب لقتال الخارجي معه، لِيُبَدِّدوا ما لديه مِن العُربان وما جمعه، فواعده ومَان وكان مِن أمره ما كان، ثم تكلَّم معه ثانيًا في إرسال عساكر إلى جدة المعمورة، لتأتي بالذخاير[1] لمكة كونها محصورة، فواعده إلى غَدٍ وغَدَر، وحلف يَمِينًا وفَجَر، ومع هذا جاء معه مِن أهل المدينة[2] كثيرون، يشترون الذخاير[3] كونهم محصورون[4]، ثم تكلّم معه ثالثًا فواعده بالإرسال، ولمْ أره يثبت على قول مِن الأقوال؛ ففي اليوم الثاني طلب مِنْه أهل المدينة أنْ ينجز بالوعد، ويرسل الرد، فألانَ لهم القَوْل، ولم ينجز لهم

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: بالذخائر.

(٢) كانت المدينة المنوَّرة وقتئذ تخضع لحصار شديد من قِبَل قبيلتي حرب وجهينة اللتين تبعتا الوهابيين، وقد أمرهم سعود ببناء قلعة قرب المدينة المنوَّرة لإحكام الحصار عليها، كما أنهم قطعوا عنها مجرى ماء العين الزرقاء، ولذلك فقد استصرخ أهالي المدينة وعلماؤها بالباب العالي، ولكن لم تكن هناك آذان صاغية؛ ثم أرسل محافظ المدينة إلى الباب العالي في محرم ١٢٢٠هـ/ إبريل ١٨٠٥م، يخبرهم بأنَّ «خطر الوهابيين بلغ حدًّا لا يمكن التغلبُ عليه»، ولمَّا عجزت المدينة وحاميتها عن المقاومة، ويئسوا مِن وصول أيَّة مُسَاعدات؛ اضطروا إلى مكاتبة الإمام سعود، للدخول في طاعته، وفي شهر ربيع الأوَّل ١٢٢٠هـ/ يونيو ١٨٠٥م فتحت المدينة أبوابها للقوات الوهابيَّة، لتدخل في نطاق دولتهم. عثمان بن بشر، **عنوان المجد**، ١/ ٢٨٨؛ أيوب صبري، **تاريخ وهابيان**، ص ٤٣-٤٤؛ لطف اللَّه جحاف، **درر نحور العين**، ص ٦١٣؛ فائز البدراني، فصول **مِن تاريخ قبيلة حرب**، ص ٣٣٥ وما بعدها؛ محمد عبد العال، **علاقات الحجاز والدولة السعودية**، ص ١٢٦-١٢٨.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: الذخائر.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: محصورين.

الطَّوْل.

يُعْطِيْكَ مِنْ طَرَفِ اللِّسَانِ حَلاَوَةً

وَيَرُوغُ مِنْك كَمَا يَرُوغُ الثَّعْلَبُ[١]

وثاني ليلة خروجه إلى الزاهر عند نصف الليل، جاء مِن الوهابيين أهل خمسة مِن الخيل، فصاحوا عليه وكبروا، وجالوا بخيلهم مُقبلين وأدبروا، ففزع مِنْهم وخاف، وازداد على إرجافه إرجاف[٢]، فعند ذلك كاتب المضايفي وراسله، وارتبط بينهما حبل المودَّة والمواصلة، فصاروا[٣] الوهابيين يأتون إلى الخيام، وهو يبالغ لهم فيما يرضيهم مِن الإكرام.

إِنْ أَنْتَ خَادَعْتَ الْكَرِيم مَلْكته

أَوْ أَنْتَ خَادَعْتَ اللَّئِيْم تَمَرَّدَا

وعلى كل حال، فقد وَافَق شَنْ طَبَقَة[٤]، واتفق أحْمَق وهَبَنَّقَة[٥]، إنَّ الطيورُ على أشباهها تقع، ثم إنَّ مولانا الشريف ركب إلى الزاهر، وتكلَّم معه في إرسال جمال وعساكر، تأتي بالزاد والذخاير[٦]، لتأمن كيد العدو الجاير[٧]، والمارق عن الدين الخاسر، ليغيث المسلمين مِن الجوع الذي أحرمهم مِن الهجوع، فواعده بالإرسال كذبًا وبهتان[٨]، وتحقّقنا أنَّ الرجل خان اللَّه تعالى وخان السلطان، وفي ليلة عشرين[٩] عند طلوع الفجر الأوَّل،

---

(١) البيت لصالح بن عبد القدوس، انظر: كمال الدين الدميري، **حياة الحيوان الكبرى**، ١/ ٥١.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: إرجافًا.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: فصار.

(٤) مثل يضرب وفيه قصة طويلة، انظر: الحسن بن علي العسكري، **جمهرة الأمثال**، ٢/ ٣٣٦.

(٥) هبنَّقة القسي، رجل ضرب المثل بحمقه، انظر: الحسن بن علي العسكري، **جمهرة الأمثال**، ١/ ٣٨٥.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: الذخائر.

(٧) كذا في الأصل، والصواب: الجائر.

(٨) كذا في الأصل، والصواب: بُهتانًا.

(٩) ٢٠ ذو الحجة ١٢١٩هـ/ ٣١ مارس ١٨٠٥م.

ضرب المدفع وسافر إلى حيث آلَ.

إِذَا ذَهَبَ الْحِمَارُ بِأُمِّ عَمْرٍو
فَلاَ رَجَعَتْ وَلاَ رَجَعَ الْحِمَارُ[1]

/ ق ٢٥٤/

ولم يرضَ له المضايفي إلا بعد أنْ أطاعه وصار مِن أحد الجماعة، وكانت المكاتبة على هذا الشرط لا كأنَّه قد حطّ مِن نواميس الدولة العليَّة ما حطّ؛ قيل: لم يأذن له في الانتقال إلا بماتي[2] كيس[3] مِن المال، وعلى كُلّ فما انتقل مِن الزاهر ومشى، حتى أرضاهم بالرشا، ولو أطاع صاحب الترجمة فيما أشار عليه لعاد النفع إليه، لكن لم يقبل النصيحة إلا الجسد السليم، وما أراه يقبلها ولو ذهب الروع عن إبراهيم.

ولم يكفه ما صنعه مِن عدم مُبالاته، والمُتابعة للخارجي ومُوالاته، تعدِّيه على بلد اللَّه تعالى بهذا الانتهاك، وأخذ جميع ما فيها مِن عساكر الأتراك، فنصحه العُلماء والقضاة وحذّروه مِن غضب السلطان عليه وسطاه[4]، فما زاد إلا عُتُوًّا ونُفُورًا، وما أراه إلا شَقِيًّا ومغرورًا، وحصل للناس غاية الاضطراب، وخَشي كُلّ عاقل واسْتَراب، وكادت أهل مكة تَفِرّ لو أمكنهم الفرار، لعلمهم

---

(١) البيت محدث مولّد ينشد في تكذيب خبر وإبطاله، انظر: محمد الخوارزمي، **الأمثال المولدة**، ص ٣٢٩.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: بمائتي.

(٣) **كيس**: Kese = Kise اصطلاح مالي يدل على الكيس أو الوعاء أو الحافظة التي كانت تستخدم لحفظ مبلغ معين من النقود الذهبية أو الفضية، وكانت قيمتها متغيِّرة حسب العصور، وكانت تستعمل في إستانبول عادة كوحدة نقدية قيمتها خمسمائة قرش، والقرش يساوي ٤٠ بارة، وفي إستانبول أطلق عليها الكيسة الرومي، وكانت تساوي ٢٠ ألف بارة، أمَّا الكيسة المصري فكانت تساوي ٢٥ ألف بارة، وبالقروش تساوي ستمائة قرش، وقد استمر استعمال الكيسة في النظام الحسابي العثماني حتى ألغيت في عام ١٢٧٨هـ/ ١٨٦٢م، كجزء مِن الإصلاحات التي أتت بها التنظيمات. دانيال كريسيليوس، **جذور مصر الحديثة**، ترجمة: عبد الوهاب بكر، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، ط ١، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ص ١٤٢.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: وسطوته.

إنْ تَمَكَّن مِنْهم لم يبق لهم آثار[١].

[اشتداد حصار مكة وارتفاع الأسعار]

فقام بأعبائها صاحب الترجمة دامت مَعاليه، وطالت أيامه بالسعود ولياليه، فسكن رَوْع سُكَّانها، وأجرى ماء المَسَرَّة في أوجانها، وأقَرّ أهلها بأوطانها، وفعل ما يجب مِن الحقوق لجيرانها، وتَرَّس البلاد مِن الأربع الجوانب، وحماه بالسمر المتقنة والبيض القواضب، لكن قد زاد بالناس الوجل، وأيقنوا مِن شدّة الجوع يكون الأجل، فلم ترق لهم مِن الطوى دموع، وكادوا يهلكون مِن الجوع.

فاشتدّ الغلا[٢]، وعظم الكرب والبلا[٣]، وزاد السعر واعتلا[٤]، ثم وقع القحط المُبَرّح، ولسان حال الجوع بالحمام مُصَرّح، فلم يوجد ما يشتريه الجايع[٥]، ولا ما يبيعه البايع[٦]، ووصل إرْدَبّ الحب إلى خمسمائة غرش، وبأربعمائة إرْدَبّ الذرة، ومَن له على ذلك جهد ومقدرة، وقِنْطَار البن بخمسمائة غرش، وفَرَاسِلَةُ[٧] التنباك بماتين[٨]، وأين مَن يَجِدها أين؟ والرِّطْل العسل أو السكر بلغ ثلاثة غروش، والسمن إلى أربعة، والناس تزدحم عليه غير مرتدعة، والثمر رِطْله بربع ريال، وقِسْ على هذا المنوال، أمَّا الأرز وبقية البقول؛ يُعطى صاحبها ما يقول.

فتعب القوي والضعيف بهذا السبب، واستوى الماء والخشب، وصار أهل السوق لا يبيعون / ق٢٥٥/ كُلّ شيء إلا بالوقيَّة، لمَا أصابهم مِن

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: آثارًا.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: الغلاء.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: البلاء.
(٤) كذا في الأصل، والصواب: اعتلى.
(٥) كذا في الأصل، والصواب: الجائع.
(٦) كذا في الأصل، والصواب: البائع.
(٧) فَرَاسِلَةُ: وزن يساوي ١٠ أمنان، ولمَّا كان المَنُّ ٨١٢,٥ جرامًا، فيكون الفَرَاسِلة ٨,١٢٥ كجم. فالتر هتس، **المكاييل والأوزان**، ص ٤٠؛ علي جمعة، **المكاييل والموازين**، ص ٢٨.
(٨) كذا في الأصل، والصواب: بمائتين.

الشَّرَهُ[١] وخبث الطويَّة، وأهل مكة أخرجت جميع ما تملكه مِن الحُلِي ليباع، ليشتروا به ما تأكله الكرش الجياع، فباع بعض أعيانها نفايس[٢] الذخاير[٣] بأرباع أثمانها، ولم أرَ شيا[٤] رخيصًا عند الناس لا يعرف له مقدار مثل الدرهم والدينار.

وما زال الكرب يشتدّ، وحبل الغلا[٥] يطول ويمتدّ، وأرباب العِيال مِنْه حيارى، وتَرى الناس سُكارى وما هم بِسُكارى، حتى نفد جميع الزاد، وقاسى أهل مكة ما قاسوه في تلك السبع الشداد، فَشُرِبَ الدم المَسْفوح، وأُكِلَ كُلّ حيوان على وجه الأرض خرج مَطْروح[٦]، ثم أُكِلَت أدوية العطار مِن بارد وحار؛ كبزر الخشخاش وزبيب الهوا[٧]، والصَمغ العربي والنوى، وبذر الحمر، وكل شيء هو ألْيَن مِن الحَجَر؛ فهلك الضعيف وافتقر الغني، وكُرِهَت الحياة والموت امتني.

كَفَى الْمَرْءِ دَاءً أنْ يَرَى الْمَوْتَ شَافِيًا
وَحَسْبُ المَنَايَا أنْ يكُنّ أَمَانِيَا[٨]

فمضى عام أذاب اللحم وسلا الشحم، وهشم العظم ومنع عن الخضم والقضم، والسبب الداعي لهذا الغلا[٩]، والضرورة الحاصلة بالملا[١٠]، هذا اللعين العادي، وطول إقامته بالوادي؛ فإنَّه لمَّا أطال الإقامة بوادي مَرَّ[١١]،

---

(١) الشَّرَهُ: الجشع. **المعجم الوسيط**، ص ٤٨١.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: نفائس.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: الذخائر.
(٤) كذا في الأصل، والصواب: شيئًا.
(٥) كذا في الأصل، والصواب: الغلاء.
(٦) كذا في الأصل، والصواب: مَطْروحًا.
(٧) كذا في الأصل، والصواب: الهواء.
(٨) البيت للمتنبي، انظر: الصاحب بن عباد، **الأمثال السائرة من شعر المتنبي**، ص ٥٧.
(٩) كذا في الأصل، والصواب: الغلاء.
(١٠) كذا في الأصل، والصواب: بالملأ.
(١١) كان الوهابيون يقيمون في هذا الوادي لإقامة حصن لإحكام الحصار على مكة، كما =

وقطع طريق جدة بالغزو الذي عمره ما مَرَّ، كان هذا هو السبب الداعي مِن الفاجر، الذي لا يخشى اللَّه تعالى في جيرانه ولا يُراعي.

ومع هذا ما حَلَّ بالناس مِن هذا الاصطلاء، وحصول هذا الغلا[1]، خان بعض أشراف مكة، وأرادوا فرط سلكها مع أنَّهم مِن بيت ملكها، وانضم مِنْهم كثيرون وكاتبوا ذلك الشقي، وظَنَّ كُلّ واحد مِنْهم أنَّه لديه يرتقي، فَمِنْهم مِن انساب إليه كالسيل وهرب إلى جنح ليل، ومِنْهم مَن تَثَبَّت وقعد، وأرسل لهم أنْ يهجموا على البلد.

ثم لم يكفهم ما فعلوا مِن الصنيع، وما أرادوه لمكة البهيَّة مِن تشنيع؛ حتى أفسدوا بعض العبيد الذي[2] ليس لهم رأي سديد، ومِن جُملة ما أفسدوا، وعلى الخيانة اعتمدوا، أربعة مِن شيوخ العبيد الأوغاد، كانوا أُمَناء على القلعة التي على الجبل المطل على سفح أجياد، فأراد اللَّه تعالى لهم بالفضيحة، وأظهره على أُمُورهم القبيحة؛ فَفطن لمَا أَضْمَرُوه مِن الخيانة، وعدم / ق٢٥٦/ الصدق والأمانة، ثم اطَّلع على مُكاتبات وقعت مِنْهما لذلك الغدار، ولمَّا أشرفهم عليها لم يسعهم غير الإقرار، فأمر بسجن ابني أخيه: السيد مساعد بن مسعود، والسيد أحمد ابن الشريف سرور، وكان أمرُ اللَّه قدرًا مقدور[3].

وما أرى هذه الفعلة إلا شنيعة وأيّ شنيعة، ومَذَمَّة يبقى ذكرها طول الزمان، فضيحة وضيعة؛ فتعجّبت لصدور هذه الفعلة الذميمة، مع أنَّهم أهل شيمة عظيمة، كيف لا وهم أفضل الأفضال، ومَعْدِن الجُود والنوال، مجدهم لم يزل باذخ[4]، وبيت عزهم على هُمام السِّمَاكين شامخ، لكن الجواد لا يخلو مِن عثرة، والسحاب لا ينجلي بقطرة.

= سيأتي ذكره.

(١) كذا في الأصل، والصواب: الغلاء.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: الذين.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: مقدورًا.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: باذخًا.

وما سلم مِن مُتابعته مِن بدو الأشراف، وبعد أنْ كانوا روسًا[1] صاروا أذنابًا وأطراف[2]، فاحتقرهم غاية الاحتقار، وارتكبوا بمُتابعته المَذَمَّة والعار، فَمِمَّنْ تَابعه بعض ذوي عبد اللَّه وجانب مِن ذوي بركات، حصل مِنْهم أذيَّة للمسلمين في قطع الطريق ومضرات، وتابعه قوم مِن الحرث وقوم مِن المُنَاعِمَة[3]، وقوى بهم شوكته وعزايمه[4]، وما زالوا إليه ينهالوا[5]، ولم يسألوا عن السبب ولا يُبَالوا، مع أنَّهم كانوا مع شريف مكة في عَزٍّ وإكرامٍ، وجزيل فضل وإنعام، وهو يراعيهم ويداري، ومصروفهم مِن بيت ماله جَارٍي، وكان القياس أنْ يُوَالُوا صاحب الترجمة عالمين بمقداره، وأنْ يكونوا مِن جملة شيعته وأنصاره، قايمين[6] عند ديارهم مُحاربين العدو عن مالهم وعارهم.

وما زال كُلّ واحد بمفرده يهرب إليه وينحاز، ويرضى بالمذلَّة بعد ذلك الإعزاز، وصاحب الترجمة في كُلّ آن يجمعهم ويقوم بشأنهم، ويُحَذِّرهم عن ارتكاب ما شانهم، ويأخذ عليهم المواثيق والعهود في يومه، وأنْ تكون اليد واحدة على قتال سعود وقومه، وأنَّ مَنْ تَابعه ليس مِنَّا حيًّا بعد حيّي، خارجًا مِن العصابة الهاشمية آل نمي، فيرضون معه بهذه الشروط، ويكتبون وثيقة ويضعون عليها الخطوط، فلم يفطن بعد أيام إلا ونَفَر إليه فِرْقة وانحازوا، وتأخّر عمَّا سلف بينهم وجازوا.

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: رءوسًا.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: أطرافًا.
(٣) **المُنَاعِمَةُ**: السادة المُنَاعِمَة، ينتسبون إلى الشريف عبد المُنعم بن الحسن بن محمد أبي نمي الثاني، وواحدهم يسمي: مُنْعَمِي. حاضرتهم تسكن مكة، وباديتهم بقريتي الطرفاء والريان بوادي فاطمة. محمد بن منصور بن هاشم آل عبد اللَّه بن سرور، **قبائل الطائف وأشراف الحجاز**، ص ٥٢؛ صالح حسن الفضلة، **الجوهر العفيف**، ص ١٠١.
(٤) كذا في الأصل، والصواب: عزائمه.
(٥) كذا في الأصل، والصواب: ينهالون.
(٦) كذا في الأصل، والصواب: قائمين.

[الشريف غالب يُعاتب الأشراف لانضمامهم للسلفيين]

فقال لهم صاحب الترجمة: ما أرى مِن تابعه مِن عصبتنا إلا مِن اللام[1]، ومعاشي عليه حرام، يتقلبون في نعماي ويوالون أعدائي، جعل اللَّه تعالى نعمتي عليهم وبالاً، وألبسهم بمتابعته ذُلاًّ ونِكَالاً، / ق٢٥٧/ خانوا ذِمَّتي وكفروا نعمتي، أَلَسْنا أبناء رجل واحد، وبيت مجدنا شامخ على الفراقد، وهذه ديرتنا ومدرتنا، نتوارثها عن الجدود، ونبذل فيها الجهود، وبها عزَّنا وهي مِن الأعداء حرزنا، أمَّا ترون هذا اللعين كيف مَلَكَ أكثر هذه المَمَالك، وسلك في أهلها أقبح المَسَالك؟ حتى صارت جزيرة العرب كُلُّهَا طوع يده، ولم يخرج من يده غير أرضنا وهي جُلّ مقصده، قد جعلها اللَّه تعالى قذى لعينيه، وأنزل لعنته عليه، أمَّا تَرَوْن أَنِّي منازله خمسة عشر عام[2]، وكم أغرقت فاجرًا مِنْهم في دمه وعام.

أَلَــم أَكُ نَــارًا يصطـليها عـدوكـمْ
وَسَــيْـفِـيَ مَـسْـنُـونٌ يجـر الأَعَــادِيَـا

أخلـد طُـول الـدَّهْــر ذِكْــرًا مشـيدا
وَحِـــرْزًا لِـمَـنْ أَبْـقَــيتُـهُ مِـنْ وَرَائِـيَـا

وَبَـــاذِلَ خَــيْـرٍ عَـنْـكُــمُ بِـيَـمِـيْـنِـهِ
وَقَـابِــضَ شَــرٍّ عَـنْـكُـمُ بِـشِـمَـالِـيَـا

وأمَّا مشايخ العبيد، الذي[3] ليس فيهم رجلٌ رشيد، فإنَّه ذبحهم مِن خلفهم، وجعلهم عبرة لِمَن خلفهم، ورماهم في الشارع إلى نصف النهار، حتى يكونوا لغيرهم اعتبار[4].

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: اللئام.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: عامًا.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: الذين.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: اعتبارًا.

مِـنْ أَيْـن لِـلأَسْـوَدِ الـزِّنْـجِـيّ مكـرُمَةٌ
قْـوَامُــهُ الْـغُــرُّ أَمْ آبَــاؤه الـعَـبِـيْـدُ

لاَ تَـشْـتَـرِ الْـعَـبْـدَ إِلاَّ وَالْـعَـصَـا مَـعَـهُ
إِنَّ الْـعَـبِــيْـدَ لأَنْـجَــاسٌ مَـنَـاكِـيْـدُ

لاَ يَقْبضُ الْـمَـوْتُ نَفْسًا مِـنْ نُفُوسِهِـمُ
إِلاَّ وَفِـي يَــدهِ مِــنْ نَـتْـنِهَـا عُــودُ[1]

□ □ □

(١) الأبيات للمتنبي من قصيدة هجاء كافور الإخشيدي، انظر: محمد بن أيدمر المستعصمي، الدر الفريد وبيت القصيد، ٩/ ١٤٧. وفيه البيت الأول:
مَـنْ عَـلَّـمَ الأَسْـوَدَ الـمَـخْـصِيَّ مَكْرُمَةً   أَقْـوَامُــهُ الـبِـيْـضُ أَمْ آبَــاؤُهُ الـصِّـيْـدُ

[أحداث عام ١٢٢٠]

[انضمام السيد يحيى بن سرور للسلفيين]

ولـمَّا رأى السيد يحيي بن الشريف سرور، ما رأى على شركائه مِن المقدور، ركب فرسه ليلاً وفرَّ، وما ذاق حلاوة القرار إلا بوادي مَرّ، فخالطهم وخلط وترك عمّه وفرط؛ ففرحوا به كما يفرح بالدواء العليل، وحثهم على الإقامة بعد أنْ عزموا على الرحيل، وأشرفهم على عورات الناس، ولم يبدِ مدحه لعَمّه بل بالغ في لومه وذمّه، ولله در مَنْ قال في التحذير مِن الصديق مِن أصحاب التحقيق:

احذَر عَدُوك مَرَّة وَاحذَر صَدِيْقك أَلْف مَرَّة

/ ق٢٥٨/

فَلَرُبَّمَا انْقَلَب الصَّدِيْق وَكَانَ أَدْرَى بالْمَضَرَّة[1]

فما أقام عندهم واستقام غير ثلاثة أيام، حتى جاء بمعقودة مِن الخيل على رأسه، بشدة جراءته وبأسه، ووصلوا إلى عمرة التَّنْعِيْم، وبعضهم أشرف على الزاهر، ولم يثبتوا غير نُقْبَةَ طاير[2]، فما وقفوا إلا كدرة شارق أو لمعة بارق.

وَإِذَا مَا خَلاَ الْجَبَانُ بأَرْضٍ أَلَفَ الطَّعْنَ وَحْدَهُ وَالنِّزَالاَ[3]

---

(١) البيت ينسب لعلي بن عيسى، انظر: محمد بن أيدمر المستعصمي، **الدر الفريد وبيت القصيد**، ٢/ ١٨٨.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: طائر.

(٣) البيت للمتنبي، انظر: الصاحب بن عباد، **الأمثال السائرة من شعر المتنبي**، ص ٥٣.

إلا وبقدر ما وصل الخبر، إلى هذا الهِزَبْر؛ فأمر الخيل تركب خلف أولئك الكلاب، وتفعل بهم ما تفعل في الشياه الذياب[١]، ولمَّا وصلت خيله خلف تلك الأشقيا[٢]، وجدوا السماء مِنْهم مُصْحِيَة.

وَإِذَا الْعَرِيْنُ تَغَافلتْ آسَادُهُ عَوَت الثَّعَالِبُ فِيْه آمِنَةَ الرَّدَى[٣]

وأمر صاحب الترجمة أهل البلاد فَتَرَّسُوا أطرافها، وحما حوزتها وأكنافها.

إِنَّ المَقَادِيْرَ إِذَا سَاعَفَتْ أَلْحَقَتِ الْعَاجِزَ بِالْحَازِمِ[٤]

وحصل يومها ضَجَّة وذُبَحَة، وعَجَّت الفُجَّار أكبر عَجَّة، وذلك يوم الربوع[٥] لاثنين خلون[٦] مِن شهر محرم الحرام[٧]، مِن سنة ألف وماتين[٨] وعشرين، وهذه مِن جُملة الدكيات والأُمُور الخَفِيَات، فما غابوا عن العين غير يومين اثنين.

[تحرّك السلفيين إلى الحُسَيْنِيَّة جنوبي مكة]

وفي يوم الجمعة المبرور، رابع هذا الشهر المذكور[٩]، انتقل الشقي العادي، وارتحل عن الوادي، ومعه سَالِم بن شُقْبَان والأراذل مِن أشقيا[١٠]

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: الذئاب.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: الأشقياء.
(٣) البيت لا يعرف قائله، انظر: أحمد بن محمد ابن عربشاه، **عجائب المقدور**، ١/ ١٧١.
(٤) البيت لا يعرف قائله، انظر: ابن عبد ربه الأندلسي، **العقد الفريد**، ٢/ ٢٧٨؛ محمد بن أيدمر المستعصمي، **الدر الفريد وبيت القصيد**، ٤/ ٤٥٨.
(٥) أي الأربعاء.
(٦) كذا في الأصل، والصواب: خلتا.
(٧) ٢ محرم ١٢٢٠هـ/ أوّل إبريل ١٨٠٥م.
(٨) كذا في الأصل، والصواب: مائتين.
(٩) ٤ محرم ١٢٢٠هـ/ ٣ إبريل ١٨٠٥م.
(١٠) كذا في الأصل، والصواب: أشقياء.

العُربان، فَمَرّوا على ريع الرَّحَا[1]، وأقبلوا على مكة وقت الضحا[2]، فأشرفت عليهم أهل مكة مِن جبالها، وأطلُّوا عليهم مِن أطلالها، ثم نزلوا مِن أسفل مكة على الحُسَيْنِيَّة، بأقبح سريرة وأخبث نِيَّة، وما قطعوا هذه الطرق وسلوكها، إلا أنَّهم أيقنوا أنَّهم مالكوها، فقاتلهم عبيد لصاحب الترجمة مترّسين الأبراج، ومنعوهم عنها كرهًا وعلا روسهم[3] العَجَاجُ[4]، واستمرّ القتال بينهم مِن الظهر إلى الغروب كما ذكروا، ثم وَلُّوا الأدبار وأتاهم العذاب مِن حيث لا يشعروا[5]، فأهلكوا سبعة مِن الموهَّبين، وسكنت أرواحهم في سجِّين، واستشهدوا[6] أَحَدَ عَشَرَ مِن أهل الحُسَيْنِيَّة وفازوا بالجنة العليَّة، وأخذوا مواشي لأهل الحُسَيْنِيَّة، وانقلعوا / ق٢٥٩/ بها إلى العَابِدِيَّة.

[محاولة السلفيين الاستيلاء على أبراج مكة]

فبلغهم أنَّ الأبراج مِن العبيد خلية، وهزتهم المطامع الأشعبية[7]؛ لأنَّ العبيد تركوا الأبراج، وجاوا[8] مكة يطلبون لهم زاد[9]، واتبعوا غير سبيل الرشاد والسداد، وهذه الفعلة مِمَّا تنفي العقل عنهم وتشهد، أنْ لو كان فيهم عقل لأبقوا فيها حارسًا ورصد[10]، فلمَّا وصلوا بين يدي ليث الشرافة، والغضنفر الذي حمى القطر وأطرافه، غضب عليهم في تركهم الحصون،

---

(١) رِيْعُ الرَّحَا: فجٌ بين جبال شاهقة، يقع غربي مكة، على يمين المتجه إلى جدة، وكان فيه الطريق الغربي المؤدي إلى المدينة المنورة. والآن يقع قربه حي الفيحاء، أحد أحياء مكة. عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ص ٦٨٠.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: الضحى.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: رءوسهم.

(٤) **العَجَاجُ**: الغبار. **المعجم الوسيط**، ص ٥٨٤.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: لا يشعرون.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: واستشهد.

(٧) نسبة إلى أشعب، وبه يضرب المثل: أطمع من أشعب، انظر: الحسن بن علي العسكري **جمهرة الأمثال**، ٢/ ١٢٥.

(٨) كذا في الأصل، والصواب: جاءوا.

(٩) كذا في الأصل، والصواب: زادًا.

(١٠) كذا في الأصل، والصواب: رصدًا.

وخشي أنْ يعقبهم عليها ذلك الفاجر الملعون، فأعاد الجميع مُبادرة في الحال، وزاد مثلهم بين راجل وخيَّال، وأمر سراة الخيل أنْ يركضوا مُجدين لتلك الفجاج، ليسبقون[1] العبيد على الأبراج، فشالوا بروس[2] خيلهم نقلاً وركضًا، ولو تأخَّروا لحظة لَانْحَلّ حبل عزمهم نقضًا، فلمَّا أقبلوا عليها، وجدوا الوهابيين مُسارعين إليها، فسبقوا الوهابيين ووَلَجُوهَا، وصعدوا أوْج المعالي وعرجوها، ومنعوا الوهابيين عنها بالطّبْنجَات[3] لتأخّر الرماة، فلمَّا لم يتم لهم أمرهم رجعوا لمُخَيَّمهم بوادي مّر.

ثم لمَّا اشتدّ بالمسلمين الكرب وكادت الأرواح تخرج مِن المهج بالسلب، أيقن الناس الهلاك، والتحق بالفقرا[4] أرباب الأملاك؛ أذن اللّه جل جلاله بالفرج وأحيى النفوس بالمهج، وأزاح عن المسلمين هذه الغمّة، بارتحال جنود البغي وأشقى هذه الأمة، فارتحلوا يوم الربوع[5] تاسع شهر محرَّم[6]، بعد أنْ تركوا كُلّ فؤاد بنار الجوع يتضرَّم.

[عُربان مكة ينضمون إلى السلفيين]

وفي مُدَّة إقامة أهل البغي والتضليل بايعهم أغلب عُربان مكة إلا القليل؛ كالمطارفة، وقُرَيْش، وبعض هُذَيْل، وبني لِحْيَان، والجَحَادِلَة أهل الفجور والميل، وأمرهم ذلك اللعين بقطع الجلب عن بلد اللّه تعالى الأمين، ويَدَّعُون إنَّما تابعناه خوف عقابه، وتعديه إلى البغي عن صوابه، ولو اتفقوا

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: ليسبقوا.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: برءوس.
(٣) **الطَّبْنْجَات**: جمع الطَّبَنْجَة، ويقصد بها في العربية المُسَدَّس. أصلها مِن الفارسية تبانجه وطبانجه، ودخلت التركيَّة في صيغتي: طبانجة وطابانجة، ومعناها: اللطمة، أو اللكمة، أو المُسَدَّس. أحمد السعيد سليمان، **تأصيل الدخيل**، ص ١٤٤.
(٤) كذا في الأصل، والصواب: بالفقراء.
(٥) أي الأربعاء.
(٦) ٩ محرم ١٢٢٠هـ/ ٨ إبريل ١٨٠٥م.

عليه جميعًا لحتوه[١] حتًّا، وتحسبهم جميعًا وقلوبهم شتّى، لكن عسى اللَّه أنْ يأتي بالفتح أو أمر مِن عنده، ويمدّ صاحب الترجمة بملائكة مِن جنده، فوصلوا عشية يومهم إلى المضيق، وتلاهم الفاجر الزنديق.

[إنشاء السلفيين حصنًا في وادي مَرّ]

ثم قبل أن يرتحلوا بنوا حصنًا[٢] بقرب قرية المَدْرة، وتركوا فيه عصابة مِن أولئك الكفرة الفجرة، وأمَّر عليهم ابن حجي مِن عدوان، أحد عصابة الشيطان، فأراح اللَّه تعالى العباد والبلاد، مِن أولئك الأوغاد، وارتحلوا بلعنة اللَّه تعالى وعقابه، لنحو الطايف[٣] وهضابه، / ق٢٦٠/ وطاب لهم هذا الانتقال إلى العُبَيْلاة، دار الخزي والنكال.

[الشريف غالب يرسل قافلة لتأتي بالمؤن مِن جدة]

ولمَّا رأى مِن أحوال الناس صاحب الترجمة، أخذته عليهم الشفقة والرحمة، فاجتهد في جمع ما أمكنه مِن الجمال، وأرسلها إلى جدة لتأتي

---

(١) أيّ أزالوه.

(٢) كانت استراتيجية الوهابيين في المناطق التي طاولتهم في القتال أنْ يشيدوا قلعة تكون مركزًا لهم، لشن الغارات الخاطفة على هذه المناطق، وقطع الإمدادات عنها كنوع مِن الحرب الاقتصادية، وهذا ما وقع بالتحديد مع ما حدث في حصار مكة المكرمة، ففي عام ١٢١٩هـ/ ١٨٠٤م، شرع الوهابيون - بأمر مِن الإمام سعود - في بناء قلعة في وادي مَرَّ (وادي فاطمة)، ولذلك كانوا يكثرون في هذه المنطقة - كما يتضح مِن سياق حديث مؤرخنا ابن عبد الشكور - للعمل على قدم وساق لإتمام بناء القلعة، وقد اتخذوها قاعدة، شنُّوا مِنْها الهجمات الخاطفة على مكّة، وقاموا بقطع الماء عنها، كما أشار ابن عبد الشكور لتخريبهم بعض مواقع إمدادت الماء لمكة، ورصد تحركات الشريف غالب العسكريَّة بين مكة وجدة. وفي ذلك يقول ابن بشر: «وأمر سعود ببناء قلعة في وادي فاطمة المعروف في الحجاز، فتمّ بناؤها، وجعل فيها عسكرًا يُضَيِّقوا على الشريف غالب صاحب مكة». عثمان بن بشر، **عنوان المجد**، ١/ ٢٨٣. وانظر: محمد بن عمر الفاخري: **تاريخ الفاخري**، دراسة وتحقيق وتعليق، عبد اللَّه بن يوسف الشبل، دارة الملك عبد العزيز، الرياض، ط٢، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، ص ١٦٥؛ نعيمة عبد اللَّه دهيش، **عهد الإمام سعود**، ص ٦٥.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.

بالذخاير[1] والأحمال، وأرسل معها مِن الكُمَاة الصيد، والعساكر والعبيد، ومِن السراة الأبطال ما ينوف عن المائة خَيَّال، وأرسل معهم أحمد كَتْخُدا، لا زال لِمَن أمَّه مقصدًا، فتَوَجَّهت في اليوم الثاني عشر مِن محرم[2] الحرام بهمة ذلك الهُمَام صاحب الرأي والإقدام، وهرع مِن أهل مكة كثير ألجأهم الجوع، ومنعهم عن الهجوع، وتراهم كالجراد المنتشر في البلدان بين مشاة وركبان، وبلغ كراء البعير إلى جدة سبعين غرشًا إلى ثمانين.

وفي اليوم الثاني بلغه أن خرج على الرّد بعض الوهابيين، فأعقبه بِمَا ينوف عن مائة خيَّال مِن الصناديد والأبطال، اختارها مِن سرامة قومه المُتقربين مِن خدمته لحزمه موفون[3] بعهوده وذممه، واقتضى نظره أنْ يومر[4] عليهم السيد السند ذو[5] الرأي الأسد، والغضنفر [ذو اللبد][6]، بواسطة عقد آل أبي نمي، المتصل نسبه الشريف لعبد مناف بن قصي، ذو[7] الهِمَّة العليَّة، والمناقب الحَسَنِيَّة، والأخلاق الرَّضِيَّة، نادرة الزمان عقلاً ورَصَانة، وواحد الأقران عفّة وأمانة، حسن البهجة صادق اللَّهجة، ذو[8] القدر المُصَان مولانا السيد ماضي بن سليمان؛ فأجابه لمَا أمر، ورفع ساعد العزم وشَمَّر، ونطق على لسان الحال، فقال:

أَسِيْـر وَلَـو أنَّ الـصَّبَـاحَ صَـوَارِم   وَأسـري وَلَـوْ أنَّ الظَّلَامَ جَحَافِل[9]

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: الذخائر.
(٢) ١٢ محرم ١٢٢٠هـ/ ١١ إبريل ١٨٠٥م.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: موفين.
(٤) كذا في الأصل، والصواب: يُؤمِّر.
(٥) كذا في الأصل، والصواب: ذا.
(٦) وردت في الأصل ذو اليد، والتصويب مِن (ب)، ورقة ٢١٠.
(٧) كذا في الأصل، والصواب: ذا.
(٨) كذا في الأصل، والصواب: ذا.
(٩) البيت لأبي العلاء المعري، انظر: أحمد بن عبد السلام الجرّاوي، **الحماسة المغربية**، ١/ ٧٦٧.

[السلفيون يهاجمون قافلة مكة]

ولمَّا وصل الكَتْخُدا بالقافلة مُنتصف الطريق، خرج عليهم ثلاث[(١)] مِن خيل ذلك الفريق، وهم عيون توصل الأخبار لأولئك الفُجَّار، فركضت عليهم بعض الخيل الحاصلة، وبقي بعضها لحراسة القافلة، فنبع لهم نحو عشرين خيَّال[(٢)]، كانوا متوارين خلف تلك الجبال، قد جعلها رِيِّسهم خديعة مِن جهله وقلة عقله، ومكروا ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله، فركضت عليهم الهوَّارة، قساورة الغاب وأُسُود الغارة، فأصابوا مِنْهم رجلاً واحدًا، وقتلوا رجلين، وقلعوا حصانًا، وقتلوا فَرَسين، وفَرَّ بقية الأشرار للويل والدمار.

ولمَّا وصلت / ق٢٦١/ القافلة للمُخْتَبِي[(٣)]، وهو جبل يعلمه العارف والغبي، وجدوا في حصنه الحصين سبعة مِن الوهابيين، فصعدوا[(٤)] لهم أهل مكة والدّلاَتِيَّة بالخيل على راس[(٥)] الجبل، وقطعوا روسهم[(٦)] في ذلك المحل، وأبقوا واحدًا بَيَّن لهم الخبر، وجاوا[(٧)] به لسلالة مُضر، ووصلوا بروس[(٨)] تلك التيوس، إلى البَنْدَر المحروس.

وفي اليوم الثاني، وردت أغنام إلى جدة لبعض الوهابيين[(٩)]،

(١) كذا في الأصل، والصواب: ثلاثة.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: خيَّالًا.
(٣) **المُخْتَبِي**: يقع في منتصف الطريق بين مكة وجدة، عنده بئر شهيرة تسمى أم القرون، وكانت بعض القوافل تنزل عليها. عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ص ١٥٢٠-١٥٢١.
(٤) كذا في الأصل، والصواب: فصعد.
(٥) كذا في الأصل، والصواب: رأس.
(٦) كذا في الأصل، والصواب: رءوسهم.
(٧) كذا في الأصل، والصواب: جاءوا.
(٨) كذا في الأصل، والصواب: برءوس.
(٩) الكلمة كذلك في كافة النسخ، ويبدو أنَّه وقع خطأ في النسخ؛ لأنَّها غير موافقة للسياق العام للنص، فكيف ترد أغنام للوهابيين إلى جدة، ويستولي عليها أتباعهم؟ ثم ينهض وزير جدة لمقاتلتهم؟

فنهبها فريق آخر مِن تلك الفراعين، فوصل الخبر للوزير إبراهيم، وأرسل خلفهم جريدة مِن الخيل؛ ليسترجعوها وينتهكوها، فغابوا برهة وأعادوا ولم يدركوها.

[عودة القافلة إلى مكة]

ثم إنَّ القافلة حملت أحمالها، ووثقت جمالها، ووصلت إلى مكة على ذلك النمط منسوقة، وبأحمالها موثوقة، ونالت البادية الحَظّ الأوفر في كرّ الجمال، وأكروا كُلّ بعير بثلاثين ريال(١).

[الناظر عُثمان بلح يستولي على حبوب لابن عبد الشكور]

عندما وصل لناظم التاريخ الفقير، مِن الحَبّ حمل بعير، فتوالى عليه الناظر عثمان(٢) وأكله، ولم يخشَ اللَّه تعالى في الجيران، وفرَّقه للعسكر الأتراك وأعدمه، وحسب ثمنه على صاحب الترجمة، فرفعت فيه شكية(٣) منظومة لأُبيِّن خونته(٤) وخزيه وشؤمه، وجعلت البراءة فِيمَنْ ليس له عهده ولا يفي، عثمان بن عبد الرحمن المضايفي، أبَّد اللَّه تعالى عليه الخزي والنكال، وبلغنا فيه أسوء الأحوال.

[ابن عبد الشكور يَهْجُو عثمان المضايفي وعثمان بلح]

أَضَعتَ أُخْرَاكَ لمَّا خُنتَ دُنيانا
وَحُزْتَ عَنْ جَنَّةِ الْفِردوس نيرانا
أَهْلَكْتَ كُلّ عِبَادِ اللَّه قَاطِبَة
وَمَا رَعَيتَ لِبَيتِ اللَّه جِيْرَانا

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: ريالًا.

(٢) **الناظرُ عثمان**: عثمان بلح، مِن عائلة بلح، التي تولى النظارة مِنْها عدة أشخاص، في عهد الشريف غالب بن مساعد.

(٣) أي شكوى.

(٤) أي خيانته.

أحْـرَقـت بـالـظُّـلْـم أَرْض الـلَّـه عَـنْ كمل
وَجـــرت فِـي أَهْـــلـهـا ظُـلْـمًـا وَعُـــدْوَانًـــا
عُـثْـمَـان قَـبَّـحـك الـرَّحْـــمَـن مِـــن رَجُـــل
أَرَاكَ يَـــا سـبـقـة الـشَّـــيْـطَـان خَـــوَّانـا
قَـتَـــلْـت وفّـــاد بَـــيْـــت الـــلَّـــه كُـلّـــهـم
يَـا عـصـبـة الْـكُـفْـر عُـــدوانًـا وَقَـحْـطَـانـا
وَقَــوْم [طَـامِـح](1) قَـدْ جـاروا وَقَـدْ طَـمحوا
بِـسَـــالِـم الـنَّـــذْل أعـنـي ابْـــن شُـقْـبَـانـا
عُـثْـمَـانُ يَـا أَفْـجَـر الـفُـجَّـار سَـــوْف تَـرَى
الْقَـطِـيع بالـنَّـعْل أَزْوَاجًـا وَوحـدانا / ق٢٦٢/
تَـقُـــول لـلـدين أَدْعُـــوكـم وَتَـقْـتـلـهـم
لأَخْـــذْ أَمْـــوَالـــهـم دَعْـــوَاك بُـهْـتَـانـا
وَكُـنْـت أَعْـهَـد فِـيْـك الـلُّـطْـف مِـن قِـدَمٍ
مِـثْـل الـنَّـسِـيْـم وَكَـــم مـيـلـت أَغْـصَـانـا
عُـثْـمَـــانُ دَاؤك أَعْــيَـا الْـعَـارِفِـيْـن فَـلاَ
طِـــبّ يـفـيـدك حَـتَّـى نَـحْـن أَعْـيَـانـا
لَـقَـدْ تَـجَـبَّـرتَ فِـرْعَـونَ الـزَّمَـــان عَـلَـى
كُـــلّ الْـعِـبَـــاد وَرَبُّ الْـعَـــرْش عَـافَـانـا
عُـثْـمَـــانُ وَجْـهُـــكَ رَبُّ الْـعَـرْش سَـوّده
بـديـهـة مَـــن رَآه قَـــال: شَـيْـطَـانـا

---

(1) وردت في الأصل طافح، والتصويب من النسخة (ب)، ورقة ٢١١.

فَكَمْ سَفكت دَمًا ظُلْمًا بَلاَ سَبَبٍ
وَتَدَّعِي إِنَّمَا لِلدِّينِ دَعْوَانَا
هَل تنكر المَوت أَمْ للبَعْث تنكره
أَمْ الْوقُوف غَدًا فِي سُوح مَوْلاَنَا
يَوْمًا يَشِيْب لَهُ الْولدَان تنكره
أَمْ أَنْت تنكر يَوْم الحَشْر ميْزَانا
وَيَوْم يَدْعُوك للنِيْرَان مَالِكُهَا
هَلَّا حَزنت إِذَا فَارقت رُضْوَانَا
أَفِقْ لِنَفْسك يَا مَغْرُور مُنْتَبِهًا
خَوْفًا تُفَارق عِنْد الْمَوْت إِيْمَانا
إِنْ كُنْت تَجْمَع مَا قَارُونَ جَامِعَهُ
تَرْضَى بِهَذَا وَتلق اللَّه غَضْبَانا
مَعْ ذَاك تَعْرف لَا مَالًا حَويت وَلَا
رِيَاسَةً لاَ عُلاً قَدْ حزت لاَ شَانَا
مِثْل اليَهُودِ الَّذِي قَد صَارَ مُفْتَقرًا
دُنْيَاه وَالدِّين فِي الحَالَيْن سِيَانا
فَلاَ تَكُن دُونه واربأ بِنَفْسِك لَا
يَغُرَّك اليَوْم يَا عُثْمَان أثمانا
عُثْمَان لاَ دِيْن لاَ دُنْيَا نعمت بِهَا
لاَ عِزّ لاَ جَاه مَا قَد حزت خسْرَانا
أَنْت الَّذِي خنت دِيْن اللَّه مُجْتَهِدا
وَقَد تَجَرَّعت كَأْس الكُفْر مليانا

كَـعَـاقِـر الـنَّـاقَـة الـمَـلْـعُـون أَفْـجَـرهـا
نَـاهِـيـك أَعْـدَاء دِيْـن الـلَّـه عـدوانا / ق٢٦٣/

الـفَـاجـر الـمَـارق الـزِّنْـدِيـق أَفْـجَـر مَـنْ
هُـنَـا وَأَكْـفَـر مِـنْ عَـادَ الَّـذِي بَـانـا

فَـبـدّل الـكُـفْـرَ بـالإِسْـلَامِ مُـجْـتَـهِـدًا
وَارْجِـعْ عَـنْ الـطِّـيْـن يَـا عُـثْـمَـان أحيانا

لاَ تَـغْـتَـرّ[1] بِـسُـعُـودٍ فَـهُـو أَكْـفَـر مِـنْ
أَبِـيْـه مَـنْ كَـانَ قِـسِـيْـسًـا وَرُهْـبَـانـا

فَـسَـوْفَ تَـلـقَـى الـرَّدَى مِـنْ نَـجْـل فَـاطِـمَـةَ
الـزَّهْـرَا يَـقُـودُ سَـلَاهِـيـبًـا وَفُـرْسَـانًـا

الـمُـفْـرد الـعَـلَـم الـشَّـهـم الَّـذِي شَـهِـدَت
لَـهُ الأَنَـام بِـصْـدق الـعَـزْم إِعْـلَانَـا

كَـمْ قَـادهـا شـذبًـا لـلـشَّـرْق ظَـاهِـرَةً
كَـالـشَّـمْـس فِـي الأُفُـق لاَ يَـحْـتَـاج بُـرْهَـانـا

أعـنـي الَّـذِي عَـاش طُـول الْـعُـمـر يَـقْـتـلـكـم
وَمَـا تَـأَخَّـر عَـنْـكـم قَـطّ أحـيـانـا

الْـغَـالـب الْـمَـلـك الْـمَـنْـصُـور عَـسْـكـره
أَسْـمَـى الْـوَرَى رتـبًـا أَعْـلَاهـم شَـأنـا

مِـنْ فِـتْـيَـة طَـهَّـر الـرَّحْـمَـن عـتـرتـه
فِـي ذِكْـره وَكَـفَـى بـالـذِّكْـرِ تـبْـيَـانـا

---

(١) وردت تغترر في النسخة (ب)، ورقة ٢١١.

عصابة مِن بَنِي الزَّهْرا جَحَاجِحَة[١]

أُسُدٌ قَسَاورة فِي الْحَرْبِ شُجْعَانا

تَركته يَا شَقِيًّا وَالتَجأتَ إِلَى

قَوم رَعَايَاهم قدمًا وَرَعيَانا

مَوْلَاي أَشْكُو إِلَيْك الْيَوْم مِن بَلَحٍ[٢]

إِنِّي بليت بِهِ وَالوَقْت أَبْلَانا

سُمِّيَ عُثْمَانُ عُثْمَانَ الَّذِي فَرِحَتْ

بِهِ المَنَاصِبُ حَتَّى صَارَ إِنْسَانا

لَقَدْ تَجَرَّأَ عَلَى حَبِّي وَأَطْعَمه

للترك جُوْرًا عَلَى ضَعْفِي وَطُغْيَانا

وَكُلَّمَا جِئْت بَابًا مِنْه أَقْرعه

يَرُوغ عَنِّي وَقَدْ يَزْدَاد عِصْيَانا

وَكَان إِذ ذَاكَ سِعْر الْحَبّ مُرْتَفِعًا

وَالسِّعْر فِي كُلِّ يَوْم زَاد رُجْحَانا

ثَلاثَةٌ فِي ثَلاثٍ كَانَ قِيْمَتُهُ

وَالآنَ بالْخَمْسَةِ الأَسْدَاسُ نُقْصَانا/ ق٢٦٤/

طلبته قيمة للحَبّ أَوْ بَدلًا

فَزَادَ فِي وَعْدِهِ مَطْلًا وَخُذْلَانا

---

(١) جَحَاجِحَة: جَمع جَحْجاح، وَهُوَ السَّيِّدُ الْكَرِيمُ. ابن منظور، لسان العرب، ٢/ ٤٢٠.

(٢) كتب على هامش النسختي (أ) و(ب): «هو عُثمان بلح الذي أخذ عليه حمل الحَبّ المُتَقَدّم ذكره».

مَا زَال يوعدني وَعْدًا يماطلني[1]
وَكُلّ رَد يقول: الحَبُّ مَا جَانا
وَالآن قَدْ قَال لِي: اشكوا لِسَيِّدنا
فَإِنَّ سَيِّدنا بِالأَخْذ أغْرَانا
وَقَال لِي: دَعْه لا تعطيه شي فَمَا
يَحْتَاج حَبًّا وَتكفيه عَطَايَانا
إِنْ كَان عندك يَا مَوْلاَي هانَ وَلَا
أَبْغِي بِه بَدَلًا يَأْتِي وَأَثْمَانا
وَإِنْ يَكن كَاذبًا فِي قَوْله فَعَسَى
تخلص الْحَقّ أَنْت الْيَوْم منصانا
وَقَال: رَاجعت مَوْلاَنَا أبَا ونباء
فاطبق رَاحتيك أَوْ رَاجعه أَحيانا
فَقُلت: سَيِّدنَا قَدْ قَال؟ قال: بلى
وَإِنْ تكذبني أعطيك أَيْمَانا
فَقلت: أبلغه ذَاك القَوْل؟ قَال: نَعَم
أبلغه عَنِّي وَزد فِي القَوْل إِتْقَانا
حَاشَاك يَا طَاهر الجِدَّين تَأمره
وَقَدْ تَحَقَّقته فِي حلفه مَانَا
وَأَنْت بَحر النَّدَى تُعْطِي الجَزِيل وَكَم
أعطيت خَيلًا وملبوسًا وعقيانا

(١) وردت (ويمطلني) في النسخة (ب)، ورقة ٢١٣.

فَانْظر لِمَنْ يكفر النَّعما وَيجحدها
جَزَاءه مِنْك تَنْكِيلًا وَحرمَانا
لَوْلاَك لاَ بَلَخٌ يدرى وَلَيْس لَه
ذِكْر وَلاَ قال شَخْص قَطّ: عُثْمَانا
مَوْلاَي إِنِّي لَقد بَلَّغت مُجْتَهِدًا
وَأَنْت سَيِّدنَا حَقًّا وَمَوْلاَنَا
وَلَيْسَ أَقْبلُ مِنْهُ السِّعْرَ ذَاكَ وَلَا
حَبًّا بِحَبٍّ وَدَعْهُ كَانَ لَا كَانَا
وَهُو المُخَيَّر فِي الأَمْرين أهونها
عَلَيْه يتبع إِعْطَاء وَحرمَانا
وَسَوف يَسْمع مِنِّي كُلّ نَادرةٍ
[أصوغها فِي قُرَيْش الشِّعْر طَنَانَا
وَبَعْد ذَلِكَ فِي التَّارِيْخ أذْكرها][1]
ذِكْرًا يُخَلّد أزَمَانًا فَأَزْمَانا/ ق٢٦٥/
أَهْل المَنِاصب قِدمًا يبذلون مِنْ
الأَمْوال خَوفًا عَلَى الأَعْرَاض مَجَّانا
وَيكرمُونَ رُوَاة الشِّعْر خَشْيَةً مِنِ
هِجَائِهِمْ صَونَ عَرضٍ كَانَ مُنصَانا
وَالآنَ لَا نَطْلبُ الجَدوى ونَسْأَلهُم
خَلَاصَ أَمْوالِنَا مِنْهُمْ بِرَجْوانا

(١) ساقط مِن الأصل، والإضافة مِن النسخة (ب)، ورقة ٢١٣.

فَانْظُر إِلَى الزَّمن المَعْكُوسِ كَيْفَ غَدَا
الرَّيِّس فِي أَهْلِهِ فِي النَّفْسِ أَدْنَانا
قُومُوا مَعِي يَا رُوَاة الشِّعر وَانْتَهزوا
للهَجْو وَلْيبْدهمُ باللَّعْن أَهْجَانا
[أَهْل المودّة شَتم العَرْض يُؤلمهم
ويحذرون فلانا قِيل: إِنْسَانَا][1]
والباهليون[2] قَالُوا لَا نَخَاف مِنْ الـ
شَّتم المبرح مَهْمَا زَان أَوْ شَانا
وَاخْتر لِنَفْسك مَا يَحْلُو وَكُن رَجُلًا
يَدري مُعَاداة أَهْل الشِّعْر يَقْظَانا
وَأَنْت مِنْ خَيْر بَيْت زَانَه حَسَبٌ
وَنَفْعكم عَمَّ كُلَّ النَّاسِ إِحْسَانا
أَلَيْس فِعْلُ الفَتَى أَقْوَى الدَّلِيْلِ عَلَى
غَبَاوةِ الأَصْلِ تَرْجِيحًا ونُقْصَانا
وَلِي لِسَانٌ سِوَى هَذَا سَتَعْرِفُهُ
سُمُّ الأَفَاعِي إِذَا مَا شِيتَ ثُعْبَانا

[إرسال قافلة ثانية إلى جدة]

وأمَّا ما كان مِن أمر الرد والجمال، فما أقاموا بمكة غير يومين اثنين، حتى شيَّعها ثانيًا مولانا الشريف كريم الجدين، وَأَمَدَّها بالعساكر حين أعادها،

---

(١) ساقط مِن الأصل، والإضافة مِن النسخة (ب)، ورقة ٢١٤.

(٢) كتب على هامشي الأصل، ورقة ٢٦٦، و النسخة (ب)، ورقة ٢١٤: «قوله: الباهليون نسبة إلى باهلة، وهم أردى قبيلة في العرب، لا حسب ولا نسب».

وأكثر في قُوت عسكرها وزَادَهَا، وكَرّ الجمال على حاله كالرد الأوَّل، لا ينقص شيء ولا يختلّ، حيث هَرَع مِن أهل مكة كثير مِن الخلايق[١]، ضعف ما تَوَجَّهوا في الرد السابق، فيهم مِن العوام والخواص؛ ألجأهم لذلك أسعار أهل جدة الرخاص، وأمَّر عليهم ذو[٢] القدر المُصَان، مولانا السيد ماضي ابن سليمان، فلم يتقاعس عن صيانة الناس ولم يتحوَّل، وحمدوا[٣] الناس المُراسِلَ والمُرسل، مِن كونه وضع الشيء في محلّه، وأعطى القوس لأهله.

مِـن آل زَيْـد الَّـذِي زَادَت مَنَاقـبهم
عَلَى السِّمَاكين إنْ غَابُوا وَإنْ حَضَروا
مِـن بَـيْت مَجْـد كَشَـمْس الأفـق رفعتـه
[......................................][٤]

/ ق٢٦٦/

فتَوَجَّه في حفظ اللَّه تعالى وسلامته، مُجتهدًا في بذل ذمّته وأمانته، وذلك في الثالث والعشرين مِن محرم الحرام[٥]، فوصل بالسلامة إلى البَنْدَر المعمور، وأقام في الأمن والسرور، وخرج بتلك الجمال، موثوقة بالأحمال، ولم يسلك الطريق المعتاد، وأظنّه اجتهد وأخطأ في الاجتهاد، ودخل مكة مِن طريق اليمن، وحصل للجمّالة وأهلها مشقّة ومحن[٦]، لكونهم سلكوا طريقًا مشعبة، وهضابًا متعبة، فأقام بمكة أربعة أيام، بساحة ذلك الهُمام، وفي هذا الرد كرى الجمال على حاله، ولم يتغير عن نسج منواله، وكثيرون مِن أهل الجمال يحملون كيلتين مِن البر بريال، وأكثر الجمالة تحوم حول المنفعة،

(١) كذا في الأصل، والصواب: الخلائق.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: ذا.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: وحَمِدَ.
(٤) الشطر ساقط في كافة النسخ.
(٥) ٢٣ محرم ١٢٢٠هـ/ ٢٢ إبريل ١٨٠٥م.
(٦) كذا في الأصل، والصواب: محنًا.

وتشتري لنفسها كَيْلَة البر بقرش واحد وتبتاعها بأربعة.

[إرسال قافلة ثالثة بصحبتها كثير مِن أهل مكة]

وكان وصولهم لاثنين خلون[١] مِن شهر صفر الخير[٢]، فما أقام بمكة غير أربعة أيام لا غير، ثم في يوم الاثنين سادس صفر الأغر[٣]، وجَّه الجمال المذكورة إلى جدة المعمورة ليوسقوها بأنواع الطعام، ويكون سببًا لنزول الأسعار ببلد اللَّه تعالى الحرام، وينال مُرسلها الأجر التام في يوم الزحام، والأمُور بمقاصدها والشواهد مِن أعظم مشاهدها، وفي هذا الرد سار معه مِن أهل مكة جَمّ غفير وخلق كثير قد أعمل فيهم بعض الناس قياس الأنصاف وقَدَّرَهم أنَّهم ثلاثة آلاف وادَّعَى بعض الناس أنَّ قياسه لا يخطى الحقايق[٤]، على أنَّهم ضعف ما نزلوا في الرد السابق.

وعلى كُلّ حال، فقد ظهر الخلل في الأمكنة والأسواق، وخفت الخلايق[٥] مِن كُلّ زُقَاق، وقطعت الناس مِن المسجد والمطاف، ولم يتكامل الصف الأوَّل بساحة المسجد والأطراف، وما حملهم على هذه المشقَّة، واقتحام المتاعب المشقَّة؛ إلا كونهم جياع[٦]، والجوع مخلف للطباع، وإلا فأهل مكة لا يرضون بدلاً، ولا يبتغون عنها حولاً، وهذا النزول مع الحاجة والفاقة، ودخولهم لهذا الباب الذي ليس لهم به طاقة.

مَسَاكِين سُكَّان أُمّ الْقُرَى
فَكُلّ ينوح عَلَى نَفْسه

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: خلتا.
(٢) ٢ صفر ١٢٢٠هـ/ أوَّل مايو ١٨٠٥م.
(٣) ٦ صفر ١٢٢٠هـ/ ٥ مايو ١٨٠٥م.
(٤) كذا في الأصل، والصواب: يخطئ الحقائق.
(٥) كذا في الأصل، والصواب: الخلائق.
(٦) كذا في الأصل، والصواب: جياعًا.

يــقــضــــون أيَّـــامـــهـــم كُـــلّـــهَـــا
سَـــــلَـــفًـــا أَوْ عَـــلَـــى عَـــكْـــسِـــه

[أهل جدة يسيئون استقبال القافلة وأهلها]

وكان الأمير على هذا الجمهور، مولانا السيد ماضي المذكور، فحث الجمال في مسراها، وكالردين لنا يَعنى كِرَاهَا، فوصلوا جدة عصر يوم الخميس للبَنْدَر الذي يصطبحون أهله / ق٢٦٧/ بالنصارى والفرنسيس، والمتاعيس والمعاكيس، وحصل لأهل مكة نقص ووكس مِن بعض أهل هذه البلدة التي ليلهم منكر وعكس، ونهارهم فجور ومكس، وصاروا يسمعونهم الكلام الشاق في الأزِقَّة والأسواق، ويقولونَ: جئتم أرضنا لتحاشرونا في الأرزاق، فتعبت أهل مكة، وودّت الروح بعد ما قربت، وضاقت عليهم الأرض بِمَا رحبت، وانكسرت خواطرهم، وسَالت مِن الآمَاق مواطرهم[1].

فانظر لهذه الأرذال السفلة، والأسقاط المبتذلة، كيف تصدر مِنْهم هذه القباحة، والصلافة والوقاحة، مع ساداتهم بل وسادات الناس، والأفاضل الأكياس، جيران بيت اللَّه تعالى وسُكَّان حرمه، المتعرضون كُلّ صبيحة عند أعتابه لفيضه وكرمه.

أمَا علموا أنَّ رسول اللَّه ﷺ حين استعمل عَتَّابَ بنَ أَسِيْدٍ[2] على مكة قَالَ لَه: «**أَتَدْرِي عَلَى مَنِ اسْتَعْمَلْتُكَ؟ اسْتَعْمَلْتُكَ عَلَى أَهْلِ اللَّهِ، فَاسْتَوْصِ**

(١) أيّ كثرة دمعهم مِن البكاء.

(٢) عَتَّابَ بنُ أَسِيْدٍ: عَتَّاب بنُ أَسِيد بن أبي العِيصِ بن أُمَيَّة بن عبد شَمْسٍ الأُمَوي، مِن صحابة النبي ﷺ، أسلم يوم فتح مكة ٨ هـ/ ٦٢٩م، وقد عيَّنه الرسول ﷺ أميرًا على مكة، وظَلّ حاكمًا عليها حتى وفاته، قيل توفي في عام ١٣ هـ/ ٦٣٤م، في ذات اليوم الذي توفي فيه أبو بكر الصديق - رضي اللَّه عنه - وقيل توفي في أواخر عهد الخليفة عمر بن الخطاب (١٣-٢٣هـ/ ٦٣٤-٦٤٤م) في عام ٢٢هـ/ ٦٤٣م. الإصابة، ٦/ ٣٧٢-٣٧٣؛ عز الدين ابن الأثير الجزري، **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، ج٣، تحقيق: علي محمد معوّض وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، د.ت، ص ٥٤٩-٥٥٠؛ خير الدين الزركلي، **الأعلام**، ٤/ ١٩٩-٢٠٠.

بِهِمْ خَيْرًا» يَقُولُهَا ثَلَاثًا[1]. فكيف يبحثون معهم بهذه الأبحاث، ولو وصل إليهم مِن تجَّار النَّصارَى واليهود، أو مِن بقيَّة عاد وثمود، أو مِن أيِّ جنس مِن جنوس[2] الكفرة، يكونوا[3] مِن أصحاب النقود؛ يفرحون بقدومهم، ويُقَبِّلُون أقدامهم، ويقضون شونهم[4] ومرامهم، وأهل مكة مفاليس على ما يقال، وجدة بلدة لا تصلح إلا لِمَن [له] مال، وكما يقال:

وجِـــدَّة لِـــذوي الأَمْـــوَال طَيِّـــبَةٌ
وَلِـلْـمَـفَـالِيْـس دَار الْـهَـمِّ وَالـضِّـيْـقِ
أَقَـمْـتُ فِـيْـهَـا مُـضَـاعًـا بَـيْـن سَـاكِـنِـهَـا
كَـأَنَّـنِـي مُـصْـحَـفٌ فِـي بَـيْـتِ زِنْـدِيـقِ[5]

ولو كانوا مِن أهل المروة[6]، والشهامة والفتوة؛ لواسوهم وما أَسُوهم[7]، وما كانوا يفعلون ذلك مع جيران بيت اللَّه تعالى الحرام، وهم مشاهدون ما قاسوه مِن الشدة والآلام، والضنك التام في هذا العام، لكن ماذا يؤمل مِن

---

(١) أخرجه الأزرقي في أخبار مكة عن عَبْدِ الْجَبَّارِ بْنِ الْوَرْدِ الْمَكِّيِّ، عن ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، قال رسول اللَّه ﷺ: «لَقَدْ رَأَيْتُ أَسِيدًا فِي الْجَنَّةِ، وَأَنَّى يَدْخُلُ أَسِيدٌ الْجَنَّةَ»، فَعَرَضَ لَهُ عَتَّابُ بْنُ أَسِيدٍ، فَقَالَ: «هَذَا الَّذِي رَأَيْتُ، ادْعُهُ لِي»، فَدَعَا، فَاسْتَعْمَلَهُ يَوْمَئِذٍ عَلَى مَكَّةَ، ثُمَّ قَالَ لِعَتَّابٍ: «أَتَدْرِي عَلَى مَنِ اسْتَعْمَلْتُكَ؟ اسْتَعْمَلْتُكَ عَلَى أَهْلِ اللَّهِ، فَاسْتَوْصِ بِهِمْ خَيْرًا» يَقُولُهَا ثَلَاثًا. انظر: محمد بن عبد اللَّه بن أحمد الأزرقي، **أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار**، ج٢، دراسة وتحقيق: عبد الملك بن عبد اللَّه بن دهيش، مكتبة الأسدي، مكة المكرمة، ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ص ٩٤-٩٥.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: أجناس.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: يكونون.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: شئونهم.

(٥) البيتان للقاضي عبد الوهاب بن علي المالكي، انظر: إسماعيل ابن كثير، **البداية والنهاية**، ١٥/ ٦٤١؛ خير الدين الزركلي، **الأعلام**، ٤/ ١٨٤-١٨٥. وفيهما أنَّه قالهما في بغداد.

بَـغْـدَادُ دَارٌ لِأَهْـلِ الْـمَـالِ طَـيِّـبَـةٌ   وَلِـلْـمَـفَـالِـيـسِ دَارُ الـضَّـنْـكِ وَالـضِّـيـقِ
ظَلَلْتُ حَـيْـرَانَ أَمْـشِـي فِـي أَزِقَّـتِـهَـا   كَـأَنَّـنِـي مُـصْـحَـفٌ فِـي بَـيْـتِ زِنْـدِيـقِ

(٦) كذا في الأصل، والصواب: المروءة.

(٧) أي أساءوا إليهم.

كان ضيف اللام[١] غير مثل ذلك الإكرام، وأحوال أهل جدة مشهورة مِن قديم الزمان عندساير[٢] أهل البلدان، سرقة وخيانة وجحدٌ ولا أمانة، قد أسْبكوا أنواع المخازي سَبْك[٣]، وشهرتهم أعظم مِن شهرة قِفَا نَبْك[٤]، لهم وُجُوهٌ كالقفا مسطوحة مثل حجر الصفا، ومِمَّن يصدر مثل هذا / ق٢٦٨/ الكلام، غير مِن أنزلهم وأرذلهم حاشا من تحاشا، وحفظ سنان لسانه وما راشا؛ فهو مُبَرَّأ مِمَّا أقول، وليس يواخذ[٥] بِمَا فعله الجهول، ولم ترَ فيهم غير حمَّال أو عتَّال، أو سمسار أو كيَّال، أو حوات وبحري وملاَّح، غير بيت محسنه، ومستحي وفلاح، أو عشَّار، أو مكَّاس، وغالبهم على هذا القياس؛ فقد أخبرني مِن جَاورهم مُدَّة سابقة: أنَّ كُلّ زوجة للأسفال مِن بعلها طالقة؛ لِكَوْنهم ما يَتَوَقَّفُونَ في الحلف بالطلاق، ولا يقفون على عهد وميثاق، ولمَّا نزلتها في حدود الماتين[٦]، جعلت فيها قصيدة لم يحضرني مِنْها إلا بيتين اثنين[٧]، وهُمَا قولي:

أَقُولُ لِلْعَطَّارِ فِي جُدَّة
يَوْمَ شِتَاءٍ بَرْدُهُ قَدْ وَقَد

هَلْ عِنْدَكَ مِن نَخْوَة
فَقَالَ: مَا عِنْدِي وَلاَ فِي الْبَلَد

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: اللئام.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: سائر.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: سبكًا.

(٤) **قِفَا نَبْكِ**: قصيدة طويلة مِن العصر الجاهلي، للشاعر امرئ القيس بن حجر ابن الحارث الكِنْدي اليمني (١٣٠-٨٠ ق.هـ/ ٤٩٦-٥٤٤م)، والتي أولها: قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ ومَنْزِلِ. وهي إحدى أشهر المُعَلّقات السبع، والتي قيل: إنَّها كُتِبَتْ بماء الذهب، وعُلِّقتْ على الكعبة، ونالت شهرة واسعة في الآفاق. الحسين بن أحمد الزوزني، **شرح المعلقات السبع**، الدار العالمية، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، ص ٦ وما بعدها.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: يؤاخذ.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: المائتين. يعني عام ١٢٠٠هـ/ ١٧٨٦م.

(٧) كذا في الأصل، والصواب: بيتان اثنان.

اعْلَمْ أنَّ أهل مكة لمَّا نزلوا جدة، عسر منعهم عن الدخول، حضرة الوزير الكبير، الماجد الخطير، صاحب الرأي والتدبير، عين رجال الدولة، وصاحب الفتوة والصولة إبراهيم أغاه دام مجده وعلاه، فقفل دونهم الباب وتركهم وانساب، وسوف يكون له شأن مِن هذه الأسباب، وتركهم فباتوا بأجمعهم تحت السور.

وهذه على أهل مكة مِن عجايب[1] المقدور، تعابا جياع عطاش، ملتحفون بالغبار، والتراب لهم فراش، وأهل جدة على السور متعلقون، وعليهم ينظرون وبهم يسخرون، وإذا طالبوهم إناءً فيه يأكلون، يُراؤن ويمنعون الماعون، فباتوا بقلب وجيع، والجوع لهم ضجيع، إلا مَن له معرفة بأحد مِن أهل مكة أو ذو ودّ قديم، يُدلِّي له العيش والتمر بالحبال أو بلا حريم، حتى نشر الصباح راياتِهِ، وأوضحت الشمس كُلّ جهاته، فتح لهم الباب وأذن لهم بالدخول، وبهذه وردت الأخبار مِن جدة وصحَّت النقول، وخرج أهل جدة يَتَفَرَّجُونَ، فتسببت الأسباب وحصل الازدحام على الباب، وداس أهل مكة على اثنين مِن أهل جدة وماتوا بالمداس، وحملوهم في الحال على الراس[2]، رحمهم المُتَعَال الذي أبدى لأهل مكة الكرامة في الحال.

[قصيدة الشيخ محمد البَنَّانِي في أحوال مكة وأهلها]

فقال فيهم أحد الشعرا[3] بأُمِّ القرى، عين ما وقع بلا افترا[4]، فما قاله الجَمَال - مَنْ هو بحب أهل مكة وأهلها فَانِي - الشيخ محمد بن محمد بن محمد عربي البَنَّاني[5] فيما وقع عيانًا / ق٢٦٩/ :

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: عجائب.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: الرأس.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: الشعراء.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: افتراء.

(٥) **محمد بن محمد بن محمد عربي البنَّاني**: محمد بن محمد بن محمد العربي ابن عبد السلام ابن حمدون البَنَّاني النفري المغربي الفاسي. ولد في فاس، ثم ارتحل إلى مصر وأخذ عن =

إِلَـى اللَّـهِ أَشْكُو مَا أَصَابَ مِنَ الضُّرِّ
وَمِنْ سُوءِ حَالٍ حَارَ فِي شَأْنِهِ فِكْرِي

صَبَرْتُ وَلَكِن فَرَّ صَبْرِي مِنَ الضَّنَا
عَلَى مَكَّةَ الْغَرَّا وَمَا حَلَّ مِنْ نَكْرِي

أَتَاهَا ابْنُ شُكْبَانَ اللَّعِيْنِ بِقَوْمِهِ
مَعَ الخَايِنِ الْمُرْتَدّ عُثْمَانَ ذِي الْكُفْرِ

أَنَاخُوا بِسَاحَاتِ الْوقُوفِ رِكَابَهُمْ
أَوَايِل ثَانِي أَشْهُرِ الحَجِّ للحَصْرِ

يُرِيدُونَ قَطْعَ القُوتِ مِن كُلِّ مَسْلكٍ
لِجِيْرَانِ بَيْتِ اللَّهِ بِالخَتمِ وَالقَهرِ

فَكَمْ قَدْ أَثَارُوا فِتْنَةً حَوْلَ مَكَّةَ
وَكَمْ قَتَلُوا مِن مُسْلِمٍ مُعْلِنِ الذِّكرِ

وَقَدْ هَدَمُوا بُنْيَانَ عَيْنِ زُبَيْدَةَ
وَسَدُّوا مَجَارِيهَا وَنَاهِيكَ مِن وِزرِ

أَقَامُوا عَلَى تِلْك الخَبَايِب مُدَّةً
تَنُوفُ عَلَى عَشْرٍ خَلَونَ مِنَ الشَّهْرِ

= علمائها مثل عبد اللَّه الشَّرقاوي، والشَّنواني، ثم ارتحل إلى مكة المكرمة وتديَّرها، ثم تولى إفتاء المالكيَّة فيها، وقد كان أديبًا ماهرًا، ناثرًا ناظمًا، مِن مؤلفاته: «شرح صحيح البخاري» في ثلاثة عشر مجلدًا، و«شرح على متن بدء الأمالي»، و«حاشية على مختصر السعد»، و«حاشية على جمع الجوامع»، مات في مكة ربيع الآخر ١٢٤٥هـ/ أكتوبر ١٨٢٩م، ودُفِنَ بمقبرة المَعْلَا. عبد اللَّه مرداد أبو الخير، **المختصر مِن نشر النور**، ص ٤١٢-٤١٣؛ عبد الحي الكتاني، **فهرس الفهارس**، ١/ ٢٢٩-٢٣٠؛ عبد الستار الصديقي البكري، **فيض الملك الوهاب**، ص ١٣٧٤-١٣٧٥.

وَمِـن بَـعْـدِهَـا شَـادُوا وَسَـارُوا بِـأَسْـرِهِـمْ
إِلَـى مَـهْـبِـطِ الْـوَادِي مُـذِيـعِـينَ لِـلشَّرِّ
فَـصَـدُّوا عَـن الـبَـيْـتِ الْـحَـرَامِ وُفُـودَهُ
لِـمَـنْ جَـاءَهُ لِـلـحَـجِّ بِـالْـقَـتْـلِ وَالأَسْـرِ
وَقَـد حَـلَّـلُـوا مَـا حَـرَّمَ الـلَّـهُ مِـن دَمٍ
وَمِـن نَـهْـبِ مَـالٍ بِـالْـقِـتَـالِ وَبِـالْـغَـدرِ
وَقَـدْ حَـرقَـوا نَـخْـلاً هُـنَـالِـكَ مُـثْـمِـرًا
وَسَـدُّوا عُـيُـونًـا جَـارِيَـاتٍ كَـمَـا الـنَّـهرِ
وَكَـم خَـالَـفُـوا أَمْـرَ الـرَّسُـولِ مُـحَـمَّـدٍ
عِـنَـادًا وَمَـا خَـافُـوا مَـخَـافَـةَ الأَمْـرِ
وَعَـمَّـا قَـرِيـبٍ تَـنْـظُـرُونَ إِلَـيْـهِـمُ
صِـرَاعًـا بِـإِذْنِ الـلَّـهِ فِـي الـمَـهْـمَـةِ الـقَـفْـرِي
وَكُـنَّـا نُـرجِـي نَـجْـدَةً وإِغَـاثَـةً
مِـنَ الْـبَـاشَـةِ الـشَّـامِـيِّ وَعَـسْـكَـرِهِ الـعُـجْـرِي
وَلَـكِـنَّـهُ لَـمَّـا أَتَـاهُـمْ بِـجَـيْـشِـهِ
تَـخَـوَّفَ مِـنْـهُـمُ خِـيْـفَـةَ الـفَـأرِ مِـن هِـرِّ
فَـرَامُـوا جِـهَـارًا أَنْ يَـصُـدُّوهُ حَـسْـرَةً
عَـن الْـحَـجِّ لَـكِـنْ لَـمْ يَـكُـنْ نَـحْـوَهُـمْ يَـسْـرِي
فَـجَـاء بِـلَـيْـلٍ مِـن طَـرِيـقٍ سُـوَى الَّـتِـي
تَـمُـرُّ عَـلَـى الْـقَـومِ الـخَـوارِجِ بِـالـخَـتْـرِ/ ق٢٧٠/
وَخَـاطَـبَـهُ تَـاجُ الأَمَـاجِـدِ غَـالِـبٍ
عَـلَـى أَنْ يَـسِـيـرَ بِـالْـجِـيُـوشِ لَـهُـمْ تُـفْـرِي

فَأَذْعَنَ مَكْرًا ثُمَّ سَارَ بِجُنْدِهِ
إِلَى الزَّاهِرِ المَعْرُوف عِنْد بَنِي العَصْرِ
وَخَالَف أَمْرًا كَانَ لِلدِّينِ نُصْرَةٌ
وَأَظْهَرَ مَا أَخْفَاهُ مِن سَيِّئِ الْمَكْرِ
وَعَاهَدَ أَهْلَ الْكُفْرِ أَنْ لَا يَنَالَهُمْ
بِحَرْبٍ وَمَاءُ الْخِزْيِ فِي وَجْهِهِ يَجْرِي
تَنَمْرَدَ حَتَّى خَانَ دِيْنَ مُحَمَّدٍ
وَمَن خَان دِيْنَ اللَّهِ بَشِّرْهُ بَالجَزْرِ
وَمَاذَا عَلَيْهِ لَو أَطَاعَ مَلِيْكَنَا
وَأَيَّدَ دِينَ اللَّهِ بِالْفَتْحِ وَالنَّصْرِ
وَلَكِنَّهُ مِن جُبْنِهِ وَشَقَائِهِ
تَقَاعَسَ مِن خَوْفٍ عَلَى نَفْسِهِ شَهْرِي
وَأَرْسَل لِلكُفَارِ يَطْلُبُ مِنْهُم
أَمَانًا فَأَعْطَوهُ الأَمَانَ بِلاَ جَبرِ
عَلَى أَنَّهُ يُعطِيهِمْ المَالَ جِزْيَةً
فَأَعْطَى الَّذِي رَامُوهُ بِالْخَوفِ وَالذُّعْرِ
فَسَارَ عَيَانًا نَحْوَ ذِمَّتِهِمْ وَلَمْ
يَخَفْ سَطْوَةَ السُّلْطَانِ مِن فِعْلِهِ المُزْرِي
فَوَاللَّهِ لَوْ كَرَّ الجُيُوشِ عَلَيْهِمُ
لأَسْقَاهُم كَأْسَ الصَّوارِمِ والسُّمْرِ
وَلَمْ يُبْقِ مِنْهُمْ وَاحِدًا غَيرَ هَارِبٍ
عَلَى وَجهِهِ فِي الأَرْضِ مِن حَيْثُ لَمْ يَدْرِ

وَلَكِنَّه قَدْ ضَلَّ عَن سُنَنِ الهُدَى
لَهُ الوَيْلُ وَالْخُسْرَانُ فِي مُدَّةِ الدَّهْرِ
وَلَا بُدَّ مَا تَأْتِي مِن اللَّهِ نُصْرَةٌ
فَتَهْدِمُ أَرْكَانَ الضَّلَالَةِ وَالخُسْرِ
عَلَى يَدِ فَخْرِ المُلْكِ غَالِبٍ الَّذِي
تَقَمَّصَ جِلْبَابَ الهِدَايَةَ وَالفَخْرِ
وَمَا كَانَ مِن أَمْرِ الْخَوارِجِ أَنَّهُمُ
أَقَامُوا إِلَى شَهْرِ الْمُحَرَّمِ للعَشْرِ
وَمِن بَعْدِ عَشْرٍ فِيْهِ سَارَ جَمِيعُهُمْ
سِوَى نَفَرٍ بَقَوْهُم دَاخِلِ الْقَصْرِ/ ق٢٧١/
أَرَادُوا بِهِمْ قَطْعَ الطَّرِيقِ لِمَنْ أَتَى
لِمُلْكِهِ بِالأَقْوَاتِ كَالسَّمْنِ وَالبرِ
وَقَد حَلَّ فِي أُمِّ الْقُرَى القَحْطُ وَالغَلَا
بِكُلِّ الَّذِي يَقْتَاتُ للنَّاسِ وَالظَّهْرِ
وَكَانَ لنَا فِي القُوتِ شَأْنٌ وَطَالَمَا
طَلَبْنَاهُ حَتَّى لَمْ نَجِدْ سُوَى النَّذْرِ
وَبَعْضُ أُنَاسٍ لَمْ يَنَالُوا لِقُوتِهِمْ
سِوَى اللَّحْمِ أيَّ شَيءٍ مِن الدّخْنِ أَوْ تَمْرِ
وَأَكْثَرُ مَا فِي مَكَّةَ الآنَ مُعْدَمٌ
وَذُو عِيلَةٍ قَدْ ضَرَّهُ شِدَّةُ الفَقْرِ
وَكَم مِنْ أُنَاس أَهْلِ مَجْد وسُؤْدد
جِيَاعًا يَبِيتون اللَّيَالِي مِن الْقترِ

وَأَكْثَرهم بِالبَخْسِ بَاعَ أَثَاثه
وَفَضَّل أَكْلَ الْبُرّ عَن ملبس الدُّرِ
مَكَثنا عَلَى ذِي الحَال خَمسَة أَشْهُر
وَنَحْن نَدِين اللَّه بِالحَمْدِ وَالشُّكْرِ
جَزَى اللَّهُ خَيْرًا أَهْلِ مَكَّةَ أَنَّهُم
بِحسن الرَّجَا قَامُوا عَلَى قَدَمِ الصَّبْرِ
وَمَا جزعوا يَوْمًا بِمَا قَدْ أَصَابَهم
وَمَا ضَجَرُوا مِن شِدَّةِ الْقَحْطِ وَالأَسْرِ
وَلِمَ لاَ وَهُمّ جِيْرَان بِيْت مُعَظَّم
وَفَازُوا بِرِضْوان الْمُهَيْمِن وَالأَجْرِ
وَلَو شَاهَدتْ عَيْنَاك حَالَة عيشهم
لَذبت أَسًى مِمَّا عَرَاهم مِن الْعُسْرِ
فَيَا عَيْنُ جودي بِالبُكَا محزنًا
عَلَيهم وأجري عرة الدَّمْع كَالْبَحْرِ
وَيَا نَوم جِفْنِي لاَ تَعُود وَخَلّنِي
أراعي السُّهَا طول اللَّيَالِي إِلَى الْفَجْرِ
وَيَا مُهْجَتِي ذُوبِي جَوى وَتَصَدَّعِي
عَلَى سَاكن الْبَيْت الْحَرَام مَدَى الْعُمْرِ
وَقَد زَاد قَلْبِي حُرْقَة أَنَّ بَعْضَهم
لِجُدَّة سَارُوا وَالْفُؤاد عَلَى جَمْرِ / ق٢٧٢/
وَمَا قَصْدهم إِلاَّ إِقَامَةَ أَشْهُر
لأَجْل رَخَاء الْقُوت فِيْهَا وَلِلْيُسْرِ

فَقَابلهم مِنْ جَهْلِهم أَهْل سُوقهَا
بِشَتْم شَنِيع فِي العيَان وِفِي السِّرِّ

وَقَدْ عيروهم بالْغَلا وَيْح أُمّهم
أَمَا إِنَّه مِمَّا قَضَى اللَّه ذُو القسْرِ

فَعَار عَلَيكم أَهْل جُدَّة مَن أَتَى
إِلَيْكم يبادئ بالشَّتِيْمَة والدَّحْرِ

ألا فَأخبِرُونِي هَل تَرون جَوازه
وفي أيّ دِيْن جَاء فِي مُحْكم الذِّكرِ

فواعَجَبًا من سَبهم وَسُكُوتهم
لهم يَا أُولِي الْعَلْيَاءِ والْفَضْلِ وَالْبرِّ

فَمَا بَالكَم لم تمنعوهم مِن الأَذَى
لِجِيْرَان بَيْتُ اللَّه بالكفّ والزَّجْرِ

أَمَا لَهُم حَقّ الجُوَار عَلَيْكم
وَأَنَّ لَهُم فَضْلاً يجل عَن الحَصْرِ

وَيَا لِمَال مَا تَأْتون مَكَّة أَشْهُرًا
تقيمون فِيْهَا مَا ترون سُوى الْبشرِ

وَلَيس لَكَم عَنَّا غِنَى مَا بقيتمُوا
وَعَن كُلّ مَا يجيء إِلَيْها بِلاَ حَجرِ

وَلَم تَسْمَعُوا مِن أَهْلها مَا يسوءكم
وَمَا قَدْ رَأَيْتم مِنْهم النَّقص فِي القَدرِ

وَكَم أَظْهَرُوا ودًّا لَكَم وَمَحَبَّة
وَأَنْتم بِمَا قَد قُلت أَعرف بِالْخَبرِ

وَاسـئل رَبَّ الْعَرْش سِرًّا وَجَهْرة
بِجَاه الْمرجّى الْمُصْطَفى صَفوة الطّهرِ

يفرّج هَذَا الْكَرب عَنَّا وَعَنْكم
وَيكشف هَذَا السُّوء مِن حَيْث لاَ نَدْرِي

وَيُهلك نَجْدًا وَالْخَوارج كُلَّهم
وَيرميهمُ المَولَى بِقَاصِمَةِ الظَّهْرِ

وَيرسل أَنْواع الْعَذَاب عَلَيْهم
بِبَطشته الْكُبْرَى السَّرِيعة وَالْقَهرِ

فَيَا ربِّ يَا رَحْمَنُ أَصْلِحْ قُلُوبَنَا
وَأَنْزل عَلَيْنَا الْغَيْث مِن صَيِّبِ القَطْرِ

وَكُن عَونَنَا وَانْظر إِلَيْنَا بِرَحْمَة
تَعُمّ الوَرَى مِن رَوْحِهَا طيب النَّشْرِ / ق٢٧٣/

وَصَلّ وَسَلّم ما أَلَقَ بَارق
عَلَى الْمُجْتَبى طَه المشفع فِي الحَشْرِ

مَع الآل وَالأَصْحَاب مَا قَال قَائل
إِلَى اللَّه أَشْكُو مَا أَصَاب مِن الضُّرِّ

وأمَّا ما كان مِن القافلة؛ فأقامت بجدة ثلاثة أيام، وتَوَجَّهوا لحمى البيت الحرام، واسقين[1] الأحمال، وعلى حاله أجرة الجمال، وكان وصولهم يوم

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: وَاسقي.

الثلوث[1] سابع الشهر المذكور[2].

[غزية قوات الشريف على بني لِحْيَان السلفيين]

وفي ليلة الخميس تاسع شهر صفر[3] الخير، أرسل صاحب الترجمة لا زال قدره مُصَان[4] غزية خيل وركاب على قبيلة يقال لها: بَنِي لِحْيَان تابعوا الشقي في دينه، ووردوا بحر الفجور وشربوا مِن معينه، وكانوا نازلين بشعب مِن واد الطرفا قريب يُسَمَّى شعب الذيب، فقتلوا ثلاثة مِن أولئك المارقين، وأخذوا مِن إِبِلهم نحو الخمسين، وأظنّ أَنَّ بقيتهم حُذّروا، وعندما سمعوا سنابك الخيل تَولُّوا واستكبروا، ودخلوا بالخيل عصر الخميس بالمغرة والنواميس.

وكان أمير هذه الركبة أسد الهيجاء وليث العرين، وسليل علي الأنزع البطين، البطل المقدام، والباتر قرن قومه بماضي الحسام، مجلي النوايب يوم الصدام، ومثير الغارات وحامل الرايات لدى الهجام، عربي الطباع الذي شاع ذكر نزاله وذاع، الشجاع ابن الشجاع، الفاتك السياف، وصفوة آل عبد المطلب ابن عبد مناف، مولانا السيد راجح ابن عمرو الشنبري.

[غزية قوات الشريف على السادة المُنَاعِمَة]

ثم أعاده ثانيًا بِمَن لديه مِن سراة الخيل، الذين جَرَّعُوا الأعادي يوم النزال كاس[5] الويل، ومِن الرماة الكماة، المُصيبين الطير في جوّ سماه، قفزوا على السادة المُنَاعِمَة، ومعهم جانب مِن المطارفة، مُنحازين عن

---

(١) أي الثلاثاء.

(٢) ٧ صفر ١٢٢٠هـ/ ٦ مايو ١٨٠٥م.

(٣) ٩ صفر ١٢٢٠هـ/ ٨ مايو ١٨٠٥م.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: مُصَانًا.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: كأس.

الخير وعلى الشر عاكفة، فصكهم صكة عمى، وترك أطفالهم ينعون في كُلّ حي، وأخذ الممكن مِن مواشيهم وحلتهم، ووَلُّوا مُدبرين على دينهم وملتهم.

[قوات الشريف تهاجم حصن السلفيين في وادي فاطمة]

وفي ليلة سادس الشهر(١) الأغر، جهز واسطة عقد السادة الحَسَنِيَّة، والهِمة العليَّة المُعْتَصِميَّة، الذَّاب بصارم عزمه عن إقليم الحجاز، والنايف(٢) على عصابة الكفر يوم البراز، ركبة متمّمة الاستعداد، مُكملة المَهَمَّات على وجه السداد، ومعها مِن الأبطال، وليوث النزال، الكُمَاة الحماة، الذي(٣) لا يحاول معهم يوم النزال، صفوة الصادقين / ق٢٧٤/ معه مِن بني عَمّه، قذاء عين العدو ووسمه، موالينا السادة الأشراف، المتصل نسبهم إلى عبد مناف، وفيها مِن عساكر الأروام، المجيدين وقع المتقن والحسام، والمجملة يوم التصادم القتام، والباترين الهام(٤) يوم الصدام، ومعها جميع العساكر مِن جميع الأبلاك(٥)، مُلاَّك الحصون يوم التصادم والعراك، ومعهم بقية مراجله وعبيده، الطاعنين العدوَ مِن خلفه، إذا رام طعنهم في وريده.

وأصحب معهم القنبرة والمدفع الكبير، الذي لا يمكن مسيره بدون

---

(١) يبدو أنَّها ليلة سادس عشر ١٦ صفر ١٢٢٠هـ/ ١٥ مايو ١٨٠٥م؛ لأنَّ سياق الأحداث السابقة واللاحقة تؤيد هذا التاريخ، كما أنَّ يوم ٦ صفر/ أوَّل مايو من العام المذكور كانت هناك قافلة قد خرجت إلى جدة تصاحبها قوة عسكريَّة للشريف، وليس من البدهي أنْ يفرِّق قواته إلى جدة والوادي ولا يبقي مِنْها في مكة مَنْ يُحافظ عليها ويحميها مِن المتربصين بها.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: النائف.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: الذين.

(٤) **الْهَام**: جمع الْهَامَة، وهو الرأس.

(٥) **الأَبْلَاك**: جمع بلك و بلوك. مِن التركية بولمك يعني القسم أو الفوج. وهو اصطلاح مِن العهد العثماني، يقصد به وحدة عسكريَّة تختلف مِن حيث عدتها وعدد أفرادها باختلاف الأنظمة والتشكيلات العسكريَّة. أحمد السعيد سليمان، **تأصيل الدخيل**، ص ٤٤؛ مصطفى الخطيب، **معجم المصطلحات**، ص ٨٥-٨٦.

ثلاثين بعير[١]، فتَوَجَّهُوا في سلامة اللَّه تعالى بِهِمَّة ذلك الهُمام، ورايات السعد تخفق خلفًا وأمام[٢]، وساروا ومرسلات النصر طالعها بالفتوح عَمَّ، وعَبَسَ وجه الكافرين المُنافقين، عندما أقبلوا على قرية المَدْرة، ولم يمنعهم خال وعم، ففرّوا[٣] أولئك [إلى][٤] حُصُونهم، وظَنُّوا أَنَّها تقيهم وتصونهم، وتلوا آية القتال وهُم في البروج، وجزموا بالموت وأيقنوا أنْ لا خروج، حِيْن شافُوا[٥] المدفع الكبير، أحاطوا بحصنهم الحصين، وتَمَكَّنُوا مِنْه غاية التَّمْكِين، واستدارت الكماة والرماة بالسور المذكور وحماه، فسلَّم المدفع وتكلَّم، وهَمْهَمَ وبَلْضَمَ، ورعد وبرق، وفتح كُوَّة في السور وخرق وثَنَّى وثَلَّثَ[٦]، وهدم جانبًا وتعبث، فطاب شغله وجاد فعله، ولمَّا علموا أَنَّه يقوم بالمقصود، اكتفوا بفعله دون الجنود، وصاروا يُشَاغلونهم به ليلاً ونهار[٧]، ويعقب فيهم ويلاً ودمار[٨]، وكُلّمَا رمى ولج، وكُلّما ولج لَجَّ، ومهما لَجَّ الغبار عَجَّ، وكم فشل وقُتِلَ، وقرب مَن دنا مِنْه الأجل.

[وصول مساعدات للسلفيين بالحصن مِن بني لِحْيَان وبني مَسْعُود]

ولمَّا مَضَى مِنْهم ثلاثة أيام، جاءهم بنو لِحْيَان نجدة للوهابيين اللام[٩]، فحملوا[١٠] عليهم عساكر الشريف وفزعوا، وصعدوا خلفهم الجبال وما فزعوا، ونزلوهم أربى مِن تلك المهامه والهضاب، وقنعوا مِن الغنيمة بالإياب، ورجعوا لِمَتَارِسِهِم مُحيطين بالسور، والمدفع يَقطف زهرة أعمارهم كما

(١) كذا في الأصل، والصواب: بعيرًا.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: أمامًا.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: ففرّ.
(٤) وضعت كي يستقيم النصّ.
(٥) أي رَأَوْا.
(٦) أيّ أنَّهُم كَرَّروا الضرب بالمدفع على السور مرة ثانية وثالثة.
(٧) كذا في الأصل، والصواب: نهارًا.
(٨) كذا في الأصل، والصواب: دمارًا.
(٩) كذا في الأصل، والصواب: اللئام.
(١٠) كذا في الأصل، والصواب: فحمل.

تُقْطف الزهور، ثم أرسل لهم صاحب الترجمة مدفعًا آخر على هذا المدفع، فتضاعفت الفايدة[١] وزاد النفع.

وفي هذه الأثناء جاءت قبيلة مِن اللام[٢] هُذَيْل الشام يقال لها: بني مَسْعُود، تريد الدخول إلى الحصن إعانة لهؤلاء اليهود، فمنعوها مِن الدخول وحصل بينهم القتال، وصاروا يطردون خلفهم في تلك الجبال؛ فأصِيب واحد مِن عبيد صاحب الترجمة، وقُتِلَ جماعة / ق ٢٧٥/ مِن أولئك في هذه الملحمة، ورجع إلى مُخَيَّمهم الجُنود، بعد أنْ شَتَّتُوا بني مَسْعُود.

[السيد ماضي بن سُليمان ينضم إلى السلفيين]

وفي ليلة الأحد خامس ربيع[٣]، شرد السيد ماضي بن سليمان المُتَقَدّم ذِكْره، عندما أخطأ وفِيْه ساء فكره، ودخل عند الوهابيين في قصرهم المقصور، وزاد في التقصير والقصور، وما أراه إلا مِن غفلته وجهله، أو أنَّه أُصِيب في عقله، والناس صنفان في أمره بين مادح وقادح، وغاد في قضيته ورايح[٤]؛ فَمِنْهم مَن يقول: إنَّما فعل ذلك باطّلاع صاحب الترجمة لأمر يقتضيه، وإلا فالخيانة ليست له بسمة، واسْتَدَلُّوا بكتاب أرسله إلى الحصن خلفه؛ ولأَمْرٍ مَا جَدَع قَصِيْرٌ أَنْفه[٥]. ومِن قائل: إنَّ الرجل قلبه بالخوف كالظبية[٦] النافِرَة، وفي الجبن والفزع أخوف مِن صَافِرة[٧]، وكُلّمَا رأى جهة أقوى مِن الأُخرى، نفر إليها وفَرَّ، ولسان حاله وقاله يقول: هُنا المقرّ. ومِنْهم مَن يقول: ثَبَت على دين الوهابيين، الذين

(١) كذا في الأصل، والصواب: الفائدة.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: اللئام.
(٣) ٥ ربيع الأوَّل ١٢٢٠هـ/ ٢ يونيو ١٨٠٥م.
(٤) كذا في الأصل، والصواب: رائح.
(٥) يُضرَبُ للشيء الذي يكون وسيلَةً لأمر مَسْتور.
(٦) الظَّبْيَةُ: الغزال. ابن منظور، لسان العرب، ١٥/ ٢٣.
(٧) صَافِرَة: كُلُّ مَا لاَ يَصِيدُ مِنَ الطَّيْرِ. ابن منظور، **لسان العرب**، ٤/ ٤٦٤.

لا يَثْبتُونَ على عهد ولا يَتَدَيَّنُونَ بدين، واسْتَدَلُّوا بالمثل القديم الذي كالشمس يشرق؛ إنَّ الطبع السَّليم يسرق. وأنا أقول: إنِّي ما وقفت على حقيقة هذا الرجل ولا عرفت مداه، واللَّه سبحانه وتعالى أعلم بحقيقة أمره، ويُحيط بفعله مولاه، إلا لمَا كنت أمدحه ثم أذمه، وأهوي به وأضمه، وستتضح لنا حقيقته، ونعرف طريقته.

[عودة لأحداث حصار حصن السلفيين في وادي فاطمة]

وفي صبيحة هذه الليلة يوم الأحد، هجم العساكر على الحصن وكبسوا، ووصلت تحت سوره وتَرسُوا، وحملوا معهم الأخشاب ليجعلونها[1] جسرًا يمرون بها الخندق، ليتصلوا بسببها لأعداء الحَقّ؛ فقصرت الأخشاب عن الخندق وما طالت، ووقع الرد ولم تصح المسألة وعالت، وعادوا بعد أنْ أصابوا مِن الوهابيين نحو خمسة أشخاص، وجرح مِن الترك نحو [......][2] والجروح قصاص، وأمَّا الترك الذي[3] هجموا على باب السور، فقد وصلوا إليه بغير توانٍ ولا قصور، ووجدوا مِن الوهابيين جالسين على بابه نحو العشرة، قتلوا مِنْهم ستة وفرّوا[4] أربعة إلى السور كالحمر المستنفرة، ثم عاد عسكر مولانا الشريف إلى الخيام، وما تمَّ لهم المرام.

فلمَّا بلغ الخبر إلى الجناب الخطير أمرهم بإرسال المدفع الكبير وأرسل حاكمه الشهاب أحمد بن مثقال ومعه نحو الماتين[5] مِن شُبَّان أهل مكة مسلحين للقتال فجاءوا به إلى مكة على نحو خمسين جَمَل[6] مُدَّة سيره في الطريق خمسة أيام /ق٢٧٦/ وانكسر العَجَلُ.

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: ليجعلوها.
(٢) بياض بمقدار كلمة.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: الذين.
(٤) كذا في الأصل، والصواب: وَفَرّ.
(٥) كذا في الأصل، والصواب: المائتين.
(٦) كذا في الأصل، والصواب: جَمَلًا.

[وصول مُساعدات للسلفيين المُحَاصَرِين في الحصن]

والرتبة على حالها مقيمة بقرية المَدْرة، محيطة بالسور قوة ومقدرة، إلى حادي عشر شهر ربيع الأوَّل[١] يوم الأحد، وصلت نجدة مِن عصابة البغي والعدوان، أرسلها لهم أشقى الثقلين عثمان، عدد هؤلاء الأجلاف نحو الثلاثة آلاف، وخيلهم نحو الماتين[٢] بقول المُخبرين، فأخذت الرتبة غاية حذرها، وفطنت لعاقبة مكرها، وجعلوا متارس في الخرابات التي بقرب المَدْرة ونغصة، واغتنموا قبل ملاقاتهم الفرصة.

فلمَّا أقبلوا صبيحة اليوم المذكور، وكادت رَحَى الحرب تدور، جاوا يرتجزوا[٣] ويرتقصوا، ويتزايدون لينتقصوا، حتى كاد يلتحم بعضهم ببعض، وينشال أحد الجانبين وينقض، فسلموا عليهم بفم المدفع، وضربوهم به وترًا وشفع[٤]، وكُلّمَا صعدوا على تلك المتاريس، تصعدت أرواحهم بنار التنكيس، فيرجعونهم القهقرة في تلك البطاح، فإذا وصلت سراة خيلهم يسوقونهم وخزًا بالرماح.

وما زالت جمرة الحرب تتزايد في الاستعار، والقتل المبرح واقع[٥] بهم إقبالاً وإدبار[٦]، حتى هزم النهار، فانحاز كُلّ فريق إلى جهة، والأمُور مع عسكر صاحب الترجمة متجهة؛ أسفر الأمر عن انكسارة شوكة المُلحدين أعداء الدين، وقتل مِنْهم نحو المائة والخمسين، ولم يُقْتَل أحد مِن جماعة الشريف، بل أُصِيب واحد في يده صوابًا خفيف[٧].

(١) ١١ ربيع الأوَّل ١٢٢٠هـ/ ٨ يونيو ١٨٠٥م.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: المائتين.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: جاءوا يرتجزون.
(٤) كذا في الأصل، والصواب: شفعًا.
(٥) كذا في الأصل، والصواب: واقعًا.
(٦) كذا في الأصل، والصواب: إدبارًا.
(٧) كذا في الأصل، والصواب: خفيفًا.

[رفع الحصار عن حصن السلفيين والعودة إلى مكة]

فأقام عسكر الشريف إلى أنْ أزهرت النجوم، وغدت الشياطين عليهم بالشهب رجوم[١]، أشار عليهم بعض مَن لم يعرف الحروب بالشّوْر الفَطِير[٢]، وليت شعري لو كنت أعلم بهذا المشير، فقال لهم: يا قوم قد تم لنا الغلب، وطاب لنا حسن المُنقلب، فنفوز بالرجوع قبل نفود الزاد واستيلاء الجوع، ونقنع مِنْهم بِمَا وقع قبل إدراك الفزع، فصغوا لهذا القول، وما علموا أنَّ الرد ضد العول، ولعمري إنَّها مَشُورة ذلّ وندم، كشورة إبليس اللعين على أبينا آدم، فأطاعوا ذلك المشير وارتحلوا، وأدركتهم خيل الوهابيين قبل أنْ يصلوا.

فلمَّا أحَسُّوا بسنابك الخيل في عتمة الليل، فَرَّ بعض المشاة والركبان، وثبت بعض المشاة والفرسان، فوقعت بينهم الملحمة، وجَرَّع كُلّ فريق صاحبه كاس[٣] الحمة، رمى عبيد صاحب الترجمة عليهم كشحة مِن الرصاص، فلم يجدوا بغير /ق٢٧٧/ الشردة خلاص[٤]، ثم حمل عليهم بعض الخيل المضمرة، حتى وصلوا إلى حصن المَدْرة، فاتضح الأمر وأسفر عن فرار كُلّ فريق، وانهزام الوهابيين إلى حصنهم بيأس الريق، ومات مِن عسكر الشريف ما يزيد عن العشرة، ومات مَنْ له شهرة مِن الوهابيين ومِن سراة خيلهم المعدودين اثنان مِن أبناء عم عدو الدين، وروس[٥] الفجرة الملحدين، ولد عبد اللَّه المضايفي والآخر عبد اللَّه الفقر، ولقد حزن عليهما وحرق كبده القهر، ودلوا في حفرتهم مِن القبر، واثنان مِن مطاوعتهم الجُهَّال، المتصفين بالخسران والضلال، هذا ما بدا مِن قتالهم وما أمكن مِن إخفائهم للشهرة، وإلا فقد مات مِنْهم بكثرة، وقلع مِن خيل الوهابيين الجياد الأصايل خمسة

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: رجومًا.

(٢) الفَطِيرُ: كل ما أُعْجِلَ به قَبلَ نُضْجِهِ. يقال رَأْيٌ فطِير: خَطَرَ بالبَال وأُبْدِيَ بلا تثبّت. **المعجم الوسيط**، ص ٦٩٥.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: كأس.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: خلاصًا.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: رءوس.

مِن أنجب الكمائل؛ ووصلوا صبيحة يوم الاثنين ثاني عشر ربيع[١] إلى مكة المكرمة، وقَدَّمُوا الكحايل[٢] بين يدي صاحب الترجمة، وأضلوا المدفع الصغير في موضع العراك، ولم يذكروه إلا بعد ذاك.

[السلفيون يخضعون بني سفيان ثم هُذَيْل]

وفي ربيع الآخر[٣]، ورد خبر سالم بن شقبان حل الطايف[٤] بنحو خمسمائة مِن قومه أخسّ الأجناس الآدمية، وخرج لملاقاته الشقي عثمان بجانب مِن عدوان، وخَيَّمُوا بالقرب مِن جبال بني سفيان، فأرسل لهم بأنْ يدخلوا في دينه، ويكونوا مِن مُتمردين[٥] شياطينه، ويُهدّدهم بالعقوبة إنْ عقوه، والمجازاة بِمَا يَسْتَحِقُّوه[٦]؛ فخافوا إنْ لم يدخلوا يقاتلهم حتى يرحلوا، وارتعدوا بمجرد التهديد، حيث لم يكن فيهم رجلٌ رشيد، وهم مشهورون بنقص العقل والدين بالاتفاق، والأعراب أشدّ كُفْرًا ونِفَاق[٧]؛ فأطاعوه في الدخول، وما كانوا فيه قبل ذلك حلول[٨]، ولم يحسبوا لانقلاب الدهور وعواقب الأمُور، وأعقل الناس مَن لم يرتكب سببًا، حتى يميز ما تجني عواقبه.

فنبذوا عهود الشريف ونقضوا، ورموا رِبْقَة طاعته ورفضوا، وأرسلوا إليه مشايخهم ليعرفوا المطلب الذي يريد، فطوّق أعناقهم بالحديد، فتم له الدست على هذه التيوس، ودخلوا في دينه دين المجوس، ومع هذا فليس له عليهم تسلط ولا اقتدار، وكم قتلوا فيه ونهبوا مِن مواشيه مرار[٩]، حيث

---

(١) ١٢ ربيع الأوَّل ١٢٢٠هـ/ ٩ يونيو ١٨٠٥م.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: الكحائل.
(٣) ربيع الآخر ١٢٢٠هـ/ ٢٨ يونيو- ٢٦ يوليو ١٨٠٥م.
(٤) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.
(٥) كذا في الأصل، والصواب: مُتمردي.
(٦) كذا في الأصل، والصواب: يستحقونه.
(٧) كذا في الأصل، والصواب: نفاقًا.
(٨) كذا في الأصل، والصواب: حلولاً.
(٩) كذا في الأصل، والصواب: مرارًا.

تخلفت لهم حصون على الجبال المانعة، وفيها الماء والكلأ وبها الزروع طالعة، /ق٢٧٨/ لهم طرق لا يهتدي إليها القَطَا[١]، ولو سلكها الْخِرِّيتُ[٢] لأخطأ، لكنهم رضيوا بالدَّنِيَّة، وانحطاط الرتب العليَّة، كما قيل في التمثيل؛ وقد رضيت همتي بالدخول، ولم أرضَ بالرتب العالية.

فعندما تم له القصد، جمع مِنْهم الجَمّ الغفير مِن المال، وهو شرط في دخول دينه ويسميه النكال، فأعجب لهذا الشرط الذي في دينه، وكثرة ما فيه مِن المَظَالم؛ حيث لا يجوز للمُشْرك - بزعمه - إنْ أراد دخول دينه، إلا بأخذ شيء مِن الدراهم، فأخذ على كُلّ سفياني عشرين ريالاً وأخذ سلاحه، وعمد إلى طير قلوبهم وقصّ جناحه.

فعندما سمعت بذلك هُذَيْل، لهم اللعنة والويل، صَاحُوا ضجَّةً مِن الخوف صارخةً، فأيقنوا مِن الفزع أنْ تتخطفهم الطير وهم في جبال شامخة، ودخل في قلوبهم الرعب والفزع، وامتلأت أفئدتهم جبنًا وهلع[٣]، وأرسلوا له المراسيل راضين مِنْه بِمَا اشترط، ومع هذا لم يقاتلوه قط، وإلا فغيرهم مِن القبايل[٤]، لم يدخلوا إلا بعد شيء هايل[٥]، فحملوا النكال إليه مِن كُلّ فج، ودخلوا في دينه المعوج، ورفضوا المواثيق التي بينهم وبين الشريف، وسيشتمون عن قريب شيخهم منيف[٦].

تنبيه: اعلم أنَّه بِمُجَرَّد ما أخذ مِنْهم مال النكال، ومِن سلاحهم بالأحمال، ثبت عنده دخولهم في الإسلام، وأقرَّهم على حالهم لا يعرفون صلاةً ولا زكاةً، ولا حجًّا ولاصيام[٧]، وأكفاهم تسليم الدراهم دخولًا في دينِهِ، وصاروا

---

(١) القَطَا: جمع القَطَاة، طائر يعيش في الصحراء. سبق التعريف به.
(٢) الْخِرِّيتُ: الدَّلِيل الحَاذق بالدَّلالة في الطرق والمسالك. المعجم الوسيط، ص ٢٢٤.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: هلعًا.
(٤) كذا في الأصل، والصواب: القبائل.
(٥) كذا في الأصل، والصواب: هائل.
(٦) كذا في الأصل، والصواب: منيفًا.
(٧) كذا في الأصل، والصواب: صيامًا.

مِن جملة مُسْلِمينهُ، ثم قال لهم: أنتم قد صحّ إسلامكم، ورفعت في الخافقين أعلامكم، فقاتلوا أهل مكة المشركين حتى يدخلوا في هذا الدين، فانزلوا مِن جبالكم واسكنوا تِهَامَة، وحاصروا بلد اللَّه تعالى يمنه وشامه، وانزلوا على العَابِدِيَّة والحُسَيْنِيَّة وعرفة، وامنعوا الخيرات الواردة إلى [مكة[1]] المشرفة، وأقام على كُلّ قبيلة شيخها أميرًا على جماعته وأمره بالتبين في الدين والتجبر على المشركين وإظهار شجاعته، فعند ذلك أمر صاحب الترجمة ببناء أبراج في الحُسَيْنِيَّة؛ زيادة في تحصينها، وحماية لسُكَّانها ولتصوينها.

ولمَّا بلغوا الشنو مِن هاتين القبيلتين الرذيلتين، وحازوا السلاح وظفروا بالنقدين، ارتحل في ذلك الأسبوع سَالِم بن شُقْبَان إلى بيشته، بعد أنْ أظهر لعُربان الحجاز تقوية ريشته، وما لبث بعده المضايفي الأقذر والجاهل الأَبْتر / ق٢٧٩/ الذي طغى وتجبر، وتولى وكفر، فيعذبه اللَّه العذاب الأكبر، إلا جُمعة زمانيَّة، حتى جاء الطلب مِن الدرعيَّة، فتَوَجَّه إلى لعنة اللَّه تعالى وغضبه، ومردة الشيطان وعصبته، لا بلغه اللَّه تعالى مراده، ولا أوصله ولا أعاده، ونرجو مِن اللَّه الكريم، أنْ يحلّ عليه عذاب الهون، ويسرعون بهلاكه ولا يلهون، حتى يكون شماتة بين حساده، والغضب الأكبر عند اللَّه تعالى باقيًا يوم معاده، ونرجو مِن اللَّه المُعين أنْ يخيب مَسْعَاه، وأنْ ينعق عليه غُرَاب البَيْن ويَنْعَاه.

[قتال بين السلفيين وقافلة لأهل مكة]

فصل: قد تَقَدَّم لك آنفًا أنَّ الردود تمشي إلى جدة وتعود إلى مكة، وهي موثوقة بالأحمال، ففي هذا الشهر المذكور[2]، نزل الرد على عادته إلى جدة، ولم يعبأ بأهل الزندقة والردة، ولمَّا أقبل بأحماله على ظهور جماله، بلغ الشريف خبرٌ وصول رتبة التحقيق، أنَّ الوهابيين عزموا على أخذ الرد في

---

(١) ساقطة في الأصل، والإضافة من (ب)، ورقة ٢٢٦.

(٢) ربيع الآخر ١٢٢٠هـ/ ٢٨ يونيو- ٢٦ يوليو ١٨٠٥م.

الطريق، فأرسل سرية تعديه وهم رغم الأنوف، وتخلّصه مِن أيدي أولئك الجلوف، فأصبحت السَّرية بالرِّكَانِي على رغم كُلّ شاني، وقَدَّمُوا عيونًا يسيروا العدو ليعرفوا موضعه وما جمعه، فوجدوهم حالِّين بقرية صَرْوَعَة[١]، فما لبثوا أنْ ملأوا القرب بالماء، حتى جاتهم[٢] القوم كالغَمَامة الدهماء، فحصل بينهم عراك وصدام، وبنى النقع سماءهم القتام، ورعدت البنادق ولمع برق السيوف، وهطل الغَمَام القَانِي مِن الحتوف، وطالت الملحمة على ظهور الخيل الجياد، واستمرّ طويلاً بينهم الطراد، وانحاز ثلاثون عبدًا للشريف على جبل شاهق، وقتلوا جَمًّا غفيرًا برصاص البنادق، فما انجلى ذلك الغبار ولا انكشف وافي المضمار، إلا بانكسارة خيل الوهابيين انكسارة شنيعة، وقتل سبع أو ثمان مِن سراة خيلهم وأخذت قليعة، وقُتِلَ أميرهم حجي ابن حجي، وقضى وسكنت روحه لظى، وأمَّا الرماة الذين علوا على روس[٣] الجبل، فقد أحاطت بهم الوهابيين[٤] مِن كُلّ محل، فَتَشَبَّثُوا في مواضعهم وما فَرَّ أحد ولا شرد، وبعد القتال بالبنادق بقي القتال مِن يد، فَقَاتَلُوا حتى قُتِلُوا، وما رضيوا الفرار مِن الزحف وما قبلوا.

وقد أخبرت عن ثقة، صعد في اليوم الثاني على هذا الجبل، فرأى بعينه وعَدَّ المقتولين مِن العبيد خمسًا وعشرين، ومِن الوهابيين سبعين مُجندل[٥]، ثم تَوَجَّهت مراجل الشريف إلى بَحْرَة[٦] بعد المعركة فلقيت / ق ٢٨٠/ الردّ وأدخلته سالمًا إلى مكة، وعوض اللّه تعالى على الشريف بدل العبيدِ

(١) صَرْوَعَةُ: قرية تقع في منطقة الجموم، شمال شرقي مكة بحوالي ٣٣ كم. حمد الجاسر، **المعجم الجغرافي**، ص ٧١٦.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: جاءهم.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: رءوس.
(٤) كذا في الأصل، والصواب: الوهابيون.
(٥) كذا في الأصل، والصواب: مجندلًا.
(٦) بَحْرَة: بلدة تقع في منتصف الطريق بين مكة وجدة، يسكنها بنو جابر والمعانية من حرب، والأشراف الشواكرة مِن ذوي بركات بن أبي نمي الثاني. عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ص ١٧١-١٧٢.

الخمسةَ والأربعين، جاءه مع هذا الرد نيف وأربعين(١)، ومع الرد الذي قبله دون الخمسين.

[سعود يجتمع بالقادة لوضع خطة محاصرة مكة]

وفي عام ألف وماتين(٢) وعشرين(٣)، جمع سعود بن عبد العزيز جميع أمرائه وكبرائه، لعظم مَكْره ودهائه، مِنْهم: أبو نقطة، وسَالِم بن شُقْبَان، والمارق مِن الدين عثمان، وغيرهم مِن عَصَايب(٤) الشيطان، وعمدهم بأنْ يُحاصروا أم القرى، وأكَّد عليهم أنْ يمنعون(٥) عنها الأسباب الواردة لها بقصد البيع والشرا(٦)، وبالغ فيهم في منع الأقوات الواردة لها مِن الأربع الجهات، وانصرفوا على هذا الشرط، فلم يخالفه أحد قطّ، فبادر عثمان المضايفي مِن عنده فرحًا بجزيل رفده.

[عثمان المضايفي يحرض القبائل على محاصرة مكة]

وفي الخامس والعشرين مِن شهر جمادى الأخرى(٧)، وصل إلى الطايف(٨) أعني أفجر المُلحدين، وأصل مَن أسَّس هذه الفتنة ببلد اللَّه تعالى الأمين، ريِّس الفجرة وراس(٩) المُضِلّين، المارق عن دين المسلمين، أخبث هذه العصابة الفاجرة، الذي خسر الدنيا والآخرة، مَن ارتكب هذه الطريقة العميا(١٠)، وضَلّ سعيه في الحياة الدنيا، إكْسير الفساد، وبقيّة ما دمره اللَّه

(١) كذا في الأصل، والصواب: أربعون.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: مائتين.
(٣) ١٢٢٠هـ/ ٣١ مارس ١٨٠٥ - ١٩ مارس ١٨٠٦م.
(٤) كذا في الأصل، والصواب: عَصَائب.
(٥) كذا في الأصل، والصواب: يمنعوا.
(٦) كذا في الأصل، والصواب: الشراء.
(٧) ٢٥ جمادى الآخرة ١٢٢٠هـ/ ١٩ سبتمبر ١٨٠٥م.
(٨) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.
(٩) كذا في الأصل، والصواب: رأس.
(١٠) كذا في الأصل، والصواب: العمياء.

تعالى مِن قوم عاد، مَعْدِن البغي ومَحَلَّه، مُبيح دم المسلمين ومُحِلَّه، مَن فاق في الشقاوة على قذار عاقر الناقة، وأناف على عبد الرحمن بن ملجم وأفاقه، عثمان، سبقة الشيطان، فاستقبله قومه عدوان المسلمين، وسألوه عَمَّا جاهم[1] مِن عند ذلك اللعين، فَهَمْهَمَ وبَلْضَمَ، وأرعد في الضَّلال وغَيَّم وأنْجَد في كُفرِيَّاته وأَتْهَم، ثم قفر فاه كأرْقَم، ونطق زورًا وتكلَّم، فقال: قد أباح لنا سعود قتل أهل مكة المُشركين في الحلّ والحرم، وأمرنا أنْ لا نبقي لجيران البيت مكانًا يُحترم، وأنَّ عُلماء الدرعيَّة وَجَدُوا هذا القَول في حاشية كتاب، بخط الشيخ محمد عبد الوهاب، وهو معصوم مِن الهوى، صادق النقل فيما رَوَى، فَقَرُّوا عُيُونًا وطيِّبُوا نُفُوسًا، لقد تمَّ لي كُلَّمَا أرتجي؛ ففرح / ق٢٨١/ لذلك عدوانُ وغيرهم مِن الأعدا[2]، وسَنُّوا لقتل المسلمين المُدَا[3]، فعند ذلك سَلك مَسْلك الشيطان في جميع طُرُقه، وَخَلَع رِبْقَة الإِسْلاَم مِنْ عُنُقِهِ، وفَرَّق الناس الذي[4] جمع، وقال: اكتموه فإنَّه سِرٌّ يُدع، ثم إنَّه تَشَيَّطَ وتَشَطَّن، وأظهر خِلاف ما أبْطن، وأظهر بين الناس أنَّ سعودًا أمر بإصلاح العين التي فجرها، وأنَّه لَسَعَه بِحُمَة[5] المَلَام[6] وجَرَّعَه مُقرها، فأخذ يتَجَهَّز[7] في شغل المَعَاول، وحَرْق النُّورَة[8] وجمع المَكَاتِل، وأرسل بطلب البادية لعمارة العين، وقد أشاع ذلك تزويرًا ومَيْن[9]، وما مضي عليه برهة مِن الزمن، حتى جمع نحو خمسة آلاف مِن هُذَيْل الشام واليمن، وتَوَجَّه بهم هذا الفاجر الزنديق، وخَيَّم بهم على واد المضيق، وأناخ بِمَن معه مِن أولئك العُربان على حدود الحرم،

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: جاءهم.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: الأعداء.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: المُدَى. مفردها المُدْيَةُ: أي الشَّفْرَةُ الكبيرة، أو السِّكِّين.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: الذين.

(٥) حُمَةٌ: الإبرة التي تَضْرب بها الحيوانات التي تلدغ وتلسع: كالعقرب، والحَيَّات، والنحل. **المعجم الوسيط**، ص ٢٠١.

(٦) المَلَامُ: اللَّوْم. **المعجم الوسيط**، ص ٨٤٧.

(٧) وردت في النسخة (ب) يجتهد. ورقة ٢٢٨.

(٨) النُّورَةُ: حجر الكِلْس، يتم حرقة واستخدامه في البناء. **المعجم الوسيط**، ص ٩٦٢.

(٩) كذا في الأصل، والصواب: مَيْنًا.

فظهر عند ذلك للناس ما أخفاه في ضميره وكتم، ومع هذا فصاحب الترجمة عنده الخبر الحقيق، ولم يخدعه هذا الخاسر الزنديق، ولم يغتَرّ بحيلته ومكره، وتزويره وغدره، بل جعل عليه العيون التي تخبره بِمَا كان وما يكون مِن الحركة والسُّكون.

[قوات السلفيين تهاجم المَعَابِدَة في مكة]

وفي ليلة [الثلوث] (١) عاشر شعبان سنة ١٢٢٠ (٢) ألف وماتين(٣) وعشرين، في عاشر ساعة مِن الليل، أرسل إلى المَعَابِدَة عشرين راسا(٤) مِن سبق الخيل، فانتهت ركضًا إلى تجاه جبل المنُحْنَى، ولم يسبق له مثل ذلك ولم يقع في القياس أنَّ خيله تصل إلى هنا، وينتهك بها حرمة الحرم الذي آمنه الهنا، فأعلنوا بالتكبير على نمطهم المُعتاد، وطلبوا مِن عساكر الشريف أنْ يبرزوا لهم للجلاء، وما أقاموا أكثر مِن هذا المقدار، رُبَّمَا نفض عصفور ريشه وطار، وحين ركبت سراة خيل الشريف خلفهم وَلُّوا الأدبار.

وفي اليوم الثاني عادت خيله وفعلت في حرم اللَّه تعالى كما فعلت بالأمس، وعندما ركبت الخيل خلفهم نكس، وفي اليوم الثالث عادت الخيل المذكورة، ووصلت حَيْثُمَا كانت وصلت، وقطعت بعد تلك المسافة وصلت، ثم غابت يومين اثنين، وعادت تلك الخيل عَشِيَّة يوم الاثنين، ففزع خلفها ثلاثة مِن خيل الهوَّارة، فلم يدركوا مِنْها إلا كضوء شرارة، ثم غاب أيامًا عَنَّا، وعَنَا نفسه الخبيثة ولَيْته ما تَعَنَّى، فلم نعلم بأيّ الأوْدية استقرّ مِن أوْدية سَقَر، / ق٢٨٢/ لِمَنع الوُرَّاد، سَواءٌ العَاكِف فيه والبَاد.

(١) وردت في الأصل (الثلاثين)، والتصويب من النسخة (ب)، ورقة ٢٢٨. أي يومُ الثلاثاء.
(٢) ١٠ شعبان ١٢٢٠هـ/ ٢ نوفمبر ١٨٠٥م.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: مائتين.
(٤) كذا في الأصل، والصواب: رأسًا.

[السلفيون يُهاجمون جدة ويفشلون]

ثم وردت إلينا الأخبار المنقولة عن الثقات الأخيار، أنَّ هذا الختول العقار ارتكب أمرًا لبس مِنْه ثوب الخنا والعار، وهو أنَّه في هذا الأثنا[1] أغار على بَنْدَر جدة ليلة الثامن عشر مِن شعبان[2]، في أوان الترحيم أناخ على ساحلها المُصان، وكان وروده إليها غدرًا واختلاس[3]، قبل أنْ تهب أعين الحُرَّاس مِن النعاس، لكن أخطأت استه الحفرة، وما رجع مِنْها إلا بالخيبة والحسرة، فقسم قومه مِن ثلاث جهات، وجعل خلفها مخيلة توخز برماحها الرماة حتى التفوا بسور البلد، وأحاطوا بها إحاطة السُّوَار باليد، وقد أصبحوا[4] معهم كثيرٌ مِن السلالم وقَرَّبُوها، ومَعَاوِل مِن الحديد لأحجار السور ينقبوها[5]، ثم صعد جانب مِنْهم على تلك السلالم فرقًا، وما كبر إلا وجاه[6] القوم فِرقًا، ولم يكن إلا كلمحة ناظر أو نَقْبَةُ طاير[7]، قبل أنْ يتكاملوا على السلالم فَيَرقُوهَا، ويقعدون مقاعد للسمع يَسْتَرقُوهَا، حتى تكلَّمت المدافع والقنابر مِن سماء حصنها الحصين، وتطايرت الشهب المُحْرِقة رُجُومًا لتلك الشياطين، وما زال رعد البارود يرعد، حتى سمعه مِن به صَمَم، وماطر الرصاص ينهل عليهم كوابل الدِّيَم[8]، وصواعق القلل والقنابر تنصب على تلك الجنود، وتنهش لحومهم كنهش الحَيَّات السُّود، حتى انهزمت الفئة الملعنة، وهلك مَن هلك عن بينة، ومات كثيرٌ مِن أولئك الفُجَّار، وهَوت أرواحهم إلى جهنّم وبئس القرار، ثم رجع بقية الجيش مخذولاً إلى مُخَيَّم عثمان بالخيبة والخسران،

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: الأثناء.

(٢) ١٨ شعبان ١٢٢٠هـ/ ١٠ نوفمبر ١٨٠٥م.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: اختلاسًا.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: أصبح.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: ينقبونها.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: جاءه.

(٧) كذا في الأصل، والصواب: طائر.

(٨) الدِّيَمُ: جمع الدِّيمة، وهو المَطَر يَدومُ زمانه في سُكون؛ أيّ بلا رَعْدٍ ولا بَرْقٍ. **المعجم الوسيط**، ص ٣٠٥.

وكان مُخَيَّمه في موضع نازح عن الرصاص، فلمَّا شاهد مصرعهم أفلت وله حُصَاص[١].

ثم عاد إلى عثمان الغيد بجيشه إلى قرية المَدْرة، وأعمل رأيه في مكيدة متكبرة، فجعل يراسل العُربان مِن مكانٍ إلى مكان، ويُهدِّد مَن تَخَلَّف عنه بمهندٍ وسنانٍ، فما زالوا عليه ينشالون ومِن كُلّ حدب ينسلون، حتى امتلئت مِنْهم الجبال والوهاد، وضاق بهم ذلك الناد، وكُلَّمَا اجتمع لديه أُنَاس في ذلك المُدّة، يرسلهم إلى طريق جدة، حتى كاد يغتصّ بتلك الملاحدة والفئة المُعَاندة، وأبقى لمحاصرة جدة واهس شيخ زُبَيْد، ومعه جماعة مِن أهل البغي والكيد، فَخَيَّمُوا تجاه جدة، بحيث يردون مِن آبار غُلَيْل، ويغارون على البَنْدَر المعمور بالنهار والليل، وكم قتلوا حولها مِن الفقراء / ق٢٨٣/ والمساكين وخَضَّبُوا أَكُفَّهم بدم الموحدين، وفي كُلّ يوم يصلون إلى الحفر ويقطعون الورد والصدر[٢]، حتى وقع الفناء والعطب، في التَّكَارنة[٣] الذين يجمعون الخشب والحطب، وما برحوا ينسجون على هذا المنوال، مُعتقدين قتل المسلمين حلال[٤]، لهم اللعنة قبحت أفعالهم، الشيطان سَوَّل لهم وأملى لهم.

[انقطاع الواردين إلى مكة بسبب الحصار]

وفي هذه الأيام امتنع الواصلون إلى مكة بسبب القتل، حتى لو خاطر أحد بنفسه وصدفهم قتلوه، إلى أنْ تمّ لهم سَدّ هذا الطريق، وتَيَقَّن عَدَمَ الوصول مِنْه بالتحقيق؛ أَمَرَ على الجَحَادِلَة وعلى جانب مِن هُذَيْل لهم الخزي والويل أنْ يُخَيِّمُوا على الشَّرَفِيَّة، ويسقون[٥] الوارد إلى مكة

(١) حُصَاصٌ: شِدَّةُ الرَّكْض، وسُرْعَته. المعجم الوسيط، ص ١٧٩.
(٢) أيّ أنَّهم منعوا الصادر والوارد مِن مدينة جدة وإليها.
(٣) التَّكَارنة: ينسبون إلى بلاد التكرور الواقعة في غرب أفريقيا.
(٤) كذا في الأصل، والصواب: حلالًا.
(٥) كذا في الأصل، والصواب: ويسقوا.

كاس[1] المَنِيَّة، وما زالوا مُقيمين على هذا السَّنَن، قاطعين كُلّ مَن يرد مِن طريق اليمن.

فلمَّا قطع الوارد إلى مكة مِن الطريقين، وكُسِيَ مِمَّا غَشِيَ ثَوْب ذُلٍّ وشَيْن، تَصَدَّى لقطع الجهة الشرقيَّة، لا أبقى اللَّه تعالى مِنْه بقيَّة، واجتهد في قطعها، وبالغ في منعها، أمر العُربان بالمُخَيَّم على واد النَّعْمَان، وأبقى عُربان تلك المدرة مع هُذَيْل الفجرة، وأمرهم بقتل جميع الواردين حمى البيت الأمين، أمَّا مَن دخل معه شيء مِن الطعام، فقد غالته يد الإعدام، فانْسَدّت جهة المشرق بكل فاجر مُتَزَندِق، فتَمَّ له منع الأقوات مِن الثلاث جهات، ثم أَمَرَ بني لِحْيَان وعُربان الحَرَّة، يُخَيِّمُوا[2] بالحِصْن الذي شَيَّده بالوادي لإتمام المَضَرَّة، فانقطع الوارد مِن جهة الشام، بهذه اللئام.

ثم انتقل عدو اللَّه تعالى بنفسه إلى طريق جدة، وغَصَّه بتلك الملاحدة حتى سَدَّه؛ فانقطع الوارد مِن طُرق مكة كُلّهَا، وصاروا يقتلون وفد مكة في حرمها وحلها، وما زالوا كذلك يقتلون وفد اللَّه تعالى وَزُوَّار بيته، مُضَيِّعِين لحُقوقه وحُرمته، مُسْتَبِيحين حماه في حلّه وحرمه، حتى صارت طريق جدة مِن كثرة ما لقي القتلى مِن المَشَقَّة والعنا[3] مثل أيام النحر بمنى، وكم ضَحَّى مِنْهم زنديق مُجرم بدماء مُعْلن بالتلبية مُحرم، وهو يُقِرّ للَّه تعالى بالوحدانيَّة ولِنَبِيّه بالرسالة، مُؤمنٌ بكل ما جاء به محمد صلى اللَّه تعالى عليه وسلم، مُحْرِمٌ رافع صوته بالتلبية يقول: لبيك لا شريك لك لبيك، إنَّ الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك؛ فيقتلونه، ويقولون له: يا مُشْرك، مع أنَّهم / ق٢٨٤/ ما سمعوا مِنْه لفظ الشرك الذي يزعمونه، وما عرفوه قط، بل ولا رأوه إلا ذلك اليوم فقط، ولا اختبروا حاله ولا عرفوا في أيّ اعتقاد مجاله، بل كان سبب الحَيْن وقوع العين على العين، فيقتلونه بدعواهم لأجل أخذ دنياه، فويل لك

(١) كذا في الأصل، والصواب: كأس.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: يُخَيِّمُون.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: العناء.

يا عثمان مِن المَلك الدَّيَّان، وكيف بك يوم يسألك الرحمن بِمَا استحللت القتل في نوع الإنسان، ولقد سألنا بعض عُلمائهم عن استباحتهم لمثل هذا القتل، فيقولون: يفعله قومٌ مِنَّا عن جَهل، فليت شعري هل هُم في مثل هذا الجهل يعذرون، ولِمَ لا ينهونهم فينتهون؟ بل هُم قوم كاذبون، وطَبع اللَّه على قلوبهم فهم لا يفقهون.

[السلفيون يهاجمون الْعُقَيْشِيَّة في مكة]

وفي اليوم الثالث مِن شهر رمضان[1] أرسل عثمان بن عبد الرحمن جماعة مِن قوم الجاهليَّة، ونهبوا إبل الشريف التي كانت في الْعُقَيْشِيَّة[2]، وهذه الْعُقَيْشِيَّة مَوضِع مَعْلوم في الحَرم المُحترم، الذي حَرَّمَه اللَّه تعالى على جميع الأمم، فإنْ قال قائل: لِمَ هؤلاء الناس لا يحترمون حماه؟ وهم يأمرون الناس بالبر ويرتكبون ما حَرَّم اللَّه، مع أَنَّهم يَدْعُون للدين، ويُسَمُّون أنفسهم المسلمين، ويعلمون أنَّ لكُلّ ملك حِمًى وأنَّ حِمَى اللَّه مَحَارِمُه؛ فأقول: الجواب إنَّنَا نراهم في طريقتهم العميا[3] يختلسون بدعواهم الدين بالدنيا، وأَنَّهم لا يتحاشون عن تكفير عامة المسلمين، ولا يعدون مسلمًا إلا مَن ارتكب هذا الدين، ولو أنَّ أهل بلدة آمنوا بكل ما جاء به سيدنا محمد ﷺ، وسلكوا مع ذلك الطريق الأقوم، وهم يُقِرُّون للَّه تعالى بالوحدانية في السر والعلانية، ويشهدون أنْ لا إله إلا اللَّه وأنَّ محمدًا عبده ورسوله، ويُقيمون الصلاة، ويؤتون الزكاة، ويصومون رمضان، ويحجّون البيت الحرام؛ إلا أنَّهم لم يكونوا تحت إطاعة سعود، لم يُعَدُّوا عندهم مِن المسلمين، ولو جاوا بشرايط[4] الدين، فيستبيحون دمه وماله، ولم يختبروا قبل ذلك حاله، وليس

---

(١) ٣ رمضان ١٢٢٠هـ/ ٢٤ نوفمبر ١٨٠٥م.

(٢) الْعُقَيْشِيَّة: تقع جنوب غربي مكة المكرمة، ويصب سيلها إلى حَدّ الحرم الجنوبي، وتبعد عن المسفلة تسعة أكيال جنوبًا غربيًّا. وهي على طريق اليمن بين وادي إبراهيم وعُرَنة. عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ص ١١٩٠.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: العمياء.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: جاءوا بشرائط.

شي[1] عند اللَّه أعظم مِن قتل المسلم ظلمًا وعدوان[2]، وقد ورد عن سيد ولد عدنان: «**لَزَوَالُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ قَتْلِ مُسْلِمٍ**»[3]. ولو أنَّ جماعة دخلوا تحت إطاعتهم، وانخرطوا في سلك جماعتهم، ولو أنَّهم يكفروا[4] بكل ما وجب للَّه، ولا يُحسنون القراءة ولا الصلاة، ولا يعرفون شياء[5] مِمَّا فَرَض اللَّه تعالى عليهم مِن دين اللَّه، / ق٢٨٥/ إلا أَنَّهم يَزِفُّونَ لهم الزكاة والنَّكَال، ويعينوهم على المسلمين في زمن القتال؛ لكانوا عندهم مِن أئِمَّة المسلمين المُجتهدين في هذا الدين؛ كهُذَيْل، وثقيف، وبقية العُربان مِمَّن يُسَمُّونَهم بالإخوان.

ولمَّا ركبت خيل الشريف لاسترجاع إِبِله المأخوذة مِن الحرم، وفعل ما يليق بجنابه مِن علو الهمم، وصلت إلى الشُّمَيْسِي[6] مِن حُدود الحرم المُحترم حماه، وقد أدركتهم خيل الشريف بدون الرماة، فوجدوهم استداروا بالإبل نحو شواهق الجبال، بحيث لم يكن للخيل فيه مجال، فعادوا بدون المُلتمس، بعد أنْ قُتِل مِن الخيل فرس، فعلى هذا كيف يصدقون في دعواهم أنْ يحترمون[7] الحرم، ويعتذرون بعذر أقبح مِن الفعل وأسخم، فإنَّهم

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: شيء.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: عدوانًا.

(٣) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى. أحمد بن الحسين البيهقي، **السنن الكبرى**، ج٨، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، در الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ص ٤٢.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: يكفرون.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: شيئًا.

(٦) الشُّمَيْسِيُّ: هي الحُدَيْبِية قديمًا. وعُرِفَت بهذا الاسم نسبة إلى شخص كان يدعى شُمَيْسًا، حفر بئرًا فسميت بئر شُمَيْس، ثم اشتهرت بالشُّمَيْسِي، تبعد ٢٢ كيلا عن مكة في طريق جدة، وليست بعيدة عن أنصاب الحرم هناك، وكان يوجد بها مسجدٌ قيل: إنَّه في موضع الشجرة التي بايع الناس عندها الرسول ﷺ بيعة الرضوان في عام ٦هـ/ ٦٢٨م، ونزل في تلك البيعة قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [سورة الفتح: ١٨]، وكانت تقع على طريق الحج وإحدى منازله. محمد الكردي المكي، **التاريخ القويم**، ٥/ ١٥٥-١٥٧؛ عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ص ٩٤٧-٩٤٨.

(٧) كذا في الأصل، والصواب: يحترموا.

يزعمون أنَّهم يحتَرِمُونه ويعظِّمُونه، ويعرفون قدر مَن سكن به ويُؤمِّنُونه، فإذا قتلوا فيه مُسلمًا انتهكوه، وسلكوا المسلك الذي سلكوه، يدعوا[(١)] إنَّما فعل هذا جَاهِلنا وسَنَنْهاه، وإنَّمَا نحن فلا نفعل هذا ولا نرضاه.

وفي اليوم الخامس مِن شهر رمضان[(٢)]، صبيحة يوم الربوع[(٣)] المُصان، أمر عثمان على جماعة نحو أربعين مِن هُذَيْل النَّدَوِيَّة[(٤)]، أنْ يقعدوا بين مكة والحُسَيْنِيَّة، فجلسوا كما أمرهم على الفور عند الشرقة التي تحت جبل الثور[(٥)]، يقطعون الوارد والصادر، وهو لانتهاك حُرمة الحرم مُتَجَاهر، فأوَّل مَن مَرَّ أربعة مِن جماعة صاحب الترجمة، لا زالت أيامه ولياليه معظمة، فقبضوهم وأخذوا مِن أيديهم السلاح، وتَيَقَّنُوا أنَّ ما أُخِذَ في حرم اللَّه تعالى مُباح، وحملوا ثلاثة مِنْهم إلى عثمان سبقة الجن، وأطلقوا الرابع وكان رجلاً سُلَيْمَانِيًّا طاعِنًا في السن، فدخل مكة آخر الليل، وأخبر بِمَا وقع عليه وعلى رفقته مِن هُذَيْل.

ومِمَّا وقع مِن هؤلاء الأنعام، في شهر رمضان مِن هذا العام[(٦)]، مَنْعهم المُعْتمرين مِن عُمرة التَّنْعِيْم إلحادًا وظلمًا ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: يدعون.

(٢) ٥ رمضان ١٢٢٠هـ/ ٢٦ نوفمبر ١٨٠٥م.

(٣) أي الأربعاء.

(٤) **النَّدوِيَّة**: مِن جَمِيل، مِن قبيلة هُذَيْل، يعرفون بـ: (بَنُو ندا)، واحدهم ندوي. ومِن فروعهم: الجملة، والقِيَسَة، والمرازيق. وهم يسكنون في وادي ضيم، ودفاق وما حولهما جنوبي مكة. حمد الجاسر، **قبائل المملكة**، ص ٨٤٠.

(٥) **جبل الثَّوْر**: جبل ضخم يقع جنوب مكة المكرمة، فيه مِن الشمال غار ثور، الذي أقام فيه النبي ﷺ وأبو بكر الصديق رضي الله عنه ثلاثة أيام عندما هاجرا إلى المدينة المنوَّرة، وفيه أنزل اللَّه قوله: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [سورة التوبة: ٤٠]، وهو يقع بين سهل وادي المَفْجَر شرقًا وبطحاء قُرَيْش غربًا. أيوب صبري، **موسوعة مرآة الحرمين**، ٢/ ٩١١-٩١٢؛ عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ص ٣١٧-٣١٩.

(٦) شهر رمضان ١٢٢٠هـ/ ٢٢ نوفمبر- ٢١ ديسمبر ١٨٠٥م.

﴿مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾[1] ومع هذا الجَوْر والباس[2]، ما امتنع عنها الناس، حتى قتلوا شخصًا مُعْتمرًا عند مدرج الزاهر، فكان عُذرهم في الترك ظاهر[3]، وإلى غير ذلك مِن البدع والضلال، وما يفعله هؤلاء الفجرة الأنذال، مِن قتل الرجال، وقتل النساء والأطفال، ثم يقتلون مِنْهم ما شاوا[4] ويطلقون بعضهم على شيء مِن المال.

[عثمان المضايفي يستولى على الحُسَيْنِيَّة جنوبي مكة]

وفي يوم الأربعا[5] العاشر مِن شهر شوَّال[6]، عَنَّ لعثمان الانتقال بِمَن لديه / ق٢٨٦/ مِن فئة الضلال، فارتحل عن طريق جدة المحميَّة قاصدًا تجاه الحُسَيْنِيَّة، فلمَّا بلغ حضرة الشريف هذا الخبر، جَرَّد عن ساعد الجدّ وشَمَّر، وأرسل مِن مراجله أرباب القتال وسراة الخيل للنزال، رجالاً لا يهابون المنايا، ولا يخشون في يوم اللقا[7]، فالتقت خيل الشريف بفئة البغي والطيش، بأسفل مكة مِن بطحاء قُرَيْش، فحمي بينهم القتال، وصار لنَفَق الأرواح في المعركة مجال، وما زال الحرب بينهم سجال[8]، وزهرة الأعمار تقطعها يد الآجال، حتى جاء النصر المُبين، والفتح مِن رَبّ العالمين، فصالت خيل الشريف على الوهابيين، ووَلُّوا على أعقابهم مُدبرين، وقُتِل يومها مَن دنا أجله مِن الشيطان، ومِن أشهرهم ولد ماضي بن سليمان، ودخلوا براسه[9] محمولًا على الرماح أمام القوم، وعُلِّق في الأسواق ليلتين ويوم[10]، وذبح مِن جياد خيلهم أربع كاد

(١) القرآن الكريم، **سورة الحج**، آية رقم ٢٥.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: البأس.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: ظاهرًا.
(٤) كذا في الأصل، والصواب: شاءوا.
(٥) كذا في الأصل، والصواب: الأربعاء.
(٦) ١٠ شوَّال ١٢٢٠هـ/ ٣١ ديسمبر ١٨٠٥م.
(٧) كذا في الأصل، والصواب: اللقاء.
(٨) كذا في الأصل، والصواب: سجالًا.
(٩) كذا في الأصل، والصواب: برأسه.
(١٠) كذا في الأصل، والصواب: ويومًا.

فواده[1] عليهم يتقطع، واستشهد مِن جماعة الشريف في تلك الإغارة السيد فواز الحسيني[2] أمير المدينة، وواحد مِن الهوَّارة، وقُتِلَت فرس وأُصِيْبت فرس، ورجعت الأعداء يقرون[3] في عبس[4].

فأقام على الحُسَيْنِيَّة يومين يُحاربها بتلك الجيوش، وصدف أنَّ كان وكيل الشريف بها مغشوش[5]، فسلّم فيها مع عدم قدرتهم عليها، ومَكَّنَهم مِنْها وقَرَّبهم إليها، مع أنَّ هذا الوكيل في مكانٍ حَصِين مُتَمَكِّن بِمَن معه غاية التَّمْكِين، ومعه كثير مِن العساكر، وعندهم ما يحتاجون إليه مِن الزاد الوافر، لكنَّه خان ومَن خان لا كان ولا عاش ردي[6] الفعال، فسلم البيت إليهم ذلك الخاين[7] المحتال، ولم يأخذونه[8] مِن يده على سبيل الجد بالقتال.

وأمَّا العسكر الذين كانوا في الأبراج ثبتوا فيها وما نزلوا، وقاتلوا فيها أشدّ القتال حتى قتلوا؛ فملكت الحُسَيْنِيَّة يوم الجمعة الثاني عشر مِن شهر شوَّال[9] وتم له الإرب وبلغ الآمال فعند ذلك انثالت عليه العُربان مِن كُلّ سهل وجبل، وأرسل يُبشر سعود بكل ما حصل، وما زالوا مِن كُلّ حدب عليه ينسلون، حتى امتلأت الأرض مِن كل فاجر ملعون.

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: فؤاده.

(٢) **فواز الحسيني**: فواز الحسيني بن شامان بن زُهير بن سُليمان بن منصور، أمير المدينة المنوَّرة، شارك الشريف غالب في حروبه ضدّ الوهابيين. مات في أحد الحروب معهم، إبَّان مُحاصَرتهم مكة المكرمة في شوَّال ١٢٢٠هـ/ ديسمبر ١٨٠٥م. أحمد ضياء العنقاوي، **أعلام الأشراف**، ٢/ ٣٤٦-٣٤٧.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: يقرأون.

(٤) يعني يقرأون في سورة عبس، والمراد بذلك أنهم انحرفوا عن الهدى ورجعوا خائبين، ولا سبيل إلى هدايتهم.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: مغشوشًا.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: رديء.

(٧) كذا في الأصل، والصواب: الخائن.

(٨) كذا في الأصل، والصواب: يأخذوه.

(٩) ١٢ شوَّال ١٢٢٠هـ/ ٢ يناير ١٨٠٦م.

[اشتداد الحصار على مكة وارتفاع الأسعار]

وفي هذه الأثنا[١] وصل إليه سَالِم بن شُكْبَان بِمَا يزيد على خمسة آلاف مِن بيشة وشِمْرَان[٢]، وغَامِد، وزَهْرَان، وقَحْطَان، وفجرة مِن عَصَايب[٣] الشيطان، ثم تلاه بالوصول في هذا الزمن عبد الوهاب أبو نقطة بنحو عشرة آلاف مِن عُربان اليمن، فتكاملوا / ق٢٨٧/ في الحُسَيْنِيَّة مع قوم عثمان، فبلغوا نحو ثلاثين ألفًا، فعند ذلك اشتدّ الكرب على المسلمين، وضاق ذرع سكان هذا البلد الأمين وغلت الأسعار، وتحقّق مِن هذا الحصار أنْ لا فرار، ووقع القحط بالتحقيق، وضَيَّقُوا على المسلمين غاية التَّضْييق، فبلغت الكَيْلَة مشخصين مِن الرز والحب وغيرهما مِن البقول، والفضل للبايع[٤] فيتلَقَّاها المُشتري بالقبول، وبلغ الرِّطْل مِن السكر ومِن الشحم ومِن الزيت بريالين اثنين كما شاهدناه بالعين، وبلغ الرِّطْل مِن التمر والبُن بريال، ومِن ناله بهذا السعر فكأنَّمَا بلغ الآمال، وبلغ رِطْل السمن بريالين ونصف ريال، ونصف رِطْل العسل هذا إنْ وجده المشتري ونال مطلوبه وحصل، ورِطْل اللحم بنصف ريال سواء كان مِن لحم الماعز أو مِن لحم الجمال، وبثلاثة ريالات كَيْلَة الزبيب ومَن أصَابها فهو المُصِيب، وبستة ريالات ونصف رِطْل التنباك، وقس بقية الأسعار على ما هناك، والناس يَشْتَرون بهذه الأسعار إنْ وجدوا شياء[٥] يبتاع، حتى نفدت النقود وبقي المتاع، فشرعوا يبيعون الأثاث في

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: الأثناء.

(٢) شَمْرَان: مِن خَثْعَم. بلادهم تقع غرب بيشة على طريق الطائف في السراة، منحدرة غربًا إلى تهامة، جنوب بلاد غَامِد، وغرب شَهْرَان، وشمال خَثْعم وبَلْقَرن. ينقسمون إلى: شَمْرَان الشام، وشَمْرَان تهامة. ومِن أفخاذهم: العبوس، وسحاب، وآل مبارك. حمد الجاسر، **المعجم الجغرافي**، ص ٤٠٦-٤٠٧؛ صلاح هريدي، **عسير تحت الحكم العثماني**، ص ٧٤-٧٥.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: عَصَائب.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: للبائع.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: شيئًا.

سوق الكساد ليطفوا[١] به نار الجوع التي التهبت في الفؤاد فيبيعون بعشرة ما قيمتهماية وزايد، ويشترون بالعشرة ما قيمته واحد فيبلغ على هذه الفئة الواحد بمئة، وقس على هذا المنوال شرح بعض الحال، حتى فني القليل والكثير وعجز المأمور والأمير وقعد الأغلب على الخسف، ومات مِن الجوع جانبٌ وجانبٌ على الموت أشرف.

فلمَّا نفد النقد والعرض، وفقد العَطَا[٢] والقرض، صارت الناس تاكل[٣] الجلود اليابسة والبطَاط بعد حرقها بالنار، وتاكل شيا[٤] يُسَمُّونَه إِخْرِيطًا[٥]؛ وهو نوع مِن الأشجار، فأثر في وجوه الناس وفي أرجلهم نفخًا وأورام[٦]، وبعد أيام يوردهم كاس[٧] الحمام، فترى الناس يَمُوتُون وهم يمشون في الأسواق، وترى الأطفال موتى مرتمين في كُلّ زُقَاق.

ولقد شاهدنا ذلك، ونحمد اللَّه تعالى الذي مِنْه سلمنا، وما شَهِدنَا إلا بِمَا عَلِمْنَا.

وصار الرجل يخرج للدلالة جميع ما في داره، ولم يبقَ غير أطماره، فيبيعها جملة واحدة كما عايناه بالمشاهدة، فإذا ابتاعت له بأقل قيمة، يراها كالغنيمة، فيشتري بِمَا حصل مِن هذا المقدار، ما يجده مِن القوت بتلك الأسعار، حتى صار حُلِي النساء مِن الجوهر / ق٢٨٨/ المَصُون، الذي في مثله يتنافس المُتَنافِسُون، في يد الدلال بِمَا يقول الزبون، وما تَرَذّل عند الناس شيءٌ مثل الدنانير، لكون الكثير مِنْها يصرف في شيءٍ يسيرٍ.

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: ليطفئوا.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: العطاء.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: تأكل.
(٤) كذا في الأصل، والصواب: وتأكل شيئًا.
(٥) إِخْرِيْط: نباتٌ مِن أطيب الحَمْض يَخْرُط الإبل، أي يرقِّق سَلْحَها. **المعجم الوسيط**، ص ٢٢٧.
(٦) كذا في الأصل، والصواب: أورامًا.
(٧) كذا في الأصل، والصواب: كأس.

فلمَّا نجح النقد والنشب، وفنيت الذخاير[1] والمُكتسب، وتحقّق أنَّ المال إلى العَطَب، هَرَعَت الناس إلى الحُسَيْنِيَّة، وتَسَابقوا إليها خَوف المَنِيَّة، لأنَّ الأقوات بها رَخِيَّة وموجودة، على تلك الأسعار المعهودة، فصاروا يذهبون إليها نساءً ورجال[2]، ويمشون مِن الطرق المُتَعَصِّية وعلى روس[3] الجبال، ومِنْهم مَن مات جوعًا في طريقها، قبل الوصول إليها، ومِنْهم مَن دخلها محمولاً لعدم قُدرة مشيه لديها، حتى ظهر بمكة الخلل في الناس تشتيتًا وانْدِرَاس[4]، بحيث أفضى الأمر أنَّ الصف الأول لا يتكامل في الصلاة، وهذه نهاية القلة في حرم اللَّه.

أمَّا الحوانيت فغلقت أبوابها، وفارقها على الرغم أربابها، ولمَّا لم يوجد بها ما يبتاع لذي كبدٍ أحرقها الجوع وأتلف، فصارت بقاعًا صَفْصَف[5]، إلى غير ذلك مِن الأخبار التي عجز عنها لسان القلم، وصارت نارًا على علم، مِمَّا عطل الأحوال عن الرسم المعتاد وبَدَّله، وقلب ظَهْر المِجَنّ وحوّله، وصارت الناس من الجوع لا يقدرون يمشون، إلا وهُم على عِصيّهم مُتوكؤن.

[المفاوضات بين الشريف غالب والسلفيين وانعقاد الصلح]

فالحمد للَّه الذي أخرجنا مِن هذه الورطة سَالِمِين، وفَرَّج هذا الكرب عن جميع المسلمين؛ ففي السادس عشر مِن ذي القعدة[6] وصل مِن الحُسَيْنِيَّة عبد الرحمن بن نامي[7]، وكان سببًا لِطَبّ هذا الجُرْح الدامي، وهو رابع ثلاثة

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: الذخائر.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: ورجالًا.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: رءوس.
(٤) كذا في الأصل، والصواب: اندراسًا.
(٥) كذا في الأصل، والصواب: صَفْصَفًا.
(٦) ١٦ ذو القعدة ١٢٢٠هـ/ ٤ فبراير ١٨٠٦م.
(٧) **عبد الرحمن بن نَامِي**: ولد فِي العيينة، ونشأ بها، وقرأ عَلَى علمائها، وَكان مِمَّن تأثر بالدعوة الوهابيَّة، فانتقل إلى الدرَعيَّة، وقد تولى قضاء العيينة، ثم تولى قضاء الأحساء، وأدى دورًا مهمًا في الصلح بين الشريف غالب والإمام سعود، الذي انتهى بضم مكة إلى الوهابيين. وبعد سقوط الدرعيَّة في قبضة إبراهيم باشا، أرسل إلى الأحساء أميريها=

مِن الوهابيَّة[١]، فاتجه بصاحب الترجمة، وعاد مِن لَيْله إلى الحُسَيْنِيَّة، فاتّفق على كلام معه مِنْه وإليه، واللَّه أعلم بحقيقته فلم أقفْ عليه.

ثم بعده بيومين، نَهَب عثمان إِبِلاً للشريف مِن الحَرم وهي ترعى، ولم يُراقب حقوق اللَّه تعالى ولا يرعى، ولمَّا بلغ خبرها لصاحبها فورًا على الأثر، أرسل خمسة مِن سراة خيله تَقْتَفِيْهَا وتأتيه بالخبر، فأحاط بهم نحو الستين مِن خيل الوهابيين، كانوا بذلك المحل مُسْتَذرِيِّين[٢] خلف جبل، فما نجا مِنْهم سوى السيد راجح بن عمرو، وخرج مِن بين أيديهم بالقهر، فثلاثة مِنهم أذاقوهم كاس[٣] الحَيْن، وقبضوا باليد ابن أخ السيد راجح بن عمرو؛ السيد الحسين، وحملوه معهم إلى عثمان، وهو مطعون بسنان، فعند ذلك أرسل صاحب الترجمة خلفهم في الحال / ق٢٨٩/ مِن حماة خيله نحو ستين خيَّال[٤]، فَمّا وصلوا لتلك الأندية إلا والسماء مِنْهم مُصْحِيَةٌ فرجعوا، وهذا القتل والمقتول كان في وسط الحرم الحرام، ونرجو مِن اللَّه أنْ يَنتَقِم مِنْهم، واللَّه عَزِيزٌ ذُو انتِقَام.

وغاب ابن نامي يومين في الحُسَيْنِيَّة، وعاد وحده في عشرين مِن شهر القعدة[٥]، واتجه بمولانا الشريف الغضنفر الغطريف، وجالوا فيما يُجَال مِن إصلاح الحال، وحصل لبعض الناس حصول النُّجْح، والسعي بينهم بالصلح، على أنَّ الشريف يأْذَن لهم بالدخول إلى الحج مِن كُلّ فج، فإذا قضوا المناسك تَوَجَّهوا إلى ديارهم مِن كُلّ طريق سالك، فرأى أيَّدَه اللَّه تعالى بجزيل الإنعام أنَّ الصلح خيرٌ للخاص والعام، وأخذته الشفقةُ على أهل مكة فيما حصل

= السابقين ماجد ومحمد ابني عرير، فاستوليا على الأحساء، ثم تخلَّصُوا مِن كافة الوهابيين، ومات ابن نامي مقتولاً في عام ١٢٣٤هـ/ ١٨١٩م. عبد اللَّه بن صالح آل بسَّام، **عُلماء نجد**، ٣/ ٢٧٣-٢٧٤.

(١) أيّ إنَّ الوفد الوهابي إلى الشريف كان عدده أربعة رجال.

(٢) **مُسْتَذرِيِّين**: مُسْتَتِرِين. يُقَال تَذَرَّى بالشيء: استتر به واكْتَنَّ. **المعجم الوسيط**، ص ٣١٢.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: كأس.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: خيَّالًا.

(٥) ٢٠ ذو القعدة ١٢٢٠هـ/ ٨ فبراير ١٨٠٦م.

لهم مِن المَتاعب والهلكة، وقبل مِنْهم الصلح بشرط اشترطها، وأُمُورٍ ربطها، مِنْها: إعادة الحُسَيْنِيَّة وما ذهب فيها مِن القليل والكثير حتى ديَّات المَقَاتِيل، ومِنْها: إعادة السلاح وكل ما ذهب في ذلك اليوم المُتَاح، ومِنْها: أنَّه يُعِيد مثل الخيل التي عَقَرَها وقام لنفسه في اتباع الهوى ونصرها، إلى غير ذلك مِن الشروط، التي بها الأمر المَنُوط، فَتَمَّ الأمر بينهم وبين الشريف الشهم ليث الشَّرَى، وأَذِنَ لهم بدخول أم القرى، على أنَّ الكل مِنْهم يرسل كتابًا لسعود، ويخبره بالمقصود، وينتظر جوابه حتى يعود.

[السلفيون يدخلون مكة لأداء فريضة الحج]

فدخل بعض مِن أهل مكة الذين خرجوا للحُسَيْنِيَّة وتنازلت الأسعار، واطمأنت القلوب بهذا المقدار، وجلبوا معهم مِن الميرة، وما أذهب تلك الحيرة، ثم دخل عثمان وسَالِم بن شُقْبَان، وَمَن معهم مِن عَصَايب[1] الشيطان لأربع بقين مِن شهر القعدة[2]، وفَرَّج اللَّه تعالى على المسلمين تلك الشدّة، فامتلأت مكة مِن تلك الجيوش بهايما ووحوش[3]، ولَوَّثُوا الحرم بنجاساتهم هؤلاء الأجلاف، خُصُوصًا المسجد والمطاف، وجعلوا يركضون في الطواف أمثال الحمير، ويرمون على الحجر الشريف بالمشاعيب والبواكير، وما زالوا يدخلون كالجراد المُنتَشِر والسيل المُنهَمِر، مِن ضَحْوة النهار حتى كادت الشمس تنهار، ثم خَيَّم بهم ولد الزنا[4] بالأبطح وجبال المنحنى، وفي اليوم الثالث دخل السيد راجح بن عمرو بالردّ مِن جدة، ومعه مِن العساكر عدّة.

وفي ثالث شهر الحجة[5]، وصل مكة المرقد اللقطة عبد الوهاب أبو نقطة، ومعه مِن أولئك الفجرة آل البغي والطغيان، / ق٢٩٠/ ونزل

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: عَصَائب.
(٢) ٢٦ ذو القعدة ١٢٢٠هـ/ ١٤ فبراير ١٨٠٦م.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: بَهَائِمَ ووحوشًا.
(٤) يقصد عثمان المضايفي.
(٥) ٣ ذو الحجة ١٢٢٠هـ/ ٢١ فبراير ١٨٠٦م.

بالْمُحصَّب مع عثمان، فأقام بقومه أيامًا على تلك الصفة، وفي ضحوة اليوم الثامن[١] تَوَجَّهوا إلى عرفة.

يَظُنُّون أَنَّ الحِجّ يَغْفر ذَنْبهم
وَقَدْ فَعَلُوا الذَّنْب الَّذِي لاَ يُغْفَر

[القتال بين قافلة الحج الشامي وقبائل حرب السلفيّة]

وفي ثامن ذي الحجة، وصل الحاج الشامي وكان عبد اللَّه باشا أمين لا زال قدره سامي[٢]، وصحبته عابدي باشا والي جدة، جاء في قوة برجال للحرب مُستَعدة، ومعه قدر سبعمائة خيال مِن الأتراك أهل القتال والعراك، ومع عبد اللَّه باشا مِن رجال القتال وأبطال النزال نحو ألف وخمسمائة خيَّال، أخبرنا الواصلون معهم عن التحقيق بِمَا حصل بينهم وبين قبائل حرب وبَدَّاي في الطريق، قالوا: إِنَّ بَدَّاي شيخ بني حَرْب عَجَّل اللَّه تعالى حَيْنه، وابن جُبَارة شيخ جُهَينة، جمع كُلّ مِنْهما مِن طغاة البوادي ما يضيق عنه الوادي، وقعدوا للحاج في جبال النازية، يمينًا وشمالاً إلى قريب الخَيْف، ومِن المعلوم أنَّ مجال الفرسان بخيلهم لا يكون إلا في الميدان بضرب السيف، والخيل لا يكون لها مجال على روس[٣] الجبال، فلمَّا انتهى الحاج إلى أوَّل جبل مِن ذلك المحل، أثاروا عليهم البنادق مِن كُلّ جبلٍ شاهقٍ، فأجابوهم برمي المدافع والزنبرلك[٤]، وأدارُوا عليهم رَحَى الحرب كدوران الفلك، وما زالوا ينزلونهم مِن جبل إلى جبل، حتى أخلوا مِنْهم ذلك المحل، ولقد أخبرني

---

(١) ٨ ذو الحجة ١٢٢٠هـ/ ٢٦ فبراير ١٨٠٦م.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: ساميًا.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: رءوس.

(٤) في النسخة (ب) الزنبلك، ورقة ٢٣٥. ويُعْرف أيضًا بالزنبورك، وهو آلة حربية على هيئة المدفع أو المنجنيق، تُرمى بواسطتها السهام عن بُعد. مصطفى الخطيب، معجم المصطلحات، ص ٢٢٦.

ذلك ثقةٌ مِن ثقات الرجال أنَّه رأى الخيل على روس[1] الجبال، وما زالوا على هذا الكيف، حتى وصلوا إلى سوق الخَيْف، فاجتمع الحاج وقد مالت الشمس للغروب، ومَسّ كُلّ نفس مِمَّا لقيته مِن التعب واللُّغُوب، وحصل لكثيرٍ مِن الحجاج تعب وشدّة، وقُتِلَ مِن الجانبين عدّة.

وَمَــــن ظَــنَّ أنْ يَـلـج الْــحُــرُوبَ
وَلَـــم يُـصـــب قَــدْ رَام عَــجْــزَا[2]

فما كذبت الأعراب بعد أنْ أمسى الليل، وأرخى عليهم الستور والذيل، أنْ عادت للطعن والضِّرَاب، وكانت الحجاج على حين غفلةٍ، لمَّا وقعت مِن الأعراب هذه الفعلة، فرجع الحاج القهقرى، وعاد كُلّ خلفه متأخِّرًا، فصارت العُربان الأنذال، ترمي بالرصاص مِن شواهق الجبال، وأخذوا على الحاج كثيرًا مِن الأحمال، وما انقطع عليهم مِن الأثقال، ومِن جُملة ذلك أخذوا مدفعين، لا أقَرَّ اللَّه تعالى لهم بها عين[3].

ثم بعد ذلك اصطلح عبد اللَّه / ق٢٩١/ باشا مع بَدَّاي على شيءٍ معلوم، ويسلك له به الطريق، وكان هو الرأي، فوصل إلى مكة بعد حصول هذه الضنكة، وأرجو مِن المولى الغفور إذا دارت الأيام والشهور، يعود إلى مكة بقوة واقتدار، ويأخذ مِنْهم الثأر بسيفه البَتَّار، حتى لا يقرّ لهم قرار بتلك الديار، ويكون سببًا في طفي هذه النار.

[توطد العلاقة بين الشريف غالب وعبد الوهاب أبي نقطة]

فلمَّا قضى حجاج المسلمين المناسك، وطاب للغريب الناسك سير

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: رءوس.

(٢) البيت للنابغة الجعدي، انظر: أحمد عبد السلام الجرّاوي، **الحماسة المغربية**، ٢/ ٨١١، وفيه ورد البيت:

وَمَــنْ ظَـنَّ مِـمَّـنْ يُـلاقِـي الْـحُـرُوبَ   بِــأَنْ لاَ يُـصَـابَ فَـقَـدْ ظَــنَّ عَـجْـزَا

(٣) كذا في الأصل، والصواب: عينًا.

المسالك، نزلوا بخيف مِنَى، ونالوا كُلّ قصد وهنا، ونزل الوهابيون بوادي محسِّر بكل مُحَلّق ومُقَصِّر، وعرض قومُ أبي نقطة على مولانا الشريف يوم العيد، ووصلوا يرتجزون إلى تجاه داره مِن كُلّ فاجر عنيد، حتى خيف أنَّها خديعة، وفعلة غدر شنيعة، لكن صاحب الترجمة أعَدَّ لهم ما يليق بعلو هُمته، وما يقتضيه حزم [سجيته][1]، ثم عادوا إلى الخيام بعد رَدّ السلام، وفي اليوم الثالث نزلوا بالْمُحصَّب ونصب كُلّ خيامه وطنب، ونزل وفد اللَّه حِمَى الحرم، وفازوا مِن البيت بالحجر المُكَرَّم.

وفي هذه الأثناء جاء أبو نقطة لمنزل الشريف وسلَّم عليه، وفاز مِن دون غيره بتقبيل يديه[2]، فأفاض عليه خِلْعة مِن السَّمُّور الجالب للسرور، وقَدَّم له حصانًا مِن الجِياد مَرَخَّت[3] تَبَرَّك به وتَبَخَّت، وألبسه شالاً وسيف[4] جليل المقدار مسنون الغرار وصارمًا بتَّار[5]، فاحترق قلب المضايفي عثمان، وتأَجَّج في فؤاده لاعج النيران، ومات الشقي غيظًا وحنق[6]، وَوَدَّ مِن غيظه لو اختنق.

---

(١) وردت في الأصل شجيته، والتصويب مِن النسخة (ب)، ورقة ٢٣٥.

(٢) يوضح لطف اللَّه جحاف أسباب هذه المَودَّة التي أبداها الشريف غالب لعبد الوهاب أبي نقطة، حيث ذكر في أحداث عام ١٢٢١هـ/ ١٨٠٧م - أيّ بعد توقف تاريخ ابن عبد الشكور - أنَّ الشريف غالب عرض إلى أبي نقطة ليزوجه ابنته، وقد كان. وفي ذلك يقول: «وبدا للشريف غالب أنْ يُقوِّي أمره ويشدَّ عضُدَهُ بأمير، لئلاَّ يَتسلطَ عليه عثمان المضايفي، فطلب مِن عبد الوهاب أبو نقطة أنْ يُزَوِّجهُ ابنته لقربه مِنْه، ولعدم وجود مناصر لهُ دونهُ؛ فأجابه على ذلك». لطف اللَّه جحاف، **درر نحور العين**، ص ٦٤٠. ولا ريب أنَّ هذا الزواج السياسي أراد به الشريف غالب، أنْ يجد حاكمًا قويًّا ومناصرًا في منطقة قريبة مِنْه، فوجد ضالّته في أبي نقطة أمير عسير، وبذلك يكون صِهْره وخليله ونصيره في المنطقة، ليحافظ على مركزه في الحجاز، وحتى يقف به ضد أطماع عثمان المضايفي، الذي كان يكيد له عند الإمام سعود في الدرعيَّة، كما سيظهر في عدة أحداث لاحقة، سيذكرها مؤرخنا ابن عبد الشكور.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: مَرَخَّتًا.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: سيفًا.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: بتَّارًا.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: حنقًا.

[متاعب حجاج الشام في طريق العودة]

وفي اليوم الرابع عشر مِن ذي الحجة[١]، منع عثمان المضايفي السخانية عن حمل الذخيرة، ورام تعطيل الحج وتحسيره، فامتثلوا أوامره ونواهيه، وسلكوا المسلك الذي يرتضيه لكونهم من جملة الوهابيين الذين دخلوا في هذا الدين، ثم إنَّهم انتقلوا مِن الزاهر إلى مُخَيَّم عثمان فأناخوا بحماه، وخَيَّمُوا بالقرب مِنْه واحتموا بذراه، وما زالوا مُخَيِّمِين بتلك الخيام حتى هرب أغاة الدّلاَتِيَّة بن الوفي وأمره عليهم إلى الشام، فتَوَجَّه بهم إلى ذلك الحِمَى، وبلغنا بعد ذلك أنَّهم مات أغلبهم مِن الظما[٢]، وحصل على الحج بعض تعويق، لكونهم يحملون له الميرة والعليق، ثم تَوَجَّه إلى وطنه بحالة متعبة جدًّا، نال مِنْها مشقّة وقاسى بها جهدًا، وحصل عليه في الطريق من المتاعب والمشاق، ما لا يُستطاع حمله ولا يُطاق. / ق٢٩٢/

وبقي بمكة عابدي باشا والي جدة إلى تمام السنة، وهو ممرض في داره ونفسه في يد الحمام مُرتهنة، فأصيبت الحجاج ومات كثير في تلك الفجاج، وفنيت الجمال، وتعطلت الأحوال، وبقيت مرماة في الفلوات، وفي كُلّ منزل يتركون مِنْها شياء[٣] في تلك الجهات، ومِن جملة المتاعب الشاقة والبلية، تأخَّر في هذا العام باشة الجردة[٤]، الذي كان يلقى الحاج في هَدِيَّة[٥]، وكان يُعينه بكل ما كان عليه قاصر مِن خف وحافر، فما وصل إلى الشام في هذا العام إلا بعد الجهد التام، فعسى اللَّه الكريم أنْ يرحم مَن مات، ويعوض ما فات.

---

(١) ١٤ ذو الحجة ١٢٢٠هـ/ ٤ مارس ١٨٠٦م.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: الظمأ.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: شيئًا.

(٤) **الجردة**: قافلة كانت تخرج مُحَمَّلة بالمؤن مِن دمشق، لتلقى قافلة الحج الشامي في طريق عودتها. نادر العطار، **تاريخ سورية في العصور الحديثة**، ج١، دمشق، ١٩٦٢م، ص ٣٤٠.

(٥) **هَدِيَّة**: أحد منازل الحج في الحجاز، تقع شمالي المدينة المنورة على مسافة ١٦٩ كيلاً. عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ص ١٨٢٦-١٨٢٨.

[أحداث سنة ١٢٢١]

ثم في هذا العام فتح البيت الشريف في تاسع محرم الحرام[١]، لأجل تعجيل الوهابيين اللام[٢]، وخوف[٣] مِن المشقة على الناس والازدحام، فدخلوا بيت اللَّه وخرجوا مِن دِيْنه جلّ علاه، وارتحلوا مِن مكة في محرم في اليوم الحادي عشر[٤]، وكان يومًا مباركًا أغَرَّ، وطهّر اللَّه تعالى مِن أرجاسهم أم القرى على سبيل الاستقرار، ونعاهم البوم في البرية الغبرا[٥] وتخلَّت، ونُودِي خلفهم إلى حيث ألقت.

إِذَا ذَهَـــبَ الْـحِـمَـارُ بِــأُمِّ عَـمْـرٍو
فَـلاَ رَجَـعَـتْ وَلاَ رَجَـعَ الْـحِـمَـارُ[٦]

[انتشار الجُدَرِيّ بين السلفيين]

ثم إنَّ القادر الحكيم جلّ شأنه، وتعالت عظمته وسلطانه، سَلَّط عليهم مُدَّة جلوسهم بمكة المرض الذي لا يُعرف له بَدْء؛ الجُدَرِيّ الذي عَمَّ أجسامهم ونتَّن ريحها كالخراء، وحَلَّ بهم العنا[٧] ونزل

(١) ٩ محرم ١٢٢١هـ/ ٢٨ مارس ١٨٠٦م.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: اللئام.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: خوفًا.
(٤) ١١ محرم ١٢٢١هـ/ ٣٠ مارس ١٨٠٦م.
(٥) كذا في الأصل، والصواب: الغبراء.
(٦) البيت محدث مولّد ينشد في تكذيب خبر وإبطاله، انظر: محمد الخوارزمي، الأمثال المولدة، ص ٣٢٩.
(٧) كذا في الأصل، والصواب: العناء.

عليهم الفنا[١]، حتى مُلِئَت مِنْهم المقابر، وسئم مِن كثرتهم كُلّ غاسل وحافر، فصاروا يضمون الموتى بعضهم، ويحفرون لهم حفر القَلِيبُ[٢] في الأرض؛ فتجتمع تلك الأرواح الخبيثة، والأجسام الرثيثة، ويهوى بها إلى النار وبئس القرار، ويحل بهم غضب اللَّه تعالى وعقابه، فويل لهم ثم ويل لهم يوم حسابه.

[اهتمام السلفيين بالمسجد الحرام أثناء تواجدهم بمكة]

ومِن أعجب الاتفاق والاعتنا[٣] بجيران بيت اللَّه الحرام، أنَّ مُدَّة إقامة الوهابيين بهذا البلد الأمين، كانوا هُمُ الفعلة والحمّال الذين يحملون لأهلها الأثقال، وهُمُ الذين يحتطبون لهم على أعناقهم كالبهايم[٤]، وهُمُ الذين يكنسون المزابل، ويحملون لهم القماقم، حتى إنَّ أهل مكة لقصد إهانتهم وتنزيل مكانتهم، صاروا يأمرونهم بنزح الغايط[٥] مِن الملاحيض[٦]، لتلويث لحاهم / ق٢٩٣/ في بطن الحضيض، فانظر لهذا الاعتنا[٧] وكيف أَعَزَّ اللَّه تعالى جيرانه، وحما بيته مِنْهم وصانه، وأَذَلّ أولئك الكفار حتى صاروا في غاية الاحتقار، مع أنَّهم ما جاوا[٨] إلا لقتلهم وختلهم، ونهب أموالهم وسبي أطفالهم، فحبسهم عنهم حابس الفيل، كما قيل:

الْجَار يَحْمِي جَارَه
فَاحْمِي جِوَارك

(١) كذا في الأصل، والصواب: الفناء.
(٢) القَلِيبُ: البئر. والجمع: قُلُبٌ، وأَقْلِبَة. المعجم الوسيط، ص ٧٥٣.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: الاعتناء.
(٤) كذا في الأصل، والصواب: البهائم.
(٥) كذا في الأصل، والصواب: الغائط.
(٦) أيّ المراحيض.
(٧) كذا في الأصل، والصواب: الاعتناء.
(٨) كذا في الأصل، والصواب: جاءوا.

[الشريف يُفرِّق القوات العثمانية بعيدًا عن مكة]

[السيطرة على ميناء ينبع]

فلمَّا تحقَّق صاحب الترجمة أنَّهم عن مكة فصلوا، وتَقَرَّبوا مِن ديارهم بل وصلوا، أعمل فكرته المُصَانة المُتَّجَه، وأخذ يُفَرِّق في عسكر الأتراك في كُلّ جهة[١]؛ ففي ستة عشر محرم الحرام[٢] أرسل حسين أغا الزربه ومعه مائتان مِن الأبطال، ومِن فوارس الخيل خمسين خيَّال[٣]، وأمره أنْ يحافظ بَنْدَر ينبع تحت أمر وزيره، ولا يخرج عن طوعه وتدبيره، فأقام محافظًا مع الوزير مطيعًا له فيما يشير، فأطال بينبع القعدة، ولم يطلبه إلا في أوَّل شهر القعدة[٤].

[الشريف يجمع العُشُور مِن ميناء سواكن]

ثم إنَّ صاحب الترجمة لا زال جنابه مُعَظَّم[٥]، أرسل في إحدى وعشرين

(١) يبدو أنَّ الشريف غالبًا قد قام بتفريق قوات الحامية العثمانية بعيدًا عن مكة حتى يتجنب أيَّة مؤامرة قد تحاك ضده حينما يوقع الصلح بصورة نهائية ويعلن انضمامه إلى الوهابيين، ولا ريب أنَّ الشريف كان متخوفًا مِن وقوع مثل هذا الأمر، وسيتضح ذلك في الفتن التي ستقع بين قوات الحامية وعبيد الشريف في مكة - كما سيأتي - وما سوف يترتب عليها مِن أزمات، وستظل هذه الحامية باقية في الحجاز، حتى يقوم الإمام سعود بن عبد العزيز بإصدار أمر بخروج هذه القوات بعيدًا عن الحجاز، وذلك خلال وجوده في موسم الحج في عام ١٢٢١هـ/ ١٨٠٧م، ليعلن بذلك انقطاع أيَّة صلة بين الدولة العثمانية وهذا الإقليم الذي ظلت تحكمه دون منازع حوالي ثلاثة قرون، وزادت مكانة الشريف غالب الذي خلى له الجو في الحجاز، حيث كانت لديه قوة عسكرية تتجاوز ثلاثة آلاف؛ من أهل اليمن وحضرموت والمغرب ألفان، ومن العبيد حوالي ألفٍ للمحافظة على القلاع في مكة المكرمة، بالإضافة إلى بعض القوات التابعة للوهابيين في مكة والمدينة. للمزيد انظر: Ali Bay: op.cit, vol.2, p.p.112-113.؛ عثمان بن بشر، **عنوان المجد**، ١/ ٢٩٢؛ محمد عبد العال، **الحجاز والدولة السعودية الأولى**، ص ١٥٠-١٥٢.

(٢) ١٦ محرم ١٢٢١هـ/ ٤ إبريل ١٨٠٦م.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: خيَّالًا.

(٤) أوَّل ذي القعدة ١٢٢١هـ/ ٩ يناير ١٨٠٧م.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: مُعَظَّمًا.

شهر محرم[١]، أحمد أغا الإسكبلي الطويل بماتين[٢] مِن الأتراك إلى سواكن، لجمع ما يَتَحَصَّل مِنْها ومِن تلك الأماكن، فتَوَجَّه أحمد أغا المذكور بعساكره مُطِيعًا لنواهيه وأوامره، وأرسل معهم مصطفى كَتْخُدا جدة نايبا[٣] على البَنْدَر المذكور، لجمع ما يتحصل مِن العُشُور، فأقام بهم في تلك المحلّة ثمانية أهلَّة، ثم وقع بينهم وبين أهل البلد جدال، أفضى إلى قتال، فأغراهم بالشر إبليس اللعين، حتى قتلوا مِن أهل البلد نحو أربعين، وحرقوا بعض البيوت وانتهكوها أعظم انتهاك، وقتلوا مِن الترك سبعة أتراك، وعادوا لصاحب الترجمة بهذا البيان في شهر شعبان[٤]، فلم يحمدهم على الفَعْلَة التي فَعَلوها، والنفوس التي قتلوها، وما أراها إلا مِن جملة الفساد، والأمُور التي تصدر على غير المراد.

[السيطرة على ميناء مصوع]

وفي الرابع والعشرين من محرم[٥]، أرسل المَلِك المُتَرجَم، صاحب النعم وملي الهمم، إلى بَنْدَر مصوع عابدي أغا ومعه مِن الأتراك ماتين[٦]، تترك الأعدا[٧] أثرًا بعد العين، وأرسل معهم مِن يوصلهم إلى نايب[٨] كان بها يقال له: إدريس، طرده أهل البلد بعد أنْ كان الرئيس، فلمَّا وصلوا إليه ومثلوا بين يديه؛ قوي بهم جناحه وتم مقصده ونجاحه، فأقاموا لديه بتلك المدرة، ولم يكن لأحد عليه مقدرة، وهُم يَسْتَلِمُون الجوامك / ق٢٩٤/ مِن مُتَحَصّل البندر، على حسب عادتهم كما مَرَّ، ثم بعد مُضِيّ نصفِ عامٍ

---

(١) ٢١ محرم ١٢٢١هـ/ ٩ إبريل ١٨٠٦م.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: بمائتين.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: نائبًا.
(٤) شهر شعبان ١٢٢١هـ/ ١٣ أكتوبر - ١٠ نوفمبر ١٨٠٦م.
(٥) ٢٤ محرم ١٢٢١هـ/ ١٢ إبريل ١٨٠٦م.
(٦) كذا في الأصل، والصواب: بمائتين.
(٧) كذا في الأصل، والصواب: الأعداء.
(٨) كذا في الأصل، والصواب: نائب.

حصل بينهم الخلاف التام، بسبب تعبث عابدي أغا وتعدّيه عن القياس، واستطالت يده لأخذ شيء مِن أموال الناس، ثم إنَّه رجع بالعسكر إلى جدة بغير إذن مولانا الشريف، بعد أنْ صدر مِنْه هذا التزييف، فصدف أنَّه كان في تلك المُدَّة مُقِيْمًا ببَنْدَر جدة، فلم يُقَابِله إلا بسهم غضبه الصايب(١)، ولم يأذن لإخراج عسكره مِن المراكب، ثم أخرجهم بعد خمسة أيام وأمر بتسفيره وإهانته، لفُحش فعلته وخيانته.

وفي يوم الخميس السابع والعشرين مِن محرم(٢)، أرسل إلى محافظة جدة محمد أغا دالي باش(٣)، وأوصل جناحه وأراش، وأرسل معه مِن الأتراك ماتين(٤) مِن العسكر التي تشوف العين، ومِن فرسان النزال خمسين خيَّال(٥)، وكان محمد أغا رجلاً أحمق معجبًا بنفسه، لا يحسب للعواقب ولا ليومه مِن أمسه، وفي ساعة تَوَجّهه إلى جدة، سقط مِن على ظهر حصانه بين جماعته وأقرانه، فأُصِيب في يده لعنده بالأذِيَّة وتَعَمّده، قيل: إنَّها كُسِرَت، وقيل: إنَّها مَشْعُورة، واختلفَ أهلُ المعرفةِ في هذهِ الصورةِ، وما حصل له هذا إلا مِن شدّة إعجابه، والدخول إلى الكِبْر مِن جميع أبوابه، فلمَّا نزل بجدة وأقام بها خمسة أشهر مُستمدة، شَرَع في إفساد العَسَاكر خافيًا وظاهر(٦)، ففطن له الشريف ورفعه عن منصبه، وأمر العساكر بتجنبه وأعاده إلى مكة بمفرده، لتسكين الفتنة التي تَصْدر على يده، ولمَّا وصل إلى أم القرى حَرَّك فيها فتنة

(١) كذا في الأصل، والصواب: الصائب.
(٢) ٢٧ محرم ١٢٢١هـ/ ١٥ إبريل ١٨٠٦م.
(٣) **دالي باش**: مرتبة عسكريَّة مِن مراتب الجيش العثماني، اختصّ حاملها بقيادة وحدة مِن الجند الدّلاَتِيَّة. مصطفى الخطيب، **معجم المصطلحات**، ص ١٨٤؛ سهيل صابان، **المعجم الموسوعي**، ص ١١٥. ويبدو أنَّ محمد أغا هذا رئيس مجموعة الدّلاَتِيَّة الذين تركهم سليمان باشا أمير الحج الشامي في مكة، بعد الانتهاء مِن موسم الحج في ذي الحجة ١٢١٨هـ/ مارس ١٨٠٤.
(٤) كذا في الأصل، والصواب: مائتين.
(٥) كذا في الأصل، والصواب: خيَّالاً.
(٦) كذا في الأصل، والصواب: ظاهرًا.

عظيمة، وفَعَل فَعْلَة ذَمِيمَة، وأثار الفتنة الآتي ذِكْرها، العظيم قدرها، كأنَّها ختمت بعمره، وكان هذا جزاء عاقبة أمره.

وأرسل إلى بَنْدَر جدة في تسع وعشرين مِن محرم[1]، مولانا الشريف المُكَرَّم، أربعين خَيَّالاً مِن الأتراك مع تفقجي باش، وعَيَّن لهم ما قَرَّره مِن المعاش، فما زالوا بِسَاحَتها مُقِيمِين وبباسم ثغرها مُرَابِطين، خمسة أشهرٍ هي مُدَّة إقامته، مُحتَمين به بأمنه وحمايته، إلى أنْ عادوا في ركابه يومَ إيابه.

[الشريف غالب يُقيم خندقًا حول مدينة جدة]

ثم لمَّا فَرَّق جلّ عساكره الأتراك، بعلو همته التي جاوزت السِّمَاك، وقد رَتَّب أُمُور بلده وحَصَّنَها بِسَاعده ويَده، وأمن على رعيته وأمَّنهم في بلادهم، واطمئن عليهم مِن جَوْر الترك وفسادهم، عَنَّ له أنْ يتَوَجَّه إلى إصلاح بندره المعمور، وتَحْصِينَه بالخندق والسور/ ق٢٩٥/.

وَمَــا طَــالَــت رِقَــاب الأُسْــد حَـتَّى
بِـأَنْـفـسـهـا تُـقَـضِّـي مَـا عَـنَـاهَـا[2]

فتَوَجَّه مِن مكة في غُرَّة صفر[3] الأغَرّ، وفي اليوم الثاني أصبح البندر، فنزل في دار الوزارة ومُسْتَقَرّ الإمارة، وفي يوم الجمعة رابع شهر صفر[4] المبارك الأغَرّ، نهى عن شرب الدخان بجدة في الأسواق، وأمر بمنع بيعها في الدكاكين على الإطلاق، ثم أمر بعمارة الخَنْدَق على هذا النسق، ورأى أنَّ حفره بالمَسَاحِي صعبٌ على الفعلة يحتاج إلى مُدَّةٍ مُطَوَّلة، فاختار بنيانه

---

(١) ٢٩ محرم ١٢٢١هـ/ ١٧ إبريل ١٨٠٦م.

(٢) البيت لا يعرف قائله، انظر: محمد بن أيدمر المستعصمي، الدر الفريد وبيت القصيد، ٩/ ١٥٠. وفيه:

وَمَـا غَـلُـظَـتْ رِقَـابُ الأُسْـدِ إِلَّا   بِـأَنْـفُـسِـهَـا تَـوَلَّـتْ مَـا عَـنَـاهَـا

(٣) غُرَّة صفر ١٢٢١هـ/ ١٩ إبريل ١٨٠٦م.

(٤) ٤ صفر ١٢٢١هـ/ ٢٢ إبريل ١٨٠٦م.

بالبَقَرَ أسهل وأيسر، واشترى ثمانين ثور[١] لنفي التعب والجَوْر، وجمع المُعَلِّمِين أهل الهندسة والصناعة، ومَن له كمال المعرفة والبراعة، وجعل أربعين يشتغلون مِن جهة الشام وأربعين مِن جهة اليمن، لنجح المَطْلب في أيسر زمن، فشرعوا في تعميره كما أمر، مِن أوَّل شهر صفر[٢]، وما زالوا عليه مُجْتَهِدِين، شمالاً ويمين[٣]، إلى شهر جماد الثاني[٤]، وهُم آخذون في تشييد تلك المباني، ثم لم يبقَ للشغل بالبقر مسرح، لغشيان الماء الذي لم يدع لها فيه مسبح[٥]، ووجدوا حجرًا جهة الشمال قدر مائة ذراع، يقال له: المَنْقَبَة، لصلابة أحجارها المُتَصَعبة، فأمر الحَجَّارين أنْ يَفْقِشُوهَا[٦] بِمَعَاول الحديد، ويَحْرِقُوهَا بالنار ويُبَدِّدُوهَا كُلّ تَبْدِيد، وما زالوا مُجْتَهِدين الاجتهاد التام إلى آخر العام، فجاء كما تراه خَنْدَقًا يروق الخاطر، ويشوق الناظر، وتَحَصَّنَت البلاد به غاية التَّحْصِين، وتَمَكَّنَت نهاية التَّمْكِين، وانقطعت آمال العدو عن المطامع، كما هو نَصّ في الواقع. وفي يوم الأحد ثاني جماد الثاني[٧]، أمر ببناء بُرج على نفس باب البُغاز المُسَمّى بالعلم، يمنع الداخل إلى المرسى إنْ قصده عُنْوة وأَمَّ، فبنوا الأساس حتى اعتلا على وجه الماء، ثم تركوه إلى ما.

[اتمام الصلح بين الشريف غالب والسلفيين]

وفي غاية شهر صفر[٨]، وصل نحو عشرين رجلًا مِن أهل الدرعيَّة، وفيهم حمد بن ناصر، وهو مِن رؤساء الفئة الوهابيَّة، فلمَّا وصلوا إلى مكة بكتابٍ مِن

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: ثورًا.
(٢) أوَّل صفر ١٢٢١هـ/ ١٩ إبريل ١٨٠٦م.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: يمينًا.
(٤) شهر جمادى الثاني ١٢٢١هـ/ ١٥ أغسطس - ٣ سبتمبر ١٨٠٦م.
(٥) كذا في الأصل، والصواب: مسبحًا.
(٦) يَفْقِشُوها: أي يكسروها. **المعجم الوسيط**، ص ٦٩٧.
(٧) ٢ جمادى الثاني ١٢٢١هـ/ ١٦ أغسطس ١٨٠٦م.
(٨) غاية صفر ١٢٢١هـ/ ١٧ مايو ١٨٠٦م.

سعود، وكان صاحب الترجمة غير موجود، فنزلوا إلى جدة لملاقاة الشريف، ولإظهار ما جاوا[1] به مِن الإفك والتزييف، فاتجهوا بالشريف المذكور في البَنْدَر المعمور، فأطلق الكتاب على عزيز الجناب، ثم عقد بينهما الصلح وزال الإبْهَام، واتضح / ق٢٩٦/ اتضاحًا تام[2]، ونزل حمد بن ناصر إلى مسجد عُكاش[3] في الحين، وقرأ رسالة جده التي يُكَفِّر فيها المسلمين، وأَمَرَ الناس وتجار البلد وسُكَّانها، وساداتها وأعيانها، وما زالوا يحضرون قراءتها حتى أتَمَّها، وأبدى المقاصد الذي[4] أمَّها، وخلط فيها ابن عبد الوهاب، وآثر الخطأ على الصواب.

[الشريف غالب يأمر بتطبيق مبادئ الدعوة السلفيّة]

وفي اليوم الخامس والعشرين مِن شهر صفر[5]، أمر بهدم قبب الصالحين؛ لِتَطِيْب نفوس أولئك المُعَاندين، وأَمَرَ على أهل جدة بالإمساك عن شرب التنباك، وعلى جميع أهل مكة شَرَّفها اللَّه تعالى مدى الزمان، أنْ يدخلوا إلى المسجد حين يسمعون الأذان، ويحضروا على العُلماء استماع الرسائل التي صَنَّفَها، والعقايد[6] التي تَعَسَّفها، فقروا[7] العُلماء الرسائل لكن على غير اعتقاده، وأوضحوا فيها مَعَانٍ صَرَفُوهَا عن مُراده، إذ مراده تكفير الأُمَّة على سبيل العُموم، وحمل الناس على ارتكاب مذهبه المَهْشُوم، وأَمَرَ الناس أنْ لا يتظاهروا بشرب الدخان، وأنْ لا يُبَاع في حانوتٍ ولا دكان.

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: جاءوا.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: تامًّا.
(٣) **مسجد عُكاش**: أحد مساجد جدة، يقع على طرف البحر. عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ص ١٥٨٩.
(٤) كذا في الأصل، والصواب: التي.
(٥) ٢٥ صفر ١٢٢١هـ/ ١٣ مايو ١٨٠٦م.
(٦) كذا في الأصل، والصواب: العقائد.
(٧) كذا في الأصل، والصواب: فقرأ.

وفي اليوم السادس مِن شهر ربيع الأوَّل[١]، أرسل الشريف مِن جدة ونهى عن تكرار الجماعة في المسجد الحرام، وأنْ لا يُصَلِّي في الوقت إلا إمام، وأنْ يقتصرون[٢] على الأذان في المناير[٣] فقط، ولا يُصَلُّون[٤] على النبي صلى اللَّه تعالى عليه وسلم فيها قطّ، وأنْ يتركوا التذكير والترحيم والتسليم، لعلمه أنْ لا يُفيد معهم شيء غير التسليم، وكل ذلك تَسَتُّرًا ومُداراة لإخماد نار فتنته، وخوف عظيم مِحنته، وما أحوج الناس على إطاعتهم على مثل هذا المِقدار، غير ما وقع لهم مِن الحصار، وإلا فمعاذ اللَّه تعالى أنْ يرتضوا بالدخول في دينه المعوج، والخروج مِن الحنيف الأَبْلج.

يُقْضَى عَلَى المَرْءِ في أَيَّامِ مِحْنَتِهِ
حَتَّى يَرَى حَسَنًا مَا لَيْسَ بِالحَسَنِ[٥]

وأبطل الشريف ضرب نوبته[٦] ونوبة والي جدة، حتى يُفَرّج اللَّه تعالى هذه الشِّدّة.

فلمَّا ظهر هذا كله لحمد بن ناصر، ظَنَّ الشقي أنَّ الإطاعة باطنًا وظاهر[٧]، وغَرَّه لين المقال وتَزَخْرُف الأحوال، ولم يعلم هذا المُغَفَّل أنَّ في الحَيَّاتِ لِيْنًا يُعْتَزَل. فعند ذلك أرسل إلى الدرعيَّة صاحب الفطنة والألمعيَّة،

(١) ٦ ربيع الأوَّل ١٢٢١هـ/ ٢٣ مايو ١٨٠٦م.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: يقتصروا.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: المنائر.
(٤) كذا في الأصل، والصواب: يُصَلُّوا.
(٥) لم أقف على قائله، انظر: شهاب الدين محمود الآلوسي الحسيني، **غرائب الاغتراب ونزهة الألباب**، مطبعة الشابندر، بغداد، د.ط، ١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م، ص ٤٣٨.
(٦) كان للشريف غالب فرقة موسيقية عسكريَّة، هذه الفرقة كُوِّنَتْ مِن الطبول الشبيهة بالغلايات، والأبواق، والنايات، وكانت تقوم بالعزف يوميًّا أمام باب منزل الشريف، كما كانت تقوم بالعزفِ مُدَّة ساعة تقريبًا كُلّ مساءٍ مع ظهور الهلال الجديد. جون لويس بوركهارت، **ترحال في الجزيرة العربية**، ١/ ٢٦٧.
(٧) كذا في الأصل، والصواب: ظاهرًا.

الحسيب النسيب، والشهم النجيب عريق النسب، والجامع بين شرفي العلم الغَرِيزِي والمُكْتَسَب، حاوي الكمالات / ق٢٩٧/ والمعارف، وكعبة الجُود الذي كلاء بابه طايف[١]، السيد الشريف، والشاب الظريف، الذي أشرق نور النبوَّة في بارق أسرته، وتَطلع بُدُور الهُدَى مِن هَالة أسرته، صاحبنا الجمال السيد محمد العطَّاس لا زال طيب الأنفاس، وأرسل معه جواب هذا الكتاب والهديَّة، وصحبه حمد بن ناصر إلى الدرعيَّة، ثم عاد قرير العين، وكانت مُدَّة غيابه شهرين، فأقام بمكة ثلاثة أيام بعد بلوغ مأمله، ثم نزل لجدة إلى مُرْسِله، فأعطاه كتاب سعود، وعلم ما فيه مِن المقصود، فلمَّا قرأ الكتاب احتاج الأمر إلى إعادة جواب، فأرسل في اليوم السابع عشر مِن جمادى الثانية[٢] مُحْسن الشبلي[٣]، وأمر أنْ يُسرع إليه بعد أنْ يُخْبره ويُملي، فغاب شهرًا واحدًا ويومين، ودخل مكة ضحوة يوم الخميس[٤] طاويًا شُقَة البَيْن.

[وقوع قتال وفتنة بين الأتراك والعبيد في مكة]

وبينما صاحب الترجمة ببَنْدَر جدة مقِيْم، وهو في السرور والأُنْس المُسْتَدِيم، إذ بلغه في اليوم الخامس والعشرين مِن جمادى الثانية[٥]، وقع بمكة قتال شديد بين الأتراك والعبيد، طال أمره واستمَدَّ، ولفح سُمُومه واشتَدَّ، ووقع الجري في كُلّ زُقَاق، وعزلت الدكاكين والأسواق، وصار بينهم القتال مِن البيوت والجبال، فدخل بينهم بالصلح وزير الشريف القايد[٦] كُلَيْب، وحاكمه الأرشد المُسَدَّد القايد[٧] أحمد، لا زال في الدارين مُسْعد[٨]،

(١) كذا في الأصل، والصواب: طائف.
(٢) ١٧ جمادى الثانية ١٢٢١هـ/ ٣١ أغسطس ١٨٠٦م.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: مُحْسنًا.
(٤) ١٩ رجب ١٢٢١هـ/ أوَّل أكتوبر ١٨٠٦م.
(٥) ٢٥ جمادى الثانية ١٢٢١هـ/ ٨ سبتمبر ١٨٠٦م.
(٦) كذا في الأصل، والصواب: القائد.
(٧) كذا في الأصل، والصواب: القائد.
(٨) كذا في الأصل، والصواب: مُسْعدًا.

وسلحداره ريحان، وأصلحوا بينهم هذا الشأن، على أنَّهم يرسلوا[1] رسولًا إلى جدة في أيسر مُدَّة، لصاحب الشرافة ومقرّ تخت الخلافة، وهو يفصل بينهم الخطاب بِمَا يُرسِلَه مِن جوابٍ، فأعاد الجواب مع الرسول بالحال، وأمَرَهُم بالكفّ عن القتال، حتى يصل بنفسه ويتحقّق الخبر، ثم يَقْتَصّ مِن البادي بالفتنة والشر في الأثر، فَامْتَثَلُوا كما أمر، وسكن الأمر واستقرّ، بعد أنْ قتلوا السلحدار ريحان ظلمًا وعدوان[2]، وكان قَاتِله أكبر الأوْبَاش، محمد أغا دالي باش، وقُتِل وأُصِيب مِن الطرفين مَن دَنَا مِنْهم الحَيْن.

وكان مِن جُملة القتلى، أحد أولاد مرضي العُميري قُتِلَ في الآثار، فجاء أخوه مِن جدة مجدًّا على فرسه لأخذ الثأر، فوجد تركيًّا طعنه بالرمح، وكان سببًا لنقض الصلح، فثارت الفتنة بعد ما سَكنت، وعادت العداوة بينهم وتَمَكَّنت، وقام الحرب بينهم على ساق، ووقع القتال / ق٢٩٨/ حتى ضاق الخناق، وبلغ الخبر للشريف وعلم أنَّه إنْ لم يصل بنفسه ويُجافِيها، ويُدرك هذه النار ويطفيها[3]؛ لأدى الأمر إلى ما لا خير فيه، ويصعب حينئذٍ تداركه وتلافيه، فمشى مِن جدة بعد صلاة الجمعة، ومشى مَن كان بها مِن العساكر معه، وأرسل إليهم رسولاً قبل حلوله يخبرهم بوصوله، فبلغه الخبر وهو في الطريق، أنَّهُم قد امتنعوا عن القتال بالتحقيق، وكانت مُدَّة اسْتِدَامَة الحرب أُمْلِيْهَا أربعة أيام بلياليها، وكان الفائت مِن الطرفين بالقليل، نحو عشرين مِن بين صويب وقتيل، وقُتِلَت امرأة مِن أهالي مكة وهي بِبَيْتها فرطًا، ولم ينوها قاتلها إلا كأنَّه أخطأ.

ولمَّا وصل صاحب الترجمة إلى داره، بين أشياعه وأنصاره، اطمأنَّت لقدومه قلوب الرعيَّة، ودعوا له بطول البقاء في البقاع الحَرَمِيَّة، ثم تحقَّق بفَهْمه الوَقَّاد عن أرباب الفساد، فأمر بتسفير المُفسدين عن بلده، وإبقاء

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: يرسلون.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: وعدوانًا.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: يطفئها.

الصالح مِنْهم تحت يده، وأمَّا رايس[1] هذه الفتنة محمد أغا دالي باش - المُتَقَدّم ذِكْره المَشْهُورة حِيلَته ومَكْره - أخرج بحيلة على أنَّهم يُسَفِّرُوه[2] مِن البلد، فَقُتِل في طريق جدة ولم يَعْلَم به أحدٌ، فاقْتُصّ مِنْه بدم ريحان السلحدار الذي قَتَله، واللَّه سبحانه وتعالى يُجَازي كلًّا بِمَا فعله.

[عثمان المضايفي يحاول الوقيعة بين غالب وسعود]

ثم لمَّا وقع بمكة هذا القتال، وجرى الدم فيها وسال، وكان عثمان المضايفي يتمنى هذا المطلوب، ويَرَى أنَّه حاجة في نفس يعقوب، فتَوَجَّه مِن الطايف[3] إلى الدرعيَّة، ليخبر سعودًا بهذه القضية[4]، ويرمي عنده الشريف

(١) كذافي الأصل والصواب: رئيس.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: يُسَفِّرُونَه.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: الطائف .
(٤) وقعت منافسة شرسة بين الشريف غالب والأمير عثمان المضايفي، وقد سعى الأخير فيها إلى الوشاية بالأوَّل في كافة القضايا التي يمكن أن ينال مِنْه بها عند الإمام سعود في الدرعيَّة، وقد فطن الشريف للأمر؛ فعمل على اجتذاب بعض المؤيدين له، فتزوَّج ابنة أبي نقطة - كما ذكر آنفًا - وقام برفع رسالة طويلة إلى الإمام سعود يوضح له فيها خلوص المحبة والمودة، ويطلب مِنْه أن يكون ذراعه اليمنى في الحجاز، ولعلَّ ما يهمنا فيها أنَّه قد أبدى تخوُّفه مِن المضايفي، وقد ظهر ذلك في خمسة مواضع مختلفة مِن الرسالة، سواءٌ في أوَّلِهَا أو وسطها أو آخرها؛ الأمر الذي يُبيِّن الأثرَ النفسي السيِّئ الذي سبَّبهُ وجود المضايفي في الطائف على الشريف غالب؛ فحاولَ الشريف جاهدًا أنْ يُقلِّبَ الإمام سعودًا حتى يُزيحه عن الحجازِ، أو أنْ يُعيَّنَ في أيِّ منصب آخر في الدولة، ومِن ذلكَ قولهُ: «إنَّهُ منذ نزل المُسلمون [يقصد الوهابيين] إلى مكة لم يكن على حال وقرار في حركاتِهِ... وقد سلك مع أغراضِ هواهُ، والنفسُ أمَّارةٌ بالسوءِ .. لأنَّ قصدَهُ مِن تلك الحركاتِ هو تنفير خاطرنا»، وفي موضع ثانٍ يقولُ: «إنَّ حركاتِ عُثمان في طرفنا التي شاهدها كبارُ المُسلمينَ... سوف تُذكر حقيقتها لكم حتمًا..»، وقولُهُ: «إنَّ ما صدر مِن أُمورٍ حتى الآنَ إذا أدركها حُكمُكُمْ فأنتم أعرَف بأموركُم معه، أمَّا إذا كان هذا لم يبلغكم خبرهُ فإنَّنا عَلى استعدادٍ لإثبات مَا ذكرناهُ على الوجه الذي أوردناهُ». وَفي موضع آخر يقول: «لا تدعْ عُثمانَ وسواهُ يتمادَى عَلَيَّ فِي القولِ». **الأرشيف العثماني**: ٩٤ / ٣٨٣٨ H.H وقد=

بهذه الرمية، فتَوَجَّه هذا الفاجر المرتد في خامس رجب[١] الفرد، وأخبره بِمَا شا[٢] مِن الفجور وأقاويل الزور، ثم عاد إلى الطايف[٣] بعد أنْ بَثَّ ما بَثَّ له مِن تَزَاوِيْره وإِكْذَابه، وكانت غيبته خمسة وثلاثين يومًا، وهي مُدَّة ذهابه وإِيَابه.

[الشريف يبني حصنًا فوق جبل هندي في مكة]

وفي يوم السبت السابع عشر مِن رجب[٤]، أمر صاحب الترجمة، بلغه اللَّه تعالى أعلى الرتب، أنْ يُبْنَى له حصن على راس[٥] الجبل المُسَمَّى بجبل الهندي[٦]، وهو جبل جزل، لأنَّه موضع نايف[٧] مُشَيَّد، ليس لمنعه العدو قول ولا ترديد، يرمي مِن الجهات الأربع، ويحفظ هجوم العدو ويمنع، فشرع المُعَلِّمُون في إتقانه وتشييد مباني أركانه، إلى أنْ تَمّ على ما فيه مِن الإتقان /ق٢٩٩/ في عاشر شهر رمضان[٨]، ولمَّا تمّ بناؤه الظاهر، حَصَّنه بالرجال والذخاير[٩]، وها هو كما تراه العينان، وليس الخبر كالعيان.

= قامَ بنشرها: أحمد مرسي، "**شريف مكة بين قوتين**"، مجلة الدارة، ع ٢، س ١، الرياض، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م، ص ١٥٦-١٥٩. وانظر: **ملحق الوثائق**، وثيقة رقم (١٠).

(١) ٥ رجب ١٢٢١هـ/ ١٧ سبتمبر ١٨٠٦م.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: شاء.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.

(٤) ١٧ رجب ١٢٢١هـ/ ٢٩ سبتمبر ١٨٠٦م.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: رأس.

(٦) **جبل الهندي**: الجزء الجنوبي مِن جبل قعيقعان، أحد جبال مكة، ارتفاعه ٤٣٠ مترًا، يمتد شمالًا إلى الْحَجُون وغربًا إلى بئر طُوَى وجنوبًا إلى حارة الباب والشُّبيكة، يشرف على المسجد الحرام من الشمال والشمال الغربي، وفي أصله تقع المروة من جهة المدعى، أي في الشمال الشرقي للكعبة المشرفة، وهو الجبل الثاني من أخشبي مكة، والأخشب الأول جبل أبي قُبَيْس - المذكور سابقًا - وكان يعرف قديمًا بجبل قُعَيْقَعَانٍ. محمد الكردي المكي، **التاريخ القويم**، ٢/ ٣٨١-٣٨٢؛ عاتق البلادي، **معالم مكة**، ص ١٢ ١٣، ٢٢٣ ٢٢٤.

(٧) كذا في الأصل، والصواب: نائف.

(٨) ١٠ رمضان ١٢٢١هـ/ ٢٠ نوفمبر ١٨٠٦م.

(٩) كذا في الأصل، والصواب: الذخائر.

[قتال آخر وفتنة بين الأتراك والعبيد في مكة]

وفي آخر يوم مِن شهر رمضان(١) بعد صلاة العصر، وقعت حرابة بين العبيد والأتراك، وحصل على الناس مشَقَّة وارتباك، وعُزلت الأسواق والدكاكين، وتَرّس كُلّ مِنْهم بمكانٍ مكينٍ، ووقع الجري في شوارع البلاد، وطابت لذلك نُفُوس أهل الفساد، وصعب على الناس فوات العيد والتعطيل، وظَنُّوا أنَّ الحرب بينهم يَسْتَطِيل، فقام لها ليث الشرافة، ومَعْدِن الخلافة، وطفى(٢) هذه النار وأخمدها، وناهيك مِن سَجِيَّة تعَوَّدها، وما خرج الناس مِن صلاة المغرب إلا وخمدت تلك النار، ولم يبقَ لوجودها آثار، ولم يُقْتَل مِن الطرفين سوى اثنين، وعَيَّدت الناس، وزال عنهم الهَمّ والباس(٣).

[السيد عبد اللَّه ابن الشريف سرور بين الأشراف والسلفيين]

وفي ثاني شوال(٤)، وصل عبد اللَّه ابن الشريف سرور مِن الشرق، بعد غيابه عن مكة أربع سنوات، وركب طبقًا عن طبق، لأنَّه لمَّا خرج مِن مكة عام سبعة عشر من السنين - وما عاد إلى واحد وعشرين - وصل إلى القُسْطَنْطِينِيَّة المحروسة دار الخلافة، والحرم الآمن مِن المخافة، فأقام بها عامًا يَكْرَعُ في حياضها، ويرتع في رياضها، وحصل له القبول التام، لكونه ابن ذلك الهُمَام، ثم بدا لهم مِنْه أمر لم يرضوا(٥) به الأروام، فلم يطب له فيها المقام، فخاف على نفسه مِن العطب، وخرج مِنْها خائفًا يَتَرَقَّب.

ولمَّا وصل ما بين الحرمين، وعرف أنَّه قد تكلَّم عند السَّلطَنَة في عمّه بكلام شين، وقد بلغ عمّه عنه ما بلغ، أنَّه بكلام الإفك قد نبغ، لم تطب نفسه بالدخول إلى مكة المَحمِيَّة، وأعمل اليَعْمَلَات نحو الدرعيَّة،

---

(١) ٣٠ رمضان ١٢٢١هـ/ ١٠ ديسمبر ١٨٠٦م.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: طفئ.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: البأس.

(٤) ٢ شوَّال ١٢٢١هـ/ ١٢ ديسمبر ١٨٠٦م.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: لم يرضَ.

فاتجه بأميرها سعود، وأعطاه على الدخول في دينه المواثيق والعهود، وظَنَّ أنَّه يَنال مِنْه المقصود، وتَوَهَّم تَوَهُّمًا فاسدًا ليس بمحمود، فتركه في الدرعيَّة، ولم يُنِله أمله، ولم يَقْبل تفاصيله وجُمَله، فما أغناه وما أجمله، فلمَّا ضاق به الحال واشتاق إلى الوطن، ولم يرضَ بالدرعيَّة الوخيمة عن مكة سكن[1]، طلب مِنْه الإذن برجوعه إلى مسقط راسه، ومحل أهله وأناسه، فلم يُمَكِّنَه مِن الرجوع إلى كسره، ولم يُخَلِّصه مِن تحت أسره، حتى / ق٣٠٠/ أَلَظَّ عليه المَقال وأَلَحَّ في طلب المُحَال، فلم يأذن له بالخروج مِن الدرعيَّة إلا إلى أرض السُّوَيْرِقِيَّة، فرضي به وهو غير قَرِير العين، ورأى أنَّ الوَيْل خير مِن وَيْلين، وندم على رواحه حين يَمَّم، ولكن حيث لا ينفعه الندم، فأقام بالسُّوَيْرِقِيَّة كأنَّه في حبسٍ مؤبدٍ، وقضى ثلاث سنوات في عيش مُنَكَّد، ثم لم يزل يراسله ويستعطفه، ويرجو أنَّه بالمقصود يُسْعفه، أو يأذن له بِسُكْنَى المدينة المنوَّرة، حيث لم يكن له على السُّكْنَى هُنا مَقْدِرَة، فتَصَلَّب تَصَلُّبًا تام[2]، ثم أذن له بالدخول مكة بعد ثلاثة أعوام، فتَوَجَّه مِن السُّوَيْرِقِيَّة قاصدًا مكة المحميَّة، فلمَّا وصل بِنَضَده المَجْهُود، وأناخ اليَعْمَلَات بين الهجاليَّة وأبي الدُّوْد[3]، ومعه بالإذن كتاب مِن سعود، فأرسل لعمّه كتابًا يستأذنه في الدخول، ويستعطفه فيما تكلّم به عليه مِن كلام الفضول، فلم يأذن له بالدخول إلى مكة المحميَّة ثلاثةَ أيامٍ سوية، ثم دخلت بينهم الوسايط[4] مِن السادة الأمجاد، وتكلَّفُوا لعمّه بِمَا يحصل مِن الفساد.

(١) كذا في الأصل، والصواب: سكنًا.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: تامًّا.

(٣) **أبي الدُّوْد**: قرية تقع شمال منطقة الأسياح في القصيم. وعُرِفَت بهذا الاسم حيث إنَّ السيل كان يلبث في وادي هذا المكان طويلاً، فيأسن الماء ويخرج مِنَه الدُّوْد، وتُعْرف حاليًّا بقرية أبي الورود. وهي وفيرة الماء، ويزرع به البطيخ والحبوب والذرة وبعض النخيل، وسُكَّانها مِن قبيلتي عُتَيْبَة وشمَّر. محمد العبودي، **معجم بلاد القصيم**، ص ٢٤٨-٢٥٠؛ حمد الجاسر، **المعجم الجغرافي**، ص ١٤٨.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: الوسائط.

[الشريف غالب يشتكي عثمان المضايفي إلى الإمام سعود]

فلمَّا سمع عثمان بكل ما كان، أرسل جماعة مِن عدوان، وأمرهم بالقبض على عبد اللَّه بن سرور مِن أيّ مكان كان، فوجدوه وقبضوا عليه، ونقلوه محمولًا إليه، فلمَّا مَثل بين يديه أمر بالسجن عليه، وسجن معه غيره مِن الأشراف مِن أهل الفساد وأضاف.

ولم أعلم السبب الذي حَمَله على ما فَعَل، حتى اتصل إليَّ ما اتصل. ثم إنَّ عثمان أظهر لمَا فعله شان[١]، وقطع السبل عن مكة مِن كُلّ مكان، وأمر العُربان أنْ يمنعون[٢] عنها الجلب ويقطعون[٣] الدّرب، ولم يَدْرِ هذا المُلحد رئيس الفساد، أنَّ فعلته مِن أكبر الإلحاد، فحصل الازدحام في الأسواق بارتكاب هذه المشاق، وقلة الأرزاق بسبب فعلة رئيس أهل النفاق، وخشيت الناس مِن فعلته الذَّمِيْمَة، أنْ ترجع حَلِيْمَة لعَوايدها[٤] القديمة، فازدحمت الناس على الأقوات، وارتفعت الأسعار وتوالت الحسرات، وتَذَكَّرُوا فعلة هذا الفَاسِق في العام السَّابق.

فكتب الشريف كتابًا لسعود في الحال في تاسع شوال[٥]، وأرسله مع خادم له يقال له: تغال، فكانت / ق٣٠١/ سبعة وعشرين يومًا مُدَّة غيابه، ثم عاد مُحَثْحِثًا[٦] لإيابه، وذلك يوم السبت ثامن ذي القعدة[٧]، وفَرَّج اللَّه تعالى قبل وصوله هذه الشّدّة، فإنَّ الحَصْر ما اسْتَدام أكثر مِن ثمانية أيامٍ، ثم هذا

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: شأنًا.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: يمنعوا.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: يقطعوا.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: لعوائدها.

(٥) ٩ شوَّال ١٢٢١هـ/ ١٩ ديسمبر ١٨٠٦م.

(٦) **مُحَثْحِثًا**: حَثْحَثَ، يقال: سير حثحاث أيّ سريع. **المعجم الوسيط**، ص ١٥٥.

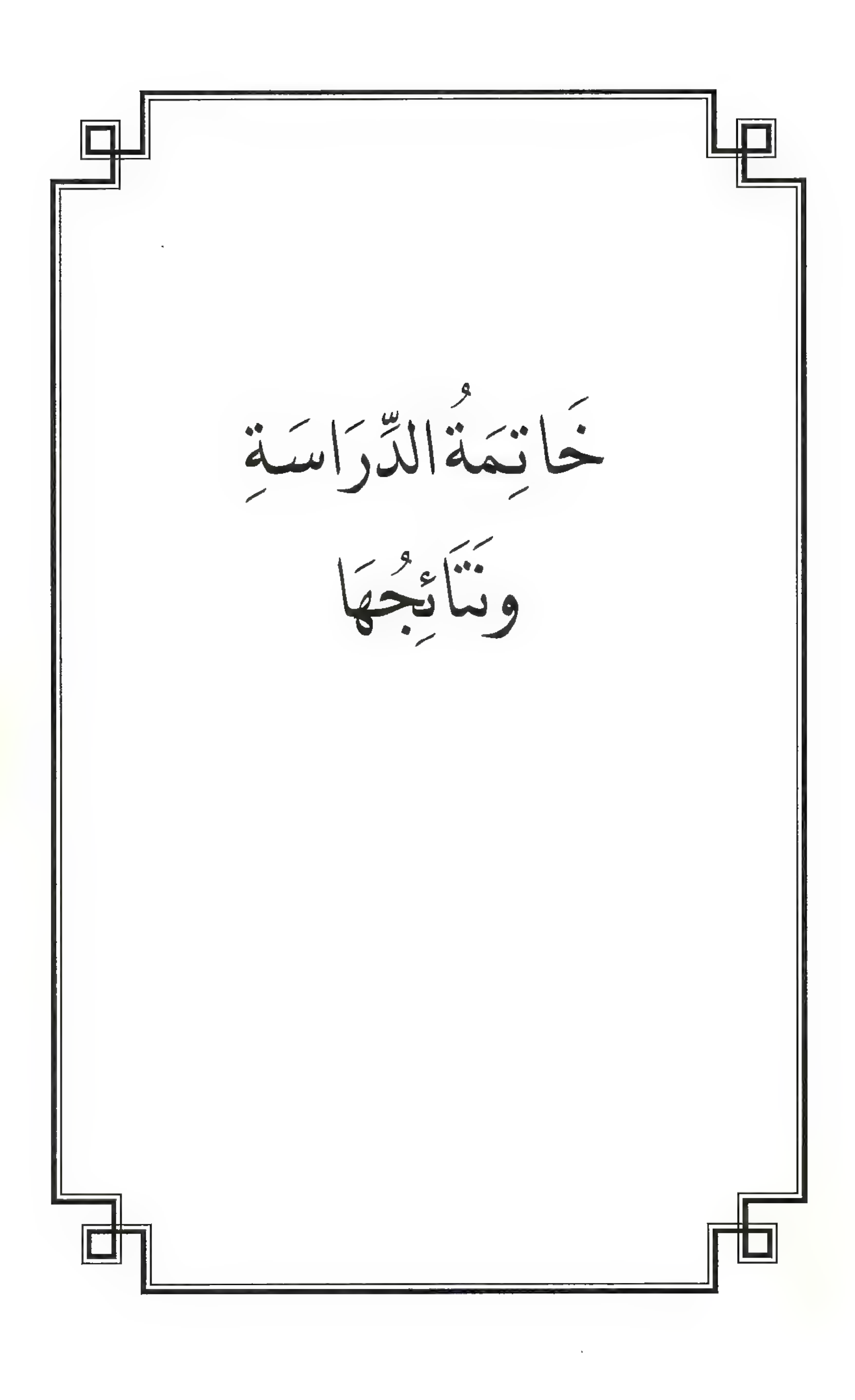
(٧) ٨ ذو القعدة ١٢٢١هـ/ ١٦ يناير ١٨٠٧م.

الجاير[١] الجاني رفع يده وأطلق رقاب الناس مِن الأسر، وسلكت الطرقات وترك الحَصر، فتواجَدت الأقوات مِن كُلّ الجهات، وارتخت الأسعار بعون المَلِك الغَفَّار[٢] / ق٣٠٢/ .

❒ ❒ ❒

(١) كذا في الأصل، والصواب: الجائر.

(٢) وعند هذا الموضع انتهى المخطوط.



خَاتِمَةُ الدِّرَاسَةِ وَنَتَائِجُهَا

خَاتِمَةُ الدِّرَاسَةِ ونَتَائِجُهَا

تناولت الدراسة تحقيق مخطوط «**تاريخ أشراف وأمراء مكة المكرمة**» لمؤلفه عبد اللَّه بن عبد الشكور المكي الحنفي، استعرض فيه فترةً مُهِمَّةً مِن تاريخ الحجاز في العصر العثماني بصفةٍ خاصةٍ، وتاريخ العربِ الحديثِ بصفةٍ عامةٍ، وتناول فيه الفترةَ الأخيرة من العهد العثماني الأول في الحجاز بين عامي (١١٤٣-١٢٢١هـ/ ١٧٣١-١٨٠٦م). كان ابن عبد الشكور معاصرًا للجزءِ الأكبرِ مِنْها وشاهد عيان على كثير مِن أحداثِها، أو ينقل من مصادرٍ موثوقٍ مِنها سواء كتابية أو شفوية، وكان قريبًا مِن صُنَّاع القرارِ حينئذ وهم أشراف مكة وأمراؤُهَا، وقد تميز تاريخه بالأمانة في السرد، والدقة في المضمون، وتناول كثير مِن الوقائع والأحداث المُهِمَّة التي انفرد بها، ولم تذكرها أية مصادر أخرى في الحجاز، ولولا تدوينه لهذا التاريخ لافتقدنا مصدرًا مهمًّا وغزيرًا بالمعلومات التي تخدم كُلّ مَن يكتب في تاريخ الحجاز في العصر العثماني. وقد توصَّل الباحث مِن خلال دراسة المخطوط وتحقيقه إلى عدة نتائج، وهي كالتالي:

أولاً: اهتمَّ سلاطين الدولة العثمانيَّة اهتمامًا كبيرًا بإقليم الحجاز، لأنَّه يحوي الحرمين الشريفين، وهذا يمنحهم مكانة كبرى في العالم الإسلامي، كونهم القائمين على خدمة الأراضي المقدسة الإسلامية، وتجلى ذلك في نواحٍ عدة لتأمين المنطقة ضد أي تدخل أوروبي، والاهتمام بإنفاذ محامل الحج تحت رعايتهم الرسمية، وتوفير سُبل الراحة، ورغد العيش للأهالي والمجاورين في هذه المنطقة مِن خلال الصُّرر، والمخصصات، وأموال الأوقاف، التي

كانت تصل إليهم كُلّ عام إبَّان موسم الحج.

ثانيًا: تنامت قوَّة الأشراف في هذه الفترة نتيجة ضعف الدولة العثمانيَّة؛ فظهر عديد مِن أشراف مكة الأقوياء الذين سعوا على فرض سيطرتهم على الحجاز، ولم يهتموا في بعض الأحيان بالقرارات التي كانت تصدر مِن الدولة للحد مِن نفوذهم، ورغم أنَّهم أتوا ببعض الأفعال التي تضيق بها الدولة ذرعًا؛ فإنَّها تغاضت في كثير مِن الأحيان عنها، طالما ظلُّوا قيد طاعتهم، ولم يفكروا في الاستقلال عنها.

ثالثًا: تقلص الصراع القائم بين فرعي آل أبي نمي الثاني، وهما: آل بركات، وآل زيد؛ حيث لم تشهد هذه الفترة صراعًا على الحكم بينهما سوى حالة واحدة، متمثلة في قيام الشريف عبد اللَّه البركاتي بالاستنجاد بعلي بيك الكبير - الذي حاول الاستقلال بالسلطة في مصر عن الدولة العثمانيَّة - فأرسل معه قوَّة بقيادة محمد بيك أبو الذهب، ونجح في عزل الشريف أحمد بن سعيد وتولية عبد اللَّه البركاتي. وقد تحوَّل الصراع بعد ذلك إلى داخل أسرة آل زيد نفسها، حيث ظهرت العديد مِن الخلافات بين هذا الفرع الواحد، وظهرت الخلافات بصورة واضحة بين الشريف محمد بن عبدِ الَه وعمِّه الشريف مسعود بن سعيد، ثم الصراع بين الشريف سرور وعمِّه الشريف أحمد بن سعيد، ثم الصراع بين السيد عبد اللَّه بن سرور وعمِّه الشريف غالب بن مساعد، واستنجاده بالسلطان العثماني ثم الإمام سعود بن عبد العزيز الوهابي ضد عمِّه، ولكن محاولاته ذهبت أدراج الرياح، فقد رفضا تقديم العون له ضد عمِّه، ونلحظ أنَّ الشريف غالبًا بعد توليه الحكم أراد تقليم أظافر أبناء أخيه الشريف سرور، وإضعاف قوَّتهم، وإفقارهم وتبديد أموالهم؛ حيث كان على علم بمدى الخطورة التي قد يشكلونها

عليه مُستقبلاً، فدبَّر كثيرًا مِن المكائد التي تسببت في حرق بعض دورهم، وإتلاف كُلّ ما فيها، وهذا ما نراه بين السطور التي يدونها ابن عبد الشكور، ولا ريب أنَّ هذه الصراعات قد خلفت كثيرًا مِن الآثار السلبية على مجتمع الحجاز وقتئذ.

رابعًا: شهدت هذه الفترة بعض الأشراف الذين تَولّوا الشرافة، ثم آثروا السلامة، وتركوها بطيب خاطر، وتنازلوا عنها لبعض إخوانهم طوعًا؛ نظرًا لعدم خبرتهم في شئون الحكم والإدارة، وهذا يتضح مِن خلال تنازل الشريف جعفر بن سعيد لأخيه الشريف مساعد، ثم تنازل الشريف عبد اللَّه بن سعيد لأخيه الشريف أحمد، ثم تنازل الشريف عبد المعين بن مساعد لأخيه الشريف غالب، ومِن هذا يتضح أنَّ الانقسامات والصراعات الدامية التي شهدتها الفترة الماضية قد قلَّت بشكلٍ ملحوظٍ.

خامسًا: نظرًا لتنامي قوَّة الأشراف الإقليميَّة، فقد اعتمدت عليهم الدولة العثمانيَّة في حل بعض المشكلات التي وقعت في المدينة المنورة، والتي كان سببها الخلاف بين حامية القلعة وشيخ الحرم، أو بين الحامية وأهل المدينة، وقد استعان كل طرف منهما ببعض القبائل الخارجة حول المدينة، الأمر الذي سبب الاضطرابات والفتن، فلجأ السلاطين العثمانيون إلى الأشراف للقضاء على هذه الفتن، ولا ريب أنَّ الأشراف بدورهم رحَّبوا بذلك لأنَّه سيمد سلطانهم المباشر تارة أخرى على المدينة المنورة. ويتضح ذلك مِن الدور الذي قام به الشريف مسعود عام ١١٥٦هـ/ ١٧٤٣م للقضاء على الفتنة التي وقعت بين شيخ الحرم وحامية القلعة، وتأديبه قبيلة حرب التي شاركت في أحداث هذه الفتنة وزادت الموقف سوءًا. وكذلك دور الشريف سرور حينما قام بحملة على المدينة المنورة عام

١١٩٤هـ/ ١٧٨٠م، وقضى على بعض رءوس الفتنة فيها، ثم قيامه بقتل نصَّار بن عطية شيخ حرب عام ١١٩٥هـ/ ١٧٨١م، ثم قيامه بحملة كبرى عام ١٢٠١هـ/ ١٧٨٧م، قام فيها بإخضاع كافة القبائل الواقعة حول المدينة وملحقاتها حتى ينبع، وعلى رأسها قبيلة حرب، ثم دخل المدينة المنورة، وعفا عن بعض أهلها المناوئين له، وقد حاول جاهدًا في أنْ يلبس الخلعة مِن قِبَلِ أمير الحاج الشامي بطال حسين باشا في المدينة المنورة في حضور مفتي مكة عبد الملك القِلعي، ولكن الباشا أدرك ما يرمي إليه الشريف سرور، فامتنع عن إلباسه الخلعة إلا في مكة المكرمة.

سادسًا: استقرَّت العلاقات بين أشراف مكة وولاة جدة، وكانت هادئة في معظمها، ولم تكن مفعمة بالخلافات مثل الفترات السابقة؛ حيث نأى الولاة بأنفسهم عن الخلافات التي تنشأ بين الأشراف، والابتعاد عن آتون ذلك الصراع الذي ما يعود عليهم إلا بالأضرار الجسيمة، ولم نرصد خلافات وقعت بينهما سوى ما وقع بين علي باشا والشريف مسعود بعد عام ١١٦٣هـ/ ١٧٥٠م، حينما امتنع الباشا عن تسليم ما للشريف نصف إيرادات جدة، فقام الشريف بإرسال حملة تمكَّنت مِن دخول البندر، وفرَّ على أثر ذلك علي باشا إلى الباب العالي، واكتفت الدولة إزاء ذلك بتعيين والٍ آخر، لدرء الخلافات الممكن وقوعها بين الشريف والباشا، وذلك دليلٌ على التقدير والمكانة التي نالها الأشراف حينها، وسعي الدولة لتهدئة هذه الفتن في الحرمين الشريفين.

هذا، ولم تشهد هذه الفترة ظهور الولاة الأقوياء سوى باكير باشا، و يوسف باشا، وكلاهما كان قد تولّى الصدارة العظمى، وطوال عهدهما كانت الأوضاع هادئة، وحتى في فترات الفتن، مثلما

حدث عند نشوب الفتنة بين الحامية العسكرية وعبيد الشريف محمد بن عبدِ الَه عام ١١٤٥هـ/ ١٧٣٣م، فقد تدخل باكير باشا لحل هذه الأزمة وإصلاح ذات البين بما يرضي جميع الأطراف. وقد تعاون يوسف باشا مع الشريف غالب في تأمين الحجاز مُنذ بدء الاحتلال الفرنسي لمصر عام ١٢١٣هـ/ ١٧٩٨م، ولكن اختلفت وجهة نظرهما في التعامل مع الوهابيين، فبينما اتخذ الشريف غالب موقفًا عدائيًّا ضدهم، تحاور يوسف باشا معهم، وطلب مِن الإمام عبد العزيز الوهابي إرسال مندوبٍ عنه إلى الباب العالي، لشرح وجهة نظره، وبالفعل أرسل عبد العزيز رسولاً مِن لدنه إلى السلطان، الذي قام بمنحه بعض العطايا، ولذلك فعند وفاة يوسف باشا عام ١٢١٥هـ/ ١٨٠٠م، نجد ابن عبد الشكور يصب عليه اللعنات صبًّا لأنَّه مَن مكَّن للوهابيين لدخولهم الحجاز نهاية الأمر. ودون ذلك لم يكن هناك ولاة لهم دور مؤثر، بل صار بعضهم رهن أوامر الأشراف، كما أذيع أنَّ الوالي محمد شريف باشا قد مات مسمومًا على يد الشريف غالب، وكل ذلك يدلل على مدى تعاظم نفوذ الأشراف وضعف نفوذ ولاة جدة. وأهم ما يمكن رؤيته، هو إقامة بعض ولاة جدة - ومِنْهم يوسف باشا - إقامة شبه كاملة في المدينة المنورة، الأمر الذي دفع الباب العالي إلى إصدار أوامره للولاة بضرورة إقامتهم في جدة، لإظهار قوَّة الدولة لشريف مكة الذي تصاعد نفوذه في جدة، حتى إنَّه طالب بإسناد جدة إليه مقابل أنْ يدفع عنها المال المقرَّر.

سابعًا: ضعفت سلطة أمراء الحج المصري في هذه الفترة، ولم يعد لهم دورٌ كبيرٌ ومؤثرٌ في تاريخ الحجاز، مثلما كانت عليه الحال مِن قبل، ونجدهم لا يتدخلون في أمور الشرافة وعزل الأشراف وتوليتهم، ولم نرصد حينها إلا ثلاث محاولات؛

فشلت جميعها، الأولى قيام أمير الحج حسين كشكش بيك بعزل الشريف مساعد وتولية السيد مبارك بن محمد بن عبدِ الَه، ولكن الأمر لم يكلل بالنجاح؛ فقد استرد الشريف مساعد حكمه مرة أخرى في نفس العام ١١٧١هـ/ ١٧٥٨، والثانية عندما طلب الشريف عبد اللَّه بن حسين البركاتي مساعدة علي بيك الكبير في مصر ضد الشريف مساعد أيضًا، فأرسله بصحبة أمير الحج المصري ١١٨٢هـ/ ١٧٦٩م، ولكن الأخير لم يجرؤ على التدخل في هذا الصراع، ونأى بنفسه عنه، ولم يقم بتقديم شيءٍ للشريف عبد اللَّه، والأخرى حينما قام مراد بيك بمحاولة لعزل الشريف سرور بن مساعد وتولية السيد سليمان بن يحيى عام ١١٩٣هـ/ ١٧٧٩م، ولكنَّ الشريف سرورًا كان متيقظًا لمَا يدور حوله، فقام بالقبض على السيد سليمان وسجنه في ينبع، وقام بمحاربة مراد بيك وطرده مِن الحجاز، ولعلَّ الضعف الذي أصاب منصب أمير الحج المصري، يرجع إلى الصراع بين بيوتات المماليك في مصر، والذي أوهن قوتهم؛ وجعلهم ينشغلون في مشاكلهم الداخلية.

وقد ارتفعت مكانة أمير الحج الشامي، حيث اعتمدت عليه الدولة بشكلٍ كبير في استتباب الأمن في الحجاز، وتوصيل الأوامر والقرارات في كُلّ عام إبَّان موسم الحج، وقد كانت العلاقات طيبة طوال الفترة بين أشراف مكة وأمير الحج الشامي، حيث إنَّه لم يقحم نفسه في الصراعات التي قد طرأت بينهم، وحاول حل الخلافات وتقريب وجهات النظر بصورة سلمية، ويتضح ذلك في وقوف أمير الحج الشامي عثمان باشا الصادق إلى جوار الشريف مساعد ضد أمير الحج المصري الذي حاول عزله بإيعاز مِن علي بيك الكبير وتولية عبد اللَّه البركاتي عام ١١٨٢هـ/ ١٧٦٩م، ففشلت

المُحاولة، كذلك اهتمَّ بعض ولاة الشام بإنشاء وتجديد بعض المنشآت، كما فعل أحمد باشا الجزار بترميمه بركتي الحج الشامي والمصري، وإنشاء صهاريج الماء في مِنَى وعرفة لخدمة الحجاج، وكان الإنفاق مِن ماله الخاص. ولم نرصد إلا محاولة واحدة تدخل فيها أمير الحج الشامي عبد اللَّه باشا جته جي، وعزل أحدهم الشريف مساعد وولى أخاه الشريف جعفرًا عام ١١٧٢هـ/ ١٧٥٩م، وكان ذلك بفرمان من الدولة، وليس مِن تلقاء نفسه، ولكن نجح الشريف مساعد في استرداد سلطته مرة أخرى، ورفع شكواه للسلطان العثماني، الذي تدخل بنفسه في عزل والي الشام المذكور، وتوليته على حلب، احترامًا للشريف وتقديرًا له، وحتى لا يحدث احتكاك بينهما مستقبلاً.

ثامنًا: شهدت هذه الفترة استقرارًا نسبيًّا في إخراج قافلتي الحج الشامي والمصري، ورغم ذلك فإنَّها وقع فيها للمرة الأولى في العصر العثماني انقطاع قافلة الحج المصري، نتيجة الاحتلال الفرنسي لمصر في الفترة بين عامي (١٢١٣-١٢١٦هـ/ ١٧٩٨-١٨٠١م)، ولم ترجع إلا بإخراج الفرنسيين مِن مصر. ونتيجة لسوء الأوضاع في مصر، وعدم إخراج المخصصات كاملة صحبة أمير الحج، فقد اضطر في بعض الأحيان إلى عدم زيارة المدينة المنورة في طريق عودته كما حدث في عهد أمير الحج المصري مصطفى بيك الكبير في عامي ١١٩٨هـ/ ١٧٨٤م، و١١٩٩هـ/ ١٧٨٥م، وقد شهدت هذه الفترة صدامات عنيفة بين أمراء الحج المصري والشامي ضد القبائل العربية وقطاع الطرق. ولعلّ مِن أهم الأمثلة ما وقع لقافلة الحج المصري التي خرج بها محمد بيك حسن في موسم الحج عام ١٢٠٠هـ/ ١٧٨٦م، وقد تعرضت في طريق عودتها لهجوم قبيلة حرب، وقد أدى الاشتباك إلى

إنزال الهلاك بقافلة الحج عن بكرة أبيها، وسرقة المحمل، وسبي النساء، وتوزيع ما في القافلة بين أتباع هذه القبيلة - التي أذاقت لحجاج بيت اللَّه الحرام الأمَرَّين - وكان ذلك سببًا في قيام الشريف سرور بحملة كبرى لتأديب هذه القبيلة، وقد كان. كما ظهرت هجمات العربان في سيناء، حيث تعرض ركب الحج المغربي بالحج ١١٩٨هـ/ ١٧٨٤م، عند دخوله الإقليم المصري لهجمات العربان الضاربة في الصحراء، فقتلوا مِنْهم كثيرًا، وسرقوا أمتعتهم.

تاسعًا: توثَّقت العلاقات بين أشراف مكة بالولايات العثمانيَّة وبعض الممالك والإمارات الإسلامية، حيث تبادلوا كثيرًا مِن المراسلات معهم، دون الرجوع للسلطان العثماني، ومِن ذلك المراسلات بين الشريف مسعود وأحمد باشا والي بغداد، لإطلاعه بمقتل نادر شاه الإفشاري حاكم إيران في عام ١١٦٠هـ/ ١٧٤٧م، وكذلك تبودلت كثير مِن المراسلات بين الأشراف وأئمة اليمن، ظهر في تعاونهم المشترك في المجال التجاري، وحل الخلافات بصورة سلمية، من خلال تسليمهم بعض المناوئين لأشراف مكة. وكانت هناك علاقة طيبة ربطت بين سلطان المغرب مولاي محمد بن عبد اللَّه والشريف سرور، حيث أرسل الأوَّل ابنته الشريفة لبابة في صحبة أخويها إلى مكة المكرمة ليتزوجها الشريف سرور عام ١١٩٣هـ/ ١٧٧٩م، كما أرسل المولاي كثيرًا مِن المساعدات للأشراف والصدقات لأهالي الحرمين الشريفين. وتجلَّت العلاقات الوثيقة بين أشراف مكة وبعض أمراء الهند في تلك الفترة ممثلة في قيام الأمير محمد علي خان، والأمير نظام علي بإرسال مساعدات إلى الحجاز، ومِن ذلك ما ورد في سنوات عدة، وهي: ١٢٠١هـ/ ١٧٨٧م، و ١٢٠٤هـ/ ١٧٩٠م، و١٢٠٧هـ/ ١٧٩٢م.

عاشرًا: تزايدت مكانة أشراف مكة على المستوى الدولي، وبخاصة بعد قدوم الحملة الفرنسية إلى مصر عام ١٢١٣هـ/ ١٧٩٨م، حيث تبودلت الرسائل بين نابليون بونابرت والشريف غالب ابن مساعد، حيث سعى الأوَّل إلى عقد وفاق وتحالف مع الشريف ضد بريطانيا، حتى يتمكَّن مِن عبور البحر الأحمر، وضرب مستعمراتها في الهند، وقد كان الباب العالي على علمٍ بهذه المراسلات، ويتضح من خلال ما أورده ابن عبد الشكور ومراسلات الشريف مع نابليون والباب العالي أنَّ الشريف غالبًا عمل على عقد علاقات طيبة مع نابليون بهدف اقتصادي بحت وهو تمكنه من إرسال متاجره إلى مصر، مع الإعفاء الضريبي عليها. كما قام بتنفيذ أوامر السلطان العثماني بتحصين المدن المهمة مثل جدة وينبع في الحجاز، تحسُّبًا لأي هجوم فرنسي على الحرمين الشريفين. أمَّا موقفه من الإنجليز، فلم يكن صادقًا في تعامله معهم، وبخاصة خلال فترة تموينهم ببعض احتياجاتهم، وتوجههم إلى السويس لإخراج الفرنسيين مِن مصر، ويتضح ذلك مِن قيامه بإمدادهم ببعض الجياد المتهالكة كما وصفها ابن عبد الشكور، ولعلَّ هذا يوضح أنَّه كان صادقًا في وعده لنابليون، أو أراد أنْ يبقي الوضع على ما هو عليه، لاستفادته الاقتصادية مِنْه.

حادي عشر: ظهرت الأهمية الاستراتيجية لميناء جدة خلال هذه المرحلة، لموقعها المتوسط في البحر الأحمر، وقد ازداد دخل الميناء في هذه الفترة، وازداد اهتمام أشراف مكة بأمورها وعملوا على التواجد فيها خلال الموسم الهندي - وهو وقت قدوم السفن وتحصيل الرسوم مِنْها - لتحصيل نصف مواردها، كما تجلى الاهتمام بتحصين الميناء وإضافة الأبراج، وإصلاح أسوارها، وحفر خندق حولها، وبخاصة في عهد الشريف غالب.

وقد ظهرت في هذه المرحلة أهمية الطريق البري الذي يربط بين بريطانيا ومستعمراتها في الهند، ويمر عبر البحر الأحمر، ثم مصر، ثم البحر المتوسط، وقد أدرك الأشراف هذه الأهمية، ولكنَّهم شعروا أنَّ وصول البريطانيين إلى السويس مباشرة، سيؤثر على مواردهم الاقتصادية؛ ولذلك اشتكى الشريف سرور للسلطان العثماني حتى يضع حدًّا للاتفاقية التي وقعها محمد بيك أبو الذهب مع شركة الهند الشرقية، وقد كللت مساعيه بالنجاح، وفشلت الاتفاقية المذكورة، ولكن الأمر لم يستمر طويلاً، فمع بدء الاحتلال الفرنسي لمصر ١٢١٣هـ/ ١٧٩٨م، تحالف العثمانيون مع البريطانيين، وسمحوا لهم بالإبحار بسفنهم بين جدة والسويس بهدف ضرب الفرنسيين وإخراجهم من مصر، وهذا ما لم يعجب الشريف غالبًا - كما ذكر آنفًا - فعمل على إفشال ذلك، ولكنَّه لم يفلح، فمنذ ذلك الوقت أصبحت السفن البريطانية تمخر عباب البحر الأحمر حتى السويس.

ثاني عشر: ألقى الخلاف السني - الشيعي بظلاله على إقليم الحجاز، حيث أدت الشائعات دورًا ملموسًا في زيادة حِدَّة هذا الخلاف، وقد وضح ذلك من خلال الفتن التي وقعت في مكة المكرمة، ونُسِبَتْ إلى الشيعة ثم يتبيَّن عدم صحتها، كما شهدت هذه الفترة أولى المُحاولات الصادقة للتقارب السني - الشيعي بين الدولتين الأفشارية والعثمانيَّة، حيث قام نادر شاه (طهماز) بالتواصل مع والي بغداد أحمد باشا، لتحقيق هذه الأمنية بعيدة المنال، فأرسل كُلّ طرف مِنْهما عددًا مِن العلماء، واجتمعوا في مؤتمر بمدينة النجف، وانتهى الطرفان إلى اتفاق بالاعتراف بالمذهب الجعفري، مقابل التوقف عن لعن أبي بكر وعمر ﵄، فأرسل نادر شاه إلى الشريف مسعود في مكة يطلعه بقرارات

المؤتمر، ولكن السلطان العثماني محمود الأوَّل رفض ذلك الأمر، ويبدو أنَّ نادر شاه كان صادقًا في مسعاه، وحاول أنْ يقضي على الخلاف الذي تأجَّجت نيرانه بين القوى الإسلامية الكبرى، ممثلة في الدولة العثمانيَّة راعية المذهب السني، والدولة الأفشارية راعية المذهب الشيعي؛ ولعَلَّ ما يُرجِّح ذلك أنَّ الرجل تم اغتياله نهاية الأمر على يد القزل باش بتواطؤ صريح مع أحد أفراد عائلته - وهو ابن أخت نادر شاه - ولو كان تم ذلك التقارب، لكان فيه الخير للعالم الإسلامي؛ لأنَّ الصراع بين الدولتين أفقدهما قوتهما، ومهد الطريق للتدخل السافر للاستعمار الأوربي في شئون المنطقة العربية الإسلامية.

ثالث عشر: تعرَّض الحجاز في تلك الفترة لكثير مِن الأخطار الخارجية، ولعلَّ مِن أهمها الحملة المصرية عام ١١٨٤هـ/ ١٧٧٠م، وقد بيَّن ابن عبد الشكور بعض الأخطاء المتداولة عن أحداث هذه الحملة، التي ذكرته بعض المصادر، والمراجع الحديثة، والتي تذكر أنَّ محمد بيك أبو الذهب كان أمير الحج المصري موسم عام ١١٨٣هـ/ ١٧٧٠م، وكان خروجه مُجرَّد حملة استطلاعية، والحقيقة أنَّ المذكور لم يخرج قط أميرًا على الحج المصري، وقد اتضح ذلك من خلال مراجعة المصادر الخاصة بتلك الفترة، بل كان خليل بيك بلفيا. وفي ظني أنَّ ذلك الخطأ مصدره قيام المؤرخ أحمد زيني دحلان بتلخيص أحداث هذه الحملة عن مؤرخنا ابن عبد الشكور؛ فاختلط عليه الأمر، وظنَّ أنَّ أبا الذهب هو أمير الحج وقتئذ، وعنه نقل الدكتور/ محمد رفعت رمضان رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه الموسوم «علي بيك الكبير»، ومِنْه نقل جلُّ المؤرخين هذا الحدث. ولعَلَّ في ذلك ما يوضح أنَّ أمر الحملة معد سلفًا، وليس مرتبطًا بنجاح أو فشل أمير الحج في مساعدة عبد اللَّه البركاتي ضد شريف مكة، ولذلك فعندما عاد الحج خرجت الحملة في الشهر

نفسه، أي في صفر ١١٨٤هـ/ يونيو ١٧٧٠م، والتي أظهر الجبرتي في تاريخه مدى ضخامتها مِن عددها وعداتها، وخرج بقيادتها أبو الذهب للحجاز، وكان نجاحها وقتيًّا، حيث ما لبث الشريف البركاتي في الحكم سوى أربعة أشهر من العام المذكور، ثم استرد الشريف أحمد حكم مكة مرة أخرى.

رابع عشر: ظهر الاهتمام المعماري بالمنشآت الدينية والعسكرية في هذه الفترة، فأمَّا المنشآت الدينية فقد اهتم العثمانيون بعمارة المسجد الحرام، وإصلاح الأعمدة، والأبواب، والقباب، والمباني التي أصابها الخلل، كما اهتموا بمشاريع توصيل الماء إلى مكة المكرمة. ويتضح ذلك مِن خلال مشروع ضخم لإصلاح عين زبيدة، وإصلاح قبة مياه زمزم. واهتم الأشراف - أيضًا - بإصلاح العديد مِن المنشآت في المسجد الحرام كما حدث في عهدي الشريف سرور، والشريف غالب، وفي الطائف توسيعهم في مسجد الحبر عبد اللَّه بن عباس. وقد تجلَّت حياة الترف في تشييدهم كثير مِن القصور، والدور، والبساتين في مكة، والطائف. وأمَّا المنشآت العسكرية، فنتيجة للأخطار التي ظهرت في هذه الفترة، فقد أولى الأشراف عناية فائقة بالتحصينات العسكرية في المدن المُهمَّة في الحجاز مثل: مكة، وجدة، والطائف، حيث أقاموا الأبراج، والقلاع، والبوابات لحماية هذه المدن، وتحصينًا لها.

خامس عشر: أوضح ابن عبد الشكور بصورة تفصيلية طبيعة العلاقات بين أشراف مكة والوهابيين في نجد، ويُعَدّ من أوفى المصادر في تناول هذه القضية، وبيَّن أن العلاقات بينهما كانت عدائية منذ بدايتها، نتيجة منع الأشراف للوهابيين مِن أداء فريضة الحج، وقد استقبل أشراف مكة بعض الوفود الدينية من قِبَل

الوهابيين محاولة لعرض حقيقة ما يدعون إليه، ولكنها فشلت في مجملها. وإذا كانت الفترة الأولى قد اتسمت بحرب دعائية ضد الوهابيين، فقد تحول الأمر في عهد الشريف غالب بن مساعد الذي خاض الحروب ضدهم، حتى انتهى الأمر بخضوعه لهم عام ١٢٢١هـ/ ١٨٠٦م، وخلعه التبعية للدولة العثمانيَّة. وقد بيَّن ذلك الصراع مدى تضارب الجهاز الإداري العثماني في الحجاز في الوقوف على حقيقة الدعوة الوهابيَّة، واختلاف وجهات النظر، التي جعلت الدولة تغض الطرف عنها حينًا من الدهر، حتى انتهى الأمر بخروج الحرمين الشريفين من تبعيتها والدخول في نطاق دولة الوهابيين.

سادس عشر: اتضح أنَّ التوسعات الوهابيَّة في الجزيرة العربية لم تكن تسير بصورة عشوائية، بل كانت مُرَتَّبة؛ فيقضون على أعدائهم الواحد يلو الآخر، حتى انتهى الأمر بالاتجاه إلى الحجاز، والسيطرة عليه، وقد تبيَّن أنَّ استراتيجيتهم الحربية تقوم على ضمّ القبائل في المناطق المراد فتحها سواء طوعًا أو كرهًا، ونشر الرعب في قلوبها من خلال بعض الأعمال العنيفة التي جعلتهم يتجنبون الدخول في حروب، وظهر ذلك في خلال إخضاعهم بعض قبائل الحجاز، وكذلك محاولة شق الجبهة الداخلية في المناطق التي يحاربونها، مثلما وقع الحال مع عثمان المضايفي صهر الشريف غالب الذي انضم للوهابيين، فرجحت كفتهم وتمكَّنوا من دخول مكة للمرة الأولى في عام ١٢١٨هـ/ ١٨٠٣م. وقد أدرك الأمير سعود بن عبد العزيز - بعد فشله في حصار جدة في العام المذكور - أنَّ قوَّة الشريف غالب تكمن في سيطرته على ساحل الحجاز؛ ولذلك فقد وجَّه جلَّ قواته إلى الموانئ الرئيسة في الحجاز، مثل: جدة، ينبع، القُنْفُذَة، وحَلْي، حتى يقطع الطريق على وصول أيَّة مساعدات

عن طريق البحر، وقد كان، حتى ضاقت الأرض بما رحبت على الشريف، واضطر للخضوع له.

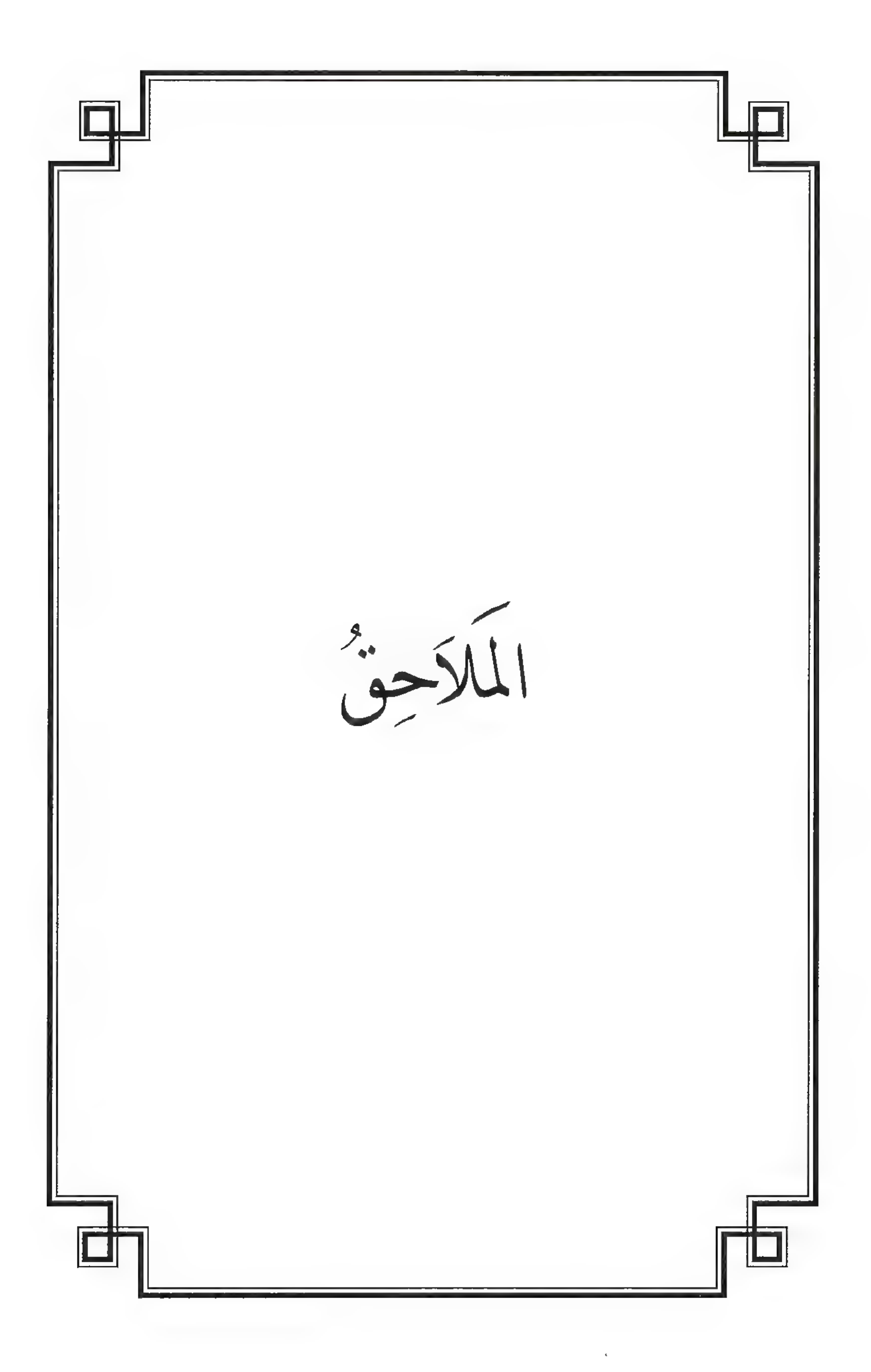
سابع عشر: نلمح بطرف خفي أنَّ الشريف غالبًا حينما وقَّع الصلح مع الإمام سعود عام ١٢٢١هـ/ ١٨٠٦م، عمل على تفريق القوَّات العثمانيَّة المرابطة في الحجاز، حيث أرسلها إلى الساحل الغربي للبحر الأحمر حيث مينائي سواكن ومصوع، ثم شرع يفرقهم هنا وهناك، وهذا ما وعده للإمام سعود في إحدى رسائله، ورغم أنَّ هذه الوثيقة قد شكك بعض الباحثين في صحتها، فإنَّ ما ذكره ابن عبد الشكور يوضح دون أدنى شك صحة نسبة الرسالة للشريف غالب، وتبيَّن أنَّه قد ضاق ذرعًا بالأهمال الذي اتبعته الدولة العثمانيَّة في معالجة قضية الوهابيين؛ الأمر الذي دفعه في النهاية إلى الانضمام إليهم، وتطبيقه مبادئ الدعوة الوهابيَّة في الحجاز.

ثامن عشر: أبقى الإمام سعود بن عبد العزيز على نظام الشرافة في الحجاز، مُمَثَّلَة في الشريف غالب الذي كان مِن ألدِّ أعدائه؛ ولكن يبدو أنَّهما قد عملا على طي الماضي وبدء صفحة جديدة، وقد قام الشريف بالعديد مِن الأعمال التي أثلجت صدر سعود ناحيته، ولا بدَّ أنْ نُقَرِّر أنَّ الشريف غالبًا قبل أنْ يكون حاكمًا فهو تاجر، وكان لديه أسطول تجاري يمخر عباب البحر بين جدة والهند، ولا ريب أنَّه فكَّر مليًّا في أمر انضمامه للوهابيين، فوجده في صالحه، لأنَّ الإمام سعودًا قد ترك له أمر السيطرة على الموانئ وما يحصله مِن دخلها، وهكذا فلم يعد يقتسم الدخل مع والي جدة العثماني الذي كان يشاركه في النصف، كما أنَّ وضعه السياسي ظلّ كما هو، دون مساس.

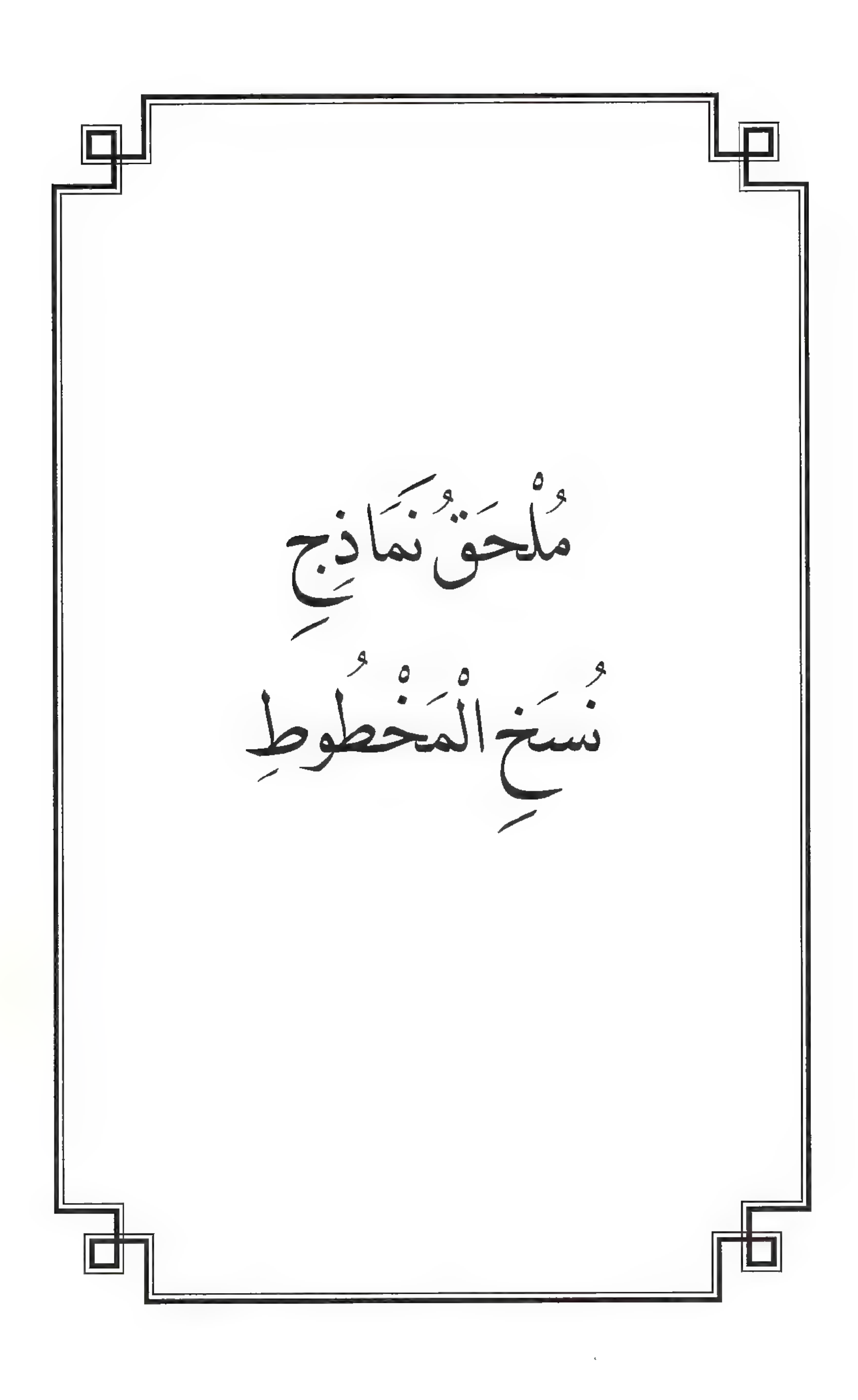
وبذلك يتضح مَدَى الأهمية التي ينطوي عليها دراسة مخطوط

تاريخ ابن عبد الشكور وتحقيقه؛ حيث قدَّم كثيرًا من الحقائق، وصَحَّح بعض الأخطاء التاريخيَّة، وبيَّن بعض القضايا التي كانت محلَّ جدالٍ بين بعض المؤرخين؛ نتيجة عدم وجود ما يرجحها مِن مصادر تاريخيَّة. ومن ناحية أخرى فإنَّ تحقيق المخطوط يعمل على استمراريَّة حركة إحياء التراث العربي ونشره، الأمر الذي يعود بالفائدة على الدراسات التاريخيَّة.





المَلَاحِقُ



مُلْحَقُ نَمَاذِجِ

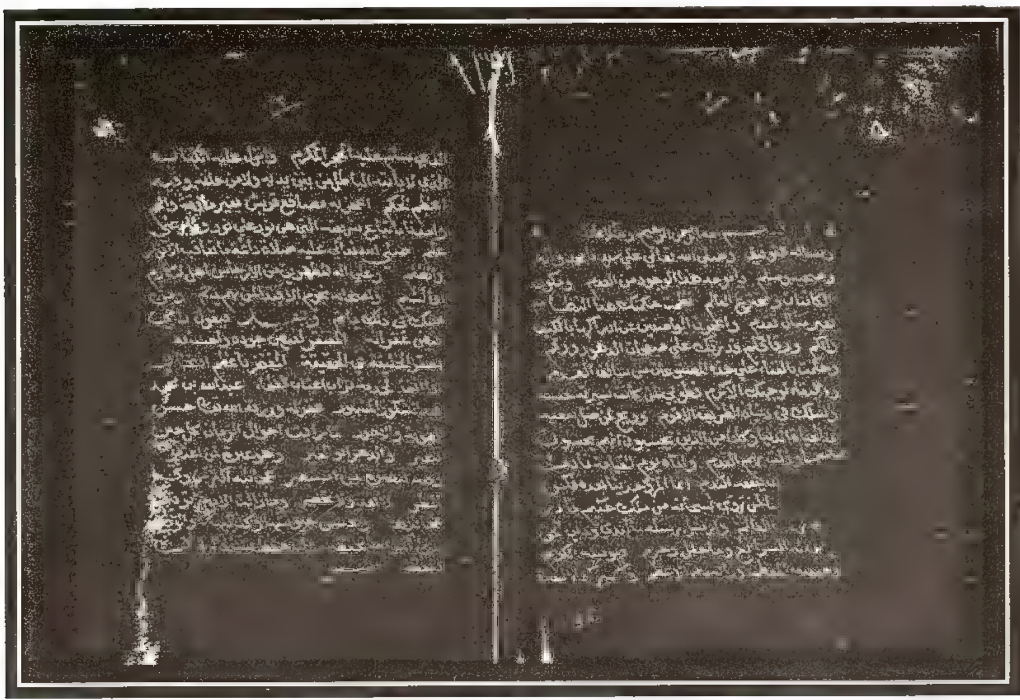
نُسَخِ الْمَخْطُوطِ



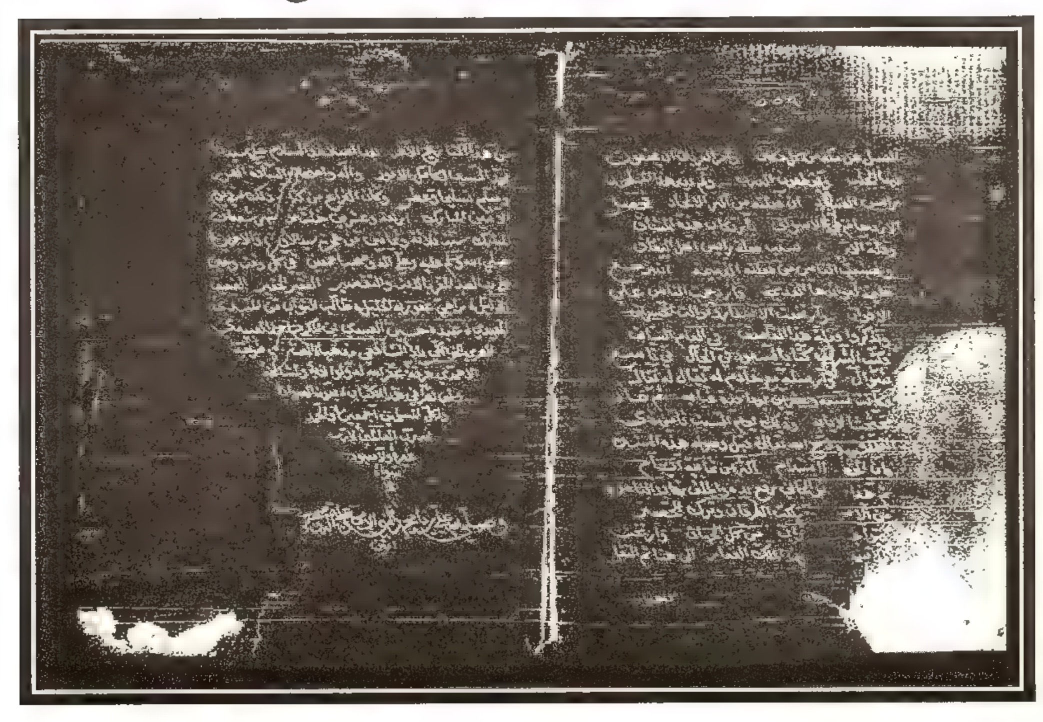
الورقتان الأولى والأخيرة من النسخة (أ)

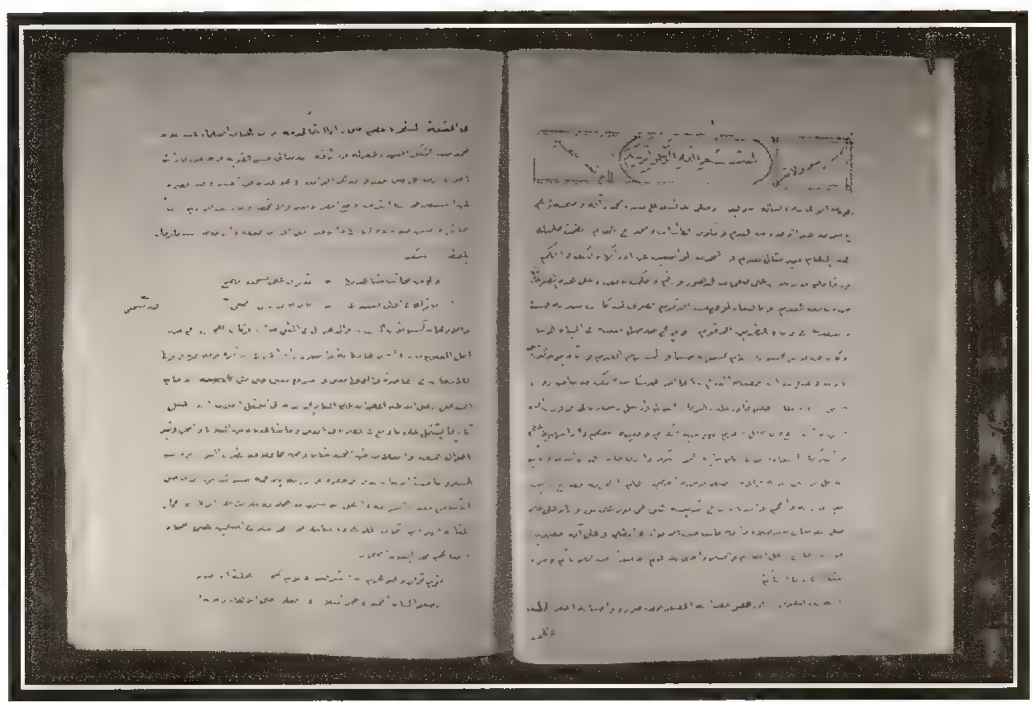


الورقتان الأولى والأخيرة من النسخة (ب)

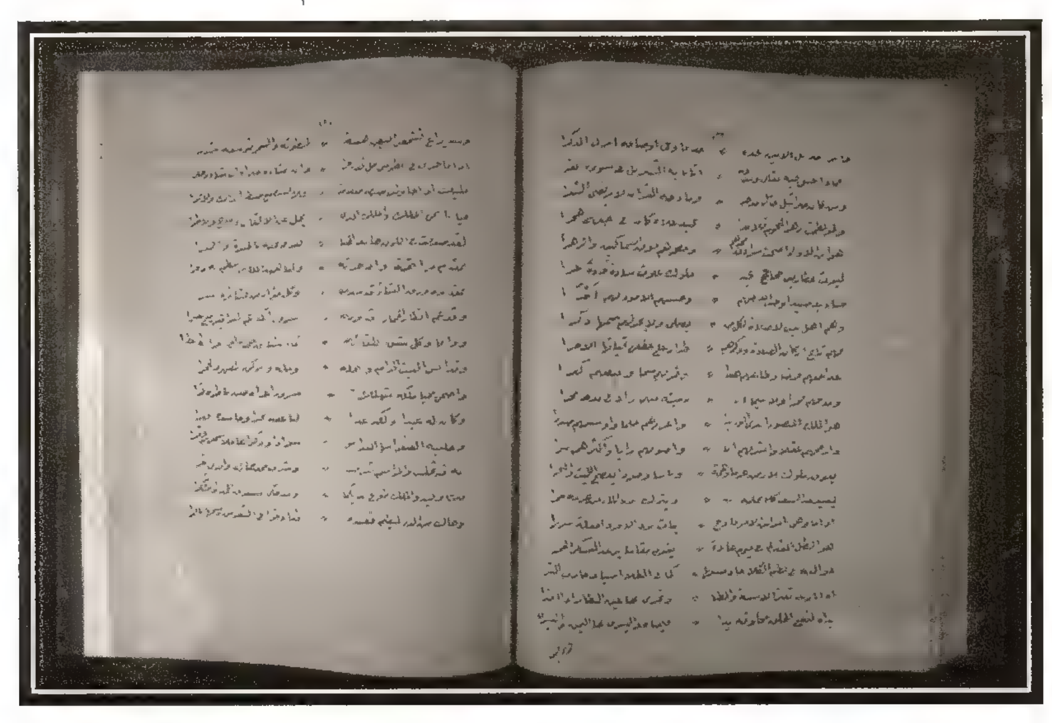


الورقتان الأولى والأخيرة من النسخة (ج)

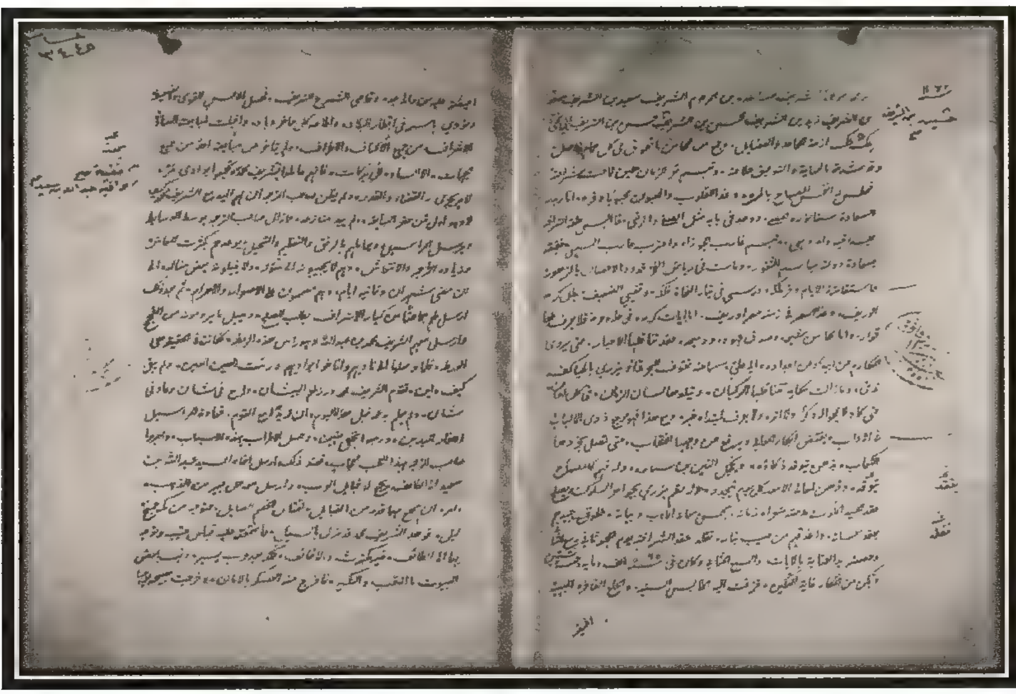




الورقتان الأولى والأخيرة من النسخة (م١)



الورقتان الأولى والأخيرة من النسخة (م٢)

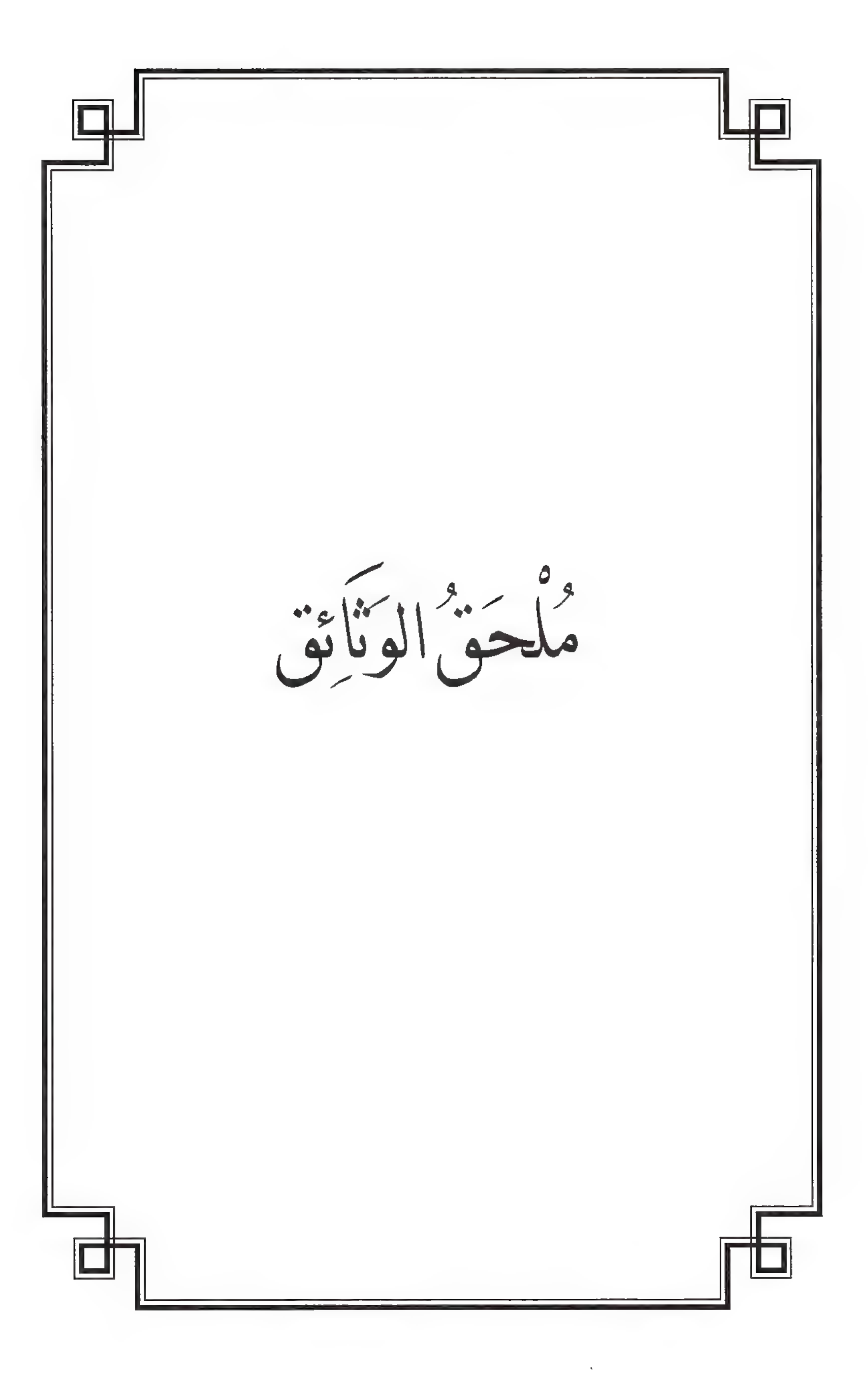


الورقتان الأولى والأخيرة من النسخة (م٣)



الورقتان الأولى والأخيرة من النسخة (م٤)





مُلْحَقُ الوَثَائِق

الحمد لله الذي أيَّد سلطانه، وخذل شيطانه، وأعزَّ أولياءه، وأذلَّ أعداءه، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي ما برحت شريعته باقية إلى قيام الساعة، وما فتئت أُمَّته الناجية تدعى بأهل السنة والجماعة، وعلى آله وأصحابه، وجنده، وأحزابه، وأزواجه، وعترته، وأتباعه، وذريته، ولا سيما فرع الدوحة الهاشمية، وفنن الشجرة الفاطمية، ساحب ذيل الفخر على مجرى المجرَّة والسماك، باسط بساط المجد على أوجات أقطاب الأفلاك، بالحسب الذي تقاعس عنه كيوان، والنسب الذي تقاعد عنه النيران.

نسبٌ تحسب العُلا بحلاه قلَّدتها نجومها الجوزاء

كيف لا، وهو بضعة سيد بني آدم، ولحمة من نسبة علَّة إيجاد العالم، على أنَّ الواصف لو أطنب، وأطال وأسهب، لملَّ القلم، وأتعب السأم.

من كان فوق محلّ الشمس موضعه فليس يرفعه شيء ولا يضعه

إلا وهو السيد الشريف بل الأشرف، والكيّس اللطيف بل الألطف، كريم الجنس من آباء وجدود، أجلّ من خفقت عليه في الحجاز الأعلام والبنود، مولانا الشريف مسعود، لا زال السعد أليه، والإقبال حليفه.

أمَّا بعد: فإنَّ تموّج تيار محب الخاطر، بالسؤال عن حالنا الباطن والظاهر، فنحن والحمد لله بنعم لا تحصى، وآلاء لا تستقصى، ومما تشنّف به المسامع الكريمة، من الأخبار السَّارة العجيبة، والأحاديث العذبة الغريبة، أن نادر شاه صفرت مرطاه، ودكّت أكادمه وضرابه، حلَّقت به عنقا مغرب، ونأى عنه ما كان بيديه ويعرب، فأمسى كأمس الدابر، وصار عبرة للأواخر.

رسالة أحمد باشا والي بغداد إلى الشريف مسعود يخبره بمقتل نادر شاه بتاريخ شوَّال ١١٦٠هـ/ أكتوبر ١٧٤٧م

نقلاً عن: رضي الدين العاملي تنضيد العقود السنية، ج٢/ ٤١٠ - ٤١٤.

لا يأمن الدهر ذو بغيٍ ولو ملكا　　جنوده ضاق عنها السهل والجبل

وقصّة قتله على سبيل الاختصار، وطريق الاجياز والاقتصار: إن حرَّاسه الذين أعدَّهم لحفظ مهجته، واصطفاهم على خلّص بطانته، هجموا بغتة عليه، وقطعوا يديه ورجليه، وجزُّوا رأسه، وأخمدوا أنفاسه، وأبطلوا أحسامه، وأطفؤوا نبراسه، ونقضوا أساسه، وكان يراهم عُدَّة للشدائد، وجُنَّة واقية عن المكائد، فإذا غلب القضاء والقدر، أتى العبد ضرّه من حيث الحذر.

إذا لم يكن عونٌ من الله للفتى　　أتته ا لرزايا من وجوه الفوائد

كما جرت الخنساء قتل حذيفةٍ　　وكان يراها عُدّة للشدائد

فكان كالباحث عن حتفه بظلفة، والجاذع بيده مارن أنفه، فتفرَّقت جنوده أيادي سبا، وتبددت عساكره شذر مذر، على الوهاد والربا، وانحاز كل عظيم من عظمائه طائفة من العساكر، وليس لهم من قضاء الله واق ولا ناصر، ولا سيما أولاد الشاه فقد دبَّ بينهم النزاع والشقاق، وحال الخلاف بين تعاضدهم وعدم الاتفاق، فلم تنفع قرابة حميم، والملك كما قيل عقيم، نسأل الله تعالى أن يحلّ بهم الخزي والخذلان، ويلبسهم أثواب الذل والهوان، ويخالف بين كلمتهم، وكسر قوي شوكتهم.

فبسبب ما حدث ذلك اليوم من الخطوب العظام، انحلت عرى ممالك إيران عن النظام، فيا له من يوم عظمت فيه المصائب، وتراكمت فيه الرزايا والنوائب.

يومٌ تفرّس فيه الفرس أنهم　　قد أنذروا بحلول البؤس والنقم

فخربت بلدانهم العامرة، وغاضت تياه خيراتهم الهامرة، فهجر أكثرهم أوطانه، وعادى أولياءه وخلاَّنه، فصارت نواحي إيران ينوح بها اليوم، وينعق في أرجائها الغراب المشوم.

أمست خلاءً وأمسى أهلها وارتحلوا　　حتى عليها الذي أخفى على لبد

[تابع وثيقة رقم (١)]

جميع هذه الحوادث كاتبنا بها الوزير المفخم، الوزير كبرلي أحمد باشا المبعوث الشيا إلى بلاد العجم، وذلك أنه لما وصل همدان، وحل بذلك المكان، جاءه من شاهد قتل الشاه ببصره، وأخبره بجميع ما وقع هناك بعجزه وبجره، وقصَّ عليه القصص، وأنَّ الشاه تجرع مرارة الغصص، وفصَّل جميع ما وقع بكلياته وجزئياته، وبيَّن ما حلَّ بأولاده من الشقاق على أصح كيفياته، وأنَّ جمعهم تفرَّق، وشملهم تفرَّق.

فقرر هذا التقرير، ذلك الوزير باللغة الفارسة، وضمَّنه تفاصيل تلك القضية، وأن سبل إيران قد تقطَّعت، وأهل الفساد في نواحيها تحزَّبت وتجمَّعت، بحيث عمَّ أطرافها الشر والضير، فلا يستطيع سبيلاً في الجو جوارح الطير. فلما علمنا أن التقت حلقتا البطان، وضاقت نجلاص الإلجي دائرة الإمكان؛ لأن الشظاظ قد بلغ الوركين، والحزام حاوز الأبطين، جهزنا لإنقاذ الوزير المشار إليه جنودًا مجندة، وكماة على الكفاح سعودة، من كل ليث مغوار، وصنديد كرَّار، لا يهابون الموت، ولا يخشون الفوت، فجاؤوا به إلى أطرافنا محفوفًا بالنصر والسلامة، محفوظًا عن عضّ خناصر الندامة؛ فالحمد لله الذي نعمه لم تزل دائرة علينا، وهذه بضاعتنا ردَّت إلينا، فترجمنا لكم ذلك التقرير، الذي حرره ذلك الوزير، لتحقَّقوا قتل الشاه، وتقفوا عليه بلا اشتباه، لما بيننا من المودة التي رسخت رسوخ رضوى وتهلان، فلا يغيرها كرور الأحقاب، ولا تباعد الأبدان. وبالجملة نحمد الله تعالى على أنْ أعزَّ دينه، وأظهر حبوره، وقد كانوا يريدون أن يطفؤوا نور الله بأفواههم، ويأبى الله إلا أن يتم نوره.

هذا، وإنَّ العراق أهله في مهاد الأمن يمرحون، وفي مراتع رياض الطمأنينة يسرحون، والحمد لله على هذه النعمة الجزيلة، والمنة العظيمة الجليلة، نسأل الله تعالى أن يوفقنا وإياكم للعدل والحكم بالحق والفصل، وإن ثنيتم عنان الالتفات إلى الوقوف على حال الجيِّ العجم وما معه من نفائس الهديات، فإنه لما تحقَّقت هذه الأخبار، وظهرت ظهور الشمس في رابعة النهار، أخَّرناه عن السعي والمسير، وضبطنا ما معه من دفاتر الحفظ من جليل وحقير، فبقى عندنا في بغداد محجورًا، وآل أمره كان لم يكن مذكورًا، فرسولنا الوزير رجه بهداياه مجبورًا، ورسولهم مصطفى خان أحضر بما معه فظلَّ يدعو ثبرًا، فاستولينا بحمد الله على الهديتين، ومنحنا بحمد الله أحي الحالتين.

[تابع وثيقة رقم (١)]

بعد الدعاء

أرسل الحاكم المذكور آنفًا قنطار بارود إلى الدولة العلية على سبيل الهدية، ثم أعقبها بأربع قطع من السفن ثم خلّص خمسمائة وثلاثين وخمسة من الأسرى، وأرسلهم أيضًا، أمّا في هذه المرة أي في سنة 1204هـ [1790م] فقد بعث مع طاهر بن عبد الحق ألف سكيبة ذهبية لتوزيعها على فقراء الحرمين هذا العام، والمرجو إيصال الذهب إلى مكانه مع أمين الصرة السلطانية، وبرفقة سيد علي الشيباني المبعوث من قِبَل الحاكم المذكور على أن يتم توزيع الذهب على مُستحقيه بمقتضى الدفتر دون تدخل أو تهجم من أحد ولا ارسال هذا الذهب عن طريق الدولة العثمانية عدة أسباب:

أولاً: بعد المسافة بين مقر الحاكم المذكور والحرمين الشريفين.

ثانيًا: لو أرسل بشكل آخر لن يصل إلى مستحقيه.

ثالثًا: أرسلت من قبل هدايا كثيرة وبددها الشريف سرور، وابنه، والشريف غالب، ومن ثمّ فالرجاء توزيع الهدية السالفة الذكر بعناية الدول العلية، وبمعرفة أمين الصرة فقط، ودون تدخل من أحد ويتم توزيعها على أصحاب الدفتر.

[وثيقة رقم (٢)]

تفيد عن إرسال هدايا إلى الحرمين الشريفين مِن قِبَل سلطان المغرب مولاي محمد بن عبد اللّه وتتناول إرساله هدايا سابقة تم تبديدها في مكة المكرمة

بتاريخ ١٢٠٤هـ/ ١٧٩٠م

نقلاً عن: محمد عبد اللطيف هريدي، شئون الحرمين الشريفين، ص ٩٨-٩٩.

صاحب الشوكة والكرامة والمهابة والقدرة ولى نعمتى سيدى؛ بناء على السيل العظيم الذى وقع فى مكة المكرمة، شرفها الله إلى يوم الآخرة، فى شهر شعبان مِن عام ألف ومائتين وثمانية [للهجرة]، فإنَّ قنوات ماء عرفات الذى يطلق عليه عين زُبَيْدَة، قد خربت لمسافة أكثر من ساعة، ما أدى إلى انقطاع الماء كليًّا؛ فقام والى جدة الحالى ومحافظ المدينة المنورة يوسف باشا بإجراء الكشف اللازم على مصروفات الترميم. والماء المذكور [أي عين زبيدة] وإن كان يجرى إلى مكة المكرمة، إلا أنَّ السيل المذكور قد خرَّب كثيرًا من بيت الله الحرام، كما خرَّب العديد من المحت الأخرى، وسد جبل النور، كما هدم جدران برك الشام ومصر التى بنيت للحجاج، ما احتاج معها تلك البرك إلى الترميم، وإلى تجديد باب الوداع فى منى، وترميم سائر المنائر، ونظرًا لانهدام كثير من مجارى عين زبيدة على وجه خاص وانسداد فتحاتها، وحاجة المسافة الواقعة بين الصفا والمروة إلى التنظيف، فقد جرى الكشف اللازم عليها بمعرفة يوسف باشا المشار إليه، وجناب الشريف، وأمين البناء محمد كبير أغا، واهل المعرفة والوقوف، فتبيَّن أنَّ تلك الترميمات تحتاج إلى مبلغ ثلاثمائة وثمانية وأربعين ألفًا وسبعمائة وثلاث قروش. وإذا طرح منه مبلغ خمسة وثمانين ألف قرش – الذى وفق يوسف باشا من خلاله بترميم مجارى الماء المذكور – من الكشف، يبقى مائتان وثلاثة وستون ألفًا وسبعمائة وثلاثة قروش، تحتاجها الترميمات المذكورة. وقد أرسل دفتر الكشف المطلوب فى العام الماضى، إلا أنَّه وجد أنَّ المبلغ المذكور مبالغ فيه، فوردت الأوامر السلطانية إلى يوسف باشا، وأمير الحاج الباشا، وشريف مكة المكرمة،

[وثيقة رقم (٣)]

عن السيل الذي وقع في مكة المكرمة والاجراءات اللازمة لإصلاح ما أفسده الأرشيف العثماني، H.H 10717.

نقلاً عن: سهيل صابان، «مكة المكرمة في بعض الوثائق العثمانية»، ص٣١٩-٣٢١.

وقاضيها، كل على حدة، بضرورة اجراء كشف آخر على الأماكن التى تحتاج إلى الترميم، وإعداد دفترها من جديد، وإرساله إلى إستانبول، وقد اتضح من فحوى الخطابات الجوابية الوادرة من يوسف باشا، ووالى الشام عبد الله باشا، وقاضى مكة المكرمة، فقد أجرى الكشف بمعرفة رجال معتمدين لدى المشار إليهما [أى يوسف باشا، وعبد الله باشا] وقاضى مكة المكرمة، ونوابهم، تبين أنَّ مصروفات مجموع الأماكن التى تحتاج إلى الترميم تبلغ جملا خمسة وخمسين ألفًا وخمسمائة قرش، وأنَّ دفتر الكشف قد أرسلت إلى استانبول، مشارًا إلى ضرورة تعيين خليفة معمار خاص، وسباك، ومقدم مباشر، وضرورة البدء باجراء الترميمات المذكورة بموجب الكشف الجديد.

وبناء على دفاتر الكشف الجديدة الواردة إلى إستانبول، فقد جرت حسابات لدى إدارة الحسابات، فوجد تفاوت كبير بين دفتر الكشف الأول والأخير المعد من جناب الشريف. ونظرًا لكون أشراف مكة المكرمة قد تعودوا على طلب مبالغ زائدة على المطلوب للترميمات التى تحتاجها الأماكن، كما هو مجرب ومعلوم عنهم، فهل يا ترى هذا الكشف الجديد على غرار تلك الكشفيات الزائدة؟ فقد قامت بالسؤال والاستفسار عن ذلك من أهل الوقوف، وأرباب الخبرة، فقد تبين أنَّ هذا الكشف لم يكن على غرار سابقاته. كما أننى بعد ما تحققت من الأماكن التى تم الانتهاء من ترميمها أنها تحتاج إلى الترميم من جديد، فقد أحلت الموضوع إلى مدير عام الحسابات، بغية تقرير نظام الترميمات على المحلات التى جرى الكشف عليها، فذكر فى التقرير الذى بعثه بهذا الخصوص أنَّه يجب القيام بإحالة موضوع الترميمات المذكورة إلى محمد كبير أغا المقيم حالاً فى مكة المكرمة، وتأدية حساباتها من ميزانية مصر، ودفع المبلغ المقرر على الحساب من ميزانية مصر، والقيام فى أول

[تابع وثيقة رقم (٣)]

الأمر بترميم الأماكن التى تحتاج إلى ترميم من داخل الحرم الشريف وخارجه، ومنها مقام ابراهيم وحجر اسماعيل، والمناداة [الملتزم] الشريفة. إلا أنَّه خوفًا من عدم الانتهاء من الترميمات بالمبلغ المذكورة الذى يذهب أدارج الرياح، فإننى أرى أنْ يعيَّن شخص من هنا [أي إستانبول] ويعطى مبلغ خمسة وعشرين ألف قرش نقدًا، ويرافقه خليفة لمعمار وسباكين، وتوجههم إلى [الحجاز] بالبحر، ويحول خمسة وعشرون ألف قرش من مصر أيضًا، فيشرع أمين البناء الذى يتوجه فى هذه السنة المباركة بالترميمات المذكورة من خلال المبلغ السالف الذكر [أى خمسين ألف قرش]، والمبالغ المالية الأخرى التى يحتاج إليها فى عملية الترميم إلى أنْ يتم الانتهاء منها و يكتبها الينا، ما عدا الميالغ الملية وسائر اللوزام الأخرى فيتم إرسالها فى السنة القادمة، حتى يتم الانتهاء من الترميميات المذكورة. وقد رأيت ان يتم الشروع فى الأمر على ذلك النحو، وتم بطيه تقديم دفارت الكشف وتقرير المشار إليه [أى مدير الحسابات] وسائر الأوراق الخاصة بالموضوع إلى جنابكم الكريم؛ للاطلاع عليها. وإذا نما ذلك على علمكم فإنَّ الأمر الفرمان لحضرة صاحب الشوكة والكرامة والمهابة والقدرة ولى نعمتى سيدى جناب سلطاني.

[تابع وثيقة رقم (٣)]



[وثيقة رقم (٤)]

كشف حساب مرسل مدون فيه العطايا التي أهديت إلى مندوب الأمير عبد العزيز بن سعود الذي ذهب إلى إستانبول بتاريخ عام ١٢١٢هـ/ ١٧٩٧م

الأرشيف العثماني: **C.DAH 1285**

رسالة الشريف غالب بن مساعد شريف مكة المكرمة

الى صاحب المروءة والكرم

اليوم بناء على ما ارتضيتم به من السير على الامور [illegible] بسهولة دون كلل ولا ملل لاكتساب دعواتكم الخيرية في

هذا السبيل .. فقد بعثت في السنة الماضية الى الدرعية رسالة مع شخص يدعى حسن اغا والذي بلغني انه

وصل الى هناك ولكنه لم يعد وقد علمت اخيرا انه توفي من مرضه .. ولم اتمكن من تحقيق الموضوع معه وهكذا

الحكم لله .. في حين انني بعثت في هذه المرة رسالة مع عبد الله افندي واعلمها ضرورة القيام ببعض التعميرات

في ابراج جدة وقلاعها وتجديدها وقد اتفقت من مدير المال مبلغ ١٢٠٠٠ قرش وهو المتبقي من قيمة تعمير برج اليمن

وجعله رصينا متينا .. ووضعنا عليه مدافعين وجددنا ما حوله من الاسوار وما لزم استدناها من التجار وسنعيدها

باعادة هذه الاموال الى اصحابها اثر انتهاء موسم الحج وقد ذهبت بالذات الى جدة واشرفت على البناء ونظرا لازدياد

قوة عبد العزيز بن سعود في نجد والتفاف [illegible] حوله فمن المطلوب رفع مستوى الرفاه لسكان الحرمين الشريفين فقد بعث

والي بغداد سليمان باشا بقوات [illegible] الى الحسا [illegible] الدول الى [illegible]

بسهولة ولم يقم بسوى محاصرة القلاع المحصنة هناك من الداخل لنحو اكثر من شهرين وكان من الممكن ان يسيطر على

الدرعية فورا [illegible] بسبب [illegible] فقد ارتكب الخيانة وعاد من الحسا دون ان يحصل على [illegible]

وهكذا عادت الجنود الى [illegible] بغداد دون تحقيق شيء ..

ولم يحدث من هذا سوى [illegible] وطغيان الخارجي [illegible] الباهظة

ومنذ مطلع محرم الحرام حتى الآن ونحن ندفع له راتبا قدره [illegible] قرشا [illegible] اول السنة [illegible]

ولو لم يطمئنا المنظر من احتلال القاهرة من قبل الفرنسية لكان الاحوال مع هذا الخارجي قد [illegible] ولم نظهر [illegible]

هذا الا كل صداقة ولم نقصر باعطاء [illegible] الى رجاله وقد بعثنا [illegible] ومع هذا [illegible]

اليوم لم يرد لنا منكم ولا من قبل القوات المسلحة اي رد [illegible]

واخيرا لقد وردت الكسوة الشريفة [illegible] بحضرة ابراهيم عليه السلام وتم البساها بحضور اهل [illegible] القصر

[وثيقة رقم (٥)]

رسالة من الشريف غالب إلى الباب العالي، يخبرهم بتحصين جدة بناء على الأمر الصادر تحسبًا لهجوم الفرنسيين المتواجدين في مصر، ويطلعهم على عقد الصلح مع الأمير عبد العزيز بن سعود. بتاريخ ١٢١٤هـ/ ١٧٩٩م.

دارة الملك عبد العزيز: سجل رقم ٢٣٩٦٣، ملف رقم ١٠٤/ ١٦، وثيقة رقم ٣٢٦.

وبالي الشام وامير الحج ومحالات الحج وكلهم ادعوا لكم بطول العمر والبقاء كما تسلمنا من الجانب المصري المبلغ الذي ارسل الينا كما هو في العام الماضي وقدره ١٠ الف قرش نقدا داعين لكم بطول العمر

غير ان المشار اليه احتج من اعطاء ٥ الاف قرش اخبارا انه صرف المبلغ وقال انه تعذر عليه الحصول على المبلغ المذكور بسهولة فاضطر لصرف هذا المبلغ .. اعني ٥ الاف قرش ..

لذا جئنا راجين ارسال هذه الهدية من الان فصاعدا بمقدار ١٠ الف قرش، ٥ الاف قرش و ١٣ الاف قرشا والمجموع ٢٣ الف قرشا مع امين الصندوق ..

ولقد سررنا عندما سمعنا بان قوات الفرنسية تخلت من المرشرواد الطريق متوسما ما سيسر وصول الحجاج المصريين غير اننا لم نجد وصول شيء من هذا كما ان المؤن والذخائر التي وعدنا بارسالها من مصر لم تصل الينا لا برا ولا بحرا ..

وهذا ما استغربناه

هذا وقد قام حجاج بيت الله الحرام باداء فريضتهم على افضل وجه وقد قمنا بتضمين الاماكن المسدة بعرفات والطرق المؤدية له ومزدلفة وتمكن الحجاج الصعود والهبوط بسلام وما هذا الا بفضل بصيرتنا واهتمامنا الكلي وقد غادر الخارجي عبد العزيز سعود يوم ١٥ ذي الحجة المنطقة متوجها الى الشرق . اما ما يتعلق بالديون فقد بلغت ١١ الف قرش وعدد اضافة الى بعض الديون المطلوبة لتجار مكة المكرمة والموضوع متروك لرايكم السامي

وهذا ما نرجوه منكم من مساعدات ودعم والامر لمن له الامر ٢٣ ذي القعدة ١٢١٤ شريف مكة المكرمة

غالب بن مساعد

[تابع وثيقة رقم (٥)]

بناء على اقتحام الفرنسيين للإسكندرية المصرية على حين غرة، فانه انجلترا الصديقة للدولة العلية والخصم القوى لفرنسا قد اقترحت بأن أسطولها المتجول فى البحر الأبيض المتوسط يمكن توجيه إلى [البحر الأحمر]؛ للتضييق على السفن الفرنسية، بشرط توفير حاجياتها إذا اقتضت الضرورة، وذاك من المواقع التى تتوافر فيها الغلال واللوازم، و'نه إذا وصلت السفن من الأسطول الإنجليزى إلى موانىء السويس وجدة وينبع يتم تعاملها بالدول الصديقة وتجرى لها المراسم اللازمة، والغلال التى تحتاجها السفن يتم شراؤها بموجب القيمة الرائجة لها، وتقديم التعاون لها فى هذا الصدد، وأنَّه إذا احتاجت إلى الماء يرخص لها بذاك، وأنَّه من خلال أمر عال يقدم لها تتوجه إلى سواحل الموانئ: لتقديم المساعدة اللازمة اليها، وأنَّه يتم تنبيه المسؤولين لِمَنْ يقتضيهم الأمر إذا ظهرت السفن الفرنسية بهذه المناسبة، لا تصدق حيلها ومكائدها. بل يتم دفعها عن المنطقة، وتاكيد ذلك على الضباط. وقد ذكر أنَّ الأوامر العالية التى صدرت بهذا الخصوص قد وصلت إلى المشار إليه، وإلى أمير مكة المكرمة، وأن بعث بنسخة من تلك الأوامر العالية إلى الضباط المسؤولين والشريف المشار إليه: للعمل بمقتضاها.

وقد ذكر فيه أنَّه أثناء هجوم الفرنسين على الإسكندرية، وبناء على اقتراح القائم بمصالح دولة انجلترا فى إستانبول أنَّه إذا أرسلت السفن من الأسطول الإنجليزي إلى السويس وجدة وينبع، يتم توفير حاجياتها من الماء والغلال واللوازم المقتضية، ونبه إلى عدم الثقة فى السفن الفرنسية وعدم منح المجال لها.

[وثيقة رقم (٦)]

عن التعاون بين الدولة العلية والإنجليز لإخراج الفرنسيين من مصر وتحصينات موانئ الحجاز المهمة، وأخبار الأوضاع الاقتصادية هناك.

الأرشيف العثماني، **H.H 6664**.

نقلاً عن: سهيل صابان، «مكة المكرمة في بعض الوثائق العثمانية»، ص٣٢٢-٣٢٤.

بالتحايل والمكيدة، وأنَّه تم إرسال خطاب إلى المشار إليه وإلى أمير مكة المكرمة الشريف غالب بذلك بالتصرف بذلك بموجب الاقتراح المذكور.

لقد سبق أنْ أرسل المذكور خطابًا قبل هذا، ضمن فيه أوضاع القلاع والعتاد العسكرى فى المنطقة، ولو يرد الجواب عليه حتى الآن، وفى خضم الوهلة الأولى من دخول الفرنسيين إلى مصر، فإنَّه إضافة إلى فقد المشار إليه لراحته فقد خربت قلاع جدة وينبع، وخليت من العتاد العسكرى. فإذا ما توجهت سفن الكفار إلى موانىء جدة، وينبع فى هذه الحالة، فلن يكون هناك اماكن الدفاع عنها بوجه من الوجوه.

وإذا لو أنَّ قيام هولاء الكفار بالعمل على اختلال الأوضاع فى الحجاز غير مستبعد، يضاف إلى ذلك انفرادهم بالحكم فى مصر، وقيام سفنهم بالتجول فى البحر بكل حرية فإن الأمن الآن في موانىء جدة وينبع خالية من الدفاع. ومن هنا فمن الضرورى القيام بتحصين استحكامات قلاع جدة وينبع، وإرسال العتاد والمهمات العسكرية اللازمة والبارود، واستكمال كافة لوزامها، والشروع فى اتخاذ الأسباب الكفيلة بذلك.

لقد سبق أنْ أرسل المشار إليه طلبًا بتوفير المهمات العسكرية والذخائر والبارود وسائر اللوازم لقلاع المذكورة، ولا سيما أنها خربة وخالية من اسباب الدفاع، وبناء على احتواء خطاب المذكور المعروض سابقًا على جنابكم على بعض المغالطات والتفاصيل، فإنَّه لا يوجد هناك طريق لإرسال الذخائر والمَهَمَّات العسكرية والبارود، كما أنَّ القلاع التى تحدث عن ترميمها وتحصينها حسب رغبته، فإنَّ القيام بذلك لا يقل عن سنة واحدة، كما هو أمر مؤكد، وقد سبق أنْ تم إعداد الجواب المقتضى المتضمن بعض التوصيات فى هذا الصدد، وإرساله مع قافلة الصرة الهمايونية، ويجب اعداد خطاب آخر

[تابع وثيقة رقم (٦)]

بهذا الخصوص، والإشارة فيه إلى أنَّ الموضوع ستتم دراسته مع أمير الحاج الباشا، وأنَّه سيتم الشروع في اتخاذ الأسباب اللازمة؛ حتى لا ينتابه الفتور من الأمر.

ما يتم إرساله إلى مكة المكرمة كل شهر من زيت السمن والقناديل وشمع العسل، وكذلك الرواتب الشهرية التى ترسل لبعض الاشخاص، وكذلك الرواتب السنوية التى تعطى لقضاة الحرمين الشريفين بالأمر العالى، وتأدية وظائف أهالى الحرميين الشريفين، وكون معيشته مع أتباعه كان مبنيًا على رسوم جمارك جدة، ثم لمَّا وقعت الحادثة المصرية لم يرد شيء من الواردات إلى الجمارك، واصبحت خالية، ما أدى كل ذلك على القلق المشار إليه [أي أمير مكة المكرمة]، يضاف إلى ذلك عدم مقدرته على دفع زيت السمن والقناديل وشمع العسل وسائر لوزام الحرم. وأنَّه بناء على ذلك أرسل قائمة بالحاجيات إلى إستانبول؛ بغية تكليف ولاية الشام بإرسالها.

بناءً علي خلو الجمارك المذكورة من الرسوم ونظرًا لكون المشار إليه [أي امير مكة المكرمة] مُقيمًا فى الحجاز منذ مدة طويلة، ونظرًا لكون الأغراض التى كانت ترسل من مصر قد تعرضت للتلف، ما أدى اتعرضه [فى وضعه المادى] إلى الاضطراب، مِمَّا يجعله محتاجًا لتقديم المساعدة اليه، وتكريمه بارسال مبالغ كبيرة من المال إليه مع الصرة الهمايونيَّة، حسب ما ذكره المشار إليه فى الخطاب الذى سبق أنْ بعثه، يُضاف إلى ذلك أنَّه

بسبب انخفاض الغلال فى الحاجز، وحتى يصبح مدارًا لعيشه الذى ضاق عليه، فقد طلب إرسال براءة مقاطعة بعلبك التى فى عهدته إليه من خلال كتخدا بابه بالأمر، وبيعها لطالب شرائه، وتقديم بدلها الذى تستحقه المقاطعة إليه، وإرساله إليه، وبذل الهمة العالية فى ذلك، كما أمله، تم تقديمه إلى جنابكم؛ بغية الموافقة عليه.

[تابع وثيقة رقم (٦)]

لقد سبق أنْ قام شريف مكة المكرمة بحمل كافة أفراد أسرته وأثقاله والنزول إلى الطائف. والخطابات التى أرسلت إليه إلى هذا الحين لم يرد منه أي جواب عليها، وسائر المسائل التى كلّف بها المشار إليه قد تم عرضها على إستانبول سابقًا ولاحقًا. وقد أفيد أنَّه أرسلت قائمة بالمدافع وسائر المهمات العسكرية الموجودة فى جدة: الملحق قائمة موضحة لعدد المدافع وسائر المهمات العسكرية الموجودة فى جدة.

إنَّ توجّه الشريف المشار إليه إلى الطائف، وإرسال قائمة تتضمن المدافع المَهَمَّات العسكرية وسائر اللوازم، لا يخلو من الرعاية للمراسم المقتضية. وقد عرض عليكم للعلم به.

لقد قام فى الروضة النبوية الشريفة كافة العلماء والصالحين والأئمة والخطباء والسادات الكرام والمشار إليه [أي أمير مكة المكرمة، كما يبدو] بختم البخاري الشريف مرتين، المقرؤن بتلاوة سورة الأنعام؛ ليهزم الله الكفار الموجودين فى داخل مصر [أي القاهرة] ويقهرهم. وقد ابتهلوا إلى الله تعالى أنْ يهزمهم ويقهرم فى القريب العاجل.

بنية خالصة صالحة لنصر جنود الموحدين وخذل أعداء الدين، قد استمر فى قراءة البخارى الشريف فى الروضة النبوية الشريفة .كما أفاد بذلك الخطاب الوارد بهذا الخصوص، وكان الأمل بالله ثم بروحانية فخر الكائنات قوياً فى الاستجابة لدعائهم.

بناءً على انسداد الطرق البحرية والبرية، فقد ظهرت بوادر القحط. ونظرًا لما سيتعرض له أهالي الحرمين الشريفين من الضيق، فقد قام المشار إليه [أي أمير مكة المكرمة] بتوزيع ستمائة خرج يومية للأفراد الموجودين بمعيته، كما وزَّع مبالغ على أتباعه لواحقهم زائدة عن المهية؛ مِمَّا أوقعه فى اضطراب مالى، ينتظر المساعدة من الجناب العالى.

[تابع وثيقة رقم (٦)]

صاحب الدولة والرعاية والأبهة ... بعد وفاة الصدر الأسبق ن ووالى جدة يوسف باشا صدرإلينا من صاحب التاج الأمر باختيار شخص مناسب من بين الوزراء العظام ليكون واليًا على جدة ومحافظًا للمدينة المنورة، وقد أنعمتم على سعادة إبراهيم باشا شيخ زاده والى ديار بكر بتعيينه فى الولاية المذكورة (جدة)، وقد تم استعجاله بالمرسوم الالسلطاني (المعنون بذلك)، كذا أرسل أمر عالى مخصوص إلى والى الشام سعادة عبدالله باشا نوصيه ونؤكد عليه أن يؤدي الأموال الأميرية المتراكمة وفيما يختص بما عرضه على أعتابكم السلطانية القائد الأعلى للجيش (وهو مصدر أعظم أيضًا) فقد تم إعداد الأوامر العالية الخاصة بما عرضه، وسير إلى حضرتكم لكتابة الأمر السلطاني بها.

وقد حررت أوامر خاصة لكى يكتب سفيان آغا رسالته إلى والى الشام المذكور أعلاه لكى يكف يده عن الظلم والتعدى اللذين تجاسر عليها مؤخرًا، وبعد أن تم التاكيد على الأوامر المذكورة سواء الموجهة إلى إبراهيم باشا أو إلى عبدالله باشا، وتم توشيحها بالأمر السلطاني وسيرت إلى المذكورين أعلاه بعد أن كتب سفيان آغا رسالة نصح خاصة إلى عبدالله باشا واضح من مضمون - المرسوم السلطاني الموجه إلى إبراهيم باشا أن ولاية جدة مقرونة بمحافظة المدينة المنورة وإن الثانية مشروطة الأولى والحقيقة أنه باستنطاق القادمين من المدينة المنورة والاستفسار منهم عن أحوال تلك المناطق علمنا منهم الآتي:

كان المرحوم يوسف باشا طوال مدة إقامته بجزل العطاء لمشايخ العربان (البدو) المجاورين والمحيطين (بالمدينة المنورة) من رؤساء القوم (ذوى النفوذ)

[وثيقة رقم (٧)]

ضرورة إقامة والي جدة في جدة وليس المدينة المنورة والإشارة إلى الاتصالات التي تجري بين الشريف غالب والفرنسيين. بتاريخ ١٢١٥هـ/ ١٨٠٠م.

نقلاً عن: محمد عبد اللطيف هريدي، شئون الحرمين، ص ١١٧-١٢٠.

وقد اعتاد أن يقدم هذه العطايا كل عام ليثبت مكانته ويقوى نفوذه ومن ثم أصبحت عادة القوم أيضًا أنْ يأخذوا الهدية كل عام... لذلك لو صدرت الأوامر السينة بأنْ يقيم الوزير المعين فى المدينة فإنَّ العربان سيأتون مطالبين بما كانوا يحصلون عليه من سلفه وإذا لم يكن فى مكنته أن يدفع لهم ما كان يدفعه سلفه ورد بالرفض، فإنَّ هؤلاء العربان – إذا يئسوا – منه سيكونون مصدر قلاقل ومتاعب واضطرابات فى المدينة المنورة وفى إقامة الوزير المعين فى جدة، مع احتفاظه بلقب محافظ المدينة – على أن يتردد عليها كلما اقتضت الضرورة – فائدتان:

الأولى: سينفذ أهالى البلدة الطيبة من تعديات العربان بحجة العطية.

الثانية: بإقامته فى جدة سيحكم سيطرته على مكة المكرمة إذ أن عدم إقامة الوالى بها لبضع سنوات جعل شريف مكة يسيطر على جدة، ويأتى من الأفعال ما يستوجب قطع يده – حسبما ترامى إلى أسماع عبدكم.

وزاد على ذلك هذه المرة بأن كتب إلى الجناب السلطاني يطلب اسناده ولاية جدة إليه وعدم ارسال والى إليها فإذا ما أقام الوالى الجديد فى المدينة المنورة سيصبح الأمر وكأن ولاية جدة قد أسندت للشريف.

إنَّ حال وسلوك الشريف لا يخفيان عن الدولة، ومع أن تكرار الحديث أوالأخبار عنه هو تحصيل حاصل (فإنه يجب أنْ أرفع إلى جنابكم) أنَّ قائد السفن الإنجليزية قد جاء إلى السفير الإنجليزى فى استانبول (الباب العالي) وقدَّم له تقديرًا (قطعة من الورق) مفاده أنْ الشريف فى هذه المرة بدأ يتصل بالفرنسيين مدعيًّا بأنَّه حاكم الجزيرة العربية، ولم يقم وزنًا للوالى المرحوم أو لسليمان باشا أو غيره من العساكر العثمانيين، وقام بتسيير السفن من جدة إلى الأراضى المصرية عن طريق القصير مظاهرًا الفرنسيين أعداء الدين.

كل ذلك محرر ومسطور فى ذلك التقرير وربما أرجع الشريف هذه المعلومات

[تابع وثيقة رقم (٧)]

إلى الجفاء الذى كان بينه وبين الوالى، وربما كان بعضها مبالغًا فيه ولكن أفعاله وتصرفاته السابقة توحي بأنه لا مجال للافتراء عليه حتى ولو صح القليل من هذه المعلومات فقد وجب تحذير الشريف ولفت نظره.وسأكتب له أنا هذه المرة – دونما إشارة إلى علمى بتفاصيل تحركاته – وكأننى لا أعلم فأحذره من نوايا الفرنسيين (أعداء الدين) العدوانية.

وأقول له لقد تنامى إلى أسماعنا أن السفن التجارية تمر العباب جيئة وذهابا بين مصر وجدة وأطلب منه تحذير هذه السفن ومنها من سلوك هذا السبيل كما أوصيه بإمداد السفن الإنجليزية بما تحتاجه من ماء وذخيرة (بمقابل) وسوف أقوم بالرد على المواد التى استفسر عنها الشريف المذكور إذا اقتضى الأمر ذلك ومرسل للعرض على أعتابكم السلطانية صورة عريضة الشريف، كما أوضحت آنفا فإن أمر " تعيين والى جدة وإسناد محافظة المدينة وإقامته فى جدة مع ذهابه إلى المدينة المنورة إذا لزم الأمر شىء – والعياذ بالله – وكذلك الأمر إصداء النصح للشريف منوطان بموافقة القائد الأعلى (السلطان) إن اخبارى بكل هذا من ضرورات الولاء الصادق والعبودية الخالصة وليس من قبيل (عمل أى شيء والسلام) وما أن تصل إلينا أوامركم يتم تنفيذها والأمر لكم...

[تابع وثيقة رقم (٧)]

[وثيقة رقم (٨)]

أمر من الباب العالي إلى عمر باشا والي بغداد للزحف على الدرعية، وتذكر إِرسال الشريف مساعد بن مسعود بقيادة أخيه الشريف أحمد لمساعدة حاكم الأحساء ضد الوهابيين.

فِي أواسط شوال ١١٧٨هـ/ بداية أبريل ١٧٦٥م.

الأرشيف العثماني، مهمة دفتري، حكم ٨١٧.

رســالــــة تاريخيــة مهمـة

شرح السلطان / مع الأسف لم نتمكن من تقديم أية مساعدة الى الحرمين الشريفين بالرغم من جميع الجهود التي بذلت . وبالرغم من المراسلات العديدة والأموال الكثيرة التي صرفت ..
للتفتيش عن وال مقتدر لإرساله الى جدة واستعمال المعونات من الشام ومصر .. فنحن مضطرون الى القيام بحرب ضد الخارجي تركنا الحرمين دون أية مساعدة .. فلنتشاور بسرعة ولنتخذ التدابير اللازمة والا فعال الله ..

شرح رئيس الوزراء / وصلتني رسالة من شريف مكة المكرمة غالب .. وها نحن نعرضها لسعادتكم .

نص الرسالة /
أطال الله بقاء مولانا السلطان

وصل الي أخيرا من والي محمد آغا وسعادة الحضرة السلطانية المحترم فتان بيك وأبلغوني بسلامة وصحة مولانا المعظم حفظه الله ..
وقد قرأت الرسالة المعجزة التي مهرتموها لنا الى الاهالي على مشهد من الناس والتي جلبت لنا السرور والحبور . ودعوا جميعا لكم بطول العمر والبقاء ملتمسين الصحة والسعادة .
قد أوصلنا المبلغ الذي تفضلتم بإرساله وقدره خمسة آلاف قرش وكذلك المرتب المخصص لعيون الذهب ٣ آلاف قرش وقد سررنا جدا بهذه الالطاف السلطانية أما المبلغ الذي تفضلتم بإرساله من قبل خديوي مصر فلم يصل بعد وقدره ٢٥ الف قرش .
أما فيما يتعلق بمطالبة الاراضي المقدسة من ظلمها وتعديات الخوارج فان والي بغداد لا يزال لم يبد أية همة .. علما بأن الخارجي قام بارسال الجنود المحروسة فوجا فوجا الى الاراضي الحجازية وقطع الطريق عن المدينة المنورة ومكة المكرمة علما بأنه لا يوجد لدينا من قوات سوى خمسمائة خيال ومائتي مسلح .. ويعتبر أهل المدينة المنورة بالبأس ونظرا لمحاصرة مكة المكرمة من أربعة جهاتها فان القحط والغلاء قد وقع في المدينة .
ونظرا لانقطاع الطرق فانه لم تصلنا حبة واحدة من القمح في هذا العام وحتى من الجانب المصري ونظرا لعدم تمكننا من أداء فريضة الحج في هذا العام فقد أصدرنا دلائل طالبين منهم أن يصلونا من رئيسة أهل مكة بالابقاء معهم حتى إن الحجاج الشاميين لا يزيدون على خمسمائة نفر بين مشاة وخيالة والذين أفرزوا البقاء منا .. فإنني لا أعرف كيف يمكنني تحصيل الاموال والمساعدات اللازمة
وبكل ما كنت أملكه بعته وصرفت قيمته .. حتى ان المحمل المصري وصل نصفه [illegible] والحالة الموجودة سيئة بكل معنى الكلمة . لم يسبق لها مثيل ..
ندعو الله أن يبدل أحوالنا خيرا وأن يمد لنا العون لنا جميعا ..
أما بالنسبة لوالي جدة سعادة المرحوم محمد شريف باشا فقد أصيب بالقرحة في شهر رمضان وتوفي في ٢٥ ذي القعدة

[وثيقة رقم (٩)]

خطاب من الشريف غالب إلى الباب العالي، يطلب المساعدات، والمؤن، ويطلعه على الحالة السيئة التي يعاني مِنْها الحرمين الشريفين، ويخبره بوفاة والي جدة محمد شريف باشا على أثر قرحة، بتاريخ ٢٥ ذو القعدة ١٢١٨هـ/ ٨ مايو ١٨٠١م

دارة الملك عبد العزيز: سجل رقم ٢٣٧٥٣، ملف رقم ١٠٤/ ١٦، وثيقة رقم ٣٣٥.

- ٢ -

وعليه فقد تضايقنا حتى إن الجنود لم يحصلوا على رواتبهم منذ مدة اشهر ، وعليه فهم في حالة يائسة جدا وفي حالة ما اذا سرحنا هؤلاء الجنود وعددهم ٣٠٠ جندي تكون قد ارتكبنا نفس الرديا .

وعليه نرجوا ان توجهوا الى مدير مال المرحوم حسن اغا رتبة القائمقامية نظرا لما عرف عنه من صداقة وحسن ادارة .. وبامكان المذكور ان يسير دفة الحكم التي كانت في عهد الوزير المذكور بالاشراف على ديونه وتصفيتها .

ونرجوكم ياصاحب الجلالة التفضل بارسال قوات لاتقل عن ١٠ الاف جندي لتخليص بيت الحرام من شرور الخارج وتامين حياة واستقرار اهل هذه المدينة المركمة .. والا فلن يكون امام هؤلاء الناس من عبادكم الموحدين سوى الا الهلاك المحتم ..

والعمل على ارسال هذه القوات والاسلحة من الجانب المصري اذ ان هذه القوات ووصولها يحتاج الى مدة اشهر (شهرين على الاقل) في حين اننا لايحتمل البقاء اكثر من ذلك معرضين للمحاصرة وهذا ما اردت ان اعرضه على جلالتكم ونقول حسبنا الله ونعم الوكيل والتقدير لرب العزة والسلام ..

الختم كتب بهذه الصورة

رب ساعد الشريف غالب بن مساعد

في ٢٥ ذو القعدة ١٢١٨

[تابع وثيقة رقم (٩)]

من غالب بن مساعد الي سعود بن عبد العزيز ليسلمه حضرة الله تعالي من جميع الآفات وليستعمله في الصالحات الباقيات ولا يحرمه من الحفظ الصمداني فيكون ملحوظا بالعناية الربانية وليشمله بالخير والعافية واننا لنسأل جناب الباري أن يحيط وجوده بالاحسان.

غير خاف عليك أن هذه الاقطار في أخبارها وآثارها وأموالنا مع اخوان ديننا كما هي سطرتها لك في حقيقتها قبل الآن وارسلتها اليك مع المراسيل سائرة نحو صلاح البلاد والعباد ولكن في ذلك الوقت لم اذكر لكم شأن الحجاج الذين لم يتواردوا الي هذا الطرف وأخبارهم مع أولئك المراسيل.

وبعد ذلك وبحمد الباري فان الحجاج المسلمين قد أقبلوا من كل الجهات وادوا الحج بأطيب حال وأرفه بال وأم القري كما وصفها خالق العباد مشمولة بالفضائل التي حلت على العاكف فيها والباد سواء مبرأة من كل المؤثرات الضارة ومن كل حال مستنكر وليكن معلوما لديك أن أمير حج الشام هو عبد الله بن العظم الذي أقبل مع والي جدة عابدين باشا وعسكر عبد الله باشا يقربون من 2000 في حين أنَّ الخيالة المرافقين لوالي جدة بالكاد يبلغون الخمسمائة وقد سعينا من جانبنا لتفريق عسكر والي جدة من حوله تعريضا بالقول لبعضهم وسوق بعضهم نحو البحر وأخيرا فقد يتبقي لديه في مكة ما لا يزيد عن عشرة أنفار.

والحجاج اليوم أو غدًا لا بد وأنْ يعودوا وقد نصبوا خيامهم على طرف منفرد بين الحجاج المسلمين. ولما كان هؤلاء المرقومون من رجال الابل لدي عبد الله باشا فقد رغب الينا أن يكون شأنهم وسطا مع أمراء المسلمين فاعتذرنا له وحتي أوان تسطير تحريرنا اليكم لم تبدر بادرة حركة لمسير الحجاج ولما يبدر

[وثيقة رقم (١٠)]

رسالة من الشريف غالب إلى الإمام سعود يعلن تبعيته للوهابيين، حوالي عام ١٢٢٠هـ/ ١٨٠٦م.

نقلاً عن: أحمد مرسي، «شريف مكة بين قوتين»، ص ١٥٦-١٥٩.

منهم ذلك لا بد وأنْ نفيدكم به. لننتقل إلى شأن عثمان بن عبد الرحمن فإنَّه منذ نزل المسلمون الي مكة لم يكن على حال وقرار في حركاته ولا هي مؤتلفة مع صلاح الدين، وقد سلك مع أغراض هواه والنفس أمَّارة بالسوء واغلب الظن وعليه القياس انكم والحاضرين من كبار المسلمين تستذكرون حالة (الذمايم) وتستعيدون حركاتها لان قصده من تلك الحركات هو تنفير خاطرنا .

وأنا أخوك والله عالم وشاهد . انني لو لم أجد لذة في الموافقة ولو لم يشرح الباري تعالي لها قلبي ما كنت اكرهت نفسي بصورة محتمة على ذلك لأن نفسي بما وسعت مطوقة بقدرة الحق تعالي .

وقبل هذا فانه من المعلوم لديكم أن الضيق الذي حل في مكة كان متروكا للسعة المبذولة من لدني اذ أنه كان من الممكن – في الأول والآخر – الاستيلاء على مكة فلا يكون من بعد في مكة غير القصور وحيث البناء من حجر مما لا يستدعي الأسف على قبيلي منها خاصة وأن تلك القصور في عماراتها المستقيمة هي مسكني مع أهلي كما قال إلى الله تعالى خليله إبراهيم – صلي الله عليه وسلم : "رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ".

وإنَّه من المشهود لدي الأرباب من أمثالك .. لا تنتهي الانفس عن غيها ما لم يكن منها زاجر أي إذا لم تكن النفس من ذاتها ولنفسها زاجرة فلا تنتهي عن غيها ولا منة لأي مخلوق في ذلك لان نفسي هي في يد خالقها ولا حتمية للغير عليها وان قود الامور في يد اختياره وهو المختار فيما يختاره من أي قول.

[تابع وثيقة رقم (١٠)]

إن حركات عثمان في طرفنا التي شاهدها كبار المسلمين وما لجأنا اليه من صبر في هذا المجال سوف تذكر حقيقتها لكم حتما واني لارجو من الحق تعالي ألا يريني ولا يسمعني تلك الحركات بوجه ما لانني أعرف سقوط عثمان في حماة الرداءة .

والآن فأنت أخي وتعرف جوابي والحق يعرف أنني لا أصانع معك تحايلا ولا طمعا أو أنني أبتغي لنفسي من وراء ذلك السعة بالاختلاف معك.

لقد اتيت لمجرد مشتهاي وبخاطري وبرغبتي واختياري وان شاء الله تعالي لن اكون كمثل الآخرين مقاسا عليهم فلم آتي اليك من أجل شيء لا مآل له أو لعجز ابتغاء الحصول على رغبات النفس وما تروم.

والآن ما من أحد قام من عامة المسلمين ليعاكس ما انطوي عليه الاسلام في عواقبه المحمودة وثناياه التي تبلجت فلا تظنن أو تجزم بأنني سأقوم مناوئا في تلك الخصومات فاجعلني رمحا على الأعداء ولا تدع عثمان وسواه يتمادي علي في القول.

إنَّ ما هو في يد حكمي منذ القدم مكة والطائف وجدة والحجاز وحرب وجهينة ومن الحجاز الي ساحل البحر حيث البنادر والقبائل المعروفة في حكمي والملحقة بي كمثل التي في جدة ، الزبيدية والينبع وجهينة وفي الساحل القنفدة حتي الطائف – الحجاز وما يتبعها.

فإذا ما جعلت إمارة تلك الديار في يدي وترك إليّ مهام إدارتها شهرين أو ثلاثة فانني بحول وقوة الباري أباشر الحرب برًّا وبحرًا في مصر والشام واليمن من حيث لا يستطيعون الدفاع عنها.

ولكن اشرط على نفسك لي بأن أية قرية تفتحها يدي مع المسلمين أكون قائمًا عليها مرتبطة بي في أمور أحوالها وصلاح أمورها بالنيابة عنك وما أصرفه

[تابع وثيقة رقم (١٠)]

من مجهود يكون لك علي ألا يعارضني في ذلك أحد أميرًا كان أو حقيرًا ذلك لاني أعرف مسالك الخلق اكثر من الآخرين فاعتبرني ولدًا صالحًا من أولادك وقد جربت عداوتي من قبل فجرب الآن صداقتي لتجد انني لست من أولئك لأكون شاكا بك موهما اياك وستري عجزي الذي قيل به أمس فإذا ظهر عجزي في تمشية الإمور فإنَّ ورقة منكم تؤخرني وتقدم سواي.

وإنَّ قصدي من ذلك أنْ استبدل ما كان من السيء بالأحسن في نية مخلصة التماسا لرضا الحق وليكن لعثمان في طرفك عمل والقصد المجرد من هذا أن اظهر ما في ضميري توسعا بالاسلام وهدم الأصنام وإنني ألزم نفسي بأن اكون قائما بأمور الجهات التي اوردتها في شروطي والمفوضة لي في شأنها وأنْ لا يكون من يعارضني فيها سواك حتي أكون مطيعا دون خلاف والله على ذلك وكيل.

آمل الحصول على جواب رسالتي في العجل لاشمر عن ساعدي واهتم بالامر وإذا بدر لك واردت أن تؤخر في بعضها متبعا في ذلك خيال الظن فانني بعون الله تعالي سوف لا أقرب تلك الأمور راجيا التفضل بانجاز مطالبي واذا ما شاع ذلك بين الافران فهي في كل الاحوال ستنقص ولن تزيد وأن إخلاصي لك أمر جازم وانك قد تحققت من خلا السنتين اللتين مرتا مع مجريات الامور أنه لم يحصل في الحرم الشريف ما يخالف رضاك.

على أن عثمان ولانه كان متفردا في اقواله لم يعقد معنا صلة ظاهرة ولا مشغلة مظهرًا على العيان أمام الله الكيد والعداوة في بطحاء قريش في حين أنَّه لا يجب الافادة عمَّا أخذه من الأشياء الوافرة المبالغ فإن بلوغنا العلم بعدم رضاكم عنها لذلك نري الافادة بها على أن ما صدر حتى الآن من أمور إذا أدركها حكمكم فأنتم أعرف بأموركم معه أمَّا إذا كان هذا لم يبلغكم خبره فإننا على استعداد لإثبات ما ذكرناه على الوجه الذي اوردناه.

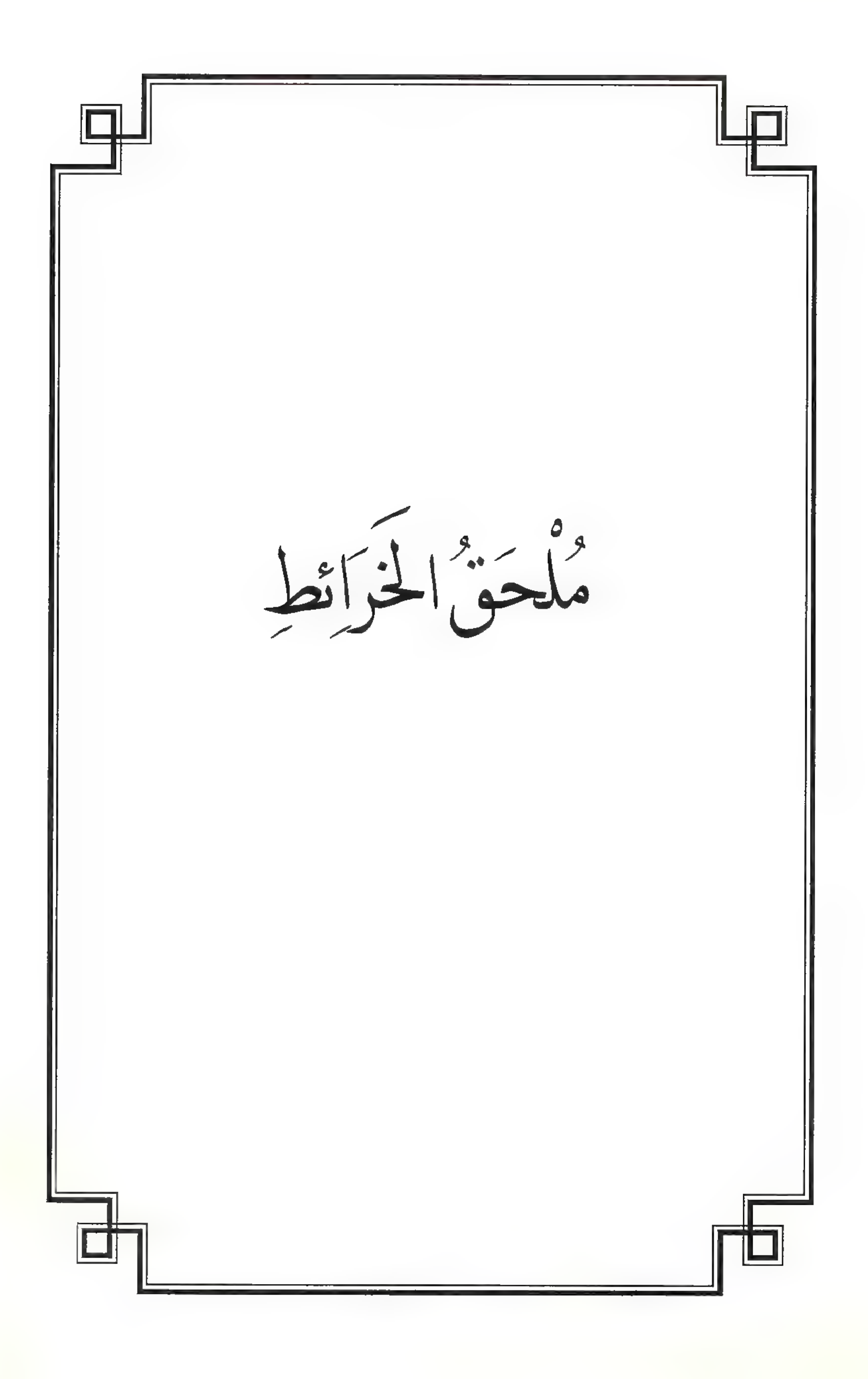
ومن اللازم أن يرسل من قبلكم اوراق لأمان بنادر جدة والينبع والسواحل وغيرها في اموالها وتجارتها وما يرد اليها من الفلك والسفن الخاصة بالإفرنج

[تابع وثيقة رقم (١٠)]

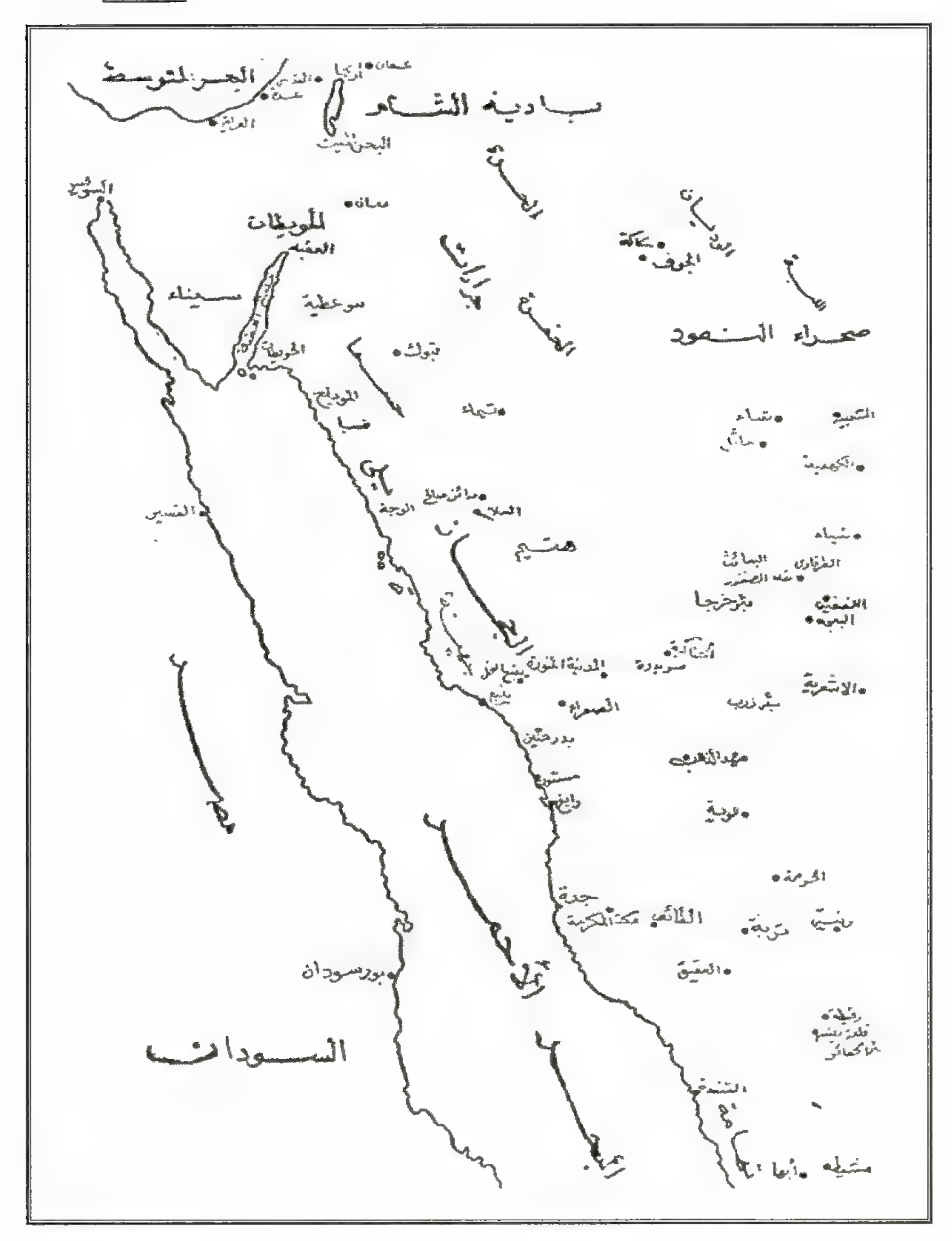
والنصاري الذميين والحربيين واصناف العالم وعندها لن نقصر فيما هو يتوجب علينا من استجلاب الخواطر وجلب المنافع.

إنَّ حامل هذه الرسالة إليكم عبد العزيز رجل غبي لا يدرك مما تضمنته رسالتنا شيئا فليكن الجواب مرسلاً معه على عجل والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

[تابع وثيقة رقم (١٠)]

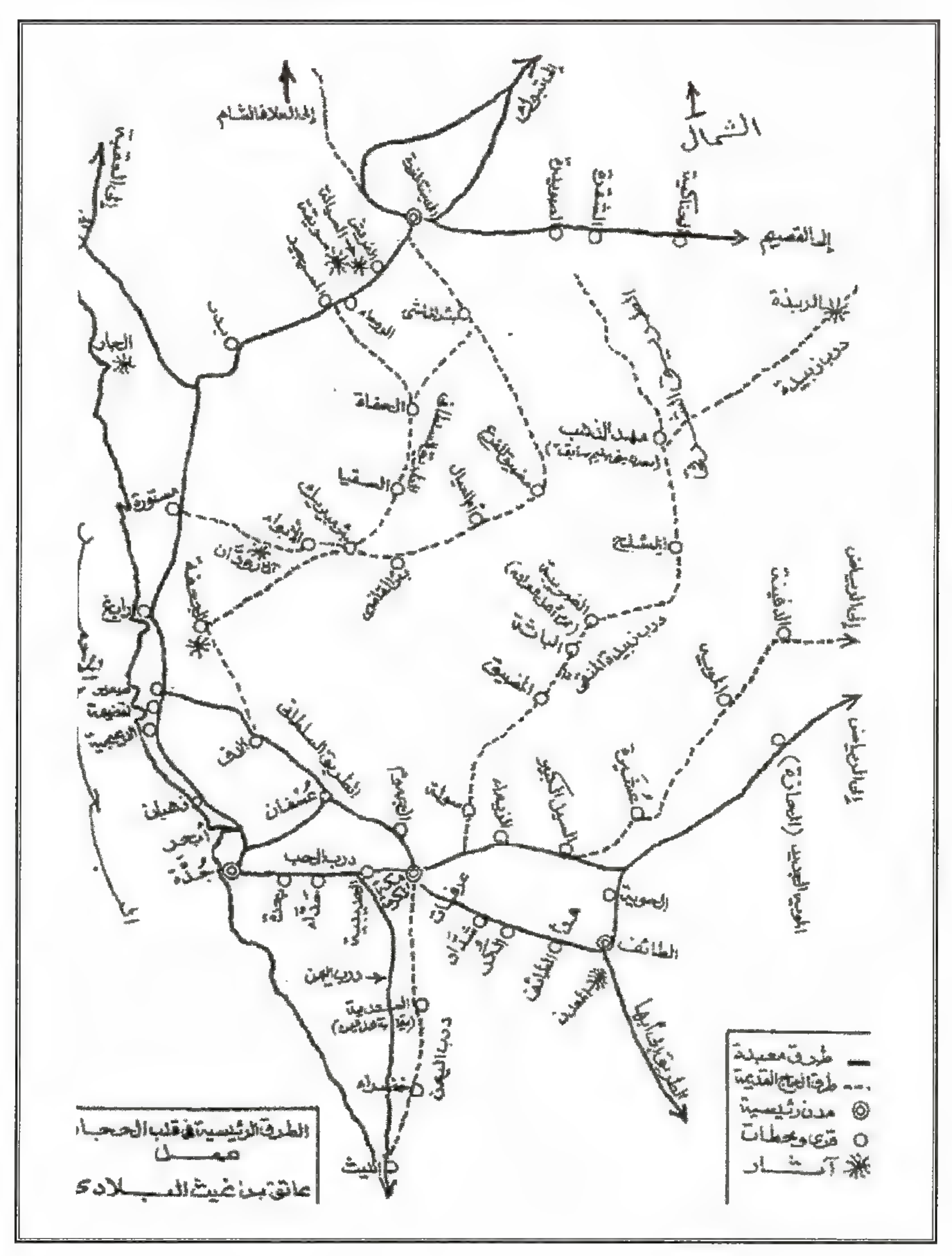


مُلْحَقُ الخَرَائِطِ



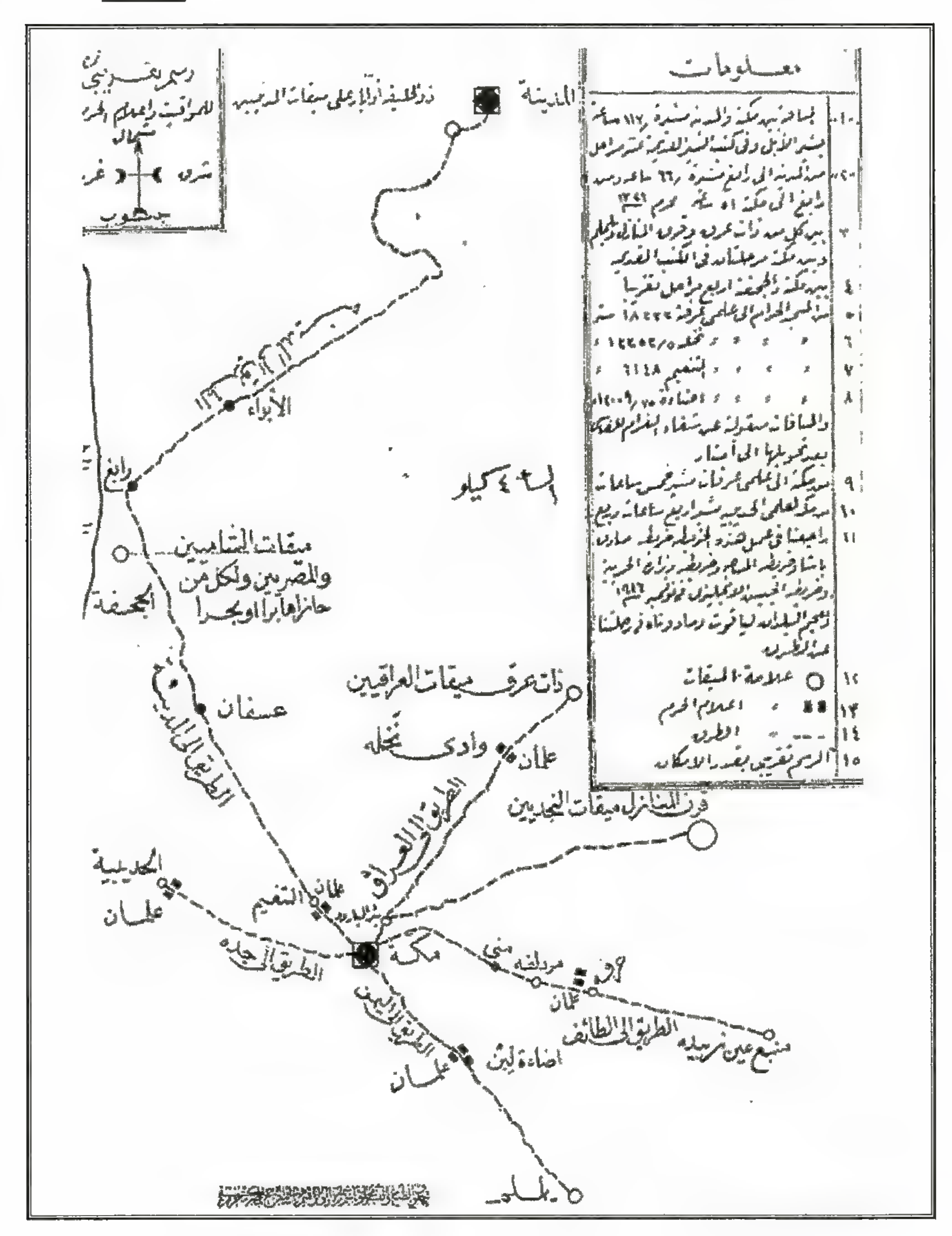
خريطة (١) إقليم الحجاز في العصر العثماني

نقلاً عن: عبد الرحيم عبد الرحمن، الدولة السعودية الأولى، ص ١٥٩.



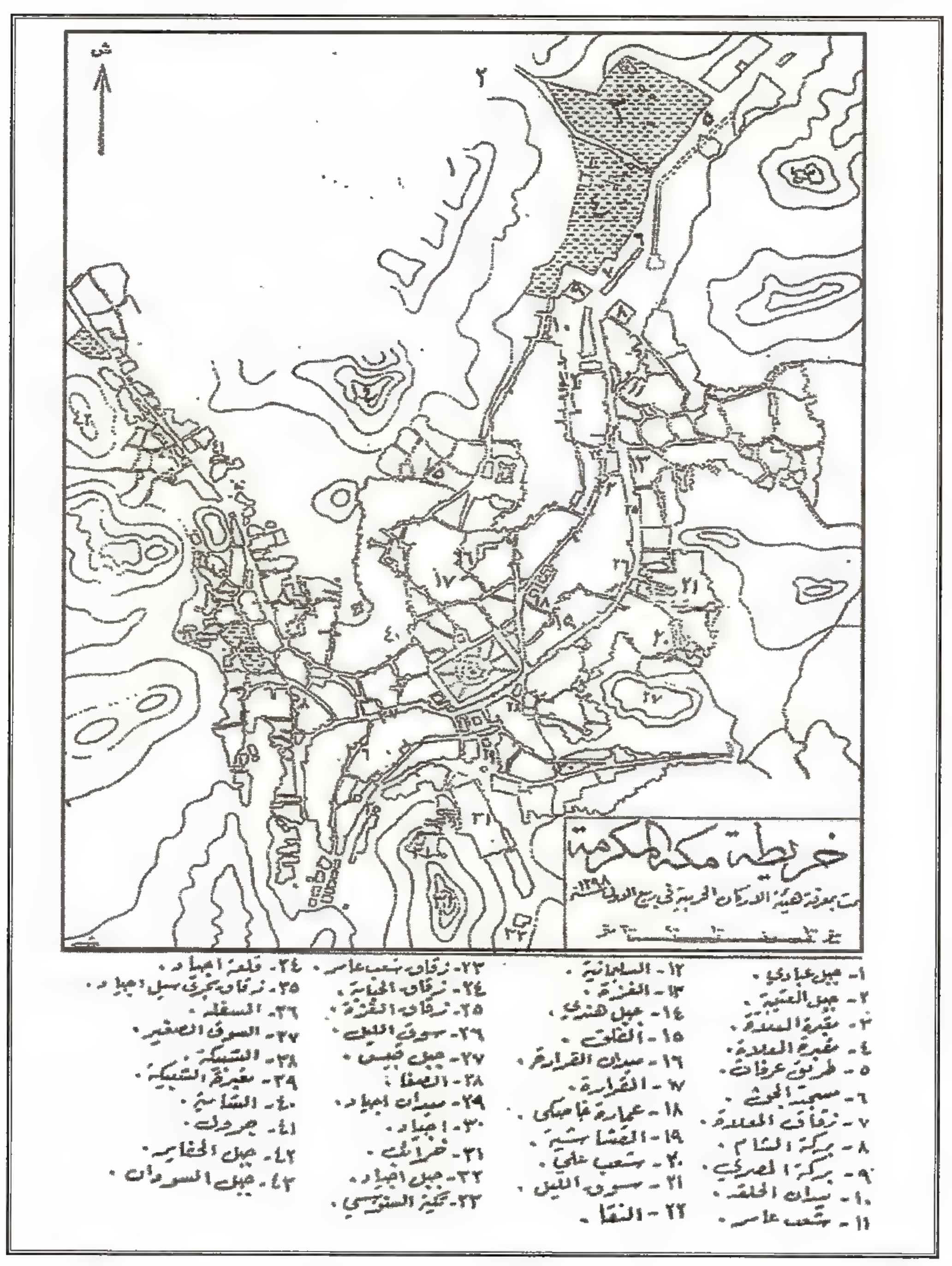
خريطة رقم (٢) الطرق الرئيسة في إقليم الحجاز

نقلاً عن: عاتق البلادي، معجم معالم الحجاز، ص ١٠٦٤.



خريطة رقم (٣) مواضع مواقيت الحج من مكة المكرمة

نقلا عن: إبراهيم رفعت، مرآة الحرمين، ١/ ٢٢٦.



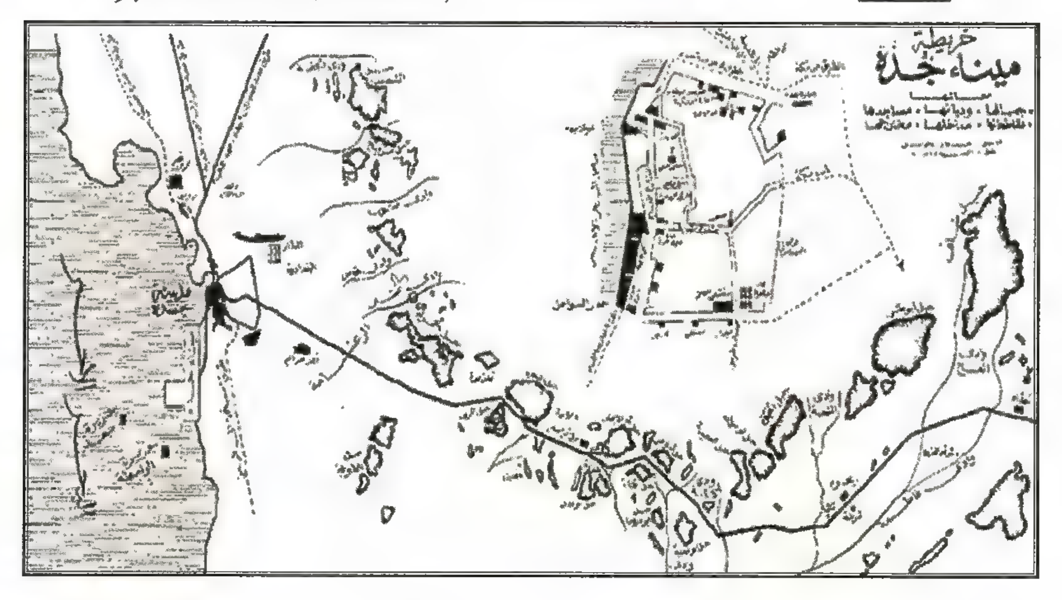
خريطة (٤) أهم المواضع في مكة المكرمة

نقلاً عن: عادل محمد غباشي، المنشآت المائية في مكة، ٢/ ٥٩.

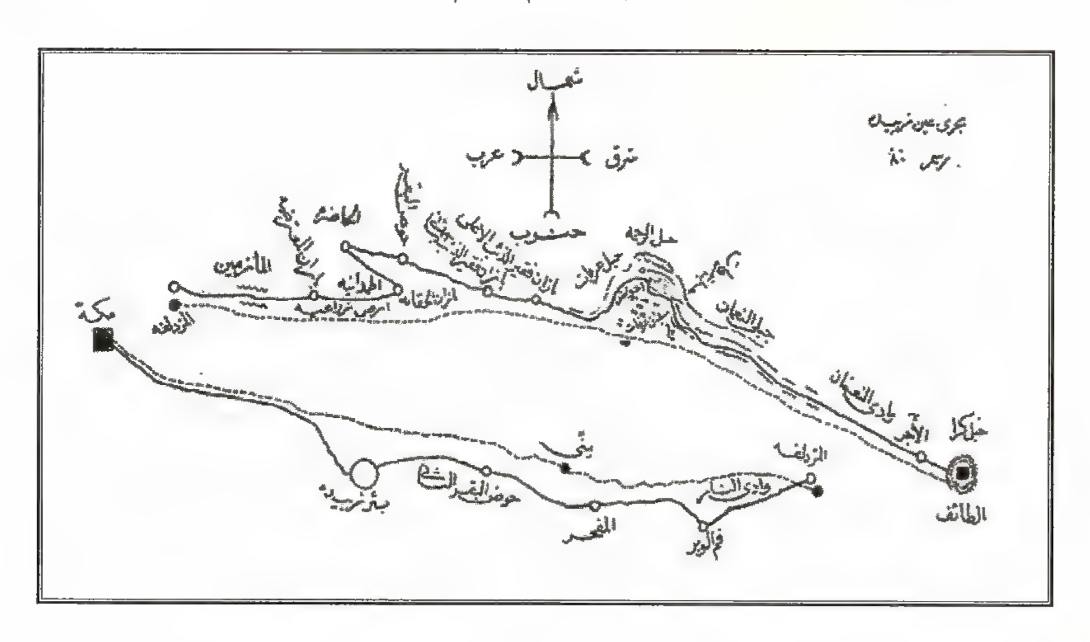


خريطة رقم (٥) أهم المواضع في المدينة المنورة

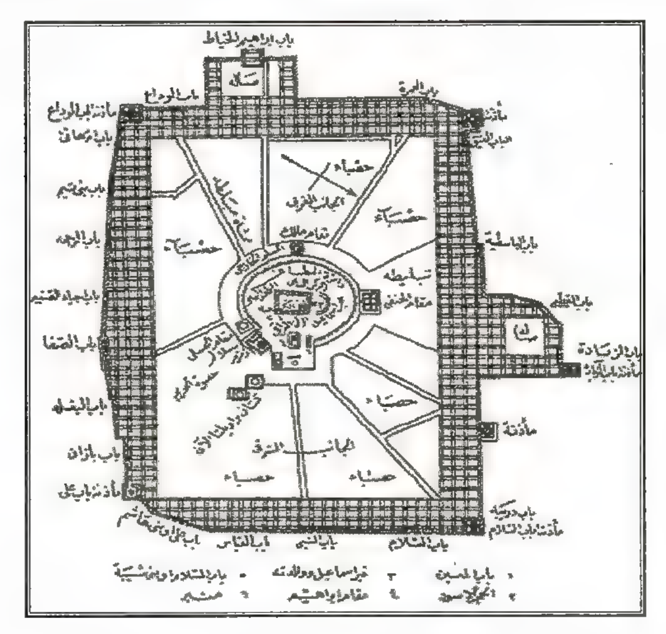
نقلاً عن: إبراهيم رفعت، مرآة الحرمين، ١/ ٤١٢.



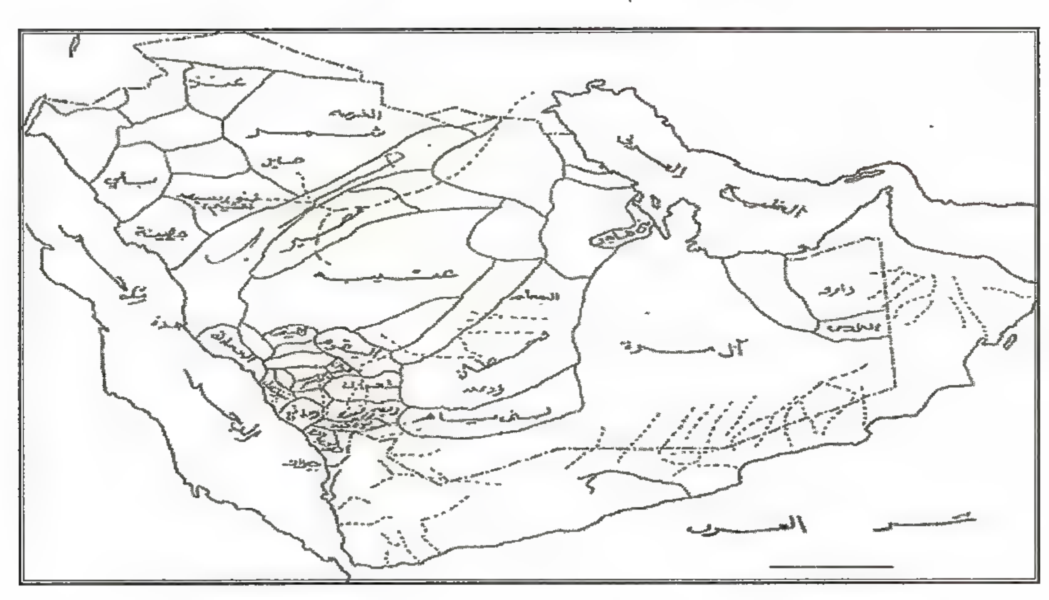
خريطة رقم (٦) ميناء مدينة جدة، والطريق إلى مكة
نقلاً عن: عاتق البلادي، معجم معالم الحجاز، ص ٣٤٥.



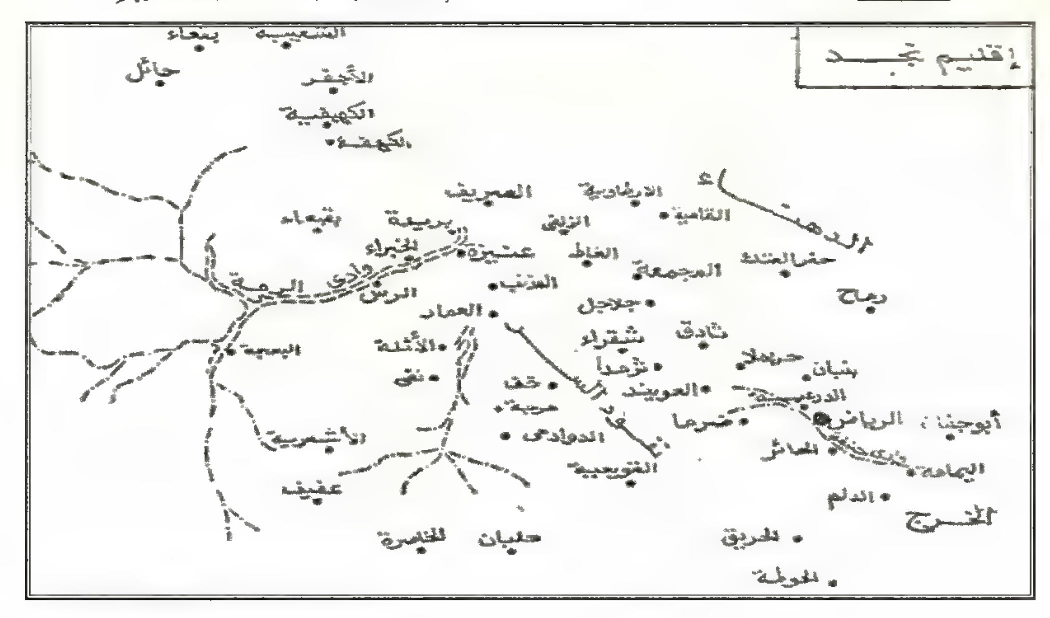
خريطة رقم (٧) مجري عين زبيدة من الطائف إلى مكة المكرمة
نقلاً عن: إبراهيم رفعت، مرآة الحرمين، ١/ ٢١٣.



خريطة رقم (٨) أبواب المسجد الحرم ومواضعه المشهورة
نقلاً عن: إبراهيم رفعت، مرآة الحرمين، ١/ ٢٢٨.

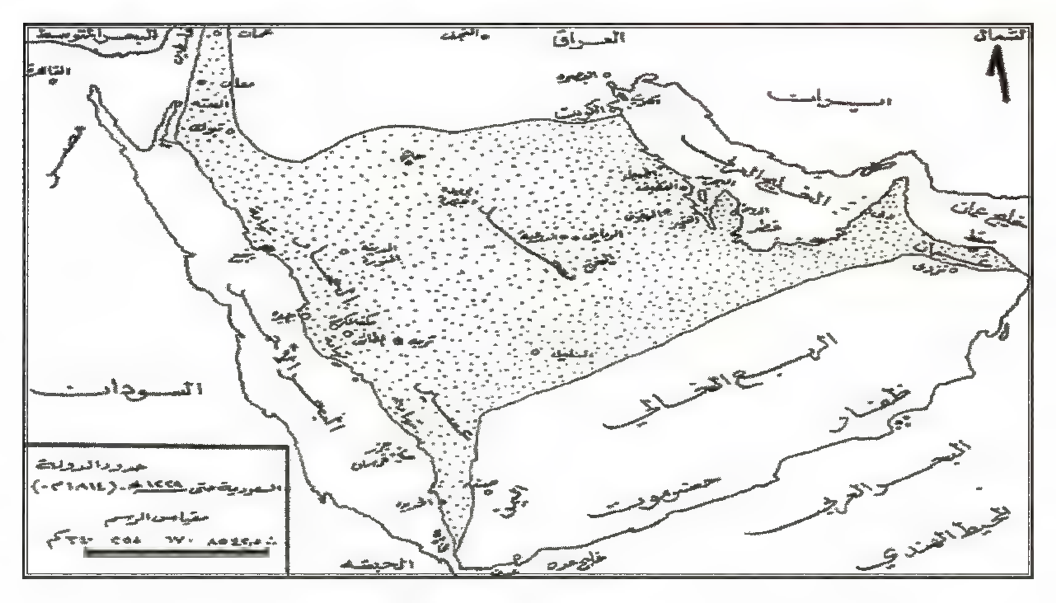


خريطة رقم (٩) توزيع القبائل في شبه الجزيرة العربية
نقلاً عن: سامية بشاوري، إمارة الشريف غالب، ص ٢١٥.



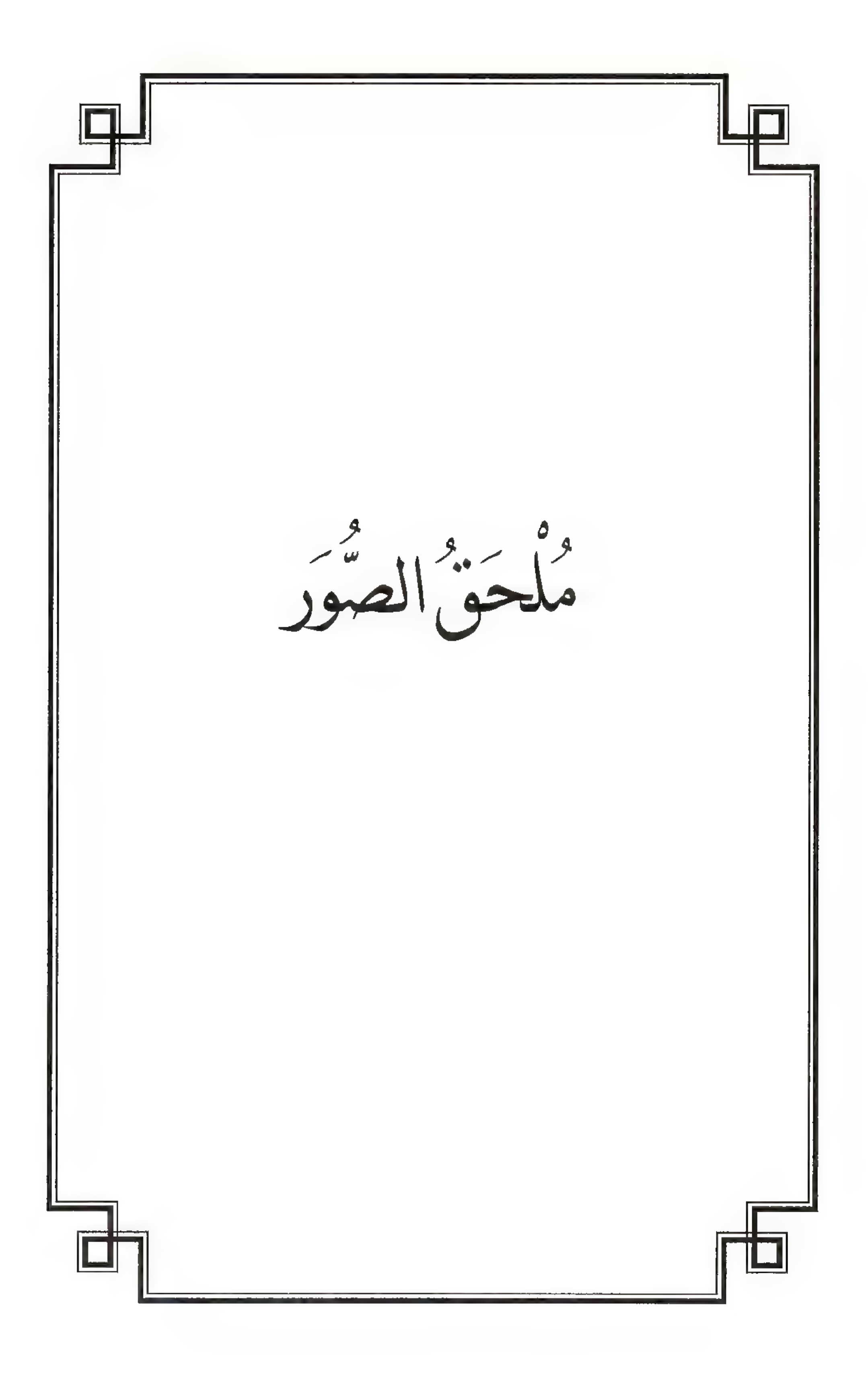
خريطة رقم (١٠) إقليم نجد

نقلاً عن: عبد الرحيم عبد الرحمن، الدولة السعودية الأولى، ص ٢٣٢.



خريطة رقم (١١) الدولة السعودية الأولى في أقصى اتساعها

نقلاً عن: نعيمة دهيش، عهد الإمام سعود الكبير، ص ١١٦.



مُلْحَقُ الصُّوَر



صورة رقم (١) الحرم المكي والجبال والبيوت المحيطة به في العهد العثماني حوالي عام ١٢١٨هـ/ ١٨٠٣م.



صورة رقم (٢) الحرم النبوي في العهد العثماني
حوالي عام ١٢١٨هـ/ ١٨٠٣م.

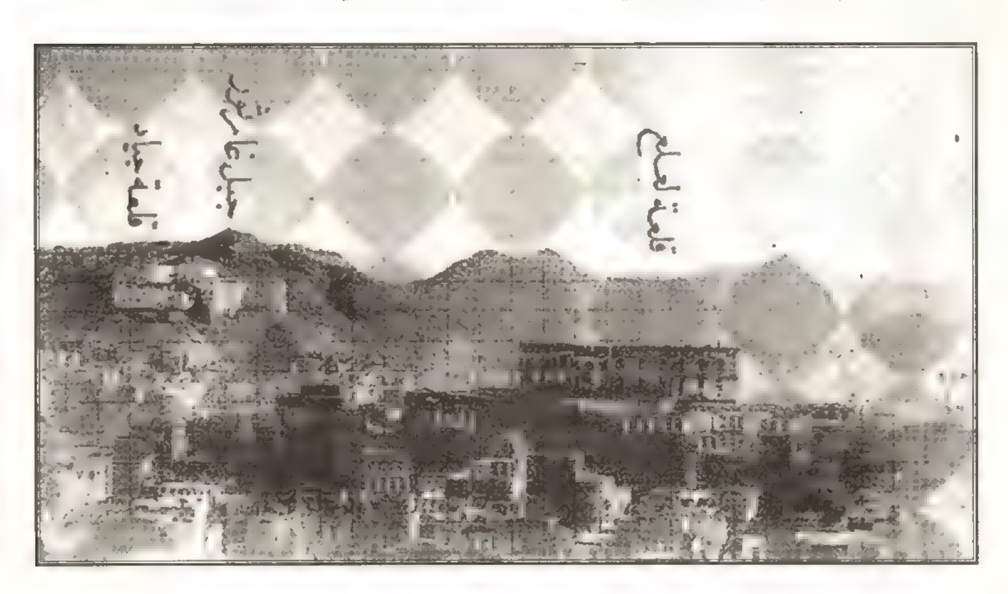


صورة رقم (٣)
الحرم المكي ويظهر في جواره المقامات الأربعة، وبئر زمزم



صورة رقم (٤)

الحرم المكي، ويظهر في الخلف قلعة أجياد التي شيدها الشريف سرور



صورة رقم (٥)

بعض القلاع التي شيَّدها الأشراف أواخر العهد العثماني الأوَّل

نقلاً عن: إبراهيم رفعت، مرآة الحرمين، ١/ ١٧٨.



صورة رقم (٦)

نماذج من الأبراج التي شيَّدها الشريف غالب لتحصين مكة

نقلاً عن: إبراهيم رفعت، مرآة الحرمين، ١/ ٣٠.

❑ ❑ ❑



كشافات تاريخ ابن عبد الشكور

١- كشاف الآيات.

٢- كشاف الأحاديث.

٣- كشاف الأعلام.

٤- كشاف الأسر والقبائل.

٥- كشاف الأماكن.

٦- كشاف الأشعار.

كشاف الآيات

الآية	الصفحة

الآية	الصفحة

□ □ □

كشاف الأحاديث

الحديث	الصفحة

(أ)

(ر)

(س)

(غ)

(ف)

(ل)

الحديث	الصفحة

❑ ❑ ❑

كشاف الأعلام

(أ)

(غ)

(ف)

(ق)

(ك)

(ل)

(م)

(ن)

(هـ)

(و)

(ي)

❑ ❑ ❑

كشاف الأسر والقبائل

(أ)

(ب)

لحيان: ٥٧٣، ٦٨٨، ٧١٣، ٧١٥، ٧٢٩

(م)

❑ ❑ ❑

كشاف الأماكن

(ح)

❑❑❑

كشاف الأشعار

عجز البيت	الصفحة

قافية الهمزة

قافية حرف الباء

عجز البيت	الصفحة

قافية حرف الجيم

قافية حرف الحاء

قافية حرف الدال

عجز البيت	الصفحة

قافية حرف الراء

عجز البيت	الصفحة

عجز البيت	الصفحة

عجز البيت	الصفحة
أراعي السُّهَا طول اللَّيَالِي إِلَى الفَجْرِ	٧١٠
عَلَى سَاكن البَيْت الحَرَام مَدَى العُمْرِ	٧١٠
لِجُدَّة سَارُوا وَالفُؤاد عَلَى جَمْرِ	٧١٠
لأَجْل رَخَاء القُوت فِيْهَا وَلليُسْرِ	٧١٠
بِشَتْم شَنِيع فِي العيَان وفِي السِّرِّ	٧١١
أَمَا إِنَّه مِمَّا قَضَى اللَّه ذُو القسْرِ	٧١١
إِلَيْكم يبادئ بالشَّتِيْمَة والدَّحْرِ	٧١١
وفي أيِّ دِيْن جَاء فِي مُحْكم الذِّكرِ	٧١١
لهم يَا أُولِي العَليَاءِ والفَضْلِ وَالبرِّ	٧١١
لِجيْرَان بَيْتُ اللَّه بالكفّ والزَّجْرِ	٧١١
وَأَنَّ لَهُم فَضْلاً يجل عَن الحَصْرِ	٧١١
تقيمون فِيْهَا مَا ترون سُوى البشرِ	٧١١
وَعَن كُلّ مَا يجيء إِلَيْها بِلاَ حَجرِ	٧١١
وَمَا قَدْ رَأَيْتم مِنْهم النَّقص فِي القَدرِ	٧١١
وَأَنْتم بِمَا قَد قُلت أعرف بِالخَبرِ	٧١١
بِجَاه المرجّى المُصْطَفى صَفوة الطّهرِ	٧١٢
وَيكشف هَذَا السُّوء مِن حَيْث لاَ نَدْرِي	٧١٢
وَيرميهمُ المَولَى بِقَاصِمَةِ الظَّهْرِ	٧١٢
بِبَطشته الكُبْرَى السَّرِيعة وَالقَهرِ	٧١٢
وَأَنْزل عَلَيْنَا الغَيْث مِن صَيِّب القَطْرِ	٧١٢
تَعُمّ الوَرَى مِن وحها طيب النَّشْرِ	٧١٢
عَلَى المُجْتَبي طَه المشفع فِي الحَشْرِ	٧١٢
إِلَى اللَّه أَشْكُو مَا أَصَاب مِن الضُّرِّ	٧١٢
وَقَدْ فَعَلُوا الذَّنْب الَّذِي لاَ يُغْفَر	٧٤٠

قافية حرف الزاي

عجز البيت	الصفحة
وَلَم يُصب قَدْ رَام عَجْزَا	٧٤١

عجز البيت | الصفحة

قافية حرف السين

قافية حرف الصاد

قافية حرف الضاد

قافية حرف الطاء

قافية حرف العين

قافية حرف الفاء

قافية حرف القاف

عجز البيت	الصفحة

قافية حرف الكاف

قافية حرف اللام

عجز البيت	الصفحة

قافية حرف الميم

عجز البيت	الصفحة

قافية حرف النون

عجز البيت	الصفحة

عجز البيت	الصفحة

عجز البيت	الصفحة

عجز البيت	الصفحة

قافية حرف الهاء

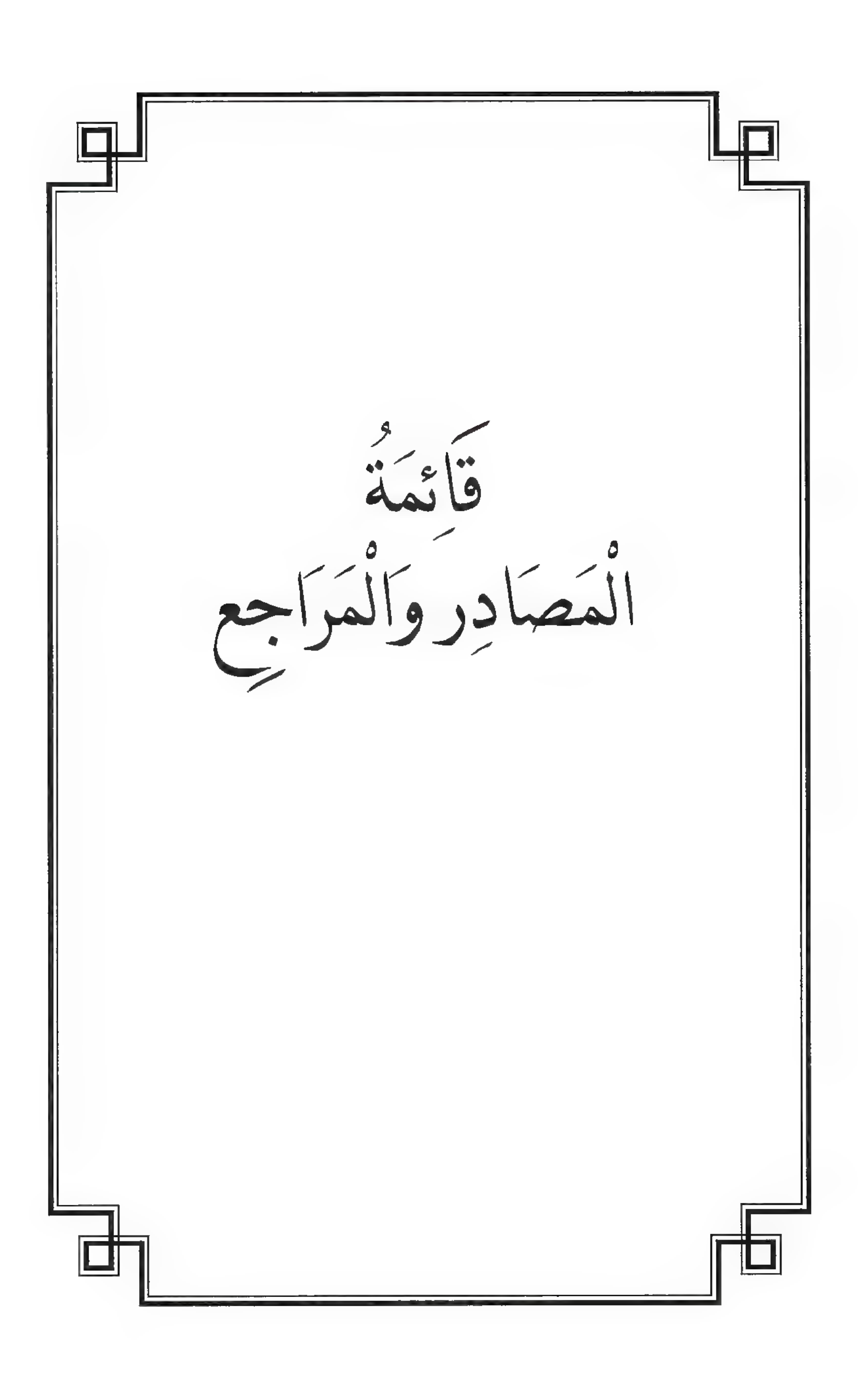
عجز البيت	الصفحة

قافية حرف الواو

عجز البيت	الصفحة

قافية حرف الياء

❑ ❑ ❑



قَائِمَةُ
الْمَصَادِرِ وَالْمَرَاجِعِ

أولاً- القرآن الكريم.

ثانيًا- كتب التفسير والحديث.

(أ) تفسير القرآن:

١. محمد بن أحمد القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، مج ٥، راجعه: محمد الحفناوي، خرَّج أحاديثه: محمود عُثمان، دار الحديث، القاهرة، د.ط، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

٢. محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، ج ٤، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٣، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

(ب) الحديث النبوي:

١. أبو الفضل أحمد بن علي بن بن حجر العسقلاني، **فتح الباري في شرح صحيح البخاري**، ج ١، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة، بيروت، د.ط، ١٣٧٩هـ/ ١٩٦٠م، ص ١٣.

٢. الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي، **مصابيح السنة**، ج ٤، تحقيق: يوسف عبد الرحمن المرعشلي، محمد سليم إبراهيم سمارة، جمال حمدي الذهبي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ط ١، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

٣. سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، **المعجم الأوسط**، تحقيق: طارق بن عوض الله وعبد المحسن الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، د.ط، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

٤. سليمان بن الأشعث أبو داود، **سنن أبي داود**، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، دار الرسالة العالمية، بيروت، ط ١، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

٥. محمد بن إسماعيل البخاري، **صحيح البخاري: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه**، تحقيق: محمد زهير ناصر، دار طوق النجاة، بيروت، ط ١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.

٦. محمد بن عبد اللَّه الحاكم النيسابوري، **المستدرك على الصحيحين**، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط ٢، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م

٧. محمد بن عبد اللَّه الخطيب التبريزي، **مشكاة المصابيح**، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٢، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

٨. محمد بن يزيد بن ماجه، السنن: **سنن ابن ماجه**، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، دار الرسالة العالمية، بيروت، ط ١، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

٩. مسلم بن الحجاج النيسابوري، **صحيح مسلم: المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول اللَّه ﷺ**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، بيروت، ط ١، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.

ثالثًا- الوثائق.

(أ)الوثائق غير المنشورة.

الأرشيف العثماني:

H.H 92/3784

H.H 3817

H.H 94/3862

H.H 2686

C.DAH 136

C.DAH 16044

دارة الملك عبد العزيز:

سجل رقم ٢٣٧٥٣، ملف رقم ١٠٤/ ١٦، وثيقة رقم ٣٣٥.

سجل ٢٣٩٦٣، ملف ١٠٤/ ١٦، وثيقة رقم ٣٢٦.

(ب) الوثائق المنشورة:

١. سهيل صابان، «مكة المكرمة في بعض الوثائق العثمانية»، مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية، مج١٢، ع١، فبراير ٢٠٠٦م

٢. -------، «**وثيقتان عثمانيتان حول الاتصالات بين الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود والسلطان العثماني سليم الثالث**»، مجلة الدارة، الرياض، مج٣٢، ع٢، ربيع الآخر ١٤٢٧هـ/ نوفمبر ٢٠٠٦م.

٣. محمد عبد اللطيف هريدي، **شئون الحرمين الشريفين في العهد العثماني في ضوء الوثائق التركية العثمانية**، دار الزهراء للنشر، القاهرة، ط١، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.

رابعًا- المخطوطات.

١. أحمد القطان، **تنزيل الرحمات على من مات**، جزآن، مخطوط بمكتبة الحرم المكي، تحت رقم (٢٧٩٠) تاريخ.

٢. أحمد بن محمد الحضراوي، **اللطائف في تاريخ الطائف**، مخطوط في مكتبة مكة المكرمة، رقم ١٩ تاريخ.

٣. أحمد بن محمد الحضراوي، **تاج تواريخ البشر وتتمة جميع السِّير**، ج٢، مخطوط بمكتبة الحرم المكي، تحت رقم ١٢٢.

٤. حمد بن ناصر بن عُثْمَانَ المعمري، **الفواكه العذاب فِي الرد على مِن لمْ يحكّم السنة والكتاب**، مكتبة جامعة الملك سعود، قسم المخطوطات، مخطوط رقم ٣٩٨١/ ف/ ٨٧/ ١٧.

٥. شهاب الدين محمود الآلوسي (ت ١٢٧٠هـ)، **الصادح بشهي النغم على أفنان ترجمة شيخ الإسلام وولي النعم**، مخطوط في المكتبة الأزهرية بالقاهرة، تحت رقم ٧٢٢١ عام.

٦. عبد اللَّه بن محمد آل بسام، **تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق**، مخطوط في دارة الملك عبد العزيز بالرياض، تحت رقم ٢٠٨.

٧. عبد اللَّه بن محمد بن عبد الواحد عبد الشكور، **نَظْم مُقَدِمَة الحَبْر الهُمام أبي الليث السمرقندي**، مكتبة الحرم المكي، تحت رقم (٢٦٠٠) فقه دهلوي.

خامسًا- المصادر المطبوعة.

(أ) المصادر العربية:

١. إبراهيم العورة، **تاريخ ولاية سليمان باشا العادل**، نشره وعلّق عليه: الخوري قسطنطين الباشا المخلصي، مطبعة دير المخلص، صيدا، لبنان، ١٩٣٦م.

٢. أبو العباس أحمد القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج٢، المطبعة الأميرية، القاهرة، د.ط، ١٣٣١هـ/ ١٩١٣م

٣. أبو منصور عبد الملك الثعالبي، **يتيمة الدهر في محاسن أهل**

العصر، ج ١، تحقيق: مُفيد محمد قميحَة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٤. أحمد ابن عبد ربه الأندلسي، **العقد الفريد**، ج ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

٥. أحمد البديري الحلاق، **حوادث دمشق اليومية** (١١٥٤-١١٧٥هـ/ ١٧٤١-١٧٦٢م)، وقف على تحقيقها ونشره: أحمد عزت عبد الكريم، مطبوعات الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، القاهرة، ط ١، ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٩م.

٦. أحمد الدمرداشي كَتْخُدا عزبان، **الدرة المصانة في أخبار الكنانة**، تحقيق: عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة، نصوص عربية ودراسات إسلامية، المجلد ٢٨، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م

٧. أحمد الرشيدي، **حسن الصفا والابتهاج بذكر من ولِّي إمارة الحاج**، حقّقته وكَتبت المُقدمة والحواشي: ليلى عبد اللطيف أحمد، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

٨. أحمد الميداني النيسابوري، **مجمع الأمثال**، ج ١، تحقيق: محمد محيي الدين، دار المعرفة، بيروت، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م.

٩. أحمد بن خالد الناصري، **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، الدولة العلوية، القسم الثاني، الجزء الثامن، تحقيق وتعليق: جعفر الناصري و محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

١٠. أحمد بن عبد السلام الجرّاوي، **الحماسة المغربية: مختصر كتاب**

صفوة الأدب ونخبة ديوان العرب، تحقيق: محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط١، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، ص ١٢٤٧.

١١. أحمد بن عبد الوهاب النويري، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، ج٣، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط١، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.

١٢. أحمد بن علي المقرِيزي، **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار**، ج٢، دار صادر، بيروت، د٠ط، د.ت.

١٣. أحمد بن محمد الحضراوي، **الجواهر المعدة في فضائل جدة**، تحقيق: علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط١، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

١٤. أحمد بن محمد الحضراوي، **مختصر حسن الصفا والابتهاج في ذكر من ولي إمارة الحاج**، تحقيق: محمد بن ناصر الخزيم ومحمد بن سيد أحمد التمساحي، دار زهراء الشرق ودار القاهرة، القاهرة، ط١، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

١٥. أحمد بن محمد الحضراوي، **نزهة الفكر فيما مضى من الحوادث والعبر في تراجم رجال القرن الثاني عشر والثالث عشر**، ج٢، حقَّقه: محمد المصري، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، د.ط، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

١٦. أحمد حيدر الشهابي، **قصة أحمد باشا الجزار بين مصر والشام وحوادثه مع نابليون بونابرت**، إعداد وتحقيق: عبد العزيز جمال الدين، سلسلة صفحات من تاريخ مصر(٧٦)، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط١، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٨م.

١٧. أحمد زيني دحلان، **الدول الإسلامية بالجداول المرضيَّة**، المطبعة البهية، القاهرة، ١٣٠٦هـ.

١٨. ------------، **خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام من زمن النبي عليه الصلاة والسلام إلى وقتنا هذا بالتمام**، المطبعة الخيرية، مصر، ط١، ١٣٠٥هـ.

١٩. إسماعيل ابن كثير القرشي الدمشقي، **البداية والنهاية**، ج ١٥، تحقيق: عبد اللَّه بن عبد المحسن التركي، دار عالم الكتب، بيروت، د.ط، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

٢٠. إسماعيل الخشّاب، **خلاصة ما يراد من أخبار الأمير مراد**، حقّقه وترجمه وعلّق عليه: حمزة بدر ودانيال كريسيليوس، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

٢١. إسماعيل بن عباد، **الأمثال السائرة من شعر المتنبي**، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، مكتبة النهضة، بغداد، ط١، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م.

٢٢. بدر الدين العيني، **السيف المهند في سيرة الملك المؤيد**، حققه وقدم له: فهيم علوي شلتوت، راجعه: محمد مصطفى زيادة، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

٢٣. تاج الدين عبد الوهاب السبكي، **طبقات الشافعية الكبرى**، ج ٢، تحقيق: محمد الطناحي وعبد الفتاح الحلو، هجر للطباعة والنشر، ط٢، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

٢٤. جعفر بن حسن البرزنجي (ت ١١٧٧هـ/ ١٧٦٣م)، «**النَّفْحُ الفَرَجِيُّ في الفَتْحِ الجِتَه جِي**»، دراسة وتعليق: حمد الجاسر، مجلة العرب، الرياض، ج ٥-٦، س ١٢، ذوا القعدة والحجة ١٣٩٧هـ/ نوفمبر وديسمبر ١٩٧٧م.

٢٥. جعفر بن حسين هاشم المدني، **الأخبار الغريبة بذكر ما وقع بطيبة**

الحبيبة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ١، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

٢٦. جلال الدين السيوطي، **المحاضرات والمحاورات**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، د.ط، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م.

٢٧. الحسن بن مسعود اليوسي، **زهر الأكم في الأمثال والحكم**، ج ١، تحقيق: محمد حجي ومحمد الأخضر، الشركة الجديدة - دار الثقافة، الدار البيضاء، ط ١، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

٢٨. حسين بن غنام، تاريخ نجد المسمى: «**روضة الأفكار والإفهام لِمُرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام**»، حققه وحرره: ناصر الدين الأسد، قابله على الأصل: عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ، دارالشروق، القاهرة، ط ٤، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

٢٩. الحسين بن محمد الأصفهاني، **محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء**، ج ١، شركة دار الأرقم ابن أبي الأرقم، بيروت، ط ١، ١٤٢٠ه/ ٢٠٠٠م.

٣٠. زين العابدين بن محمد البرزنجي، «**كشف الحجب والستور عمَّا وقع لأهل المدينة مع أمير مكة سرور**»، تحقيق: حمد الجاسر، مجلة العرب، ج ١-٢، س ٢٠، رجب شعبان ١٤٠٥/ إبريل مايو ١٩٨٥م.

٣١. شمس الدين محمد الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج ٢٠، حقَّقه وخرَّج أحاديثه وعلَّق عليه: شعيب الأرنؤوط ومحمد نعِيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

٣٢. شهاب الدين أحمد بن محمد الخفاجي، **ريحانة الألبّا وزهرة الحياة الدنيا**، تحقيق: محمد الحلو، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط ١، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٧م.

٣٣. العباس المكي الحسني الموسوي، **نزهة الجليس ومنية الأديب الأنيس**، ج ٢، وضع المقدمة: محمد مهدي الخرسان، المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف، ط ١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

٣٤. عبد الرازق البيطار، **حلية البشر فِي تاريخ أعيان القرن الثالث عشر**، ج ٣، حققه وعلق عَلَيْهِ محمد بهجت البيطار، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ط ١، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦١م.

٣٥. عبد الرحمن بن أحمد البهلكي، **نفح العود فِي سيرة دولة الشريف حمود**، دراسة وتحقيق وتعليق: محدة بن أحمد العقيلي، مطبوعات دارة الملك عبد العَزيز، الرياض، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

٣٦. عبد الرحمن بن أحمد الحنبلي الدمشقي، **لطائف المعارف فيما للمواسم مِن وظائف**، حَقَّقَه: ياسين محمد السواس، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، ط ٥، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

٣٧. عبد الرحمن بن حسن الجبرتي، **عجائب الآثار في التراجم والأخبار**، ج ١، تحقيق: عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، تقديم عبد العظيم رمضان، الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، د.ط، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

٣٨. ---------------، **مظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيس**، تحقيق: عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط ١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

٣٩. عبد الرحمن بن حسن، **المقامات**، دراسة وتحقيق: عبد اللَّه بن محمد المطوع، دارة الملك عبد العزيز، الرياض، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

٤٠. عبد الرحمن بن عبد الكريم الأنصاري، **تحفة المحبين والأصحاب**

في معرفة ما للمدنيين من الأنساب، تحقيق: محمد العروسي المطوي، المكتبة العتيقة، تونس، ط١، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.

٤١. عبد الرحمن بن محمد المشهور، **شمس الظهيرة في نسب أهل البيت من بني علوي**، ج١، حقّقه وعلّق عليه: محمد ضياء شهاب، عالم المعرفة، جدة، ط١، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

٤٢. عبد الرحمن عبد اللّه السويدي، **حديقة الزوراء في سيرة الوزراء**، تحقيق: عماد عبد السلام رؤوف، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.

٤٣. عبد الستار بن عبد الوهاب البكري الصديقي الهندي (ت ١٣٥٠هـ)، **فيض الملك الوهاب المتعالي بأنباء أوائل القرن الثالث عشر والتوالي**، دراسة وتحقيق وفهرسة عبد الملك بن عبد اللّه ابن دهيش، المكتبة الأسدية، مكة المكرمة، ط٢، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

٤٤. عبد السلام بن عبد القادر ابن سودة، **إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع** (١١٧١-١٤٠٠هـ/ ١٧٥٦-١٩٨٠م)، تنسيق وتحقيق: محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

٤٥. عبد العزيز المنقادي، **تاريخ ظهور الإسلام في ساحل مليبار مِن خلال مخطوط تحفة المجاهدين في بعض أخبار البرتغاليين**، مجلة الوثيقة، مج٩، ع١٧، ذو الحجة ١٤١٠هـ/ يوليو ١٩٩٠م.

٤٦. عبد العزيز بن عمر بن فهد الهاشمي، **غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام**، تحقيق: فهيم شلتوت، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة، ط ، ١٤٠٦هـ/ ١٩٧٦م.

٤٧. عبد القادر بن عمر البغدادي، **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب**، ج ٩، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٤، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

٤٨. عبد اللَّه بن حسين السويدي، **الحجج القطعية لاتفاق الفرق الإسلامية**، مطبعة السعادة، مصر، ط ١، ١٣٢٣هـ/ ١٩٠٥م.

٤٩. عبد اللَّه الغازي المكي الحنفي، **إفادة الأنام بذكر أخبار بلد اللَّه الحرام مع تعليقه المسمى بإتمام الكلام**، ٧مج، دراسة وتحقيق: عبد الملك بن عبد اللَّه بن دهيش، مكتبة الأسدي للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ط ١، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

٥٠. -------------، **سُكَّان مكة بعد انتشار الإسلام: عوائل مكة عبر العصُور**، تحقيق: محمد الحبيب الهيلة، القاهرة، دار القاهرة، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٦م.

٥١. -------------، **نظم الدرر في اختصار نشر النور والزهر في تراجم أفاضل مكة من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر**، دراسة وتحقيق وفهرسة: عبد الملك بن عبد اللَّه بن دهيش، المكتبة الأسدية، مكة المكرمة، ط ١، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م.

٥٢. عبد اللَّه بن قتيبة الدينوري، **الشعر والشعراء**، ج ١، تحقيق وشرح: أحمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، ط ٢، د.ت.

٥٣. عبد اللَّه بن محمد بن عبد الوهاب، **رسالة في حكاية المباحثة مَعَ عُلماء مكة في حقيقة دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب**، دراسة وتحقيق: صالح بن عبدالعزيز سندي، دار اللؤلؤة، بيروت، ط ١، ١٤٣١هـ.

٥٤. عبد اللَّه مرداد أبو الخير، **المختصر من كتاب نشر النور والزهر في تراجم أفاضل مكة من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر**، اختصار وترتيب وتحقيق: محمد سعيد العامُودي و أحمد علي، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، جدة، ط ٢، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

٥٥. عبد الملك بن حسين العَاصِمي المكي، **سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتَّوالي**، ج ٤، تحقيق وتعليق: عادل عبد الموجود وعلي معوَّض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

٥٦. عبود الصباغ، **الروض الزاهر في تاريخ ضاهر**، دراسة وتحقيق: أسامة محمد أبو نحل، مجلة الجامعة الإسلامية، مج ١٠، ع ٢، غزة - فلسطين، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.

٥٧. عثمان بن سند البصري، **سبائك العسجد في أخبار أحمد نجل رزق الأسعد**، تحقيق: حسن بن محمد آل ثاني، مركز حسن بن محمد للدراسات التاريخية، الدوحة، د.ط، ١٤٢٨هـ٢٠٠٧م.

٥٨. عز الدين ابن الأثير الجزري، **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، ج ٣، تحقيق: علي محمد معوّض وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، د.ت.

٥٩. علي بن تاج الدين السنجاري، **منائح الكرم في أخبار مكة والبيت وولاة الحرم**، ج ٣، دراسة وتحقيق: ماجدة فيصل زكريا، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، د.ط، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

٦٠. عمارة بن علي اليمني، **النكت العصرية في الوزراء المصرية**، اعتنى بتصحيحه: هرتويغ درنبرغ، مطبعة مَرْسَو، باريس، د.ط، ١٨٩٨م.

٦١. كامل بن حسين الحلبي الغزي، **نهر الذهب في تاريخ حلب**، ج ٣، المطبعة المارونية، حلب، د.ط، د.ت.

٦٢. لطف اللَّه بن أحمد جحاف، **دُرَر نُحُور الحُور العِين بسيرة الإمام المنصور علي وأعلام دولته الميامين**، تحقيق: إبراهيم بن احمد المقحفي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط ١، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

٦٣. محب الدين أحمد بن عبد اللَّه الطبري، **السمطُ الثمين في مناقب أمهات المؤمنين**، تحقيق: محمد علي قطب، دار الحديث، القاهرة، ط ١، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

٦٤. المحسن بن علي التنوخي، **الفرج بعد الشدّة**، ج ١، تحقيق: عبود الشالجي، دار صادر، بيروت، د.ط، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م، ص ١٧٧.

٦٥. محمد أحمد بن محمد، المعروف بابن عربشاه، **عجائب المقدور في أخبار تيمور**، ج ١، كلكتا - الهند، د.ط، ١٢٣٢هـ/ ١٨١٧م.

٦٦. محمد الضعيف الرباطي، **تاريخ الضعيف (تاريخ الدولة السعديَّة)**، تحقيق وتعليق: أحمد العماري، در المأثورات، الرباط، ط ١، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

٦٧. محمد بن أحمد الخوارزمي، **مفاتيح العلوم**، دراسة وتصدير: عبد الأمير الأعسم، دار المناهل، بيروت، ط ١، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٨م

٦٨. محمد بن أحمد بن إياس، **بدائع الزهور فِي وقائع الدهور**، ج ٥، حققها وكتب لها المقدمة والفهارس: محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

٦٩. محمد بن خلف بن حيَّان، **أخبار القضاة**، مراجعة: سعيد محمد اللحام، عالم الكتب، بيروت، د.ط، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

٧٠. محمد بن عبد اللَّه بن أحمد الأزرقي، **أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار**، ج ٢، دراسة وتحقيق: عبد الملك بن عبد اللَّه بن دهيش، مكتبة الأسدي، مكة المكرمة، ط ١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

٧١. محمد بن علي الشوكاني، **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع**، ج ١، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ط، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

٧٢. محمد بن عمر الفاخري، **تاريخ الفاخري**، دراسة وتحقيق وتعليق، عبد اللَّه بن يوسف الشبل، دارة الملك عبد العزيز، الرياض، ط ٢، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

٧٣. محمد بن يحيى زبارة الحسني الصنعاني، **نيل الوطر من تراجم رجال اليمن في القرن الثالث عشر**، ج ٢، المطبعة السلفية، القاهرة، د.ط، ١٣٥٠هـ/ ١٩٣١م.

٧٤. محمد خليل بن علي المرادي ، **سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر**، ج ١، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ط، د.ت،

٧٥. محمد راغب الحلبي، **إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء**، ج ٣، صحَّحه وعلَّق عليه: محمد كمال، دار القلم العربي، حلب، ط ٢، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

٧٦. محمد شمس الدين محمد السَّخاوي، **الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر**، ٣ أجزاء، تحقيق: إبراهيم باجس عبد المجيد، دار ابن حزم، بيروت، ط ١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

٧٧. محمد طاهر الكردي المكي، **التاريخ القويم لمكة وبيت اللَّه الكريم**، ٥ أجزاء ، تحقيق: عبد الملك بن دهيش، دار خضر، بيروت، ط ١، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

٧٨. محمد عارف باشا، **عبر البشر في القرن الثالث عشر**، ج ١، د.ن، القاهرة، ١٩٤٥م.

٧٩. مسعود بن عمر بن عبد اللَّه التفتازاني، **شرح تصريف العزي**، عني به: محمد جاسم المحمد، دار المنهاج، لبنان، ط ١، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م.

٨٠. مصطفى الصفوي القلعاوي، **صفوة الزمان فيمن تولى على مصر مِن أمير وسلطان**، تحقيق: محمد عمر عبد العزيز، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، د.ط، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

٨١. مؤلف مجهول، **تراجم أعيان المدينة المنوَّرة في القرن الثاني عشر الهجري**، حققه وعلَّق عليه: محمد التونجي، دار الشروق، جدة، ط ١، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

٨٢. مؤلف مجهول، **لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب**، تحقيق: أحمد مصطفى أبو حاكمة، مطابع بيبلوس الحديثة، بيروت، ١٩٦٧م.

٨٣. النجم عمر بن فهد المكي، **إتحاف الورى بأخبار أم القرى**، ج ٣، تحقيق وتقديم: فهيم محمد شلتوت، مركز البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٨٤. نقولا الترك، **ذكر تملك جمهور الفرنساوية الأقطار المصرية والبلاد الشامية**، تحقيق: ياسين سويد، دار الفارابي، بيروت، ط ١، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م

٨٥. يوسف الملواني ابن الوكيل، **تحفة الأحباب بِمَن ملك مصر مِن الملوك والنواب**، تحقيق: محمد الششتاوي، دار الآفاق العربية،

القاهرة، ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

(ب) المصادر المعربة:

١. أيوب صبري باشا، **تاريخ الوهابيين**، ترجمه وعلّق عليه: مسعد بن سويلم الشامان، د.ن، د.م، د.ت، د.ط.

٢. رسول الكركوكلي، **دوحة الوزراء فِي تاريخ وقائع بغداد الزوراء**، نقله عن التركية: مُوسَى كاظم نورس، دار الكاتب العربي، بيروت، د.ط، د.ت.

٣. عزت حسن الدارندلي، **الحملة الفرنسية على مصر في ضوء مخطوط عثماني: مخطوط «ضيانامة»**، دراسة وترجمة: جمال سعيد عبد الغني، تاريخ المصريين (١٣٤)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

٤. فيليكس مانجان، **الدولة السعودية الأولى وحملات محمد على باشا على الجزيرة العربية**، ترجمة محمد خير البقاعي، دارة الملك عبد العزيز، الرياض، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٦م.

٥. جوهان لودوفيج بوركهارت، **مواد لتاريخ الوهابيين**، ترجمة عبد اللّٰه الصالح العثيمين، جامعة الملك سعود، ط١، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

(ج) المصادر التركية العثمانية:

١. أحمد واصف، **محاسن الآثار وحقايق الأخبار**، ج١، مطبعة بولاق، القاهرة، ١٢٤٦هـ.

٢. أحمد جودت بَاشَا: **تاريخ جودت**، ١٢ جزء، دار الطباعة العامرة، إستانبول، ١٨٩١م.

(د) المصادر الأوروبية:

1. Harford Jones Brydges, An Account of the Transactions of His Majesty's Mission to the Curt of Persia in the years 1807 - 1810 to which is appended: A brief Histoy of the Wahhaby, London, 1834.

2. Louis Alexandre Olivier de CORANCEZ: Histoire des Wahabis, depuis leur origine jusqu'à la fin de 1809, de l'imprimerie de Crapelet. A Paris, 1810.

3. Jean Raymond: Mémoire sur l'origine des Wahabys : sur la naissance de leur puissance et sur l'influence dont ils jouissent comme nation / rapport de Jean Raymond daté de 1806: document inédit extrait des archives du Ministère des Affaires Étrangères de France; préface de Édouard Driault, Le Caire : Imprimé par l'Imprimerie de l'Institut Frančais d'Archéologie Orientale pour la Société Royale de Géographie d'Égypte, 1925.

سادسًا- المراجع.

(أ) المراجع العربية:

١. إبراهيم العياشي، **المدينة بين الماضي والحاضر**، المكتبة العلمية، المدينة المنورة، ط ١، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

٢. أحمد آق كوندز، سعيد أوزتوك، **الدولة العثمانية المجهولة**، وقف البحوث العثمانية، إستانبول، ٢٠٠٨م.

٣. أحمد الخولي وبديع جمعة، **تاريخ الصفويين وحضارتهم**، ج ١، دار الرائد، القاهرة ، ط ١، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م.

٤. أحمد السباعي، **تاريخ مكة: دراسات في السياسة والعلم والاجتماع**، جزآن، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية، الرياض، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

٥. أحمد السعيد سليمان، **التيارات القومية والدينية في تركيا المعاصرة**، دار المعرفة، القاهرة، ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م.

٦. أحمد السيد الصاوي، **النقود المتداولة في مصر العثمانية**، مركز الحضارة العربية، القاهرة، ط ١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.

٧. أحمد رجب محمد علي، **قلاع وحصون وأسوار وبوابات المدن الأثرية الإسلامية في الهند**، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط ١، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٩م.

٨. أحمد عارف عبد الغني، **تاريخ أمراء المدينة المنوَّرة (١- ١٤١٧هـ)**، دار كنان، دمشق، د.ط، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٦م.

٩. أحمد فؤاد متولي، **الفتح العثماني للشام ومصر ومقدماته من واقع الوثائق والمصادر التركية والعربية المعاصرة له**، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ط ١، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٥م.

١٠. أمين الريحاني، **تاريخ نجد الحديث وملحقاته**، المطبعة العلمية ليوسف صادر، بيروت، ط ١، ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م.

١١. أمين سعيد، **الثورة العربية الكبرى: تاريخ مفصل جامع للقضية العربية في ربع قرن**، مج ١، مكتبة مدبولي، القاهرة، د.ط، د.ت.

١٢. أمين سعيد، **تاريخ الدولة السعودية**، ج ١، دار الكاتب العربي، بيروت، ط ١، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٤م.

١٣. أنور عبد العليم، **الملاحة وعلوم البحار عند العرب**، سلسلة عالم المعرفة (١٣)، المجلس الوطني للثقافة، الكويت، ١٩٧٩م.

١٤. إيمان محمد عبد المنعم، **العُربان ودورهم في المجتمع المصري في النصف الأول مِن القرن التاسع عشر**، الهيئة المصرية العامة

للكتاب، تاريخ المصريين (٩٧)، القاهرة، ١٩٩٧م.

١٥. تركي بن مطلق القداح، **دراسات حول قبيلة عُتَيْبَة**، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ط١، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

١٦. جعفر الشيخ باقر آل محبوبة، **ماضي النجف وحاضرها**، ج١، دار الأضواء، ، ط٢، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

١٧. جعفر مرتضى العاملي، **دراسات وبحوث في التاريخ والإسلام**، ج٢، مؤسسة النشر الإسلامي، قم المشرفة، ط٢، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م

١٨. حسام محمد عبد المعطي، **العلاقات المصرية الحجازية في القرن الثامن عشر**، سلسلة تاريخ المصريين (١٤٩)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، د.ط، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

١٩. الحسين بن أحمد الزوزني، **شرح المعلقات السبع**، الدار العالمية، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

٢٠. حسين عبد اللّٰه العمري، **مئة عام مِن تاريخ اليمن الحديث** (١١٦١-١٢٦٤هـ/ ١٧٤٨-١٨٤٨م)، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م.

٢١. حسين عبد اللّٰه باسلامة، **تاريخ عمارة المسجد الحرام**، دار تهامة للنشر، جدة، ط٤، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م.

٢٢. سليمان صائغ، **تاريخ الموصل**، ج١، المطبعة السلفية، مصر، د.ط، د.ت

٢٣. سميرة فهمي علي عمر، **إمارة الحج فِي مصرَ العثمَانِيَّةِ** (٩٢٣-١٢١٣هـ/ ١٥١٧-١٧٩٨م)، سلسلة تاريخ المصريين (٢٠١)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.

٢٤. سيد رجب حراز، **الدولة العثمانية والجزيرة العربية (١٨٤٠-١٩٠٩)**، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٧٠م، ص ١٠١.

٢٥. السيد عبد العزيز سالم، **تاريخ العرب قبل الإسلام**، سلسلة ذاكرة الكتابة (١٢)، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ط٢، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

٢٦. سيد محمد السيد محمود، **تأسيس الحكم العثماني في الحجاز**، مكتبة الآداب، القاهرة، ط ١، ٢٠١١م.

٢٧. سيد مصطفى سالم، **الفتح العثماني الأوَّل لليمن (١٥٣٨-١٦٣٥م)**، دارالأمين للطباعة والنشر، القاهرة، ط٥، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

٢٨. شوقي ضيف، **تاريخ الأدب: العصر الجاهلي**، ج١، دار المعارف، القاهرة، ط ٢٤، د.ت.

٢٩. شوقي عبد القوي عثمان، **تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلاميَّة (٤١-٩٠٤هـ/ ٦٦١-١٤٩٨م)**، سلسلة عالم المعرفة (١٥١)، المجلس الوطني للثقافة، الكويت، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م

٣٠. صالح حسن الفضلة، **الجوهر العفيف في معرفة النسب النبوي الشريف**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠١٣م.

٣١. صالح يوسف معتوق، **بدر الدين العيني وأثره في علم الحديث**، دار البشائر الإسلامية، ط١، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

٣٢. صبري فالح الحمدي، **أشراف الحجاز فِي القرن الثامن عشر الميلادي**، مؤسسة المختار، القاهرة، ط١، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

٣٣. صلاح أحمد هريدي، **دور الصعيد في مصر العثمانية**

(٩٢٣-١٢١٣هـ/ ١٥١٧-١٧٩٨م)، تقديم: عمر عبد العزيز عمر، دار المعارف، القاهرة، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

٣٤. ــــــــــــــ، **عسير تحت الحكم العثماني (١٢٨٩-١٣٣٦هـ/ ١٨٧٢-١٩١٤م)**، دار المعرفة الجامعية، إسكندرية، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

٣٥. صلاح الدين المنجد، **ولاة دمشق في العهد العثماني**، د.ن، دمشق، ١٩٤٩م.

٣٦. عاتق بن غيث البلادي، **معالم مكة التأريخية والأثرية**، دار مكة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ط ١، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

٣٧. ــــــــــــــ، **نسب حرب**، دار مكة للطباعة والنشر، مكة المكرمة، ط ٣، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

٣٨. عباس إسماعيل صاغ، **تاريخ العلاقات العثمانية الإيرانية - الحرب والسلام بين العثمانيين والصفويين**، دار النفائس، بيروت، ط ١، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

٣٩. عبد الباسط بدر، **التاريخ الشامل للمدينة المنوَّرة**، ج ٢، د.ن، المدينة المنوَّرة، ط ١، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

٤٠. عبد الرازق الطنطاوي القرموط، **العلاقات المصرية العثمانيَّة**، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ط ١، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٥م.

٤١. عبد الرحمن بن محمد النجدي، **الدرر السنية فِي الأجوبة النجدية**، ج ١، د.ن، د.م، ط ٦، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

٤٢. عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، **الدولة السعودية الأولى(١١٥٨-١٢٣٣هـ/ ١٧٤٥-١٨١٨م)**، دار الكتاب الجامعي، القاهرة، ط ٤، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

٤٣. عبد السلام محمد هارون، **تحقيق النصوص ونشرها**، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٧، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

٤٤. عبد العزيز سليمان نوَّار، **النهضة العربية الحديثة**، عين للدراسات والبحوث الإنسانية، القاهرة، ط ١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.

٤٥. ---------------، **تاريخ الشعوب الإسلامية**، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ط، د.ت.

٤٦. عبد العزيز محمد الشناوي، **الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها**، ج ١، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٠م.

٤٧. عبد الغني عماد، **السُّلطة في بلاد الشام فِي القرن الثامن عشر**، دار النفائس، بيروت، ط ١، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

٤٨. عبد الفتاح حسن أبو علية، **دراسة حول المخطوط التركي حجاز سياحتنامه سي**، دار المريخ، الرياض، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٤٩. عبد القدوس الأنصاري، **آثار المدينة المنوَّرة**، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، ط ٣، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.

٥٠. عبد الكريم بن عبد اللَّه الوهبي، **بنو خالد وعلاقتهم بنجد (١٠٨٠-١٢٠٨هـ/ ١٦٦٩-١٧٩٤م)**، دار ثقيف، الرياض، ط ١، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.

٥١. عبد اللَّه الصالح العثيمين، **تاريخ المملكة العربية السعودية**، ج ١، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام عَلَى تأسيس المملكة، الرياض، ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م.

٥٢. عبد اللَّه بن عبد الرحمن آل بسَّام، **عُلماء نجد خلال ثمانية قرون**، ج ٢، دار العاصمة، الرياض، ط ٢، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

٥٣. عبد اللَّه بن عبد الرحمن المعَلّمي، **أعلام المكيين من القرن التاسع**

إلى القرن الرابع عشر، ج ١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، د.ط، د.ت.

٥٤. عبد اللَّه بن يوسف الأنصاري، **أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك**، ج ٢، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، د.ط، د.ت.

٥٥. علي الوردي، **لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث**، ج ١، انتشارات الشريف الرضى، أمير - قم، ط ١، ١٣٧١- ١٤١٣هـ.

٥٦. عماد عبد السلام رؤوف، **الموصل في العهد العثماني فترة الحكم المحلي (١١٣٩-١٢٤٩هـ/ ١٧٢٦-١٨٣٤م)**، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.

٥٧. عمر بن فيصل آل زيد، **الشريف سرور بن مساعد أمير الحرمين وسلطان الحجاز (١١٨٦-١٢٠٢): سيرته وحياته وولايته**، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م.

٥٨. عمر عبد العزيز عمر، **تاريخ المشرق العربي (١٥١٦-١٩٢٢م)**، دار النهضة، بيروت، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م.

٥٩. ــــــــــــــ، **التاريخ الأوروبي والأمريكي الحديث**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

٦٠. فاروق عثمان أباظة، **أثر تحول التجارة العالمية إلى طريق رأس الرجاء الصالح على مصر وعالم البحر المتوسط أثناء القرن السادس عشر**، دار المعارف، القاهرة، ط ٢، د.ت.

٦١. ــــــــــــــ، **عدن والسياسة البريطانيَّة في البحر الأحمر ١٨٣٩-١٩١٨**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

٦٢. فائز بن موسى البدراني، **فصول مِن تاريخ قبيلة حرب في الحجاز**

ونجد، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط ٣، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

٦٣. كمال الدين الدميري، **حياة الحيوان الكبرى**، ج ٢، د.ن، د.ط، د.ت.

٦٤. ليلى عبد اللطيف أحمد، **الصعيد في عهد شيخ العرب همام**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، د.ط، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

٦٥. ليلى الصباغ، **دراسة في منهجية البحث التاريخي**، منشورات جامعة دمشق، سوريا، ط ٨، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

٦٦. مبارك محمد الحرشني المعبدي، **مقتطفات مِن تاريخ خُلَيْص في الماضي والحاضر**، د.ن، د.م، ط ١، ١٤٠٧-١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧-١٩٨٨م.

٦٧. مجموعة مؤلفين، **الدولة العثمانية تاريخ وحضارة**، مج ١، إشراف وتقديم: أكمل الدين إحسان أوغلي، نقله إلى العربية: صالح سعداوي، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون، إستانبول، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

٦٨. محسن الأمين، **أعيان الشيعة**، ج ١٠، حقَّقه وأخرجه: حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، د.ط، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٦٩. محمد أحمد العُقَيلي، **مِن تاريخ المخلاف السليماني**، القسم الثاني مِن الجزء الأول، مطابع الرياض، الرياض، ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٨م.

٧٠. محمد جمال الدين القاسمي، **إصلاح المساجد من البدع والعوائد**، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٤، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٧١. محمد حسن شُرَّاب، **شرح الشواهد الشعرية في أمَّات الكتب النحوية**، ج ٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٧م.

٧٢. محمد الحبيب الهيلة، **التاريخ والمؤرخون بمكة مِن القرن الثالث الهجري إلى القرن الثالث عشر**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

٧٣. محمد بن منصور بن هاشم، **قبائل الطائف وأشراف الحجاز**، مطابع الحارثي، الطائف، ط ١، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

٧٤. محمد بيومي مهران، **دراسات تاريخية مِن القرآن الكريم: بلاد العرب**، دار النهضة العربية، بيروت، ط ٢، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٧٥. محمد عبد اللطيف هريدي، **الحروب الفارسية العثمانية وأثره في انحسار المد الإسلامي عن أوروبا**، دار الصحوة، القاهرة، ط ١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م.

٧٦. -------------، **تاريخ شبه الجزيرة العربية مِن المصادر التركية العثمانية**، دار الزهراء للنشر، القاهرة، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.

٧٧. محمد علي فهيم بيومي، **مخصصات الحرمين الشريفين في مصر إبان العصر العثماني في الفترة (٩٢٣-١٢٢٠هـ/ ١٥١٧-١٨٠٥م)**، دار القاهرة للكتاب، القاهرة، ط ١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.

٧٨. محمد فريد، **تاريخ الدولة العليَّة العثمانية**، تحقيق: إحسان حقي، دار النفائس، بيروت، د.ط، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

٧٩. محمد فؤاد شكري، **الحملة الفرنسيَّة وخروج الفرنسيين مِن مصر**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٣م.

٨٠. محمد مرسي عبد اللَّه، **إمارات الساحل وعمان والدولة السعودية الأولى (١٧٩٣-١٨١٨م)**، المكتب المصري الحديث، القاهرة، د.ط، ١٩٧٨م.

٨١. محمود زيادة، **الحجاج بن يوسف الثقفي**، دار السلام، القاهرة، ط ١، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

٨٢. مصطفى العبادي، **الإمبراطورية الرومانية والنظام الإمبراطوري ومصر الرومانية**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط ١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

٨٣. منير العجلاني، **تاريخ الدولة السعودية الأولى** ، ٤ أجزء، مطابع دار الشبل، الرياض، ط ٢، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

٨٤. منير كيال، **محمل الحج الشامي: دراسة توثيقية**، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، د.ط، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

٨٥. نادر العطار، **تاريخ سورية في العصور الحديثة**، ج ١، دمشق، ١٩٦٢م.

٨٦. نبيل السيد الطوخي، **صعيد مصر في عهد الحملة الفرنسيَّة** (١٧٩٨-١٨٠١م)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط ١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

٨٧. هاشم منَّاع، **بشار بن برد: حياته وشعره**، دار الفكر العربي، بيروت، ط ١، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

(ب) المراجع المُعرَّبة:

١. إسماعيل حقي جارشلي، **أشراف مكة المكرمة وأمرائها في العهد العثماني**، ترجمه عن اللغة التركية: خليل علي مراد، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط ١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

٢. أندريه ريمون، **المدن العربية الكبرى في العصر العثماني**، ترجمة: لطيف فرج، دار الفكر للدراسات، القاهرة، ط ١، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

٣. إيرينا بيتروسيان، **الإنكشاريون في الإمبراطورية العثمانية**، تقديم ومراجعة: قسم الدراسات والنشر بمركز جمعة الماجد للثقافة

والتراث، دبي، د.ط، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

٤. جيرالد دي غوري، **حكام مكة**، ترجمة: محمد شهاب، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط١، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٠م.

٥. خليل ساحلي أوغلي، **مِن تاريخ الأقطار العربية في العهد العثماني: بحوث ووثائق وقوانين**، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، إستانبول، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

٦. ديلك قايا، **كربلاء فِي الأرشيف العُثْمَانِي (١٨٤٠-١٨٧٦م): دراسة وثائقية**، نقله عَن التركية: حازم منتصر، مصطفى زاهرن، تقديم: زكريا قورشون، دار العربية للمَوْسُوعات، بيروت، ط١، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٨م.

٧. رضا زاده شفيق، **نادر شاه أفشار: مؤسس الدولة الأفشارية وأوَّل مفعل للتقريب بين المذاهب الإسلامية (١١٠٠-١١٦٠هـ/ ١٦٨٨-١٧٤٨م)**، ترجمة: أحمد الخولي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط١، ٢٠١٠م.

٨. سنوك هورخرونيه، **صفحات من تاريخ مكة المكرمة**، جزآن، نقله إلى العربية: علي عودة الشيوخ، أعاد صياغته وعلَّق عليه: محمد محمود السرياني، ومعراج نواب مرزا، دارة الملك عبد العزيز، الرياض، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

٩. عباس إقبال الآشتياني، **تاريخ إيران بعد الإسلام مِن بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القاجارية (٢٠٥هـ/ ٨٢٠م - ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٥م)**، ترجمة: محمد علاء الدين منصور، راجعه: السباعي محمد السباعي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، د.ط، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

١٠. ماكس فرايهير أوبنهايم وآخرون، **البدو**، ج ٢، ترجمة: محمد كبيبو، تحقيق وتقديم: ماجد شبَّر، شركة دار الوراق للنشر، لندن، ط ٢، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٧م.

١١. مِيخِين فيكتُور ليُونُوفِيتش، **حلف القواسم وسياسة بريطانيا في الخليج العربي في القرن الثامن عشر والنصف الأوَّل مِن القرن التاسع عشر**، ترجمة: سمير نجم الدين سطاس، مركز جمعة الماجد للتراث والثقافة، دبي، ط ١، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٩م.

١٢. ميكل ونتر، **المجتمع المصري تحت الحكم العثماني**، ترجمة: إبراهيم محمد إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط ١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.

١٣. هاميلتون غِب وهارولد بووِن، **المجتمع الإسلامي والغرب: دراسة حول تأثير الحضارة الغربية في الثقافة الإسلامية بالشرق الأدنى في القرن الثامن عشر الميلادي**، ج ١، ترجمة ودراسة: أحمد إيبش، إصدارات دار الكتب الوطنية، أبو ظبي، ط ١، ٢٠١٢م.

١٤. يلماز أوزتونا، **تاريخ الدولة العثمانية**، ج ١، ترجمة: عدنان محمود سليمان، منشورات مؤسسة فيصل للتمويل، إستانبول، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

(ج) المراجع الأجنبية:

1. Andrew Crichton, The history of Arabia Ancient and modern, vol.II, published by Harper & Brothers, New-York, 1837.

2. Percy sykes, A History of Persia 18671945-, Macmillan, London, 1915.

3. S.B.MILES, The Countries and Tribes of the Persian Gulf, London, 1920, VOL II.

سادسًا- كتب الرحلات.

(أ) الرحلات العربية:

١. إبراهيم رفعت، **مرآة الحرمين: الرحلات الحجازية والحج ومشاعره الدينية مُحلاّة بمئات الصور الشمسية**، جزآن، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ط١، ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥م.

٢. أبو الحسين محمد بن جُبير الأندلسي، **رحلة ابن جبير**، دار صادر، بيروت، د.ت.

٣. عبد اللَّه بن محمد العيَّاشي، **الرحلة العيَّاشية (١٦٦١-١٦٦٣م)**، ج٢، حقَّقها وقدَّم لها: سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، دار السويدي، أبوظبي، ط١، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٦م.

٤. عبد اللَّه بن حسين السويدي البغدادي (ت ١١٧٤هـ)، **النفحة المسكية في الرحلة المكية**، تحقيق: عماد عبد السلام رؤوف، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م،

٥. عواطف محمد يوسف نواب، **كتب الرحلات فِي المغرب الأقصى مصدر مِنْ مصادر تاريخ الحِجازِ فِي القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين**، دارة الملك عبد العزيز، الرياض، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

٦. محمد لبيب البتنوني، **الرحلة الحجازية لولي النعم الحاج عباس حلمي باشا الثاني خديوي مصر**، مطبعة الجمالية، مصر، ط٢، ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م.

(ب) الرحلات المعربة:

١. أوليا جلبي، **الرحلة الحجازية**، ترجمها عن التركية وقدَّم لها:

الصفصافي أحمد المرسي، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط ١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

٢. جوزيف بيتس، **رحلة جوزيف بيتس إلى مصر ومكة المكرمة والمدينة المنوَّرة**، ترجمة: عبد الرحمن عبد اللّه الشيخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

٣. جون لويس بوركهارت، **ترحال في الجزيرة العربية**، ترجمة وتقديم: صبري محمد حسن، المركز القومي للترجمة (١٢١٠)، القاهرة، ط ١، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٧م.

٤. رفيع الدين المراد آبادي، **الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية (١٢٠١هـ/ ١٧٨٩م)**، ترجمة: سمير عبد الحميد إبراهيم، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة (٤٨٧)، القاهرة، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

(ج) الرحلات الأجنبية:

1. Ali Bey, Travels of Ali Bey in Morocco, Tripoli, Cyprus, Egypt, Arabia, Syria, and Turkey, Between the Years 1803-1807, Philadelphia, vol.II.
2. James Capper, Observation on the Passage to India through Egypt and across the great desert, in (1778-1779), London,1785.

سابعًا- الرسائل الجامعية.

(أ)الرسائل العربية:

١. إبتسام بنت محمد صالح كشميري، **مكة المكرمة من بداية الحكم العثماني إلى نهاية القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي (٩٢٣-١٠٠٠هـ/ ١٥١٧-١٥٩١م)**، رسالة دكتوراه، كلية الشريعة

والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

٢. أحمد عبد الحميد خفاجي، **موقف مصر من الحجاز في عهد المماليك الجراكسة ٨٤٢ ٩٢٣هـ**، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، ١٩٦٨م.

٣. أريج مسحل محمد القثامي، **مكة المكرمة في أواخر العهد العثماني** (١٢٧٧-١٣٣٤هـ/ ١٨٦١-١٩١٦م)، رسالة دكتوراه، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨.

٤. أماني بنت جعفر بن صالح الغازي، **دور الإنكشارية في إضعاف الدولة العثمانية**، رسالة ماجسيتر، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

٥. إيمان علاء الدين إبراهيم صائغ، **العلاقات العثمانية النمساوية** (١٢١٩-١٢٨٤هـ/ ١٨٠٤-١٨٦٨م)، رسالة دكتوراه، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م.

٦. تركية بنت حمد بن حمود الفارسية، **العلاقات العُمانيَّة العُثمانيَّة** (١٧٤٤-١٨٥٦م)، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة السلطان قابوس، سلطنة عُمان، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٦م.

٧. سحر بنت علي محمد دعدع، **ولاة الحجاز في العصر العثماني في الفترة (٩٢٣-١٢٨٧هـ/ ١٥١٧-١٨٧٠م): دراسة تاريخية حضارية**، رسالة دكتوراه، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.

٨. سليمان عبد الغني مالكي، **بلاد الحجاز منذ بداية عهد الأشراف حتى سقوط الخلافة العباسية في بغداد مِن منتصف القرن الرابع**

الهجري حتى منتصف القرن السابع الهجري، رسالة دكتوراة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١.

٩. سميرة بنت مبارك بنت علي بلسود، **موانئ تهامة ومراسيها (١١٧٩-١٣٥١هـ/ ١٧٦٥-١٩٣٢م)**: دراسة تاريخية حضارية، رسالة ماجستير، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

١٠. شيرين عبد الحليم القباني، **المحمل المصري في العصرين المملوكي والحديث (٦٤٨-١٣٧٢هـ/ ١٢٥٠-١٩٢٥م)**، رسالة ماجستير، كلية السياحة والفنادق، جامعة الإسكندرية، الإسكندرية، ٢٠٠٥م.

١١. صالح علي الشورة، **أحمد باشا الجزار والي صيدا (١٧٧٦-١٨٠٤)**، رسالة ماجستير، كلية الدراسات الإنسانية، الجامعة الأردنية ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

١٢. عادل محمد نور عبد اللّه غباشي، **المنشآت المائية لخدمة مكة المكرمة والمشاعر المقدسة في العصر العثماني دراسة حضارية**، رسالة دكتوراه، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

١٣. عراقي يوسف محمد، **الأوجاقات العثمانية في مصر في القرنين السادس عشر والسابع عشر**، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة عين شمس، ١٩٧٨م.

١٤. عزت إبراهيم الدسوقي، **الحياة الدينية الإسلامية في مصر في العصر العثماني (٩٢٣-١٢١٣هـ/ ١٥١٧-١٧٩٨م)**، رسالة دكتوراه، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

١٥. علي محمد علي حبيب، **التبغ في الإمبراطورية العثمانية**، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م.

١٦. عمر سالم بابكور، **حزام الأمن العثماني حول الحرمين الشريفين في القرن العاشر الهجري**، رسالة ماجستير، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م.

١٧. قاسم حسن عَبَّاس السامرائي، **نقابة الأشراف في المشرق الإسلامي حتى نهاية حكم الأسرة الجلائرية (منتصف ق٣هـ/ أوائل ق٩هـ)**، رسالة دكتوراة، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، عمَّان، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

١٨. كمال السيد درويش، **محمد بن عبد الوهاب والدعوة الوهابية**، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، ١٩٥٨م.

١٩. لطيفةُ بنتُ مطلق العدواني، **عُثمان بن عبد الرحمن المضايفي ودوره في الدولة السعودية الأولى**، رسَالة ماجستير، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٧م.

٢٠. محمد عبد الحميد الحناوي، **الإسكندرية في عهد الحملة الفرنسية (١٧٩٨-١٨٠١م)**، رسالة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة المنيا، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

٢١. محمد عبد العال محمد علي، **العلاقات بين الحجاز والدولة السعودية الأولى (١١٦٢-١٢٣٣هـ/ ١٧٤٩-١٨١٨م)**، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م.

٢٢. منصور بن معاضه بن سعد العمري، **الحروب والمعاهدات العثمانية الروسية خلال الفترة (١١٢١-١٢٢٠هـ/ ١٧٠٩-١٨٠٥م)**، رسالة دكتوراه، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى،

مكة المكرمة، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

٢٣. نعيمة عبد الله بن دهيش، **عهد الإمام سعود الكبير ١٢١٨-١٢٢٩هـ/ ١٨٠٣-١٨١٤م**، رسالة ماجستير، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

٢٤. ـــــــــــــــــ، **عهد الإمام محمد بن سعود (١١٣٩-١١٧٩هـ/ ١٧٢٦-١٧٦٥م)**، رسالة دكتوراه، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

٢٥. نوال سراج ششة، **الحجاز تحت حكم محمد علي (١٢٢٦-١٢٥٦هـ/ ١٨١١-١٨٤٠م)**، رسالة دكتوراه، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

٢٦. يسري محمد عبد الهادي الحنفي، **أثر الحملة الفرنسيَّة على مصر وبلاد الشام في شبه الجزيرة العربيَّة**، رسالة دكتوراه، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

(ب) الرسائل الأجنبية:

1. George John Koury, The Province of Damascus (1783- 1832), PhD Dissertation, the University of Michigan,1970.

2. Abdulrahman Alorabi, The Ottoman policy in the Hejaz in the eighteenth century: A study of politisal and administrative developments, 1143- 1202 A.H./1731- 1788 A.D, Ph.d, The University of Utah, 1988.

ثامنًا- المعاجم والموسوعات ودوائر المعارف.

١. إبراهيم أحمد المقحفي، **معجم البلدان والقبائل اليمنية**، ج ٢، دار الكلمة، صنعاء، د.ط، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.

٢. أحمد السعيد سليمان، **تأصيل ما ورد في تاريخ الجبرتي من الدخيل**، دار المعارف، القاهرة، د.ط، ١٩٧٩م.

٣. أحمد الشرباصي، **المعجم الاقتصادي الإسلامي**، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

٤. أحمد ضياء العنقاوي، **معجم أشراف الحجاز في بلاد الحرمين وما تفرَّع عنهم في مصر واليمن وغيرها من البلدان**، مؤسسة الريان، بيروت، ط١، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

٥. ----------، **موسوعة أعلام الأشراف في بلاد الحرمين حتى وفيات القرن الخامس عشر الهجري**، ج١، راجعه: أيمن فؤاد السيد، توزيع دار القاهرة، القاهرة، ط١، ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م.

٦. أيوب صبري، **موسوعة مرآة الحرمين الشريفين وجزيرة العرب**، ترجمة: محمد حرب وآخرون، ٥ أجزاء، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م.

٧. حمد الجاسر، **المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية: معجم مختصر**، دار اليمامة، الرياض، د.ط، د.ت.

٨. ---------، **معجم قبائل المملكة العربية السعودية**، منشورات النادي الأدبي، الرياض، ط١، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

٩. خير الدين الزركلي، **الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين**، ج١، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٥، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.

١٠. **دائرة المعارف الإسلامية**، مج١، نقلها إلى العربية: محمد ثابت الفندي وآخرين، القاهرة، ١٣٥٢هـ/ ١٩٣٣م.

١١. درويش النخيلي، **السفن الإسلامية على حروف المعجم**، جامعة الإسكندرية، الإسكندرية، ١٣٧٤هـ/ ١٩٧٤م.

١٢. رفيق العجم، **موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي**، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

١٣. سعد بن عبد اللَّه جُنَيدل، **المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية: عالية نجد**، دار اليمامة، الرياض، د.ط، د.ت.

١٥. شريف يحيى الأمين، **معجم الفرق الإسلاميَّة**، دار الأضواء، بيروت، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

١٦. صالح سعداوي صالح، **مصطلحات التاريخ العثماني: معجم موسوعي مصوَّر**، ج١، دارة الملك عبد العزيز، الرياض، ٢٠١٦م.

١٧. عاتق بن غيث البلادي، **معجم معالم الحجاز**، دار مكة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ط٢، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

١٨. عباس العزاوي، **موسوعة تاريخ العراق بين احتلالين**، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م.

١٩. عبد المنعم الحفني، **موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية**، دار الرشاد، القاهرة، ط١، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

٢٠. علي بن صالح الزهراني، **المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية: بلاد غامدٍ وزَهْرَان**، دار اليمامة،الرياض، ط٢، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

٢١. عمر رضا كحالة، **قبائل العرب القديمة والحديثة**، المطبعة الهاشمية، دمشق، د.ط، ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٩م.

٢٢. ---------، **معجم المؤلفين: تراجم مصنفي الكتب العربية**، ج٤، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

٢٣. عمر غرامه العمروي، **المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية: بلاد بارق**، وزارة المعارف، د.م، ط٣، ١٤٠١-١٤٠٢هـ/ ٢٠٠١-٢٠٠٢م.

٢٤. فؤاد حسين سيد، **موسوعة أعلام القرن التاسع عشر والعشرين في العالمين العربي والإسلامي**، مكتبة حسن العصريَّة، بيروت، ط١، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م.

٢٥. كامل سلمان الجبوري، **معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى سنة ٢٠٠٢م**، ج٤، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

٢٦. مجمع اللغة العربية بالقاهرة، **المعجم الوسيط**، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط ٤، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

٢٧. محمد بن بليهد، **ما تقارب سماعه وتباينت أمكنته وبقاعه**، تحقِيق: محمّد بن سعد بن حسين، د.ن، ط٣، د.ت،

٢٨. محمد بن سيد أحمد مطيع الرحمن وآخرون، **فهرس مخطوطات مكتبة الحرم المكي الشريف**، ج٩، دار المأثور للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧م.

٢٩. محمد بن ناصر العبودي، **معجم بلاد القصيم**، د.ن، د.م، ط٢، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

٣٠. محمد رمزي، **القاموس الجغرافي للبلاد المصرية**، ق٢، ج١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

٣١. محمد سليمان الطيب، **موسوعة القبائل العربية: بحوث ميدانية تاريخية**، دار الفكر العربي، القاهرة، ط٢، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

٣٢. محمد مرتضى الزبيدي، **المعجم المختصّ**، اعتنى به وقابل أصولهُ: نظام محمد صالح يعقوبي ومحمد ابن ناصر العجمي، دار البشائر

الإسلامية، بيروت، ط ١، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

٣٣. مصطفى بركات، **الألقاب والوظائف العثمانية: دراسة في تطور الألقاب والوظائف منذ الفتح العثماني لمصر حتي إلغاء الخلافة العثمانية من خلال الآثار والوثائق والمخطوطات ١٥١٧-١٩٢٤م**، دار غريب، القاهرة، د.ط، ١٤٠٠هـ/ ٢٠٠٠م.

٣٤. مصطفى عبد الكريم الخطيب، **معجم المصطلحات والألقاب التاريخيَّة**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

٣٥. وليد بن أحمد حسين الزبيري وآخرون، **الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة**، ج٣، سلسلة إصدارات الحكمة (١٥)، بريطانيا، ط ١، ١٤٢٤خ/ ٢٠٠٣م.

٣٦. ياقوت بن عبد اللَّه الحموي، **معجم الأدباء: إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب**، ج ٥، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

٣٧. ـــــــــــــــــــ، **معجم البلدان**، ج٣، دار صادر، بيروت، د.ط، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧.

٣٨. يوسف بن محمد الصبحي، **وسام الكرم في تراجم أئمة وخطباء الحرم**، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط ١، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

تاسعًا- الدوريات العلمية.

١. إبراهيم بن محمد الزيد، **عُثمان بن عبد الرحمن المضايِفي أمير الطائف والحجاز في الدولة السعودية الأولى**، مجلة جامعة الملك عبد العزيز، الآداب والعلوم الإنسانية، م ٧، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

٢. إبراهيم فاعور صيتان الشرعة، «**موقف القبائل البدوية مِن قافلة الحج الشامي في القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين**»، مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، الأردن، مج ٢٩، ع ٢، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

٣. إبراهيم فاعور صيتان، **سليمان باشا العظم والي دمشق المرحلة الأولى (١١٤٦-١١٥١هـ/ ١٧٣٤-١٧٣٨م)، المرحلة الثانية (١١٥٤-١١٥٦هـ/ ١٧٤١-١٧٤٣م): دراسة تاريخيَّة وثائقيَّة**، مجلة الدرة، الرياض، ع ١، المحرم ١٤٢٩هـ/ مايو ٢٠٠٨م.

٤. أحمد بن عمر الزيلعي، «**نظام المشاركة فِي الحكم لدى أشراف مكة (٦٤٧-٩٢٣هـ/ ١٢٤٩-١٥١٧م)**»، مجلة الدارة، ع٣، س ١٤، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

٥. أحمد فؤاد متولي، «**ملامح من تاريخ الحجاز في عهد الدولة السعوديّة الأولى**»، مجلة الدارة، الرياض، ع ٤، س ٦، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

٦. أحمد مرسي: «**شريف مكة بين قوتين**»، مجلة الدارة، الرياض، ع ٢، س ١، الرياض، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.

٧. أسامة محمد أبو نحل: «**التهديد الوهابي عَلَى بلاد الشام وأثره فِي تولي سليمان باشا ولاية دمشق**»، مجلة جامعة الأزهر - غزة، سلسلة العلوم الإنسانية، العدد الأول، المجلد التاسع، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٧م.

٨. أميرة بنت علي مداح، **اهتمام العثمانِيين بكسوة الكعبة وتطورها فِي العصر الحديث (٩٢٣-١٣٤٦هـ/ ١٥١٧م-١٩٢٧م)**، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، ج ١٧، ع ٣٥، ذو القعدة ١٤٢٦هـ/ ديسمبر ٢٠٠٥م.

٩. أنعم محمد عثمان الكباشي، «**تأسيس لواء سواكن فِي العهد العثمانِي**»، مجلة الدارة، ع ٤، السنة الثامنة والثلاثون، الرياض، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.

١٠. حسن عثمان، «**تاريخ مصر في العصر العثماني ١٥١٧-١٧٩٨**»، بحث منشور في كتاب المجمل في التاريخ المصري، القاهرة، ط ١، ١٣٦١هـ/ ١٩٤٢م.

١١. حسين بن محمد الغامدي، «**دور عرب الحجاز في مقاومة الحملة الفرنسيَّة على مص**»، مجلة الدارة، الرياض، ع ١، س ٢٥، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

١٢. حسين سلمان سليمان، «**أسعد باشا العظم والي دمشق ١٧٤٣-١٧٥٧**»، مجلة تاريخ العرب والعالم، لبنان، مج ٢٠، ع ١٨٦، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

١٣. سليمان بن عبد الغني المالكي، «**طريق ركب الحج العراقي من الكوفة إلى مكة من الفتح الإسلامي حتى سقوط بغداد**»، مجلة الدارة، الرياض، مج ٩، ع ٢، ١٩٨٣م.

١٤. شفيق شوكت العمروسي، «**المكيُّون في مصر: دور عرب الجزيرة في مقاومة الحملة الفرنسيَّة**»، مجلة الدارة، الرياض، ع ١، س ١٠، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

١٥. شوقي عطا اللَّه الجمل، «**ولاية الحبش بين إِيالة جدة والإدارة المصرية (١٢٣٤-١٣٠٣هـ/ ١٨١٨-١٨٨٥م)**»، مجلة الدارة، ع ٢، السنة الثانية والعشرون، الرياض، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

١٦. الصفصافي أحمد القطوري: **قوافل الحج فِي العصر العثماني**،

مجلة حراء، إستانبول، ع ١، س ١، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

١٧. طارق نافع الحمداني، «**القوى البحرية العربية ودورها في مواجهة البرتغاليين في البحر الأحمر والمحيط الهندي في بداية القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي**»، مجلة الدارة، الرياض، ع ٤، مج ١٠، رجب ١٤٠٥هـ/ مارس ١٩٨٥م.

١٨. طه عمارة، **تاريخ عمارة وأسماء أبواب المسجد الحرام حتى نهاية العصر العثماني**، مركز أبحاث الحج، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، مكة المكرمة، د.ط، د.ت.

١٩. عبد الرحمن بن سعد العرابي، «**التجانس والتنافر في العلاقة بين مكة المكرمة وجدة في العهد العثماني الأوَّل (٩٢٣-١٢٢٦هـ الموافق ١٥١٧-١٨١١)**»، مجلة الدرعية، السعودية، مج ١٥، ع ٥٥-٥٦، يناير ٢٠١٣م.

٢٠. عبد الرحمن فهمي، «**النقود المتداولة أيام الجبرتي**»، بحث منشور في عبد الرحمن الجبرتي: دراسات وبحوث، إشراف: أحمد عزت عبد الكريم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٦م.

٢١. عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، «**النشاط التجاري في البحر الأحمر في العصر العثماني (١٥١٧-١٧٩٨م)**»، مجلة الدارة، ع ٢، س ٦، الرياض، ربيع أول ١٤٠١هـ/ يناير ١٩٨١م.

٢٢. عبد الكريم رافق، «**قافلة الحج الشامي وأهميتها في العهد العثماني**»، مجلة دراسات تاريخية، سوريا، ع٦، أكتوبر ١٩٨١م.

٢٣. عبد اللَّه بن عمر الحسيني، «**مر الظَّهْران: وادي فاطمة**»، مجلة العرب، الرياض، س ٦، ع ٤، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م.

٢٤. عبد اللَّه بن محمد أبو داهش، «**موقف أدباء الجزيرة من الحملة الفرنسيَّة على مصر (١٢١٣-١٢١٦هـ/ ١٧٩٨-١٨٠١م)**»، مجلة العرب، ج ١١-١٢، الجماديان ١٤٠٦هـ/ يناير وفبراير ١٩٨٦م.

٢٥. عبد اللَّه بن محمد المطوع، «**إدارة مكة المكرمة في عهد الدولة السُعُودية الأولى**»، مجلة الدارة، الرياض، العدد الأول محرم ١٤٢٩هـ، السنة الرابعة والثلاثون.

٢٦. عرفة محمد حماد، «**سياسة الدولة العثمانية تجاه الساحل الغربي للبحر الأحمر**»، مجلة دراسات حوض النيل، عمادة البحوث والتنمية والتطوير، جامعة النيلين، السودان، مج ٩، ع ١٧، يوليو ٢٠١٥م.

٢٧. علي بن حسين علي الصميلي، «**التنافر بين أمير مكة الشريف سعد بن زيد وسنجق جدة وشيخ الحرم حسن باشا ونهاية الفترة الأولى مِن إمارة الأشراف آل زيد (١٠٧٩-١٠٨٢هـ/ ١٦٦٩-١٦٧٢م)**»، مجلة كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ع ٥٥، يوليو ٢٠١٠م.

٢٨. علي كامل حمزة السرحان، «**قافلة الحج العراقي وأهميتها في العهد العثماني**»، مجلة كلية التربية الأساسية، جامعة بابل، العراق، ع ١٢، حزيران ٢٠١٣م.

٢٩. عويضة بن متيريك الجهني، «**السلطة العثمانية في الحجاز في أواسط القرن ١١هـ/ ١٧م**»، المجلة الأردنية للتاريخ والآثار، الأردن، مج ٢، ع ٢، حزيران ٢٠٠٨م.

٣٠. فائق بكر الصواف، «**أهمية ثغر جدة في النصف الأول مِن القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي**»، مجلة الدارة، الرياض، ع ٢، مج ٦، ربيع الأوَّل ١٤٠١هـ/ يناير ١٩٨١م.

٣١. فيصل حبطوش، **الشراكسة ومنصب الصدارة العظمى في تركيا العثمانية والحديثة**، مجلة نارت، الجمعية الخيرية الشركسية، عمّان - الأردن، العدد ٨٧، آذار/ مارس ٢٠٠٦م.

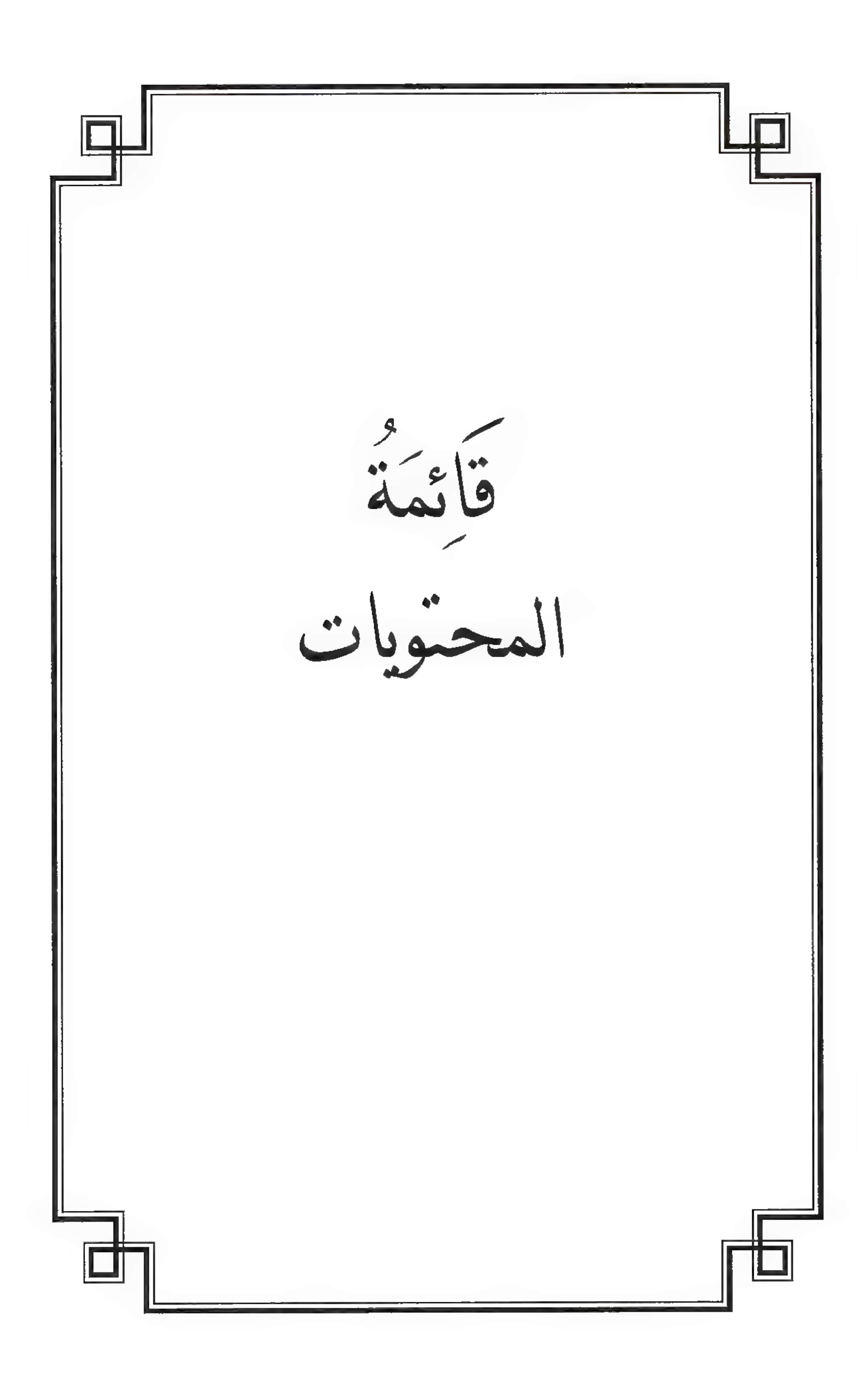
٣٢. لمياء أحمد عبد اللَّه شافعي، «**الصرة العثمانيَّة الموجهة إلى مَكةَ المكرمة (٧٩١-٩٧٤هـ/ ١٣٨٩-١٥٦٦م)**»، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات الإسلاميَّة، ع ٥٤، محرم ١٤٣٣هـ.

٣٣. محمد زكريا عناني، «**مراسلات متبادلة بين الشريف غالب ابن مساعد وبين نابليون بونابرت ورجال حملته على الشرق**»، مجلة الدارة، الرياض، ع ٣، س ٦، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

٣٤. ----------، «**مراسلات متبادلة بين الشريف غالب بن مساعد وبين نابليون بونابرت ورجال حملته على الشرق**»، مجلة الدارة، الرياض، ع ٤، س ٢١، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

٣٥. محمود علي عامر، **قافلة الحج اليمني في العهد العثماني**، مجلة كلية الآداب، جامعة صنعاء، اليمن، ع ١٣، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

❑ ❑ ❑



قَائِمَةُ المحتويات

قائمة المحتويات

المحتوى | الصفحة

المحتوى	الصفحة

عهد الشريف مساعد بن سعيد

المحتوى	الصفحة

عهد الشريف عبد الله بن سعيد

عهد الشريف أحمد بن سعيد

المحتوى | الصفحة

عهد الشريف سرور بن مساعد

المحتوى | الصفحة

المحتوى	الصفحة

المحتوى	الصفحة

المحتوى	الصفحة

المحتوى	الصفحة

المحتوى	الصفحة

المحتوى	الصفحة

المحتوى	الصفحة

المحتوى الصفحة

المحتوى	الصفحة

المحتوى	الصفحة

المحتوى	الصفحة

المحتوى	الصفحة

المحتوى	الصفحة

المحتوى	الصفحة

الملاحق ٧٧٩- ٩١١

□□□

